

موسوعة التاريخ الإسلامي

V

الاسلام والدول الاسلامية بالجزيرة العربية والعراق
من مطلع الاسلام حتى الان

- نجد والحجاز حتى قيام المملكة العربية السعودية .
- تاريخ المملكة العربية السعودية منذ قيامها حتى الان
- سلطنة عمان وامتداداتها وانكماسها حتى الان .
- اليمن من العصر الجاهلي حتى الان .
- الخليج العربي ومشكلاته ودوله : دولة البحرين - دولة قطر
- دولة الامارات العربية - دولة الكويت .
- العراق في جميع العصور .
- احداث العراق والكويت (١٩٩٠ - ١٩٩١) دراسة محايدة .

تأليف
الدكتور أحمد شلبي

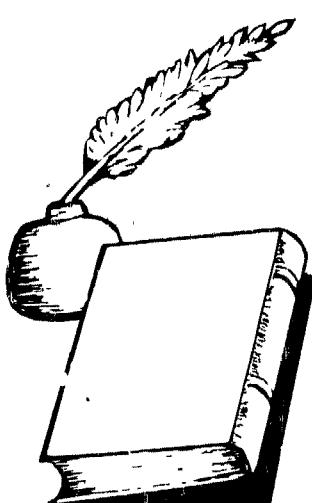
دكتوراه من جامعة كمبريدج (انجلترا)

أستاذ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية

بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

والقائم بلوسام « العلوم والفنون » من الطبقة الأولى

لكتاباته في التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية



مكتبة التوشة المصرية
شانع عدل - القاهرة

الطبعة الخامسة

مع إضافات واسعة وتحقيقات جديدة



مَوْسِيَّةٌ مُهَاجِرَةٌ

الْبَارِخُ الْسُّلَامِيُّ

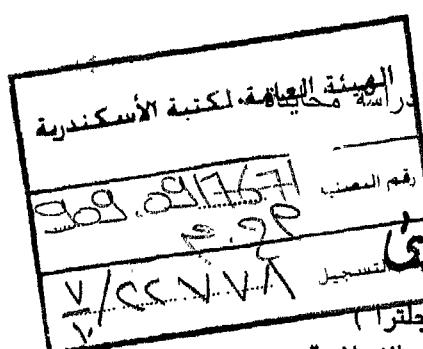
دراسة تحليلية شاملة في عشرة أجزاء لتأريخ العالم الإسلامي كله من مطلع الإسلام حتى الآن ، مع دراسة الجوانب الحضارية التي أتت بها المسلمين في ترقية العمران وتطوير الفكر البشري

V

الاسلام والدول الاسلامية بالجزيرة العربية والعراق

من مطلع الاسلام حتى الان

- نجد والجهاز حتى قيام المملكة العربية السعودية .
 - تاريخ المملكة العربية السعودية منذ قيامها حتى الان .
 - سلطنة عمان وامتداداتها وانكماسها حتى الان .
 - اليمن من العصر الجاهلي حتى الان .
 - الخليج العربي ومشكلاته ودوله : دولة البحرين - دولة قطر - دولة الامارات العربية - دولة الكويت .
 - العراق في جميع العصور .



تألیف

دكتوراه من جامعة كمبردج (إنجلترا)
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
 بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة



مكتبة الطبع والمشر
مكتبة الخصبة المصرية
لـ صحابي حسن محمد وأولاده
شانهم سهل باشا بالقاهرة

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ربنا عليك توكلنا وإليك أنتينا

(سورة المتحنة الآية الرابعة)

التاريخ ٠٠٠٠

شعاع من الماضي ينير الحاضر والمستقبل

أحمد شلبي



الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧

الطبعة الثانية سنة ١٩٨٢

الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٦

الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٠

الطبعة الخامسة سنة ١٩٩٢

(ج)

خطة البحث في هذه الموسوعة

ان خطة البحث التي اتبعتها في كتابة «التاريخ الإسلامي» خطة جديدة ومريرة ، ويسرى ان ابرزها في التخطيط التسالي ليعرف القارئ كنهها ، وليسهل عليه متابعتها :

العرب قبل الإسلام — السيرة النبوية العطرة — عصر الخلفاء الراشدين الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسى الأول ودور المسلمين خلاله في خدمة الدراسات الإسلامية والحضارة العالمية	دراسة زمنية في هذه الأجزاء الأجزاء الثلاثة إذ أن العالم الإسلامي كان وحدة واحدة .
--	---

ثم دراسة مكانية (قطاعات جغرافية) في الأجزاء الخمسة التالية لأن العالم الإسلامي انتقسم إلى دوليات كبيرة ، ويشمل كل جزء من هذه الأجزاء قطاعاً من العالم الإسلامي ، بحيث يتناول تاريخه من مطلع الإسلام حتى العهد الحاضر متبعين من الغرب ومتوجهين إلى الشرق كالخطيب التسالي :

الجزء الرابع	الجزء الخامس	الجزء السادس	الجزء السابع	الجزء الثامن
— القدس الإسلامية وانتقال الحضارة الإسلامية منها — الغرب — أوروبا — الجزائر — تونس — ليبيا ، من مطلع الإسلام — تونسية : مبادئها وتاريخها	— مصر وسوريا من مطلع الإسلام حتى العهد الحاضر — الحروب الصليبية : مواقعها — أدوارها — نتائجها — الإمبراطورية العثمانية (تركيا) منذ ظهورها حتى الان	— دخول الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراءAFRICA من — وسائل انتشار الإسلام بطلب أفريقي .	— رؤساء عن — الدول الإسلامية قبل الاستعمار الأوروبي . — السنغال — السنغال — جامايكا — غينيا — مالي —	— الكويت — البصرة — تشندي — تشاد — السودان — المصروقان — — مطلع الإسلام والدول الإسلامية بالجزيرة العربية والعراق من — دول الخليج العربي : المملكة العربية السعودية — عمان
— اليمان ، دولة الإمارات العربية — قطر — البحرين — — الكويت — العراق	— اليمان ، دولة الإمارات العربية — قطر — البحرين —	— الكويت — البصرة — تشندي — تشاد — السودان — المصروقان — — دول الخليج العربي : المملكة العربية السعودية — عمان	— الكويت — البصرة — تشندي — تشاد — السودان — المصروقان — — دول الخليج العربي : المملكة العربية السعودية — عمان	— التاريخ الإسلامي للدول الإسلامية غير العربية : — أفغانستان — الباكستان — بنجلاديش — — تايلاند — أندونيسيا — الفلبين — — والاتحاد السوفيتي والمهد والفلبين وسنغافورة .

وتختتم الموسوعة بدراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر :

الجزء التاسع : ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم : عصر محمد نجيب وعصر عبد الناصر

عصر المظالم والهزائم

الجزء العاشر : ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم : أنور السادات : شخصيته وعصره

(٥)

كتب للمؤلف

أولاً : موسوعة التاريخ الاسلامي

دراسة تحليلية شاملة في عشرة مجلدات لتأريخ العالم الاسلامي كله ، من مطلع الاسلام حتى الان ، مع دراسة الجوانب الحضارية التي حققتها الدول الاسلامية عبر التاريخ . (الطبعة الرابعة عشرة)

الجزء الاول : السيرة النبوية العطرة وعصر الخلفاء الراشدين .

الجزء الثاني : الدولة الاموية وانصاف تاريخها .

الجزء الثالث : الخلافة العباسية والدور الحضاري خلال عصرها الاول .

الجزء الرابع : الاندلس الاسلامية ، انتقال الحضارة الاسلامية منها الى اوروبا .

تاريخ المغرب - الجزائر - تونس - ليبيا من مطلع الاسلام حتى الان .

الجزء الخامس : تاريخ مصر وسوريا من مطلع الاسلام حتى الان - الحروب الصليبية - تاريخ الامبراطورية العثمانية .

الجزء السادس : الاسلام والدول الاسلامية جنوب صحراء افريقيا منذ دخلها الاسلام حتى الان : موريتانيا - السنغال - جامبيا - غينيا - مالي - النيجر - نيجيريا - تشاد - السودان - الصومال - جيبوتي .

الجزء السابع : دول الجزيرة العربية والعراق من مطلع الاسلام حتى الان ، المملكة العربية السعودية - اليمن - عمان - دولة الامارات العربية - قطر - البحرين - الكويت - ثم العراق - (احداث العراق والكويت : ١٩٩٠ - ١٩٩١ دراسة محيدة) .

الجزء الثامن : الدول الاسلامية غير العربية بآسيا : ايران - افغانستان - الباكستان - بنجلاديش - ماليزيا - اندونيسيا - الاقليات الاسلامية في الهند والصين وروسيا والفيلبين .

الجزء التاسع : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم .
عصر جمال عبد الناصر : عصر المظالم والهزائم .

الجزء العاشر : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم : عصر انور السادات .

- ١ -

كتب للمؤلف

ثانياً : موسوعة الحضارة الإسلامية

دراسة تحليلية شاملة في عشرة مجلدات، تبرز الاتجاهات الحضارية التي جاء بها الإسلام لهدى البشرية في شئون الفكر ، والسياسة ، والاقتصاد ، وال العلاقات الدولية ، وفي مجال الحياة الاجتماعية والتربية والتشريعية والقضائية والعسكرية ، كما تبرز جهود المسلمين في الحضارة التجريبية كالطب والرياضية والفالك . . . (الطبعة العاشرة)

الجزء الأول : موجز عام للحضارة الإسلامية - المناهج الإسلامية : أصولها الصحيحة - انحرافاتها - وجوب تصحيحها .

الجزء الثاني : الفكر الإسلامي : منابعه وأثاره .
مأثر المسلمين في مجال الدراسات العلمية والفلسفية .

الجزء الثالث : السياسة في الفكر الإسلامي - مع المقارنة بالنظم السياسية المعاصرة .

الجزء الرابع : الاقتصاد في الفكر الإسلامي - مع المقارنة بالنظم الاقتصادية المعاصرة .

الجزء الخامس : التربية والتعليم في الفكر الإسلامي .

الجزء السادس : المجتمع الإسلامي : تكوينه وعلاج مشكلاته .

الجزء السابع : الحياة الاجتماعية في الفكر الإسلامي : نطاق الأسرة ونطاق المجتمع كالافراح والالمات والموسيقى والغناء .

الجزء الثامن : التشريع والقضاء في الفكر الإسلامي .

الجزء التاسع : العلاقات الدولية في الفكر الإسلامي .

الجزء العاشر : رحلة حياة : تجربة تعرض مجموعة من قضايا الحضارة الإسلامية .

ثالثاً : التفسير الميسر للقرآن الكريم .

تفسير موجز واضح يهدف لأن تفهم القرآن الكريم اذا قرأته او سمعته ، مع وقوفات تفصيلية عند بعض القضايا القرآنية المهمة .

كتب للمؤلف

رابعاً : مقارنة الأديان

- سلسلة من الكتب في مقارنة الأديان ، تعتمد على أدق المصادر بمختلف اللغات ، وتمتاز دراستها بالجودة والعمق ، وتشمل :
- الجزء الأول : اليهودية :** (الطبعة العاشرة)
- دراسة لشئ المسائل اليهودية : اليهود في التاريخ من عهد ابراهيم حتى الان : الصهيونية - أثبياء بنى اسرائيل ، عقيدة بنى اسرائيل ، يهوده الله بنى اسرائيل ، التعدد والتلوذ في الفكر اليهودي ، التابوت والهيكل ، الكهنة والقرباني ..
 - مصادر الفكر اليهودي : العهد القديم ، التلمود ، برونو كولات حكماء صهيون .
 - اليهود في الظلام : الاغتيال ، التجسس ، الماسونية ، الروتاري ، اللونز - شهود يهود ، البابية والبهائية .
 - من صور التشريع في اليهودية .
- الجزء الثاني : المسيحية :** (الطبعة العاشرة)
- المسيح والمسيحية في نظر المسلمين واليهود والمفكرين الغربيين والكنيسة .
 - بولس واضح المسيحية الحالية ، التثليث ، صلب المسيح للتکفير عن خطيئة البشر .
 - شعائر المسيحية ، المصادر الحقيقة للمعتقدات المسيحية ، المجامع ، طبيعة المسيح والأكراء فيها ، الطوائف المسيحية ، الرهبنة والأديرة ، خرافية ظهور العذراء في كنيسة الزيتون ، حركة الاصلاح الديني ونتائجها ونقدتها .
- الجزء الثالث : الاسلام :** (الطبعة العاشرة)
- الله في التفكير الاسلامي ، النبوة في التفكير الاسلامي ، غير المسلمين في المجتمع الاسلامي ، الدين المعاملة ، المرأة في الاسلام ، الرق و موقف الاسلام منه ، السياسة والاقتصاد في الاسلام ، آراء المفكرين الغربيين في الاسلام ورسول الاسلام .
- الجزء الرابع : اديان الهند الكبرى :** (الطبعة العاشرة)
- « الهندوسية - الجينية - البوذية » .
 - تقديم عن : جغرافية الهند ، سكان الهند ، اللغات في الهند ، الاديان في الهند .
 - دراسة الكتب المقدسة الهندية : الويدا : مهابهارتا : يوجا واسستها ، كيكتا .
 - اهم العقائد الهندية : الكارما والتناسخ ، الانطلاق والذرفانا ، وحدة الوجود .
 - تاريخ الهندوسية والجينية والبوذية وتاريخ واضعيبها .

كتب للمؤلف

خامساً : كتب في الثقافة العامة وكتب بلغات أجنبية

- ٢٥ - كيف تكتب بحثاً أو رسالة .
دراسة منهجية لكتابة البحوث واعداد رسائل الماجستير والدكتوراه .
(الطبيعة الثانية والعشرون - مع ثلاثة ملاحق مهمة)
 - ٢٦ - الحروب الصليبية : بدؤها مع مطلع الاسلام ، واستمرارها حتى الان :
عرض للهجمات الصليبية الغربية عسكرية وفكيرية على العالم الاسلامي عبر
العصور .
 - ٢٧ - أحداث العراق والكويت : ماذا أبرزت من مشكلات ؟ وما السبيل
للتغلب عليها ؟ دراسة تاريخية نفسية محايده (الزهراء للاعلام العربي)
- كتابان باللغة الانجليزية هما :**
- | | |
|----------------------|--|
| مكتبة النهضة المصرية | ISLAM : Belief - Legislation - Morals — ٢٨
History of Muslim Education — ٢٩
وباللغة الفرنسية :
Islam : Croyance - L é gislation - Morale — ٣٠ |
|----------------------|--|
- وباللغة الاندونيسية والالمانية :**
- | | |
|---------------------------------|--|
| Pustaka National
(Singapore) | Nearag dan Pemerintahan Dalam Islam — ٣١
Masjarakat Islam — ٣٢
Hukum Islam — ٣٣
Sedjarah dan Kebudajaan Islam ١ — ٣٤
Sedjarah dan Kebudajaan Islam ١١ — ٣٥
Sedjarah dan Kebudajaan Islam ١١١ — ٣٦
Perbandingan Agama (Jahudi) — ٣٧
Perbandingan Agama (Masihi) — ٣٨
Perbandingan Agama (Islam) — ٣٩
Perbandingan Agama (Agama2 yang Terbeser di India : Hindu-Jaina-Buddha) — ٤٠
Sadjarah Pendidikan Islam — ٤١
Politik dan Ekonomi Dalam Islam — ٤٢
Kehidupan Social Dalam Pemikiran Islam — ٤٣
Perkembangan Keagamaan Dalam Islam dan Masehi — ٤٤
Perang Salib — ٤٥
Kurikulum Islam Dalam — ٤٦
Perkembangan Sedjarah — ٤٧
Pengajian Al Quraan — ٤٨
Sedjarah Kehakiman Dalam Islam — ٤٩ |
|---------------------------------|--|

Pustaka National
(Singapore)

- ٤ -

كتب للمؤلف

سادسا : تعلم اللغة العربية لغير العرب وقواعد اللغة العربية

- برنامج شامل ميسّر لتعليم اللغة العربية بكل فروعها لغير العرب .
- أول سلسلة من نوعها في المكتبة العربية تملأ هذا الفراغ .
- دراسات شاملة سهلة لقواعد اللغة العربية من نحو وصرف .
- تضم هذه السلسلة الكتابين التاليين :

٤٩ - تعلم اللغة العربية لغير العرب : (الطبعة الرابعة)

يبدا هذا الكتاب من المرحلة الأولى ، مرحلة الهجاء ، ويتطور للقراءة ، فالتعبير ، فالاماء ، فالخط والنصوص ، ثم يقفز بالطالب إلى مرحلة متقدمة في القراءة والمحادثة والكتابة ، مستعملاً في هذه المرحلة موضوعات جذابة من الفكر الإسلامي والعربي اختيرت من أمهات الكتب العربية ثم صيغت في أسلوب مناسب ، مع أسئلة وتمرينات مفيدة .

٥٠ - قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها : (الطبعة الرابعة)

عرض لجميع أبواب النحو العربي بطريقة تربوية سهلة ودراسة واضحة لأهم أبواب الصرف .

هذا الكتاب ضروري للمثقف العربي وغير العربي

كتب نفذت ولم يعاد طبعها

- ٥١ - في قصور الخلفاء العباسيين :
- أكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الجزء الثالث من موسوعة التاريخ .
- ٥٢ - مصر في حربين (١٩٦٧ و ١٩٧٣) دراسة مقارنة :
- وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الجزء التاسع من موسوعة التاريخ .
- ٥٣ - الحكومة والدولة في الإسلام :
- وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الجزء الثالث من موسوعة الحضارة .
- ٥٤ - الاشتراكية : دراسة علمية نقديّة يدعمها اليقين الروحي .
- ٥٥ - النظم الاقتصادية في العالم عبر العصور وأثر الفكر الإسلامي فيها .
- وأكثر مادة هذين الكتابين تضمنها الجزء الرابع من موسوعة الحضارة .
- ٥٦ - الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي :
- وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الجزء التاسع من موسوعة الحضارة .

كتب للمؤلف

- سابعاً : المكتبة الإسلامية لكل الأعمار
تخطيط يشمل ١٠٠ جزء ، يقرأها كل فرد من أفراد الأسرة ظهر منها ٧٢
جزءاً كالتالي :
- المجموعة الأولى : السيرة النبوية العطرة (١٦ جزءاً)
وتشمل سيرة الرسول ﷺ وجوانب منها تدّون لأول مرة .
- المجموعة الثانية : العشرة المبشرون بالجنة (٧ أجزاء)
- المجموعة الثالثة : دراسات قرآنية (٥ أجزاء)
نزول القرآن وتدوينه - القرآن والعلم - فضائل القرآن -
اعجاز القرآن - الأخلاق الإسلامية من القرآن الكريم .
- المجموعة الرابعة : من أقصص القرآن الكريم (٧ أجزاء)
- المجموعة الخامسة : الدولة الاموية : تاريخ يحتاج الى انصاف (٥ أجزاء)
لماذا انحرف تدوين التاريخ الاموي ؟ مدعو التشيع وسمومهم -
قمم اموية .
- المجموعة السادسة : شخصيات اسلامية (٥ أجزاء)
صقر قريش - هارون الرشيد - الخليفة المأمون - الناصر لدين الله -
عبد الرحمن الناصر . . .
- المجموعة السابعة : صراع وشهادة وانتصارات (٦ أجزاء)
- من شهادة الاسلام . . .
- الحروب الصليبية: بدؤها مع مطلع الاسلام واستمرارها حتى الان
(٣ أجزاء في مجلد)
- شهر رمضان وانتصارات المسلمين فيه (٤ جزءان في مجلد)
- المجموعة الثامنة : الاسلام والمرأة (٥ أجزاء)
حالة المرأة في الحضارات غير الاسلامية - ماذا قدم الاسلام للمرأة ؟
نماذج من السيدات المسلمات: من بيت النبوة «السيدة زينب والسيدة
سكينة » ونماذج في السياسة والأداب والعلوم والفنون - زيجات
شهيرة في التاريخ : « زبيدة - بوران - قطر الندى » .
- مكة المكرمة : من التهيء لاستقبال دين جديد الى التنكيل بمن
اتبعه (٣ أجزاء في مجلد واحد)
- الميراث في الشريعة الاسلامية : دراسة شاملة .
- تاريخ الطب في الإسلام .
- حركات فارسية ضد الاسلام والمسلمين عبر العصور
(٣ أجزاء في مجلد واحد)
- تطوير دراسة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ودور دار العلوم
في هذا المجال .
- الصحوة الاسلامية : مظاهرها - معوقاتها - الصحوة تستعيد نشاطها .
- السلفية : نماذج رائعة للسلفية وتعثر السلفية أحياناً .
- عواصم إسلامية مقدسة : مكة - المدينة - القدس : عبر العصور .
(الأجزاء التالية ستظهر قريباً إن شاء الله)

- ٧ -

صفحة	الموضوع
٢٠ ١٧	مقدمة الطبعة الأولى
٢٠	مقدمة الطبعة الخامسة

الجزيرة العربية

في صدر الاسلام والعهد الاموي والعصر العباسي

٢٣	الجزيرة العربية في عهد الرسول
٢٤	الجزيرة العربية في عهد الخلفاء الراشدين
٢٩	الجزيرة العربية في العصر الاموي
٣٢	الجزيرة العربية في العصر العباسي
٣٦	التفكير الفكري في الجزيرة العربية
٣٧	اتجاهات مصر الاستقلالية وصلتها بالجزيرة العربية
٤٢	العثمانيون في الحجاز والجزيرة العربية
٤٣	العثمانيون ولقب الخلافة
٤٥	مصر بالحجاز خلال العهد العثماني

نجد

من مطلع الاسلام حتى قيام المملكة العربية السعودية

٤٧	غموض تاريخ نجد ومحاولة التغلب عليه
٤٨	حدود نجد وتتعريف سريع بها :
٤٩ ٥٠	مناطق الشخصية في نجد - مناطق الجفاف في نجد
٥١ ٥٢	قصبة الطبيعة في بعض المناطق - صراع القبائل الذي لا يتوقف
٥٤ ٥٥	مظاهر الجمال في نجد .

مفتاح تاريخ نجد :

٥٨	١ - الحياة القبلية في نجد
٥٩	(١) القبائل البدوية المتجلولة
٦٤	من مشاهير العلماء في نجد

صفحة	الموضوع
	(ب) مزيد من الدراسات عن تاريخ نجد وتاريخ
٦٩	القبائل المستقرة وتاريخ بعض مدنها :
٦٩	عنزة
٨٢	قضاء عنزة وعلماؤها
٨٩	العينة
٨٩	قضاء العينة وعلماؤها
٩١	حائل
١٠٢	٢ - زحف من الداخل
١٠٥	٣ - زحف من الخارج على نجد :
	من الشرق ١٠٦ - من الغرب ١٠٩

نجد وأل سعود والدعوة الاصلاحية

السعوديون :

١١٧	الأمير سعود والدولة السعودية الأولى
١١٨	أمراء السعوديين وملوكهم في الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة
١٢٠	الدولة السعودية الأولى - والامام محمد بن سعود
١٢١	الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته
١٣٠	فقه الدعوة واتجاهها العقائدي
١٣٨	عبد العزيز بن محمد بن سعود
١٤٠	سعود الكبير
١٤٤	قوى المضادة لل سعوديين
١٤٩	الزحف المصرى على الحجاز والجزيرة العربية :
١٤٩	طوسون يقود الحملة الأولى ١٤٩ - محمد على يقود
١٥٠	الحملة الثانية
١٥١	الصلح وشروطه من مصادر سعودية
١٥٢	نقض الصلح وغزو « محرش » من المصادر السعودية
١٥٤	ابراهيم باشا يقود حملة للرد على نقض الصلح
١٥٧	نهاية الدرعية ونظرة شاملة لهذا الصراع
١٦٢	الدولة السعودية الثانية والصراع الداخلى

صفحة

الموضوع

المملكة العربية السعودية

١٦٩	الدولة السعودية الثانية (دولة البطولة والاستقرار والتقدم) الملك عبد العزيز وجهوده ونتائج كده وقفة عند الواقع التاريخية أخطر المعارك التي خاضها الملك الباسل :
١٧٥	الأحساء والعثمانيون آل الرشيد عسير والأدارسة الأشراف الاخوان رحلة إلى الغطاف نهاية البطل الملك سعود الملك فيصل :
٢١٨	تأثير الملك فيصل فيصل وحرب رمضان نهاية الملك فيصل الملك خالد : بيعة ونهاية الملك فهد وجهوده ملايين النسخ من القرآن الكريم لقب الملك : خادم الحرمين الشريفين جسر الملك فهد إلى البحرين أقسام المملكة العربية السعودية وأهم بلدانها حضارة المملكة العربية السعودية التصحيح الفكري ٢٣٢ - وحدة المملكة ٢٣٢
٢٣٣	القيادة الرشيدة ٢٣٣ - الأمن ٢٣٣ - الادارة ٢٣٤
٢٣٤	محاربة الأعداء الثلاثة ٢٣٤ - النهضة العلمية ٢٣٥
٢٣٦	الصحة ٢٣٦ - مقارنات ٢٣٦ - الزراعة ٢٣٨
٢٣٩	العمaran والحرمان الشريفان ٢٣٩ - الصناعة ٢٤٠
٢٤٣	عدوان على المسجد الحرام عدوان ايراني بالمسجد الحرام عدوان عراقي على السعودية ٢٤٥

صفحة

الموضوع

سلطنة عمان

٢٤٩	تقديم
٢٤٩	موقع عمان على خريطة العالم
٢٥٢	تسمية عمان
٢٥٣	أهم المدن في عمان
٢٥٧	عواصم عمان السياسية
٢٥٩	٢٦٥ - الرستاق - مسقط ٢٧٠ - نزوى ٢٧٩	صغار
٢٨٨	هل تعد عمان من دول الخليج أو لا تعد ؟
٢٩٢	اقتصاد عمان
٢٩٦	جولة تاريخية عن عمان
٢٩٧	سكان عمان
٢٩٩	عمان الإسلامية :
	٣٠٠	في عهد الرسول ٢٩٩ - في عهد الخلفاء الراشدين
	٣٠٢	في العهد الأموي
	٣٠٤	عمان والمذهب الاباضي
	٣٠٦	عمان في العصر العباسي
٣٠٨	عصور الحكم في عمان عبر التاريخ الإسلامي :
٣١٠	عصر الأئمة الاباضية
٣١٢	العصور المظلمة
٣١٥	ملوك آل نبهان
٣١٩	عمان هدف لعدوان خارجي (فارسي ثم برتغالي)
٣٢١	اليعاربة وتعريف باشهر ائمتهم
٣٣٠	من مأثر اليعاربة
		آل بوسعيدي :
٣٣١	المستشار أحمد بن سعيد وخلفاؤه
	٣٣٦	الانقسامات والتفكك
	- فصل ساحل الصلح عن
	٣٣٧	عمان
	- القاب الحكام
	٣٣٨	- عمان والقوى
	٣٤١	الأوربية
	٣٤٣	- السعوديون وعمان
	- البوسعيديون
	٣٤٦	في شرقى افريقيا
٣٤٨	تعريف باشهر سلاطين البوسعيديين :
٣٥٠	سلطان بن أحمد ٣٤٩ - سعيد بن سلطان
٣٥٣	السلطان قابوس وعصره :

- ٤٠ -

الصفحة	الموضوع
٣٥٩	مقاطعة ظفار ٣٥٦ - حضارة عمان
٣٦٢	صلات شخصية بعمان العقل العماني المتفتح :
٣٦٣	مازن بن غضوبة والصنم الذي نكلم !!
اليمن	
١ - الجمهورية العربية اليمنية	
٢ - جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية	
٣٧٣	حدود اليمن
٣٧٥	أقسام اليمن الطبيعية
٣٧٥	كلمة عن تاريخ اليمن قبل الاسلام وحضارته
الاسلام في اليمن :	
عهد الرسول ٣٨١ - عهد الخلفاء الراشدين ٣٨٣	
الأسود العنسي ٣٨٤ - الاشعث بن قيس ٣٨٥	
زيد :	
٤٠١ - ٤٠٠	الفتوحات الاسلامية وأهل اليمن
٣٨٧	اليمن بين عثمان وعلى
٣٨٨	اليمن في العهد الاموي
٣٨٨	مقارنة بين اليمن وحضرموت
٣٩١	اليمن في العصر العباسي
٣٩٤	اقاليم اليمن والدول التي قامت بها
٤٠٨	بنو زياد ٤٠٣ - بنو نجاح ٤٠٦ بتو المهدى
صنعاء :	
٤١١	بنو يعفر ٤١٣ - القرامطة ٤١٥ - بنو صليح
٤١٧	مكانة الفاطميين في دولة بنى صليح
٤٣٠	الهمدانيون
٤٢١	
صعدة :	
٤٢٣	الشيعة في صعدة ٤٢٣ - الرس والائمة الزيديون
عدن :	
٤٣٧	
٤٣٨	بنو زريع

صفحة	الموضوع
٤٤١	مصر في اليمن :
٤٤١	مطلع الدعوة الفاطمية في اليمن
٤٤٤	الأيوبيون في اليمن
٤٤٩	بنو رسول
٤٥٦	بنو طاهر
٤٥٩	اليمن يمنان
٤٦١	ماليك مصر الشراكسة في اليمن
٤٦١	العثمانيون في اليمن
٤٦٦	المرحلة الأولى للغزو العثماني ٤٦٤ - المرحلة الثانية
٤٦٧	المرحلة الثالثة
٤٦٩	آل حميد الدين
٤٧٦	عهد الامام يحيى ٤٦٩ - عهد الامام أحمد ٤٧٥ - الامام البدر
٤٧٧	الجمهورية العربية اليمنية
٤٨٠	عبد الناصر واليمن ٤٧٧ - ثورة جديدة في اليمن
٤٨٢	العقيد على عبد الله صالح
٤٨٢	الشيخ زايد يجدد سد مأرب

**اليمن الجنوبية
قبل وبعد اعلن الجمهورية**

٤٨٤	مناطق اليمن الجنوبية قبل اعلن الجمهورية
٤٨٧	عدن حتى الاستعمار البريطاني
٤٨٨	المقاطعات الشرقية حتى الاستعمار البريطاني
٤٩١	المقاطعات الغربية حتى الاستعمار البريطاني
٤٩٢	الحياة السياسية والاجتماعية بحضرموت قبل الاستقلال
٤٩٥	بريطانيا والجنوب اليمني
٤٩٨	اتحاد الجنوب ٤٩٧ - الاستقلال التام وخطواته
٤٩٩	عبد الناصر وحركات التحرير
٥٠٢	قيام الجمهورية اليمنية الديمقراطية الشعبية
٥٠٥	وحدة اليمن الشمالية والجنوبية
٥٠٧	جهود الحضارمة في نشر الاسلام

صفحة

الموضوع

الخليج العربي

والدول العربية الواقعة عليه

٥١٣	تسمية الخليج
٥١٨	أهمية الخليج وأهمية منطقته
٥٢١	ساحل الخليج (البحرين)
٥٢٣	الاسلام في منطقة الخليج
٥٢٦	الردة والصراع ضد المرتدين
٥٣٠	البحرين في العهد الاموى
٥٣٠	الخارج في منطقة الخليج
٥٣٥	البحرين في العصر العباسي
٥٣٨	حركة الزنج في البحرين وخطوات التائز
٥٤٤	مقاومة حركة الزنج
		القراطمة ودولتهم :
٥٥١	التاريخ للقراطمة ٥٤٨ - البياطنية وأثرهم في القراطمة ..
٥٥٠	تسمية القراطمة ٥٥٤ - من الاهاواز الى حمدان
٥٥٩	عائد القراطمة ٥٥٨ - من حركة دينية الى مذهب سياسي
٥٦١	أبو سعيد الجنابي وأولاده وتعريف بهم
٥٧٦	القراطمة والفاتميون ٥٧١ - مصر والقراطمة
٥٨٣	نهاية القراطمة ٥٨٠ - نظم القراطمة السياسية والاقتصادية
٥٨٧	العيونيون في البحرين
٥٨٩	فارس في البحرين
٥٩٠	نفوذ مصر في البنرين
٥٩١	صراع النفوذ ابتداء من القرن السادس عشر
٥٩٣	البرتغاليون ٥٩٢ - الفرس والانجليز والهولنديون
٥٩٤	العرب ضد القوى الاستعمارية
٥٩٨	دول المنطقة بعد الاستقلال
٦١٢	دولة البحرين
٦٠٥	تاريخ جزر البحرين ٦٠١ - الخطوات نحو الاستقلال
٦٠٨	ايران والبحرين وتجدد محاولات ايران للسيطرة على البحرين

الموضوع	
مواجهة المحاولات الایرانية :	
١ - جسر الملك فهد	٦١١
٢ - جامعة الخليج العربي	٦١٢
دولة قطر	٦٢٣ - ٦١٣
لمحة تاريخية ٦١٥ - آل ثاني في قطر	٦١٦
قاسم بن محمد آل ثاني وخلفاؤه	٦١٧
قطري بن الفجاءة	٦٢٢
دولة الامارات العربية المتحدة	٦٤٥ - ٦٢٥
الامارات كانت جزءا من عمان ٦٢٧ - مشكلات الامارات	٦٢٩
تعريف بالامارات واحدة بعد واحدة	٦٣٠
قيام دولة الامارات وجهودها في مختلف الميادين	٦٤٠
دولة الكويت	٦٧٥ - ٦٤٧
معلومات عامة عن الكويت ٦٥٠ - تاريخ الكويت	٦٥٣
أمراء الكويت وكلمة تاريخية عن أهمهم ٦٦١ - اقتصاد	الكويت
الكويت ٦٦٧ - الحياة في الكويت	٦٦٨
الكويت والعرب	٦٧٠
عن الكويت والفقر حولها ، وأثار ذلك	٦٧١

العنوان

الموضوع

صفحة	
٧٠٥	جنكىزخان : الياسا ٧٠٣ - جنكىزخان وأرض الاسلام
٧٠٥	الدولة الخوارزمية والمغول
٧١٠	جلال الدين منكيرتى
٧١١	المغول يتجهون صوب العراق
٧١٣	تحالف المغول مع الصليبيين
٧١٣	المغول والاسماعيلية
٧١٤	هولاكو وسقوط بغداد
٧١٨	دفاع عن ابن العلقمى
٧١٩	الاسلام يغلب المغول

العراق ابتداء من عهد المغول

٧٢١	المغول الايلخانيون
٧٢٤	الجلائريون
٧٢٥	تيمورلنك وآل جلائر
٧٢٦	الدولة الجلائرية، بعد تيمورلنك
٧٢٧	القرهقويينلو (التركمانية الاولى)
٧٢٩	الاًق قويينلو (التركمانية الثانية)
	علاقة الاًق قويينلو مع القوى المجاورة :
٧٣٢	علاقتهم مع التيموريين ٧٣٢ - مع العثمانيين
٧٣٥	الصفويون في العراق
٧٣٧	العثمانيون في العراق
٧٤٠	الادارة التركية في العراق ٧٣٩ - ولادة العراق في العهد التركي
٧٤٥	دولة الماليك في العراق
٧٥١	قائمة الماليك وتعريف باشهرهم ٧٤٦ - نهاية الماليك
٧٥١	مصر ومصير ماليك العراق - اصلاحات الماليك
٧٥٤	باشوات بغداد بعد الماليك
٧٥٦	العراق من القرن التاسع عشر للقرن العشرين
٧٥٧	بريطانيا والعراق
٧٥٨	الاستعمار والملكية بالعراق

- ٤٥ -

صفحة	الموضوع
	ثورات العراق الاستقلالية والاصلاحية :
٧٦٠ : ١٩٢٠ - ثورة ١٩٤١ : ٧٦١ - ثورة ١٩٥٨ ونهاية الملكية واعلان الجمهورية ٧٦٤ - ثورة ١٩٦٣ : ٧٦٦ - ثورة ١٩٦٨ : ٧٦٧ - صدام رئيساً للجمهورية ٧٦٩ - الحرب مع ایران ٧٧٠	ثورة ١٩٢٠ : ٧٦٠ - ثورة ١٩٤١ : ٧٦١ - ثورة ١٩٥٨ ونهاية الملكية واعلان الجمهورية ٧٦٤ - ثورة ١٩٦٣ : ٧٦٦ - ثورة ١٩٦٨ : ٧٦٧ - صدام رئيساً للجمهورية ٧٦٩ - الحرب مع ایران ٧٧٠
٧٧٣ - ٧٧٣	أحداث العراق والكويت : دراسة تاريخية نفسية محايدة
٧٨٢ - ٧٨٨	ثبت المصادر والمراجع

فهرس الخرائط والمخططات

١٩ الدول التي ستدور حولها الدراسة في هذا الجزء
٢٦ مناطق القبائل التي اتجهت لها جيوش أبي بكر
٨١ عنيزة بالقصيم وعيينة بالعارض وحائل بجبل شمر
١١٩ مخطط رؤساء وملوك الأسرة السعودية
١٩١ أمراء وملوك آل عون (من الأشراف)
٢٥١ سلطنة عمان ومقاطعاتها
٢٥٥ أهم المدن في سلطنة عمان
٢٦٤ قلعة صحار
٢٧٥ مسقط مدينة الأبراج
٢٧٦ مسقط مدينة الأبراج
٢٨١ حصن جبرين في نزوی
٣٣٥ مخطط أسرة آل بوسعيد
٤٠١ - ٤٠٠ مناطق اليمن الرئيسية والأسر الحاكمة بها
٤٨٦ أهم المناطق التي تكونت منها جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
٧١١ غارات المغول على العالم الإسلامي

- ١٧ -

مقدمة الطبيعة الأولى

في مسيرتنا من الغرب إلى الشرق لدراسة تاريخ العالم الإسلامي انتهينا من الدول الإسلامية بفاريقية شمال الصحرا وجنوبها ، ودرستنا منطقة سوريا ونحن ندرس تاريخ مصر لطول ارتباط سوريا بمصر على مر التاريخ ، كما درسنا تركيا منذ ظهورها حتى الآن ، ووقفنا بذلك عند البحر الأحمر ، وعند الحدود الفاصلة بين سوريا وتركيا من جانب وبين العراق من جانب آخر ، متطلعين لقطاع جديد من قطاعات العالم الإسلامي ليكون موضوع جزء جديد من أجزاء هذه الموسوعة *

ومتابعةً لمسيرتنا نجدنا في هذا الجزء أمام منطقة مهمة للغاية ، هي الجزيرة العربية وامتداداتها إلى الشمال الشرقي حيث العراق ذو التاريخ الإسلامي المجيد *

والجزيرة العربية مهد الإسلام ، وفيها ابتدت الحضارة الإسلامية التي سرعان ما أصبحت حضارة إنسانية ، وقد ظلت الجزيرة العربية ردحاً من الزهن ترسل الإشعاعات الفكرية في اتجاهات متعددة حتى تسللت دمشق في بغداد فالقاهرة مشعل النور ، ولكن الإسلام كان قد ربط بالحجاز ركناً من أركان الإسلام هو الحج حيث يلتقي كل عام مئات الآلاف من القادرين على تكاليف الرحلة ومساقها ليؤدوا فريضة الحج ، وليجتمعوا في مهبط الوحي ليتدارسوا مشكلات المسلمين ، وليرسموا الطريق لعلاج هذه المشكلات ، وعلى هذا لم يفقد الحجاز جلاله الديني عندما ضعف جلاله السياسي *

وفي الجزيرة العربية كذلك توجد المدينة المنورة حيث مثوى سيدنا رسول الله ، وكثير من خلفائه وصحابه ، وزيارة سيدنا رسول الله بالمدينة هدف تحرص عليه الغالبية العظمى من الحجاج *

(٢ - التاريخ ج ٧)

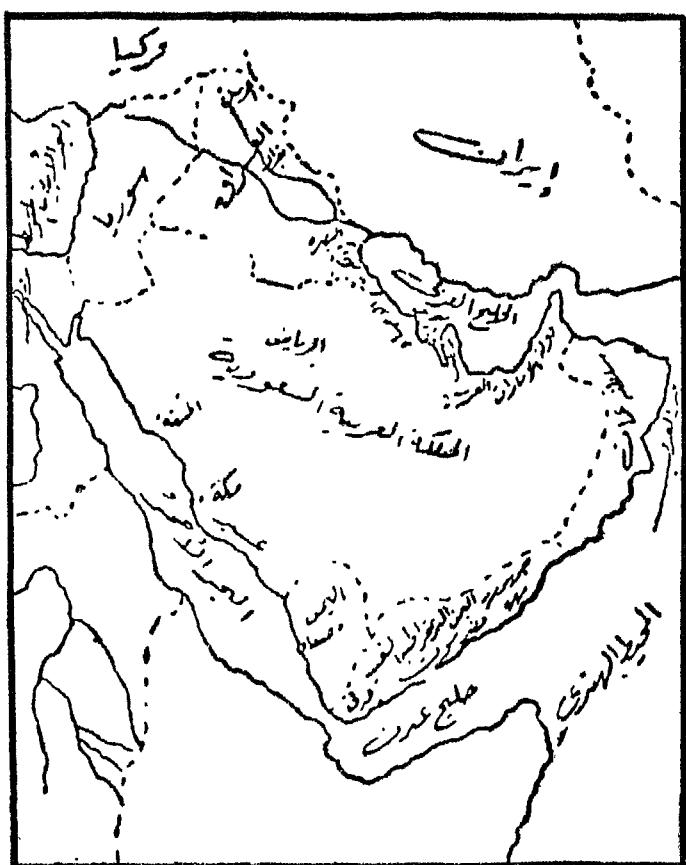
ومن أجل هذا نجدنا في هذا الجزء على صلة وثيقة بمنزل الوحي ، وبالعنصر العربي الذي تلقى الإسلام وفهمه ، وحمله للبشر ، وذاد عنه عندما تصدّى له أعداء الحرية والعدالة والمساواة ، وتخطى به المخاطر والحدود ، وحارب من أجله المعارضين المعذبين ، ولو كانوا أولى قربى أو أصحاب تيجان وعروش ، وعلى هذا فإننا نؤكد أن انتشار الإسلام كان انتشاراً حضارياً ، وأن تفوقه على العقبات التي وقفت في طريقه كان بسبب رجحانه فكريًا على الحضارات أو إشلاء الحضارات التي واجهته .

ومن الواضح أن هذا الجزء يرتبط بالجزء الأول من هذه الموسوعة ارتباطاً وثيقاً ، ففي الجزء الأول تحدثنا عن العرب قبل الإسلام ، وعن المسيرة النبوية العطرة ، وعن الدعوة الإسلامية وفلسفتها ، وعن عصر الخلفاء الراشدين ، وقد كانت الجزيرة العربية مسرح الأحداث في تلك الفترة ، ويرتبط هذا الجزء كذلك بالجزء الثاني من هذه الموسوعة حيث الصراع بين الحجاز والأمويين ، ويرتبط أيضاً بالجزء الثالث حيث قامت الخلافة العباسية في العراق ، وستلهم هنا إمامات موجزةٌ بالتاريخ الذي أوردهنا في الأجزاء السابقة ، ثم نفصل القول في الأحداث التي لم تشهدها تلك الأجزاء حتى نصل بهذه الأحداث إلى العهد الحاضر .

ومن الملاحظ أننا إذا نظرنا إلى خريطة المنطقة التي سيستملها هذا الجزء يتضح لنا أنها الآن تشمل الدول الآتية :

- ١ - المملكة العربية السعودية .
- ٢ - سلطنة عمان .
- ٣ - جمهورية اليمن الشمالية .
- ٤ - جمهورية اليمن الديمقراطية (مايو ١٩٩٠) وستتكلّم عنها فيما بعد كدولة واحدة الشعبية .
- ٥ - دولة الإمارات العربية .
- ٦ - قطر .
- ٧ - البحرين .
- ٨ - الكويت .
- ٩ - العراق .

- ١٩ -



الدول التي ستدور حولها الدراسة في هذا الجزء

ومن الواضح أن الم موضوع يكتنف فترات طويلة من تاريخ هذه الدول ، وأن الإقدام على دراسة تاريخها السياسي والحضارى دراسة متصلة يحتاج إلى جهد جهيد ، وصبر طويل ، حتى تدفع تاريخ هذه المناطق إلى النور ، أو تدفع النور لها ، فتاريخ الجزيرة العربية يدخل في نطاق موضوع لم تكشفه بعد أبحاث ذات بال ، فأكثر ما كتب عن هذه المنطقة مجلدات هي إلى الدعاية أقرب ، وأمثال هذه المجلدات قد تخدم أغراضها في مجال الدعاية ، ولكنها لا تخدم البحث والدراسة ، ومن هنا فهى لا تزيل اللبس والموضوع بصفة حقيقة .

فأللهم نصرع إليك أن تلهمنا السداد والرشاد ونحن نقتصرم هذا العمل الكبير ، فكل صعب يمدون إن شملنا تأييدهك ، وكل ضباب يتلاشى إن كان معنا عونك ، ولكن يارب معنا لنكمل العمل الذى بدأناه باسمك ، وسرنا فيه بتوفيقك فعليك اعتمادنا ، ومنك وحدك ما حققناه ، وتحقيقه من نجاح لخدمة الإسلام والمسلمين *

يارب ٠٠٠٠ يارب

المعادى فى يناير سنة ١٩٧٧

دكتور أحمد شلبي

مقدمة الطبعة الرابعة

يسعدنى أن أقدم الطبعة الرابعة من هذا الكتاب بعد أن أدخلت عليه إضافات عن الأحداث التى جرت بعد آخر طبعة منه ، وبعد أن أدخلت عليه بعض التحسينات والتحقيقات .

والله المسئول أن ينفع به قارئه ومؤلفه ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

المعادى فى ابريل سنة ١٩٩٠

دكتور أحمد شلبي

اجْتِزِيَّةُ الْعَرَبِيَّةِ
فِي صُدُرِ الْإِسْلَامِ وَالْعِرْبِ الْأَمْوَى وَالْعَصْرِ الْعَبَاسِيِّ الْأَوَّلِ

- ٢٣ -

الجزيرة العربية في صدر الإسلام

في عهد الرسول :

في الجزء الأول من هذه الموسوعة ذكرنا أن الرسول عليه المصلحة والسلام — بعد أن انتصر على قريش في بدر ثم هادنهم في العام السادس من الهجرة ، وبعد أن انتصر على اليهود في العام الثاني والرابع والخامس والسابع للهجرة — راح يتطلع لنشر الإسلام في نواحي الجزيرة العربية ، فأرسل مبعوثين من قبله يحملون كتبه لرؤساء القبائل والأمارات بالجزيرة العربية ، بل كذلك للماوك والرؤساء بالأقطار المحيطة بالجزيرة ، وأوردنا هناك أسماء هؤلاء المبعوثين ، ونتائج هذه البعثة ، والمهم هنا أنه عن هذا الطريق انتشر الإسلام انتشاراً واسعاً بالجزيرة على وجه خاص .

وفي العام التاسع قدمت وفود عربية للرسول من كل جهة ، ولذلك سمي العام التاسع للهجرة عام الوفود ، وقد أوردنا في الجزء الأول أسماء هذه الوفود ، وأشارنا إلى ما عرف من شعرهم وخطبهم .

ومن الذين وفدوا على الرسول ضمن هذه الوفود وائل بن حجر الكندي وكان أمير بلاد الشاطئ من حضرموت فأسلم ، وأنفه النبي على امراته ، كما جاءت وفود حمير من اليمن تعلن إسلام هذه المناطق ، وكانت هذه الوفود بقيادة الحارث بن طلال وأخويه نعيم والنعمان .

وكتب فروة بن عمرو الجذامي عامل الروم على من يليهم من العرب إلى الرسول بإسلامه ، وأرسل بعض المهدايا ، فلما عرف الروم عنه هذا التصرف قبضوا عليه وبسجنه ثم قتلوا ، وقد أشرنا إلى هذا في الجزء الأول من هذه الموسوعة .

ومن بين الوفود وفود تميم وربيعة وقحطان وثقيف وأسد والأزد وغسان ومهرة ونجران ومذحج وخشم وغيرهم .

— ٤٦ —

وأرسل النبي عليه الصلاة والسلام عماله على المناطق المختلفة التي أسلمت ، كما أرسل الدعاة والمعلمين ليعلموا الناس مبادئ الإسلام وليرثوهم القرآن ٠

الجزيرة العربية في عهد الخلفاء الراشدين :

وذكرنا أيضاً في الجزء الأول من هذه الموسوعة أن من العرب من دخل الإسلام دون دراسة ، ودون إيمان عميق ، ومنهم من دخل الإسلام تجنياً لخوض الحروب ضد المسلمين الذين حققوا انتصارات واسعة في معاركهم ، ومنهم من دخل الإسلام طمعاً في مغنم أو جاه ، والمهم أن وفاة الرسول أتاحت الفرصة لهؤلاء ليظهرروا ما في نفوسهم ، أو ليثروا على حُصْر الرئاسة في جماعات قريش ، ومن هنا ظهر من يعرفون في التاريخ بالمتبيّن والمرتدِين ومانعِي الزكاة ، وهي أسماء مختلفة ولكنها تعبر عن مدلول واحد هو التمرد بدليل أن الأشعث بن قيس كان من مانعِي الزكاة ثم انضم للمرتدِين ، وكانت كندة مع الأسود العنسي مدعى النبوة فلما قُتلت انضمَّت للمرتدِين ، وكان أهل اليمامة من المرتدِين فلما علا شأن مسيلمة انضموا له (١) وهكذا ٠

ولكن أبي بكر وقف رائعاً ، وحمل المسؤولية بكفاءة ممتازة ، فأرسل رسالته بكتاب مفتوحة إلى هؤلاء المرتدِين يوضح لهم ما خفي عليهم ، ويردّ على ما أظهروه قادة الضلال من انحرافٍ ليعودوا من جديد إلى الإسلام والتمسّك به (٢) ، ثم انتهى يدفع بالقومة من لم تنفع معه الحسنى ، فأعادَ جيوشاً كبيرة أوصاها بقوله : من حرص على الموت في الحرب وُهبت له الحياة ٠ فكانت هذه الوصية خير ضمان للنصر ، وكانت جيوش أبي بكر التي أعدّها لهؤلاء كالآتي :

(١) صالح بن حامد العلوى : تاريخ حضرموت ج ١ ص ١٤٧ و ١٥٧ ٠

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ص ١٨٨١ وما بعدها ٠ وانظر كتاب أشهر مشاهير الإسلام لرفيق العظم ج ١ ص ١٠٩ وما بعدها ٠

— ٢٥ —

خالد بن الوليد الى طليحة بن خويلد ومالك بن نويرة ومسيلمة
 عكرمة بن أبي جهل الى مسیلمة حتى جاء خالد بن الوليد
 المهاجر بن أبي أمية الى الأسود العنسي بصنعاء
 حذيفة بن محصن الى أهل عمان
 عرفجة بن هرثمة الى أهل مهراة
 سويف بن مقرن الى تهامة اليمن
 طريف بن حاجز الى بنى سليم وهو ازن
 عمرو بن العاص الى قضاعة
 العلاء بن الحضرمي الى البحرين
 خالد بن سعيد الى مشارف الشام

وكانت جولة خالد بن الوليد أعظم هذه الجولات فقد اتجه إلى قبيلة بنى أسد التي كانت تنزل في « عين براخة » بالقرب من مكة ^(١) وقد حاربهم خالد وانتصر عليهم ، وأسر طليحة ، وأرسله إلى المدينة ، ولكنه أعلن توبته وعاد بصدق إلى الإسلام ، وانتقل خالد بأمر أبي بكر إلى بنى حنظلة (من أهم بطونها تميم) وكانت هذه القبائل تقيم في المنطقة الممتدة بين المدينة والخليج العربي ، حيث كان مالك بن نويرة قد توقف عن دفع الزكاة ، وقد هرّم خالد العشائر التي قاومته ، وقتل مالك بن نويرة وتزوج امرأته ، وقد دار نقاش طويل حول خالد مرتبطاً بهذه الزيجة ، ولكننا نميل إلى الاعتقاد بأن خالد تزوج هذه المرأة بعد أن فصلت الردة بينها وبين زوجها مالك ، وكان مالك متهمًا بالردة مع قطع الزكاة ، أو كان قطع الزكاة وعدم الاعتقاد بوجوبها نوعاً من الردة ^(٢) .

وسار خالد بعد ذلك إلى أرض اليمامة ، وهي قريبة من البحرين ^(٣) وتسكنها قبائل كثيرة أهمها بنو حنيفة التي كانت مشهورة بكثرة العدد

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٣ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ١٦٠ .

(٢) انظر الأحكام السلطانية للماوردي ص ٤٧ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ٩١٥ .

- ٢٦ -



مناطق القبائل التي اتجهت لها جيوش أبي بكر

— ٢٧ —

وشدة البأس ، وكان مسيلمة كاهناً ادعى النبوة ، وقد بدأ ادعاؤه قبل وفاة الرسول ، وكتب للرسول أن يعترف بالمشاركة بينهما ، وقد استطاع مسيلمة قبل أن يصل له خالد أن يهزم جيش عكرمة بن أبي جهل ولكن خالداً أنزل به عدة هزائم وقضى عليه في « حديقة الموت » حيث سقط آلاف من بني حنفية ، وعدد كبير من المسلمين ، منهم مجموعة من حفظة القرآن الكريم ، وسمى هذا اليوم « يوم القيامة »^(١) وقد زرت الشريعة موطن مسيلمة وأهلهما يقولون أن الله ظهر بلادهم بظهور محمد بن عبد الوهاب بها بعد أن دنسها مسيلمة ورفاقه *

واتجه خالد بعد ذلك إلى البحرين ليعساعد عاملها « العلاء بن الحضرمي »^(٢) في صراعه ضد المرتدين الذين كان يقودهم رجل اسمه « الحطم » ، وكان كثير من سكان البحرين من عناصر فارسية أو من اليهود والنصارى ^(٣) وقد هزّم خالد هؤلاء المرتدين وقتل « الحطم » *

وهكذا جالت الجيوش الإسلامية جولة في الجزيرة العربية أعادت خلالها الشائر إلى الإسلام ، والضال إلى المهدى ، وعادت الجيوش إلى المدينة ، وقد عادت للجزيرة العربية وحدتها وتمسكها بالدين الحنيف بعد أن زالت الشبهات والترهات بالحكمة عند من عرف الحكمة أو بالسيف عند من دفعته العصبية الضالة إلى السييف ، ولم تعرف الحكمة إلى نفسه سبيلاً *

ثم قسم أبو بكر الجزيرة ولايات ، وعين على هذه الولايات عماله كالتالي :

عاتب بن أبيد	عاملًا على مكة
عثمان بن العاص	« الطائف
المهاجر بن أمية	« صنعاء

(١) الميداني : معجم الأمثال ج ٢ ص ٢٧١ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٧٤ .

» حضرموت	زياد بن لبيد
» خولان	يعلى بن أمية
» زبيدة	أبو موسى الأشعري
» نجران	جرير البجلي
» جرش	عبد الله بن ثور
» البحرين	العلاء بن الحضرمي

وفي أواخر عهد أبي بكر بدأ المราช عشاد قوى الشمالي ، ضد الفرس والروم ، وزحف الإسلام بحضارته وفكرة فلم تستطع دولتنا الشمال أن تنتصرا في وجهه ، فقد كان كثير من العراقيين والسوريين والفرس يحسون أن الإسلام دين الجميع ، وأن الانضمام إليه ليس هزيمة وإنما هو فرار من العسف والظلم والانحراف إلى حضارة الإسلام وروح الإسلام التي سمعوا بها ، وترقبوا يوم الخلاص مما يعانون ليعتقدوها ، ومن هنا كان جنود الفرس والروم يغيرون من جيوبهم وينضمون للمسلمين ، حتى اضطر قادة الفرس والروم أن يقيدوا الجنود بالسلسل حتى لا يفروا ، وقد عرفت هذه المعارك بمعارك ذات السلاسل ، وقد تحدثنا عنها في الجزء الأول من هذه الموسوعة .

وعلى هذا فالتوسيع الإسلامي ليس كما تعود المؤرخون أن يصفوه بالفتح والغزو والانتصارات ، وإنما هو في الحق صراع بين حضارة نصببت وانهارت ، وحضارة انبثقت وعلا شأنها وهي دعوة من الله لكل الناس ، يُشكّرُ منهم من قدمها وذاد عنها ، ويُشكّرُ من استقبلها فأحسن استقبالها .

وكلمةأخيرة عن الجزيرة العربية قبل أن نترك عهد الخلفاء الراشدين هي أن منها كان يحكم العالم الإسلامي في أكثر سنوات هذه الفترة ، فقد كانت المدينة المنورة هي عاصمة الدولة الإسلامية خلال عهد الرسول ، وعهد الخلفاء الثلاثة بعده ، ومطلع عهد الإمام علي كرم الله وجهه ، حتى انتقل منها إلى الكوفة سنة ٣٦ هـ .

الجزيرة العربية في العصر الأموي

في كلمة موجزة نقرر أن الجزيرة في عهد الرسول والخلفاء الراشدين
نعمت بشئين مهمين هما :

- ١ — كانت بها عاصمة الدولة الإسلامية كلها •
- ٢ — أبناؤها هم حملة الدعوة والمدافعون عنها •

وقد أكسبها هذا الوضع امتيازات أدبية ومادية بعيدة المدى ، وفي العهد الأموي فقدت الجزيرة العربية الصفة الأولى فلم تعد عاصمة الدولة الإسلامية إذ أصبحت دمشق هي العاصمة ، ولكن الصفة الثانية بقيت لها ، فان الأمويين كانوا يكرمون العرب ، ويعتمدون عليهم في كل شئونهم ، فلما جاء العصر العباسي فقدت الجزيرة الصفة الثانية كما فقدت الأولى ، إذ قوى نفوذ الفرس والترك في بغداد ، وانتهى الأمر بأن أسقط المعتصمُ العربَ من دواوين العطاء ، فقل " شأن الجزيرة واستسلمت للمهجول " •

تلك فكرة موجزة تحتاج إلى بعض التفاصيل والإيضاح :

ففي العهد الأموي انتقلت العاصمة — كما قلنا — إلى دمشق ، وقررت الجزيرة العربية ، التي يمكن أن نقسمها في هذا العصر为三类：一类是
الملاحم ، القسم الأول الحجاز ، والقسم الثاني يشمل باقي الجزيرة العربية ، ولنرجح الكلام عن الحجاز لنبدأ الحديث عن باقي الجزيرة ، فنقرر أن انتقال الخلافة إلى دمشق أبعد السلطة التي كانت تُرْغِم القبائل على الخضوع والتبعية ، وكانت أغلب بقاع الجزيرة تموّج بالقبائل التي كانت بطبيعتها تكره الخضوع لسلطات مركزية ، وتسرى ذلك تدحلاً في حريتها وسيادتها ، ومن أجل هذا استعادت القبائل تقريرها حياتها الأولى التي كانت عليها قبل الإسلام ، فأصبح لكل قبيلة شأنها ورياستها واستقلالها ، وفي بعض المناطق قامت حركات استقلالية بقيادة بعض الأمراء الطموحين الذين كانت الخلافة غيرتهم ، ولكن الحياة القبلية كانت تهدد هؤلاء أيضاً ، ومن أجل هذا اشتد التناحر في أرجاء الجزيرة العربية

— ٣٠ —

بين أمير وأمير ، وبين قبيلة وقبيلة ، كما كانت الحال قبل الاسلام ، ولعل الأمويين أرضاهم ذلك حتى تتشغل هذه القبائل بهذا الصراع ، فيكون في ذلك السالمة للخلافة التي كانت ثورات الجزيرة العربية أخطر ما تخافه ، وأصبح تاريخ أغلب المناطق بالجزيرة العربية هو تاريخ الحياة القبلية أو قل ان الجزيرة أصبحت بدون تاريخ ..

وكان الأمويون يحاولون أحياناً يمدوا نفوذهم إلى بعض المناطق الحساسة بالجزيرة العربية ، فيضمون نجد إلى ولاية العراق أو البحرين ، ويضمون عسير إلى الحجاز أو إلى اليمين ، ويضمون البحرين إلى البصرة ، ولكن الوالي هنا أو هناك لم يستطع غالباً أن تكون له سيطرة فعلية ثابتة على القبائل .

أما القسم الثاني وهو الحجاز ، فقد أدرك الأمويون أن الخطر يتهددهم منه أكثر من غيره ، ففيه الطامعون الذين لم يخضعوا لمعاوية إلا كارهين ، والذين وقفوا موقفاً صلباً ضد ابنه يزيد ، ضد الحاجج عامل عبد الملك بن مروان ، ثم ان بالحجاج توجد الأماكن المقدسة حيث ينساب الحجيج كل عام لأداء فريضة الحج ، وحيث يتدفق الناس للعمرمة ولزيارة مثوى سيدنا رسول الله بالمدينة ، ومن أجل هذا لم يكن في وسع الأمويين أن يتغاضوا عن الحجاز كما تغاضوا عن الأماكن الأخرى بالجزيرة ، بل وجّهوا له عناية كبرى لمنع الحركات فيه من جانب ولتسهيل شؤون الحج من جانب آخر ولهذا عينوا لحكمه مجموعة من الأئمذاد وخير الرجال من بنى أمية ، مثل عتبة بن أبي سفيان ، ومروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص وابنه عمرو ، وخالد بن العاص ، وعمر بن عبد العزيز ، وقد تولى بعض هؤلاء مكة ، وتولى بعضهم المدينة ، وجمعت بعضهم الحجاز كله .

ويمكنا على كل حال أن نقرر أن التفكك شمل الجزيرة العربية ، وأن المدينة الإسلامية أدارت للجزيرة ظهرها ، وأن كبار الرجال بها من

قادة وعلماء استقروا حيث طاب لهم المقام في الشام أو العراق أو مصر ، وفيما عدا الحجاز استسلمت هذه المنطقة بوجه عام إلى الظلام والقبيلية والجهولة *

ومن أوضح ما يدللنا على مدى التفكك الذي انتاب الجزيرة العربية ابتداء من العهد الأموي أن ابن الزبير وأعوانه بمكة لم يهبو لمساعدة المدينة عندما كان مسلم بن عقبة المرى يدكثها ويبيحها لرجاله ، وبالتالي لم تتقدم المدينة لمساعدة مكة عندما دمرها الحجاج ورمى الكعبة بالمنجنيق ، ومعنى هذا أن التفكك شمل سكان المدينتين المقدستين مع ما شمل من مناطق الجزيرة *

على أن ثورة المدينة من جهة ، وثورة ابن الزبير بمكة من جهة أخرى جعلت الدولة الأموية تقف موقف الحذر من الحجاز ، وتقلل من استخدام أبنائه ، فانصرف الجيل الجديد إلى الفن والشعر ، وتخلى عن عالم السياسة والمطموح ^(١) *

وي ينبغي أن يكون واضحاً أن عناية الأمويين بالأماكن المقدسة لم تقلِّ بسبب سخط الأمويين على أهل الحجاز ، فقد أمر عبد الملك بن مروان قائدِه الحجاج بأن يبني الكعبة عقب نهاية المراجع بينه وبين ابن الزبير ^(٢) ، وعمّر عبد الملك المسجد الحرام عمارة حسنة ، فرفع جدرانه وسقفه وجعل في رعوس الأساطين خمسين مثقالاً من الذهب في رأس كل أسطوانة ^(٣) وفي عصر الوليد بنى عمر بن عبد العزيز المسجد النبوي سنة ٨٨ هـ ووسعه بأن أدخل فيه بيوت زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام إلا بيت عائشة حيث مثوى الرسول وصاحبيه ^(٤) وأمر الوليد عمر بن

(١) انظر الجزء الثاني من هذه الموسوعة ص ٦٩ - ٧١ *

(٢) الأزرقى : أخبار مكة ص ١٤٦ *

(٣) المرجع السابق ص ٣٩ *

(٤) الطبرى ج ٨ ص ٦٥ *

— ٣٢ —

عبد العزيز أن يبني المفواردة التي يشرب منها أهل المدينة ، كما أمره بتسهيل المسيل ما بين الحرمين وتمهيد الثناء الواقعة بها ^(١) وبالنسبة للمسجد الحرام فقد زاد الوليد في زخرفته ، ونقل له أساطين الرخام ، وهناك اصلاحات علمية و عمرانية كثيرة عرفها الحجاز في العهد الأموي .

وفي أواخر العهد الأموي قامت محاولة ضد الأمويين ترمي إلى الاستيلاء على الحجاز ، وقد قام بهذه المحاولة عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي ، الذي استولى سنة ١٢٩ هـ على حضرة موت ثم أنفذ المختار ابن عوف الأزدي أحد قواده ، فاحتل مكة والمدينة ولكن جيوش مروان ابن محمد سرعان ما قضت على هذه المحاولة .

ومعنى هذا أن التفكك الذي شمل الجزيرة أو أكثرها كان على وشك أن يبتلع الحجاز ، لو لا ما للحجاز من أهمية دينية جعلت كل الخلفاء في مختلف العهود يهتمون به ، ويحرصون على الحفاظ عليه .

وهناك نقطة خطيرة هي أن بعض خلفاء الأمويين كان لا يعلم عن موطن آبائه وأجداده إلا ما يسمعه من الناس ، فقد أصبحت دمشق وطنهم ، ومقر أمجادهم ، أما مكة حيث أمجاد أبي سفيان ومنشأ معاوية ، فقد أصبحت للأمويين ولغيرهم من المسلمين ، مدينة مقدسة فقط ، يحج لها بعضهم ، وينشغل آخرون حتى عن أداء فريضة الحج أو العمرة لها .

الجزيرة العربية في العصر العباسي

قلنا من قبل إن الجزيرة العربية فقدت في العهد العباسي عاملى الرخاء وهاي العاصمة والقيادة ، وهذا القول يحتاج إلى مزيد من التفصيل ، فالعاصمة العباسية (بغداد) زادت بعدها عن الجزيرة العربية ، فقد كانت دمشق قريبة الصلة بالخط التجارى في رحلتى الشتاء والصيف ،

(١) الطبرى ٨ : ٦٦ والازرقى : أخبار مكة ص ٣٠٩ .

ولكن بغداد لم تكن كذلك ، ثم أن دمشق كان وجهها عربياً ، ولكن عاصمة العباسيين لم تكن كذلك على الرغم من حزم بعض الخلفاء ، ففي العصر الأول كانت فارسية الوجه ، فأبو مسلم الفراساني ، وأبو سلمة الخال ، والبرامكة ، وبنو سهل .. كان لهم النفوذ الكبير ، وبعد العصر الأول زاد وجه العاصمة العباسية بعدها عن العربية ..

ويرى بعض الباحثين أن المصراع بين الأئميين والأئمدون كان صراعاً بين العرب والمفرس ، وقد انتصر فيه المؤمنون بجيشه الذي زحف به من خراسان بقيادة طاهر بن الحسين ، ولا شك أن المؤمنون حاول عقب انتصاره أن يبعد للعرب بعض النفوذ ولكن الزمن كان أقوى منه ، وجاء المعتصم فقضى على هذه المحاولة عندما أسقط العرب من قوائم العطاء ..

ويجدر أن نبرز هنا ما سبق أن ذكرناه من أن العرب الذين كانوا يقودون الجيوش ، ويتولون المناصب ، وينشرون الإسلام في مختلف البقاع لم يعودوا الجزيرة العربية ، بل استوطنو البلاد التي نزلوا بها ، وأقاموا بها أسراراً جديدة ، فتوقف تدفق المال على الجزيرة ، وأصبحت كبييت رحل أهله عنه ، فعادت القهقرى في الفكر والسياسة ، وبالتالي عادت الحياة القبلية تستشرى فيها من جديد ، وتم ذلك مع نهاية العصر العباسي الأول ..

ومع هذا فقد حظيت منطقة الحجاز بعناية الخلفاء العباسيين كما حظيت من قبل بعناية الخلفاء الأئميين بسبب الأمكانية المقدسة ، وحراماً على سلامة الحجاج المؤمنين إلى الحجاز ..

وقد حاول بعض الخلفاء العباسيين أن يستعيدوا النفوذ في أكثر مناطق الجزيرة العربية ، ولو على الأقل من الناحية الاسمية ، فكان أمير الحجاز يُعدّ أميراً على أكثر مناطق الجزيرة ، فأبو العباس السفاح ولد "سنة ١٣٣ هـ خاله زياد بن عبيد الله الحارثي على الحجاز ، وجعل الطائف (م ٣ - التاريخ ج ٧)

وليامامة تابعتين له ^(١) وداود بن على كان واليا على الحجاز في عهد المنصور وكانت اليامامة تابعة له ^(٢) .

ولكن نفوذ هؤلاء الولاة خارج الحجاز كان محدوداً للغاية ، وبخاصة ما دامت لم توجد بذلك المناطق ثورات تهدد الخلافة .

ومن الأعمال التي تنسب للعباسيين أن أبا العباس المسفاح أنشأ القلاع على طريق الحج لحراسة الحجاج من هجمات البدو ، كما أنشأ بيوت الضيافة في محطات الاستراحة ، وينسب لأبي جعفر المنصور أنه زاد في الحرم المكي زيادة كبيرة سنة ١٣٩ هـ ، وكان من اصلاحات المهدى أن أخذ عدداً كبيراً من أولاد الأنصار وأقطعهم الأراضي الواسعة بالعراق ، وأكثر بناء الخانات على دروب الحج ، ووسع في بناء المسجد الحرام ، وأدخل فيه دوراً عديدة من جهة المسمى ، وينسب لزوجته الخيزران ، أنها – عندما حبت – ابتعت بعض الأماكن التاريخية ، وأنشأت فيها مساجد ، ومنها المكان الذي ولد فيه سيدنا رسول الله ، ومنها دار الأرقام ابن أبي الأرقام ، أما السيدة زبيدة فمن منشآتها « عين زبيدة » بمكة التي أجرت إليها الماء من وادي النعمان على بعد عشرة كيلو مترات من مكة ، كما أنها مهّدت طريق الحج من العراق إلى الحجاز عبر الصحراء ، وبنت عليه المرافق والمنازل ، وحفرت الآبار ، وما زال يعرف باسم « درب زبيدة » ^(٣) .

ولكن كان هناك عامل مهم يبعد بين العباسيين وبين الحجاز ، فمنذ مطلع الدولة العباسية ظهر الحجاز مناوئاً للدولة الجديدة ، وقامت به مجموعة من الثورات العلوية ذكرناها في الجزء الثالث من هذه الموسوعة ^(٤) ، وفي قمتها ثورة النفس الزكية ، والحسن بن علي بن الحسن بالمدينة ، ومحمد الديياج بمكة ، كما أنه خرج من الحجاز مناوئون

(١) الطبرى ج ٩ ص ١٤٧ .

(٢) تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ٨٨ .

(٣) أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ج ٣ ص ٢ .

(٤) انظرها في ص ٢٩٦ وما بعدها .

آخرون زعزعوا أركان الدولة في أرجاء أخرى من العالم الإسلامي ، فمن الحجاز خرج إبراهيم بن عبد الله الذي سار إلى المديلم بعد موقعة (فتح) وكذلك هناك حركة رأها الرشيد خطراً عليه ، وبذل جهداً كبيراً ليتحاشاها ، ومن الحجاز كذلك خرج إدريس بن عبد الله الذي أخذ طريقه إلى المغرب ، وكذلك دولة الأدارسة وهي أول دولة تنقسّ على العباسين من العالم الذي كان يدين لهم بالولاء .

ولم تقتصر ثورات الحجاز على الثورات السياسية ، بل امتدت الثورات في الحجاز إلى مدى آخر ، فقد هب بنو سليم وأشجع بالمدين ، في ثورة سلب ونهب وتدمير ، وامتد آذاهم إلى كثير من الناس ، وقطعوا الطرق ، وتغلبوا على جند الوالي ، وكان ذلك في عهد الواثق ، فأرسل لهم الخليفة جيشاً بقيادة بغـا الكـبـير فأوقع بهم وأخذ عدـا كـبـيراً من الأسرى ^(١) .

والذي ينظر في تلاحم ثورات الحجاز على العباسين يدرك أن الحجاز كان مصدر خطر على الدولة العباسية مما جعل هذه الدولة لا تعنى بالحجاز إلا بالقدر الذي يرتبط بالأمكانة المقدسة ، وسلامة الحجاج ، والتغلب على صور التمرد ، وفيما عدا ذلك انضم الحجاز للأمكانة الأخرى بالجزيرة العربية من حيث الفراغ والنسيان والعودة للمجهول والحياة القبلية .

بقى من الجزيرة العربية أن نتكلم كـمـة عن عمان وعن اليمن ، وهذا القطران قامت بهما في عصور التاريخ الإسلامي دول وممالك ، ولكن الحياة القبلية كانت نشطة بهما نشاطاً لم يتوقف ، ومنافسات الأمراء وحركات التفكك لم تتقطع كما سنرى عند عرض تاريخهما بالتفصيل فيما بعد .

(١) الطبرى : تاريخ الامم والملوك حوادث سنة ٢٢٠ .

التفكير الفكري في الجزيرة العربية

وصفنا من قبل التفكك السياسي الذي أصاب الجزيرة العربية ولكن هذه الجزيرة أصبحت بانهيار آخر هو التفكك الفكري فقد اجتمعت بالجزيرة بقايا المذاهب المختلفة ، وتعمق التعصب فاتضحت صورته في التعصب المذهبي الذي يصفه المقدسي^(١) بقوله : « ومذاهبهم بمكة وتهامة وصفعاء سنكة ، وسواط صنعاء ونواحيها مع سواد عمان شرارة غالبية ، وبقية الحجاز وأهل الرأي بعمان وهجر وصعدة شيعة ، وجمahir عمان وصعدة وأهل السهروات وسواحل الحرمين معتزلة ، والمغالب على أهل صنعاء اتجاهات أبي حنيفة ، وبالمعافر مذهب أبي المنذر ، وفي نواحي نجد اليمين مذهب سفيان ، والأذان بتهامة ومكة يرجئ على مذهب مالك ، ويكبر في العيددين على قول ابن مسعود ، والعمل بهجر على مذهب القرامطة » .

وفي الجزيرة العربية وبخاصة في منطقة الخليج العربي ظهرت حركات مدمرة ، وانحرافات متعددة ، ستكون موضع اهتمامنا عندما نصل في دراستنا إلى هذه المنطقة ، ولا شك أن القرامطة كانوا من أبرز هذه الحركات ، وقد بعث القرامطة الذعر ، ونشروا الخوف في الجزيرة العربية مدة قرن من الزمان ، فكانوا بانحرافهم الفكري مثلاً وأضحا لـ أ أصحاب الجزيرة من تدهور وانحلال .

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٩٦ .

اتجاهات مصر الاستقلالية

وصلاتها بالجزيرة العربية

لصر تاریخها الطویل العریض قبل الإسلام ، فعلى ضفاف النيل نبتت أقدم وأعظم حضارة عرفتها البشرية ^(١) ، وشعب مصر ورث هذه الحضارة الرائعة جيلا عن جيل ، وجو مصر جو ممتاز طيلة العام . وهواء مصر عبق ، ونيلها ساحر ، ورحاها غامر ، وآمالها عراض ، وقد فتحت مصر ذراعيها للإسلام ورحبت بفكرة وحضارته ، وحذق المسان المصري لغة القرآن وبلاحة القرآن ، وتكونت بمصر مدرسة إسلامية عظيمة الشأن منذ العهد الأول ، وكان من دعائهما وافدون من الجزيرة العربية جنبا إلى جنب مع الذين نبتو على أرض مصر ، وسرعان ما أصبحت المدرسة الإسلامية بمصر من أعظم المدارس التي تخدم الإسلام والفكر الإسلامي ^(٢) ، فلما ضفت الجزيرة العربية سياسياً وفكرياً ، وسقطت الدولة الأموية ، واصطربت بعاصمة العباسيين قوى البعثى ، تطلعت مصر إلى مكان الصدارة ، وفي العهد الطولوني تحقق لصر استقلال يكاد يكون تاما ، ومن مظاهر هذا الاستقلال نمو الثروة المصرية في عهده نموا كبيرا بسبب الاصلاحات الشاملة التي قام بها ^(٣) ، وتكونين جيش ضخم يحمي البلاد ويحقق الأهداف العسكرية ^(٤) ثم صراعه ضد الموقف أخى الخليفة والمسيطر على دار الخلافة ، وهذا الوxygen يجعل مصر على قدم المساواة مع بغداد وينفي التبعية التي كانت موجودة من قبل ، وطبع ابن طولون في أن يجذب لصر الخليفة المعتمد المغلوب على أمره ، وكتب له يقول : وقد جمعت عندي مائة ألف عنان ، وأرى لسيدي

(١) انظر حديثنا عن هذه الحضارة في كتاب « الفكر الإسلامي » أحد أجزاء موسوعة الحضارة الإسلامية للمؤلف .

(٢) اقرأ عن هذه المدرسة في الجزء الخامس من موسوعة التاريخ الإسلامي للمؤلف .

(٣) ابن خلكان : وفيات ج ١ ص ٦٨ .

(٤) المقرizi : الخطط ج ١ ص ٩٤ .

أمير المؤمنين الانجداب إلى مصر ، فان أمره يرجع بعد الامتحان إلى
نهاية العز ، ولا يتهم الأخيه فيه شيء مما يخافه^(١) .

ووصل الاتجاه الاستقلالي في ذلك العهد إلى أن ابن طولون عزل
«الموفق» وأن كان هذا العزل بطبيعة الحال لم يتم .

وبعد أن كانت مصر تابعة للمدينة أو دمشق أو بغداد أصبحت مصر
ذات سلطان واسع ، فيه استقلال لها ، وفيه امتداد إلى الخارج ، فقد
اتسعت دولة ابن طولون من العراق شرقاً إلى برقة غرباً ، ومن آسيا
الصغرى إلى بلاد النوبة ، كما أسمهم ابن طولون في الدفاع عن التغور
الشمالية المواجهة للروم ، حتى خشي إمبراطور الروم بأسمه ، وترضاه
بأن أطلق بعض أسرى المسلمين الذين كانوا عنده^(٢) .

ولما كان الحجاز قبلة^{*} للعالم الإسلامي ، ومطعم الحكم الأفذاذ فقد
كان من الطبيعي أن تحاول مصر أن تمد نفوذها إلى الحجاز ، وقد حاول
أحمد ابن طولون ذلك ، ونازل قوات الموفق في مكة^(٣) .

وقامت الدولة الأخشيدية بعد ذلك بمصر ، واتجهت نفس الاتجاه
الاستقلالي الذي بدأ في العهد الطولوني ، وكما حارب ابن طولون الموفق
فقد حارب الأخشيد ابن رائق أمير الأمراء الذي كان مسيطراً على الخلافة
العباسية في عهده^(٤) ، وكما دعا ابن طولون الخليفة المعتمد ليحلق به مصر ،
وليتخذ منها عاصمة للخلافة ، فقد دعا الأخشيد الخليفة العباس
(الراضي) ليجيء إلى مصر حتى يتخلص الخليفة من نفوذ أمير الأمراء
وكما اتسع سلطان مصر في عهد ابن طولون ، فان سلطان مصر في عهد
الأخشيد كان أكثر اتساعاً ، فقد شمل مصر واليمن والشام ، وقد ذكرنا

(١) البلوى : سيرة ابن طولون ص ٢٨١ ، ابن الأثير ج ٢ ص ١٣١ .

(٢) دكتور حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ٣ ص ١٢٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٧ ص ١٣٢ .

(٤) المرجع السابق : ج ٨ ص ١١٢ .

من قبل أن ابن طولون تطلع للسيطرة على الحجاز لكانه الحجاز في العالم الإسلامي ، وأنه نازل جند الموفق في مكة ولكن الاختياد كان أكثر توفيقا من ابن طولون في هذا الاتجاه ، فقد امتد نفوذه إلى الحجاز كله (١) .

ولابد في الحديث عن الاختياديين أن نرجع إلى الوراء قليلا ، لنذكر أن الخلافة الفاطمية قامت بتونس سنة ٢٩٧ هـ وهي خلافة لا تعترف بالخلافة العباسية ، وتقف منها موقف المنافسة وتحاول أن تقضى عليها ، وبينما كانت الخلافة الفاطمية قوية في مطلع حياتها وقمة قوتها ، كانت الخلافة العباسية تتربع تحت ضغط القوى التي استولت على السلطة في بغداد متماثلة أولا في الأتراك ثم البيهقيين .

ومن الطبيعي أن يكون الحجاز محل صراع بين العباسيين والفاتميين ، فللجزء مكانه المقدّس عند هؤلاء وأولئك وسيكون لن يستولى عليه مكان أرفع لدى كافة المسلمين ، وقد أدرك العباسيون إلا قبل لهم بالصراع ضد الفاطميين الذين كانوا يندفعون بقوة تجاه مصر وتجاه الحجاز ، وبخاصة أن مصر كانت في حالة اضطراب بعد نهاية الطولانيين ، كما كانت الحجاز تمر بفترة سيئة اثر تدخل القرامطة وانتزاع الحجر الأسود من مكانه .

في ضوء هذه الظروف لم يجد الخليفة الراضي بدا من اللجوء إلى قائد عرف عنه الحزم والحكمة هو محمد بن طفع الاختيادي الذي كان واليا على دمشق ، وكانت مصر تابعة له بصفة مؤقتة ، فجعل الراضي ولاية مصر لحمد بن طفع الاختيادي ولاية أصلية ، وأمره بالانتقال إليها ، ليعيده إليها حياة الاستقرار ، فجاء ابن طفع إلى مصر سنة ٣٣٣ هـ ثم ضمت الحجاز لدولة الاختياديين وظلت الحجاز مرتبطة بمصر عدة قرون بعد ذلك خلال العهد الفاطمي والأيوبي وخلال عهد الماليك حتى

(١) الكندي : تاريخ مصر وولاتها ص ٢٨٨ - ٢٩١ .

(٢) انظر الجزء الخامس من هذه الموسوعة .

الفتح العثماني (أى من سنة ٩٤٥ إلى سنة ١٥١٧) ما عدا فترات قصيرة جداً، وكان حكام مصر يولون الولاة على الحجاز ليذون لهم الحكم والسياسة، ويفسدون على تولية الأشراف الذين سنتكلم عنهم فيما بعد، والذين كانوا يباشرون الأمور الدينية، وفي بعض الأحوال كان الشريف يختار ليتولى شئون الحكم والسياسة مع عمله الدينى تابعاً لحكام مصر، وكانت مكانة الشريف تعلو أو تهبط حسب كفاءته من جانب، وانتهاز الفرصة ضعف أو اضطراب بمصر من جانب آخر.

وقد حاول بعض ولاة الحجاز من قبل مصر أن يمدو نفوذهم إلى مناطق أخرى بالجزيرة العربية ، ولكن هذه الفترات كانت قصيرة العمر ، وكانت الحياة القبلية تنشط من جديد فتستعيد السلطة من هؤلاء الولاة .

وعلى هذا ليس صحيحًا ما تذكره بعض المراجع^(١) من أن ارتباط الحجاز بمصر بدا بعد وفاة كافور الاخشيدى عندما رحل عن المدينة المنورة محمد بن جعفر الحسينى ، ودخل مكة ودعا للفاطميين ، لأن ارتباط الحجاز بمصر بدأ في مطلع عهد الاخشيديين ، وكان بموافقة العباسين •

وهكذا ارتبطت الحجاز بمصر حوالي ستة قرون ، ولم يقصمهما إلا تدخل العثمانيين ، واستيلاؤهم على السلطة في البلاد العربية ، وقد حاولوا أضعاف مصر لأنهم تصوروا أن الخطر ضدهم يكمن في مصر ، ولكن مصر على كل حال استطاعت في عهد العثمانيين أن تستعيد مكانتها بالحجاز من الناحية الأدبية ، وقدمت إلى الحجاز أسمى المساعدات دون أن تنتظر تعليمات من العثمانيين كما سفرى بعد قليل ، فلما تحقق لصر

(١) سعيد باوزير : معالم تاريخ الجزيرة العربية ص ١١٥ .

- ٤١ -

استقلالها عن العثمانيين ابتداء من سنة ١٨٥٥ (عهد محمد على) حاولت مصر أن تستعيد مكانتها بالحجاز كاملة كما كانت عبر القرون الماضية^(١) .

ماذا فعلت مصر للحجاز؟

في اعتقادى الذى أؤمن به بناء على الدراسات الدقيقة أن مصر قدّمت للحجاز أكثر مما قدمت لنفسها ، تطاعت إلى الأماكن المقدسة بعنایة فائقة من الناحية العمرانية والثقافية ومن ناحية الأمان داخل الحجاز أو في الطرق الموصولة إليه ، ومن ناحية كبح جماح الطامعين والتمردين ، ومن ناحية دور الإيواء والإحسان ، وقد استوى في ذلك الطولونيون والاخشيديون والفاطميون والأيوبيون والماليك ، ولست أورد تفاصيل ما فعلته مصر في الحجاز فليس ذلك بخاف على أحد .

والذى دفعنى إلى هذا الاتجاه ما لا حظته من بعض المؤلفين الذين يميلون إلى أن يبخسوا مصر حقها ، بل يميلون إلى أكثر من ذلك ، يميلون إلى إخفاء اسم مصر ، ومحاولات الكلام عنها ضمن ما أسموه « ملوك الطوائف » وهى تسمية خاطئة في مجال التاريخ ، ويوم يعمد عربي إلى إخفاء اسم مصر فإنه يحرق قبره بيده .

لماذا اتجه هؤلاء المؤلفون هذا الاتجاه؟

لقد خطر لهؤلاء المؤرخين — كما أوحى بذلك عباراتهم — أن مدح مصر يسىء إلى المملكة العربية السعودية ، وقد كثبت مؤلفاتهم مهدأة إلى ملوك هذه المملكة ، وتزرينت بصورهم وحملت أعمق الأدعية لهم ، ولكنني أعتقد أن التوفيق لم يحالف هؤلاء المؤلفين ، فملوك المملكة العربية السعودية لا يخدعهم هذا الزيف ، وهم يعرفون لصر قدرها ، وتعرف مصر لهم أقدارهم بكل العمق والتقدير ، ويوم يكتب التاريخ بهذا الاتجاه يضر كثيرا ولا ينفع أحدا ، وحسبى هذا دون أن أذكر

(١) انظر الجزء الخامس من هذه الموسوعة .

هؤلاء المؤلفين ، وإن كنت أرثى لحالهم ، وبخاصة إذا لاحظنا أن نشاط مصر بالحجاج الذي تتحدث عنه الآن حصل قبل بدء الدولة السعودية بمدى طويل ، فقد بدأ كما قلنا في القرن الهجري الرابع وظل حتى الفتح العثماني في القرن العاشر الهجري ولم تكن الإمارة السعودية قد بدأت بعد فليس مما يضر ملوك السعوديين أن ننسب لمصر ما قامت به من أعمال جليلة في الحجاز حيث القبلة التي يتوجه إليها المسلمين في صلواتهم ، وحيث الأئمة المقدسة التي يفد إليها الحجاج من كل ربوع العالم الإسلامي ، وليت ملوك العالم الإسلامي ورؤسائه يتسابقون دائمًا لخدمة هذه الأئمة المقدسة وإعلاء شأنها .

العثمانيون في الحجاز والجزيرة العربية

عندما فتح العثمانيون مصر سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) تطلعوا لاستعمال الدين ووسيلة لثبت سلطانهم فيما فتحوه من البلاد الإسلامية ، ووسيلة لتسخير توسيع جديد باسم الدين ، ولذلك عمد السلطان سليم بعد فتح مصر إلى شئين مهمين :

الأول : نقل الخليفة العباسي وأهله إلى القدسية ، لتصبح القدسية بذلك مقر الخلافة ، ويرتبط بهذا موضوع بثار دائئما ، وهو ما يشاع من أن السلطان العثماني أمر الخليفة العباسي فتنازل له عن الخلافة وهو موضوع سُنّحقة بعد قليل .

الثاني : أنه حرص بسرعة أن يمدد نفوذه إلى الحجاز ، وكان ذلك سهلاً تهينا لأن الحجاز كان تابعاً لمصر ، وسقوط مصر كان معناه استلام ما يتبعها من أقطار .

وكان بالحجاج من الأشراف رجل اسمه بربرات ، وأكثر الأشراف بعد الرعيل الأول ، لم يكن لهم — للأسف — أية مبادىء ، وكانوا مستعدين

— ٤٣ —

ليصادقوا أو يعادوا تبعاً لصالحهم لا لأفكارهم؛ ولذلك نجد الشريف بركات يسارع فيقدم مفاتيح الحرمين الشريفين إلى السلطان سليم اعتراضاً بسلطانه، ويشتبه السلطان على ذلك بأن يقره في مكانه.

ويتحقق للعثمانيين بذلك ما أرادوا، فقد كان فتح الأقطار الإسلامية بعد ذلك سهلاً بل تقدمت بعض الأقطار الإسلامية من تلقاء نفسها تطلب أن تشملها سلطة العثمانيين.

العثمانيون ولقب الخلافة :

كان السلطان سليم قد قابل الخليفة المتوكل في سوريا، وعاد به إلى استانبول بعد فتح مصر لتصبح استانبول مقر الخلافة^(١). أما ما يشاع من أن السلطان طلب من الخليفة أن يتنازل له عن لقب الخلافة فلا يقوم عليه دليل، ويرى المرحوم الأستاذ ساطع الحصري أن هذا التنازل ليس صحيحاً بدليل أن ابن إيسا وهو معاصر لهذه الفترة وقد دون في كتابه « بدائع الظہور » تفاصيلها لم يذكر شيئاً عن هذا التنازل، وكذلك لم تورد « اليوميات » التي ألفها « فريدون بك »^(٢) أي ذكر لهذا التنازل، مع أنها أوردت تفصيلات عن أشياء بسيطة جداً، ومثل هذا يقال عن كتاب « تاج التواریخ » وقد كتبه ابن شیخ الإسلام الذي رافق السلطان سليم الأول في رحلته إلى مصر.

بل تتحدث « اليوميات » المشار إليها عن تحركات المتكفل العباسى واصفة إياه بأنه الخليفة، كما يتحدث ابن إيسا عن تولية خلفاء آخرين من العباسيين^(٣).

والحق أن السلطان سليم، والسلطان سليمان من بعده لم يحتاجا إلى أن يتنازل الخليفة المتكفل لهما عن الخلافة، فأن الحكم العثماني

(١) ابن إيسا ، بدائع الظہور ج ٣ ص ١٤٧ .

(٢) انظر : البلاد العربية والدولة العثمانية للأستاذ ساطع الحصري ص ٤٢ وما بعدها .

بعد الانتصار على مصر شرع من تلقاء نفسه في مباشرة مسلطات الخلفاء دون حاجة إلى هذا التنازل .

ومع أن هذا التنازل ليس ثابتاً بصفة شكلية إلا أنه حدث بصفة واقعية ، فان الخليفة الموكّل كان قد سلم إلى السلطان العثماني شاراتٍ كانت تعتبر من شارات الخلافة كالبودرة التي كان يلبسها الخليفة في المناسبات الرسمية ، وكالذخائر النبوية ، وهي العصا والخاتم وخصلة من الشعر يقال إنها من شعر الرسول صلوات الله عليه : وقد أودعت هذه المخلفات السرای الكبير في استانبول ^(١) .

أما استعمال السلاطين العثمانيين للقب الخليفة فعملاً فتشير إليه بعض أحداث لعل أولها رسالة السلطان سليمان إلى شريف مكة التي يخبره فيها بوفاة والده السلطان سليم ، وأنه تسلم بعده سدة السلطنة ، وأصبح « مستقر الخليفة » وقد أجابه شريف مكة مهنياً إياه على تسليمه العرش ، وعلى منصب الخليفة ^(٢) وكان شريف مكة في ذلك - كالمهر بأكثر الأشراف - ملكياً أكثر من الملك كما يقولون فصرح بما لم يصرح به السلطان ، فإذا كان السلطان قد اكتفى بأن يصف نفسه بأنه « مستقر الخليفة » فان شريف مكة يثبت الخليفة بصراحة إلى السلطان .

وعلى كل حال فإن هذا اللقب لم يظهر في وثيقة رسمية إلا عندما غضف العثمانيون وراهموا يبحثون عن مصادر للقوة ، وكان لقب الخليفة والظهور بمظاهر من يمثل المسلمين من بين هذه المصادر ، ففي معاهدة كوتشك كينارجي بين الروس وبين الأتراك سنة ١٦٧٤ لقب السلطان بلقب خليفة المسلمين ^(٣) .

(١) فيليب حتى : لبنان في التاريخ ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

(٢) فريدي باي : مجموعة منشآت السلاطين ص ٥٠٢ - ٥٠٠ .
وانظر الجزء الخامس من هذه الموسوعة ص ٦٧٢ من الطبعة الثالثة .

(٣) History of the Arabs Vol. 3 p. 831.

- ٤٥ -

عودة إلى علاقة العثمانيين بالجزيرة العربية :

المهم الآن أن سلطان العثمانيين امتد إلى الحجاز ، وتطبع العثمانيون إلى المناطق الساحلية حول الجزيرة كما سُنِرَى فيما بعد ، ولم يُسْدِوا اهتماماً يذكر بقلب الجزيرة فلم يكن بها ثراء يغريهم ، أو قوة تخيفهم ، وتركوا هذه المناطق كما كانت قبلهم تعيش بها القبلية ، وتنتاج الرياسات ، ويعيش الجهل ، ولا يتوقف الصراع بين القبائل بعضها والبعض ولا يتوقف الصراع بين البدو من جانب والحضر من جانب آخر .

وقد وجه العثمانيون في هذه الفترة عناية كبيرة للحرمين وللسكان الحرمين ، فالصلوات أصبحت تصل بانتظام إلى المسكن ، والمحمل والأكسية للكعبة كانت موضع العناية ، وأرسل السلطان سليمان القانوني للحرم المكي منبراً بديع الصنع من الرخام ، لا يزال موجوداً حتى الآن كما عنى باصلاح سقف الكعبة المشرفة ، وجلب الماء للحجاج في قنوات بنائها لتأتي بالماء من عين زبيدة ، وبنى أسوار جدة .

مصر بالحجاز خلال العهد العثماني :

وأعيد بناء الكعبة في زمن السلطان مراد الرابع فاتح بغداد وكانت مصر هي التي قامت بالبناء وبتكليفه ، وكان ذلك في شهر شوال سنة ١٠٣٩ هـ ، ويروى أنه في ذلك العام نزل مطر عظيم جرف ما وجده أمامه ، ودخل بيت الله الحرام فبلغ طوق القناديل المعلقة حول المطاف ، ودخل الكعبة المشرفة بارتفاع مترين عن قفل باب الكعبة ، وقد سبب هذا سقوط الجدار الشمالي ، وتصدعت باقى الجدران وجمع المشرفون على البيت القناديل المرصعة بالأحجار الكريمة والذهب ، في بيت سادن الكعبة وأرسلوا هذا النبأ إلى مصر ، وطلبو تبليغه إلى استانبول .

وبادر إلى مصر بالعمارة قبل أن يجيء أمر من الأستانة ، وفي كتاب « أخبار مكة » للأزرقى يذكر شاهد عيان قائمة طويلة بالآلات

— ٤٦ —

وال المؤن التي وردت من مصر لهذه العمارة ، وهي كميات هائلة وثمينة للغاية ، كما يورد تفاصيل سير العمارة من يوم إلى يوم ، وبعد تمام العمارة كُتِبَ محضر إلى والي مصر به شهادة المكين بحسن عمارة البيت المعادة (١) :

وهكذا ارتبطت أكثر الحركات بداخل الجزيرة العربية ، أي بمناطق الحضر فيها ، وربما امتدت قليلاً إلى الداخل عن طريق ضم بعض المناطق الداخلية لولاة دائر الجزيرة ، ومن هنا لزم أن نولى قلب الجزيرة بعض العناية فنتوجه لدراسة تاريخ نجد ، ذلك التاريخ الذي لم يتضح بعد للباحثين ، وذلك ما سنحاوله فيما يلى :

(١) الأزرقى : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ج ١ ص ٢٤١ - ٢٥٤ .

نجد

من مطلع الإسلام حتى قيام المملكة العربية السعودية

تشغل نجد أكبر منطقة في الجزيرة العربية ، ومع هذا لم تأخذ حظها من الدراسة ، ولا مكانها في تدوين التاريخ ، حتى أصبح من الحقائق المعروفة أن « الباحث في أية ناحية من نواحي التاريخ تتعلق ببلاد نجد قبل ثلاثة قرون من الزمن تعوزه المصادر »^(١) ولم يتوجه علماء نجد إلا إلى هذه القرون الثلاثة الأخيرة . ويستوى في ذلك الشيخ حسين بن غنام والشيخ عثمان بن بشر والشيخ ابراهيم بن صالح .

وفي جولتي التاريخية باحثاً ومعلماً ومؤلفاً طالما قابلت حقباً وبلاداً يكتنف تاريخها الغموض ، ولكنني لم أعرف اليأس ، وظللت أكدرح حتى حققت نتائج مرضية ، وعندما وصلت نجداً في هذه الجولة التاريخية الطويلة هالني أن أرى الفرق الواسع بين ماضي غامض وبين حاضر ناصع ، فاستعنفت بالله ، واتجهت بكل العزم لأنقذ شعاعاً من الضوء على تاريخ هذه البلدة ، فما كان لي أن أدع نجداً بدون تاريخ ، وسائلهم المسندة لتحقق بعض ما أنتطع إليه ، ويتطلع له الناس حول تاريخ نجد التي أصبحت بمكانتها في العالم العربي الإسلامي وبثرائها تشغله المفكرين ورجال المال ، وبهذا أصبح من المضوري أن نتعرف على ماضي هذه البلاد ، فالحاضر لابد أن يكون له ماض عميق الجذور ليترتفع الحاضر عليه ويباهي به .

ويزعم بعض الناس ، أن أمريكا مثلاً لا ماضي لها ، ولا يضر ذلك بحاضرها ، ونجيب بأن الذين بنوا حاضر أمريكا هم نازحون من أوروبا بتاريخهم ونهاياتهم ، فهم في أمريكا امتداد لل الفكر الأوروبي ، وليس الحال كذلك في نجد ، فناسها في الحاضر هم أحفاد شعبها ، فلماً أن يكون

(١) مقدمة كتاب « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » للشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى .

- ٤٨ -

لهم تاريخ أو لا يكون ، وهذا يجعل من المحتم أن نتعرف على تاريخ
نجد ٠

وفي اعتقادى أنه ليس من العسير إبراز تاريخ نجد في حدود الاطار
العلمى التاريخى الذى يرسم المدى الذى يسعى له المؤرخ وهو يدرس
تاريخ القبائل أو المدن أو الدول ٠٠٠ وستنتبع تاريخ نجد في ضوء هذا
الاطار العلمى ٠

وقد كان من الوسائل التى أطمع أن تعيننى لتحقيق أملى ، صلتى
المطويلة بالتاريخ الإسلامى أستاذًا ومؤلفا ، وصلتى الدقيقة بالمراجعة التى
كتبها الباحثون والرحلة من الشرق أو الغرب من الجزيرة العربية ،
وزياراتى المتكررة لمناطق متعددة في نجد ، زيارات باحث يتعرف على
وسائل الحياة في الحاضر تلك التى تعين على فهم ما غمض في الماضي ٠

وفي هذا الضوء وبهذا الأمل أخطو طالبا العون من الله ودوم
التأييد ٠

حدود نجد وتعريف سريع بها :

حدود نجد ليس متفقا عليها تماما ، ولكنها على العموم تشتمل
الأراضى الممتدة من قرىات الملحق شماليًا إلى وادى الدواسر جنوبًا ، ومن
حدود الأحساء شرقا إلى حدود الحجاز غربا وتشتمل المناطق التالية من
الشمال إلى الجنوب ٠

قرىات الملحق - الجوف - جبل شمر - القصيم - سدير ٠ -
الوشم ٠ - العارض - الخزرج - الحرير - الأفلاق - وادى
الدواسر ٠

ويبلغ امتداد نجد من الشمال إلى الجنوب ثمانمائة ميل (٨٠٠ ميل)
ويبلغ عرضها من الشرق إلى الغرب حوالي ٢٢٠ ميلا ٠

- ٤٩ -

ومن الواضح أن المناخ يختلف في هذه المناطق حرارة وبرودة ، ولكنها على العموم قليلة الأمطار ، مما سبب الجفاف في أكثر بقاعها .

وتكثر العيون في بعض المناطق فيستقر بعض السكان حولها ، أما الأكثريّة الغالبة فيعيشون حياة البداوة ، وينتقلون من مكان إلى مكان (١) .

عشائر نجد :

والعشائر النجدية يمكن بوجه عام ترتيبها كالتالي :

شمّر :	في الشمال
عَتَيْبَةُ وَمَطَّيْرُ :	في الشمال الغربي
عَنْزَةُ وَحَرْبُ :	في الشمال الشرقي
سَبَّيْعُ :	في المغرب
آل مُرَّةُ وَبَنُو خَالِدٍ وَالْعَجَمَانُ :	في الشرق
قَهْطَانُ :	في الجنوب والجنوب الشرقي

مناطق الخصوبة في نجد :

ينبغى علينا أن نتعرف على مناطق الخصوبة والجفاف في نجد ، فإن ذلك سيسهل أمامنا الأرض التي تحاول أن ندرس تاريخها ، وبهذا لشرح العلاقات بين السكان والأرض ، ومن الخطأ أن يظن ظان أن نجد كلها بلاد صحراوية قاحلة لأن فيها مناطق شديدة الخصوبة سخية في إنتاجها المزروع ، وتعد العارض من أكثر بلدان نجد خصوبة ، وفيها يقع وادي حنيفة الذي يمتد حوالي ٦٠ ميلاً ابتداءً من الجبيهة حتى الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية ، ثم إلى ما بعد الرياض ، وهذا الوادي كثير العيون ، وتجتمع فيه الأمطار ، فيكون ما يشهده النهر عدة شهور في العام ،

(١) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين من ٥٢ - ٥٣ .

() م ٤ - التاريخ ج ٧

وقد عشت في هذا الوادي ردها من الزمن بين نخيله الباسقة وأشجاره الفينانة وزراعته الخضراء ، وهو ينبع محسولا هائلا من التمر بالإضافة إلى بعض المحاصالت الأخرى ، وقد سميت الرياض بذلك الاسم لأنها تكون فعلاً مجموعة من الرياض التي تعد منحة لهذا الوادي ، ومن أشهر بلدانعارض الجبلية سالفه الذكر ، والعبيبة مسقط رأس المصلح الدينى الشیخ محمد بن عبد الوهاب ، والدرعيّة التي ستناولها أحاديثنا فيما بعد ، وحريملة .

ومن مناطق الخصوبة في نجد منطقة القصيم ، وهى منطقة فسيحة تقع بين الوشم وعثية وجبل شمر ومزارعها كثيرة ، وحدائقها فسيحة ، ومن أشهر مدنه بريده وعثيبة ، وفي شهر يناير سنة ١٩٧٧ افتتحت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض إحدى الكليات التابعة لها في بريدة ، وحضرت حفل الافتتاح ، وأتساحت لى هذه الفرصة أن أعيش في القصيم فترة من الزمن ، وأن أرى ما بها من خصوبة ، ورياض فينانة ، ولا تزال هناك منافسات بين بريدة وعنيزة حتى العهد الحاضر ، وهي منافسات انحدرت من الحياة القبلية الصالحة ، ومع أن هذه وتلك أصبحتا ضمن المملكة العربية السعودية التي انصرف فيها المواطنون مكونين دولة واحدة ، فإن آثار الماضي لا تزال لها بقايا ، وإن كانت هذه البقايا تتوجه الآن إلى الأحسن ، فإذا كانت هناك كلية في بريدة فإن عنيزة قطع أن تكون بها كلية مماثلة وسنعيش مرة أخرى مع بريدة ، وعنزة فيما بعد .

ومن أشهر مدن القصيم بالإضافة إلى بريدة وعنيزة الرس والخبراء والعيون .

مناطق الجفاف في نجد :

تلك هي أهم مناطق الخصب والنمو من نجد ، تضاف لها بعض الواحات والمناطق الصغيرة التي يوجد بها آبار ومزارع محدودة المساحة ،

مثل قفار وتيماء والجوف ، وفيما عدا ذلك فالصحراء فسيحة الامتداد لا تقع العين على آخرها ، والصمت هائل مخيف والتربة فقيرة ، مكونة أساسا من حصبة أو رمال ، والمراعي القليلة تظهر وتختفى وفي بعض الأحيان تتعدم الآبار تقريبا كالحال في الرشيع الخالي وصحراء النفود ، وتقول الميدى آن بلنت^(١) : إن صحراء النفود ليس هناك ما يفوقها في العالم ، ولقد سمعنا عنها تقارير عجيبة ، وسمعنا عن الناس الذين فقدوا فيها ، والرحلة من بلاد الجوف عبر صحراء النفود إلى حائل تستغرق عشرة أيام على الأقل وليس هناك إلا بئران على الطريق ، الأولى في نطاق مسيرة اليوم الثاني ، والأخرى في اليوم الثامن وعلى من يقوم بهذه الرحلة أن يكون حريصا مزودا بقدر كاف من الماء والتمر ، ومعه دليل خبير وإلا أكله الطريق الذي طالما اخترق فيه عابروه ، وفي هذه الصحراء تعيش القبائل الرحل التي لا تستقر في مكان وتسير مع الدروب وخلف الآبار ، وهؤلاء هم الذين يسمون البدو ، وما يزال بعضهم يمارس نفس الحياة وإن كان الكثيرون منهم قد جذبتهم مناطق النفط ، أو تركوا الجمال ليملأوا السيارات المفارهة ، وليعملوا عليها سائقين ينقلون الناس من مكان إلى مكان داخل المدن ، أو عبر الصحراء من مكان إلى مكان .

قصيدة الطبيعة في بعض المناطق :

تتحدث الرحلة الانجليزية « آن بلنت » عن ريح شديدة قابلت ركبيهم في يوم من أيام ديسمبر ، وكانت ببرودتها تتفذ من خلال جببائهم المصنوعة من الفراء ، وكانت هذه الريح هوجاء لدرجة أنها منعتهم من الكلام ، بل كما تقول الكاتبة حرمتهم التفكير ، وفي يناير التالي كان العرد قاسيا للغاية والمصiqu شديدا ، حتى تجمد الماء في الدلاء ، وتتحدث كذلك عن العواصف الرملية التي يقال إنها تدفن القوافل أحيانا ، وقد سرح لها دليلاها ذلك قائلا : إن الرمل لا يدفن القوافل ، لأن بقایا القوافل تظہر

على سطح الرمل ، والخطر الوحيد على القوافل هو أن العاصفة تستمر كثيراً في بعض الأحيان فتندى المؤن والمياه فإذا لا تستطيع المقاومة أن تتحرك عند هبوب العاصفة ، وعندما ينفذ مأواها ومؤئلتها تتعرض للهلاك ، وقد حدث ذلك لكثير من القوافل التي كانت تعبر الصحراء ، ومن هذه القوافل بعض الجنود الأتراك الذين كانوا يتوجهون إلى دمشق عبر الصحراء ، ونفذ مأواهم ، ولما يئسوا من عدم الحصول على الماء اضطجعوا تحت بعض الأشجار الصحراوية حيث لاقوا نهايتهم المحتومة .

وبجانب البرد القارس الذي أشرنا له ، نقتبس المقابلة من رحالة آخر هو « بلجريف »، حديثاً عن لهب الصحراء الذي يصبح في بعض الأيام ناراً متاجحة ، يقول بلجريف : إن المسافر في بعض الأيام بصحراء الجزيرة العربية ، يجد نفسه كما لو كان سجيننا في حفرة رملية ضيقة محاطاً بأسوار لاهبة من كل جانب ، وأحياناً يجد نفسه كأنما يطل على بحر واسع من النار تتصاعد تحت ريح موسمية شديدة (١) .

صراع القبائل الذي لا يتوقف :

إن الذي يطالع تاريخ الحياة القبلية في نجد ، قبل قيام المملكة العربية السعودية ، يهوله ما في هذه المناطق من قتل وسلب وحرق وتدمير ، لقد كانت الحياة سلسلة متصلة من سفك الدماء ، ليس فقط بين العدو وعدوه ، ولكن بين الابن وأبيه ، والأخ وأخيه ، وبين أولاد العم ، وأولاد الآخوال ، بعضهم البعض ، وقد أورد الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى من ذلك صوراً يشيب لها الولدان ، وليسنا ندرى ماذا نقتبس منها وماذا ندع ، وكتمودج قصیر ذكر أن موسى بن ربیعة يحتال على قتل أبيه ربیعة ابن مانع المريدي ويجرحه جراحات خطيرة ، ولكن الرجل يفلت من هذه المؤامرة ، ويلجأ إلى رئيس العينية يطلب حمايته ، ثم يندفع موسى هذا برجاله من المردة والموالفة وغيرهم ويصبح بهم آل يزيد في النعيمية

(١) صفحات ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ١٤٠ ، ٩٩ على التوالي .

والموصيل ، ويقتل منهم أكثر من ثمانين رجلا ، ويستواني على منازلهم ويدمرها ، ولم يقم لهم بعد هذه الواقعة قائمة ، وهى التى يخرب بها المثل فى نجد فيقال : « صَبَحَهُمْ فَلَانْ صَبَاحَ الْمَوْالِفَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ »^(١) .

ويتحدث ابن صالح عن زحف قاسٍ قام به عريعر بن وجين استطاع به أن ينتصر على بريدة وعنيزة ، ولكنه مات بعد ذلك بشهر فتولى بعده ابنه بسطين ، ولكن أخيه سعدون ودجيان قتلاه خنقا ، ثم تولى دجين . فسقاه سعدون سما وقتلته^(٢) .

وإذا سرنا صفحة أخرى^(٣) مع هذا المؤلف وجدرناه يتحدث عن وقعة « أكيمتال » بين الخفيف والفضل بـ نجد سنة ١٠٨١ هـ ، وعن وقعة أخرى تسمى وقعة الملتئبة في نفس العام بينهما أيضا ، كما يتحدث عن اختلاف بين بنى خالد أدى إلى قتال بينهم سقط فيه كثيرون ، منهم محمد بن حسين ابن عثمان وآخرون ، وفي نفس الصفحة يورد حديثا عن مسيرة رئيسين بلاد الجلاجل ومعه آل تميم من بنى خالد ، وسطوا هؤلاء على هانع بن عثمان وصارت رياضة بلد الحصون لبني خالد .

وهكذا يروع الباحث والقارئ بالدم الذى كان يسفك ، والمنازل التى كانت تحرق وتندمر ؛ والرحم الذى كان ينتهك ، ومن الواضح أنه لم يكن هناك أمن لأحد ، ولا أمل لمن يصبح أن يسمى ولا لمن يسمى أن يصبح ، وسنرى صوراً من ذلك فيما بعد حتى بين السعوديين بعضهم والبعض في الدولة السعودية الثانية كما سنرى فيما بعد .

ولم تكن هذه الواقع أخذًا بتأثير فقط ، بل كان سفك الدماء يوشك أن يكون هدفاً لذاته ، وهوائية يحاول كل انسان إشباعها ، أو كان لائقه كسب يمكن أن يحصل عليه الإنسان ، وتحت الحديث Anne Blant عن هجوم جماعة

(١) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ٣٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٥ - ١١٦ .

(٣) ص ٦٤ .

من البدو عليها هي وزوجها بطريق مفاجيء ، وأن هؤلاء المهاجمين أصابوها هي وزوجها بضربيات من رماحهم ، وأخذوا البندقية من زوجها وكسروها على رأسه ، واستولوا على مهربيهما ، ولكن بعد قليل انتفع أن الكاتبة وزوجها في حمامة ابن شعلان وهو شخصية مهيبة الجانب لا يستطيع البدو العدوان على من يسير في حمايته ، فردو ما أخفوه وهم في أشد الغيط لضياع هذه الغنية ^(١) .

كثرة الأوبئة والقطط والغلاء :

ونتيجة لقسوة الطبيعة التي تحدثنا عنها ، ونتيجة للصراع الذي لم يكن يتوقف بين القبائل بعضها وبعضها ، عانت مناطق نجد آلوانا مريرة من الأوبئة والقطط والغلاء في كثير من الأوقات ، فالطبيعة في كثير من الأحوال كانت تدمر المزارع والمرايع ، والحروب كانت تقوم بنفس الدور وأقسى منه ، وسنعطي فيما يلي لمحات عن هذه الآلام :

في سنة ١٠٧٦ هـ حدث قحط عظيم بنجد امتد إلى الحجاز ، واستند الغلاء اشتادا هائلا ، وقل الطعام حتى هلك كثير من الناس جوعا ، وحتى أكلات الميقات والكلاب ، ويسمى هذا القحط « صلهام » وقد كانت شدته زائدة في مكة المكرمة ، حتى باع بعض الناس أولادهم طابا المقوت .

وفي سنة ١٠٩٨ هـ هبت ريح عاصفة في منطقة سدير فأسقطت من تخيل المنطقة نحو ألف نخلة .

وفي سنة ١١٣٥ وقع بنجد قحط عظيم سمي (سحرى) وامتد في السنة التالية إلى الشام والميمن ، وبأبلغ غاية قسوته حينما غارت الآبار حتى هلك الناس عطشا وجوعا وتشرد ، وقد وصفه بعض الأدباء بقحمة داكنة تمثل النامين بين مشهد وجائم وفقيد .

(١) رحلة إلى نجد ص ٣٧ - ٤٠ باختصار .

- ٥٥ -

وفي مطلع سنة ١١٣٧ هـ عدّمت الأقوات تقريباً ، ويقول الشيخ ابراهيم بن صالح^(١) انه في هذا القحط أكلت جيف الدواب ، وماتت كثير من الناس جوعاً ، وزاد البلاء عندما اشتد البرد فماتت الزروع بسبب ذلك ، ثم جاء جراد أكل غالب التمار ◦

وفي سنة ١١٣٩ هـ وقع وباء في بلدة أشبيلي توفي فيه خلق كثير ، يحدد الشيخ ابراهيم بن صالح بعضهم ، ومثله الوباء الذي حصل في بلدان سدير سنة ١١٧٥ هـ ◦

وفي سنة ١١٨١ هـ بدأ بنجد قحط شديد وغلاء هائل سمى (سوقه) وقد مات فيه خلائق كثيرة جوعاً ووباء ، وجلا فيه كثير من أهل نجد إلى البصرة والحسا ◦

وفي سنة ١٢٨٧ هـ و ١٢٨٨ وقع بنجد غلاء وقحط كان من نتيجته كما يقول الشيخ ابراهيم بن صالح^(٢) ان أكلت الميتات والجيف ، وان قتل الناس بعضهم ببعض طلباً للقوت مما خماعف الفتنة والمحنة ، وقد مات في هذا القحط كثير من الناس جوعاً ◦

تلك لحنة سريعة عن صور من الآلام عانتها نجد خلال تلك العصور تتوقف عن مثيلات لها كثيرة ، وقد كانت كلها نتيجة للطبيعة من جانب ، وللصراع المدمر من جانب آخر ◦

ظواهر الجمال في نجد :

وإذا كنا قد تحدثنا عما يوجد في نجد من رياح وعواصف وبرد قارس وحر ملتهب ، فإن من الحق علينا أن نتحدث عما في نجد من جمال وروعة ، وطالما وقفت في رحلاتي بنجد لأظل على واحدة يضيق منها

(١) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ٩٧ .

(٢) المرجع السابق ١٨١ .

الشذى ، وتمثل ابتسامة طيبة ، كأنها نابعة من فم حسناء ، وبساتين النخيل تتحدى بروعتها وبجمال قمرها ، وفي بعض فصول العام تبدو الصحراء رائعة حتى أنها طالما أوحت للشعراء بأروع القصائد ، وأجمل الأناشيد ، ويقول « ولفريد » زوج الرحالة « آن » بعد أن رأى جبل شمر « انه يموت بعد ذلك سعيدا لأنه رأى مكانا فريدا في جباله تقريبا ، وكلماته هي « ان كل مكان يمكن أن يماثله مكان آخر الا شمر فلا شيء يشبهه إلا أن يكون جبل سيناء (١) »

وبعد ، ذلك تعريف بنجد يبيّن أملاها المنطقة التي نتدارسها ، وذلك العرض السريع لها سيساعدننا على الخوض في تاريخها ، أملاً في أن تأخذ بنجد مكانها اللائق بها في ضوء التاريخ *

مفتاح تاريخ نجد

ان المskوى من غموض تاريخ نجد مصدرها — فيما أعتقد — فقدان مفتاح هذا التاريخ ، ويوم نعثر على هذا المفتاح ، ونتمسك به نرى كل شيء مكتنعاً ومرضاً للغاية ، وهذا المفتاح هو أن نعرف طبيعة المنطقة التي نتلمس تاريخها أو ندونه ، فلابد أن يكون هناك فرق واضح في التاريخ لأمريكا قبل أن يكتشفها كولومبس وبعد الكشف ، ولا بد أن يكون هناك فرق في التاريخ للأرض الألمانية وهي حافلة بالدوليات المستقلة ، والمدوقيات والامارات والمدن الهايسية التي كانت تتدبر العشرات والتي كان لكل منها تاريخ مستقل تقريباً ، وبين التاريخ للألمانيا الموحدة التي تكونت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ونمط بعد ذلك حتى أصبحت من دول القمم ، ومثل ذلك يقال عن التاريخ لقبائل متبايرة في نجد لا توجد بينها روابط ، أو توجد روابط عدائية ؛ وبين الدولة السعودية التي سرّاها فيما بعد تضم هذه الأئمة بوسائل متعددة وتقيم من هذه القبائل دولة ذات شأن *

ولا بد أن يكون هناك فرق واضح بين التاريخ لدولة وبين التاريخ لقبيلة ، ففي الدولة هناك جماعات يربط بينهم وطن وقوانين ، وهناك استقرار داخلي وألوان من الحضارة والنظم السياسية والعلاقات الخارجية ، أو قل هناك الأرض نورخ للحياة فوقها ، ولكن الحال في القبيلة يختلف ، لأن القبيلة أسرة كبيرة يربط بين أفرادها الدم ، وكثيراً ما تنزع من مكان إلى مكان ، مما يجعلنا لا نورخ الأرض تدب فوقها نظم ، بل نورخ لجماعة من البشر لا يرتبط أكثرهم بأرض أو يرتبطون بها ارتباطاً غير طويل ، وتحكمهم العادات والتقاليد وعالقاتهم بمن حولهم علاقات عدائية ، ومهما يزيد تاريخ الحياة القبلية غموضاً كثرة الحروب التي كانت تدور بينها ، وكثرة هذه الحروب تدمير أية آثار عمرانية أو حضارية قد تقيمها قبيلة من القبائل ، ومهما سبب الغموض كذلك عدم

الاهتمام بالتراث فقد اتجه علماء نجد إلى دراسة الفقه والتفسير
ولم يعنوا بتدوين المسير والتاريخ (١) .

وعلى هذا فالذى يؤرخ لنجد لا بد أن يكون في يده المفتاح التاريخي
الذى يعرف به طبيعة المنطقة التى يؤرخ لها ، وبهذا المفتاح لا نتوقع في
التاريخ لنجد قبل المملكة العربية السعودية مثل ما نتوقعه للتاريخ للدول ،
فالتأريخ لنجد قبل هذه المملكة له نهج خاص سنشرحه ونتبصره فيما يلى :

محاور تاريخ نجد :

إن حياتي مع نجد باحثا وزائرا يجعلنى أعتقد أن تاريخ نجد قبل قيام
المملكة العربية السعودية ينضوى تحت ثلاثة محاور هي :

- ١ - الحياة القبلية .
- ٢ - زحف من الداخل تقوم به قبيلة ما وتسيطر على مجموعة من
القبائل ، وكان هذا النوع قصير العمر ، ولم يكون دولة بالمعنى المعروف .
- ٣ - نفوذ أو زحف من الخارج يمتد إلى نجد من شرقى الجزيرة
أو من غربها .

وسنتدارس هذه المحاور فيما يلى :

١ - الحياة القبلية في نجد

إن الحياة القبلية هي السمة العامة للحياة في نجد قبل المملكة العربية
ال سعودية ، وهي السمة الضرورية ، والطبيعية لهذه البلاد ، والذى يريد
أن يدرس تاريخ نجد قبل السعوديين يت fremt على أنه يعيش في نجد ، فان
الصحراء الشاسعة ، والجبال الشاهقة ، والأغوار والوديان والرماد والفراغ
سترسم له معالم هذا التاريخ ، ويمكننا أن نرسم هنا بالكلمة صورة لنجد

(١) ابن بشر : عنوان المجد ص ١٤ .

قبل السعوديين لتساعد القارئ على تصوّر هذا البلاء والفقير الغالب ، وبالنّتالي تصوّر المدّى الذي يمكن أن يكون عليه تاريخها .

وقد سبق أن قلنا إن امتداد نجد من الشمال إلى الجنوب يصل إلى ٨٠٠ ميل وأن عرضها من الشرق للغرب يزيد عن ٢٢٠ ميلاً وهي بذلك بلاد فسيحة ، فإذاً أضفنا إلى ذلك أن هذه المساحة لم يكن بها طريق مرصوف ولا معبد ، وأن منابع المياه لم تكن متوافرة في الطريق ، وأن وسائل الواصلات حتى العهد السعودي كانت مرتبطة بالجمال ، وأنه لم تكن هناك إذاعة ولا مذياع ، وبالأحرى لم تكن هناك صحافة ولا كتاب ، إذاً تصورنا بذلك أدركنا أن نجد كانت أشبه بمحيط رملي هائل ، تبرز فيه بعض الجزر الصغيرة ، وهذه الجزر الصغيرة تمثل القبائل المتناثرة التي لا يربط رباط بين إحداها والقبائل الأخرى ، وأن كلًا من هذه القبائل كان أشبه بدولة مستقلة ، وتقول Lady Anne Blant : حيث توجد الآبار بقدر كاف من الماء ظهر المدن والقرى ، تحاط بالبساتين ، وهذه على أية حال كثيراً ما تكون متباعدة بحيث تبدو مجرد نقط على خريطة بلاد العرب ، وعلى هذا فكل مدينة منفصلة عن جاراتها إلى درجة كبيرة ، وتحيط بها الصحراء من كل جانب ، فهي منعزلة بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة ، ومن هذه الحقيقة تُنبِعِ الفردية السياسية التي ظلت المناية مركزة دائمًا لرعايتها ، إذ كانت كل مدينة تمثل دولة مستقلة (١) .

وقد سرت في نجد أشواطاً طويلاً في سيارة من السيارات الفارهة وعلى طرق مرصوفة ناعمة ، وظهرت لنا الصحراء خالية إلا من قرى صغيرة متباعدة تمام وسط الصحراء ، وقد كانت هذه القرى قبل السيارات والطرق والملائكة يخاف بعضها بعضاً بدليل « المراقب » التي تنتشر حول كل قرية ، أو توجد في الأماكن التي يخشى منها هجوم على القرية ، وكان يعيش في هذه المراقب حرس يتداوبون حراسة القرية لينذروا قومهم

— ٦٠ —

إذا حاولت قبيلة أخرى أن تدهم قريتهم ، وهذا يؤكد الانفصال الشديد
بين قرية وأخرى *

وإذا تركنا القرى التي تعرف نوعا من الاستقرار والاستقلال واتجهنا
إلى البدو الرحيل نجد أن هناك قبائل تتجول كل منها في منطقة معينة
بالجزيرة العربية بحثا عن الكلأ للمراعي ، وهؤلاء مبالغون للحرب وأكثر
عدها من سكان المدن ، وهم يسيطرون على كل الطرق بين مدينة
وأخرى ، مما يمكن معه أن نصفهم بأنهم كانوا عوامل انفصال لا عوامل
اتصال (١) *

ومما يؤكد الانعزالية بين القبائل أن كل قبيلة لها صفات جسمانية
يغلب ألا تختلف ، وتروى Lady Anne Blant أنها سألت « الدليل »
قبائلة : كيف يسهل على أبناء القبائل أن يحددوا نسب آخرين يقابلونهم
في الصحراء ؟ فأجاب : أن كل قبيلة لها خصائص في الملبس واللامح
معروفة جيدا للجميع ، وعلى ذلك (فشر) بصفة عامة طوال المقادمة ،
و (السبعة) قصار الا أن رماحهم طويلة ، و (حرب) سود الوجوه
كاللبيد تقريبا ٠٠٠ (٢) *

نظام الحكم في القبيلة ودستور الحياة بها :

كيف كان نظام الحكم في القبيلة ؟ وما دستور الحياة فيها ؟
في الإجابة عن هذا السؤال يمكننا أن نقول إن نظام الحكم في
القبيلة بعد الإسلام كان امتدادا لنظام الحكم فيها قبل الإسلام ، وكل ما
نظرنا إليها بالإسلام هو دخول الدين ، أما نظمها السياسية فقد تركت لها ،
فمن الواضح أن شيخ القبيلة عندما كان يهدى إلى المدينة معلنا إسلامه ،

(١) المرجع السابق ص ٢٠٨
Pilgrimage to Nejd p. 115 (٢)

- ٦١ -

كان الرسول يقره على مكانته في قبيلته ، كما ذكرنا من قبل ^(١) ومن أجل هذا نجد أبا بكر عندما عين ولاته على مناطق الجزيرة التي ذكرناها فيما سبق لم يعين أيا منهم على هذه القبائل اكتفاء برؤسائهما ٠

ونجيء لهذه القبيلة لذكر أنها كانت تكون وحدة سياسية يربط الدم والعصبية بين أفرادها ، ويعتبر من أفراد القبيلة هؤلاء المضاعف أو العبيد الذين يلجأون للقبيلة ويعيشون في جوارها وحمايتها ، ولو لم يكن بينهم وبين القبيلة صلة دم ٠

والقبيلة العربية تخضع لدستور صارم نظمته التقاليد والعرف ، وخلاصة هذا الدستور أن يحس المفرد برابطة القبيلة ، ويلتزم بتأييد مصالحهما والعمل لها بكل ما يملك من قوة ، وأفراد القبيلة جميعاً متضامنون فيما يجنيه أحدهم تضامناً حازماً ، تلقى مسؤوليته على سيد العشيرة الذي عليه أن يتحمل التبعية ، ومن أجل هذا له حق الطاعة على أفراد القبيلة ٠

وسيد القبيلة يختار من بين من تجمعت فيهم صفات الشجاعة والكرم والحلم ، أو قد يكون الامتياز في هذه الصفات يفرض صاحبه ليكون سيداً للقبيلة ، وقد يجيء لرئيس القبيلة ابن يعدله في الشرف والسؤدد وحينئذ يستطيع أن يرث مكان أبيه ، وإذا تكررت رئاسة القبيلة في بيت بيتهما عرف البيت بالمجده والجهاد ٠

ومسؤوليات سيد العشيرة أو رئيس القبيلة أكثر جداً من حقوقه فهو في السلم جoward كريم مسؤول عن إكرام الضيوف الوافدين ، وإغاثة المحتاجين من أبناء القبيلة ، وإيجارة المستجير ، وهو في الحرب يتقدم الصفوف ويساعد من لا عتاد له ، وهو يتحمل باسم القبيلة تبعية ما قد يرتكبه أي فرد من أفراد القبيلة من أخطاء ، ولكن إذا ارتكب فرد من

(١) الميدان : مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٧ ٠

أفراد القبيلة جرما ترفض القبيلة أن تتحمل نتائجه ، أو أخطأ في حق قبيلته نفسها فإنه يطرد منها ، ويسمى الطريد خليعا .

أما حقوق رئيس القبيلة فهي الطاعة المطلقة على كل أفراد القبيلة ، وليس لدى رئيس القبيلة قوة مادية يرغم بها أفراد القبيلة على الطاعة ، وإنما هي التقاليد والعرف ، وللبدوى أن يتمرس على أي قرار يتخذه رئيس القبيلة ، ولكن عليه في هذه الحال أن يدع القبيلة وأن يهجرها هجرا تماما ، وكثيرا ما لجأ البدوى إلى هذا التصرف ، فإن أهم ما يمتاز به البدو عدم الخضوع ، فالحرية عند البدوى هي خير ما يعترض به ، ولا يستطيع أن يتنازل عن أي جزء منها لقاء أي شيء ، فما نعرفه في العصر الحديث من أن كل فرد ينبغي أن يتنازل عن جزء من حريته لتحقيق الحرية للمجموع ، هذا الاتجاه كان البدوى يعتبره خدعة ، ولا يقبله ، والموت أو الهجرة عن الوطن أيسر على البدوى من فقدان حريته .

والدارس للتاريخ البدوية ونظام الحكم بها يجد أن تمرد أفراد من القبيلة على حكم رئيسها كان كثير الوقوع ، وكانت الحرية المطلقة ، والأثنانية المفرطة ، والأثرة من أهم العوامل التي تتحرك في نفوس البدو ، فلا يخضعون لحكم يصدره رئيس القبيلة ، ويؤمنون أن يخلعوا أنفسهم وبهيمون على وجوههم مع نظائهم من الخلاء^(١) .

وحدة الدين ووحدة اللغة :

ويخطر بالبال سؤال مهم في هذا المجال هو : وحدة الدين قبل الإسلام وبعده ، ووحدة اللغة ، فقبل الإسلام كانت الوثنية منتشرة في الجزيرة وإن اختلفت الأوثان والأصنام ، وبعد الإسلام انتشر الدين الإسلامي في جميع أرجاء الجزيرة العربية وان أصاب القوم انحرافاً قليلاً أو كثيراً ، كما سُنّى فيما بعد ، وكانت اللغة العربية هي المسائدة

(١) انظر الجزء الأول من هذه الموسوعة للمؤلف .

قبل الإسلام وبعده ، وربما خطر بالبال أن حياة الانعزالية التي كانت تعييشها القبائل كانت تستدعي اختلاف الدين واللغة ، كالذى يحدث في مناطق مماثلة في العالم ، فلماذا حافظت الجزيرة العربية على وحدة الدين واللغة ؟

الإجابة على هذا في تقديرى ترجع إلى الكعبة المشرفة التي كانت تند لها وفود العرب من كل مكان للحج ، فكان هناك لقاء سنوي تقارب فيه وجهات النظر من ناحية الدين ، وتكون اللغة العربية هي لسان الجميع في جميع اللقاءات ، كما كانت أسواق العرب في الجاهلية كسوق عكاظ ومجنة وذى المجاز من أهم الأسباب التي وحدت الدين واللغة .

وليس معنى هذا أنه كان هناك اتفاق تام في الدين واللغة ، فقد كان الاختلاف في عبادة الأصنام مظهراً من مظاهر الاختلاف بين القبائل العربية . إذ كان لكل قبيلة صنم تعبده ولا تبعد سواه ، فقد كانت « الملات » صنم ثقيف المفضل ، وكانت « العزى » أعظم صنم عند قريش بعد « هبل » وكان « وَدْ » صنم كلب وقضاعة و « نهم » صنم مزينة وهكذا (١) .

وبعد الإسلام أخذ الأولياء والقباب وبعض الأشجار ٠٠٠٠ مكان القدس ، وتعددت هذه المقدسات حتى قامت دعوة الإصلاح فقضيت عليها كما سنرى فيما بعد .

ومن ناحية اللغة قامت في بعض الفواحى لهجات بعدت كثيراً أو قليلاً عن اللغة الفصحى ، وقد التقيت في رحلاتي بنجد ببعض السكان في القرى والبادىء وكنت لا أعرف من كلامهم إلا النذر القليل ، وأضطر بعض الذين كانوا يراقبونني من آل الأسطل (الشیخ علی وأبو محمد عمر والسعید منیر) إلى أن يترجموا لي كلامهم إلى اللغة العربية التي أفهمها ،

(١) انظر كتاب « الأصنام » لابن الكلبى في عدة صفحات وانظر الجزء الأول من هذه الموسوعة .

- ٦٤ -

وقد طالت جلستنا مع شيخ في الغطّفط أكرومنا أيما اكرام ، ولادنى لسم
أستطيع أن أتحدث اليه بطريق مباشر .

علماء نجد ودورهم :

كانت هناك صلات بين علماء نجد تتمثل في موقفهم طلاباً أو معلمين ،
فأحدث هؤلاء نوعاً من الارتباط بين البلاد ، إذ كان يحج لهم الطالب
للأخذ عنهم ، أو كانوا ينتقلون بعلمهم من مكان إلى مكان .

وقد ازدهرت نجد بمجموعة من العلماء والفقهاء كان بعضهم يرتبط
ببلدة من بلاد نجد ، وكان آخرون ينتقلون بين البلاد فالعلم لا وطن له ،
وسنذكر فيما يلى مجموعة من مشاهير العلماء وما عرف لبعضهم من
مؤلفات :

من أشهر علماء نجد شهاب الدين أحمد بن يحيى بن عطوه التميمي
النجدي الحنبلي وقد عاش في أواخر القرن التاسع الهجري والنصف
الأول من القرن العاشر إلى أن توفي سنة ٩٤٨ هـ في بلدة الجبيلة بوادي
حنية ودفن ضجيعاً لزيد بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد أخذ ابن عطوة
العلم عن عدة مشايخ منهم الشيخ شهاب الدين أحمد العسكري الذي
كثيراً ما كان يروي عنه ، وكان له مطاراتات ومدارسات مع معاصريه من
العلماء أمثال القاضي أجود بن عثمان ، والقاضي عبد القادر بن بثريد ،
والقاضي منصور الباهلي وغيرهم ، وله مصنفات كثيرة منها التحفة البدية
والروضة الأنبياء ، وقد أخذ عنه كثير من العلماء في بلاد نجد منهم الشيخ
أحمد بن الأشيقري وغيره ^(١)

ومن علماء نجد المشاهير الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله بن بسام ،
وهو من بلدة أشيقر — وقد انتقل منها إلى « القصب » قاضياً لها سنة ١٠١٠
هجرية ، ولكنه لم يرغب في الاستمرار في القصب فطلب أهل بلد مئنهم

(١) إبراهيم بن صالح : تاريخ بعض الحوادث الواقعة بنجد ص ٤٧
بتقديم وتأخير .

قاضياً لهم ، فانتقل لها قبل تمام السنة المذكورة وفي سنة ١٠١٥ انتقل من ملهم إلى العيينة ، وكان عالماً فاضلاً نلقى العلم عن الشيخ محمد بن أحمد ابن إسماعيل في أشیقر وعن غيره من علماء نجد ، كما ثقى عنه عدد كبير من فقهاء نجد منهم الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب المشرفي ، وتوفي الشيخ ابن بسام سنة ١٠٤٠ هـ

ومن علماء نجد كذلك الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل ، وقد أخذ الفقه عن أحمد بن مشرف ، وأخذ عنه جماعة من العلماء الذين ظهروا بعده ، وتوفي سنة ١٠٥٩ هـ

وعندما نصل إلى القرن الثاني عشر الهجري تبرز لنا في ميدان العلوم الإسلامية أسرة المصلح الديني الشيخ محمد عبد الوهاب وهي أسرة عرفت بالعلم والمعونة في عدة أجيال منها ، ولا تزال ترعى العلم والمعونة حتى العهد الحاضر ، وسنعقد باباً خاصاً للحديث عن المصلح الديني الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعن شيوخه ومعاصريه ومريديه .

ومن علماء نجد في القرن الثاني عشر العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بن خميس أبو بطين وكان فقيها واسع المعرفة ألكت كتاباً في الفقه اسمه « المجموع فيما هو كثير الواقع » وقد توفي في سدير سنة ١١٢١ هـ

ومن علماء نجد الشيخ أحمد بن محمد المنقور ، وله كتاب مفيد جمع فيه فتاوى فقهاء نجد ، وجملة من فتاوى غيرهم ، ومن تلاميذه الشيخ عبد الله بن زهلان ، ومن تلاميذه ابنه ابراهيم بن أحمد المنقور ، وقد توفي الشيخ أحمد في حوطة سدير سنة ١١٢٥ هـ

ومن علماء نجد الشيخ أحمد بن محمد بن مبارك قاضي (المجعة) وقد أخذ الفقه عن عدة مشايخ منهم عبد القادر العدلي ومحمد بن عفانق ، وتلقى عنه محمد بن سلوم الفرضي ، وعثمان بن عبد الجبار الذي تولى قضاء المجمعية بعد شيخه وغيرهم وقد توفي الشيخ أحمد سنة ١١٩٤ هـ
 (م ٥ - التاريخ ج ٧)

- ٦٦ -

ومن علماء نجد الشيخ بن عبد الله بن عبيدان قاضى حريملاء ، والشيخ عبد الرحمن بن زهلان من قضاة المعارض وقد توفي سنة ١٢٠٢ هـ والشيخ حميدان بن تركى من عنيزه وقد توفي بالمدينة المنورة سنة ١٢٠٣ هـ والشيخ عبد الوهاب بن محمد بن فيروز مؤلف كتاب « زاد المستنقع في الفكر » وقد توفي سنة ١٢٠٣ هـ

ومن علماء نجد العالمة أحمد بن ناصر بن معمر ، وهو من تلاميذ الامام محمد بن عبد الوهاب ، وهو أيضاً من تلاميذ الشيخ سليمان بن عبد الوهاب والشيخ حسين بن غنام ، وكان قاضياً في الدرعية ، ثم أرسله سعود الكبير إلى مكة قاضياً ، وتوفي بها سنة ١٢٢٥ هـ

ومن علماء نجد الشيخ عبد العزيز بن الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، وهو من المعاشرة أهل العينية ، وكان أدبياً لبيباً ورعاً ولهم فصائل جميلة ، وقد توفي سنة ١٢٤٤ في البحرين ورثاه أحد أصدقائه الشيخ بن علي بن مشرف بقصيدة مشهورة *

ومن علماء نجد الشيخ ابراهيم بن حمد بن عيسى قاضى بلدان المؤشّم ، وقد توفي في شقرا سنة ١٢٨١ هـ

وفي العام التالي توفي الشيخ عثمان بن عبد العزيز قاضى سدير *

تلك نبذة عاجلة عن فقهاء نجد وعلمائتها من ترتيب بهم بعض المؤلفات أو الأحداث ، وبجانب هؤلاء ، كانت هناك مجموعة وافرة من العلماء تتعدد أسماؤهم قضاة ومعلمين في مختلف المناطق، سلاد نجد لم يذكرهم لقلة ما حول أسمائهم من أفكار ومعارف *

مزيد من الدراسات التفصيلية عن تاريخ نجد

أوردنا فيما سبق بعض دراسات تاريخية عن نجد ، ونريد فيما يلى أن نعطي مزيداً من الدراسات التفصيلية عن تاريخ نجد ، لعلنا بذلك نغذّى رغبة الذين يتلهفون إلى تاريخ مدون لهذه البلاد .

ولتكننا نذكر هؤلاء بما سبق أن كررناه هي أن الحياة القبلية كانت الحياة المسائدة في نجد ، وأن كل قبيلة ، كانت تعيش في حياة منعزلة عن القبائل الأخرى ، سواء كانت هذه القبيلة مستقرة في بلدة أو متنقلة بحثاً عن المراعي ، وبهذا كانت القبيلة أو المدينة وحدة سياسية مستقلة تماماً .

وفي ضوء هذا الواقع الذي لم يتختلف تجربة دراساتنا التاريخية عن نجد ، بمعنى أنه من المحتتم أن ندرك أن نجداً كانت تحوي عشرات الدول الصغيرة المستقلة المتعادلة ، فإذا أردنا أن ندرس تاريخ نجد كان علينا أن ندرس تاريخ هذه الوحدات أو هذه الدول أن جاز أن نسميها دولاً ، وليس هناك من سبيل آخر لدراسة تاريخية عن نجد ، اللهم إلا ما سفرناه فيما بعد من محاولات زحف داخلي أو زحف من الخارج كما أشرنا من قبل .

وعلى هذا فتاريχ نجد هو تاريخ هذه البلدان أو هذه القبائل ، وقد اتجهت بكل الجهد والصبر لجمع تاريخ أشهر هذه البلاد ، من المراجع المختلفة ، ومن أهمها :

- معجم البلدان لياقوت ثم المستدرك عليه .
 - تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام .
 - عنوان المجد في تاريخ نجد للشيخ عثمان بن بشر .
 - الجزيرة العربية في القرن العشرين للشيخ حافظ وهبة .
- وقد كتبنا تاريخ نجد ابتداء من سنة ١١٥٧ هـ فقط

- تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد عبد الوهاب لجون فيليبي ، وكل كلامه يتصل بالحركة السعودية في عصورها المختلفة .
- تاريخ بعض الحوادث الواقعه في نجد للشيخ ابراهيم بن صالح .
- رحله إلى نجد لليدى أن بلنت .

وهناك مراجع أخرى كذلك ولكن أهم ما ساعدنى على هذا العمل أننى قمت بدراسة ميدانية ، ورأيت الحاضر الذى أوحى بالكثير عن الماضى كما سيرى القارئ فيما يلى من صفحات ، ومن تتابع الأحداث تجمع لى زاد وفير ، ثم عرضت هذه المعلومات للنقد التاريخى فتبين لى أن هناك بينها تشابها كبيرا كالغارات والنصر والهزيمة ، وتتبين لى من جهة أخرى عدم جدواه ايراد التفاصيل المتشابهة وبخاصة أنه لم يوجد دور حضارى ذو بال لأى منها ، وما كان يمكن أن يوجد مثل هذا الدور لأية وحدة صغيرة من وحدات نجد ، إذ كان كل الجهد متوجه للحراسة من جانب وللإعداد لهجمة من جانب آخر ، وتأثرا بذلك رأيت أن أورد نماذج لبعض بلاد نجد تمثل تاريخا مفصلا لها طيلة عدة قرون ، وقد حاولت أن أختار بلادا تمثل العارض والقصيم وجبل شمر لعلنا نتدارس أهم مناطق نجد . ويمكن القول إن هذه النماذج هي أحداث يمكن أن تنطبق على جميع بلدان نجد تقريبا .

وستبدأ دراستنا عن أية بلدة منذ إنشائها ما أمكن ذلك ، وإنشاء بلدة يمثل في نجد تكوين دولة ، وسفى سير مع تاريخ هذه البلدة حتى شرائها جزءا من المملكة العربية السعودية التي إنشأتها العمالق العظيم المأك عبد العزيز آل سعود ، حيث ذابت هذه البلاد كما ذابت القبائل في المملكة الفتنية ، فلنأخذ في الأمر :

عنيزة

عنيزة من أهم بلدان القصيم ، والكلام عن عنيزة يحتاج إلى مقدمة عن منطقة القصيم التي تعد من أهم مناطق نجد وأكثرها خصوبة كما ذكرنا من قبل ، ومنطقة القصيم يحيط بها جبل شمر في الشمال والغرب ، وصحراء النفود في الشمال ومنطقة الوشم في الجنوب الشرقي ، ومنحدرات عتيقة في الجنوب الغربي ٠

وتقى القصيم حوالي خمسين قرية منتشرة في المنطقة التاسعة ، وأشهرها بُرَيْدَة وعنيزة والرس والخَبْرَا والعيون والبكيرية ، وببريدة أعظم مدن القصيم ولذلك تسمى أم القصيم ، وتقع ببريدة على مرتفع رملی بالجانب الأيسر لوادى الرمة ، ويقول ياقوت عن بريدة أنها تصغير برد (١) ، وتقول المراجع عنها إنها أعظم سوق للابل ، وقد زرتها في العصر الحديث فوجدت أنها يمكن القول إنها من أعظم أسواق السيارات في العالم ، فامتداد معارض السيارات بها فسيح للغاية ٠

وتقع القصيم في الطريق بين الحجاز والشرق ، وبسبب وقوعها على الطريق كانت معرضاً أكثر من غيرها من بلاد نجد لغزوات أشراف الحجاز ، ومن هنا كذلك كانت من البلاد التي مسها الصراع بين محمد على باشا وبين السُّوَودَيْنِ في العارض كما سنرى فيما بعد ، وبسبب موقع القصيم وخصوصية المنطقة نشطت التجارة بها نشطاً عظيماً ، ومن هنا كان أهل القصيم أكثر النجدين اتصالاً بالعالم الخارجي ، وهذا أضاف عليهم قدرات طيبة وجعلهم يستمتعون بموهبة ممتازة ، ورقة طبع وكرم خلق (٢) ٠

وبيني أن يتضح أن أكثر قرى القصيم كانت متنافسة متصارعة ، وأن الصحراء الفسيحة تقف حاجزاً بينها فلم يتكون منها وحدة قبل عهد

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ١٥٩ ٠

(٢) انظر جزيرة العرب في القرن العشرين للشيخ حافظ وهبة ص ٦٩ ٠

- ٧٠ -

الملكة العربية السعودية ، وطالما شهدت بريدة وعنيزة هجوما من أحداها
على الأخرى .

وبعد هذا التعريف بالمنطقة نجيء للكلام عن عنيزة ، وأول ما يطأ علينا
كلام ياقوت الذي يدل على قدم هذا الموقع ، وعلى أن مدينة عامرة كانت
بـه قبل الإسلام وفي مطلع الإسلام ، ويحددها بأنها تقع في بطن الرمة
وهي لبني عامر بن كريز ، ويروى قول أمرىء القيس :

تراثت لنا يوماً بسفح عنيزة وقد حان منها رحلة وقلوص

وقول خاله مهلهل بن ربعة :

غداة كأننا وبين أبينا بجنب عنيزة رحيمًا مدبر

ويؤخذ من كلام ياقوت أنها كانت تابعة لأمير البصرة في العصر
العباسي ، إذ يروى عن أبي عبيدة السكوني قوله : استخرج عنيزة (أى)
حصل على خراجها) محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس
وهو أمير على البصرة (١) .

ويفهم من كلام المهلل أن حروب طاحنة دارت في هذا الموقع ،
ولعل هذا يرتبط بيوم بريدة الذي عنده ياقوت بقوله « ويوم بريدة يوم
من أيام العرب في الجاهلية (٢) » .

ويبدو أن هذه الحروب دمرت عنيزة تماما وأزالتها من الوجود وهو
ما كان يحدث كثيرا في بلاد نجد ، بدليل أننا نقرأ عن تأسيس جديد لها
في القرن السابع الهجري ، ففي الملحق الثاني لكتاب « تاريخ بعض
الحوادث المواقعة في نجد » أن عنيزة أنشئت سنة ٦٣٠ (٣) ، وهذا

(١) معجم البلدان ج ٦ ص ٣٣ - ٢٣٤ .

(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ١٥٩ .

(٣) ص ٢٣٢ .

— ٧١ —

سيفسر لنا السبب في تغلب اسم « عنزة » على أسماء القرى التي كانت موجودة قبل إعادة إنشاء عنيزة في التاريخ المجرى السابق .

ونستقر مع الملحق الذي أشرنا إليه والذي يقرر أن منشأ عنيزة هذه المرة هو زهرى بن جراح الثورى ، وكانت عند إنشائها هذه المرة قرية صغيرة ضمن القرى الواقعة في هذه المنطقة وهى قرى الضبيط والخربة والملكية والعقيلية ، ولكن سرعان ما غلب اسم عنيزة على هذه القرى جميعاً لما كانتها التاريخية السابقة كما ذكرنا آنفاً ، وبقيت هذه القرى بأسمائها تمثل كل منها محلة أو حياً من محلات المدينة الشاملة « عنيزة » وقد أصبحت عنيزة امارة بعد حوالي ٢٥٠ سنة من إنشائها أي في أواخر القرن التاسع ، وأول أمير لها هو عقيل بن ابراهيم بن موسى من أحفاد زهرى بن جراح الذي سبق ذكره .

ونستطيع بعد ذلك أن نسير مع عنيزة لنروى أهم الأحداث التي تتصل بها :

في سنة ١٠٩٧ أغار الشريف أحمد بن زيد بن محسن على نجد ، ونزل عنيزة ودمر العقيلية (محلة من محلات عنيزة) وفعل بأهلها القبيح والفساد ^(١) .

وفي سنة ١١١٠ ه سطا آل غنام والبكر على فوزان بن حميدان أمير عنيزة ، وكان يقيم في المليحة ، وأخرجوه من بلدة عنيزة وذلك ردًا للغدرة التي قام بها فوزان ضد بريدة في العام السابق .

وفي سنة ١١١٥ ه هجم آل جناح على عنيزة وقتلوا أميرها فوزان ابن حميدان الملقب ابن معمر واستولوا على عنيزة كلها .

وفي سنة ١١١٦ غرقت عنيزة بسبيل جارف غيرها وتشتمي هذه الحادثة « غرقة السليمى » وهو رجل أعمى دخل السبيل بيته وأغرقه فعرف

(١) الشيخ ابراهيم بن صالح . تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد . ص ٧٠

سيل هذا العام باسمه . ويروى الشيخ ابراهيم بن صالح (١) أنه اطلع على بعض ورائقات في التاريخ تثبت أن غرقة المسلمين كانت سنة ١٠٨٠ هـ .

وفي سنة ١١٢٨ سطا ادريس بن شايع بن صعب شيخ آل جناح من بني خالد على المليحة في عنيزه وملكتها .

وفي سنة ١١٣٣ حدثت « ذبحة آل جناح » في دارهم بالخُرَيْزَة في بلدة عنيزه .

وفي سنة ١١٤٠ عمر آل عفالق وهم من قحطان بلدة الخبراء في القصيم وكان مسكنهم قبل ذلك في عنيزه .

في سنة ١١٥٥ قُتِّل حسن بن مشعاب رئيس بلدة عنيزه ، واستقولى علياً آل جناح من بني خالد والشخة من المشاعب من آل جراح ، وقد استولى هؤلاء على عنيزه كلها ، وكان الشخة ينزلون « الجادة » في عنيزه ، وفي نفس العام غرس نخل « الجادة » في عنيزه .

وفي سنة ١١٥٦ حاصر آل شناس ومعهم رشيد بن محمد رئيس بلاد عنيزه حـى الدربيـى في بريـدة ، ونبـوا جنـوبـى الـبلـد ، ثم صـارتـ الغـلـبةـ للـدرـبـيـىـ وـهـزـمـهـمـ .

وفي سنة ١١٦٠ حدثت « ركدة عنيزه » . ويقصد بها استقرار ماء الآبار وثباته ، وقد ساعد ذلك على غرس الأشجار .

وفي سنة ١١٧٤ قُتِّل رشيد رئيس بلدة عنيزه وهو من آل جراح ، وقتل فراج رئيس آل جناح من بني خالد ، قتلهم عيال الأعرج من آل أبو غمام ومعهم آل زامل وذلك في مجلس عنيزه .

(١) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ٥ .

وفي سنة ١١٧٩ انتقل حمد بن ابراهيم بن عبد الله بن بسام من بلدة « حرمة » الى عنيزه وسكنها هو وأولاده .

وفي سنة ١١٨٠ تقريباً بنيت « البكيرية » من بلدان القصيم ولم ينست بعيدة عن عنيزه .

وفي سنة ١١٨٢ قام سعود الكبير ومعه راشد الكبير وراشد الدريبي رئيس بلدة بريدة بغزو بلدة عنيزه ونزلوا بالقرب من باب شارخ ، وحصل بينهم وبين أهل عنيزه قتال فقتل فيه من أهل عنيزه ثمانية رجال ، منهم عبد الله بن زامل ، واستولى آل سعود على عنيزه والقصيم .

وفي سنة ١١٩٢ أصيّبت بلدة عنيزه بسيل عظيم أغرقها ، ومحا بعض منازلها ، فخرج أهل عنيزه الى الصحراء ، وبنوا فيها بيوت الشعر ، وقعدوا بها حتى عمروا منازلهم .

وفي سنة ١١٩٥ سطا آل « أبو غنام » ، وآل جناح على العقبية في بلدة عنيزه واستولوا عليها .

وفي سنة ١١٩٦ أجمع أهل القصيم على نقض البيعة لآل سعود وعلى حربهم ، ما عدا أهل بريدة والرس والتقومة ، وأجمعوا على قتل من كان عندهم من المعلمين ، وأرسلوا الى سعدون بن غريب آل حميد الخالدي رئيس الحسا والقطيف يستحثونه على القodium اليهم ، فأقبلوا اليهم بجندوه ، فلما قرب من القصيم قام أهل كل بلد بقتل من عندهم من المعلمين ، فقتل أهل الخبرا امامهم منصور أبا الخيل ، وثنين آبا الخيل ، وقتل أهل الجناد ، جلا عندهم يقال له البكري وصلبوا ، وقتل أهل الشمامس أميرهم على بن حوشان ، وحاصر سعدون بلدة بريدة ، أربعة أشهر (١) جرت خلالها عدة وقفات ، ثم ارتحل عنها سعدون ونزل

(١) الشيخ ابراهيم بن صالح : المرجع السابق ص ١١٩ وروايته بعد ذلك غير واضحة .

قريباً من الزلفي ، وأقام هناك أياماً ، ووُفِدَ عليه كثير من رؤساء بلدان نجد الذين لم يدخلوا في طاعة آل سعود ، وحقق نصراً في القصيم والعارض ، وأعاد الروضة إلى رؤسائهما آل ماضي ، وكان الإمام سعود قد فتحها عنوة وفر منها هؤلاء الرؤساء ، ثم رحل سعدون راجعاً إلى وطنه^(١) .

وفي سنة ١٢٠٢ غزا سعود بن عبد العزيز بلدة عنزة وأجلى آل رشيد منها ، وعين عبد الله بن يحيى أميراً لها .

وفي سنة ١٢٢٩ توفي إبراهيم بن عفيصان في عنزة وكان سعود ابن عبد العزيز قد جعله أميراً لها بعد عزله عن الاحسأ وهو من آل عفيصان المعروفين في الخرج .

وابتداء من هذا العام (١٢٢٩) بدأت أحداث الصراع في نجد بين محمد على باشا وبين آل سعود وعانت منطقة القصيم ألواناً من مرارة هذا الصراع ، وسنذكر تفاصيل ذلك عندما نصل في دراساتنا إلى وصف هذه الحروب .

وفي سنة ١٢٣٤ سالت عنزة وبعض بلدان نجد خريفاً ، وأصبح وادي الرمّة روضة طيبة .

وفي سنة ١٢٥٧ حدثت وقعة « بقعاً » بين أهل القصيم وبين أهل رشيد وصارت المهمة على أهل القصيم ، وقتل منهم عدة رجال منهم يحيى السليمي أمير بلدة عنزة .

وفي سنة ١٢٥٩ قدم فيصل بن تركي إلى جبل شمر من مصر ، فقام معه رئيس الجبل عبد الله بن رشيد وساراً إلى عنزة واستجابت لهما أهل عنزة وتحرك الجميع إلى الرياض وحاصروا عبد الله بن ثنيان حتى

(١) محمد بن عبد الله الانصاري : تحفة المستفيد ص ١٣٠ - ١٣١ .

ظفروا به وحبسه الأمير فيصل حتى توفي في الحبس ، واستقال بالملك
فيصل بن تركى .

وفي سنة ١٣٦٠ أغار عبد بن على بن رشيد على بلد عنيزه وأخذ
أغنام الناس ومتاعهم ففرعوا ضده وحصلت بينهم وقعة في «مقطاع
الوادى» وهزم أهل عنيزه في هذه الواقعة وقتل منهم عدد كبير .

وفي هذا العام والعام التالي توفي في عنيزه وفي القصيم مجموعة
من الأفذاذ والشيوخ منهم الشيخ عبد الرحمن بن محمد القاضى في عنيزه
والشيخ قرناس بن عبد الرحمن في الرس ، وحمد السليمان في عنيزه ،

وفي سنة ١٢٦٣ هاجم الحميدى بن فيصل الدويس حجيج القصيم .
واستولى على كثير من متاعهم .

وفي نفس السنة أغار الشريف محمد بن عون على نجد ووصل
عنيزه ، فأرسل إليه الامام فيصل هدية مع أخيه جلوى بن تركى ، فقبلها
وعاد إلى مكة .

وفي سنة ١٢٦٥ استعمل الامام فيصل بن تركى أخاه جلوى أميرا
على عنيزه .

وفي سنة ١٢٧٠ هـ أهل عنيزه على جلوى هذا وأخرجوه منها ،
فقدى إلى بريدة فلما علم الإمام فيصل بذلك ، أرسل ابنه عبد الله لماربة
أهل عنيزه فسار هذا حتى نزل القصيم ، فقطع جملة من نخيل الوادى ،
وجرت بينه وبين أهل عنيزه وقعة ، قُتلت فيها بعض الرجال ، ثم وقع
الصلح بين التماربين سنة ١٢٧١ ، ورحل عبد الله وعمه جلوى إلى
الرياض ، وركب عبد الله آل يحيى السليمان إلى الإمام فيصل بالرياض ،
واستقر الصلح بينهم .

وفي سنة ١٢٧٣ اعترض ابن مهيلب الحاج من عنيزه وحبسهم عن

المسير الى الحجاز ، وطلب منهم أشياء معينة ، فرفضوا إعطائهما له ولكنه استطاع أن يأخذها منهم .

وبين سنتي ١٢٧٩ و ١٣١٨ استؤنف الصراع بين آل سعود وبين آل عنيزة ، وصارت المعركة على آل عنيزة في الموقعة التي تسمى « وقعة المطر » .

وفي سنة ١٣٠٨ شهدت منطقة القصيم صراعاً على السلطة بين آل رشيد وآل سعود ، وقد استطاع آل رشيد أن ينتصروا في موقعتي « القرعاً » و « المليدا » وقتل من أهل القصيم خلائق كثيرة منهم زامل العبد الله أمير عنيزة ، وقد انتهت هذه المعرك باستيلاء آل رشيد على بادية نجد ، وجرت محاولة أخرى سنة ١٣١٨ ساعد فيها الأمين مبارك ابن صباح من الكويت ولكنها لم يقدر لها النجاح أيضاً وظل آل الرشيد أصحاب السلطة في نجد حتى العام التالي (١٣١٩) حيث بدأ يتألق نجم آل سعود على يدي البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن كما سنرى فيما بعد ، وفي عهده الظاهر أصبحت عنيزة جزءاً من المملكة الفتية « المملكة العربية السعودية » وغمر الضوء تاريخها كما غمر باقى أجزاء المملكة .

من أمراء عنيزة :

ذكرنا من قبل أسماء أمراء عنيزة الذين كان لهم السلطان حتى بدء الصراع بين ابراهيم باشا وبين السعوديين ، وأشارنا الى هذا الصراع الذي دار بالمنطقة والذي اشتراك فيه آل الرشيد وآل سعود ومحمد على باشا ، وكان المنتصر يعين لعنيزة أميرها ، ونذكر فيما يلى أمراء عنيزة بعد الأميين عبد الله بن يحيى ومحمد بن عفيصان اللذين عينهما الإمام سعود بالتولى أميرين على عنيزة أيام أن كانت عنيزة تابعة له ، وأمراء عنيزة بعد ذلك هم (١) :

(١) نقل عن الشيخ ابراهيم بن صالح : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ٢٣٦ وما بعدها .

عبد الله بن محمد الجميعي من سبيع وقد ولاه ابراهيم باشا على
عنيزة عندما قدم الى نجد سنة ١٢٣٣ *

وفي سنة ١٢٣٦ تأمر في عنيزة محمد بن حسن الجمل باتفاق من
أهلها ، ثم تأمر الجمعى الى أن قتله يحيى بن سليمان المعروف بسليم *

ولما تمكن الامام تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود في الرياض
أمّر في عنيزة خير الله تابع سعود بن عبد العزيز ، ثم أمر محمد بن
ناهض ثم صالح القاضى *

ولما قتل تركى تأمر يحيى السليم ، ثم قتل يحيى في بقعاء سنة ١٢٥٤
في أثناء حربه مع ابن رشيد ، فتأمّر أخوه عبد الله السليم ، فلما قتل
بالجوا سنة ١٢٦١ هـ تأمر ابراهيم السليم ، ثم عزله الامام تركى وأمّر
ناصر بن عبد الرحمن المسيحي *

وفي سنة ١٢٦٥ تأمّر في عنيزة جلوى بن تركى بن عبد الله بن محمد
ابن سعود ، ثم خرج من عنيزة سنة ١٢٨١ وتأمّر عبد الله آل يحيى السليم
وتوفي سنة ١٢٨٥ فتأمر على السليم ولم يكن له الا اسم الامارة فقط
وحقيقتها لزامل العبد الله السليم ثم تأمر زامل حتى قتل في المليدا
سنة ١٣٠٨ *

ثم تأمر من قبل الرشيد عبد الله آل يحيى الصالح الغائم ، ثم
تأمر أخوه صالح ، ثم تأمر حمد العبد الله آل يحيى الصالح *

ثم زالت دولة الرشيد ، فعادت امارة عنيزة الى أهلها بمساعدة
الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، وأصبحت جزءاً
من المملكة السعودية ، وأول أمير لها في هذا العهد كان عبد العزيز العبد الله
آل يحيى السليم *

قضاء عنزة :

جمع الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع قائمته بقضاء عنزة ، وقد وردت هذه القائمة في الملحق الثاني لكتاب الشيخ إبراهيم بن صالح ونحن نقتبس بتصرف ما يلى عن هؤلاء القضاة :

قبل القرن الثاني عشر لم يكن في القصيم علماء مشهورون ، وكان مركز العلماء بنجد في أشیقر وسدیر والعارض ، أما أهل القصيم فكان عندهم « مطوعون » وهم الذين يصلون بالفاس ويعلمونهم القرآن ، وربما لجأ أهل القصيم إلى قضاة المناطق المجاورة إذا ألم بهم أمر ذو بال .

وفي سنة ١١١٠ طلب أهل عنزة الشيخ عبد الله بن أحمد بن عصيّب ليكون قاضياً لهم ، وكان قبل ذلك في « المذنب » فاستجاب لهم ، وجاء إلى عنزة ، وهو الذي حفر لهم البئر العذبة التي يستيقنون منها ، وقد توفي في « الضبيط » وقبره معروف حتى اليوم في مقبرتها .

ثم تولى القضاء بعده تلميذه الشيخ سليمان بن عبد الله بن زامل سنة ١١١٦ .

ثم تولى بعده الشيخ محمد بن إبراهيم أبو الخيل .

ثم الشيخ عبد الله بن حمد بن اسماعيل .

ثم الشيخ محمد على بن زامل الملقب أبو شامة .

ثم الشيخ صالح بن عبد الله الصائغ .

ثم الشيخ عبد الله بن سويف سنة ١٢٢٠ .

ثم الشيخ غييم بن سيف ، وبعده أخوه الشيخ عبد الله .

ثم الشيخ عبد الله الفائز أبو الخيل .

ثم الشيخ عبد الرحمن بن محمد القاضي .

- ٧٩ -

ثم الشیخ عبد الله أبا بطین • وقد ولاد الامام تركی بن عبد الله ثم رجع الشیخ عبد الله الى بلدة نسرا ، فلما استشهد الامام تركی وتولى الامام فیصل ركب أمیر عنیزة ومعه جماعة الى الشیخ عبد الله وجاءوا به مع عائلته ، ومعه زوج ابنته الشیخ محمد بن عبد الله بن مانع وهو أول من سکن عنیزة من آل المانع ، وكان ذلك حوالي سنة ١٢٥١ ، واستمر الشیخ عبد الله قاضيا عشرين سنة تقريبا •

وبعده جاء الشیخ على المحمد من بلدة الزبیر التي كانت آهلا بفقهاء الحنابلة •

ثم الشیخ عبد العزیز بن محمد بن مانع •

ثم الشیخ عبد الله بن غائض حوالي سبع سنوات ويقول الشیخ ابراهیم بن صالح^(١) انه قبل ولاية الشیخ عبد الله بن غائض كان يأتی الى عنیزة أحیانا الشیخ صالح بن الشیخ قرناس من أهالی الرس ويتوسل الى القضاء ، كما يذكر روایة تقید أن الشیخ العلامہ عبد العزیز بن حمد سبط الشیخ محمد بن عبد الوهاب تولی قضاة عنیزة فترة من الزمن ، وكان هذا ضمن الوفد الذي أرسله الامام سعود بن عبد العزیز الى مصر لفاوضة محمد على باشا ، وقد اجتمع به الجبرتی وأثنى عليه •

وكلمات الجبرتی عنه هي : وقد اجتمعت مرتين بعد العزیز بن حمد وبمیتوث آخر معه السمه عبد الله فوجدت فيهما أنسا وطلقة لسان ، واظلاعا وتضلاعا ومعرفة بالأخبار والمنوار ، ولهم من التواضع وتهذیب الأخلاق ، وحسن الأدب في الخطاب ، والتفقه في الدين ، واستحضر الفروع الفقهیة ، واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف ، وكان عبد العزیز أكبر حسا ومعنى من عبد الله^(٢) •

ونعود لقضاء عنیزة بعد الشیخ عبد الله بن غائض ، فهم :

(١) المرجع السابق ص ٢٤٤ •

(٢) تاریخ الجبرتی : ج ٤ ص ٢٢٩ •

الشيخ ابراهيم بن حمد الجاسر سبع سنوات وهو من أهالى بريدة .
 ثم الشيخ صالح بن عثمان وارسته قاضيا سبعة وعشرين عاما .
 ثم الشيخ عبد الله بن محمد بن مافع مدة عشر سنوات .
 ثم الشيخ محمد العبد المحسن من أهل بريدة مدة تسعة أشهر .
 ثم الشيخ عبد الرحمن بن عودان من أهالى شقراء مدة تسع سنوات .
 ثم الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل سنة ١٣٧١ .
 ثم الشيخ محمد بن عبد العزيز سنة ١٣٧٥ ، وقد نقل الى عنزة
 من الجمعة .

أشهر القبائل في عنزة الان :

كتب الشيخ ابراهيم بن صالح بعض الفوائد في خاتمة كتابه عن تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، وفي قمة هذه الفوائد أنساب بعض الأسر النجدية ومحال اقامتها ، وبيهمنا منها هنا الأسر الموجودة في عنزة وهي :

آل بسام ومنهم الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله جد آل بسام بعنزة وينتهي نسب آل بسام الى مالك بن حنظلة بن مالك ٠٠٠ حتى معد بن عدنان .

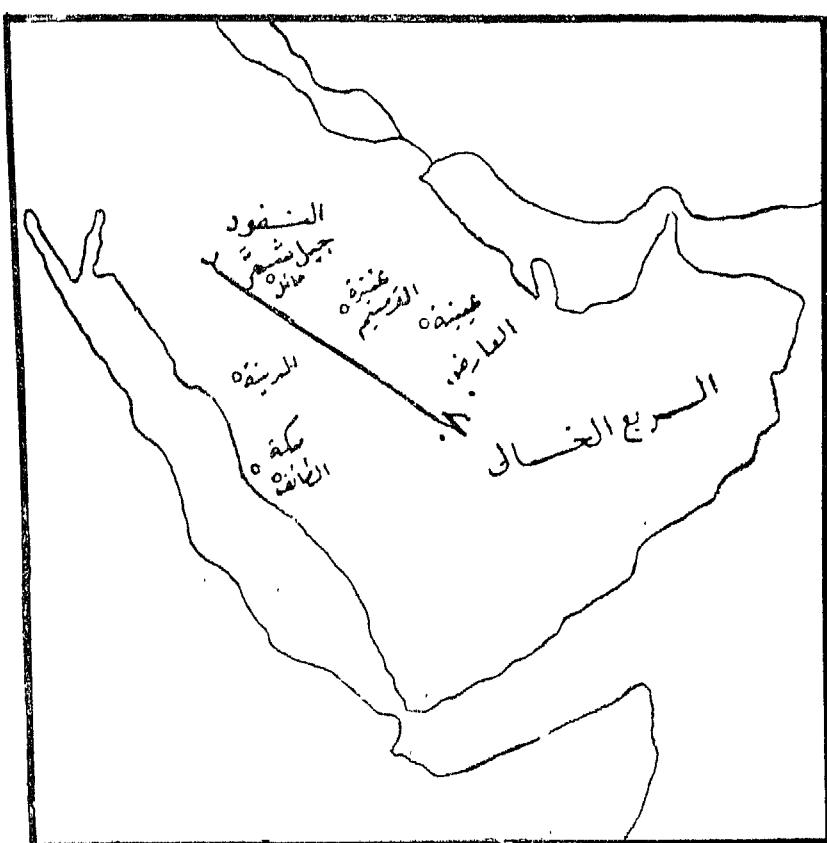
ومن آل بسام ينحدر آل القاضى المعروفون في عنزة وآل حسن الذين في أشقر ، ويوجد من آل بسام فروع في أشقر وفي الدرعية وفي بريدة .

وفي عنزة كذلك آل شبلى الذين منهم الخروب وهم من المشارفة ، وكذلك آل شبلى آخرون في عنزة وهم من العنادر .

وفي عنزة كذلك آل مستند ، وآل ضبيب ، وآل سلوم (١) .

(١) انظر الكتاب السابق : اقتباسات من ص ٢٠٥ الى ٢٢٦ .

- ٨١ -



حائل بجبل شمر وعنيزة بالقصيم وعيينة بالعارض

(م ٦ - التاريخ ج ٧)

المدينة

إن الحديث عن العيينة يقتضى أن تتحدث عن المنطقة الواسعة التي تقع فيها العيينة وهي « العارض » والتي كانت تعرف قديماً بالعَرْوض أو اليمامة ، وتقع هذه المنطقة بين سدير شمالاً والخرق والحريق جنوباً ، وهي تمثل الجزء الأوسط من طُويق ، ويقع وادي حنيفة في قلب العارض ، ولوادي حنيفة تاريخ شهير في التاريخ الإسلامي س تعرض له بعد قليل .

ويقول ياقوت عن العارض انه اسم للجبل المعرض ، ومنه عرض اليمامة وهو جبلها ، وفيه أودية كثيرة ، ولا نعلم جبلاً يسمى عارضاً غير عرض اليمامة ، والمسافة بين طرف العارض مسيرة شهر^(١) .

وإذا ذكرنا عن القصيم أنها أكثر بلاد نجد اتصالاً بالعالم الخارجي ، فإن بلاد العارض كانت أميل بلاد نجد إلى العزلة ، وعدم الاتصال بالآخرين ، وإذا كانت بلاد القصيم تهتم بالتجارة فإن الحرب كانت تمثل الاهتمام الأول لأهل العارض .

ومما يدل على جانب التعصب في بلاد العارض ، وجانب الانتصار للقبيلة في كل الأحوال ما يروى أن مسيلمة الكذاب عندما أدعى النبوة وقدم قرآنـه الذي يعارض به القرآنـ الكريم ، أدرك أهلوه زيف ما عرض ، ولكن واحداً من بنـي قـومـه صاحـ قـائـلـاـ ، أـشـهـدـ أـنـكـ كـاذـبـ ، ولكنـ كـذـبـ حـنـيـفـةـ خـيـرـ مـضـرـ وـأـتـبـعـ قـوـمـهـ وـأـيـدـوـ بـحـمـاسـةـ شـدـيـدةـ .

ومن أجل ما عُرِّفَ به أهل العارض من الشجاعة والاقتدار والبطولة الحربية ، اعتمد عليهم آل سعود في كثير من المواقف الحرجة واستندوا عليهم عندما كانت تشتد بهم الكروب .

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ٥٨٥ .

وأشهر بلدان المعارض الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية ، ومقر آل الشيخ ، والدرعية التي كانت العاصمة الأولى لآل سعود ، والجبيه والبيه . وهم بلدان متجاورتان كثيراً ما شملهما حديث واحد ، وملهم وحريملاه ^(١) ، ومنفحة بلد الأعشى الشاعر .

معارك التنشئ في وادي حنيفة :

ومن أعنف المواقف التي شهدتها وادي حنيفة معارك الردة والتتبؤ التي وقعت في عصر الصديق أبي بكر ، وكانت هذه المعارك بقيادة مسيلمة الكذاب وهو من بنى حنيفة باليمامه ، وكان قد وفد على الرسول عليه الصلاة والسلام ضمن بنى حنيفة في عام الوفود (٩ هجرية) رأعلن إسلامه ، ولكنه كان يضمر التردد والغدر ، فما إن عاد إلى الإمامة حتى ارتد عن الإسلام وادعى النبوة ، وكتب للرسول ، يقول : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، أما بعد فإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ، ولكن قريشاً لا ينصفون والسلام عليك .

فكتب له الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد ، فإن الأرض الله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين : والسلام على من اتبع المهدى ^(٢) .

وببدأ الصراع في حياة الرسول ، ولكنه بلغ قمته في عهد الصديق أبي بكر ، وقد سبق أن قلنا أن بنى حنيفة قوم أشداء يحبون الحرب ، ولا يخافون الموت ، وقد دفعهم اعتزازهم بالنفس ورغبتهم في العزلة إلى وأن ينفصلوا عن المجتمع الإسلامي الذي ساد الجزيرة ، وأن يشعروا بذلك حرباً ضرورياً ، وكانت قيادة المسلمين في يد خالد بن الوليد ، وشهدت منطقة الجبيه حرباً مريرة سقط فيها عدد كبير من الجانحين

(١) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٥٥ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٩٧ - ٩٨ .

وكان بين قتلى المسلمين عدد كبير من حفظة القرآن الكريم ، وقد أورد ابن كثير أسماء كثيرين من هؤلاء الحفاظ ^(١) ، ولما أحسن مسيلمة بأن كفته شالت تراجع ودخل حديقة فسخية لها سور مرتفع ، ولحق بـ « أصحابه ، ليحتموا بهذه الحديقة ولكن المسلمين تسربوها عليهم ، ودارت بها معركة شرسة سقط فيها آلاف من الفريقين ، حتى سميت حديقة الموت ، وقتل مسيلمة بعد جهد كبير ^(٢) .

وقد زرت منطقة الجبيهة والمعيبينة مع أصدقاء لمى من آل الأسطل خلال شهر فبراير ١٩٧٧ ، وأمضيت بتلك المنطقة التي تقع على بعد حوالي عشرين ميلاً من الرياض يوماً كاملاً وتتبينا فيه آثار المعركة بين المسلمين وبين مسيلمة وذويه ، ورأينا المنطقة التي تسمى حالياً « وادي الدم » لكثره من سقوط فيها من القتلى ، ورأينا بقايا سور ، قيل لنا أنه بقايا سور حديقة الموت ، كما رأينا الأرض الخصبة التي تعد منحة لواحد حنيفة ، والتي لا تزال حتى الآن عامرة بالزراعة والتخليل ، ومما شاهدناه في هذه البقاع آثار مقابر الشهداء ومن الواضح أن تعاليم المصلح الديني محمد بن عبد الوهاب لم تدع أثراً للقباب التي أقيمت لشهداء معركة اليمامة ، وكان من أهمها مقبرة زيد بن الخطاب ، ومع زوال هذه الآثار فإن الوادي لا يزال يحتفظ بفتحات في جوفه يمكن مشاهدتها بسهولة ويقولون عنها إن كلاً منها كان بقايا اللحد الذي دفن فيه أحد الشهداء .

وقد كان اليوم الذي أمضينا به بوادي حنيفة يوماً طويلاً ، وهذه الكلمة ليست ارتجلالية لأنه في الحق كان يوماً شاقاً ، فقد اتجهنا بسيارتنا إلى أعماق الوادي محاولين أن نتعرف على جوانب المكان الذي دارت به أعنف معارك المرتدين والمتبيئين ، ووصلت السيارة إلى مكان كانت رماله كالدقيق الناعم ، فغاصت عجلاتها في أعماق هذه الرمال وكنا نخشى أن تمسنا لعنة مسيلمة ، فالمكان كان موحشاً حولنا ، ورفع السيارة كان

(١) البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٣٤ - ٣٤٠
وانظر هامش ص ٦٧ من « العواصم من القواصم » لأبي بكر العربي .
(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٠٤ وابن الأثير ج ٢ ص ٢٢٤ .

عمل لا أمل فيه لاتساع حجمها وثقل وزنها ، وقد اضطررنا أن نستعمل آلة الرفع لنرفع عجله إثر عجلة ، ونضع تحتها قدرا من الحجارة مختلفة الأحجام ، ثم نديد جهاز السيارة ونحاول الاندفاع بها إلى الخلف ولكنها بعد حوالي نصف متر كانت تغوص مرة أخرى ، فنكرر العملية ، ولم ننج من وادي حنيفة إلا بعد أن أوشك أن ينفذ صبرنا ويصيغنا الإعفاء ، ومع هذا فإن ما حصلنا عليه من معلومات ، وما شاهدناه من مناظر كان معينا لنا على هذا الجهد ، وكان مبعث متعمقة علمية عظيمة .

وبعد هذه المقدمة عن العارض ووادي حنيفة ، نعود للحديث عن العينية ، ويسدو من المراجع التي بين أيدينا أن العينية كانت موجودة منذ أمد طويل ولكن خراباً ألم بها لأسباب متعددة ويشير الشيخ حافظ وهبة^(١) إلى قصص كثيرة عن أسباب هذا الخراب وعن هجر الناس لها ، ويتحدث الشيخ ابراهيم بن صالح عن العينية فيقول :

ففي سنة خمسين وثمانمائة اشتري حسن بن طوق جد آل معمور العينية من آل يزيد من بنى حنيفة ، ورحل حسن عن ملهم ونزل العينية عقب ذلك ، وتداولتها ذريته من بعده^(٢) .

وهذا القول يفيد وجود العينية قبل ذلك التاريخ ، وأن ما فعله حسن بن طوق كان مزيداً من التعمير والتجميل .

وبعد حسن بن طوق أصبحت رئاسة العينية إلى ابنه حمد وهو الذي احتتمى به ربعة بن مانع المريدي عندما اعتدى عليه ابنه موسى ، واضطرب إلى الفرار ، فسار إلى العينية حيث وجد بها الكرم والتكريم ، ومما يذكر أن موسى بن ربعة قُتل في العينية سنة ١١٣٩ .

ومن أحفاد ابراهيم بن موسى وطلبان الذي نزل أولاده العينية ، وقد حدث صراع طويل بينهم وبين يحيى بن سلامة رئيس الرياض .

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين : ص ٥٩ .

(٢) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد : ص ٣٥ .

- ٨٦ -

وفي سنة ١٠٥٦ توفي أمير العينية أحمد عبد الله بن معمر ، وهو حاج ، وفي سنة ١٠٥٧ نزل الشريف زيد بن محسن على « بيان » على مشارف الرياض وهدم العينية فدفع له أهلها مبالغ كثيرة وثلاثمائة جمل .

وفي نفس السنة قُتِل ناصر بن عبد الله بن معمر صاحب العينية قُتل ابن أخيه دواس بن محمد بن عبد الله ، وتولى دواس العينية ، ولكن قُتِل في العام التالي ، وتولى العينية محمد بن حمد بن عبد الله .

وفي سنة ١٠٧٠ تولى عبد الله بن أحمد بن معمر رئاسة العينية .

وفي سنة ١٠٧٢ سار عبد الله هذا إلى بلد « البير » وكان أهلها قد استولوا على قافلة لأهل العينية ، وقد سار مع عبد الله جنود كثيرة ؛ فباتت بهم تحت جدار من جدران بلد : « البير » فسقط الجدار عليهم ؛ فمات منهم خلق كثير ، وتدخل القاضي سليمان بن علي للاصلاح بين أهل العينية وأهل البير ، وقد تم ذلك ، ورجع عنهم ابن معمر .

وفي سنة ١٠٩٦ تولى عبد الله بن محمد بن معمر رئاسة العينية في حياة أبيه ، وصار له فيها شهرة عظيمة ، وكبرت العينية في زمنه وتركت ، وكثير أهلها وزادت عمارتها ، وحج أبوه محمد بن أحمد ثلاثة

السنة .

وفي سنة ١٠٩٧ استولى عبد الله هذا على بلد « العمارية » وفي العام التالي أغارت على حريملاة وقتل من أهلها عدة رجال ، وقد تسبب عن هذا أن هبت حرب بينه وبين أهل الدرعية الذين جاءوا لمساعدة العمارية .

ومن المفاجر التي تُنسب إلى العينية أن ولد بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب المصلح الديني الكبير ، ونشأ بها قبل أن ينتقل أبوه إلى حريملاة .

- ٨٧ -

وفي سنة ١١٦٦ نزل على العبيبة سيل خرب منازلها .

وفي سنة ١١٦٦ أغار سعدون بن محمد آل غوير رئيس الحسا والقطيف هو وعبد الله بن معمر رئيس العبيبة على اليمامة من بلد الخرج ونهبوا بعض منازلها .

وفي سنة ١١٣٧ قام صراع بين آل معمر في العبيبة وبين أهل العمارية وقد انهزم أهل العبيبة في هذا الصراع وقتل منهم حوالي عشرين رجلا .

وفي سنة ١١٣٨ حل بالعبيبة وباء أفنى الكثريين من سكانها ، ومن مات في هذا الوباء رئيسها عبد الله بن محمد بن معمر الذي لم يذكر في زمانه ولا قبله في نجد من يدانيه في الرياسة ، وسعة المملكة والعدد والعقارات والأثاث ، وتولى في العبيبة ابن ابيه محمد بن حمد من عبد الله اللقب « خرفاش » .

وفي سنة ١١٣٩ غدر خرفاش هذا بزيد بن مرخان صاحب الدرعية ، وبديعيم بن خايز السبعيني وقتلهم ، وذلك أنه لما أصاب الوباء المذكور آنفا العبيبة وفني رجالها ، وقتل رئيسها ، طمع زيد بن مرخان وأتباعه في أموالها ، وأرادوا نهبها ، فساروا إليها بالكثير وبوادي سبيع وغيرهم ، فلما وصل الجميع « عقبا » أرسل خرفاش إلى زيد من يقول له : إنه لا ينفعك نهب البوادي ، وأننا مستعد أن أعطيك وأرضيك ، فأقبل إلى أكلمك من قريب وأناجيك ، فسار إليه زيد في أربعين رجلا ، ومعهم محمد بن سعود وغيره ، ثم أدخل رجالا من قومه في مكان وطلب إليهم أن يرموا زيدا بالبنادق ففعلوا ومات زيد ، وتنبه أصحاب زيد ، فتحصنوا في مكان بالقصر ولم ينزلوا منه الا بأمان الجوهرة بنت عبد الله ابن معمر ورجع محمد بن سعود بمن معه من أهل الدرعية .

وفي سنة ١١٤٢ قُتل محمد بن حمد (خرفاش) رئيس العبيبة قتله آل نبهان من آل كثير ، وتولى العبيبة أخوه عثمان .

- ٨٨ -

وفي سنة ١١٦٠ هـ غزا عبد العزيز بن محمد بن سعود وبمعه عثمان بن معمر رئيس العيينة بلدة « سر마다 » وتمت المهزيمة على أهل سر마다 ، وقتل منهم حوالي سبعين رجلاً وتسمى هذه الواقعة وقعة « البطين » لأنها حدثت في « بطين سر마다 » .

ويمتاز عهد عثمان بن حمد بن معمر بخطوة هامة ترتبط بالصلح الذي أدى إلى مدينة حريماء التي كان والده قد عين قاضياً بها ، وظل الشيخ مع والده حتى توفي ذلك الوالد ، فجهر الشيخ بأرائه ، وحينئذ تجمع بعض الجماهير في حريماء للدعوان على الشيخ ، وهذا دفعه إلى أن يعود إلى العيينة مسقط رأسه ، وأن يدعم صسلته برئيسها عثمان ابن حمد الذي رحب به وبالتالي في إكرامه ، وزوجه قرينته « الجوهرة » وببدأ الشيخ يرفع صوته بدعوته ، فهدم القباب التي كانت قد أقيمت على قبور شهداء موقعة اليمامة ، ومنها القبة التي أقيمت على مقبرة زيد بن الخطاب ، وبهذا كانت العيينة أول مكان يحقق الشيخ فيه أهدافه ولكن عثمان بن حمد لم يستطع أن يظل على حمايته للشيخ كما سترى فيما بعد ، فنصح الشيخ بترك العيينة ، فانتقل منها إلى الدرعية ، كما سنرى عند الحديث عن الشيخ ودعوته .

وفي سنة ١١٦٣ قتل عثمان بن حمد رئيس العيينة ، وتولى مشاري ابن معمر رئاستها .

وفي سنة ١١٦٤ أغار عبد العزيز بن محمد بن سعود ومسارى بن معمر رئيس العيينة على أهل سر마다 مرة أخرى وحدث قتال بين الجانبين هزم فيه أهل سر마다 وسمى هذه الواقعة وقعة « الوطية » والوطية موضع بين سر마다 ومراة . وقد ذكر ابن غمام وابن بشر أن هذه الموقعة حدثت في سنة ١١٦٣ هـ .

- ٨٩ -

وقد ظلت العبيينة بعد ذلك وثيقة الصلة بالحركة السعودية ، وشديدة الولاء لها حتى قامت المملكة العربية السعودية في عهد البطل عبد العزيز ابن عبد الرحمن •

من فضائل العبيينة وعلوئها :

كانت العارض منطقة تردهى بالعلماء والفقهاء ، ومن العلماء المشاهير بها أسرة الإمام محمد بن عبد الوهاب الذين ورثوا العلم كابرا عن كابر ، والذين تولوا مناصب القضاء ، الفتوى في أكثر بلاد العارض ، قبل الشيخ وبعده ، وكان منهم أبو الشيخ الذى تولى القضاء في العبيينة وفي حريملاء ، ومنهم الشيخ الذى ارتفع صوته بالمعرفة في حريملاء والعبيينة والدرعية ، ومنهم أولاد الشيخ وأحفاده ومريدوه وهم كثيرون تولوا أكثر المناصب الدينية في بلاد العارض قبل المملكة العربية السعودية . وفي ربوع المملكة بعد قيامها ، ونذكر منهم الشيخ حسن بن محمد بن عبد الوهاب وأبناءه وأحفاده الذين ازدهروا في موقع كثيرة بالدولة ، والشيخ حسين ومن أبنائه علماء مبرزون كذلك .

ومن علماء العارض أيضاً الشيخ سليمان بن موسى الباهلى والشيخ محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله من المشارفة ، والشيخ محمد بن علي ابن عيد ، والشيخ موسى بن عامر قاضي الدرعية .

فإذا جئنا إلى العبيينة وجدنا مجموعة من قمم العلماء والفقهاء تردهى بهم ، منهم الشيخ ابن عفالق قاضى العبيينة الذى توفي بها سنة ١٠١٩ ، ومنهم الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب قاضى العبيينة الذى أخذ الفقه عن الشيخ منصور البهوقى ، والشيخ أحمد بن محمد بن بسام ، وقد توفي سنة ١٠٥٩ .

ومن علماء العبيينة كذلك الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله سالف الذكر الذى كان مريداً لأبيه ، ووارثاً لعلمه وفضله وكان أستاذًا لجامعة من العلماء منهم الشيخ سيف بن عاز ، وتوفي سنة ١١٢٥ .

- ٩٠ -

ومنهم الشيخ العلامة سليمان بن على القمي الذي توفي بالعيينة
سنة ١٠٧٩

ومنهم الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ سليمان بن على قاضى العيينة
الذى عزله خرافاش رئيس العيينة سنة ١١٣٩ ، وقد انتقل عقب ذلك من
العيينة الى حريملاه

ومنهم الشيخ احمد بن عبد الله بن عبد الوهاب الذى عينه خرافاش
قاضيا عقب عزله للشيخ عبد الوهاب بن سليمان سالف الذكر

وهناك كثيرون غير هؤلاء من العلماء والمفهاء الذين كانوا ينتقلون
قضاء وعلماء بين بلدان العارض

مدينة حائل عاصمة جبل شمر ، ومن هنا كان من الأوفق أن نبدأ بالحديث عن جبل شمر لنعرف به ، وبعد ذلك ننتهي متحدثين عن حائل .

و جبل شمر يقع شمال نجد و الى الجنوب من صحراء الفوفود ، وهو يتكون من سلسليتين متوازيتين من الجبال هما «أجا وسلمى» جبالاطئي، ويتجه الجبلان من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ، وفي جبل شمر توجد منابع عديدة للمياه تستخدم في أرض السهل الخصبة التي تتمو بها شتى أنواع المزروعات ، وبخاصة النخيل ، كما تهطل على الجبل أمطار غزيرة في الشتاء ، فتكثر المراعي التي ترتدادها الخيول والتي يشتهر بها الأهلheim فضلا عن الإبل والغنم (١) .

و (شمر) أحد أجداد العرب في الجاهلية ، وهو ابن أيد بن خزيمة من طى" ، واليه ينتمي هذا الجبل ، اذ يعيش بطن من بطون شمر في هذا الجبل منذ أمد طویل . وهناك بطون أخرى من هذا الجد تعيش في العراق وفي سوريا .

وتتحدث Lady Anne Blant عن هذا الجبل فتصفه بأن منظره رائع وأنه سلسلة طويلة بد菊花ة تمتد من الشرق إلى الغرب ، وبه عدة قمم شاهقة متميزة عن السلسلة الرئيسية ، وهو يذكر من رأه بأروع الجبال في إسبانيا المسمى « جودا راما » (٢) ومنظر الجبل يفوق الوصف ، فهو سهل كامل الاستواء يتدرج في الارتفاع ، وتنبع منه صخور وتلال كأنها جزر في محيط ، وبعض صخوره قرمذية اللون شاهقة ، تتشعّش على الجميع ، وهي تهدى من يقصد جبل شمر قبل أن يصله بعده أيام ، ومعالم جبل شمر لها روعة غريبة ، والارتفاعات به تكون ذراً وقديماً تاركة بينها

(١) احمد عطية الله : القاموس الاسلامي ج٤ ص ١٤٢ .

^{٢)} آن بلنت : رحلة الى نجد ١٦٩ .

- ٩٢ -

كوى تستطيع من خلالها أن ترى السماء ، وبعض صخوره كانت على شكل جمل ، وهي تخدع أي شخص لا يعلم أن الجمال ليس في استطاعتها أن تتسلق تلك القمة .^(١)

وقد سبق لنا أن ذكرنا أن ولفريد زوج الرحالة ليدي آن بلنت قال عندما رأى جبل شمر إنه يموت الآن سعيدا لأنه رأى هذا المنظر البديع الذي ليس هناك مكان آخر يشبهه إلا أن يكون جبل سيناء .

وأهل البلاد في جبل شمر « حائل » العاصمة التي ستقصد عنها فيما بعد ، و « فيد » التي تقع في جنوب حائل و « قفار » وهي بلدة في الجنوب الغربي من حائل ، ثم قتنا وعقدة وتيماء ، ولدينا معلومات ذات بال عن البلدان الثلاثة الأخيرة ينبغي أن نوردها هنا لمزيد من التعريف بالمنطقة :

« قتنا » قرية صغيرة جميلة شهد بباب جبل شمر المن يأتي عبر صحراء النفود ، وبها حقول خصبة ، تزرع بها الحبوب وتكثر الأشجار .

« عقدة » تقع على بعد عدة أميال من حائل ، وكانت قلعة حصينة في الجبل ، وقد اختير لها مكان تحضيره القوى الطبيعية ، وأضيفت لها ألوان من التحسينات التي صنعها الإنسان ، وعقدة عبارة عن مجموعة من قرى منتشرة في مزارع النخيل في الجنوب الغربي من حائل ، ومن هذه القرى قرية الروضة وغزالة المستجدة .

وتيماء واحة كبيرة في الشمال الغربي لنجد ، وأرضها خصبة صالحة للزراعة ، وبها أشهر عين ماء في بلاد المغرب ، وقد عثر بها على نقوش يُظن أنها من القرن السادس قبل الميلاد وتنسب إلى (تيماء) أحد أبناء اسماعيل وتقع تيماء في منخفض من السهل المرتفع ، ولتيماء مكان مهم في

التاريخ الإسلامي ، إذ كانت أحدي قرى اليهود في الشمال من المدينة ، وقد كونت هي وبلدان اليهود الأخرى في وادي القرى وفടك وخبير خصماً عنيداً للإسلام والمسلمين ، وقدم هؤلاء مساعدات لمن حاصروا المدينة في غزوة المخندق ، ولذلك نجد الرسول يزحف على تلك المنطقة في العام السابع للهجرة ، بعد أن تم صلح الحديبية بينه وبين قريش ، وحاصر المسلمون خبير ، فتساقطت حصونها ، واستسلام أهلها واتفاق معهم المسلمين ، اتفاقاً سمحاً ، فقد تركهم الرسول بزرعون الأرض ، ولهم شطر الزرع والثمار نظير عملهم ^(١) ، وعقب سقوط خمير طلب يهود فدك الصلح فصالحهم الرسول على نصف التمر ونصف الأرض ، أما يهود وادي القرى وتيماء فقد حاربوا المسلمين ، ثم حلت بهم الهزيمة ، وبعد ذلك تركهم المسلمون على نظام خمير ^(٢) .

وفي عهد عمر بن الخطاب عندما تقدمت جيوش المسلمين إلى الشمال رأى عمر أنه ليس من الحكمة أن تكون جيوش المسلمين بين عدوين : الروم في الشمال واليهود في الجنوب فأخرجهم من الجزيرة العربية ، على أن يحملوا ما يستطيعون حمله ، وأن يدفع المسلمون ثمن أي مtau لا يحملونه معهم ^(٣) .

ونجيء الآن إلى حائل العاصمة لنروى ما يمكن من حديث عنها :

تقع حائل على مرتفع هائل بجبل شمر إذ يبلغ ارتفاعها عن مستوى سطح البحر حوالي ٣٥٠٠ قدم ، وهى تقع على الطريق الصحراوى الذى يربط الحجاز بالعراق وأيران وببلاد الشرق ، وعلى هذا فهى تقع على طريق مطروح وبخاصة فى موسم الحج ، ومن هنا كانت مركزاً تجارياً مهماً بين الشرق والغرب كما أن هذا الموقع ضمن لها ولضواحيها ربا

(١) أبو عبيد : الأموال ص ٩ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٧ .

(٣) انظر الجزء الأول من هذه الموسوعة .

— ٩٤ —

طيباً فقد كان كثير من الحجاج يشترون منها الماعز والخراف التي يقدمونها هدياً في حجتهم ، ففي موسم الحج كان الرعاعة يفدون إلى حائل بقطعانهم لبيع بعض ما شيتهم إلى حاج الفرس والعراق ، كما كانوا يفدون ليعملوا على تسهيل مهمة الحجاج وتقديم بعض الخدمات اليهم .

وبالإضافة إلى موقعها الذي جلب لها أقواماً من الثراء عن طريق التجارة والقوافل فإن مدينة حائل تقع في منطقة خصبة تجود فيها بساتين التفاح والتين والرمان والتفاح ، وتحيط بها حقول واسعة يزرع بها الشعير والقمح والخضر ، وفي الجنوب الشرقي من حائل تكثر بساتين التفاح والرمان والليمون الحلو والتارنج والبرتقال والتفاح والبرقوق والمياه الازمة لهذه البساتين تستخرج من آبار عمقها حوالي ٩٠ قدماً ، وفي شمال المدينة توجد مزارع التفاح .

ويتحدث ياقوت عن حائل فيذكر أنها موضع باليمامة ، وهو وادٌ أصله من الدهماء ، ويستمر ياقوت متحدثاً عن حائل بما يفيد أنها كانت دائماً بلاد الزهر والخير ، فيذكر أن بدويها من حائل ذهب إلى « الحضرة » ولكن سرعان ما اشترى إلى حائل وحن إليها وقال فيها قصيدة رائعة منها :

لعمري لنور الأقدح وان بحائل
ونور الخزامي في الاء وعرفج

أحب اليها يا حميد بن مالك
من الورد والنعومي ودهن البنفسج (١)

وكانت حائل في هذا المكان التجاري المزدحم من جهة المشاهق النائية من جهة أخرى محمية بموقعها وبطولات أهلها ، فان استقلال حائل واستقرارها كانا يعودان بالخير والبركة على جميع السكان بقُرْبِي جبل

(١) معجم البلدان : ج ٣ ص ٢٠٥ .

- ٩٥ -

شمر ، الذين ذكرنا من قبل أخبار وفادتهم على حائل متاجرين أو عاملين . وعلى هذا لم تكن القرى المجاورة لحائل منافسة لها بقدر ما كانت تابعة ، ولا كانت حائل هدفاً لهجمات ذات بال من الخارج بسبب هذا الموقع ، وهذا الوضع قلل الصراع حولها ، ذلك المصراع الذي رأيناه مستمراً دون توقف في عنزة ومثيلاتها .

وتشتهر حائل بخيولها الأصيلة ، وقد كانت هذه الخيول تمثل السبب الذي دفع الرحالة آن بلنت ل تقوم برحلتها إلى بلاد نجد إذ كانت هذه الرحالة مهتمة بتربية الخيول العربية ، وكانت تملك مزرعة بها حظيرة حائلة بأمهر الخيول ، وقد تحدثت في كتابها عن خيول آل الرشيد ، وأبرزت أن في حائل مجموعة ممتازة من الخيل ، وأن ابن الرشيد كان يعني بهما أحسن عنایة ، حتى انه كان يذهب بخيوله كل ربيع إلى الصحراء لتعيشن في الهواء المطلق ، ولتمارس تدريساً دقيقاً على السرعة والكر والفر ، وفي خلال الصيف كان يترك أكثر خيوله مع القبائل لاستمرار التدريب ولا يبقى معه في حائل إلا القدر اللازم للاستعمال في المدينة .

وسنرى فيما بعد أن خيول آل رشيد كسبت لـه بعض الجولات العسكرية ، وحققت النصر لجانيه .

وقد دخلت حائل فيما دخلت فيه مناطق نجد فأصبحت جزءاً من دولة آل سعود الأولى ، وعيّن آل سعود عبد الله بن الرشيد أميراً على حائل ، فلما سقطت الدولة السعودية الأولى وجاءت الدولة السعودية الثانية بما فيها من اضطرابات وقلائل أُعلن عبد الله بن رشيد استقلاله بجبل شمر ، بل أخذ يوسع سلطاته حتى أصبح آل الرشيد هم أصحاب السيادة على أكثر ربع نجد معظم القرن التاسع عشر كما سنرى فيما بعد .

و سنذكر فيما يلى بعض الأحداث التي اشتراك فيها حائل ، حتى نصل إلى مطلع المملكة العربية السعودية .

مطلع عهد آل الرشيد :

في سنة ١٢٩٤ هـ حمل محمد بن عبد الله بن على الرشيد راية المغزو مستقلًا بها عن متابعة آل سعود ، وهو أول من حملها مستقلًا بها من بيت آل الرشيد وكان قبل ذلك أميراً في حائل تابعًا لآل سعود خلال دولتهم ثم اتجه بعد حمل راية الاستقلال إلى غزو باديمية عتيقة ، وهذا الوضع فتح الباب لم ráء بيده وبين آل سعود ^(١) .

وفي سنة ١٣٠٠ هـ حدث أول قتال بين آل سعود وآل الرشيد وقصة ذلك أنَّ الامام عبد الله بن فيصل خرج من الرياض لغزو المجمعة فنزل على عربان عتيقة في الحمادة المسماة « أم العصافير » ولما علم بذلك أهل المجمعة أرسلوا إلى محمد بن عبد الله الرشيد يستجدونه فتجهز لذلك وخرج في أهل حائل ، ومعه قبيلة شمر ، وانضم إليه حسن بن مهنا رئيس بريدة ومن معه من أهل بريدة ، والتقي الجمعان في « أم العصافير » واقتتلوا ، فانهزم الامام عبد الله بن فيصل ، وقتل منهم خلق كثير من المشاهير منهم تركي بن عبد الله بن تركي ، وفهد بن سويف ، وفهد بن سلطان ، وفهد بن عشيان والشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد الله بابطين ، ورجع الامام عبد الله إلى الرياض ، وأقام محمد الرشيد في الحمادة عدة أيام ، وأحضر رؤساء بلدان الوشم وسدير وعيَن في كل بلد من بلدائهم أميراً ، ثم رجع إلى بلاده ، وبهذه الموقعة امتدت أطماع محمد بن الرشيد إلى الاستيلاء على جميع بلدان نجد ، وكان سلطان آل سعود آنذاك يتوجه إلى الضعف .

وفي سنة ١٣٠٣ خرج أولاد سعود بن فيصل (محمد وسعد وعبد الله) على عمهم عبد الله بن فيصل ، أمير الرياض وقبضوا عليه وسجنهو وبالنبع ذلك محمد بن عبد الله بن رشيد ، فانتهز هذه الفرصة ليمند نفوذه إلى الرياض عاصمة آل سعود ، فأنظهوا الإنكار والسبط على أولاد سعود لاعتدائهم على عمهم ، وتجهز وقصد الرياض ، ولما قرب منها تلقاه وفده

(١) الشيخ محمد بن عبد الله الانصارى : تحفة المستفيد ص ١٧٦ وما بعدها

— ٩٧ —

من أهلها على رأسهم الامام عبد الرحمن بن فيصل (والد جلاله الملك عبد العزيز) وفلاوض الوفد ابن الرشيد لمعرفة قصده ، فأخبرهم أنه جاء لتخلص الامام عبد الله من السخط فقط ، ولما عرف أولاد سعود ذلك ، وعلموا من أنفسهم العجز عن مقاومته ، خرجوا اليه ، وطلبو منه الإمام لأنفسهم ، فأمّن لهم ، فخرجوا من الرياض الى الخرج ، ودخل محمد بن عبد الله الرياض ، وأطلق عبد الله بن فيصل من السجن ، وبعد ذلك بأيام خرج من الرياض ومعه الإمام عبد الله وعبد الرحمن ابنا فيصل ، وعشرة آخرون من آل سعود ، ورجع بهم الى بلده ، وجعل سالم السبهان أميرا له في الرياض ٠

وقد قام أولاد سعود الذين سبق الحديث عنهم بآلوان من المهمات ضد ابن رشيد ، واتخذوا من الخرج مركزا لهم ، ورأى ابن الرشيد ان يتخلص منهم ، فأوعز الى سالم السبهان أمير الرياض بأن يهاجمهم في غلطة منهم ويقضى عليهم ، ففعل سالم ذلك ، وعندما ضج أهل نجد لهذه الخيانة ، تظاهر ابن رشيد باستكثارها وعزل سالم السبهان عن الرياض ، وجعل مكانه فهد بن رخيص وهو من أهل حائل ٠

وفي سنة ١٣٠٧ ذهب ابن رشيد حيلة للتخلص من زعماء آل سعود الموجودين عنده ، فيقال انه قدم القهوة وفيها شيء من السم بطيء النتائج للإمام عبد الله بن فيصل وأخيه عبد الرحمن ، وقد استطاع عبد الرحمن أن يحس بذلك فتخلص من هذه القهوة ، ولكن عبد الله شرب القهوة فبدأ السم ينساب في جسده ، وأراد ابن الرشيد أن يخفى هذا فسمح للإمامين بمعادرة حائل الى الرياض ، ولم يكن يعرف أن عبد الرحمن لم يشرب القهوة المسمومة ، وكان يريدهما أن يموتا بعيدا عنه ، وسرعان ما توفي الإمام عبد الله في الرياض ^(١) ٠

(١) المرجع السابق ص ١٧٧ - ١٧٨ ٠

ولم يقنع ابن الرشيد بذلك ، بل أراد أن يقضى على البقية الباقيه من آل سعود بنفس الطريقة المغادرة ، وكان سالم السبهان خير معين له في ذلك الاتجاه ، فأعاده إلى امارة الرياض وأواعز إليه أن يقضى على زعماء آل سعود ، وببدأ سالم يدب المكيدة لذلك ، ففي يوم عيد الفطر أرسل سالم للامام عبد الرحمن يخبره أنه يريد في زيارة آل سعود للتهنئة بالعيد وطلب منه أن يجمع أفراد الأسرة في قصره لهذا الغرض ، إذ يتذرع عليه أن يزور كل واحد في مقره ، ففطن الامام عبد الرحمن لاتجاه الغدر ، وأمر رجال آل سعود أن يحضروا بسلاحيهم وأن يكونوا على حذر ، ثم جاء سالم السبهان بأعوانه وهم مدججون بالسلاح ، وبعد قليل بدرت من سالم بوادر الغدر فهب السعوديون للدفاع عن أنفسهم ، وتغلبوا على جماعة سالم ، وأسروه هو نفسه ، وأودعوه السجن ، وعادت امارة الرياض للامام عبد الرحمن .

ولم يسكت ابن الرشيد على هذا النصر الذي أحرزه السعوديون ، فزحف بجيشه إلى الرياض ، وتحصن أهل الرياض بمدينتهم ، وفي الوقت نفسه كان أهل القصيم قد غضبوا على آل الرشيد ، وكتبوا للامام عبد الرحمن أنهم على استعداد لمناصرته ، وعلى هذا أحسن ابن الرشيد بضعف موقفه فطلب المفاوضة ، وخرج له زعماء آل سعود ، وتم الصلح على أن يكون العارض وما حوله تحت سلطة الامام عبد الرحمن ، وأن يطلق آل سعود الأمير سالم السبهان ، وتم ذلك ورجع ابن الرشيد إلى بلده .

وقد سبق أن ذكرنا أنه كان هناك تعاون بين محمد بن عبد الله الرشيد وبين أمير بريدة حسن بن مهنا ، وكان ابن الرشيد قد طمع في أن تكون علاقة بريدة به علاقة تبعية لا علاقة تحالف ، بل اتسعت أطماعه فأراد خصم القصيم كله إليه ، ولم يكن أهل القصيم يريدون ذلك فتجمعت جيش من أهل بريدة بقيادة حسن بن مهنا ، ومن أهل عنزة بقيادة زامل المسلمين ، والتقى هذا الجيش بجيوش ابن الرشيد في المليدا ، وقامت حرب ضروس

بين الجماعتين لعبت فيها خيول جيش حائل دورا هائلا ، فتحقق النصر لابن الرشيد ، وقتل زامل السليم ، وعاد حسن بن مهنا الى وطنه بعد هذه الموقعة ، ويقال انه قُتل من أهل القصيم في هذه المعركة ألف رجل . وقد جيء بحسن بن مهنا الى ابن الرشيد فأرسله الى حائل وسجن هناك ، واستولى ابن الرشيد بذلك على القصيم .

وكانت هذه الموقعة شديدة الأثر على السعوديين في الرياض فإن عبد الرحمن بن فيصل خرج منعارض ليساعد أهل القصيم ، ولكن خبر الهزيمة قابله فتراجع الى الرياض ، وتفرق جنده ، ولكنه أدرك أن ابن رشيد سيتابعه الى الرياض فخرج عنها الى بادية العجمان ^(١) .

وتم استيلاء ابن رشيد على الرياض وعلى بادية نجد سنة ١٣٠٨ .

وفي سنة ١٣٠٩ حاول عبد الرحمن بن فيصل محاولته الأخيرة ضد آل الرشيد ، وكان يساعدته ابراهيم بن مهنا وجند كثيرون ، وقصدوا مدينة الرياض ، ولكن ابن الرشيد خرج من حائل بحشد كبير من الجندي والنقي بهؤلاء عند حريملاه وهزمهم ، وقتل ابراهيم بن مهنا ، ودخل الرياض ، وهدم سورها ، وأحس أن الأمر قد استقر اليه .

أما الامام عبد الرحمن فقد أمضى فترة متعددة بين قبيلة العجمان وبين قطر والاحساء وانتهى به الأمر الى اللجوء الى الكويت .

وفي سنة ١٣١٥ توفي الأمير محمد بن على بن عبد الله بن رشيد في حائل ، وتولى بعده ابن أخيه عبد العزيز المتعب ويقول عنه الشيخ محمد عبد الله الانصارى ^(٢) : انه كان شجاعاً قاسياً لا يعرف من السياسة إلا القهر والغلبة ، فطمع في الاستيلاء على الكويت التي تحمى آل سعود ، وقد نتج عن هذا أن قامت سنة ١٣١٨ محاولة سعودية كويتية لاسترداد

(١) الشيخ ابراهيم بن صالح : ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) تحفة المستفيد ص ١٩٤ .

الرياض ، واسترداد مدن القصيم ، وقد حقق أمير الكويت نصراً مبدئياً على جند ابن الرشيد ، وانتصر الإمام عبد الرحمن على أمير الرياض من قبل ابن الرشيد ودخلها ثم ترك بها ابنه عبد العزيز (الملك عبد العزيز فيما بعد) وذهب لينضم إلى جيش الكويت ولكن الأمير عبد العزيز بن الرشيد علم بذلك فسار بجيش كبير ، وحقق نصراً في مناطق القصيم وأنهى أمير الكويت الإمام عبد الرحمن بن فيصل ، وجاء خبر الهزيمة إلى من بالرياض من آل سعود فخرجوا منها ، ولجأوا إلى الكويت مرة أخرى ٠

وفي العام التالي (١٣١٩) اندفع البطل عبد العزيز فاحتل الرياض وقتل الأمير عجلان أمير الرياض من قبل آل الرشيد ، وببدأ نجم السعوديين في التألق وراح نجم آل رشيد يتوجه إلى الأفول كما سُرِّي فيما بعد ٠

وهكذا بدأ دور حائل في الصراع بنجد متأنراً ، ولكنه عندما بدأ كان عندها وطموحاً ، وسنعود لدراسته فيما بعد عند الكلام عن آل الرشيد ٠

وهكذا نقر ونكر أن (نجد) في أكثر تاريخها كانت تتكون من وحدات سياسية مستقلة تماماً ، وبعض هذه الوحدات كان يتمثل في القبائل التي تقيم حول آبارها خلال شهور الصيف ، ثم تبدأ تجوالها مع سقوط المطر لترعى ما ينجم عن المطر من عشب ، وتحوال القبيلة يكون في نطاق محدد لا تتعداه ، وتعرف الأرض الخاصة بكل قبيلة بالديرة ٠

وبعض هذه الوحدات يتمثل في المدن الموجودة في الأودية والتي يظهر فيها الاستقرار البشري ٠

والقبيلة التي تستقر وترحل من جانب ، والمدينة بأحد الأودية من جانب آخر ، تلفها الصحراء الفسيحة ، وتتکاد تكون منقطعة عن غيرها ، ومن هنا كانت تكوّن وحدة سياسية مستقلة تماماً ، فتاريخ نجد قبل المملكة

- ١٠١ -

العربية السعودية هو تاريخ هذه القبائل وتلك المدن التي أعطينا
نماذج لها .

وكانت الغارة والنصر والهزيمة هي أسلوب الحياة ، ومن هنا لم تقم
مع القبائل ، ولا في المدن حضارات ذات بال ، وأشعة النور بها كانت
منحصرة في الفقهاء الذين يتعلمون العلوم الدينية ، ثم يعلمون ما تعلموه
في دورات لا تختلف من ناحية الفكر أو المنهج ، وقد تحدثنا عن كثيرين
منهم .

وإذا كانت القبيلة أو المدينة هي الوحدة السياسية بوجه عام كما
ذكرنا ، فإن هناك نوعين آخرين من الحكم والسيادة ظاهراً في نجد من حين
إلى حين ، وقد أشرنا لهما من قبل ^(١) وهم :

— زحف من الداخل تقوم به قبيلة أو مدينة وتسقط على مناطق
أخرى أو مدن أخرى .

— نفوذ أو زحف من الخارج يمتد إلى نجد من شرقى الجزيرة أو
من غربها .

وقد آن لنا أن نتكلّم عن هذين النوعين بشيء من التفصيل .

- ١٠٢ -

٢ - زحف من الداخل

تحدثنا آنفاً عن الحياة المستقلة التي كانت تعيشها القبائل المرحل أو المدن بدرجات ، وكانت القبائل على كل حال أكثر ميلاً للحرب وأكثر عدداً من سكان المدن ، وأكثر قدرة على قطع الصلات بين سكان المدن وبين العالم .

وسكان المدن كانوا في حاجة للاتصال الخارجي لبيعهم انتاجهم وليشتروا ما يلزمهم ، ولذلك اتفقت كلمتهم في الجاهلية على تحريم الغارات وال الحرب خلال الأشهر الحرام ^(١) ، وجرى عرفهم بعد ذلك على أن سكان المدن يتلقون مع عاهل بدوى واسع النفوذ في قبيلته وفي «المديرة» على أن يضمن لهم السلامة داخل حدود دائرته ، وتندفع المدينة أتاؤه (الخواقة) نظير ذلك ، ويحصل هذا عندما تكون هذه القبيلة قوية ، نفوذها واسع ، وحدود هذا النفوذ تبلغ مئات الأميال ، وتضم مدناً كثيرة على هذا النسق ^(٢) .

ذلك نوع من النفوذ الداخلي ، ولعل هدفه طيب ، ولكن هناك أنواع من النفوذ هدفها السيطرة من قبيلة على قبيلة ومن مدينة على مدينة ، ومن هذا زحف آل الرشيد الذي تحدثنا عنه من قبل ، ومنه كذلك زحف آل سعود في دولتهم الأولى والثانية ، إذ لم تكن الدعوة الإصلاحية قد اختارت في النفوس واتضحت أهدافها الإصلاحية ، فاعتبر الزحف السعودى في خلال هاتين الدولتين وبسبب سوء فهمه لوناً من الألوان التي ألفتها نجد في هذا المجال .

على أن الزحف الرشيدى والزحف السعودى خلال هاتين الدولتين لم يكونا دولة بالمفهوم العلمي المعروف ، وكل ما كان يفهم به هو نوع

(١) انظر الكلام عن الأشهر الحرام في الجزء الأول من هذه الموسوعة ص ١٢٢ وفي الطبرى ج ٢ ص ١٥ .

(٢) انظر رحلة إلى نجد للرحالة آن بلنت ص ٢٠٨ .

— ١٠٣ —

من الاعتراف بالسلطة السعودية أو الرشيدية ، وتدخل الحكم السعودي أو الرشيدى في اختيار رئيس المدينة أو القبيلة وهو في الغالب من أهلها المولى للحكم الجديد ، ودفع الاتواة لآل سعود أو آل الرشيد ، وفيما عدا ذلك فالقبيلة أو المدينة تعيش حياتها الاستقلالية .

والزحف السعودي ومن بعده الزحف الرشيدى كانوا يتوجهان للاستيلاء على نجد كلها تقريريا ، ولكن كان هناك زحف آخر لا يتوقف تقوم به مدينة على مدينة ، ومن هذا النوع نذكر بضعة أمثلة :

في سنة ١٠٩٧ استولى عبد الله بن معمر رئيس العيينة على بلدة « العمارية » وقد تسبب عن هذا أن هبت حرب بينه وبين أهل الدرعية الذين جاءوا لمساعدة العمارية ، وقد سبق أن ذكرنا ذلك (١) .

وفي سنة ١١٣٣ استولى أهل حريماء على بلدة « ملهم » (٢) .

في سنة ١٠٩٧ استولى عبد الله بن معمر رئيس العيينة على بلدة « جلاجل » على بلدة « روضة سدير » وعلى منزلة آل أبو هلال ، ومنزلة آل أبو سليمان ، ومنزلة آل أبو سعيد (٣) ، وأخرج العبيد من حوطة سدير ، وأسكن فيها أهلها آل أبو حسين من بنى العنبر ، وكانوا قد جلوا عنها (٤) .

وهنالك نماذج كثيرة من هذا النوع يقابلها الباحث دون عناء ، فقد كانت هذه الحالة هي شريعة نجد قبل قيام المملكة العربية السعودية .

(١) انظر ص ٨٦ من هذا الكتاب .

(٢) (أبو) تستعمل مرفوعة في المراجع في جميع الأحوال .

(٣) الشيخ ابراهيم بن صالح : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ٨٩ و ٩٤ .

- ١٠٤ -

وينبغي أن يتضح أن هذا الزحف لم يسقطر غالباً ، فكثيراً ما كان يواجه بهقاومة تقضى عليه ، وأحياناً تجعل الغالب مغلوباً ٠

وينبغي كذلك أن يتضح أننا نقصد هنا الزحف الذي يتطلع للاستقرار والسيطرة ، أما الزحف الذي يرمي إلى السلب والنهب دون محاولة استقرار فهو عمل كان كثير الوقوع بسببه وبين دون سبب في مختلف الأرجاء بمبادرة نجد وقد تحدثنا عنه من قبل ٠

٣ - زحف من الخارج على نجد

تحدثنا من قبل عن القبائل والمدن في نجد وقلنا ان كلا منها كانت تتكون وحدة سياسية مستقلة ، وان العلاقات بينها كانت علاقات عدوانية ، والى الشرق من نجد والى الغرب منها قامت قوى أقرب ما تكون الى الدولة سواء كان ذلك في منطقة الأحساء أو في الحجاز ، فقد كانت هنا وهناك جبيوش وعتاد وادارة ، مستقلة أو تابعة لقوة أعظم ، وشهد التاريخ ألوانا من الزحف على نجد من الشرق ومن الغرب ٠

ولم يكن هذا الزحف يرمي الى ضم مناطق نجد الى الشرق أو الغرب ، فليس ذلك بمستطاع بسبب الصحراء الفسيحة التي تحبط بكل مدينة وبكل قبيلة ، مما يجعل تكاليف هذه المحاولة غالياً الثمن وليس هناك فائدة تدعوا لها ، وعلى هذا كان الهدف من حملات الشرق والغرب على نجد ينحصر في أمرتين :

١ - التهديد حتى لا تحاول قوى نجد أن تقوم بأعمال ضد سيادة النظم بالشرق أو الغرب ٠

٢ - التبعية العامة ودفع إتاوة كانت تسمى الزكاة غالباً وقد تسمى خراجاً أو إتاوة ، وتكون نقداً أو حاصلات عينية ٠

أما الحكم السياسي للمدينة أو القبيلة فيظل - كما ذكرنا من قبل - بالاعتراف بشيخها أو بتعيين شيخ آخر منها يكون أكثر استجابة للتعاون مع الغزاة ، ولم يحصل أن حكمت هذه المدن أو القبائل حكماً مركرياً ، وما كان ذلك ممكناً ٠

ويلاحظ أن أطماء الشرق كانت مبكرة عن أطماء الغرب اذ قام بالشرق طيلة القرون الهجرية الأولى قشّي علا شأنها وعظمت قوتها في بعض الأحيان كالخوارج وبني الأخيضر والزنج والقرامطة ، وكان لهؤلاء أطماء في نجد بل أحياناً أطماء وصلت إلى الحجاز عبر نجد ، أما الحجاز

- ١٠٦ -

في الغرب فكان تابعاً لمصر منذ عهد الأشخسيدين ولم يكن لولاته أطماع في نجد، فلما تمكن نفوذ الأشراف في المعهد العثماني، بدأ هؤلاء الأشراف ينطليون على نجد في النطاق الذي شرحته من قبل.

وستتحدث فيما يلى عن زحف على نجد من الشرق، ثم عن زحف مماثل من الغرب.

زحف على نجد من الشرق :

كانت بلاد الأحساء منطقة مهمة لاتصالها بالخليج الذي كان يمثل منطقة اقتصادية هائلة، ولا تصالها كذلك ببلاد فارس على الجانب الآخر من الخليج، وقد قامت في منطقة الأحساء دول كبيرة شديدة الأطماع، وقد امتد نفوذها إلى مناطق متعددة في الجزيرة العربية وخارجها، وكانت نجد من أهم الأماكن التي تطلع لها حكام الأحساء ليضمّنوا ولاءها، أو ليحثّوا أبطالها على مشاركتهم في الغارات التي كانوا يقومون بها. وستتدارس فيما بعد منطقة الخليج، ونتحدث عن نشاط الدول التي قاتلت بها، ونكتفى هنا بلمحات عن زحف دول الأحساء على نجد.

لقد تطلع الخوارج إلى نجد واستطاع النجادات أحدي فرق الخوارج أن يستولوا على اليمامة، وأرسل نجدة سريعة إلى « الخط » فظفر بأهلها، وامتد نشاط الخوارج بوادي نجد وأخذ نجدة الصدقة من أهلها ووصل في زحفه إلى الطائف.

وبعد نجدة سار أبو فديك في هذا الاتجاه كما سار فيه مسعود العبدى الذى استطاع أن يستولى على اليمامة^(١).

أما بنو الأخيضر فقد ظهروا في الحجاز بقيادة محمد بن يوسف في منتصف القرن الثالث الهجرى، فحاربهم العباسيون وهزموهم، ففروا

(١) الكامل : ابن الأثير ج ٤ ص ٢٨ .

— ١٠٧ —

إلى اليمامة وملوكها ، ومن اليمامة مدوا نفوذهم إلى بعض النواحي في نجد ، وظلوا يحكمون هذه المناطق في المدة من سنة ٢٥٣ هـ إلى سنة ٣١٧ هـ ونشروا بها مذهب الشيعة الذي عاش بتلك البقاع فترة طويلة ^(١) .

وعندما قامت دولة الزنج في هجر انسابت للمنطقة كلها تقربياً ، وكانت لها تطلعات في نجد وسواها ، ولكنها لم تحقق ما حققه الخوارج قبلها ولا القرامطة بعدها .

أما القرامطة فقد اتسع نفوذهم في مناطق كثيرة بني جد ، ووصل هذا النفوذ إلى أرض الحجاز واستطاع هؤلاء أن يأخذوا الحجر الأسود من مكة وأن ينقلوه إلى عاصمتهم بالخليج ، وقد اتسع نطاقهم اتساعاً هائلاً ، فلم يتوقف عند نجد ، وإنما امتد إلى دمشق وحماء ومعرة النعمان وبعلبك .

وعندما قامت الأسرة العيونية بالبحرين تطلع كثير من أمرائها إلى نجد وكان بعض أمرائها شديدي الاهتمام بالبراري لتعقب المفسدين ، والضرب على أيدي الأعراب ، كما كان منهم من امتد نفوذه إلى نجد تماماً مثل الأمير محمد بن أحمد بن عبد الله وستشسله أحاديثنا فيما بعد .

وإذا قفزنا فترة الاحتلال الفارسي والمغولي في البحرين ووصلنا إلى القرن السادس عشر ، وجدنا محاولات واضحة لزحف على نجد من الأحساء ، فإن العثمانيين الذين غزوا منطقة الأحساء في القرن السادس عشر لم يأبهوا في بادئ الأمر بالجزيرة العربية ، ولكنهم سرعان ما التجهوا لها وحاولوا تعميق نفوذهم في أهم مناطقها ^(٢) ، وأصبح ذلك دستور السياسة في منطقة الأحساء ، أي أن يتطلع حكامها إلى مد نفوذهم إلى نجد ، وسنرى فيما يلي نماذج من زحف قادة الأحساء إلى نجد .

(١) دكتور منير عجلانى : تاريخ المملكة العربية السعودية .

(٢) جون فيليبى : دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب ص ٧ .

— ١٠٨ —

ففي سنة ١٠٨١ غزا براك بن غرير الخالدي رئيس الحسا والقطيف
بلاد نجد وعين لها ولاة من قبله •
وفي سنة ١٠٨١ عين سلامة بن صويط رئيساً لبوادي الظفير •

وفي سنة ١٠٩٨ أغار محمد آل غرير صاحب الأحساء على منطقة
سبيع في العارض وانتصر على سكانها ، وفي السنة التالية نزل هذا منطقة
الخرج وحارب آل عثمان رؤساء الخرج حرباً شديدة ، ولكتهم صالحوه
فرجع عنهم •

وفي سنة ١١٢٦ أغار سعدون بن محمد آل غرير رئيس الحسا
والقطيف هو وعبد الله بن معمر رئيس بلد العيينة على الميامدة ونهبوا
نها بعض المنازل وفي سنة ١١٣٣ عاد سعدون هذا إلى نجد وأمضى فصل
الصيف في العارض ، كما سار إلى عقرب وإلى الدرعية ، ونهب كثيراً من
البيوت •

وفي سنة ١١٨٨ سار عريعر بن دجدن آل حمد الخالدي رئيس
الحسا والقطيف بالجنود العظيمة من الحاضرة والبادية ، وقصد بلدة
بريدة ، وأخذها عنوة ونهبها ، وقبض على أمير بريدة عبد الله الحسن
وجعل راشد الدربيبي أميراً لها •

وفي سنة ١١٩٦ استعان أهل القصيم بسعدون سالف الذكر ضد
آل سعوض ، وقد تحدثنا عن ذلك فيما قبل ويضيف الشيخ محمد عبد الله
الأنصاري معلومات ذات بال عن هذه الغزوة ، إذ يقرر أن سعدون هذا
حاصر بلدة بريدة ، ونزل قريباً من الزلفي وأنقام عليها أياماً ، ووفد
عليه كثير من رؤساء بلدان نجد يعلنون الطاعة والتعاون ، كما أرسل
فرقاً من جنده إلى مناطق متعددة في نجد ، فأحرزت نجاحاً كبيراً (١) •

(١) تحفة المستفيد : ص ١٣٠ •

وهكذا تعرضت بلاد نجد إلى ألوان من الزحف من الشرق في نزارات
متتابعة على مر القرون .

زحف على نجد من الغرب :

ونجيء الآن للحديث عن الزحف الذي عانته نجد من الغرب ، أي من الحجاز ، وقد سبق أن ذكرنا أن أطماع الشرق كانت مبكرة عن أطماع الغرب ، ولكن يبدو أن يمعن النظر أن الحجاز سبق الأحساء في تطلعاته إلى السيادة على مناطق نجد ، ففي مطلع الإسلام وفي حياة الرسول نفسه دخلت أرجاء الجزيرة العربية في الإسلام وكان الرسول — كما قلنا من قبل — يُقر رؤساء المدن والوُفُود على مكانتهم ، وقد بدأ نوع من التمرد في أواخر حياة الرسول في بني حنيفة كما ذكرنا من قبل ، وبعد وفاة الرسول اتسع نطاق هذا التمرد فشمل بقاعاً مختلفة في الجزيرة — وحمل هذا التمرد لواء الردة والتتبؤ ومنع الزكاة وقامات العاصمة الإسلامية بواجبها في ردع هذا التمرد والقضاء عليه حتى عادت الجزيرة العربية إلى الطاعة ^(١) .

وقد حرست الحجاز بعد ذلك على القيام بهذا الدور كلما حصل تمرد في الداخل بشرط أن تكون الحجاز نفسها قادرة على مقاومة هذا التمرد .

وفي بعض الحالات شغلت الحجاز بصراع مع الخلافة الأموية أو العباسية ، فأتاح هذا الصراع فرصة الاستقلال التام للوحدات السياسية بجد ، ففي عهد ثورة عبد الله بن الزبير ضد الأمويين أو ثورة الإمام محمد النفس الزكية وخلفائه ضد العباسين تم استقلال وحدات نجد عن الحجاز ، ولكنها بدأت تتعرض لزحف الشرق الذي أشرنا إليه آنفاً ، فقد انتهزت الأحساء فرصة الضعف بالغرب ، وكان بالأحساء قوى تعتبر

(١) انظر حديثنا عن الصراع في الجزء الأول من هذه الموسوعة .

- ١١٠ -

متمرة على الخلافة كالزنج والقرامطة ، فاتجهت هذه القوى إلى غزو نجد ، على ما ذكرنا من قبل . وبخاصة أن الحجاز عقب ذلك أصبح تابعاً لمصر في أكثر الأحوال ، ولم يعد له تطلعات بقلب الجزيرة العربية ، مما أتاح لقوى الشرق أن تستبدّ بمحاولة الزحف على نجد .

ومع ظهور الأتراك العثمانيين تم فصل الحجاز عن مصر ، ثم قوى نفوذ الأشراف الذين كانوا يتولون أمر الحجاز باسم العثمانيين . وعندما أحس الأشراف بنفوذهم ، تطلعوا إلى مناطق نجد وأصبحوا يعتبرون أنفسهم سادة المناطق الداخلية من الجزيرة كما يقول جون فيلبي ، وكانوا يقومون بالاغارة على هذه المناطق بغية تأديب أهلها حيناً ، ولله حزائهم بمال حيناً . وأولى هذه الغارات فيما يذكر ابن بشر تلك التي وقعت سنة (٩٨٦ هـ - ١٥٧٨ م) عندما وصل الشريف حسن أبو نمى إلى الرياض بجيشه عدته خمسون ألفاً من الجنود ، ورابط هناك طويلاً يقتل وينهب ، وحين هم الشريف بمعادرة البلاد عين من لدن رجلاً اسمه محمد ابن فضل أميراً عليها وارتنه عدداً من الزعماء سجنهم عاماً ، ولكنه عاد فأطلق سراحهم بعد ذلك شريطة أن يدفعوا له جزية سنوية معينة ، وبعد انتهاء ثلاثة سنوات عاد الشريف نفسه فغزا نجداً ، وقد وجه اهتمامه هذه المرة إلى مقاطعة الخرج ، فاحتل مدنها الرئيسية والواقع الاستراتيجية في المرتفعات المحيطة بها ، ثم عاد إلى بلاده تاركاً من ينوبون عنه في إدارة شئون المنطقة^(١) .

وبعد وفاة الشريف حسن تولى ابنه ادريس ، وفي عهده غزا شقيقه أبو طالب نجد سنة (١٠١١ هـ = ١٦٠٢ م) واتضمن له ادريس في هذه الغزوة فتحقق انتصاراً كبيراً ، ومات ادريس في جبل شمر ، وتولى بعده ابن أخيه محسن إذ كان ادريس قد أشركه في الإمارة يوم تولاهما ، فلما مات ادريس استبدل بها محسن دون أبناء عممه ، فقد كان أقوى رجل في

(١) دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية : ص ٧ وتاريخ بعض الحوادث الواقعة بنجد لابراهيم بن صالح ص ٤٨ .

الأشراف آنذاك ، وقد غزا نجد سنة ١٠١٥ هـ = ١٩٠٦ م ووصل إلى قريها قصبة في شعيب فاحتلها وأعمل السيف في رقاب أهلها بوحشية ، وقد استطاع الشريف محسن أن يصل في غزواته إلى قرب الأحساء ، ويقول ابن بشر أنه لم يتطرق لأحد من القادمين من الغرب أن يصل إلى الأحساء غير الشريف محسن^(١) .

وقد توفي محسن بعد غزو الأحساء بفترة وجيزة ، فخلفه ابن عمه سعود بن ادريس ، ولكن امارة هذا لم تطل فخلفه زيد بن محسن سالف الذكر ، وقد طالت مدة زيد حتى توفي سنة ١٠٧٦ هـ = ١٦٦٥ م ، وفي عهده قام بغزو نجد عدة مرات ففي سنة ١٠٥٧ هجرية نزل روضة سدير ، وقتل أميرها ، وعين أميراً يحكم باسمه من آل أبو سعيد ، وكان قاسياً بأهل البلاد قسوة بالغة الحد ، وفي نفس العام نزل (بيان) على مشارف الرياض فسلب منها وقتل . وفي أثناء عودته زار العيينة وأخذ من أهلها مالاً كثيراً وثلاثمائة جمل . وفي سنة ١٠٦٩ هجرية هاجم نجداً مرة أخرى . ونزل بين التويم وجلاجل .

وفي سنة ١٠٨٤ عزا الشريف برؤس مناطق (حرّب) وانتصر انتصاراً كبيراً على أهلها . ويقول الشيخ ابراهيم بن صالح ان خنادقهم التي حفروها لم تتفعل ، وكانت قبوراً لهم واستبيحت أموالهم وديارهم ، ونسُبِّت أموالهم ، وقتل خيارهم^(٢) .

وفي سنة ١٠٨٨ هـ غزا الشريف محمد الحارث منطقة «الظفير» وقتل غانم بن كاسر رئيس المخول ، وتسمى هذه الغزوة (مناخ الضلافة) والضلافة ناحية من نواحي القصيم .

وفي سنة ١١٠٥ هـ هاجم سعد بن زيد صاحب مكة بلاد نجد ، ووصل

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد . ج ٤ ص ٤٠٣ .

(٢) تاريخ بعض الحوادث بنجد : ص ٦٥ بالهامش .

— ١١٢ —

إلى منطقة الحمادة ، وفي سنة ١١٥٧ هـ غزا الشريف سعد بلاد نجد ،
ونزل روضة سدير .

وفي سنة ١١١٣ هـ هاجم الشريف الحارث منطقة « الطفير » ووقعت
وقعة « المسبيع والبتراء » وكان النصر فيها للشريف .

وفي سنة ١٢٠٥ هـ غزا الشريف غالب بن مساعد بلاد نجد ونهب
(ضربة) وهدمها ، وهاجم (الشععراء) و (البرود) ولكنه لم يحقق
فيهما وطرا .

وفي سنة ١٢٦٣ هـ غزا الشريف محمد بن عون بلاد نجد ووصل إلى
عنيزة ، فأرسل إليه الإمام فيصل بن تركي هدية مع أخيه جلوى فقبلها
ورجع إلى مكة .

ويمكن أن يبعد الزحف المصري على نجد الذي سنتحدث عنه فيما
بعد ، لونا من ألوان زحف الغرب على قلب الجزيرة العربية ، فإن محمد
على احتل الحجاز أولاً واتخذه مركزاً لزحفه على نجد .

ولعل من آثار الزحف الخارجي على بلاد نجد تلك الكتابات الأثرية
التي توجد في عدة مناطق بنجد ، وتحوى بأنها بقايا زحف ، أو بقايا
كشف على أحسن تقدير ، وقد أشارت ليدى بلنت^(١) إلى بعض هذه
الكتابات الأثرية في رحلتها بنجد فذكرت أن هناك في النفوذ بقايا بعض
حروف قديمة محفورة على الصخور من نفس النوع الذي يوجد في
سيناء ، وهناك أيضاً في بلدة « عقدة » صخور من الجرانيت التي توجد
كثيراً بجبال سيناء ، وعلى واحدة من هذه الصخور ثُقشت كتابة عربية
غير جيدة الوضوح هي : « هذه خربة سنحاريب^(٢) » وليس من المؤكد

(١) رحلة إلى نجد : في صفحات متعددة .

(٢) سنحارب ملك أشور (٧٠٥ - ٦٨١ قم) .

— ١١٣ —

أن سياح ربيب اتخذ يوماً طريقة إلى نجد ، وبخاصة أنه لم يكتب بلغته المسمارية .

وتتحدث كذلك هذه الرحالة عن تل عجيب بالقرب من حائل ينتمي وحيداً في السهل ، وهو من الصخر الرملي مغطىً بنقوش وصور طيور وحيوانات ، وبه كتابة تمتاز بالوضوح والتناسق وهي بالحروف الفينيقية القديمة ، ولعل هذه الكتابات كما تقول الرحالة كانت لجامعة من الفينيقين التجار الذين كان من عادتهم اقتحام هذه الفياف لعرض تجارتهم ، أو للتعرف على إنتاج هذه المناطق ، وكانوا يتوقفون على الطريق فينقشون أسماءهم إذا وجدوا صخوراً لينة ، ويرسمون بعض الحيوانات .

* * *

وهكذا تعرضت نجد إلى زحف من الغرب كما تعرضت إلى زحف من الشرق ، ولكنه كان زحفاً كما حددها من قبل لا يقصد إلا التهديد أو ضمان التبعية العامة ودفع الزكاة ، وفي كل الأحوال كانت وحدات نجد تتمتع باستقلال ذاتي ، عندما ترتبط بقوة قاهرة ، ولكن هذه الوحدات كانت تعمل على أن تستعيد استقلالها التام ، وتتخلص من كل قوة دخلية ، فبلاد نجد – كما تقول ليدي آن بلنت – لم تخضع لحكم أجنبي ، ولم تدخل قط ضمن نطاق الامبراطوريات التي كانت تحيط بها ، وقد ظل الحرث على الاستقلال دستور الحياة في نجد حتى جاء الإسلام فخضعت نجد للدولة الإسلامية ، ولكنها كانت أسرع أجزاء الدولة الإسلامية للعودة لاستقلالها القديم ^(١) .

وهكذا نجد أن تاريخ نجد في تلك الفترة الطويلة هو تاريخ القبائل بما بها من استقلالية وصراع ، وقد أعطينا نماذج منه يمكن أن تتطابق على باقي مناطقه ، فليس تاريخ نجد مجهولاً لأن هذه هي ملامحه التي

(١) رحلة إلى نجد : ص ٢٠٩ و ٢١٠ .

() م ٨ - التاريخ ج ٧

- ١٤ -

لم تختلف ، وليس تاريخ نجد معروفاً لأن هذه المعرفة لا تبعث الضوء
بقدر ما تبعث الأسى .

وبعد ، لقد سرنا مع نجد في مسيرتها التاريخية عبر عددة قرون ،
ورأيناها تموج بالصراع والدم والقلق ثم انبثقت بها الدعوة الاصلاحية
التي نادى بها الامام محمد بن عبد الوهاب ، وآزرتها سيف آل سعود ،
وقد آن لنا أن نتحدث عن نجد في ظل هذا العهد الجديد فنصف ما شاهدته
نجد من مد وجزر حتى أقام الملك عبد العزيز المملكة العربية السعودية
ثابتة الأركان ، وفيه العبر والدروس ، فعمرت البلاد بالأمن والاستقرار ، وتكونت
الدولة بمفهومها العلمي الدقيق .

نجد وآل سعود والدعوة الاصلاحية

أشرنا فيما سبق إلى أن العثمانيين كانوا قانعين من الجزيرة العربية بالحجاز وببعض الواقع المهمة بداعر الجزيرة ، ولم يبدوا اهتماماً يذكر بنجد ، وفي القرن الثامن عشر الميلادي انبثقت بنجد حركة جديدة استدعت قلق العثمانيين أو اضطررتهم لتعديل خططهم تجاه حكم الجزيرة العربية ، فقد ظهرت حركة دينية رفع الشیخ محمد بن عبد الوهاب بها صوته وألقت هذه الدعوة الدينية بإحدى القوى الناشئة في نجد وهي قوة السعوديين واستجاب السعوديون لدعوة الإصلاح ، بقوّيت الدعوة بسلطة الأمير السعودى ، وقوّى الأمير السعودى بالدعوة الجديدة التي نقلته من قائد حركة قبلية لكل الحركات العربية ، إلى دعوة إصلاحية بعيدة المدى ، وحركة بهذه أقضت مضاجع العثمانيين لأنها تتآفسهم السلطان ، ولأنها أيضاً وصلت لهم وأهل الحجاز مشوّهة الصورة ، وقد تسبب عن تشوييه صورة الدعوة الجديدة أن قاتم شريف مكة سعود بن سعيد سنة ١١٦٢ هـ باعتقال الحجاج النجديين (الموحدين) حتى لا ينشروا معتقداتهم بين أهل الحجاز وبين الحجاج الآخرين ، وقد توقف حجاج نجد بعد ذلك ، أو قل متنعوا عن أداء فريضة الحج فترة من الزمن ٠

وفي سنة ١١٨٣ هـ حدثت مناوشة بين النجديين وبين فرقه عسكرية تابعة لأشراف الحجاز ، واستطاعت القوة السعودية أن تعتقل رئيس فرقه الأشراف واسمه (الشريف المنصور) ، ولكن الأمير السعودى عبد العزيز أطلق سراحه بدون فدية مما دعا إلى تحسين العلاقات بعض الشيء بين حكام نجد وأشراف الحجاز ، فأذن شريف مكة بالحج لأهل نجد ، بل أرسل شريف مكة أحمد بن سعيد إلى السعوديين يطلب فقيها وعالماً من جماعتهم ليتناقش مع شيخوخة حول حقيقة الدعوة ، فاختارت السلطة في نجد الشیخ عبد العزيز الحصين ليقوم بهذا العمل ، وسافر إلى مكة حيث التقى بعلمائهما ، ودارت مناقشة في أمور ثلاثة هي :

- ١٦ -

١ - ما نسب للموحدين من التكفير العام للمسلمين .

٢ - هدم القباب التي على القبور .

٣ - إنكار شفاعة الصالحين .

وقد استطاع الشيخ عبد العزيز أن يشرح اتجاه الموحدين شرعاً وافياً
فاعترف علماء مكة باستقامة حججه ولكنهم جحدوا ٠٠٠٠ (١) .

وقد كان هذا التصرف من الشريف أحمد بن سعيد مثيراً للعثمانيين
ولبعض الأشراف ، مما دعا إلى خلع الشريف أحمد بعد سنتين من ولادته
وتعيين شريف آخر هو سور بن مساعد ١١٨٦ هـ ورأى العثمانيون أن لابد
من التدخل بالقوة لمنع الزحف السعودي على الحجاز إذ كان الحجاز
بطبيعة الحال شديد الأهمية في نظر الأتراك العثمانيين ، وببدأ بذلك صراع
طويل بين السعوديين وبين العثمانيين جعل العثمانيين يحاولون مد
سلطانهم إلى نجد ، وكانوا ينتصرون أحياناً ويتراجعون أحياناً ، ويستخدمون
من مصر والعراق والجاز مراكز لهجومهم على نجد ، أو يتذذلون أحياناً
بعض القوى القبلية بالجزيرة أداة ضد السعوديين ، كما أصبح السعوديون
أكثرة من قوة قبلية ، بل دعوة إصلاحية كبرى تعمل على مد نفوذها ونشر
مبادئها في الجزيرة العربية وخارجها

ولتوسيع هذا الصراع يجدر بنا أن نتجه بحديثنا إلى القوة
السعودية التي ستتصبح لها الغلبة في النهاية ، لنرى كيف انتهت هذه
القوة ، وأدوار الحياة التي أحاطت بها ما بين عسر ويسر ، وماذا حدث
بينها وبين العثمانيين وسواهم من القوى التي صارعتهم بالجزيرة العربية

(١) ابن غنام : روضة الأفكار ج ٢ ص ٩٢ .

- ١١٧ -

ال سعوديون *

الأمير سعود :

يستمد السعوديون تسميتهم من جدهم سعود بن مقرن ، ويُعد سعود هذا هو المؤسس الأول للأسرة السعودية ، على أن مقرن جد الأمير سعود ينسب له حادث مهم هو الاستقرار في وادي حنيفة ، وكان الأجداد السعوديين ارتبطوا ببلدة « داريا » على الخليج ، ولهذا أطلقوا على مقرنهم الجديد في وادي حنيفة اسم « داريا » وقد عرفت فيما بعد باسم « الدرعية » ١) .

وكانت الأسرة قبل أن يستقر مقرن في « داريا » تتحرك في أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية طلباً للماء والكلاً فنزلت حيناً خيراً وحياناً تيماً ، ومداين صالح والمدينة المنورة ، ونواحي مختلفة في نجد ، ثم استقر مقرن في الدرعية ، ولا يبعد مقرن مؤسساً للملكية السعودية ، لأن استقراره كان أشبه باستقرار القبائل الذي يحصل من حين إلى حين ، أما الأمير سعود فقد ثبت استقراره في الدرعية ، وبنى بها دار إمارته ،

-
- * هناك مراجع كثيرة عن تاريخ السعوديين منها :
حافظ وهبة جزيرة العرب في القرن العشرين
صلاح الدين المختار تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها
فؤاد حمزة قلب جزيرة العرب
حسين غنام تاريخ نجد
عثمان بن بشر عنوان المجد في تاريخ نجد
محمد طارق الافريقي المملكة العربية السعودية بين الامس والاليوم
جمال الدين الشعراوي التاريخ السياسي للمملكة العربية السعودية
محمود شكري الألوسي تاريخ نجد
تاریخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب John Philby
السلفية .
- محمد عسه معجزة فوق الرمال
كارل توتشل المملكة العربية السعودية
ابراهيم بن صالح تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد
(١) تقويم البدان الاسلامية ص ٢٨٧ .

- ١١٨ -

ومدّ نفوذه إلى ما جاورها من واحات ، وكان ذلك أساس الملك السعودي فلا عجب أن تستند هذه الدولة اسمها من هذا الأمير الذكي الطموح .

وأمراء السعوديين وملوكهم هم الآتي :

الدولة السعودية الأولى :

- | | |
|--------------------|----------------------------|
| إلى ١١٣٧ م | ١ - سعود |
| من ١١٣٧ م = ١٧٣٤ م | ٢ - محمد بن سعود |
| من ١١٧٩ م = ١٧٦٥ م | ٣ - عبد العزيز الأول |
| من ١٢١٨ م = ١٨٠٣ م | ٤ - سعود الثاني (الكبير) |
| من ١٢٣٠ م = ١٨١٤ م | ٥ - عبد الله الأول |

الدولة السعودية الثانية :

- | | |
|---|-------------------------|
| من ١٢٣٤ م = ١٨١٨ م | ٦ - تركى |
| من ١٢٤٩ م = ١٨٤٣ م | ٧ - مشارى |
| من ١٢٥٠ م = ١٨٣٤ م | ٨ - فيصل |
| من ١٢٥٧ م = ١٨٤١ م | ٩ - خالد |
| من ١٢٥٧ م = ١٨٤١ م | ١٠ - عبد الله الثاني |
| من ١٢٥٩ م = ١٨٤٣ م | ١١ - فيصل (مرأة أخرى) |
| من ١٢٨١ م = ١٨٦٤ م | ١٢ - عبد الله الثالث |
| (استولى على الرياض فترة من أخيه عبد الله ثم مات قبله) | ١٣ - سعود الثالث |

الدولة السعودية الثالثة :

- | | |
|--------------------|-------------------------|
| من ١٣١٩ م = ١٩٠١ م | ١٤ - عبد العزيز الثاني |
| من ١٣٧٣ م = ١٩٥٣ م | ١٥ - سعود بن عبد العزيز |
| من ١٣٨٤ م = ١٩٦٤ م | ١٦ - فيصل بن عبد العزيز |
| من ١٣٩٥ م = ١٩٧٥ م | ١٧ - خالد بن عبد العزيز |
| من ١٤٠٢ م = ١٩٨٢ م | ١٨ - فهد بن عبد العزيز |

١ - سعود

ثنيان		٢ - محمد (مؤسس الدولة السعودية الأولى)
ابراهيم	عبد الله	٣ - عبد العزيز الأول
ثنيان	٦ - تركى	٤ - سعود الثانى (الكبير)
	(مؤسس السعودية الثانية)	
١٠ - عبد الله	٩ - خالد	٥ - عبدالله الأول
٨ - فيصل	جلوى	٧ - مشارى قتل سنة ١٨٣٣ أسره ابراهيم باشا وقتلها الأتراك
١١ - فيصل مرة أخرى		سنة ١٨١٨
	عبد الله	
١٢ - عبدالله ١٣ - سعود الثالث عبد الرحمن محمد		
الثالث	(استولى على الرياض من أخيه ومات قبله)	
١٤ - عبد العزيز الثاني		
(مؤسس المملكة العربية السعودية)		
١٥ - سعود	١٦ - فيصل	١٧ - خالد
١٨ - فهد		

— ١٢٠ —

وقد كتب على هؤلاء السعوديين أن يصارعوا في عدة جبهات ، وأن يتحققوا أحياناً نجاحاً معجزاً ، وتنزل بهم أحياناً هزائم قاصمة ، ولكنهم بقوا وانتهت الآخرون ، وأمتد ملتهم فابتلع المملكة الحجازية والإمارة الرشيدية ، والإمارة الادريسيّة ، وإمارات آل عائض تلك الإمارات التي تختلف بالجزيرة عن عهد الأتراك العثمانيين كما سترى .

وهكذا ورث تيار الحياة السعوديّيّة الجميع ، وعاش يتدفق في حين نسبت الفروع الأخرى ، وهوت إلى الأبد .

الدولة السعودية الأولى

محمد بن سعود :

إذا كان الأمير سعود هو الذي وضع الأساس للمملكة السعودية فإن الذي رفع البناء هو ابنه محمد أو قل بوجه أدق هو الارتباط بين القوة السعودية والفكر الإصلاحي الذي حمل لواءه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فعندما لجأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية واعتنق محمد بن سعود مذهبة تغير وجه الزحف السعودي فأصبح دينياً فكريّاً بعد أن كان قبليّاً ، ويقول الأستاذ حافظ وهبه^(١) : قبل سنة ١١٥٠ هـ (١٧٣٧ م) وهي السنة التي وفدت فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب المصلح الكبير على محمد بن سعود لم يكن لآل سعود شأن كبير في نجد ، ولم يكن لهم دور يذكر في شئون الجزيرة ، بل كان شأنهم شأن غيرهم من شيوخ المقاطعات النجدية ، وكانت الجزيرة العربية مقسمة إلى مناطق عدّة ، لكل منطقة أمير يمتد نفوذه أو يقصر ، حسب كفاءته الشخصية وهمته ، والأمراء البارزون في ذلك هم أمراء الحجاز وبنو خالد في الأحساء وما والاها على الخليج ، وآل معمر في العبيضة ، والسعدون في العراق ، وإمام صنعاء في اليمن ، والساسة في نجران ، والبوسعيديون وسواهم في

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٢٤٣ - ٢٤٤

- ١٢١ -

مسقط وعمان ، وبعد أن تعاهد محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب على تطهير جزيرة العرب من البدع والخرافات التي كانت شائعة بها ، وعلى نشر كلمة التوحيد ووقفت نجد أو بالأحرى وقفت الدرعية ضد سائر المدن والإمارات الأخرى ، وببدأت حرب دينية دامية كان النصر فيها لجيوش التوحيد ودعاة الإصلاح .

ويجدر بنا أن نتوقف هنا لنتعرف على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأفكاره :

الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوه

إذا كانت مصر سفيّقة تعتنق مذهب الإمام الشافعى غالباً ، وإذا كان الشمال الأفريقي سنياً يتبع مذهب الإمام مالك غالباً ، وإذا كانت إيران شيعية .. وهكذا فإن الجزيرة العربية مهد الإسلام لم تكن على هذا المذهب أو ذلك ، بل عشت بها بقايا أفكار وحالة اتجاهات ، يقول Gerald de Gaury (١) : كانت الجزيرة العربية أكثر البقاع الإسلامية بعدها عن المذاهب الإسلامية وجرياً خلف التطرف من أي اتجاه ، ويصدق هذا على نجران والجوف ، والأحساء ونجد وغيرها .

وقد سبق أن اقتبسنا من المقدسي تصويره للتكلّك الفكري بالجزيرة العربية ، وكيف عشت بها بقايا المذاهب المتطرفة والاتجاهات الشاذة ، ونلتجه الآن المؤرخى نجد لقتبس منهم مزيداً من التفصيل عن الانحرافات المفكرة في نجد والجزيرة العربية حتى قيام دعوة الإصلاح .

يقول الشيخ حسين بن غمام :

كان كثير من المسلمين في مطلع القرن الثاني الهجري قد ارتكبوا في الشرك وارتدوا إلى الجاهلية ، وانطفأ في نفوسهم نور الهدى لغيبة

١٢٢ -

الجهل عليهم ، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين ؛ أمواتهم وأحبابهم ليستشعروا بهم في النوازل ويستعينو بهم على قضاء الحاجات ، وتفریج الشدائد ، بل إن كثيراً منهم كان يرى في الجمادات كالأشجار والأحجار القدرة على تقديم النفع ودفعضرر^(١) .

وكان في بلاد نجد من ذلك أمر عظيم وهول مقيم ، كان الناس يقصدون قبر زيد بن الخطاب في الجبئية يدعونه لتفريج الكرب ، وكشف النوب ، وقضاء الحاجات ، وكانت في الدرعية قبور بعض الصحابة ، وقد عكف أهل البلاد على عبادتها وصارت هذه القبور في صدورهم أعظم من الله خوفاً ورهبة^(٢) .

وتحدث المؤلف عن نظائر ذلك في شعيب وبليدة والطوفية وعن غار أسفل الدرعية ، وبعض الطواغيت من كانوا يشعدون أولياء^(٣) .

وانشى إلى الحرم المكي ليذكر أن ما يفعل به يزيد على غيره ، فإن جماعات الأعراب يأتون فيه بألوان من الفسق والضلال^(٤) .

وتحدث عما يفعل عند قبة أبي طالب وقبير ميمونة بنت الحارث في سرف ، وقبير عبد الله بن عباس في الطائف وقبير الرسول في المدينة من ضلالات وأنحرافات^(٥) .

ولم يكتف الشيخ حسين بن غمام بنجدة والهزاز ، بل تكلم عن انحرافات وأضاليل مشابهة في كثير من الأقطار الإسلامية وأفاض في

(١) تاريخ نجد ص ١٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١١ .

(٣) المرجع السابق ص ١١ - ١٢ .

(٤) المرجع السابق ص ١٣ .

(٥) المرجع السابق ص ١٤ .

- ١٣٣ -

الكلام عما يتبع عند قبر الإمام على كرم الله وجهه ، ومشهد الإمام الحسين ، ومشهد الإمام الكاظم قد

ويقول الشيخ عثمان بن بشر النجدي ^(١) :

كان الشرك قد فشا في نجد وغيرها ، وكثير الاعتقاد في الأشجار والأحجار ، والقبور والبناء والتبرك بها والذر لها ، والاستعانة بالجن والذبح لهم ، ووضع الطعام لهم في زوايا البيوت لشناء مرضاهم ونفعهم وضرهم ، وكثير الحلف بغير الله ، وغير ذلك من الشرك الأصغر والأكبر ، ويذكرون من أمثلة ذلك أنهم كانوا في الجبيلة يقصدون قبر زيد بن الخطاب باعتباره موئلاً يحسن الأحوال ، ويحبب في الملائكة ، كما كان سكان بلدة « منفحة » عندهم فعل نخل تؤمه العوانس ليتزوجن ، ولكن يهتفن به : يا فحل الفحول أريد زوجا قبل الموت .

هذا من الناحية الدينية ، أما من الناحية السياسية فقد عادت الجزيرة العربية إلى فترقة الجاهلية الأولى ، وتجددت فيها الحياة القبلية ، وعادت الحروب تأكل كل البشر والحيوان والنبات ، ولم تكن هناك شريعة أو قانون إلا ما تقضى به أهواء الأمراء وعماهم .

وكان هذا مؤلماً حقاً أن يصير الوطن الأول للدعوة الإسلامية على هذا النطء ، ففيض الله فكر الشيخ وسيف الأمير للقضاء على هذا الباطل .

مولاد الشيخ وتحركاته :

وقد ولد الشيخ محمد سنة ١١٥ هـ (١٧٠٣ م) في بلدة العينية بنجد ، وكان والده الشيخ عبد الوهاب من العلماء ، وكان قاضياً للعينية في عهد أميرها عبد الله بن معمر ، وحفظ الشيخ محمد القرآن الكريم في مطلع العمر ، وقرأ على أبيه كثيراً من الكتب في العلوم الإسلامية ، ولما

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ص ١٦ .

اشتد عوده راح يطوف بالبلاد ليلتقي بالعلماء وليأخذ عنهم ، فذهب الى مكة حاجا وطالب علم ، كما سار الى المدينة حيث جلس في حلقة الشيخ عبد الله بن ابراهيم من آل سيف رئيس بلدة « المجمعة » بالقرب من سدير^(١) ، كما أخذ العلم عن العلامة محمد المدنى ، ثم ذهب الى البصرة وقرأ على الشيخ محمد المجموعى في بلدة « المجمعة » في ضواحي البصرة ، وامتدت رحلاته العلمية فشملت بغداد وكردستان ، وهمدان واصفهان ، ودرس الشيخ – كما يقول الأستاذ أحمد أمين^(٢) – فلسفة الإشراق والتصوف ثم رحل إلى « قم » حيث التقى كذلك بعلمائها .

وعندما كان الشيخ في البصرة أحسّ أنه أصبح على درجة من العلم يستطيع بها أن يتكلم وأن يعطى بعد أن أخذ كثيرا ، فبدأ يجهر ناقداً الضلال الذي يراه هنا وهناك ، والانحراف الذي يبعد الناس عن الدين الصحيح بل بدأ يقرر أن الدعوة للحق إلزام ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، وأن السكوت على هذا الإثم إثم كبير .

وأثار هذا الاتجاه الناس على الشيخ ، وتجمع أهل البصرة عليه ، وألحقوا به الأذى ونکروه .

وكان هذا أول امتحان يمر به الشيخ فإما أن يصمد وإما أن ينهار ويستسلم ويكتفى بالسخط بقلبه وهو أضعف الاليمان ، ولكن الشيخ رحب بالأذى وقرر أن يدخل المعممة ، فإما أن ينتصر وإما أن يموت في سبيل الله .

وغادر البصرة حيث استكمل جولته ، ثم هبط إلى نجد بعد المعاناة الطويل الذي تعرض فيه للبطش والمعدوان ، ونزل في الاحساء على الشيخ عبد الله بن محمد الشافعى الأحسائى ثم رحل إلى بلدة « حثريملة » التي اتخذها أبوه مقرا له بعد أن ترك العينية إثر خلاف بينه وبين واليها ،

(١) الشهاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ص ١١٤ .

(٢) زعماء الاصلاح ص ٧ .

- ١٢٥ -

وفي الحريملة عاد الشيخ محمد يتدارس مع أبيه علوم الدين ، ويجهز بضرورة تغيير الحال المنحرف في تلك البقاع ، وتتوفى والده سنة ١١٥٣ هـ (١٧٤٠ م) فأصبحت التبعة الفكرية ملقاء على الشيخ محمد الذي منعه إجلاله لأبيه أن يسبقه في حياته إلى الجهر بدعاة يعتقدانها جمیعاً .

وكان في حريملة ظروف دعت إلى سرعة الجهر بالدعوة ، فقد كانت تعيش فيها قبيلتان دون أن يكون بالبلدة رئيس عام ، واحدى القبيلتين تملك طائفة من العبيد الذين أظهروا العداوة وأكثروا الفسق والمجور ، فصرخ الشيخ بأن هذا منكر ينبغي القضاء عليه ، فثار عليه العبيد وقرروا المفتک به ، ولكن بعض الناس حموه وساعدوه على الخروج من حريملة سالماً^(١) .

ومن حريملة اتجه الشيخ إلى العينية مسقط رأسه ، فرحب به رئيسها عثمان بن حمد بن معمر ، وزوجه قرينته (الجوهرة) وعرض الشيخ على عثمان فكره وقرر له حقيقة التوحيد وحدوده ، وما ينقضه ، ودعاه إلى اعتناق هذا الاتجاه وقال له : أرجو إن قمت بنصرة لا إله إلا الله أن يظهرك الله وتملك جميع بلاد نجد ، فقبل عثمان دعوته ووسعه بالمعون والمساعدة ، وجهر الشيخ بدعوته فاعتنقتها عدد كبير من الرجال بالبلدة ، واتجهت جموع الشيخ إلى القباب التي كانت على شهداء معركة اليمامة فهمدواها وبخاصة التي كانت على زيد بن الخطاب ، كما قطع الشيخ وأعوانه أشجاراً كان الناس يعظمونها وينذرون لها ، وشرع الشيخ في إقامة الحدود الشرعية وكانت معطلة ، فقضى بالإعدام رجماً على امرأة زنت واعتبرت بالخطيئة دون أن تكره عليها .

وأمر الشيخ عثمان بن معمر بإحياء الصلوات مع الجماعة وعينت للمتخلفين عقوبات ، وألغى الشيخ الضرائب الجائرة والرسوم التي كان

(١) الشيخ حسين بن غنم : عنوان المجد من ٧٨ وصلاح الدين مختار تاريخ المملكة العربية السعودية ص ٣٧

— ١٢٦ —

يأخذها الأمراء من الرعية ، ولم يسمح إلا بأخذ الزكاة فقط على أن تصرف في مصارفها ، واستجواب عثمان بن معمر لهذه الاتجاهات القوية وعمل على نشرها ^(١) .

ولكن الرواة والمعرضين شوّهوا هذه الدعوة ونقلوها متشوهة إلى حاكم الأحساء سليمان بن محمد الذي كان سلطانه قد امتد إلى كثير من بلاد نجد بما في ذلك العيينة ، وكان لابن معمر مرتب سنوي عنده باعتباره أميراً تابعاً له ، فكتب إليه يقول : « إن المطوع الذي عندك قد فعل كذا وكذا من المنكر فاقتله ، فإن لم تفعل قطعنا خراجك » ، واضطرب أمير العيينة لرسالة الأحساء ، وأحس الشيخ بذلك فاتجه إلى الأمير يقول له إن هذا الذي قمت به ودعوت له هو ركن الإسلام ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإن أنت تمسكت بذلك وأظهرته ، فإن الله يظهرك على أعدائك . فلا تنزعج بقول سليمان ولا تفزع منه .

ولكن عبد الله بن معمر لم يصن الشیخ ، وإن كان لم يقتله . وأرسل له يقول : إن سليمان أمرنا بقتلك ولا نقدر على غضبه ولا مخالفته أمره لأنك لا طاقة لنا بحربه وليس من الشيم والروعة أن نقتلك في بلادنا ، فشأنك بنفسك ودخل بلادنا ». •

وهكذا لم يستطع عثمان أن ينفذ الأمر أو يرفضه فلجلأ إلى الحل الوسط بأن أوعز إلى الشیخ بالهرب فاتجه الشیخ إلى الدرعية ونزل دار تلميذه محمد بن سویلماں العربینی ووصلت أخباره إلى رئيس الدرعية محمد ابن سعود بن مقرن ثانی أمراء السعودین وعرفت زوجة الأمير (وهي بنت أبي وطیبان) خبر مجیء الشیخ إلى الدرعية وكانت ذات عقل وروية ، فأشارت على زوجها بمقابلة الشیخ وإيوائه ومؤازرته ، فقبل نصيحتها وزار الشیخ ، وقال له أبشر ببلاد خير من بلدك وأبشر بالمعز والمنعة ، فأجابه

(١) مسعود الندوی : محمد بن عبد الوهاب ص ٤٧ .

الشيخ : وأنا أبشرك بالعز والتمكين لأن من قام بنصر الحق فهو منصور وكلمة لا إله إلا الله من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملائكة العباد . فبسط محمد بن سعود له يده وبايده على النصرة والمنعة والجهاد في سبيل الله (١) .

السيدة هوضي :

و قبل أن نتجه إلى أفكار محمد بن عبد الوهاب يجدر بنا أن نقول عن السيدة الفاضلة حرم الإمام محمد بن سعود ، إنها كانت نقطة انطلاق بالفكرة الإصلاحية من الضعف إلى القوة مما يدل على أنها يوم نعلّم النساء سنكتب كثيرا ، فالمرأة العاقلة لها تأثير عظيم على زوجها وعلى أولادها .

أفكار محمد بن عبد الوهاب :

بعد هذا الحديث عن شخصية الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتكوينه العلمي ، ينبغي أن نقف وقفة قصيرة نعطي فيها مزيدا من التعريف بأفكار الشيخ ، وعلى العموم كان الشيخ يتذمّر من ابن تيمية رائدا له ، ولهذا يجعل بنا أن نعود إلى كتب ابن تيمية لنسنحت منها صورة للأفكار التي اقتبسها محمد بن عبد الوهاب ، وسار على هديها بنفس التشدد الذي سار عليه ابن تيمية ، بل بأكثر منه في بعض الأحوال ، وأبرز اتجاهات ابن تيمية من أقواله هي :

أولا - بني ابن تيمية فقهه على الكتاب والسنة ، واتجاهات السلف الصالح ، فقد فكر في القرآن الكريم ، وتعلم على مائدته ، واجتهد في استخراج فقهه ومعانيه ، وتعرف أحکامه ومرآميته ، ولجا إلى محمد صلووات الله وسلامه عليه في شرح كتاب الله ، كما اعتمد على من تخرجوا عليه ، ونهلوا من ينبعونه وهم الصحابة والتابعون ، وبهذا لم يتبع من الرجال

(١) تحفة المستفيد للشيخ محمد بن عبد الله الانصارى ص ١٢٦ و ١٢٧ وعنوان المجد لابن بشر من ص ١ إلى ص ١١ وتاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام .

— ١٢٨ —

إلا السلف الصالح ، وهو في ذلك يقول : « إن دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين ليست بمجرد الخبر كما تظنه طائفة من المغالطين من أهل الكلام والمحدث والفقهاء والصوفية وغيرهم ، بل الكتاب والسنة دلة الخلق وهديا لهم إلى البراهين والأدلة المبينة لأصول الدين ^(١) » ويقول كذلك في مناظرته في العقيدة : قد أمهلت من خالفنى في شيء ثلاثة سنين فإن جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة الأولى يخالف ما ذكرته فاما أرجع عن رأيي ^(٢) .

وعلى هذا كان ابن تيمية — كما يقول الشيخ أبو زهرة — حر التفكير من كل قيد إلا الكتاب والسنة ، وأشار السلف الصالح ، كان في نسأته حنبليا ، ولكنها ما إن ثبّت عن الطوق حتى درس المذاهب الإسلامية كلها • واقتبس منها ، وأضاف لها ^(٣) .

ثانيا — اهتم ابن تيمية اهتماما كبيرا بقضية التوحيد ، وتشدد فيها ، ورأى أن الوحدانية الله سبحانه وتعالى تشمل وحدانية الذات والصفات ، كما تشمل وحدانية العبادة ، وذكر أن وحدانية العبادة تقتضي أن نعبد الله ولا نشرك به سواه ، وقرر أن الدعاء من جملة العبادات ، فمن دعا المخلوقين من الموتى والغائبين واستغاث بهم كان مبتدا في الدين مشركا برب العالمين ، متبعا غير سبيل المؤمنين ، ومن سأله الله بالمخلوقين أو أقسم عليه كان مبتدا بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ^(٤) وبينى على هذا منع القرب إلى الله بالصالحين والأولياء ، والتوكيل بالموتى وزيارة القبور ، وبروى في هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « انه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بي الله » وذكر ابن تيمية أن الطلب من الأنبياء والصالحين لم يفعله

(١) رسالة معراج الوصول في مجموعة الرسائل الكبرى ص ١٨٣ .

(٢) العقيدة الواسطية ج ٢ ص ٤٠٩ من مجموع الرسائل .

(٣) الشيخ محمد أبو زهرة : ابن تيمية ص ٢١٤ .

(٤) ابن تيمية : قاعدة جليلة في التوكيل والوسيلة ص ١٠٢ .

— ١٢٩ —

أحد من السلف ، وهو ذريعة إلى الشرك بخلاف الطلب من أحدهم في حياته فإنه لا يفضي إلى الشرك ^(١) .

وربط بين هذا وبين النذور فانطلاق يقول : ومن اعتقاد أن في النذور والقبور نفعاً أو أجرًا فهو ضال جاهل ، وإن من يعتقد أنها تكشف الخسر وتفتح الرزق فهو كافر مشرك يجب قتله ^(٢) .

ثالثاً - يتجه ابن تيمية إلى ترك الغلو في الرسول صلوات الله وسلامه عليه والاكتفاء بالاتهاد بهديه ، ويحجز زيارة قبره صلوات الله عليه لأن زيارة القبور بوجه عام جائزة للعبرة والاتعاظ ، ولكن على لا تتوجه الزيارة للتمسح والطلب ، فقد عد ذلك نوعاً من الشرك .

ويذكر الشيخ حافظ وهبة أن الوهابيين تکاد تعليماتهم تكون مطابقة لما كتبه ابن تيمية ، وأنهم لا يختلفون معه إلا في بعض الفروع ، وتشدد الوهابيون في تفسير التمسح بالقبور ، وعدوا ذلك شركاً ، كما عدوا الاستشفاع بالرسول والهتاف بالأولياء لرفع غمة شركاً ، وحاربوا الموالى وألزموا بجهاد من يعمل هذه الأشياء ، وفسروا قول الرسول عليه السلام « من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد عصم ماله ودمه » بأن ذلك مشروط بالعمل الذي تستلزم هذه الشهادة ، أما إذا قال ذلك وعمل بسواء أي استشفع بالأئباء ، أو دعا الموتى فهو كافر حلال الدم ^(٣) .

وأعلن الشيخ الحرب على البدع الشائعة في الأمصار مثل قراءة مولد الرسول والزيادات في الأذان ، وخروج النساء وراء الجنائز وإحياء موالد الأولياء ، ومثل ما يفعله بعض المدراويس من الأذكار مع الدفوف والمزمار ^(٤) .

(١) ابن تيمية : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١١٣ .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٥٥ .

(٣) جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٣٣٩ إلى ٣٤١ .

(٤) حافظ وهبة : جزيرة العرب ص ٢٤٠ - ٣٤١ .

() م ٩ - التاريخ ج ٧

ودعاء هذه الدعوة يحرصون أشد الحرث على تنفيذ أحكام الشريعة مثل تحريم لبس الحرير للرجال ، وتحليةهم بالذهب ، كما يحرمون التدخين والتصوير ، ويكرهون الموسيقى ^(١) .

وعلى العموم لقد كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب في أصولها سلفية حنبلية ، وكانت في إجمال دقيق ترى التوحيد أساس الإسلام ، وترى المجوء للقباب والأضرحة شركا عم بلاءه وانتشر ، وهناك نوع آخر من الفكر عده الشيخ شركا ، أو قريبا من الشرك وهو التشريعات الباطلة . ومن هذه التشريعات الذبح للقبور والذور لها ، والتوكيل إلى الله بها . ومثل هذه التشريعات المنحرفة لابد أن ترفض لأنها بعيدة عن العقيدة الصحيحة ورأى الشيخ أن خصوص نفوس المسلمين إلى هذه العبادات التافهة ، وانحناءها لها خاشعة طائعة هو الذي دفع هذه النفوس الضعيفة لتخنن أمام الحكام الظالمين ، وتقبل كل جورهم وانحرافهم ، وليس هذا وذاك من التعاليم الإسلامية في شيء .

ومن أجل عناية الشيخ بالتوحيد سمى هو واقباعه « بالموحدين » أما اسم « الوهابية » فقد أطلقه عليهم خصومهم حتى يحرمواهم من اللقب الذي يمثل اتجاههم .

مزيد من التفصيل

عن فقه الدعوة واتجاهها العقائدى

بقي بعد ذلك أن نذكر بعض التفاصيل عن الاتجاهات المحددة للشيخ محمد بن عبد الوهاب في المجالات الفقهية والعقائدية .

(١) المرجع السابق ص ٣٤٣ .

المذهب الفقهي:

كان الشيخ يستمد مذهبـه الفقهي من الكتاب والسنـة واتـباع السـلـيف الصالـح ، وكان في الفروع الفقهـية يتـبع مذهبـ الـاـمام أـحمد بن حـنـبل ، ولكـنه كان إذا وجد حـدـيـثـا صـحـيـحا يـخـالـف مذهبـ الـاـمام اـبن حـنـبل ، فـإـنـه يتـبعـ الـحـدـيـثـ ، ولا يـقـدـمـ عـلـيـهـ قـوـلـ باـحـثـ ، وـهـوـ فـيـ ذـلـكـ يـقـوـلـ : وـأـمـاـ مـذـهـبـناـ فـمـذـهـبـ الـاـمام أـحمدـ بنـ حـنـبلـ إـمامـ أـهـلـ السـنـةـ ، وـذـلـكـ فـيـ الـفـرـوـعـ ، وـلـاـ نـدـعـيـ الـاجـتـهـادـ ، وـاـذـاـ بـانـتـ لـنـاـ سـنـةـ صـحـيـحةـ عـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـلـمـنـاـ بـهـ ، وـلـاـ نـقـدـمـ عـلـيـهـ قـوـلـ أـحـدـ كـائـنـاـ مـنـ كـانـ (١)ـ .

و عن علاقته بفكر ابن تيمية و ابن القيم يقول : الإمام ابن القيم وشيخه إماماً حقاً من أهل السنة ، و كتبهما عندنا من أعز الكتب ، إلا أنا غير مقلدٍ في كل مسألة (٥) .

العنة - لندن:

يتبع الشیخ فی العقائد مذهب السلف ، و هو إقرار ما ورد من الصفات الإلهية فی القرآن والأحادیث الصحیحة ، والإيمان بظاهره مع نفی الکیفیة ، ر هو فی هذا يتبع مذهب ابن تیمیة الذی یقول : ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن نَصِیفَ الله تعالیی بما وصف به نفسه وبما وصفه رسول الله صلوات الله علیه من غیر تحریف ولا تعطیل ولا تکییف ولا تمثیل ، فلا یجوز نفی صفات الله تعالیی الکی وصف بها نفسه ، ولا یجوز تمثیلها بصفات المخلوقین بل هو سبحانه لیس كمثله شیء فی ذاته ولا فی صفاته ولا فی أفعاله ، وقد عبر الامام مالک عن رأی السلف أدق تعبیر عند تفسیر قوله تعالیی « الرحمن علی العرش استوی » فقال : الاستواء غیر مجهول ، والکیف غیر معقول ، و الإيمان به و احبابه و المسؤل عنه بدعة (۲) .

(١) سليمان بن سحمان : الهدية السننية ص ٩٩ .

٢) المراجع السابق ص ٥٣

(٣) الشيخ نعمان خير الدين الالوسي : جلاء العينين ص ٢١٢ وانظر

١٨٤ - ١٨٣ ص مسعود الندوى للأستاذ عبد الوهاب بن محمد

التوحيد :

يقول الأستاذ مسعود الندوى ^(١) : لقد اهتم الشيخ اهتماماً بالغاً في جميع كتبه ورسائله بالتوحيد ، بل إن كتبه كلها ليس بها إلا التوحيد ، فقد كان شعاره (لا إله إلا الله) وكان يوضح معانى هذه الجملة لكل إنسان ويسعى إلى ترسیخ حقيقتها في الأذهان ، ولذلك سميت الدعوة بدعوة الموحدين .

وبناء على اتجاه التوحيد يرى الشيخ أن الأمور الآتية تبعد عن التوحيد وتقرب من الشرك وهي :

- ١ - دعاء غير الله في المصائب أو دعاء غير الله مع الله .
 - ٢ - الاستغاثة أى طلب المغوث من غير الله .
 - ٣ - التوسل إلى الله تعالى بالأئبياء والصالحين ، فهذا التوسل كأنه يحل على الله بهؤلاء ، وليس ذلك مأثراً .
 - ٤ - الاستعاذه : أى لا يجوز الاستعاذه بشيء من المخلوقين أو المخلوقات ، وتكون الاستعاذه بالله وأسمائه وصفاته فقط .
 - ٥ - الحلف بغير الله فذلك ينافي التوحيد .
 - ٦ - زياراة القبور لدعاء الموتى وللشفاعة بهم ، أما زياراة القبور للعظة والعبرة فهى مأثورة .
- ومما يتصل بذلك عدم جواز بناء المساجد على القبور ، ولا بناء القباب عليها ، فهذا منكر يوجب الشيخ إزالته ، وقد سبق أن شرحنا ذلك .

(١) المرجع السابق ص ١٨٦ وما بعدها بإيجاز .

نقد دعوة الاصلاح :

اتجه كثيرون من الناس إلى نقد الدعوة الإصلاحية ، واشتغل بعضهم في نقادها شططاً قاسياً ، ولم يكتف بعض الناس بالنقد بل اخترقوا الاتهامات والأكاذيب ضد الدعوة ، وقد شاع عن دعوة الإصلاح أنها متشددة ، تكفر الكثيرين من المسلمين وتري في زيارة القبور للاستشاف علماً وافضاً ، ويدافعان أحد دعاء الموحدين عنهم بقوله ^(١) : لم يكفر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله إلا عبّاد الأوثان من دعاء الأولياء والصالحين وغيرهم من أشرك بالله وجعل له آنذاكاً ، بعد إقامة الحجة ووضوح الحجة ، وبعد أن بدأوه بالقتل فгинئذ قاتلهم ، وسفك دماءهم ، ونهب أموالهم .

وقد سبق أن اقتبسنا من الشيخ حسين بن غنام ، ومن الشيخ عثمان ابن بشر وصفهما لبعض أهل نجد الذين كانوا يعظمون مقبرة زيد بن الخطاب وسواءها ويقفون منها موقف العباد ، ولا شك أن الشيخ تأثر في حكماته باتجاهات هؤلاء ، ومن الحق أن أقرر بتجربة قمت بها في مصر مرتبطة بالوفود التي تزور الصالحين في مصر كالآمام الحسين والسيدة زينب وغيرها ، وقد سألت كثيرين من هؤلاء الرواد عن مدى اعتقادهم في مكان صاحب الضريح وإمكان أن ينفع وأن يضر ؟ فاتضح لي أنهم جميعاً بدون استثناء بعيدون كل البعد عن الشرك بالله ، وأنهم مؤمنون تماماً بوحدانية الله ، وأن الله وحده هو الذي ينفع ويضر ، ولكنهم يستفسرون بصاحب الضريح ، أخذوا من قوله تعالى « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ^(٢) » فهم يأملون أن يكون صاحب الضريح من يؤذن لهم في الشفاعة ، وإذا كان هؤلاء مخطئين في هذا الأمل فإن ذلك لا يدفعهم إلى نطاق الشرك ماداموا بعيدين تماماً عنه ، ومؤمنين بوحدانية الله وبأنه وحده الذي يدبّر الأمر .

(١) الشيخ سليمان بن سحمان : تبرئة الشيوخين الإمامين ص ٨٦ .

(٢) آية الكرسي من سورة البقرة .

وعلى كل حال فقد تعرضت دعوة الاصلاح الى هجوم قاس من اعدائها وألّف بعضهم الكتب والرسائل في مناقشة المسائل التي أثارها الشيخ وتقنيد اتجاهاته . وقد كان منهم أخو الشيخ (سليمان بن عبد الوهاب) الذي عارضه بقوس ، وألّف في الرد على مبادئ الشيخ كتاباً اسمه (الم الواقع الإلهية في الرد على الوهابية) ولكنه عاد وتاب وأشار سنة ١٩٠ هـ كما يقول ابن غنام ^(١) .

وفي ختام هذه الدراسة نورد نقداً أورده المؤرخ المصري عبد الرحمن الرافعى وفيه يقول :

« الفكرة التي دعا إليها محمد بن عبد الوهاب في أصلها وفي جوهرها فكرة صحيحة ، ولكنه غلا فيها وتشدد ، حتى صار أساسها تكفير كل من لم يأخذ مأخذها ، أو يتبع تعاليمه ، واعتباره مشركاً بالله ، ومن هنا جاءت تسمية الوهابيين للمخالفين لهم (مشركين) ومثل هذه الدعوة قد تصادف نجاحاً ، وتتجدد لها الأتباع في بلاد فطير أهلها على الخشونة والبداؤة ، ولكنها تتعارض ومقتضيات الحضارة والعمان ، ومن تعاليم الوهابية تحريم لبس الحرير ، وشرب الدخان والتباكي ، وكذلك تحريم إقامة المزارات ، ونصب القباب على القبور ، واعتبارها مخالفة لأحكام الدين ، ثم الدعوة إلى هدمها ، وغير ذلك من التعاليم المنطوية على التشدد والغلو . على أن هذا الغلو لم يسع إلى الدعوة الوهابية ، بمقدار ما أساء إليها الإسراف في القسوة ، وأرتکاب الفظائع مع المخالفين في المذهب والعقيدة ^(٢) » .

ومن النقد المأدى لدعوة الإصلاح ما ذكره الأستاذ أحمد أمين بقوله : « لم ينظر محمد بن عبد الوهاب إلى المدنية الحديثة ، و موقف الإسلام منها ، ولم يتجه في إصلاحه إلى الحياة المادية كما فعل معاصره محمد

(١) تاريخ نجد : ج ٢ ص ١٨٠ .

(٢) عصر محمد علي ص ٢٨ - ٢٩ .

على ، واتما اتجه إلى العقيدة وحدها ، والروح وحدها ، وعنده أن العقيدة والروح هما الأساس وهمما القلب إن صلحاً صلح كل شيء ، وإن فسداً فسد كل شيء ، وطبعي أن يكون هذا هو الفرق بين الرئيس الديني في نجد ، ورئيس الحكم في مصر ^(١) .

ونضيف كذلك أن هذه الدعوة لم يكن بها دراسات عن حضارة الإسلام واتجاهاته في الفكر والسياسة والاقتصاد والتربية وغيرها ، لأن مجتمع الجزيرة آنذاك لم يكن في حاجة إلى مثل هذه الدراسات ، وكان حسب الشيخ أن يعود بالمجتمع للله ، ولترك أنواع الشرك به ، سواء أرتبطت بحجر كالجاهلية الأولى ، أو بقباب وشجر كالجاهلية التي شاهدتها الشيخ .

مؤلفات الشيخ وجهوده :

ترك الشيخ مجموعة من المؤلفات مهمة من بعضها يرتبط بدراسات إسلامية عامة ، وبعضها يرتبط بالمسائل التي عنى بها لشرح مبادئه واتجاهاته الفكرية ، ومن أشهر مؤلفاته : كتاب التوحيد ، وكشف الشبهات ، وكتاب الكبائر ، وكتاب الإيمان ، ومختصر الإنصاف ، والشرح الكبير ، ومختصر تفسير ابن كثير ، ومختصر الفتح ، ومختصر سيرة ابن هشام ، وكتاب المسائل التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية ، ومختصر زاد المعاد ، وله كثير من الرسائل والأجوبة ، وله كتاب في الأصول الثلاثة : معرفة الله ، ومعرفة الإسلام ، ومعرفة الرسول .

وبالاضافة إلى الكتب التي كتبها عَنِّي الشيخ بحلقات الوعظ والدرس ، فكان يقيمه دون انقطاع ، وكانت حلقاته تمتد من الصباح إلى المساء ، وكان يفرد إليها الكثيرون من مختلف أبناء ، وكانت هذه الحلقات جذابة ممتعة تخرج فيها كثيرون من المربيين والعلماء ، وحملوها إلى بقاع مختلفة .

تلاميذ الشیخ :

ومن الشیوخ الذین أخذوا عنه : الشیخ محمد بن ناصر بن معمر والد الشیخ عبد العزیز مؤلف « منحة القریب المجبی فی الرد علی عبّاد الصلیب » ونمّهم عبد الله بن محمد الناصري ، والشیخ عبد الرحمن بن خمیس إمام مسجد الدرعیة ، والشیخ عبد الرحمن بن نامی الذي تولی القضاة بالاحساء ، والشیخ محمد بن سلطان وقد تولی قضاة الاحساء أيضا ، والشیخ حسن ابن عیدان ، وكان قاضیا فی حرمیملاء ، والشیخ عبد العزیز بن سویلم وكان قاضیا فی القصیم ، والشیخ محمد بن راشد العربی وکان قاضیا فی ناحیة سدیر .

وفي قمة مَنْ تأثر بالشیخ وحمل دعوته إلی الآفاق أبناؤه وأحفاده ولا يزالون يعيشون هذا الجهد بهمة عالية ونجاح موفور .

رسالة وبيوته :

وعنی الشیخ كذلك بیارسال الكتب والبعوث للرؤسائے والقضاة بنواحی نجد ، فاستجاب البعض له ، واتجه آخرون للتکتل لحاربة دعوته الجديدة ، وحيثئذ أعلن الشیخ أن الجھاد للدعاوة شیء واجب ، وتعاونت الكلمة مع القوة فی الزحف الجديد ، وأصبح حملة الدعاوة جنود الله بعد أن كانوا جنود ابن سعود ، وهذا الاتجاه ضمن للزحف كثيرا من النجاح ، ويقول بعض المفكرين : إن الامتزاج بين القوة السعودية والدعاوة الإصلاحیة كان تماما لدرجة أن صار وصفا وهابی ونجدی مستخدما للدلالة على معنى واحد ^(١) .

وفاة الشیخ :

توفی الشیخ فی ذی القعدة سنة ١٢٠٦ھ (یولیو ١٧٩٢) ، وله من العمر أكثر من تسعين سنة هجرية بعد أن اشتغل بالدعوه والارشاد مدة خمسين سنتاً مقتالية ، وقد عظم شأن الشیخ فی حياته ، ولكنه مع هذا ظل

(١) صلاح العقاد : جزیرة العرب فی العصر الحديث ص ٧ .

زاهدا راضيا بالقليل ، وقليل من الناس من قنع بمثل هذا الاتجاه
القويم .

والآن بعد أن اتحدت الفكرة والقوة نستطيع أن نتابع هذا الزحف
الواعي وهو يحقق صوراً عظيمة من النجاح .

عودة للحديث عن محمد بن سعود :

عندما شاعت مبادئ الإمام محمد بن عبد الوهاب في الدرعية ،
وذاعت بيعة الأمير محمد بن سعود له بدأ أهل الدرعية يفدون له مؤيدين
مباغعين ، وسرعان ما أصبحت الدرعية مركزاً قوياً للدعوة الجديدة ،
وعرف أهل العيينة ذلك فانتقل منها إلى الدرعية كثيرون من تلاميذ الشيخ
ومريديه الذين التفوا حوله إبان إقامته بها ، بل إن عثمان بن معمر أسف
على ما حدث منه ، وكتب للشيخ يعتذر له ، ويطلب منه العودة إلى
العيينة مسقط رأسه ، ولكن الشيخ لم يستجب له .

واتجه الشيخ ومريديه إلى نشر الدعوة خارج الدرعية وسرعان ما
التحق بها أمير العيينة وعاهد الشيخ على إقامة الحدود الشرعية (١) ،
كما جاء أهل حريماء إلى الشيخ وبايده أيضاً .

وعنى الشيخ عناية كبيرة بشرح الإسلام الصحيح للمريدين الذين
توافدوا عليه من كل البقاع ، فأصبح بيته أشبه بمعهد علمي يتربى فيه
دعاة الإسلام وتلاميذ الدعوة الجديدة ليخرجوا منه إلى مختلف البقاع
ما استطاعوا لذلك سبيلاً .

صراع من أجل الدعوة :

وبجانب نشر الدعوة بالفكر والوعظة الحسنة ، قام محمد بن سعود
وابنه عبد العزيز في حياة أبيه ، بألوان من الصراع ضد الذين هددوا
الدعوة أو حاولوا خنقها ، ففي ١١٦٠ هـ غزا عبد العزيز بن محمد بن

(١) لم يخلص عثمان للدعوة إخلاصاً تماماً ، بل إنه تمرد أحياناً
عليها كما يقول مؤرخوها .

- ١٣٨ -

سعود ومنه عثمان بن معمر رئيس العيينة منطقة ثردا ، وهزموا أهلها ،
وتسمى هذه الواقعة وقعة البطين .

ولما قُتِلَ عثمان بن معمر سنة ١١٦٣ هـ ، وتولى مكانه مشاري بن معمر
رئيسة العيينة ظلَّ على إلاته للدعوة ، وأشتراكه مع عبد العزيز بن محمد
ابن سعود سنة ١١٦٤ هـ في معاودة الهجوم على ثردا التي وقفت من
الدعوة موقف المعارضة ، وتسمى هذه الواقعة وقعة (الوطية) وقد قُتِلَ
فيها عدد كبير من أهل ثردا .

وفي سنة ١١٧٧ هـ أي قبل وفاة الأمير محمد بن سعود بعامين
استطاع عبد العزيز بن محمد أن يستولي على بعض بلدان « سدير » .

على أن أشد معركة عانها آل سعدي في حياة الأمير محمد بن سعدي ،
كانت معركتهم ضد أمير الرياض « دهام بن دواس » الذي كان يبتلي
الموحدين في الرياض ومنفوحة بأنواع المصائب والمحن وما كان لهم أى
ذنب سوى أنهم انخرطوا في سلك دعوة التوحيد واتبعوا الشيخ في
دعوته . فاضطرر الشيخ والأمير إلى المقاومة ، وقد دام الصراع بين القوتين
فترقة طويلة ، ولم تنسقط الرياض في أيدي آل سعدي إلا بعد وفاة الإمام
محمد بن سعدي ، كما سترى عند الحديث عن ابنه وولي عهده عبد العزيز .

عبد العزيز بن محمد بن سعدي :

من الواضح للباحث في تاريخ آل سعدي أن هناك نوعاً من التداخل ،
بمعنى أن الصراع الذي دار في عهد الأمير محمد بن سعدي كان في حالات
كثيرة بقيادة ابنه عبد العزيز ، ومثل هذا حدث بالنسبة لعبد العزيز وأبنه
سعدي ، فإن الأمير سعدي طالما قاد جيوش أبيه ، وكسب النصر للدعوة
الجديدة ، في عهد أبيه ثم في عهده هو بعد ذلك .

وهناك شيء يلحظه الباحث مرتبطاً بالعلاقة بين الشيخ محمد بن
عبد الوهاب وأآل سعدي ، بعد جيل أو جيلين ، ذلك هو الاتجاه نحو اختفاء

الازدواجية إذ نشأ جيل ينحدر من الاثنين يسبب المصاورة التي قامت بين الركين السياسي والديني ٠

وفي عهد عبد العزيز كان اتساع الدولة السعودية سريعاً وواسع المدى ، ففي سنة ١١٨٢ هـ غزا سعود بن عبد العزيز بلدة عنزة وانتصر عليها ، وفي السنة التالية توجه عبد العزيز نفسه إلى القصيم ونزل بلدة الهلاليّة وأخذها عنوة ، وبابيعه أكثر أهل القصيم على السمع والطاعة ٠

على أن أكبر نصر أحرزه آل سعود في نجد في هذه الفترة كان استيلاؤهم على الرياض بعد حرب استمرت حوالي ثالثين عاماً ، وأنتهت سنة ١١٨٧ هـ عندما يئس دهام بن دواس من مقاومة آل سعود ففرج من الرياض واتجه إلى الأحساء ، واستولى عبد العزيز بن محمد بن سعود على الرياض وذلك بعد قتال ميرير ووقائع عديدة ، وكان سقوط الرياض في يد آل سعود يُعتبر خاتمة المقاومة العنيفة في نجد ، فلم تستطع أقاليم نجد بعد ذلك أن تقاوم دعوة الإصلاح وسيوف آل سعود ؛ ففي سنة ١١٨٩ هـ تم النصر على بريدة ، وفي سنة ١١٩٠ هـ أغار عبد العزيز على عربان آل مرة في الخروج ، وفي سنة ١١٩٣ هـ استولى سعود بن عبد العزيز على بلدة حرمٌة ، وفي سنة ١١٩٦ هـ أخذ سعود بن عبد العزيز الصبهة من مطير وفي سنة ١٢٠١ هـ هدم عبد الله بن رشيد أمير بلدة عنزة «الجناح» في عنزة تجحلاً مع ابن سعود بسبب خروج أهل الجناح على دعوة الإصلاح ، وفي سنة ١٢٠٥ هـ أغار سعود بن عبد العزيز على شمرٌ ومطير وانتصر عليهما ٠

ومن الواضح أن انتصارات آل سعود كانت تعترى بها نكسة أحياناً فتتراجع ، ولكنها سرعان ما كانت تنشط من جديد وتستعيد الزمام ٠

وعندما توفي الإمام محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ هـ كانت نجد كلها تقريباً خاضعة لآل سعود ، وتابعة لدعوة الإصلاح ٠

- ١٤٠ -

وقد بدأ عبد العزيز بعد أن امتد سلطانه على نجد يُغيّر على المناطق المحيطة بنجد ، وقد شملت غاراته هذه الاحساء وال العراق و عمان وغيرها ، فقد استولى سعود بن عبد العزيز سنة ١٣٥٧ هـ على الحساء والمقطيف ، بعد وفاة « الشَّيْطَن » زوال ملك آل حميد من بني خالد عن الحساء والمقطيف ، وكانوا قد استولوا على هذه المناطق سنة ١٣٨٠ هـ ٠

وفي سنة ١٢١٧ قصد عبد العزيز أرض كربلاء ونازل أهلها واستولى عليها ٠

أما عن الحجاز فقد شهدت سنة ١١٩٧ هـ توقيع صلح بين الأمير عبد العزيز والشريف سرور بن مساعد الذي جاء بعد أحمد بن سعيد الذي سبق أن ذكرنا أنه استدعى بعض علماء نجد لمناقشة علماء الحجاز حول الدعوة الاصلاحية وبمقتضى هذا الصلح سمِحَ للنجدين بأداء فريضة الحج ، ويقول ابن غنام « فشعر المسلمون وانتهزوا فرصة هذه الرخصة فحجوا ذلك العام ، وكانوا نحو ثلاثة مائة من الأئمَّة (١) ٠

وهكذا كان ملوك السعوديين عندما مات الأمير الثاني عبد العزيز بن محمد بن سعود (١٢١٨ = ١٨٠٣) واسع الرقعة ممتد الأطراف ، وقد تحققت بعض هذه الانتصارات على يده ، وتحقق الكثير منها بقيادة ابنه الأمير سعود الذي كان خير عون لأبيه في صراعه السياسي والعسكري ، وكانت وفاة الأمير عبد العزيز غيلة ، فقد قتله أحد شيعة العراق انتقاماً لما قام به الأمير من هجوم على الأماكن المقدسة لدى الشيعة بالعراق ٠

سعود الكبير :

استكملت الدولة اتساعها في عهد الأمير سعود ، ولذلك اصطلاح على تسميتها سعود الكبير ، إذ دانت له عمان واليمان واستولى على تيماء وخمير وفتح الحجاز ، ووضع الحرمين تحت حمايته وكان احتلاله لكة سنة ١٨٠٦

(١) روضة الانوار : ج ٢ ص ١٣٤ ٠

- ١٤١ -

ميلادية وأبقى الشريف، غالب ، في مكانه ^(١) ، وامتد سلطانه إلى نجران
وعسير *

ووصلت دولة السعوديين بذلك إلى أقصى اتساعها ، وهددت بلاد
الشام *

وفي الحجاز واجهت الدعوة الجديدة كثيراً من الأماكن المقدسة ،
ونفذت دون تسامح منهاجها كاملاً ، فهدمت القباب الأنثانية بمكة ، كقبة
السيدة خديجة ، وقبة المكان الذي ولد فيه النبي عليه المصلحة والسلام ، وفي
المدينة أخذ السعوديين الحلى والمذخائر التي كانت في ضريح الرسول ، ودمروا
القباب ، وأزالوا المصاطب بقبور البقيع ، وقد أحس كثير من المسلمين
بالأسى لهذا التصرف ، وإن اختلف سبب حزنهم ، فمنهم من كان حزنه
لضياع معالم التاريخ ، ومنهم من كان حفياً بالفن الإسلامي ، ومنهم من
رأى في ذلك جرحاً لعاطفته الدينية *

بيد أن الذي يقرأ عن الاتساع بالحجاز في هذه الفترة ، وعن
أعمالهم لا يسعه إلا أن يحس بضرورة الحركة الإصلاحية لإزالة الآثام التي
كانت سمة العصر بالأرض المقدسة ، وكان الجبرتي معاصرًا لهذه الأحداث ،
وهو يقول عنها : وفي هذه الأيام أيضاً وصلت الأخبار من الديار الحجازية
بمسالمة الشريف غالب للوهابيين ، وذلك لشدة ما حصل بالحجاز من
المضايقة الشديدة ، وقطع الجالب عنه من كل ناحية حتى وصل ثمن الأردب

(١) أشراف الحجاز في هذه الفترة هم :

أحمد بن سعيد	١١٨٤ هـ
عبد الله بن حسن	١١٨٤ هـ
أحمد بن سعيد (مرة أخرى)	١١٨٤ هـ
سرور بن مساعد	١١٨٩ هـ
عبد المعين بن مساعد	١٢٠٢ هـ
غائب بن مساعد	١٢٠٢ هـ
يحيى بن سرور	١٢٢٨ هـ

الصرى من الأرز ٥٠٠ ريال ، والأردب من البر ٣١٠ ، وقس على ذلك السمن والعسل وغير ذلك ، فلم يسع الشريف إلا مسامتهم والدخول في طاعتهم ، وسلوك طريقتهم ، فأخذ دعاتهم العهد عليه ، وألزموه بأن يأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها ، ومنع شرب الأراجيل في المسئى بين الصفا والمروة ، كما ألزموه بأن يأمر بمخالفة الصلوات في الجماعة ، ودفع الزكاة ، وترك لبس الحرير ، والمقصبات ، وإبطال المكوس والمظالم ، وكان الأشراف قد خرجو عن الحدود في ذلك حتى أن الميت كان يتحتم أن يتدفع عليه إلقاء حتى يسمح بغضله ودفنه ، كما ظهرت أنواع أخرى من البدع والمكوس والمظالم التي أحدها الأشراف على المبيعات والمشتريات ، على البائع والمشتري ، وكثرت مصادرات الناس في أموالهم ودورهم حتى كان الشخص يفاجأ وهو جالس في داره بأنها أصبحت ضمن أملاك الشريف وعليه إخلاقها حالا ، إلا أن يصالح عليها بمقدار ثمنها أو أكثر ، وقد التزم الشريف غالب أن يترك ذلك كله ويتبع ما أمر الله تعالى به في كتابه العزيز ، من إخلاص التوحيد لله وحده ، واتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما كان عليه الخلفاء الرأسدون والصحابة والتابعون ، والأئمة المجتهدون آخر القرن الثالث وترك ما حدث في الناس من الاتجاه إلى غير الله من المخلوقين الأحياء والأموات في الشدائدين والملمات ، وما أحدثوه من بناء القباب على القبور والتصاوير والزخارف ، وتنبيل الأعياد والخصوص والتذلل والمناداة والطواف والنذر وغيرها ، وعمل الأعياد الأصحاب هذه القباب وما يتبع ذلك من اختلاط الرجال بالنساء في هذه الأعياد ، وتعهد الشريف غالب بهدم القباب المبنية على القبور والأضرحة ، والقضاء على كل المستحدثات ^(١) .

وبسيطرة السعوديين على الحجاز أمنت السبل ، وأنقطع قطاع الطرق الذين كانوا ينتشرون في طرق الحجاز ، وتبعد ذلك أن انخفضت الأسعار

(١) تاريخ الجبرتي ج ٤ ص ٥ - ٦

- ١٤٣ -

وكثرت الأطعمة ، وعاد النشاط الاقتصادي إلى طبيعته ، ومع ذلك فقد ظل الشرييف غالب يأخذ العشور من التجار ، وكان إذا نوتش في ذلك يقول هؤلاء مشركون وأنا أخذ من المشركين لا من الموحدين^(١) .

وهكذا اهتم آل سعود بنشر العقيدة الإسلامية والقوانين الإسلامية السلفية في كل المناطق التي خضعت لنفوذهم ، ومن ثم اختفى من هذه المناطق شرب الخمر والسرقة وقطع الطريق ، وكانت وسيلة الأمير سعود للوصول إلى الأمان والنظام أن ألقى مسئولية الجرائم التي تقع في أية منطقة على شيخ القبيلة التي تقع هذه المنطقة تحت نفوذه ، ومن هنا جد شيخ القبائل في الضرب على أيدي المفسدين وكف أذاهم ، وبهذا نعم الناس بأمن لم يحلموا به منذ أمد بعيد ، فأقبلوا على الدعوة الجديدة وأيدوا الحكم السعودي^(٢) .

ولكن يد الاصلاح لم تمتد إلى الحياة العقلية أو الاجتماعية بل ربما عارض الشيوخ أي تطور من هذا النوع ، وقد ظل موقفهم كذلك حتى عهد الملك عبد العزيز آل سعود الذي تغلب على هذا الاتجاه خطوة خطوة فأخذت مظاهر المدنية تعرف الطريق إلى الجزيرة العربية^(٣) .

و قبل أن نترك دعوة الموحدين نذكر أن صداتها انتشرت إلى عدة أقطار إسلامية ، وكان موسم الحج أعظم مناسبة لذلك ، فسرعان ما ترددت أفكارها في الهند على يد زعيم اسمه الحاج أحمد ، وحملها السنوسى إلى شمال أفريقيا وعنى الشوكانى باليمين بدراستها ونشرها^(٤) .

على أن صوت الامام محمد عبده بمصر كان من أعلى الأصوات بأفكار هذه الدعوة ، ولكنه ضم لماربة البدع الأخذ بوسائل المادية الحديثة ، فكان صوته بذلك يناسب مصر ، ويناسبها البلاد التي فتحت أبوابها للمدنية الحديثة^(٥) .

(١) المرجع السابق ص ٦

القوى المضادة

لا شك أن هذا النجاح العظيم أثار ألوانا من السخط في جبهات مختلفة ، كان في مقدمتها العثمانيون الذين كان انتزاع الحجاز من سلطانهم يُعد تهديدا خطيرا لمانفهم كخلفاء المسلمين ، ثم ان السعوديين أرادوا أن ينذروا فكيرهم مع المصريين والأتراك ، فرفضوا قبول الحمل ومنعوا الطبول والاحتفالات التي كانت تتبع مع تسليم كعبـة الكـعبـة ، وعدوا ذلك من الانحراف ، وتسبب عن ذلك توقف الحجاج المصريين والسوريين ، ويقول ابن بـشـر^(١) : إن سعـودـا حـشـدـ جـيـوشـا عـظـيمـة لـمـعـ الحـجـاجـ الـقـادـمـينـ منـ الشـامـ وـالـسـانـبـولـ ، لأن سعـودـا حـشـىـ مـكـاـيدـ الشـرـيفـ غالبـ بـمـكـةـ ، وأخـرـجـ سـعـودـ ذـلـكـ العـامـ منـ كـانـ فيـ مـكـةـ منـ الأـتـراكـ ، كما أخـرـجـ مـنـهاـ منـ كـانـ بـهاـ منـ الـعـساـكـرـ التـرـكـيةـ .

وقد أثار هذا التصرف السعودي الأتراك ، واعتبر ذلك تمردا وبخاصة بالنسبة للحجاز فهو مكان مقدس لدى المسلمين ، ولا تستقيم لهم الخلافة الإسلامية بدونه ، ثم إن الدولة السعودية ضربت العراق وتطلعت إلى الشام ، وكل هذا أقض مضجع العثمانيين ودفعهم لمقاومة عنيدة ، وقد دخلوا هذا الصراع بقوائم المباشرة ، وتطلعوا لا إلى استعادة الحجاز فحسب بل إلى الاستيلاء على نجد والقضاء على السعوديين ، ودخلوا هذا الصراع بقوى غير مباشرة ، فدفعوا محمد على باشا حاكم مصر للاستيلاء على الحجاز وضرب السعوديين ودفعوا سليمان باشا والى العراق للهجوم على نجد ، فأرسل لها عدة حملات ، إحداها بقيادة تويني بن عبد الله والأخر بقيادة الوزير على كخيا ، كما حرکوا القوى العربية المنافسة لل سعوديين بالجزيرة وأمدوها بمال وسلاح والخبراء لغزو عمان ومسقط ، والشريف غالب أمير مكة ، وآل عمران أمراء العينية ،

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد حوادث سنة ١٢٢١ هـ .

- ١٤٥ -

وانضم أهل الحجاز للقوى المعادية لل سعوديين ، لأن توقف الحجاج المصريين والسوريين والأقراك أضر بمصالحهم واقتصادهم ، وبقى على الولاء لل سعوديين من أمراء الجزيرة صالح بن على أمير حائل وزعيم شمر ، فقد عقد صلحا مع الأمير تركي السعودي أكسبه نفوذا قويا على أكثر الجبل وعلى القصيم .

وكان من الأسلحة التي أطلقها العثمانيون ضد هذه الدعوة ، الدعاية القاسية التي جندت لها بعض الأفلام وبعض الألسنة ، فصوّرت الدعوة على أنها بدعة منكرة ، وانحراف خشن ، وأنها حركة ضد وحدة العالم الإسلامي ، ضد المقدسات الإسلامية .

وهناك خصم عنيد آخر ظهر في الجو وهو الاستعمار البريطاني الذي كانت له مصالح هائلة في الخليج ، وكان لا يخشى على هذه المصالح ما دامت السلطات الحاكمة في الجزيرة سلطات ضعيفة ، فلما بُني السعوديون دولتهم الكبيرة القوية التزم الاستعمار البريطاني أن يتدخل لحماية مصالحه بالسياسة والخداع ان كفت السياسة والخداع ، وبالتهديد والحروب عند اللزوم ، وعلى هذا تم تحالف بين الاستعمار البريطاني وبين سعيد بن سلطان صاحب مسقط ، وامتد نفوذ الانجليز إلى البحرين .

على أن الهجوم المصري كان أشد هجوم نزل بال سعوديين ، أما القوى العربية التي ثارت بالجزيرة فلم تكن في الغالب إلا امتداداً للهجوم المصري وتنفيذًا لتدبيره .

لماذا قامت مصر بزحفها على الحجاز ونجد ؟

هل كان ذلك استجابة لتعليمات الأستانة كما استجابت مصر لها فأشعلت

حربا ضد اليونان ؟

أو كان رغبة من مصر لاستعيد الحجاز امتداداً للقرون الطويلة التي كان فيها الحجاز تابعاً لمصر ؟ كما فعلت مصر في زحفها إلى الشام لنفس الغرض وعلى الرغم من إرادة الأستانة ؟

أو كان الرغبة في التوسيع كالزحف المصري إلى السودان وقلب افريقيا؟

إن بعض الباحثين يميلون للرأي الأول ، ويعتقدون أن الأستانة أرادت أن تتخلص من القوتين العربيتين : المصرية وال سعودية فضلت هذه بذلك ^(١) ، ولكن هذا الرأي ليس بشيء لأن العثمانيين المحبوا قوي مختلفة في داخل الجزيرة وخارجها ضد السعوديين ، ولأن العثمانيين كذلك دفعوا محمد على لحرب اليونان دون أن يكون الهدف التخلص من قوتين عربيتين كما يقترحه هذا الرأي الذي نراه ساذجا ، وأن محمد على وافق على الصلح مع السعوديين دون أن يستشير سلاطين الأستانة ، وكان اتجاه الصلح أن يرفع السعوديون أيديهم عن الحجاز وأن ترفع مصر أيديها عن نجد وسفرى ذلك فيما بعد مقتبسا من المراجع السعودية ، ولعل ذلك يقطع دابر هذه الفرية التي تتجه إلى القول بأن الباب العالي سخر مصر ليتخلص من القوتين العربيتين .

والذى نراه وتدل عليه اتجاهات التاريخ ، أن مصر كانت تتوجه لاستعيد نفوذها في الأماكن التي كانت تابعة لها خلال حقب طويلة ، وبخاصة في الحجاز الذي سيكسب مصر قوة معنوية كبيرة ، وقد سبق أن ذكرنا أن صلة مصر بالحجاز كانت طويلة المدى ، بدأت من عهد الاشعيدين واستمرت حتى العهد العثماني ، وقد كان العثمانيون حريصين على حرمان مصر من الاتصال بالحجاز ، ولذلك جعلوا الحجاز ولاية مستقلة تابعة للأستانة بشكل مباشر ، ولكن مصر مع هذا ظلت في المعهد العثماني شعبية المسئولة الأولى عن الحجاز ، وقد رأيناها تهب لتبني الكعبة المشرفة عند ما ثلقت الأنبياء بانهيار هذا البناء المقدس ، ولم تنتظر تعليمات أو أوامر من تركبا في هذا الشأن .

(١) فؤاد حمزة : قلب الجزيرة العربية ص ٣٠٦ وقد اقتبس الاستاذ سعيد عوض باوزير رأيه وكلماته ص ١١٨ في كتابه : معالم تاريخ الجزيرة العربية .

وكان مما ألهب المعواطف ضد السعوديين ما سبق أن أشرنا إليه أخذا عن ابن بشر أن سلطات السعوديين بالحجاز منعت حجاج الشام وتركيا ومصر من الدخول إلى الأرض المقدسة ابتداء من سنة ١٢٢١ هـ وقد وضح ابراهيم بن صالح أن هذا التصرف استمر بعد ذلك فقال : ان سعود بن عبد العزيز حج بالناس سنة ١٢٢٢ هـ ومنع حاج الشامي من الحج وفي سنة ١٢٢٣ حج سعود بالناس مرة أخرى ، ولم يحج أحد من الشام ومصر وتركيا تلك السنة^(١) .

ويذكر الجبرتي^(٢) أنه في شهر صفر سنة ١٢٢٢ هـ وصلت ثلاث سفن من جدة إلى السويس فيها أتراك وشواط وأجناس آخرون وذكروا أن الوهابي نادى بعد انتهاء الحج لا يأتي إلى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن ، وتلا في المناداة قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا »^(٣) .

ويحدد المؤرخ المصري عبد الرحمن الرافعى أسباب الزحف المصرى على الحجاز بقوله : أن الحرب ضد الوهابيين كانت وسيلة لتوطيد مركز محمد على كما كانت وسيلة لرفع شأن مصر وإعلاء مكانتها وبخاصة أن فكرة الانفصال عن تركيا ، وتحقيق استقلال مصر كانت تملئ على محمد على مشاعره ، وليس هناك من وسيلة تعلى مكانة مصر ، وتنبئها مركزاً ممتازاً ، وتكتسبها عطف الشرق والعالم الإسلامي مثل الحرب الحجازية التي أذاع محمد على أنها ترمى إلى إنقاذ الحرمين الشريفين من تحكم فرقته به ، وترمى إلى إعادة مناسك الحج وتأمين المسبيل للحجاج الذين يأتون كل عام من مشارق الأرض ويعاربها .

(١) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ١٣٠ وانظر الجبرتي ج ٤ ص ٥ .

(٢) تاريخ الجبرتي ج ٤ ص ٥٤ - ٥٤ .

(٣) سورة التوبة الآية ٢٩ .

- ١٤٨ -

ويستقر هذا المؤرخ فيقرر : أن محمد على خاض هذه الحرب لا لصالحة تركيا بل تثبيتاً لمركزه وإعلاءً لشأن مصر ، وقد حفقت الأيام صدق نظره ^(١) وقد ظلت مصر في الحجاز وفي غيرها من بقاع الجزيرة العربية إلى أن اضطربت الأحوال السياسية سنة ١٨٤٠ ، وانضطرت مصر إلى سحب جنودها كما وضمنا ذلك عند الحديث عن تاريخ محمد على في الجزء الخامس من هذه الموسوعة .

تلك هي الأسباب الحقيقية لهذا الزحف وسنسرير مع الزحف المصري لنصور بإيجاز خطواته ونتائجها :

(١) عصر محمد على : ص ١٢٥ - ١٢٦

- ١٤٩ -

الزحف المصري على الحجاز والجزيرة العربية

بدأ الزحف المصري على الحجاز سنة ١٢٢٦ = ١٨١١ ، وقد أشترك في قيادة الجيوش المصرية في هذا الزحف الأمير طوسون بن محمد على ، ثم سافر محمد على نفسه لإدارة المعارك ، وبعد أن عاد محمد على وعاد ابنه طوسون سافر البراهيم باشا لإكمال التسيير ، وستنتبع فيما يلي مسيرة الجيوش المصرية في الحجاز ونجد بشيء من الوضوح والإيجاز .

طوسون يقود الحملة :

أقلعت السفن تحمل الجنود من ميناء السويس في سبتمبر سنة ١٨١١ قاصدة ينبع ، أما الفرسان بقيادة طوسون فقد غادروا القاهرة في أكتوبر ، وكان يصحب الحملة طائفة من الصناع وأربعة من العلماء يمثلون المذاهب الأربع .

وقد أحسن أهل الحجاز استقبال الجيش المصري لأن قلة الحجاج ضيق عليهم أرزاهم ، كما رحب الشريف غالب بالجيش المصري لأن نفوذ السعوديين قد قضى على سلطانه .

وقد احتلت الحملة ينبع دون مقاومة تذكر ، ومن ينبع سارت الحملة برا فاحتلت وادي بدر وزحفت إلى وادي الصفراء ، وفي وادي المصفراء وقعت الموقعة الأولى المهمة بين الجيش المصري وال سعوديين وقد هُزم فيها الجيش المصري بسبب اختلاف قواه وتقدير بعضهم من الأرانعوط ، وقد أرسل طوسون إلى أبيه بخبر هذه الهزيمة وبأسبابها ، وطلب مددًا جديداً وقد تلقى محمد على هذه الأخبار ببرباطة جائش كما يقول الجبرتي ^(١) ، وأرسل المدد والأموال إلى ابنه ، فاستطاع المد الجديد

(١) عجائب الآثار : ج ٤ ص ١٤٦ ويعلق المؤرخ عبد الرحمن الرافعى على ما ذكره الجبرتي بقوله : إن الجبرتي كان يعطف كثيراً على الوهابيين ، ويدافع عنهم ، وينتقد الحملة عليهم وهو الاتجاه السائد بين كثير من المفكرين .

أن يستولى على الصفراء وأن يتتابع سيره إلى المدينة المنورة ، وقد استطاع في ذي الحجة سنة ١٢٢٧ هـ أن يستولى على قلعة المدينة حيث نزل أميرها على حكم طوسون ، ثم تقدم المصريون فاحتلوا الحنايكة شمالى المدينة ، وعاد طوسون بعد ذلك إلى ينبع ، وسار جنوباً إلى جدة فأخذها ، واستقبله بها الشريف غالب ، ومنها سار إلى مكة فدخلها دخول الظافر وقد عاونه في ذلك الشريف غالب وبقائل عرب الحجاز ، وكان ذلك في شهر صفر سنة ١٢٢٨ (١٨١٣) ، وما يذكر أن الأمير سعود الكبير كان قد حج في الموسم الذي سبق هذا الشهر ، وكان الشريف غالب في معيته ، وهذا يدلنا على تبذبب الشريف ، واحتلال أمره ، وبعد دخول المصريين مكة اتجهوا إلى الطائف واستولوا عليها في العام نفسه ٠

وفي تربة حصل لقاء هنّرِم فيه الجيش المصري ، واعتصم طوسون وجيشه بمكة والمدينة وجدة وينبع ، وأرسل إلى أبيه بذلك ، وطلب منه مزيداً من المدد ٠

محمد على يقود الحملة :

لم يجد محمد على بدّاً من أن يسافر بنفسه ليقود ذلك الصراع وقد درس محمد على ظروف الجزيرة دراسة دقيقة ووضع خطة حاسمة لتقوده إلى الفوز ، وأبحر بجيش المد إلى جدة ، ثم قصد مكة حيث أدى فريضة الحج ، وكان من أوائل الأعمال التي قام بها محمد على أن اعتقل الشريف غالب لأنّه إرتات في إخلاصه ، وأحسّ أنه يعمل لصالحه هو ، ويقمني تدمير القوتين المتصارعتين ٠

وحقق محمد على ألواناً من النصر فاحتل القنفذة ، وأخذ يستعد لزيادة من التقدم ، وفي هذه الأثناء مات الأمير سعود الكبير ، وخلفه في الإمارة ابنه عبد الله ٠

ثم حدثت موقعة فاصلة في «بِسْلٌ» وهو وادٍ شرقى الطائف وكانت بين محمد على وبين فيصل بن سعود ، وصارت الهزيمة على فيصل أخي الأمير عبد الله ومن معه ، وقتل منهم خلق كثير ^(١) ، واستولى محمد على على بيشة ورانية ، وفي الوقت نفسه زحف طوسون إلى الرس إحدى مدن نجد المهمة وهي تقع على نحو ٢٧٠ ميلًا في الشمال الشرقي من المدينة المنورة ، وقد استطاع أن يستولى عليها ، ثم أخذ الشبيبية الواقعة على طريق الدرعية ، كما استولى على الخبراء والبلاد الواقعة حولها ^(٢) .

وتجمعت لذلك الأسباب للوصول إلى حل وسط ، فوجود محمد على من جانب ووفاة الأمير سعود من جانب آخر ، وما تلا ذلك من انتصارات للجيش المصرى ، كل هذا دعا القوة السعودية أن تطلب الصلح وقد تم هذا الصلح سنة ١٢٣٠ هـ وهذا الاتجاه للصلح ساعد محمد على على العودة لمصر حيث كانت تتطلبه أسباب داخلية ، فعاد محمد على إلى مصر قبل إتمام الصلح بقليل .

أما نصوص هذا الصلح فنقتبسها من المؤلفين السعوديين :

يقول الشيخ عثمان بن بشر : في سنة ١٢٣٠ وقع صلح بين عبد الله ابن سعود وبين طوسون على وضع الحرب بين الفتئين ، وأن المصريين يرفعون أيديهم عن نجد وأعمالها ، ويرفع عبد الله بن سعود يده عن الحجاز وأن السابلة تمشي آمنة من الفريقين ، فالترك وأهل مصر والشام يمشون إلى نجد وجميع ممالك عبد الله ، والكل يحج آمنا ، وكتبوا بذلك سجلا ، ورحل جند طوسون من نجد متوجهين إلى المدينة ، وبعث عبد الله بن سعود بكتاب الصلح إلى مصر مع وفد مصرى ، ومعهم عبد الله بن محمد صاحب الدرعية ، والقاضى عبد العزيز بن حمد ليعرضوه على محمد على

(١) الشيخ ابراهيم بن صالح . تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ١٤٠ . وانظر الجبرتى : عجائب الاثار ج ٤ صفحات ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ، ٢١٢ ، ١٧٢ .

(٢) محمد بن عبد الله الانصاري : تحفة المستفيد ص ١٤١ .

- ١٥٢ -

صاحب مصر ، فوصلوا مصر ورجعوا منها وانتظم الصلح ^(١) .

ويقول الشيخ محمد بن عبد الله الأنصاري ^(٢) : ان طوسون بعد أن احتل الرس والخبراء ومسكه والمبصير . . جنح الفريقيان الى الصلح ، فوقع الصلح بين الامام عبد الله وأحمد طوسون على أن تنسحب القوات المصرية من جميع بلدان نجد ، وعلى ألا يتعرض الامام عبد الله للحجاز ولا لأحد من رعاياها الأتراك والحكومة المصرية وكتبوا بذلك عهدا ، ورحل الجيش المصري من الرس وتوجه إلى المدينة .

ويقول الشيخ ابراهيم بن صالح ، وفي سنة ١٢٣٠ قدم أحمد طوسون ابن محمد على بالعساكر العظيمة ، ونزل الرس والخبراء ، وكان عبد الله ابن سعود إذ ذاك في المذنب ، فلما علم بذلك رحل من المذنب ، ونزل في بلاد عنيزه ، وكانت آنذاك تابعة له ، واتخذ مزارع الحجناوى مركزا له نحو عشرين يوما ، وكان يصابر عساكر محمد على ويجادلهم ، ثم ان الصلح وقع بين أحمد طوسون وبين عبد الله بن سعود على وضع الحرب ، وأن عساكر مصر ترفع أيديها عن نجد ، ويرفع عبد الله بن سعود يده عن الحرمين ، وكل منهم يحج آمنا . وكتبوا بذلك سجلات ، ورحل أحمد طوسون ومن معه من العساكر في غرة شعبان من هذه السنة ، وتوجهوا الى المدينة المنورة ^(٣) .

ذلك هو الصلح وتلك هي بنوده من المراجع السعودية ، فماذا حدث بعد ذلك ؟ وما الأسباب التي أدت الى نقضه ؟ .

في الاجابة عن هذا السؤال نعود للمراجع السعودية أيضا :

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد : ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٢) تحفة المستفيد ص ١٤١ .

(٣) تاريخ بعض الحوادث الواقعه في نجد ص ١٤١ .

يقول الشيخ عثمان بن بشر : في سنة ١٢٣١ هـ سار عبد الله بجموع رعيته وقصد ناحية القصيم ، ونزل على بلدان الخبراء وهدم سورها وسور البكيرية عقوبة لهم على ما تقدم من استدعائهم محمد على ، وأقام عبد الله أياماً على الخبراء ، وقتل شاعراً من أهلها اسمه عميان قتله عبد الله بن حجيلان ، ثم سار منها متوجهًا إلى الحجاز ، وبعث جيشاً أغارت على الحرة بالقرب من المدينة ، وأخذوا أغناماً كثيرة وشيئاً من الأبل ، وقبض على ثلاثة من رؤسائه أهل الرس وسار بهم إلى الدرعية ، ويستمر الشيخ ابن بشر قائلاً إن هذه الغزوة سميت (غزة متحرسن) لأنها حدث النقض بسببيها ، وقد ركب رجال من أهل القصيم والبادى وزخرفوا القول لصاحب مصر ، فتلقى قولهم بالقبول ، وشمر في تجهيز العساكر إلى نجد^(١) .

أما الشيخ محمد بن عبد الله الأنصاري فينقل رواية ابن بشر ولكنه يضيف لها جملة ذات بال ، ومن أجل هذا يجدر بنا أن ننقل كلماته : في سنة ١٢٣١ هـ سار الإمام عبد الله رحمة الله بجموع المسلمين من الأحساء وعمان ووادي الدواسر والجبل ، والجوف ونجد ، من الحاضرة والبادى ، وقصد ناحية القصيم ، ونزل قرية الخبراء وهدم سورها وسور البكيرية عقوبة لهم لأنهم دخلوا في طاعة القائد المصري ، وتأدبياً لهم لئلا يعودوا مثلها ، وقتل شاعراً من أهل الخبراء يسمى عميان ، ثم توجه إلى الحجاز ، وبعث جيشاً أغارت على أعرابٍ في الحرة ، فركب رجال من أهل القصيم إلى مصر ، وشكروا إلى محمد على ما فعله بهم الإمام عبد الله ، وأنه نقض بذلك الصريح ، فشمّر محمد على في تجهيز العساكر إلى نجد^(٢) .

ويقول الشيخ ابراهيم بن صالح : وفي سنة ١٢٣١ هـ سار عبد الله بن سعود بجنوده من البادية والحاضرة وقصد القصيم فنزل الخبراء وهدم

(١) عنوان المجد : ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) تحفة المستفيد ص ١٤١ - ١٤٢ .

سورها وسور البكيرية وربط ثلاثة من رؤوس الرس والخبرا ، ومنهم الأمير شارخ الفوزان أمير الرس ، وسار بهم إلى الدرعية بسبب تعاونهم مع الجيش المصري ، وسميت هذه الغزوة « غزوة محرش » لأنها انتقض بسببها الصلح الذي بين محمد على وبين عبد الله بن سعيد ، وسار رجال من أهل القصيم إلى مصر وأكثروا القول عند محمد على ، فتلقي قولهم بالقبول وشمر في تجهيز العساكر إلى نجد ^(١) .

ويكل الحيدة يستطيع المؤرخ أن يبرز بعض النقاط من هذه المقتبسات :

أولاً : كانت هناك بلدان في نجد لا تزال تحرص على وضعها الاستقلالي الذي أشرنا له من قبل ، وتعارض زحف السعوديين لها ، ومن هذه البلدان الخبرا والرس والبكيرية وغيرها من مدن القصيم .

ثانياً : تعجل الأمير عبد الله في القيام بهذه الغزوة بعد عام واحد من الصلح وأنزل أضراراً بمن تعاونوا مع مصر إبان زحفها ، ويتحتم أن نتذكر أن هذا التعاون مع مصر لا يعد من الخيانة لأن كل بلدة وكل قبيلة كانت حتى ذلك الحين تحرص على استقلالها كما ذكرنا من قبل .

ثالثاً : لم يقنع الأمير عبد الله بالهجوم على بلاد نجد ، بل ترك أتباعه يقتلون ويسلبون .

رابعاً : امتد زحف الأمير عبد الله إلى الحجاز الذي كان الجيش المصري معرضاً فيه بناء على الصلح السابق .

إبراهيم يقود جيش مصر إلى نجد :

ذكرنا من قبل أن محمد على عاد إلى مصر سنة ١٢٣٠ بسبب أحداث داخلية رأى أنها تستلزم عودته ، وبعد الصلح مع السعوديين عاد طووسون

(١) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد : ص ١٤٢ .

أيضاً في نفس العام ، وفي العام التالي مات طوسون وعلى هذا كان الشوط الجديد بقيادة إبراهيم باشا ، وقد نزل إبراهيم باشا المدينة المنورة وضبط ثغورها واستولى على ما حولها من القرى ، ثم سار إلى الحناءة فانحازت إليه البوادي من حرب ومطير وعثيبة والدهامشة من عنيزه ، وخرج الإمام عبد الله من الدرعية ومعه جموع غفيرة من أهل نجد وقصد الحجاز ، وجرت حروب بين الجيشين ، فانهزم الأعراب الذين كانوا مع عبد الله ، وتتابعت الهزيمة في جميع الجيش كما بقول الشيخ عبد الله الانصاري ^(١) ، ثم سار إبراهيم من الحناءة إلى الرس وحاصرها ولكن أهلها قاوموا الحصار وكتبوا إلى عبد الله وهو مقيد في عنيزه يقولون له : أما أن ينادى إبراهيم باشا وينك عنهم الحصار وأما أن يأذن لهم في الصالحة ، وعندما لم يستطع عبد الله المناحة تم الصلح بين أهل الرس وبين إبراهيم ، ثم دخل إبراهيم بلدة عنيزه فقابله أهلها بالطاعة والتسليم ، ووصل إبراهيم من عنيزه إلى بريدة فسلمت له البلاد ، وكان كلما فتح بلداً أخذ رئيسه معه خوفاً من الخيانة ، ثم حاصر بلد شقراء مدة أسبوع ، ثم تم ^٢ صلح بينه وبين أهلها ودخل جميع أهل الوشم في هذا الصلح ، وسار إبراهيم باشا في بلاد نجد يفتحها صلحاً وحرباً حتى انتهى إلى الدرعية سنة ١٢٣٣ = ١٨١٧ م ^(٣) .

وفي الدرعية واجه إبراهيم جيشاً باسلاً يتخذ موقعه في حصنون تحيط بالمدينة ، وكانت المدينة مسورة ، وقد حاصر إبراهيم الدرعية أكثر من شهرين ، وكان الجنود السعوديون يدافعون عن أنفسهم بجسارة وقوة ، ثم حدث أن هبت نار التهمت مستودع الذخيرة المصري ، فأصبح موقف الجيش المصري حرجاً ، ويقول المؤرخون ^(٤) إن إبراهيم قابل تلك الكارثة بشجاعة وجلد ، وخطب في جنوده قائلاً : لقد فقدنا كل شيء ،

(١) تحفة المستفيد : ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) الشيخ محمد عبد الله الانصاري : تحفة المستفيد ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٣) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ص ١٦٠ .

ولم يبق لدينا إلا شجاعتنا ، فلننتذر بها ، ولنهاجم العدو بالسلاح الأبيض ، وأخذ يشجع الضباط والجنود ، وفي الوقت نفسه أرسل يطلب الذخيرة من الواقع التي قد تم فتحها كالشقراء وبريدة وعنيزة ومكة والمدينة .

وقد انتهز السعوديون قلة الذخيرة لدى الجيش المصري ، فهمموا هجمة قوية عليه ، ولكن ابراهيم أحكم خطة القتال ، فأمر جنوده بالاقتصاد في استعمال الذخيرة ، واستطاع بذلك أن يرد هجمة السعوديين .

وبعد فترة وردت إلى إبراهيم الذخيرة التي طلبها من الواقع المختلفة ، وجاءت رسالة من أبيه بأنه أمه بمدد بأسل بقيادة خليل باشا ، ولكن ابراهيم قرر أن يكسب النصر قبل وصول هذا المدد حتى لا يشاركه خليل باشا في شرفه ، فشدد هجومه على الدرعية التي أخذت أحياها تتساقط الواحد بعد الآخر ، ورأى عبد الله بن سعود إلا أمل في المقاومة فأرسل في سبتمبر سنة ١٨١٨ (أواخر ١٢٣٣ هـ) رسولا إلى إبراهيم باشا يطلب وقف القتال حتى يتم الاتفاق على الصلح ، يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعى : فابتهج إبراهيم باشا بهذه الرسالة ابتهاجا عظيما ، وأذن بوقف القتال ، ثم جاء عبد الله بن سعود نفسه إلى معيشك إبراهيم باشا ، فتقلاه القائد العظيم بالحفاوة والإكرام ، وتم الاتفاق بينهما على أن تسليم الدرعية إلى إبراهيم ، وأن يتعمد بالإبقاء عليها ، وألا يوقع بالسعوديين أو ينالهم بضرر ، وأن يذهب عبد الله بن سعود إلى مصر ثم إلى الأستانة كرغبة السلطان ، فقبل عبد الله بن سعود هذه الشروط حمامة لشعبه ولبلده ، واستولى الجيش المصري على الدرعية بعد حصار دام ستة أشهر ، وبعد فتح الدرعية لم تثبت المدن الأخرى من نجد أن خضعت لما خضعت له العاصمة ^(١) ، وتبعا لهذه الشروط جيء بعد عبد الله بن سعود إلى مصر فحسن محمد على استقباله ، وأكرمه ، وسفرى ذلك مفصلا بعد ثلث أيام

(١) عصر محمد علي : ص ١٦٠ - ١٦١ .

تبعاً لرواية الجبرتي ، ومن مصر أرسل عبد الله إلى الأستانة حيث أعدم هناك ، رحمة الله ، وسقطت بذلك الدولة السعودية الأولى .

نظرة شاملة لهذا الصراع :

في ختام هذه الدراسة نقدم بعض تعليقات حول هذا الصراع .

أولاً : إن المعروف أن الحرب تضعف المنتصر والهزوم ، فإذا كانت هناك روابط عديدة بين الدول العربية ، فينبع أن نصل إلى وضع حاسم بمنع أن يراق دم عربي بيد عربية ، فالقاتل والمقتول سيسببان ضعفاً للجسم العربي كله ، وقد قدمت مصر في معارك الجزيرة العربية فيضاً من الدماء وفيضاً من الأموال ، وكانت الفيافي والعواصف تهلك الرجال والذخائر والمؤثر ، ولو لا ما عرف عن محمد على وابنه إبراهيم من العزم ورباطه الجأش لكان من الممكن أن تكون نتيجة هذه الحروب على غير ما كانت ، وقدم السعوديون كثيراً من التضحيات في الأنفس والأموال ، وليس لهذه التضحيات من هنا أو هناك أي طائل ، وقد استطاعت الأجيال الحاضرة أن تتناسى أهوال الماضي لأن الروابط بين مصر وال سعودية أعمق وألزام للطرفين من أن تهتز بسبب هذه الأحداث ، فالحاضر والمدحتبل يحتاجان إلى وصف عربي واحد يتقدمه تعاون وثيق بين مصر وال سعودية .

ثانياً — لقد أوصفت المراجع السعودية مصر ، وكان مؤلفوها في قمة الحياد ، والدقة التاريخية ، ولم يذكر الجبرتي ولا سواه من المؤرخين المصريين ، شيئاً عن غزوة المحرش ، وعن نفس الجانب السعودي للصلاح الذي كان قد تم بين السعوديين والمصريين ، ومن هنا استحق هؤلاء المؤرخون كل تقدير واعجاب ، أما الجبرتي المؤرخ المصري الذي عاصر هذه الحرب فلم تصله آنذاك أخبار هذه التحركات بدقة ، ومن هنا لم يدون عنها شيئاً ، وعلى نهجه سار المؤرخون المصريون المتأخرلون ، بل المؤرخون في العالم كله .

ثالثاً — لقد ذكرنا من قبل مذهب الشيخ محمد عبد الوهاب الذي

اعتنقته الساطحة السعودية وتصرفت بمقتضاه ، فهاجمت كربلاء ومفتتحت حاج الأتراك والمصريون من الحج - وتحرشت بالشام ، ولو أن قادة السعوديين آنذاك فعلوا ما فعله البطل المحنك العظيم « الملك عبد العزيز » لما قامت هذه الحرث ، فالمملوك عبد العزيز اعتقد فكر محمد بن عبد الوهاب ، ونفذه في بلاده ، وقدمه لآخرين دعوة خالية من العنف أو الغزو ، فلتبق المشاهد في كربلاء ، ولتبق في مصر ، والمهم أن الحج مفتوح للجميع ، وليس للحج عندما يصل إلى الديار السعودية أن يتسمح بالشاهد أو القبور ، ولكن لا تكفير لأحد ولا منع لأحد من الحج ، والدعوة سلسلية تسبر دون سيف ودون إكراه ، وقد سار سيرة الملك عبد العزيز أبناءه الملوك من بعده .

رابعا : لم تكن كل البلاد النجدية التي امتلكها السعوديون الأوائل تعد نفسها جزءاً لا يتجزأ من الدولة السعودية ، بل كانت تتبعها بحكم الغزو ، كما كان يحدث دائمًا في الجزيرة العربية ، بدليل ما ذكرناه من قبل من أن أهل القصيم أجمعوا سنة ١١٩٦ على نقض بيعتهم لل سعوديين واستقعنوا برئيس الحسا والقطيف وقتلوا هنّ عندهم من المعلمين ٠٠٠ فيما كان آخرى السعوديين الأوائل بأن يثبتوا معتقداتهم وسلطانهم في بقاع نجد قبل التفكير في الهروج بهذه المعتقدات إلى خارج نجد .

خامسا : دمر ابراهيم باشا بلدة الدرعية عاصمة السعوديين ، فقد اختار لجيشه ربوة مرتفعة تجعل الدرعية هدفًا قريبًا المنال ، وقد زرت هذا المكان سنة ١٩٧٦ ورأيت أنقاض الدرعية ، وإحساسنا في المهد الحاضر يصوّر تصرف ابراهيم في الدرعية عنفاً وقسوةً ، ولكن المؤرخ ليس عادلاً إذا حكم بإحساس اليوم على عمل جرى منذ أكثر من قرن ونصف ، وبخاصة إذا وضعنا في الميزان ما يقال من أن تصرف ابراهيم كان رد فعل لتصرفات مماثلة ارتكبها القوات السعودية ضد القوات المصرية في ساعات قرائجها أو هزائمها .

سادسا : عن معاملة مصر لأسرى السعوديين نسوق دراسةً أغفلتها

كثيرون من الذين يعنون بإثارة الغبار ، ونعتمد في ذلك على الجبرتى وهو مؤرخ ثقة عاصر الأحداث ، وبخاصة أنه لم يكن راضيا عن الزحف المصرى على الجزيرة العربية ، وكان متعاطفا مع الفكر الذى قال به الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وكان فى الوقت نفسه سوء الصلة بمحمد على باشا وهذا يجعل كلامه جديرا بالقبول :

يقول الجبرتى في أحداث السابع عشر من المحرم سنة ١٢٣٤ هـ
(نوفمبر ١٨١٨) :

وفيه وصل عبد الله بن سعود ، فدخل من باب النصر راكبا هجينا ، فذهبوا به إلى بيت اسماعيل باشا بن محمد على باشا ، فأقام به يومه ، ثم انتقلوا في الصباح التالى إلى بيت الباشا بشبرا ، فلما دخل قام له محمد على وقابلة بالبشاشة ، وأجلسه بجانبه وحادثه وقال له ما هذه المطاولة ؟ فقال عبد الله : الحرب سجال . قال الباشا : وكيف رأيت إبراهيم ؟ قال : ما قصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما كان ، فقال الباشا : أنا إن شاء الله أترجح فيك عند مولانا السلطان . فقال الأمير : المقدر يكون ، ثم أليسه الباشا خلعة ، وعاد الأمير إلى مقره ببيت اسماعيل باشا .

ويواصل الجبرتى يومياته عن هذا الموضوع فيذكر أن الأمير عبد الله ابن سعود سافر يوم التاسع عشر من المحرم ١٢٣٤ إلى الاسكندرية ومنها إلى دار السلطنة بالأستانة ، ومعه عدد من خدمه حسبما طلب .

وقد ذكرنا آنفا أن الأستانة قضت باعدام الأمير ونفذت ذلك القضاء ، وهو تحريف ليس غريبا على الأستانة التى كان القتل فيها عقوبة كثيرة الوقوع ، ولم يُحدِّد معها ما تقدم به محمد على من ر جاء ، ولا شك أن الباحث يجد الفرق شاسعا بين المعاملة التى لقيها الأمير في القاهرة ، وبين تلك التى قوبلا بها في الأستانة ، وهو فرق ينبع عن صلة الدم

— ١٦٠ —

والعروبة بين مصر والجزيرة العربية ، فان محمد على أنزل الأمير السعودى في منزل يليق به ، وأحسن استقباله ، وحادثه ب بشاشة ، ووعده بالعون لدى السلطان ، وخلع عليه ، وأحسن له ولذويه . وتلك صفات قلما نجدها بين المنتصر والمهزوم .

أما باقى الأسرى فيتحدث عنهم الجبرقى بقوله : حضر بوافقى السعوديين والوهابية بحريرهم وأولادهم ، وكانوا نحو أربعمائة نسمة ، وأسكنوا بالقرب من الأزبكية من غير حرج عليهم ، وطفقوا يذهبون ويحيطون ويمشون فى الأسواق ويسترون البضائع والاحتياجات ، وتتردد كثير من مشائخ الوهابية على العلماء والشيوخ بمصر واستمعوا إليهم واستفادوا من علومهم^(١) .

ويرى بعض المفكرين أن اللقاء العلمى بين أتباع الشيخ محمد عبد الوهاب وبين علماء مصر أثرى الفكر الوهابي وهذا نوعا ما من غلوائه ، وهذا هو السبب في الفرق الذى اتفص فيما بعد بين هؤلاء من جانب وبين « الأخوان » الذين سبّحت بهم فيما بعد من جانب آخر ، فإن هؤلاء « الإخوان » ظلوا نشأة مدوية أميل إلى الخسونة والجهوة ، وكانت تعارض كل إصلاح وتراه بدعة ، مما اضطر الملك عبد العزيز إلى مصارعتهم والقضاء عليهم .

أما اللقاء السياسى بين قادة مصر وقادرة السعوديين فقد برهن على أن العلاقات بين مصر وال سعوديين لها جذور طيبة ، ولا تشابهها أو تقارب منها العلاقات بين السعوديين والعثمانيين ، أو بين السعوديين والأشراف .

سابعا : تعيب على محمد على باشا أنه أرسل عبد الله بن سعود إلى الأسكندرية ، واكتفى بالوعد بأنه « سيترجى فيه السلطان » فمحمد على يعرف قسوة السلاطين وسهولة إراقة الدماء عندهم ، وقد كان محمد

(١) تاريخ الجبرقى ج ٤ صفحات ٣٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣١٩ .

- ١٦١ -

على وزنه آنذاك ، ولو اعتبر محمد على الأمير^٢ السعودى لاجئا له لكان من الممكن فيما نعتقد أن ينتقد^٣ الأمير من القتل ، وكان ذلك يوضع في ميزان الحسنات له .

وهكذا زالت الدولة السعودية الأولى ، ولكنها وضعت الأساس الذى لم يمكن إزالته ، وعلى هذا الأساس بدأت تقوم الدولة السعودية الثانية التى آن الأوان لنتكلم عنها .

- ١٦٢ -

الدولة السعودية الثانية

فترقة صراع من سنة ١٨٢١ إلى ١٨٨٩

تمكن محمد على من الاستيلاء على الحجاز ونجد وبلاط عسير ، ولم يُقدّم هذه البلاد إلى العثمانيين بل شرع في إدارتها على وجه الاستقلال كما لو كانت خاصة لحكمه المباشر^(١) .

ولم يطل بقاء المصريين في نجد التي سيطروا عليها في سنة ١٨١٨ ، فلم تجئ سنة ١٨٢١ حتى كانوا قد بدأوا الانسحاب منها مكتفين بالحجاز وقانعين من نجد بالاعتراف الاسمي بسلطانهم ، وهكذا يؤكد وجهة النظر التي ترى أن الرزف المصري على الجزيرة العربية لم يكن استجابة لتعليمات الأستانة بقدر ما كان لدافع داخلي هو الرغبة في إعادة ربط الحجاز بمصر ، وهو ما حدث في أكثر فترات التاريخ الإسلامي .

ونقطة أخرى تؤكد هذا الاتجاه ، تلك هي بروز الصراع السافر بين محمد على وبين الأستانة بعد ذلك ، وقد اتضح في هذا الصراع أن محمد على حريص على أن يكون الحجاز مصر تماما ، ولكن الدولة العثمانية كانت تدرك أن ذلك يضعف مكانتها الدينية في العالم الإسلامي ، وقد طلبت تركيا تدخل روسيا وأوروبا في هذا الصراع ، وكانت إنجلترا تخشى التطور السياسي والديني للقوة الناشئة في مصر ، فأخذت جانب الأتراك مع الآخرين ، وأرغم محمد على على إخلاء الحجاز سنة ١٨٤٠ م وضاعت سدى تلك الدماء العربية التي أريقت على الأرض المقدسة من المهاجمين أو المدافعين وانتهت بذلك علاقة مصر بالحجاز .

وهكذا انسحبت مصر من نجد سنة ١٨٢١ وبقيت بالحجاز حتى سنة ١٨٤٠ م ثم انسحبت منه أيضا كما قلنا ، وقد خلفهم الأشراف في الحجاز

(١) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

يحكموه باسم العثمانيين (وستتكلم عن الأشراف فيما بعد) أما نجد فإن انسحاب مصر منها ترك بها فراغا هائلا واضطرابات جمة كتلك التي تحصل دائمًا وقت المحن ، فقد حاول السعوديون استعادة مكانهم ، ولكن المصراع كان قد طحنهم ، وجعل جبهتهم مقصدة حافلة بالفتنة ، كما كانت هناك قوى أخرى في نجد وفي الأحساء نافست السعوديين ومن أهمها قوة آل الرشيد التي نمت وأصبحت خطرًا على السعوديين وقد تحدثنا عنها من قبل (١) .

على أن أنسق ما عاناه السعوديون كان الفتنة الداخلية بين أمرائهم ، وقد سقط في هذه الفترة عدد من الأمراء كان بعضهم خفيف الوزن لا يستحق الذكر ، وكان بعضهم بطلا ولكن الظروف كانت أقوى منه ، ومن هؤلاء الأبطال الأمير تركى الذى استعاد الرياض ، واستعاد كثيرا من ملك آبائه بمساعدة ابنه فيصل ، ثم قتل تركى غدرا بيد ابن عممه مشارى بن عبد الرحمن بن سعود ، مع أن الأمير تركى أكرم مشارى هذا عقب عودته من مصر ووفاته عليه ، ولكن الهزائم والاضطرابات تخلق الفتنة ، وتخرّب الذمم ، وقد دفع هذا القاتل رأسه ثمنا لغدره ، فقد قتله فيصل بن تركى ثارا لأبيه ، وراح فيصل في إمارته الأولى (١٨٣٤ - ١٨٤٨) يواجه التفكك الذى كان لا يزال سائدا في نجد ، وكان كجده محمد بن سعود في لينه أحياها وشجاعتها أحياها ، وقد استطاع أن يستعيد نجد كلها وينشر بها الأمن والسلام ، وأخذ يتطلع للجهاز الذى كانت لا تزال تابعة لمصر ، فتصدت له مصر ، وكان مع مصر بعض النجديين بقيادة خالد بن سعود وأرسلت مصر حملة بقيادة خورشيد باشا سنة ١٨٣٨ م ولم يستطع فيصل أن يطيل أمد مقاومته لها ، فاستسلم وأرسل إلى مصر مع أخيه جلوى ولديه عبد الله ومحمد وعيّنت مصر خالد بن سعود مكانة ، وبعد نهاية حكم مصر في الجزيرة العربية أى

(١) انظر حديثنا عن آل الرشيد و موقفهم من الدولة السعودية الثانية فيما كتبنا آنفا .

بعد سنة ١٨٤٠ خلعه أهل نجد وولوا عبد الله بن ثنيان ، ولم يدم حكمه كذلك فترة ذات بال ، فإن مصر أطلقت فيصلى فعاد هذا إلى نجد واستعاد الإمارة ، وظل بها بقية عمره ، وقد ساعده على الاستقرار نهاية المنفوذ المصري بالجزيرة ، وحسن الصلة مع الأتراك الذى عمل له فيصل ، وبعد وفاة فيصل هبت حقبة جديدة من الحروب الأهلية في هذا العهد متمثلة في الصراع بين ولدى فيصل عبد الله الثالث الذى تولى الإمارة أولاً ، وسعود الثالث الذى اغتصب الإمارة من أخيه عبد الله فترة ، ولكنه سرعان ما مات واستطاع أولاده أن يقبحوا على عهم ويأسروه وأن يتولوا السلطة في الرياض ، وقد أضعف هذا الصراع شأن السعوديين وقوى جانب منافسهم محمد بن رشيد في حائل . وانتهز ابن الرشيد فرصة ساحت له ، فإن عبد الله الثالث استدرج به ليفك أسراه ، فهرب ابن الرشيد للرياض وفك أسر عبد الله وأخذه إلى حائل ، وقتل كثيراً من السعوديين ومكث لنفسه في الرياض ، وأقام بها عاملاً من قبله بجوار عبد الرحمن بن فيصل (والد جلاله الملك عبد العزيز) الذي اختاره ابن رشيد أميراً للرياض ولكن عبد الرحمن لم يقبل أن يحكم الرياض في ظل ابن رشيد ، ودار صراع في القصيم بين الأمير عبد الرحمن وأمير عنزة وأمير بريدة من جانب وبين ابن رشيد من جانب آخر ، وكانت الغلبة لابن رشيد وكانت هذه آخر محاولة يستطيعها الأمير عبد الرحمن ، فلما فشلت حمل متعاه إلى الكويت حيث نزل في ضيافة آل صباح سنة ١٨٩١ وولي ابن الرشيد محمد بن فيصل بن تركي ليحكم الرياض تحت سلطانه ، ولما مات محمد هذا استبد ابن الرشيد بالأمر ظاهراً وباطناً^(١) ، وانتهت بذلك الدولة السعودية الثانية التي كانت حافلة بالاضطراب والفوضى .

ذلك تصوير سريع لتاريخ نجد من مطلع الإسلام حتى قيام المملكة العربية السعودية التي آن لنا أن نتحدث عنها وعن أمجادها ، والتي

(١) سيأتي حديث خاص عن آل الرشيد فيما بعد .

كوَّنت دولة حقيقية بالجزيرة العربية ، ذاتت فيها المدن والقبائل ، واحتفت الميول المتعارضة ، وأصبح الكل يفخر بالانتساب لها ، وليس بها سيطرة لمدينة على مدينة ولا لقبيلة على قبيلة ، وإنما السلطة للقانون ولشرعية السماء التي اتخذتها الدولة دستوراً لها ، وقد عملت المملكة العربية السعودية على الربط الشامل بين هذه الأقصان بواسطة الطرق المرصوفة ، وبواسطة الطائرات التي تنتشر مطاراتها في مختلف النواحي بالبلاد ، بواسطة الصحافة والإذاعة .

وسيطروا علينا عن المملكة العربية السعودية وعمّا حققت لإنسانها بوجه خاص وللإنسان العربي والمسلم بوجه عام .

الملكية العربية السعودية

- ١٦٩ -

الدولة السعودية الثالثة

من سنة ١٩٠١ م

دولة البطوأة والامتنوار والتقدم

يرتبط قيام الدولة السعودية الثالث بشخصية تعددت فيها نواحي التفوق والجلال ، تلك هي شخصية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ، لقد كان الرجل شجاعاً لا يعرف التردد ، ونبيلاً لا ينسى وعده ولا يغدر فيه ، وكريماً شديد الرغبة في العطاء ، وعاقرياً يحسب خطواته بدقة ،

وقد خلقت المحن هذا البطل ، ودفعته الأقدار ليلعب دوراً يشبه الأحلام والأساطير .

والجزيرة العربية في مطلع القرن العشرين كانت بها قوتان كبيرتان هما السلطنة العثمانية والإمبراطورية البريطانية ، وكانت هناك قوى عربية كثيرة تعخش في ظل القوتين الكبيرتين . ففى ظل العثمانيين كانت تعيش قوى الداخل ، وفي ظل الإنجليز كانت تعخش القوى التي تقطن ساحل الخليج ، وبوجه الدقة كان الأشراف بالحجاز ، وأل الرشيد بحائل والرياض ، ونائيف الهازن في عنزة ، ومحمد أبو الخيل في بريدة ، كل هؤلاء كانوا يديرون بالولاء للعثمانيين ، أما آل الصباح بالكويت ، وأمراء البحرين فكان ولاؤهم للإنجليز .

في هذا الجو وصل عبد العزيز إلى عهد الشباب ، وحمل مسؤولية الصراع ، واتجه بكل قوته إلى مسقط رأسه وعاصمة أجداده إلى الرياض ، وأول معركة خاضها عبد العزيز في هذا الشأن كانت تلك المعركة التي أعد جيشه أمير الكويت وأشترك فيها آل سعود ضد آل رشيد ، ولم تنجح هذه المعركة ، كما ذكرنا من قبل وكأنما أحسن عبد العزيز أن نجاحها

سيينقل الرياض من سلطة آل الرشيد إلى سلطة آل الصباح ، وهو يريد الرياض بجهده خالصة له ولآلته ، والأجل هذا المهدف كان لابد من خطة تجمع بين المغامرة والدقة ، بين المفاجأة والتنظيم ، ووضع عبد العزيز هذه الخطة ، وهي كما قلنا من قبل شيء أشبه بالأساطير ٠

لقد خرج هذا الشاب يريد تحقيق هذا المهدف الكبين بمجموعة صغيرة المدد ذاتية العدة ، ولكنها كبيرة القلوب والأعمال ، لقد كان عددها ستين شخصا ، ولكنهم كانوا من الرجال الأشداء المخلصين ، كانوا منبني قومه ومن خلصائه ، كان منهم أخوه محمد وابن عميه عبد الله بن جلوى وعبد العزيز بن مساعد ، ووصل بهم مكانا اسمه « ذيل عشب » بضواحي الرياض في الرابع من شوال سنة ١٣٩٦ هـ (١٩٠١) وعسكر بهم في مكان لا يلتفت الانتظار ٠

وبعد أن استراح قليلا ترك منهم عشرين فارسا في هذا المكان لحراسة مؤخرتهم ، وقال لهم اذا لم تأت لهم أخبار منه خلال أربع وعشرين ساعة فإن عليهم أن يذهبوا إلى الكويت ويخبروا والده أن ولده عبد العزيز ومن معه قد قبضوا نحبهم ، أو سقطوا أسري بيد ابن الرشيد ٠

وتقدم بالعدد الباقى قاصدا الرياض ، وقبل أن نواصل الكلام عن هذا الزحف، الهادئ المهاطل يجدر بنا أن نتعرف على الحالة في الرياض آنذاك لنرى ظروف هذه المدينة التي سيقفز لها هؤلاء العمالقة ،

كان ابن الرشيد قد بنى حصنًا بالرياض سمّاه (المصمك) وأنزل به جماعة من رجاله الأشداء ، وعين لإدارة الرياض واليا من الأبطال اسمه عجلان ، وكان هذا الوالي يخاف انتقامسة الرياض ، أو يخاف أي هجوم على الرياض من الخارج ، ومن أجل هذا كان يمضى ليلا في هذا الحصن بين الجنود ، ولا يأوي إلى بيته إلا مع إشراقة الصباح وكان هذا التصرف سرا لا يعرفه إلا خاصته ، وبالتالي لم يعرفه عبد العزيز آل سعود ولا

صحابه ، وقد استلزم ذلك أن تدور المعركة على نحو غير النحو الذي خططت له ، ولبيان ذلك نعود إلى الجماعة المهاجمة بقيادة عبد العزيز لمعايشها لحظة لحظة في تلك الأمسية التي غيرت وجه التاريخ في هذه المنطقة .

عندما وصل عبد العزيز و أصحابه الأربعون إلى سور الرياض أدقوا ثلاشون بجوار السور برياسة شقيقه محمد انتظاراً لتعليماته وتقدم بالعشرة الباقين ، فاستطاع بهم أن يخطى الأسوار حتى وصلوا إلى بيت مجاوري لبيت الأمير عجلان عامل ابن الرشيد ، وكان هذا البيت مملوكاً لـ تاجر ، فعرفت زوجة التاجر عبد العزيز وأوشكـت أن تصريح بين الخوف والترحاب ، ولكن عبد العزيز أمرها بالصمت الشامل ، وهددـ بأنـ أي صوت سيجلب المـضـرـرـ علىـ صـاحـبـهـ ، ولـضـمانـ الصـمـتـ دـفـعـهـمـ عبدـ العـزيـزـ إلىـ إـحدـىـ غـرـفـ المـنـزـلـ وـأـقـفـلـهـاـ عـلـيـهـمـ ، وـتـسـلـقـ عبدـ العـزيـزـ وـصـاحـبـهـ إـلـىـ بـيـتـ مـجاـورـ بـيـتـ الـأـمـيـرـ عـجلـانـ ، وـفـيـهـ وجـدـ اـمـرـأـةـ وزـوجـهـاـ نـائـمـينـ فأـغـلـقـ عـلـيـهـمـ الـبـابـ كـمـاـ فـعـلـ مـعـ أـصـحـابـ الـبـيـتـ الـأـوـلـيـ ، وـأـصـبـعـ عبدـ العـزيـزـ بـذـكـ قـرـيبـاـ مـنـ الـمـعـمـعـةـ الـتـيـ كـانـ يـتـوـقـعـهـ ، وـحـبـنـهـ أـرـسـلـ إـلـىـ أـخـيهـ وـإـلـىـ مـنـ مـعـهـ الـذـيـنـ تـرـكـهـمـ عـنـ أـسـوـارـ الـمـدـيـنـةـ لـيـلـحـقـوـاـ بـهـ ، وـعـنـدـمـاـ اـجـتـمـعـ جـمـعـهـمـ بـدـعـواـ يـتـسـلـقـونـ أـسـوـارـ قـصـرـ عـجلـانـ ، وـكـانـ عبدـ العـزيـزـ يـعـنـقـدـ أـنـ سـيـوـاجـهـ عـجلـانـ بـقـصـرـهـ فـقـضـىـ عـلـيـهـ نـائـمـاـ أـوـ مـسـتـيقـظـاـ ، وـلـكـنـهـ عـرـفـ وـهـ بـالـقـصـرـ أـنـ عـجلـانـ لـاـ يـبـيـتـ فـيـ المـنـزـلـ ، وـقـدـ أـخـبـرـتـهـ بـذـكـ زـوـجـهـ عـجلـانـ ، وـلـكـنـهـ هـدـدـهـ بـالـوـيـلـ وـالـثـبـورـ إـنـ رـفـعـتـ صـوـتـهـ ، وـجـلـسـ عبدـ العـزيـزـ وـصـاحـبـهـ يـتـرـقبـونـ لـحظـةـ خـروـجـ عـجلـانـ مـنـ الـحـصـنـ مـعـ إـشـراـقـةـ الصـبـحـ .

وـفـتـحـ بـابـ الـحـصـنـ وـخـرـجـ مـنـ عـجلـانـ بـيـنـ عـشـرـةـ مـنـ رـجـالـهـ ، فـدـفعـ عبدـ العـزيـزـ بـعـضـ صـاحـبـهـ لـيـدـخـلـوـاـ الـحـصـنـ وـلـيـوـاجـهـوـاـ مـنـ بـداـخـلـهـ ، وـانـدـفـعـ هوـ وـمـعـهـ بـعـضـ رـفـاقـهـ لـمـواجهـةـ عـجلـانـ ، وـدارـ صـرـاعـ مـرـيرـ ، صـرـاعـ حـيـاةـ أـوـ مـوـتـ بـيـنـ عبدـ العـزيـزـ وـعـجلـانـ ، وـحاـوـلـ الـأـخـيـرـ أـنـ يـرـتـدـ إـلـىـ الـحـصـنـ وـلـكـنـ عبدـ العـزيـزـ حـالـ دونـ ذـكـ فيـ أـوـلـ الـأـمـرـ ، وـلـكـنـ عـجلـانـ اـسـتـطـاعـ

على الرغم من إصابته برصاصة من بندقية عبد العزيز أن يصل إلى داخل الحصن ، بيد أن عبد الله بن جلوى لحق به وقضى عليه ، وفي هذه الأثناء كان الرصاص يندفع من كلا المطوفين ، وعندما عرف أتباع ابن الرشيد أن الأمير عجلان سقط قتيلاً ضعفت قوتهم وهانت عزائمهم ، وكان عددهم حوالي الثمانين قتل أكثرهم واعتصم الباقيون في برج من بروج الحصن فأمنهم عبد العزيز فاستسلموا *

ومما يذكر عن الملك عبد العزيز أنه كان لا يحب سفك الدماء إلا للضرورة القصوى ، وكان يؤمن من طلب الأمان ، ولا يعرف التاريخ أنه غدر في أمان أعطاه *

ومع إشراقة الشمس نادى المنادي بأن آل سعود عادوا إلى الرياض بقيادة عبد العزيز ، وأن عامل ابن الرشيد قد قتل كما قتل بعض رجاله واستسلم الباقيون ، فضجت المدينة بالفرح والبشرى بسبب ما عاناه السكان خلال حكم ابن الرشيد ، وامتلأ الجو بأهاريج الأغانى ، وزحفت جموع المهنيين تعلن الفرج والتأييد ، وقد قتل في هذه المعركة اثنان من أتباع عبد العزيز ، وجروح أربعة (١) *

وسرعان ما أخذ عبد العزيز يحصن الرياض ، ثم استدعى آباء وذويه وأتباعه ، وفي فترة قصيرة أصبحت الرياض قوة سعودية هائلة ، ووقفت بصلابة أمام المحاولات المتعددة التي قام بها ابن الرشيد ليسلبها مرة أخرى ، وكانت وفود الأبطال تأتى إليه من كل الجهات تدعم جبهته وتقوى ببنائه *

وقفة عند الواقع التاريخية :

في يناير سنة ١٩٧٧ زرت «المصحف» ورأيت أبراجه ، وعششت

(١) روى الملك عبد العزيز قصة هذا الصراع وقد تلقاه عنه عدد كبير من الممعين ودونته عدة مؤلفات *

رداً من الزمن في المكان الذي شهد هذه المعركة التي غيرت تــاريــخ المنطقة ، ورأيت بقايا الحراب بباب الصملــك ، وقد تأســف لأنــ أكثر المعالــم من الأسوار والــماــزل التي شــهدــت هذه الأحداث التــاريــية قد أزــيلــت ، وحلــت محلــها عــمارــات شــاهــقة ، ولو كان الأــحســ التاريخــي قــويــا لاستــدــ الحرــص على هذه المــوــاقــعــ التــارــيــخــيــة ، أو عــلــ أنــ النــاســ لا يــهــســونــ بــقــيــمةــ مــثــلــ هــذــهــ المــوــاقــعــ وــهــمــ عــلــ مــقــرــبــةــ زــمــنــيــةــ مــنــ الأــهــادــاتــ ، وــلــكــنــ إــذــ بــعــدــ الزــمــنــ ظــهــرــتــ الــقــيــمــةــ التــارــيــخــيــةــ لــهــذــهــ المــوــاقــعــ ، وــكــمــ أــتــمــنــىــ أــنــ تــعــادــ هــذــهــ الــنــطــقــةــ إــلــىــ مــاــكــانــتــ عــلــيــهــ ، فــذــلــكــ كــســبــ عــظــيمــ لــلــتــارــيــخــ .

عبد العزيز يواصل جهوده :

بعد فترة رأى عبد العزيز أنه آن الأوان ليخرج من الرياض مستــيدــا علىــ الســلــيبــ ، فــبــدــأــ حــمــلــتــهــ تــشــقــ الطــرــقــ ، وــتــبــعــتــ الضــجــيجــ فــيــ نــجــدــ ، وــهــاجــمــ مــقــاطــعــاتــ نــجــدــ وــاحــدــةــ بــعــدــ أــخــرــىــ حــتــىــ اــســتــعــادــهــاــ جــمــيــعــاــ عــلــىــ النــظــامــ التــالــىــ :

في عام ١٣٢٠ هـ ١٩٠٣ م احتــلــ وــاــحــتــىــ الخــرــجــ وــالــأــفــلــاقــ .

وفي عام ١٣٢١ هـ ١٩٠٤ م احتــلــ الســدــبــ وــالــوــشــمــ .

وفي عام ١٣٢٢ هـ ١٩٠٥ م احتــلــ عــنــيــزــةــ .

وفي عام ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م احتــلــ بــرــيــدــةــ .

على أن المعارك التي دارت حول بريدة كانت بعيدة الإثــيرــ في حــيــاةــ عبدــ العــزــيزــ ، وــفــيــ حــيــاةــ منــطــقــةــ نــجــدــ ، فــفــيــ مــوــقــعــةــ (ــرــوــضــةــ مــهــنــاــ)ــ قــرــبــ بــرــيــدــةــ ســنــةــ ١٩٠٦ــ ســقــطــ لــبــنــ الرــشــيدــ قــتــيــلاــ ، وــتــضــعــضــتــ بــمــوــتــهــ ســلــطــةــ قــوــمــهــ ، وــتــضــعــضــتــ بــمــوــتــهــ كــذــلــكــ أــطــمــاعــ العــثــمــانــيــنــ الــذــيــنــ كــانــواــ يــصــارــعــونــ عبدــ العــزــيزــ فــيــ نــجــدــ بــوــاســطــةــ آلــ الرــشــيدــ ، وــلــمــ يــجــدــ العــثــمــانــيــنــ بــدــأــ مــنــ مــحاــوــلــةــ إــجــرــاءــ نوعــ مــنــ الــمــصالــحةــ بــيــنــهــمــ وــبــيــنــ عبدــ العــزــيزــ الــذــيــ بــدــأــ فــارــســ الــمــيدــانــ وــبــطــلــ نــجــدــ ، وــلــكــنــ عبدــ العــزــيزــ كــانــ لــاــ يــثــقــ فــيــهــمــ وــمــنــ هــنــاــ مــرــتــ فــقــرــةــ بــعــينــ الشــدــةــ

والآمن ، ولكن اتجاه عبد العزيز إلى ضرورة النصر جعل المعركة في هذه الآونة لا تهسم إلا بالسيف ومن أجل هذا كان على عبد العزيز أن يخوض في الجزيرة العربية جولات أبعد مدى ، وأشد قسوة ، ومناطق هذه الجولات هي :

الأحساء : حيث كان يعسكر العثمانيون •

حائل : منطقة آل الرشيد •

عسير : حيث إمارات الأدريسيين وآل غائض •

الحجاز : حيث سلطة الأشراف •

وفي الصفحتان التاليتين سنتدارس هذا المصراع منطقه إنما منطقه ، لنرى النتائج التي حصل عليها الملك البطل :

الأحساء

تضبط الأحساء بفتح المهمزة ، ويقول ياقوت^(١) إنها جمع « حِسٌ » بكسر الحاء وهو ماء المطر يهبط على أرض تكسوها الرمال ، وتحت الرمال أرض صلبة ، فإذا نزل المطر سرعان ما يختفي بين الرمال حتى يصل إلى الأرض الصلبة فتحجزه ، ويمكن الحصول عليه بحفر الآبار ، ويكون عذباً بارداً *

ويذكر ياقوت أن البادية بها عدة أحساء وأن من أشهرها أحساء الخليج في منطقة البحرين *

ومنطقة الأحساء هذه منطقة مهمة من مناطق المملكة العربية السعودية ، وكان يحكمها الفرس قبل الإسلام ، وكان يسكن بها جماعات من عبيد قيس وبكر وتميم ، وقد أرحل لها الرسول العالى بن عبد الله الحضرمى ، فدخلت الإسلام على يديه ، وفي الأحساء قامـت دولة القرامطة ، وبعد القرامطة تنازعـتها الأيدي الحاكمة ، وعـبتـتـ بهاـ أـيدـىـ الـبـدوـ ، وـتـنـفـتـهاـ الـسـعـودـيـونـ فـيـ دـوـلـتـهـمـ الـأـوـلـىـ ، ثـمـ اـفـتـرـعـتـهاـ مـنـهـمـ الـمـصـرـيـونـ بـعـدـ فـتـحـهـمـ الدـرـعـيـةـ سـنـةـ ١٨١٨ـ ، وـعـادـتـ لـلـسـعـودـيـينـ فـيـ دـوـلـتـهـمـ الـثـانـيـةـ فـيـ عـهـدـ الـأـمـيـرـ فـيـصـلـ ، وـظـلـتـ تـحـتـ حـكـمـ السـعـودـيـينـ حـتـىـ عـهـدـ اـبـنـهـ عـبـدـ اللهـ حـيـثـ اـسـتـولـىـ عـلـيـهـاـ . مدـحـتـ باـشـاـ سـنـةـ ١٨٧١ـ بـاسـمـ الـأـقـرـاكـ وـالـحـقـقـاـ بـهـ لـاـيـةـ الـبـصـرـةـ ، وـأـخـيـراـ كـانـ فـتـحـهـمـ الـثـالـثـ علىـ يـدـ عـبـدـ العـزـيزـ آلـ سـعـودـ سـنـةـ ١٩١٣ـ *

وقد اتبع عبد العزيز تخطيطاً دقـيقـاً لـفـتـحـ الـأـحسـاءـ ، فـقـدـ رـسـارـ فـيـ أحـدـىـ لـيـالـىـ الـرـبـيعـ فـيـ سـبـعـةـ آـلـافـ مـنـ رـجـالـهـ الـأـقـوـيـاءـ قـاصـداـ الـنـطـقـةـ الـشـرـقـيـةـ ، وـاتـجـهـ إـلـىـ الـمـهـوـفـ مـرـكـزـ الـادـارـةـ الـعـثـمـانـيـةـ ، وـقـدـ اـسـتـعـانـ

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٣٦ *

(٢) حافظة ولهـ : جـزـيرـةـ الـعـربـ فـيـ الـقـرـنـ الـعـشـرـيـنـ صـ ٨٣ـ *

عبد العزيز بأعوانه من آل القصبي ويوسف الذين كتبوا له عن مواطن الضعف وعن أصلاح الأماكن للهجوم ، وقبيل الفجر كان عبد العزيز يحاصر بقواته الهائلة حامية العثمانيين ، التي فوجئت بهذا الحصار ، فلجأ عدد من الحامية وعائلتهم إلى مسجد هناك وتحصنوا فيه ، فحاصرهم عبد العزيز وهددهم فاستسلموا ، وأمنهم عبد العزيز على حياتهم وأسلحتهم الخفيفة ان خرجوا من غير قتال ، فقبلوا ذلك ، فرحا لهم عبد العزيز الى (العقير) ومن هناك أعد لهم سفنا نقلتهم إلى البحرين ، ولم يسمح لهم بنقل الأسلحة الثقيلة التي كانت موجودة في المهاوف ، وبسقوط المهاوف لم تستطع الحامية العثمانية في القطييف أن تقاوم ، فاستسلمت للقوة التي أرسلها لها عبد العزيز ، وسلكت الحامية العثمانية في العقير نفس المسلك^(١) .

وكان فتح الأحساء ذا شأن كبير من الناحية السياسية والاقتصادية والعسكرية ، فقد وضع السعوديون أقدامهم على ساحل الخليج مرة أخرى ، وذلك يحقق لهم مكانة سياسية واقتصادية هائلة ، ثم ان هذه المنطقة هي التي انفجرت منها كنوز البترول ، تلك الكنوز التي دفعت الخير والشرف إلى مملكة آل سعود .

وتاريخ فتح الأحساء يضع مؤشرا خطيرا ، فإن الحرب العالمية الأولى كانت على الأبواب ، ووجد العثمانيون لا مناص من وضع حد لهذا الصراع حتى يتقرعوا للخطر الأعظم الذي كان يهدد العالم آنذاك ، ذاتعرف العثمانيون بعد عبد العزيز واليا على نجد ، ومتصرفها على الأحساء ، على أن تكون ولاية نجد هن بعده لأولاده وأحفاده ، ومن الواضح أن العثمانيين لم يكونوا مخلصين في هذا الاتجاه ، ولكن المبرورة ألجانthem له ، بدليل أنهم كانوا في نفس الوقت يشجعون آل الرشيد ويمدونهم بالسلاح لمحارمة نجد ، ومناضلة السعوديين . ولم يكن البترول قد تدفق آنذاك في منطقة الأحساء ، وهذا سهل على العثمانيين التضحيه بالمنطقة .

(١) محمد فرج : الأمة العربية ص ٧٣ .

ومن نتائج انتصار السعوديين على الأحساء كذلك أن بريطانيا بدأت تتصل بعد العزيز ، وتدخل معه في مباحثات سياسية إذ كانت بريطانيا في ذلك الحين تحتل الكويت وتستعد كذلك لخوض الحرب العالمية الأولى ، وقد نتج عن هذه المباحثات أن عقدت معايدة (العقير) بين عبد العزيز وبين بريطانيا ، وكان في هذه المعايدة تأييد لعبد العزيز من القوة العظمى ، وفي نفس الوقت كانت تحوى بعض القيود ضد استقلال الدولة السعودية ، ومن أجل هذا حرص الملك عبد العزيز فيما بعد على أن يتخلص من هذه القيود عندما توطدت أقدامه وساعدته الظروف على ذلك .

الحرب العالمية الأولى وأثرها على المنطقة :

انتهى عبد العزيز من الأحساء سنة ١٩١٣ كما رأينا ، وقبل أن يواصل صراعه في المناطق الأخرى بالجزيرة اندفعت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ، فشغلت العالم كله ، ويدو أن الدول الكبرى أرغمت الدول الصغرى على عدم إثارة المشكلات في فترة الحرب العالمية المرجة ، فكان من الضروري أن توجّل — إلى حين — خطوات الصراع الذي كان على السعوديين أن يخوضوه .

وكان عبد العزيز خلال الحرب العالمية الأولى حسن الصلة بالإنجليز ، لأن المصلحة بينه وبين العثمانيين لم تكن طيبة ، ثم ان انتصار العثمانيين كان معناه استمرار استغلال هؤلاء للإسلام للسيطرة على البلاد العربية ، وذلك ما لم يكن عبد العزيز ولا العرب يريدونه ، وانتهت هذه الحرب بهزيمة العثمانيين وبالتالي بجلائهم عن البلاد العربية كلها ، ومن ضمنها الجزيرة العربية وقد قفز على أثر ذلك شريف الحجاز يطمع في أن يحل محل العثمانيين في الجزيرة ، كما كانت هناك منطقتا حائل وعسير تنتظران جولة السعوديين ، وسنواصل فيما يلى وصف الصراع الذي عاناه الملك عبد العزيز ضد هذه القوى حتى تتضح النتائج النهائية .

آل الرشيد

في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي كانت جبال شمر عاصمتها حائل خاضعة للأمير محمد بن عبد المحسن بن على ، ولكن كان هناك منافس يتطلع للسلطة ، ذلك المنافس هو عبد الله بن على بن الرشيد من عشيرة جعفر *

ولم يقو عبد الله بن الرشيد على الصراع ، فكتَّلَ المنطقة ، ولجأ إلى الرياض التي كان الأمير تركي يعيده إنشاءها بعد انسحاب الترك والمصريين منها ، وتقرب عبد الله بن الرشيد من فيصل بن تركي ، وصاحبته في غزواته في حياته أبيه ، ولما قتَّلَ مشاري ابن عمه الإمام تركي واستولى على الإمارة بالرياض ، كان الأمير فيصل بن تركي آنذاك في إحدى غزواته بالقطيف فعاد بسرعة إلى الرياض ومعه عبد الله بن الرشيد ، وبذل هذا جهداً كبيراً للثأر للإمام القتيل ، واستقرت الإمارة لفيصل بن تركي الذي كانا عبد الله ابن الرشيد بأن عينه حاكماً على جبال شمر محل منافسه *

ولكن عبد الله بن الرشيد لم يستطع أن يحتفظ بإمارته طويلاً ، فقد استعادها منافسوه بمعونة الترك ، وأرغموه على الفرار ، فاتخذ بعض القرى الصغيرة مركزاً لنشاطه ، ثم حدث أن انصرف الترك والمصريون عن آل على ، فجدد ابن الرشيد صراعه ضد آل على ، ثم جاءت قوة عسكرية مصرية برئاسة خورشيد باشا سنة ١٨٣٨ فقابلته عبد الله بن الرشيد وأعلن له خضوعه ، وقدم له هدايا وفيرة ، فاطمأن له خورشيد وأجلسه على كرسى الإمارة في حائل ، وفر أمرها من آل على تجاه المدينة المنورة ، فقتل في الطريق ، واستقر الأمر لآل الرشيد في حائل ، واستطاع أن يضم لإمارته منطقة الجوف (دومة الجندي) في وادى السرحان ، كما استطاع أن يضم بعض الواحات الشمالية ، وقد حكم عبد الله هذه الولاية حتى وفاته سنة ١٨٤٧ ، تاركاً ثلاثة أبناء هم طلال ومتعب ومحمد ، وإذا كان عبد الله بن على بن الرشيد هو الذي أسس هذه الإمارة فإن طلالاً ابنه

- ١٧٩ -

خطا بها خطوات كبيرة للأمام ووصلت القمة في عهد محمد ابن الثالث
لعبد الله .

وتفصيل ذلك أنه في عهد طلال استطاع هذا أن يضم لها خير وتيماء
بعد انسحاب الترك منها ، وبعد طلال جاء عهد مليء بالاضطرابات والفتنة
والصراع بين أبناء طلال ومعهم متبع ، ثم قفز إلى السلطة محمد ابن
الثالث لعبد الله بن على ، وقد استطاع أن يتخلص من كل منافسيه فخلا
له الجي ، وساعدته الظروف فامتد سلطانه امتداداً واسعاً حتى سيطر
على كل البلاد النجدية من وادي السرحان إلى وادي الدواسر ،
ومن تيماء وخير إلى قرب الخليج وكثيراً ما امتد سلطانه إلى تدمر وجبار
حوران (١) .

ثم سُنحت له فرصة فاحتبتها ، وقد أشرنا لها من قبل وهي أن
صراعاً دار في البيت السعودي بين أولاد فيصل بن تركى ، واستتجد به
عبد الله بن فيصل فهرب إلى الرياض ودخلها ثم ثبت بها أقدامه ، وثارت
القصيم وعنزة وبريدة على حكمه وتجمعوا حول عبد الرحمن بن فيصل
ابن سعود ، ولكن محمد بن عبد الله بن الرشيد هزمهم ، فقد كانت الدنيا
آنذاك قد أدارت ظهرها لآل سعود ، وقد اعترف عبد الرحمن بذلك فأخلى
الرياض لآل الرشيد كما قلنا من قبل ، ولجا ضيفاً على أمراء الكويت
سنة ١٨٩١ م .

وكان محمد شديد القسوة ، وقد قضى على أعدائه ومنافسيه بوحشية
شديدة ، وتقول ليدي آن بلنت : إن تصرفه ذلك نشر الرعب في طول
البلاد وعرضها ، ولم يعد أحد يجرؤ على معارضته ، أو إثارة الرعب في
إمارته ، ومن هنا اختفى قطاع الطرق ، وأصبح المسافر يستطيع أن
يتجول في أي جزء من المصحراء بأمان وأطمئنان ، كما اختفى المتصوّص

(١) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ص ٣٥٢ بتصريف .

- ١٨٠ -

من المدن ، وكان يوارى قسوته بالكرم ، لعله يجلب رضا الناس عنه ،
ولم ينجب محمد أولادا ، ولذلك هبت بعد موته صراعات هريرة ^(١) .

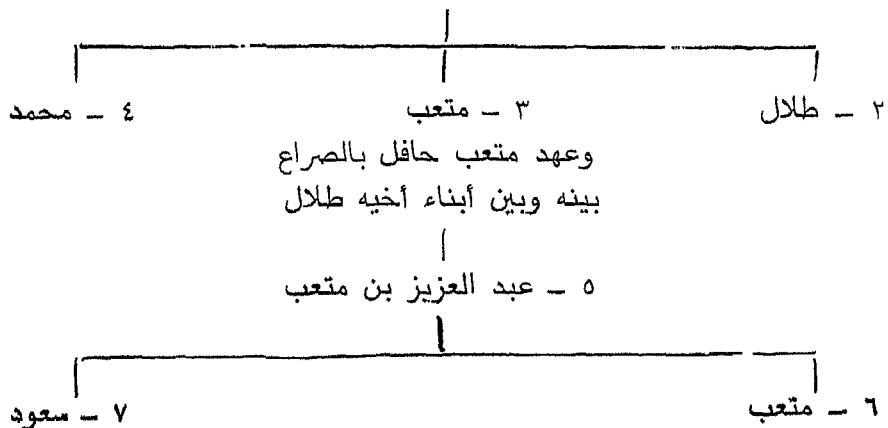
وبعد محمد بدأت الأمور تتغير ، فآل الرشيد دب بينهم خصم
وصراع ، وآل سعود هب من بينهم بطل م GAMER ذكي هو المرحوم الملك
عبد العزيز ، وقد استطاع هذا أن يستعيد الرياض سنة ١٩٠١ كما ذكرنا
من قبل ، ثم أخذ يوسع إمارته رويدا رويدا على حساب الحروب الداخلية
التي هبت بين أمراء آل الرشيد الذين لا يستحقون أن نذكر أسماءهم
أو نقف عندهم ، وبعد الحرب العالمية الأولى ، وبعد أن فقد آل الرشيد
حماية الأتراك العثمانيين وعنفهم أصبح سهلا على الملك عبد العزيز آل
سعود أن يقضى عليهم ، وأن يضم إلى مملكته آخر قلاعهم في حائل
سنة ١٩٢١ م .

(١) رحلة إلى نجد ص ١٦٣ .

- ١٨١ -

وأشهر أمراء آل الرشيد هم :

١ - عبد الله بن على بن الرشيد



منطقة عسيرة

تذكر الوثائق والمراجع التاريخية^(١) أحاديث فيها كثير من الغموض عن إمارات صغيرة قامت جنوب الحجاز في عسير وفي الجنوب منها إلى حدود اليمن ، وسكان هذه المناطق ليسوا شيعة ، ولذلك حرصوا على عدم الاندماج في الدولة الزيدية باليمن ، ولكنهم في الوقت نفسه حرصوا على إلا تشملهم شرافة مكة ، ويمكن القول أن هذه الامارات الصغيرة كان يشملها التفكك الواسع الذي لف الجزيرة كلها منذ أمد بعيد ، ومع الطابع الاستقلالي لهذه الإمارات فإنها كانت تعترف بشكل ما بسلطة الحكومة ، التركية بعد الزحف التركي إلى الحجاز ، إذ كان الأتراك لهم سلطان فعلى على منطقة القنفذة بالساحل ، وبذلك كانت تهاجم هذه الإمارات وكان الأشراف في بعض عهود قوتهم يمدون نفوذهم إلى هذه المناطق أو أكثرها فيعترف الأمراء بسلطانهم وبمكانتهم .

وأقدم هذه الإمارات إمارة أبو عريش التي ظهرت على أثر دخول العثمانيين مصر والجاز ، واتفقت واختلفت مع العثمانيين ثم انقطعت أخبارها حتى مطلع القرن التاسع عشر حيث بدأت تظهر من جديد ، وتشترك في الأحداث التي قامت بها مصر وال سعوديون والعثمانيون في هذه المناطق ، وقد حل الأدربيسيون محل آل أبي عريش ، والأدربيسيون جديرون بكلمة أوسع بالنسبة للمكانة التي حققوها في هذه المنطقة ردها من الزمن ، وجد الأدارسة رجل من أهل العلم والصلاح جاء من المغرب الأقصى ، وعاش في صبيا في رحاب آل عريش فترة نافس فيها الزيدية في الجنوب ، والوهابية في نجد ، فالفت حوله كثير من الناس ، فلما ضعف آل عريش كان الأدارسة في وضع يهبي لهم أن يرثوا السلطة في هذه الإمارة ، وكان أول من أعلن قيام الأدارسة هو السيد محمد على الأدربيسي .

(١) في هذا الموضوع توجد وثائق لدى وزارة الخارجية السعودية ووزارة الخارجية البريطانية ، كما توجد عدة كتب مثل تاريخ بلاد العرب لموجارث ، وظهور أئمة صناع لتراثيون ، وتاريخ المخلاف السليماني لفهد بن أحمد بن عيسى .

والسيد محمد على الإدريسي ولد في صبيا وتعلم في مكة وفي الأزهر الشريف ، وزار واحة الكفرة مركز السنوسية ، وزار السودان ، ثم عاد إلى صبيا ، وقد استفاد من هذه الرحلات تجارب مهمة ، ثم إن الفترة كانت تمنح الفرنس لأنها فترة السلطان عبد الحميد ، وما مارسه من أعمال المكر والحيل ، ولم يُضيع الإدريسي الفرصة فأعلن استقلاله بمنطقة صبيا ، وأرسلت له الحكومة العثمانية قائدًا يتعرف حاله ، فاستطاع الإدريسي أن يخدعه وأن يظهر الولاء للدولة فنال رضا ذلك القائد ، وثبته في صبيا وأبى عريش .

ولم يدم هذا الوفاق طويلاً فإن الإدريسي أخذ يوسع دائرةه ويهاجم ولاة العثمانيين ، وأعلن الانفصال عن الدولة العثمانية سنة ١٩١٠ م ، ولكن الشريف حسين شريف مكة أبدى استعداده بالنيابة عن العثمانيين في كبح جماحه ، وسار فعلاً ولكنه لم يتحقق نجاحاً يذكر ، وبعد عودة جيش الشريف اتفق الإدريسي مع أيطاليا ، وأخذ منها بعض أسلحة ، وكان المصراع بينها وبين العثمانيين قد بدأ ، واستطاع أن يثبت أقدامه في منطقته ، وقادت الحرب العالمية الأولى فاتفاق الإدريسي مع الانجليز ، وعقد معهم معايدة سنة ١٩١٧ اعترفوا فيها بسيادته على تهامة حتى اللحية في الجنوب والقنددة في الشمال ، وبلغت دولة الأدارسة في عسير بذلك أقصى اتساعها فشملت قبائل قحطان بالقسم الجنوبي من عسير ، والقسم الأكبر من تهامة من البرك حتى الحديدة ، ويبلغ طول هذه المنطقة من الشمال للجنوب ٣٥٠ ميلاً وعرضها ٧٠ ميلاً ، وشملت ما كان معروفاً بالخلاف السليماني وجيزان وغيرها ، ومنطقة أبى عريش ، ووصلت جنوباً إلى اللحية ، وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى ترك لهه الانجليز الحديدة التي احتلوها خلال الحرب اعترافاً بخدماته التي قام بها ضد الأتراك ، وقد استطاع الإدريسي أن يتحالف مع سلطان نجد (الملك عبد العزيز) وبهذا وقف في وجه الشريف حسين في الشمال والأمام يحيى في الجنوب .

— ١٨٤ —

وعقب وفاة السيد محمد الأدريسي الكبير سنة ١٣٤١ (١٩٢٢ م) أغتنم الامام يحيى ملك اليمن الفرصة فاستولى على الحديدة وبعض مناطق الساحل ، وثار المسكن ضد الأمير الأدريسي الجديد على بن محمد الذي لم يستطع حماية إمارته فهرب هذا إلى السعودية بيان فتح الحجاز . ولم يستطع الأمير الحسن شقيق الأدريسي الكبير أن يحافظ بإمارته وقتا طويلا على الرغم من الأعياب السياسية التي اتبعها ، فأرسل للملك السعودي يطلب حمايته ، ويقول حافظ وهبة : اجتمعنا بمندوب الإدريسي ووضعنا ما معاهدة الحماية سنة ١٩٣٦ لإنقاذ ما بقى من ملك الأدارسة ^(١) .

وفي سنة ١٩٣٠ طلب الأمير الإدريسي أن تضم البلاد إلى مملكة جاللة الملك عبد العزيز لتصبح جزءا لا يتجزأ من هذه المملكة ، وقد نم إعلان ذلك ولكن الإدريسي أراد سنة ١٩٣٣ أن يتراجع فشار في عسير تهامة ، فاغتنم الامام يحيى باليمن الفرصة ، فهاجم منطقة عسير ، واستولت جيشه على نجران ، فأرسل الملك عبد العزيز ابنه الأمير فيصل في مايو سنة ١٩٣٤ على رأس قوات كبيرة نزلت جيزان ثم زحف بقواته إلى ديرى واستولى عليها ، وخضع له سكان اللحية وقبائل «مور» ثم تقدم فاستولى على الحديدة وخضعت له قبيلة الزرافق ، وفي أثناء وجوده في الحديدة نزلت بها قوات مسلحة بريطانية جاءت على ثلاث سفن حربية بدعوى حماية الرعايا البريطانيين الهنود الذين كانوا في اليمن ، ووصلت سفينتان حربيتان إيطاليتان لرعاية الطيarian ، وقد استطاع الأمير فيصل أن يُجرِي مفاوضات مع هؤلاء وأولئك انتهت بانسحابهم من هذه المناطق ، وقد انتهى الصراع بين اليمن وال سعودية بتوقيع معاهدة الطائف سنة ١٩٣٤ على أن تكون الحديدة لليمن ، وعسير تهامة ، وعسير السراة لل سعودية .

وبقى من هذه الإمارات المصغيرة إمارة آل عائض في عسير ، وعاصمتها أبها ، وقد نشأت هذه الإمارات في النصف الثاني من القرن

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٥٠ .

الثالث عشر الهجري ، ويقال ان عائض كان جندياً بأسلاً أظهر كفاءة حربية في النضال ضد الجنود المصرية ، فأوصى به قائده على بن مجثيل إلى ابن سعود ، فثبته هذا في الإمارة بعد ابن مجثيل^(١) .

بلغت امارة آل عائض قمتها في عهد محمد بن عائض ، فقد امتدت مملكته إلى عسير السراة وقسم من الحجاز وغامد وزهران ، وقسم كبير من تهامة عسير والميمن حوالي سنة ١٨٨٠ ، وقد خافت الدولة العثمانية نتيجة هذا التوسيع نقضت عليه ، ولكنها عادت فاستعملت حسن بن علي ابن محمد بن عائض إبان الفتنة التي هبت بهذه المناطق حوالي سنة ١٩١٠ ليكون مساعداً للوالي التركي ، وبعد الحرب العالمية وزوال الإمبراطورية من الجزيرة العربية عاد فاستقل بإمارته ، ولكن الزحف السعودي تقدم وضم هذه المناطق إلى الدولة الأم .

وانتهت بذلك هذه الإمارات التي قصدنا الإيجاز في الحديث عنها ، فلم تكن إلا حركات لم تصل إلى القاع ، وليس لها أهداف حضارية تخلد لها آية ذكريات .

أما المصراع الطويل الممرين فقد كان في الحقيقة بين السعوديين وبين الأشراف الذين كانوا يرون أنهم أصحاب الحق في أن يخلفوا العثمانيين ويصبحوا سادة العالم العربي ، ولم تكن للأشراف بالمنطقة كفاءات أو تاريخ يساعد على تحقيق هذا الأمل ، ولكنه الغرور القاتل ، وسنopsis المجال للحديث عن الأشراف منذ مطلع نفوذهم بالجزيرة حتى القضاء على هذا النفوذ على يد الملك عبد العزيز .

(١) أمين الريحاني : نجد الحديث وملحقاته .

- ١٨٦ -

الأنساف

نقرر أولاً أن الاصطلاح السائد في الحجاز هو أن يطلق اسم «الشريف» على نسل الحسن بن علي رضي الله عنهمَا ، واسم «المسيد» على نسل الحسين رضي الله عنه .

ونقرر ثانياً أن آل البيت لهم بينما مكانة سامية لصلتهم بالأرومة الطيبة التي كان سيدنا رسول الله رائداً لها ، ولكن على أن يكونوا قد انتفعوا بما جاء به نبى الإسلام من فكر وأخلاق ، فإن حادوا عن ذلك حملوا مسؤولية ذلك ، فلقد هتف نوح مناجياً ربّه : رب إِنَّ ابْنَيْ مِنْ أَهْلِي .

فأجابه الحق جل وعلا : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ .

فالانحراف عن الحق لا يعني معه دم ولا نسب ، ولا شك أن الكثيرين منهم قد استقاموا على الطريقة ، وكانوا جديرين بالانتساب لهذه الأرومة الطيبة ، ولكن وجد من بينهم من كان النسب هو كل بضاعته ، وحاول أن يستغل هذا النسب لتحقيق أغراض شخصية ، وذلك ما لا يتنقق مع الإسلام ، وتمادي بعضهم فتمرد على كل القيم والشراطع ، فووجد منهم من لم يتورع عن قتل أخيه وأبناء عمومته في سبيل الحكم ، بل يورد الأستاذ حافظ وهبة^(١) صوراً من قسوة بعضهم بأهله تقشعر الأبدان ذكرها .

واعتدى الكثيرون منهم على الحجاج لسلب أموالهم ، بل كانوا يغتالون أحيااناً الحجاج النازلين في بيوتهم^(٢) .

ونقرر ثالثاً أن الحسن بن علي كان حكيمًا عندما تنازل عن الخلافة

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين ص ١٦٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٧ .

لعاوية لجمع كلمة المسلمين ، ولم يتثبت بها خوفا على دماء المسلمين
أن تراق ، وعلى أموالهم أن ينزل بها الفرر ، ولكن هذا المثل السامي
لم يتكرر كثيراً من طمعوا في السلطان من نسله ، فقد حرص كثيرون
منهم على السلطان بأى ثمن ◦

ونقر رابعاً أن آل البيت كانوا يطمعون في الخلافة منذ مطلع الإسلام ، فلما أفلتت الخلافة من أيديهم إلى أبي بكر وعمر وعثمان ثم إلى الدولة الأموية فالعباسية .. قنعوا بالحجاج يباشرون الشرافة عليه ولو تحت ظل الآخرين ..

وفي خصوء هذه المقدمات نستطيع أن نتحدث عن الإشراف بمكة ..

كانت المدينة المنورة هي حاضرة الحجاز منذ عهد الرسول حتى حوالي منتصف القرن الرابع الهجري بصرف النظر عن المحاولة التي قام بها عبد الله بن الزبير بمكة إذ لم يكتمل نجاحها .

ويُنسب إلى جعفر الحسني أنه أول من جعل مكة عاصمة الحجاز ،
فلقد ثار على الخليفة المقتدر (٩٣٢ - ٩٠٨ هـ) ملك مصر
واحتل مكة وأيده الشاطميون في ذلك فاستقر أمره ودعا للفاطميين (١)
وأصبحت المدينة تابعة لمكة ، وأصبحت الحجاز تابعة لمصر بوجه عاممنذ
ذلك الحزن .

وهناك رواية أخرى تقول إن الفاطميين أرسلوا جيشاً إلى مكة ليخلصها من القرامطة وأتباعهم ، وكان جعفر أحد رؤساء هذا الجيش فاستولى على مكة باسم الفاطميين ^(٢) ، ثم استقر بها ، وكون أسرة الأئمّة ، وكان حكم جعفر من سنة ٣٥٥ إلى سنة ٤٦٥ هـ ^{= ٩٦٠} إلى ^{= ١٠٩٨} م.

Gerald de Garury : Rulers af Mecca p. 59 (1)

^(٢) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ص ٣١٣ - ٣١٤ .

- ١٨٨ -

وجاء بعد جعفر ابنه عيسى (٣٧٠ - ٩٨٠ = ٩٩٤ م)

ثم جاء أخو جعفر واسمه أبو الفتوح إلى سنة (٤٣١ = ١٠٣٩ م)
فابنه محمد من بعده *

وقد شغل أبو الفتوح وابنه محمد بصراع طويلاً ضد جبتيين : الجبهة
الأولى الأمراء الحسينيون في المدينة الذين حاولوا استعادة السلطان
بالمدينة وجعل مكة تابعة لهم *

والجبهة الثانية : أمير حسني اسمه الفاتكى استقر في الزيدية باليمين
ليأخذ السلطة من أسرة جعفر ، وقد استطاعت أسرة الفاتكى أن تتغلب
في النهاية لأنقراض أسرة جعفر ، إذ مات أميرها الأخير دون أن يكون
له نسل من الذكور *

ثم قفزت للسلطة جماعة ثالثة من آل الحسن تسمى « الهوشم » (١) ،
ودار صراع بين الفاتكين والهوشميين ، تغلب هؤلاء مرة وأولئك مرة
أخرى ، فلما سقطت أسرة الفاطميين أزال صلاح الدين الجماعتين ،
وعهد لفرع حسني جديد ليكون منه الأشراف بمكة ، فكان رابع فرع حسني
يتولى هذه المهمة *

وفي أواخر القرن السادس الهجرى كانت المظالم قاسية على أهل
مكة وعلى الحجاج ، وكان الأشراف مهتممين في الملذات ، فاستغاث الناس
بالشريف قتادة وهو من فرع خامس (٢) من فروع بنى الحسن ، فاستجاب
لهذا الهتاف وكان يسكن في جهات ينبع ، فزحف إلى مكة مع أعوانه ،
 واستولى عليها سنة ٥٩٨ هـ ، ثم مكن لنفسه في الحجاز ، واستقرت أسرته

(١) الجماعة الحسينية الأولى هي جماعة جعفر والثانية هي جماعة
الفاتكى .

(٢) يرى الاستاذ حافظ وهبه (ص ١٦٦) أن قتادة مطلع الفرع
الرابع فكانه لا يعرف بالفرع الذي أسلمته صلاح الدين السلطة ويرى أنه
امتداد لفرع سابق .

في هذه المكانة حتى نهاية الأشراف بالحجاز ، واستطاع أن يمد سلطانه على كافة الأرض الحجازية من خيبر شمالاً حتى القنفدة جنوباً ، كما أنه حاول أن يكون حسن الصلة بكل الأطراف الإسلامية ومنفذًا للتعليمات المصرية ، ولكن أولاده لم يستطعوا أن يحافظوا على هذا الوضع مما عرضهم أحياناً للهجوم عليهم ، وإخضاعهم ، وبخاصة في عهد المماليك بمصر الذين عينوا حكامًا أحماية الحجاج وتنفيذ أوامر القاهرة ، وتركوا الأشراف بدون سلطان حتى أنهم تركوا مكة أحياناً إلى « وادي فاطمة » إذ لم يبق لهم دور في الحكم والسياسة^(١) .

ومن أهم الأشراف من نسل قنادة أبو نمى الأول ، وكل معاصرًا للظاهر بيبرس ، وقد ظهر عليه مرة ميل للتمرد ، وكان الظاهر بيبرس لا يغفر هذا الاتجاه ، فكتب إليه يقول : « أما بعد يا شريف فإن الحسنة في نفسها حسنة ومن بيت النبوة أحسن ، والسيئة في نفسها سيئة ومن بيت النبوة أسوأ . قف عند حدرك والا أغ مدنا فيك سيف جدرك » فانهار الرجل وأجاب : إن العبد مقر بذنبه ، تائب إلى ربه ، فإن تؤاخذ فيك الأقوى ، وأن تعف فالعفو أقرب للتقوى^(٢) .

ومنهم كذلك الشريف أبو نمى الثاني الذي سافر إلى مصر لإعلان تسليم الحرمين للسلطان سليم العثماني سنة ٩٢٢هـ ، وقد انتهز أبو نمى الثاني فرصة اكتفاء العثمانيين منه بالولاء ، وقراءة اسم السلطان في الخطبة فوسع سلطاته ، ووضع قواعد عديدة للشرافة والأشراف تعرف بقانون أبي نمى ، وكان هذا القانون يشمل ستة وثلاثين مادة أهمها جعل الإمارة إرثاً في أسرة أبي نمى ، ومنع الأشراف من الاشتغال ببعض المهن ، وحقوق الأشراف بالنسبة إلى غيرهم ، وذلك بأن جعل للشريف أربعة أمثال حق غير الشريف^(٣) .

(١) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ص ٣١٥ - ٣١٦ بتصرف .

(٢) ابن فهد : اتحاف الوردي ص ٦٧٥ .

(٣) حسين محمد نصيف : ماضى الحجاز وحاضرها ص ١٧ - ١٨ .

ومع وجود الفرمان العثماني بتعيين الأشراف ، ومع وجود قوانين أبي نمى ، فإن حق مصر في الحجاز الذي باشرته عدة قرون ظل يتضخم حتى في العهد العثماني كما ذكرنا من قبل ، فلقد كان لرأي مصر أكبر قسط من النظارة على شئون الحجاز ، وأحياناً كان أمراء الحج من مختلف الأقطار يتدخلون في سلطة الأشراف ويعنونهم من مزاولة كثير مما يريدون .

وقد ظهرت فروع ثلاثة من أسرة أبي نمى الثاني وهي :

آل بركات - وآل زيد - وآل عون .

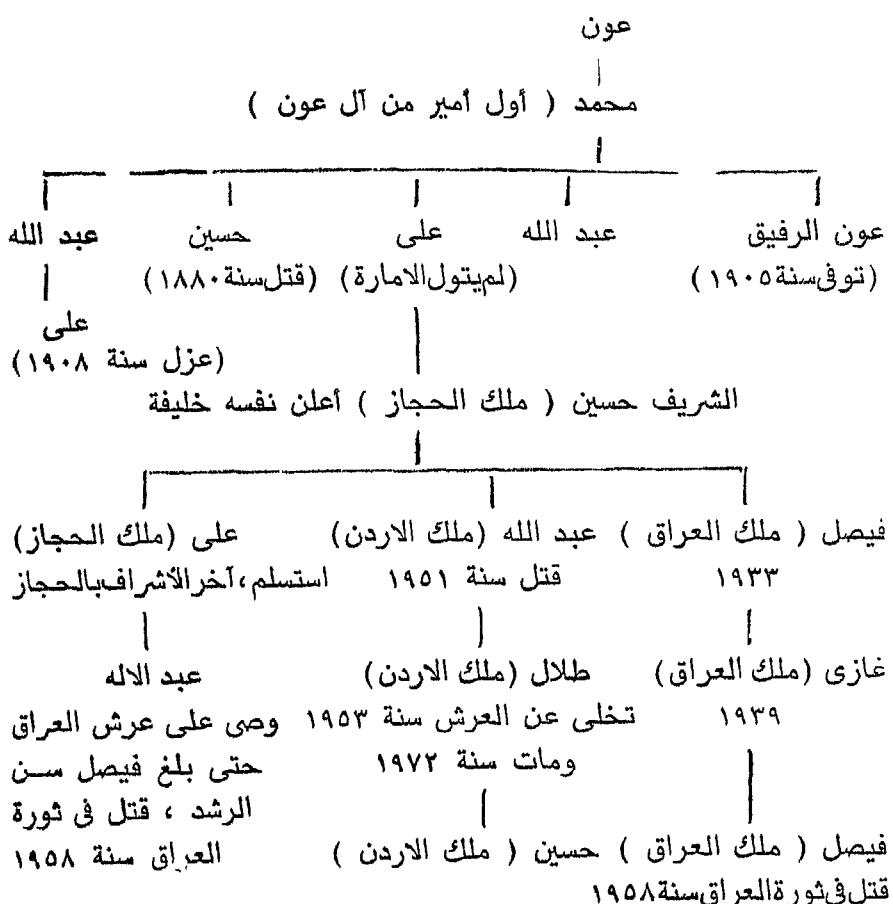
وقد استبد آل بركات بالشرافة حوالي مائة سنة (القرن العاشر الهجري) ثم ظهر في الجو آل زيد ونافسواهم أحياناً ، وهزموها أحياناً ، ثم كانت لهم الغلبة حتى فتح محمد على الحجاز فانتقلت الشرافة إلى آل عون وبقيت فيهم حتى أزيلت .

ومن أشهر أمراء آل زيد الشريف سرور ، وقد استطاع أن يخضع الأشراف الآخرين بمكة الذين كان كل واحد منهم يعد نفسه أميراً ، وصاحب نفوذ على السكان وعلى الحجاج ، وقد أحبه أهل مكة لذلك حباً جماً ، وكان بالإضافة إلى ذلك يميل للبساطة والتواضع والكرم ، مع الشجاعة النادرة والذكاء المنفرد .

ويلي سروراً في الشهرة الشريف غالب ، وإن كان دونه في حب العدل ، وفي أيام غالب غزا السعوديون الحجاز ، كما أنه في أيامه أيضاً غزا المصريون الحجاز ونجد ، وقد قبض عليه محمد على باشا ، ونفاه إلى سلطانية حيث مات هناك ، كما ذكرنا من قبل ، ونقل محمد على الشرافة إلى آل عون . وفيما يلي شجرة تسلسل الملوك والأمراء من آل عون :

- ١٩١ -

الآمراء والملوك من آل عون



- ١٩٢ -

وقد ضعفت قيمة الأشراف ابتداء من الزحف المصري ، ولم يستمرد الأشراف مكانتهم التامة بعد أن أخلى المصريون الحجاز سنة ١٨٤٠ ، فقد أرسل العثمانيون واليا على الحجاز تكون له قيادة الجيوش وإدارة المصالح بجوار الشريف الذي يتولى الأمور الدينية ، وقد أحدث هذا كثيراً من الاضطراب والارتباط في البلاد ، وعم الشر والفساد لأن كلاً من الحاكمين كان يلقي المسئولية على الآخر ٠

الشريف حسين :

وفي وسط هذه الفوضى اختارت الأستانة الشريف حسين لمنصب الشرافة وتركت له الأمور الدينية والمدنية ، وقد تسلم عمله سنة ١٣٣٦ هـ (١٩٠٨ م) وحاول أن يكون حسن الصلة بالملك الكبرى ذات النفوذ في المنطقة كالإنجليز في مصر ، بالإضافة إلى محاولته أن يكون على صلة طيبة بالدولة العثمانية التي اختارته لهذا المنصب ، وعلى هذا فالرجل كان يتمتع بقدر من الذكاء وحسن التدبير لتنفيذ مصالحه الخاصة ، وقد أحسست الدولة العثمانية أن ولاءه موضع شك فعينت معه القائد وهيب باشا ليراقبه ولينفذ ما يراه حول إدارة الحجاز ، ولكن إعلان الحرب العالمية الأولى أحدث كثيراً من التغيرات في المنطقة على النحو الآتى :

— غادر وهيب باشا الحجاز ليقوم بدوره في هذه الحرب ، وبهذا أزيل هذا الكابوس عن الشريف حسين ٠

— كانت البلاد العربية تثن تحت حكم العثمانيين ، وكانت تتطلع إلى قيادة تقودها للتخلص من الاستعمار ، واتجه الشريف حسين ليكون ذلك القائد ٠

— بمجرد دخول الحكومة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا اتجه الشريف إلى :

١ — تأمين سلامة المواصلات البريطانية بين الهند والبحر الأبيض المتوسط بطريق البحر الأحمر وقناة السويس ٠

- ١٩٣ -

- ٢ - إثارة المتابع ضد الحكومة العثمانية داخل البلاد التي تحكمها .
- ٣ - إثارة المسلمين بوجه عام واللحاجز بوجه خاص ضد العثمانيين للقضاء على الفكرة التي كان الأتراك يذيعونها بأنهم سيشعرون نار حرب مقدسة ضد الانجليز وأعوانهم .

وكانت البلاد العربية توافق إلى الاستقلال والتخلص من الحكم العثماني ، ولذلك رحب العرب بهذا البريق الخداع دون أن يتصوروا العواقب الوخيمة التي ستقاومهم من استعمار مغلق إلى استعمار سافر ، ولعل من الحق أن نقرر أن الشريف حسين كان من أسباب هذه النتائج السيئة لأنه كان شديد الرغبة في أن يصبح ملكاً وكان شديد الثقة بالإنجليز وبخاصة أن علاقاته كانت قد ساءت مع الأتراك كما شرحنا من قبل .

وبدأت المشاورات بين الشريف حسين يعاونه أبناءه على وبعد الله وفيصل وبين الإنجليز ، وقد أدرك الإنجليز أنهم أمام مفاوض سهل يرضي بالقليل ويعطى الكثير ، فقدموا له بعض المال (٤٠٠٠٠) جنيه كل عام) كما جاء في بيان اللورد كروفورد في مجلس اللوردات سنة ١٩٣٣^(١) ، وقدموه له بعض الوعود المساذجة غير الدقيقة ، وكان ذلك كافياً ليعلن الشريف ثورته في شعبان ١٣٣٦ هـ (١٩١٦ م) ، وقبل أن تنسير مع ثورة الشريف تؤكد ما ذكرناه من قبل أن بريطانيا وعدت بالقليل ، فقد كان الاتفاق أن يقوم العرب بالثورة على الترك مقابل اعتراف بريطانيا باستقلال العرب ، بدون تعين حدود البلاد التي يشملها هذا الاستقلال ، واستثنى بريطانيا المناطق التالية :

- ١ - المناطق الواقعة غرب الخط من حلب وحمامة وحمص ودمشق حتى البحر .

(١) دكتور أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ج ١ ص ٢٢٣ و : Geraled de Gatty : Rulers of Mecca p. 265.

() م ١٣ - التاريخ ج ٧)

- ١٩٤ -

- ٢ - المناطق التي لا تستطيع أن تتصرف فيها مستقلة عن حليفتها
· فرنسا ·
- ٣ - منطقة عدن ·
- ٤ - ولاية البصرة ·
- ٥ - المناطق العربية التي لا تستطيع أن تتصرف فيها من تلقاء
نفسها (١) ·

والمناظر إلى هذه الشروط يجد أن ما وعدت بريطانيا باستقلاله كان خسيراً جداً لا يتعدى منطقة الحجاز وبعض مناطق الجزيرة ، وإذا كان هذا هو حال الوعد عند ضرورة الحرب فما بالك بالتنفيذ بعد انتهاء
الضرورة ·

ولكن هذه المفاوضات كانت سرية ، فلما هب الشريف حسين يعلن ثورته ضد تركيا ، واتخذ بكل قوة جانب إنجلترا وحليفياتها ظن أكثر الشباب العربي أن هناك ارتباطات قوية وأملاً واضحة ، باستقلال العرب ، ولذلك ساعدوا الشريف وانضموا بكل قوة لحركة المقاومة ضد العثمانيين ·

وانتصرت إنجلترا والخلفاء ، ووُضعت الحرب أوزارها ، وجاء يوم الحساب ، فقابل العرب حقيقة مرة هي أنهم انقلوا من تبعية كان الإسلام يخفف مشكلاتها إلى استعمار صليبي سافر ، وحاول الشريف أن يجني أية ثمرة لجهوده فلم يجد شيئاً ذا بال ·

وكان الشريف قد تعجل الملك والجاه ، فأعلن نفسه « ملك العرب » عقب ثورته ، ولكن الانجليز منعوه من ذلك لأن ذلك سيثير ثائرة حكام العرب الآخرين ، ولكنه كان شديد الحرث على لقب « ملك » ، فاكتفى

بأن أعلن نفسه « ملك الحجاز »^(١) ، ولما خرج من المعركة صدر الميدان حاول توسيع سلطانه على حساب العرب والمسلمين بعد أن فشل أن ينال ما تحت يد الإنجليز والفرنسيين ، فقد انتهز الشريف حسين فرصة إلغاء الخلافة من تركيا وطرد الخليفة العثماني الأخير عبد المجيد من تركيا فجر الرابع من مارس سنة ١٩٢٤ فأعلن نفسه خليفة على المسلمين في المكان الذي خلا ، وكان ذلك في ١١ مارس سنة ١٩٢٤ ، ولكن تصرفه هذا أساء إليه ، فقد أثار ضده كل زعماء المسلمين واتهموه بأنه يبحث عن مصالحه الشخصية ، ويحاول تحقيق أطماعه دون اهتمام بمصالح المسلمين^(٢) ، وعلى كل حال فإن هذا الإعلان لم يكن ذا نتيجة فإن البلاد الإسلامية لم تتعترف به^(٣) .

على أن إدعاء الشريف حسين الخلافة كان حدثاً قصير العمر ، وزوّجه في فنجان كما يقولون ، ولذلك ينبغي أن نتخاطها لتفعيل العلاقات بين الشريف والملك عبد العزيز ، أو قل بين المطروح الذي لا أساس له ، وبين الطموح الذي تدعمه الدعائم القوية والتاريخ .

عندما أدرك الشريف حسين فشله في السياسة اتجه للحرب فأخذ يهاجم واحتى تربة والخرمة ، وكان أهلها تابعين لل سعوديين ، وقد فشل فشلاً مريضاً في هذه المحاولة كما سنرى ، وراح بعد ذلك يتخطى يميناً وشمالاً ، ولكن الحقيقة المرة اتضحت له ، فقد اضطربت الأحوال داخل الحجاز ، واستفزت أعماله عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، فقرر الزحف على الحجاز ، وكما قام مثلك الشريف بسرعة وبدون أساس فإنه هو بسرعة ، وانضم إلى ملك السعودية .

(١) Ibid p. 274.

(٢) دكتور أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ج ١ ص ٢٣٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٣٥ .

- ١٩٦ -

وفيما يلى بعض التفاصيل عن سير العلاقات بين الشريف حسين والملك عبد العزيز آل سعود :

العلاقة بين الشريف والملك :

بدأ الصدام بين عبد العزيز والشريف حسين حين استسلمت الحامية التركية في المدينة للشريف سنة ١٩١٨ ولم يخف هذا الصراع تلك التهنة الواقعية التي بعث بها الملك عبد العزيز منها الجيش العربي بالانتصار على قلول العثمانيين واقتحام المدينة ، فإن الشريف سرعان ما أرسل خطاباً شديداً للهجة لابن سعود يطالبه فيه بالاعتراف به ملكاً على البلاد ، ويطالبه أيضاً بإخلاء واحة خرمة وعدم التعرض لأهلها ببني عتيقة .

وكان رد الملك ساخراً ، فقد أرسل بعثة من علماء نجد لنشر مبادئ دعوة الاصلاح بين قبائل عتيقة ، وقد رحب الناس بهذه المبادىء ، وتحمسوا لها مما آذن بصراع عسكري بين عبد العزيز والشريف حسين ، وقد ابتدأ هذا الصراع حول واحتي تربة وخرمة على النحو التالي :

تربة وخرمة منبت الصراع :

تقع واحة تربة على بعد خمسة وسبعين ميلاً جنوبى جبل حصن . وتقع واحة خرمة على بعد خمسين ميلاً شرقى هذا الجبل ، وهما بذلك أبرز مكانين في الحدود الفاصلة بين نجد والجهاز ، ومن أجل هذا كانتا محل نزاع دائم بين حكام نجد وحكام الجهاز ، وكان من يتسلط عليهم يحظى بموقع استراتيجي يدفع الطرف الآخر لمنافسته ومصارعته .

وقد بدأ الصراع العسكري سنة ١٩١٩ فقد أعد الشريف حسين بن على حملة كبيرة يقودها ابنه الأمير عبد الله لإخضاع قبائل تربة والخرمة التي ثارت على الحكم الجهازي وأعلنت انضمامها للسعوديين ، وقد تصدى أتباع السعوديين لهذه الحملة بقيادة سلطان بن بجاد متعاونين مع قبائل

ترفة والخرمة ، وهاجموا جيش الأمير في الليل فتفككت عراه وتمزق شر
مزق ، وأفلت الأمير من موت محقق تاركاً أسلحته ومتاعه وعدها كثيراً
من القتلى ، واتضح أن بقاء المملكة الحجازية سيكون مثار متابعة بالجزيرة
العربية وبخاصة أن هؤلاء الحكام ليست لهم أعمق في هذه البقاع ،
ولا يعرف عنهم إلا صفة الانتهازية ، ولكن السعوديين لم يواصلوا زحفهم
على الحجاز ، فاسم « ملك العرب » كان لا يزال يدوّي ، وعلاقة الانجليز
بالشريف كانت لا تزال قوية ، وقد تلقى ابن سعود رسائلة من الوكيل
السياسي البريطاني في جدة يطلب منه عدم التعرض للحجاز ^(١) .

ولكن أسباباً حدّت فعجلت بالصراع ، فبينما كان الشريف حسين
يطبع في توسيع سلطانه ، وكانت الأطماع تتخيّل له كأنها حقائق ، كان
ابن سعود يوسع سلطانه فعلاً ، فلقد ضم بلاد حائل ، واستولى على تيماء
وخيبر والجوف ووادي السرحان ومد نفوذه فشمل بلاد عسير .

وكان رد الفعل من الشريف حسين يثير حفيظة الناس ، فقد ضيق
على أهل نجد ، وحرمهم من التقدّم لأداء فريضة الحج كما تعاون
الشريف مع سلطات العراق وشرق الأردن لتطويق ممثّلات السعوديين .

واقتربت بريطانيا عقد مؤتمر بالكويت لتسوية الأحوال التي تشير
إلى الخلاف ، وعقد المؤتمر في ديسمبر ١٩٢٣ وفشل المؤتمر لأن الشريف
حسين كان يريد أن تعود عقارب الساعة للوراء ، فطالب بإعادة الأوضاع
في الجزيرة العربية إلى ما كانت عليه قبل الحرب ، أي أراد أن يلزم
السعوديين بإعادة الجوف ووادي السرحان لشرق الأردن ، وإعادة تيماء
وخيبر وترفة والخرمة إلى الحجاز ، وإعادة آل الرشيد إلى حائل ، وأآل
عائض آل عسير ، وكان هذا مطلباً ساذجاً لا يحتمل التنفيذ ، فانهارت عليه
آمال المؤتمر .

(١) دكتور صلاح العقاد : جزيرة العرب في العصر الحديث ص ١٢ .

بين سعياً وستين :

تعتبر السنوات الأولى من العقد الثالث من هذا القرن سنوات حاسمة بالنسبة لتاريخ الحجاز ، وقد أتضح لنا التناقض القوي بين الأسلاف وبين السعوديين في هذا المجال ، ولكن سياسة الملك السعودي كانت دقيقة وحكيمة ، وكانت سياسة الشريف حسين فيها كثيراً من الخرق والغلوط ، كان الملك السعودي يأخذ للأمر أهميته من كل ناحية ، فهو من الناحية الداخلية عميق الصلة بشعبه ، يعيده جيشاً نظامياً مدرباً على أحدث الأسلحة ، وهو — فيما يتعلق بالجزيرة العربية — يخفى خططه خلف جدار من الصمت والهدوء ، وهو بالنسبة للعالم الخارجي كان يحاول أن يخرج من عزلته ، ويكون حسن الصلة بالعالم الإسلامي ، وقد أولى مصر مزيداً من الاهتمام لكتابتها العربية والإسلامية فأرسل برقية تهنئة للملك فؤاد بمناسبة افتتاح أول برلمان مصرى ، ومن الواضح أن هذا الحدث كان بعيداً آنذاك عن الفكر بالجزيرة العربية ولكن الملك السعودي كان يتلمس الوسائل ليظهر رغبته في حسن الصلة بمصر ، واستمر الملك السعودي في هذا الاتجاه فتبين رأى مصر عقب سقوط الخلافة الإسلامية وكانت مصر ترى أن حلًّا مسأله الخلافة الإسلامية ينبغي أن يكون بمأتمر إسلامي عام يعقد في القاهرة *

وأدرك الملك السعودي ذعر الرأى العام المصرى من احتمال وقوع الحجاز تحت سلطة السعوديين ، لأن ذلك ارتبط عند المصريين بهدم القباب وإيقاف المحمل المصرى ، وبالتالي وضع عقبات في طريق الحجاج المصريين — تلك الأحداث التي انتهجهما السعوديين إبان الدولة السعودية الأولى عندما صار لهم الحكم في الحجاز ، وقد أزعز الملك لكثير من رجال الرأى أن يؤكدوا أن الحج حق لجميع المسلمين ، وأنه ليس من الممكن أن يمس أحد القبة النبوية بالمدينة بأى سوء وقد اعتبر ذلك حلاً لمشكلة كانت تشغل الجماهير (١) *

(١) اقرأ كتاب « الوهابيون والحج » .

وكانت سياسة الوفاق بين الملك السعودى وبين الانجليز ثابتة تبعاً للمعاهدة التى عقدت سنة ١٩١٥ ، وقد رأى الملك الإباء على هذه السياسة وبنك المعاهدة حتى لا ينضم الانجليز الى خصومه .

وبينما كان الملك السعودى ينهمج هذا النهج ، كان الشريف يتخطب ، ويتصرف كأن قوى الأرض تدين له ، وأنه غالب لا يقهـر ، فقد كان داخل الحجاز بعيدا عن الجماهير ، هؤلاء الذين ذاقوا ألوانا من الويـلات على أيدي الأشراف كما ذكرنا من قبل ، وكان جيش الأشراف مجموعات من المرتقة لا تربطهم أواصر دم أو فـكر بالحكـام ، ولذلك كانوا يطالبون بمالـ في أحـرج الأوقـات ، ويتوقفون عن أداء واجـبـهم حتى يـقـبـضـوا المـال .

وفي الجزيرة العربية كان الشريف يمثل حركة استفزاز وتنسلط على كل النواحي ، ولذلك كانت كل بقاع الجزيرة تخشى شره *

وكانَت عَلَاقَاتُ الشَّرِيفِ بِالْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ غَيْرَ طَيِّبَةً ، فَهُوَ مَرَةً يَعْلَمُ نَفْسَهُ مَلِكُ الْعَرَبِ ، وَهُوَ لَقْبٌ وَاسِعٌ ، وَمَرَةً يَعْلَمُ نَفْسَهُ خَلِيفَةً لِلنَّاسِ ، وَيَحْدُثُ هَذَا وَذَاكُ مِنْهُ دُونَ اسْتِئْذَانٍ لِلنَّاسِ وَدُونَ شَوْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، كَأَنَّ الْعِنَاءَ الْإِلَاهِيَّ اخْتَارَهُ مَلِكًا أَوْ خَلِيفَةً ، وَعَلَى النَّاسِ أَنْ يَسْتَجِبُوا ، وَلَكِنَّ النَّاسَ فِي الْحَالَتَيْنِ رَفَضُوا وَقَاتَلُوا *

وانتسبت آمال الشهير فراح يخلق الامارات والممالك لأولاده في ظل الانجليز ، فخلق إمارة شرق الأردن وعين الأمير عبد الله أميرا لها ، وعين فيصل ملكا على سوريا ، فلما لم تتحقق هذه الأمنية حُرِّكَ فيصل ليصبح ملكا على العراق ، وقد خلق هذا التصرف استياء عاما في النفوس العربية التي أحسست أن الشهير يمد نفوذه لصالحه وصالح أبنائه دون نظر لرغبات الشعوب وحقوق الشعوب .

على أن الزلة الكبيرة التي تردى فيها الشريف هي سياسة الجفاء التي بدأت بينه وبين الانجليز أولياء نعمته ، أو الذين أمدوه بالمال

والسلاح والانفوج ، وقد حسب الشريف أن وعد الانجليز له خلال الحرب وعد حقيقة ، فلما انتهت الحرب وظهر الانجليز على طبيعتهم من الغدر بالعرب ، والسعى لصالح الاستعمار وصالح اليهود فكر الشريف في نوع من الاعتداد بالنفس فكان في ذلك حتفه *

لقد امتنع الشريف عن حضور بعض المؤتمرات التي نسقها الانجليز لتنظيم الحدود بين دول الجزيرة ورفض معايدة قدمها له الانجليز . احتجاجا على بعض بنودها ، وظهرت الجفوة في كثير من التصرفات فأدت إلى قطع المعونة البريطانية سنة ١٩٢٤ وأذن ذلك بتفويض الركن القوى الذي بني الشريف عليه آماله وطموحه *

وهكذا كانت سياسة الملك السعودي تقفز به للأمام وكان حمق الشريف يدفعه إلى التدهور والنتاه ، وفي ضوء هذا تهيات الظروف لفتح الحجاز كما سرني فيما يلى :

فتح الحجاز :

إذاء الموقف السابق كان لابد من المصارع للتخلص من الأشراف فوجودهم بالحجاز مثار للفتنة ، فسارت حملة عسكرية من تربة حتى الأخيضر ، ومنها إلى الطائف في أوائل صفر سنة ١٣٤٣ هـ (٦ سبتمبر سنة ١٩٢٤) وكان يقودها خالد بن لؤي ، وسلطان بن بجاد ، فاحتلت الطائف دون مقاومة تذكر ، ثم اشتربكت مع جيش نلاشراف الذي يقوده على بن الملك حسين في معركة الهدى HADA ، وقد اندرحت قوات الأشراف في هذه المعركة وقد حدثت هذه المعركة في ٢٦ صفر سنة ١٣٤٣ هـ (٢٦ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م) وتقدم الجيش بعدها فحاصر المدينة . أما جند الشريف فقد فروا في حالة من الفوضى والاضطراب ، ويصف جون

— ٢٠١ —

فيليبي موقف على بن الحسين قائد الجيش بقوله : وقد سار على إلى جدة مخلفاً مكة وراءه معتبراً الحكم فوق شجاعة الشجاعان (١) .

ومن العجب أنَّ آمال الشريف حسين انهارت تماماً بعد هذه المعركة : وإنكبَ الرجل على وجهه بعد أن كان منذ عام واحد يحاول أن يملأ شريطه في مؤتمر الكويت ، ولم يستطع صبراً ، فتنازل عن العرش لابنه على ، وسافر إلى ميناء العقبة ومعه ثروته الضخمة ، ومن هذه الميناء أبحر إلى قبرص وبقي بها حتى مات سنة ١٩٣١ م .

أما على بن الحسين فقد بقى في جدة ليشهد أفال المملكة التي بناها أبوه في الخيال .

واستمر التقدم السعودي دون توقف ، ففي ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ هـ (١٦ أكتوبر سنة ١٩٢٤ م) دخلت قوات السعوديين مكة ثم احتلوا القنفذة والمليث ورابغ .

وتقدم الجيش السعودي إلى جدة فحاصرها ، واستمر الحصار مدة عام تقريباً ، وفي خلال هذا الحصار نشطت الوساطة لإيقاف المارك في الأرض المقدسة ، وقد اشتراك في هذه الوساطة دول وهيئات مختلفة ، فجمعية الخلافة الإسلامية في الهند كانت تنادي بحكومة جماعية للحجاج أتبه بالنظام الجمهوري ، ومصر كان ملكها (الملك فؤاد) يطمع في الخلافة ، وقد أرسل إلى الحجاج بعثة في أغسطس سنة ١٩٢٥ اشتراك فيها الشيخ محمد مصطفى المراغي وعبد الوهاب طلعت ، وكان الملك عبد العزيز يحرص على إرضاء مصر مع حرصه على أهدافه الخاصة ، ولذلك قدم للوفد المصري مقترنات مطاطة ترضيهم من جانب ، ولا يبعد عن أهدافه من جانب آخر (٢) .

(١) تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ٣٢٥ .

(٢) انظر هذه المقترنات في فيليب .

وتقديم للوساطة كذلك «سان جون فيليب» خبير المخابرات الانجليزى الذى كان متخصصاً فى الشئون العربية ، كما تقدم لها كذلك أمين الريحانى أحد المسيحيين السوريين وهو مفكر عربى معروف ٠

على أن صوت الحجاز كان مدوياً آنذاك وتمثلاً فى الحزب الوطنى برئاسة محمد الطويل ، وكان هذا الصوت لا يواافق على فكرة الحكومة الجماعية خشية أن تتدخل فى حكم البلاد جنسيات ”غير عربية“ لا تعرف التقاليد العربية كالفرس والهنود ، ولا توافق على التبعية لمصر لأن الحجاز عانى ألواناً من الاضطراب فى بعض فترات الحكم المصرى له ، ولذلك كان يميل الحزب الوطنى فى أثناء الحصار على الإبقاء على حكم الملك على بن الشريف حسين ٠

ولكن صوت السلاح كان أقوى من كل هذه الأصوات فقد زمجر هذا الصوت وحسم هذه القضية ، حتى الضطروت جدة إلى التسليم فى ديسمبر سنة ١٩٢٥ بعد حصار دام عاماً كاملاً وبعد أن لاقى المحاصرون ألواناً من العناء ، وفي نفس الوقت سلمت المدينة المنورة الزمام لل سعوديين كذلك ٠

ولم يجد الملك قصیر العمر على بن الحسين بدأ من توقيع اتفاقية تنازل فيها عن الحجاز ، ويسافر من جهة عقب ذلك ، ودخل الحجاز فى ملك السعوديين ، وتحققت أمال البطل عبد العزيز آل سعود ، وكان دخول الحجاز تحت سلطان الملك عبد العزيز وسيلة مهمة لذيوع صيت الرجل ، وببروز اسمه في العالم الإسلامي كله ٠

وأسرع الملك عبد العزيز فأوضح بنفسه أن الحجاز ستبقى وديعة لكل المسلمين في العالم ، وأنها ترحب بجميع المسلمين سواء جاءوها حجاجاً أو طالبي معاش ، على شرط أن يقبلوا بها الشريعة الإسلامية نبراً سراً لحياتهم ومعاملاتهم المشروعة في كل شيء^(١) ٠

(١) جون فيليب : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣٤٣ .

وتطلعت بعض قوى الوساطة التي تحدثنا عنها آنفاً أن تستعيد نشاطها بعد زوال الحكم المأسمى ، ولكن الملك عبد العزيز حسم الموضوع ، وجذب إليه أعيان مكة ، كما جذب رجال الحزب الوطني الذين كانوا من قبل يؤيدون الملك « على » ، ونادي هؤلاء في ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ هـ (٨ يناير سنة ١٩٢٦) بابن سعود ملكاً على الحجاز فأصبح لقبه : ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

وفي ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٢٥ هـ (٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦) بسط حمايته على تهامة عسير المعروفة بالمقاطعة الإدريسية كما ذكرنا من قبل .

وفي ٢٥ رجب سنة ١٣٤٥ هـ (١٦ يناير سنة ١٩٢٧) صدر قرار بأن يصبح لقب جلالته . ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

وفي ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ هـ (٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٣ م) صدر مرسوم ملكي ، وحد أجزاء المملكة جميعاً ، فأصبحت مملكة واحدة باسم : المملكة العربية السعودية ، وأصبح لقب عبد العزيز هو ملك المملكة العربية السعودية .

الملك عبد العزيز بين عهدين ،

قبل أن نطوي صفحة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود يجدر بنا أن نوضح التطور الخطير الذي حدث في علاقة الملك بالشريف حسين ، وسنعتمد في بيان هذه الحقيقة على كتب رسمية أرسلها عبد العزيز عندما كان أميراً لنجد ، إلى الشريف حسين الذي لم يكن فقط حاكماً للحجاز ، وإنما كان – كما توحى به هذه الرسائل – واسع النفوذ في الجزيرة العربية كلها ، مما جعل السكان في كل مكان يلجئون إليه إذاً أحسوا ظلماً من أميرهم ، وكان الأمراء لهذا يتلقونه ويعملون على نيل رضاه ، فكأنما كان ممثلاً للأتراء في الجزيرة العربية كلها ، وليس في الحجاز وحده ، وبعد هذا بحوالي خمسة عشر عاماً انهار كل شيء ، وزحف أمر

نجد في جيش صاحب ، لفظي على مثلك الشريف وأمجاده ، وأصبح الرجل الذي كان يتعلّق بالشريف منذ أعوام قليلة صاحب الحول والطول في أكثر الجزيرة العربية ، كما أصبح الحجاز جزءاً من المملكة الكبيرة التي امتد لها سلطان العاهل السعودي ٠

وفيما يلى هاتان الرسائلتان اللتان تحملان عبارات الإجلال والتقدير من أمير نجد إلى الشريف حسين (١) :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حُضُورُهُمَا جَنَابُ الْأَجْلِ الْأَفْخَمِ يَمِينُ الشَّعِيمِ أَمِيرُ مَكَّةِ الْمَرْكُومِ سَيِّدُنَا الشَّرِيفُ
حسين باشا بن السيد على دام مجده وعلاه آمين ٠

بَعْدَ إِهْدَاءِ مُزِيدِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةِ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ عَلَى الدَّوَامِ مَعَ
الْمُسْؤُلِ عَنْ شَرِيفِ خَاطِرِكُمُ الْعَاطِرِ ، لَا زَلْتُم بِكُمَالِ الصَّحَّةِ وَالسُّرُورِ حَائِزِينَ
الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ ٠

أَهْوَالُنَا مِنْ كَرَمِ اللهِ جَمِيلَةِ ، وَتَقْدِيمُ سَعادَتِكُمْ قَبْلَ هَذَا كِتَابٍ نَرْجُوا أَنَّهُ
وَصَلَ وَأَنْتُمْ مَسْرُورِينَ ٠ ثُمَّ نَعْرُضُ لِدُولَتِكُمُ الْعَزِيزِ أَنَّهُ بِمَوْجَبِ شَفَقَتِكُمْ
وَعَلَوْهُمْكُمْ وَأَنْظَارِكُمُ الْعَالِيَّةِ قَدَمْنَا أَخِينَا عَبْدَالْعَزِيزَ عَبْدَ اللهِ السَّعُودَ
لِوَجْبِ خَدْمَتِكُمْ وَأَحَبِبْنَا الْمَصَوِّغَةَ مَعَهُ لِوَجْبِ التَّبرِكِ بِاَقْدَامِكُمْ ، وَأَرْسَلْنَا
مَعَهُ الصَّقَلَوِيَّةَ وَالْمَهْدَانِيَّةَ وَكَبِيلَانَ ، وَلَا وَاللهِ قَصَدْنَا فِي إِرْسَالِهَا لِأَنَّكُمْ
بِحَاجَتِهَا ، وَلَا شَكَّ فِي غَایِتَتِنَا نَبْغِي نَقْرَبُ أَنفُسَنَا مِنْكُمْ ، فَإِنَّا هُنَّا
حَاسِبِينَ أَنفُسَنَا مِنْ خَوَاصِكُمْ ، وَاللهِ ثُمَّ لَكُمْ ، وَاللهِ هُدِيتَنَا لِحَضْرَتِكُمْ رَعْوَسِنَا
وَمَا تَحْتَ أَيْدِينَا ، وَلَكُنَّا هُنَّ صَوْغَةً لِلْأَوْلَادِ الْكَرَامِ ، وَحَرَرْنَا هَذَا الْكِتَابَ
لِوَجْبِ التَّعْرُضِ لِخَدْمَتِكُمْ ، وَمَا يَبْدُو مِنْهُ الْلَّازِمُ ، وَاللهِ أَمْرُكَ عَلَيْنَا تَامٌ عَلَى

(١) نَنْقُلُ هَاتَيْنِ الرِّسَالَتَيْنِ بِنَصْهُمَا مَعَ مَا فِيهِمَا مِنْ أَخْطَاءِ نَحْوِيَّةِ
وَضَعْفِ فِي الْأَسْلُوبِ ، فَالرِّسَالَةُ الثَّانِيَّةُ صُورَةٌ لِعَصْرِهِمَا مِنَ النَّاحِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ
وَالنَّاحِيَّةِ الْقَافِيَّةِ ٠

- ٢٠٥ -

على كل حال ، ومهما تفعلونه معنا وتحطون أنظاركم علينا تجدونه إن شاء الله مساعدًا بالخدمات والسمع والطاعة ، هذا ما لزم تعريفه ، والولد برسم الخدمة مع إبلاغ السلام حضرة الإخوان المسادات الكرام على وفيصل وزيد ، ومن عندنا أولادنا محمد وسعود وكافة السعود يسلمون ودمتم مهروسين *

١٨ ن سنة ١٣٢٨ هـ
خادم الدولة والملكة والوطن
(سنة ٩١٠ م)
أمير نجد ورئيس عشائرها
عبد العزيز السعود
(التاريخ هكذا في الأصل)
(ختم)

والخطاب الثاني هو :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضره جناب الأجل الأجل الأفخم بهى الشيم أمير مكة المكرمة سيدنا الشريف حسين باشا ابن السيد على دام مجده وعلاه آمين *

بعد اهداء مزيد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن شريف خاطركم العاظر ، ولا زلت بكمال الصحة ووالضرر السرور حائزين الأوصاف الحميدة ، أحوالنا من كرم الله جميلة ، بأشرف وقت أخذنا مشرفكم المكرم ، فسرنا ما تضمنه من صحة أحوالكم واعتدال أو قاتكم ، وما عرف جنابكم كان لدى ابنكم معلوم خصوصاً ما عرف جنابكم من جهة عتبية والقصيم ، وأنهم يلتقون اليكم من الأكاذيب الذي ليس لها حقيقة ، ويظلمون عند حضرتكم ، فنحن نقول عما قالوا : سبحانك هذا بهتان عظيم فأما وجهاً نظركم علينا وعليهم فهذا هو شأن مثلكم وهو مقامكم العزيز ، وأحن متيقن ان هنا بأنفسنا أقرب منهم ومن غيرهم لسعادةكم وأدنى جواب يصدر منكملينا بمنع السو عنهم اذا كان

صادر معا شىء فنحن نمقتل به لوجب رضا الله ثم لخدمة سعادتكم مع
 إنى ما والله أعلم أن أحد من أهل نجد يطلب مني مثقال حبة من خرد
 من ظليم الا ان كان عدو ضعيف جانى ، ولجنايته سبب ، وقول العدو ما
 يؤخذ في عدوه ، والا أadam الله وجودكم نجد يوم جيته ما فيه من جميع
 مأموريته أحد كلها مناصب لابن رشيد ، وولانا الله عليه بهداية الله ثم
 هدايتكم ، وأمرنا كل في منصبه فمنهم من أطاع واستقر والى الان بمكانه ،
 ومنهم من ظلم الرعية ، وبيننا غدر وأعانتنا الله عليه وأحسنا فيه ، فالآن
 ابنكم وخادمكم ومملوك فضلكم ثانى نفسه سامع مطيع الله ثم لحضرتكم
 لأدنى واحد من أهل القصيم او عتبية يدعى على بادنى شىء منه ظلم ،
 فكما تأمرتون أفعل امثلا لأمر الله ثم أمركم ، وجميع ما زوروه على
 حضرتكم دواء الكذب للقابل ، فإن كنت المجرم فانا تحت امركم كما
 تأمرتون أفعل ومصطبر لأدبكم ، فإن كانوا هم الكاذبين وتحقق عند جنابكم
 ذلك ، فنحن قد دمنا لهم من الزلات أكثر ، وحقا على جنابكم أن تكونوا
 على حذر من أقوال الغاشين للإسلام والمسلمين ، وأنا والله وبإله وتأله
 ان رضاكم وامتثال خدمتكم عندي أعز من رضا عبد الرحيم وخدمته
 ثم أنا معطيكم عهد الله وأمان الله ، إنى ولد لك سامع ومطيع ، ما
 أخالف شوفتك في جميع أمر ، وأنا تحت امركم ان كان تريدون المقابلة
 بيني وبين المزورين في اي وقت تحبونه أحضر ، فإن كان تحبونه من بعيد
 فالمراجعة بيننا ونحن تحت تدبير الله ثم تدبيركم ، وإنما لا يزورون على
 حضرتكم إنى مستغزى أهل نجد ، قصدى محاربتكم أو مكابرتكم لا والله
 لا والله والله ، إنى ما استغزيلهم الا لوجب بنى خينا وبعض الفساد الى
 ما يخفي جنابكم ، ولا يقطع عقلكم أن قدومى بها المثل قصدى محاربة
 أو أمر يغضب خواطركم الا انما هو تقرب لخدمتكم وعن البعد الذى

- ٢٠٧ -

يحصل به الاتحاد للأعداء ، ويزورون أعظم مما زوروه سابق ، واجبنا
تعجيل الطارش لوجب رد جوابكم العزيز ، ونحن بانتظار تدبير الله ثم
تدبيركم ، وتحت الأمر هذا ما لزم ، والرجا ابلاغ سلامنا للإخوان
المسادات الكرام ، ومن عندنا أولادكم محمد وسعود وكافة السعود يقبلون
أيديكم ودمتم محروسين *

خادم الدولة والملة والوطن ١٣٢٨ هـ
أمير نجد ورئيس عشيرتها (سنة ١٩١٠ م)
عبد العزيز سعود
(ختم)

مرة أخرى نقرر أن هذين الخطابين صورة واضحة للتحول الضخم
المذى تم في الجزيرة العربية ، ولا شك أن الحرب العالمية الأولى ونتائجها
كانت أكبر وسيلة لتحقيق هذا التحول *

والآن وقد حقق الملك عبد العزيز هذا النجاح الساحق في ميدان
السياسة وال الحرب بجدة يتوجه بحماسة وإصرار إلى تقوية الجانب الحضاري
في هذه المملكة الفسيحة لتسعيده مكانها بين دول العالم الإسلامي ، فقد
كانت مهبط الوحي ومركز الثقافة والفكر في مطلع الإسلام ، ومنها شع
الضوء على العالم ، فكيف بها تختلف عن الركب وتتنزوى بعيداً عن
التقدم ، وسفراه هو وأولاده من بعده يصارعون في هذا المضمار ، فيفتحون
المدارس والجامعات وينشئون المدن ، ويمهدون الطرق ، ويعنون بالصحة *

و قبل أن ندع الملك عبد العزيز ونوجه إلى أولاده وخلفائه يجدر بنا
أن نخصص مساحة ولو قصيرة لدراسة صورة من صور الصراع خاصها
الملك العظيم ، ضد رفاق الأمس ، ضد من يسمون « الإخوان » *

الإخوان

كلمة الأخوان في المجاز خلال العقد الثاني والثالث من القرن العشرين كانت كلمة تشير الذعر ، وتملاً الجو بالخوف والفزع ، وقد ارتبطت هذه الكلمة بمشروع تحضير البدائية الذي بدأ سنة ١٩١١ إذ اتجهت عناية الملك إلى توطين البدو ومنهم الأرض والآلات لزرعها ، وقد أقبلت كثير من القبائل على هذا الاتجاه ، فتركت سكناً الخيام ، وبنت لها بيوتاً في تجمعات اختيرت لها الأئمدة المناسبة ، وأطلقت كلية هجرة على كل تجمع من هذه التجمعات ، واستعملت كلمة هجرة إشارة إلى أن هؤلاء هجروا حياة البدائية بما فيها من جهل وتعصب وصراع ، وأول هذه المigrations هجرة الأرطاوية ، ثم الغطس ، ثم دخنه ، وقد ملئت هذه التجمعات ستين هجرة .

وقد حاول البدو أن يقربوا من الإسلام الصحيح ، فاتجهوا للدراسة هذا الدين في تجمعاتهم الجديدة ، وبالغوا في اتجاهاتهم التحضرية ، فباع بعضهم إبله وغنمه .

ولكن خطراً جديداً داهنهم ، فإن الذين جلسوا من الأخوان مجلس العلمين كانوا أنصاراً متعلمين ، وكانت ثقافتهم ضحلة ، وبناء على ذلك اتجه التفكير في هذه الهجر إلى أنهم وحدهم المؤمنون ومن عادهم بعيدون عن الإيمان ، فالبدو الذين لم يتقربوا على الهجر أعراب يصدق عليهم قوله تعالى « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله »^(١) . وقوله : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم »^(٢) . وسكان الحضر كفراً بعيدون عن مبادئ الإسلام وتعاليمه ، وعلى الأخوان أن يجاهدوا في سبيل الله هؤلاء وأولئك لتعلو كلمة الله ، وعد» الأخوان ارسال سعود

(١) سورة التوبه الآية ٩٧ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٤ .

— ٢٠٩ —

ولى العهد إلى مصر عملاً منافي للدين لأن مصر — في نظرهم — بلاد شرك ، كما انتقدوا الملك عبد العزيز لتسامحه مع الشيعة وعدم إلزامهم بالدخول في الإسلام كما يرونه ١٠

وظن الأخوان أن معارفهم هي وحدها الدين ، وكانت هذه المعارف عبارة عن أمور ضئيلة ، فمثلاً أصبح ليس العمامة هو المستحبة ، وليس العقال بدعة منكرة ، أو — عند بعضهم — لباس كفار ، واتجهوا إلى أنه لا إسلام لمن لم يسكن المجرة ، كما اتجهوا إلى إساءة الظن بالحضر ، والاستعداد لهاجمتهم لأنهم أهملوا الإسلام كما يرونه ، وشاع عندهم أن الثوب الطرييل إسراف يجب القضاء عليه ، فكانوا إذا وجدوا ثوباً طويلاً قصوه معتمدين على فهم خاص للحديث الذي يقول «فضل الازار في النار» ثم خطوا خطوة أخرى عارضوا بها كل وسائل الاصلاح في الدولة ، ورأوها كفراً وانحرافاً ، فعارضوا مدّ أسلاك التليفون بحجج أنها تنقل الأصوات بواسطه الشياطين ، وعارضوا ركوب الدراجة وسموها عربة الشيطان ، كما أنهم اتجهوا للعبادة ولم يهتموا بالفلاحة والإنتاج مما جعلهم عبيداً على الخزانة السعودية ومصدر استهلاك لا إنتاج ١١

وهكذا كرّن الإخوان جماعات ليست أقل من البدو في حمقها وخطرها ، وإن اختلفت مع البدو في أسباب هذا الخطير ١٢

ويصنفهم الأستاذ حافظ وهبة بقوله : إنهم لا تعرف الرحمة قلوبهم ، ولا يفلت من تحت أيديهم أحد ، فهم رسول الموت أينما حلوا ١٣

ويبطأ دائماً سؤال عن مدى العلاقة بين العلماء من نسل الشیعی محمد بن عبد الوهاب مؤسس حركة التوحيد وبين الأخوان ، ويجيب بعض الباحثین عن ذلك بقوله : إن هؤلاء العلماء قالوا بضرورة طاعة الإمام

(١١) جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٣١٤ ٠

(١٢) ١٤ — التاريخ ج ٧)

- ٢١٠ -

في مسائل الحكم كإقامة الحصون وإعداد الجيوش ، وتوقف هؤلاء العلماء عند مسألة المخترعات الحديثة ولم يبدوا فيها رأياً قاطعاً ، وأظهروا تعاطفاً مع الأخوان في بعض المسائل كإرسال المعلمين لتعليم الشيعة حتى يدخلوا في الإسلام ، ويمنع المحمل ما دام مصحوباً بما أسموه مظاهر الشرك ^(١) .

وهكذا يتضح لنا أن العلماء الوهابيين كانوا أكثر تطوراً من الأخوان ، وكان استعدادهم لفهم أنفسهم وأقوى ، أما موقفهم من المخترعات الحديثة فلعله كان موقفاً شائعاً عند كثيرين من العلماء المسلمين بالعالم ، لأن الدراسات الإسلامية حتى مطلع القرن العشرين كانت متغيرة ، ولم يكن علماء الدراسات الإسلامية حظ يذكر من العلوم المدنية .

وانتهت الحال إلى الصراع بين الملك وبين الأخوان عندما لم تبق وسيلة غير الصراع ، وكان فيصل الدّويش أهم قائد من قواد الأخوان قد خر جريحاً في أحدى المعارك سنة ١٩٣٩ ، وأشفق الملك عليه . ولتكن عندما أحس "ريح المافية هب" من جديد يصارع الملك ، وضيق الملك عليه حتى استسلم للإنجليز الذين سلموه بدورهم للملك الذي عفا عنه بعد أن قلّم أظافره ، ويرى أن الملك عندما انتهى من ثورات الأخوان قال : « من اليوم سنحيا حياة جديدة » ، مما بدل على أن الأخوان كانوا عائقاً للتقدم والحضارة .

وبسبب ثورات المهر توقف مشروع تحضير الباادية سنة ١٩٣٠ .

الأخوان والجيش السعودي :

كان الأخوان يكونون النواة الأصلية للجيش السعودي ، وبهم خاض الملك عبد العزيز كثيراً من المعارك ، وحقق كثيراً من الانتصارات

(١) دكتور صلاح العقاد : جزيرة العرب في العصر الحديث ص ٢٨ .

- ٢١١ -

فبهم اقتحم الملك الأحساء ، وأخذها من الأتراك العثمانيين ، وبهم قُضى على ابن رشيد ، وضم إمارة حائل ، وبهم اقتحم واحتى تربة وخرمة ، وبهم دخل مدينة الطائف ٠

ولكن الهجر كونت للاخوان قوة وقيادات أشرنا لها فيما سبق ، فقد أصبحت لجموع الهجر فلسفات بعدت قليلاً أو كثيراً عن آراء الإمام ، كما ظهرت بين الاخوان قيادات تمردت على توجيهاته كمارأينا في فيصل الدّويس ، ولعل الخلاف بين الاخوان وبين الكويت كان خذير خطير أدركه الملك السعودى ، فقد جاء بعض الاخوان من قبيلة مطير وقررروا بناء هجرة عند بئر قريب من ساحل الكويت ، وأدى ذلك إلى صراع مسلح بين الاخوان وأمير الكويت « سالم الصباح » الذى لم يكن حسن الصلة بالحركة النجدية التي يقودها الملك عبد العزيز ، وقد تدخل الملك بحكمته حتى لا يتتفاقم هذا الصراع ، وساعد على الوصول لهذه النتيجة الطيبة تولية أحمد الجابر إمارة الكويت خلفاً للشيخ سالم الذى توفى فانكمشت بوفاته هوة الخلاف ٠

ثم جاء دخول الطائف في سبتمبر سنة ١٩٢٤ ، وفي الطائف أفلت زمام بعض الاخوان أو قل نفذوا اتجاههم الذى كان يرى منْ سواهم مشركين لا حرمة لهم ولا لأموالهم فأكثروا القتل والسلب ٠

وبجانب هذه الفوضى قاوم الاخوان استعمال الآلات الحديثة ، وكانت الجيوش في العالم قد عرفت آلات حربية لم تعرفها من قبل ٠

من أجل هذا بدأ الملك عبد العزيز يعد فرقاً جديدة من الشبان لتكون نواة جيشه ، فاختار جماعات تدين له بالولاء الكامل ، وتلتزم بالطاعة التامة لولي الأمر ، ودرب هذه الجماعات على استعمال الأسلحة الحديثة التي استنكر الاخوان استخدامها ٠

وعندما لم يبق الا القوة حكما بين الملك وبين المتمردين من الاخوان اقتحم الملك بجيشه النظامي تجمعات مطير الشائرة بقيادة فبصل الديويش وعملت السيارات المصفحة والآلات الحديثة عملها ، فهزمت جموع الشائرين شر هزيمة ، وأسلم قائدتها نفسه للانجليز كما سبق .

وأصبح الجيش السعودي منذ ذلك اليوم جيشا نظاميا موحد القيادة سواء انحدر جنوده من الإخوان أو من الحضر .

رحلة الى الغطّط :

في الرابع من شهر فبراير ١٩٧٧ قمت ومعي بعض الأصدقاء برحالة إلى الغطّط وهي قرية قرية من مدينة المازاحمية التي تبعد عن الرياض بحوالى ثمانين كيلومترا .

والغطّط الآن بقایا قرية واسعة تقع في أحضان منطقة خصبة كثيرة الزرع والأندية ، وقد دققنا بباب شيخ (مطوع) له صلة بأحد رفاقنا في الرحلة ، وقد أحسن المطوع استقبالنا ورحب بنا ودعانا لجلسة في نخيله على بعد حوالي ميلين من المنزل ، وقد هتف بابنه أن يحضر بعض البلح فأسرع الآبن باحضار عدل كبير ، وكنا نظن أننا سنأكل منه فقط ، ولكن الرجل أسرع فأفرغه كله في سيارتنا وسار معنا إلى حدقة النخيل على حافة الغطّط وجلس يحدثنا عن أحداث الاخوان هناك .

وكان الرجل يهمس في حديثه لأن الحديث عن الاخوان خطير مثل خطير الاخوان أنفسهم ، وذكر الرجل أن مؤامرة أعدها الاخوان ضد الملك عبد العزيز ، فقد أرسلوا له يدعونه للقاء ، ولكتهم كانوا يضمرون الغدر ، وقد استطاع أمير المنطقة (ماجد بن خليلة) أن يعرف بخبر المؤامرة فأرسل بأخبارها سرا إلى الملك عبد العزيز الذي أخذ حذره ، وبعد أن اكتشف خبر المؤامرة أعاد الاخوان عن عصيانهم ، وكانت قد أعدوا قريتهم إعداداً يناسب الثمرد ويواجه الحصار ، وقد زرنا بقایا القرية حيث وجدنا الاستحكامات

والاستعدادات ، فاماكن للتجمع والدفاع والهجوم ، وآبار عامة وآبار خاصة تساعد على احتلال ما يمكن من حصار ، وأسوار ومراقب ، ثم أن الخطوط متصلة تماماً بمناطق زراعية وحدائق واسعة يمكن الاختباء فيها ، ويمكن الانتفاع بثمارها وزرعها مهما طالت المقاومة .

وقد اتخذ الملك كل الوسائل ليدع الإخوان وليعودوا إلى الطاعة ، ولكن هؤلاء كانوا قد ألفوا الحروب وتغيير الناس ، وبالتالي استحلال أمر الدّيم ، لنتم بعودوا يقنعون بما تبتته الأرض أو تقدمه الدولة .

وبدأت المعركة وبيدو أنها كانت شرسة ، وقد رأى الملك ضرورتها ليحمي الدولة التي بناها بالعرق والجهد ، ولم يبدأ الملك المعركة إلا بعد محاولات واسعة لم يتراجع هؤلاء إلى الطاعة ، ولكنهم كانوا قد وصلوا إلى غاية الشطط ، بل إنهم بدعوا بإشعال نار الحرب ، فدارت الدائرة عليهم بعد أن أظهروا بطلان هائلة وصموداً عظيماً ، وقد قتل منهم عدد كبير وجراح وأسر كثيرون ، وأغضى الملك الطرف عن مئات منهم ليهربوا ، ويختفوا هنا وهناك وينماعوا بالمجتمع رعاة وزراعاً وعملاً ، ويتحدث (المطوع) سالف الذكر عن حميء الذي كان واحداً من هؤلاء ، فاختفى في مزارع أهل الطاع ولحقت به أسرته وكتموا أمره ٠٠٠ شأن كثرين من أمثاله يكن الملك يدرك ذلك ويرضى عنه ولكن دون أن يعلن ذلك ، فإنه كان حريصاً على تقليم أظافرهم والقضاء على خطرهم ، ولكنه لم يكن قط حريصاً على دمائهم ، ولو كان يريد قتلهم بعد هزيمتهم ما نجا منهم أحد لأن مسطوته كانت غالبة .

وقد سرت مع رفاقى نجوب أطلال القرية الكبيرة ، وقد دمرت تدميراً تماماً خلال المعركة ، ودمر ما تبقى من منازلها بعد المعركة ، وقصدت الأوامر لا يعاد بناؤها لقتله هكذا تذكر من تراوده نفسه بالعصيان ، ولم يعمر من أبنيتها إلا المسجد الذي أعيد بناؤه على أحسن حال ، وهو يقف شامحاً وسط الأطلال وإن كان لا يوجد من يصلى فيه إلا القليل المنادر أخلوا المنطقة من الناس .

- ٢١٤ -

نهاية البطل

كل شيء في هذه الدنيا له نهاية ، والملك عبد العزيز أمضى نصف قرن في صراع عسكري رأيناه واجتماعي سفراه ، وأن له أن يستريح بعد ما بذل من جهد وحقق من أهداف ترعرع على الكثيرين ، وقد صعدت روح الملك إلى بارئها في ربیع الأول سنة ١٣٧٣ هـ (الموافق ٩ نوفمبر سنة ١٩٥٣) تاركاً أجمل الأعمال ، وأخلد الذكريات . رحمة الله رحمة واسعة ، وأحسن حزاءه كفاء ما قدم للإسلام والمسلمين من خير وعون .

مآثر الملك عبد العزيز :

إن الدراسة السابقة تبرز المآثر السامية للملك العظيم عبد العزيز آل سعود ؛ فلقد خلق مملكة عظيمة من الأئمة التي كانت متصارعة ، وأقام دولة شاملة متماسكة إنماع فيها الجميع وافتخر بها الجميع ، وذلك وضع قد أن وجد في هذه البقاع ، ولا شك أن كل حبة من حبات الرمل بالجزيرة العربية أحست بعرق الملك وجده .

ولما كون الملك هذه المملكة الفسيحة فتح أبوابها للحضارة والمجد ، وإيهاؤها لتأخذ مكانها العظيم في التاريخ .

وسنعود فيما بعد للحديث عن حضارة المملكة العربية السعودية .

الملك سعود

كان الملك عبد العزيز قد عين ابنه الأكبر « سعوداً » ولليا للعهد ، وأخذ البيعة له في مارس سنة ١٩٣٢ ، كما عين ابنه الثاني « فيصل » ولليا للعهد لابنه الأكبر ، فلما مات الملك عبد العزيز نفذ الأمراء والعلماء رغبة الملك الراحل ، فأصبح « سعود » ملكاً ، وأصبح فيصل ولليا للعهد بالإجماع .

وكان التعجيل بتعيين فيصل ولية لعهد الملك سعود نابعاً عن حقيقة كانت واضحة هي أن فيصل كان يمثل اتجاهها هاماً، ولا يمكن أن يدبر أمر المملكة بدونه، فقد كان الملك سعود يمثل الاتجاه التقليدي المحافظ على الحكم، وكان ولـيـ العـهـد يـمـثـلـ الطـبـقـةـ المـتـقـفـةـ المـسـتـيـرـةـ، وكان ذلك سبباً لصراع خفي حيناً أو بارزاً حيناً آخر بين الشخصيتين الكبيرتين، فـالـمـلـكـ سـعـودـ يـرـيدـ أـنـ يـكـوـنـ فـيـ مـكـانـ أـبـيـهـ لـهـ السـلـطـانـ كـلـهـ، وـلـكـنـ الـمـلـكـ سـعـودـ لـمـ يـكـنـ فـيـ كـفـاءـةـ أـبـيـهـ، وـلـمـ تـكـنـ لـهـ جـهـودـ أـبـيـهـ لـخـلـقـ هـذـهـ الـمـلـكـةـ الواسـعـةـ.

أما ولـيـ العـهـدـ فـمـعـ ثـقـافـتـهـ وـخـطـطـهـ الإـصـلـاحـيـةـ لـمـ يـكـنـ يـرـيدـ الصـدـامـ معـ أـخـيـهـ حـرـصـاـ عـلـىـ مـكـانـةـ الـدـوـلـةـ مـنـ جـانـبـ وـمـكـانـةـ الـأـسـرـةـ مـنـ جـانـبـ آخرـ، وـسـارـتـ أـمـورـ الـمـرـاعـ الخـفـيـ وـالـظـاهـرـ عـلـىـ النـحـوـ التـالـيـ:

— ١٩٥٧ ترك فيصل المملكة إلى الخارج تفادياً للصدام مع الملك،
— ظهر اضطراب اقتصادي في المملكة بسبب ما عانته في السنوات التي قلت توقف الملاحة في قناة السويس بسبب الاعتداء الثلاثي سنة ١٩٥٦، فأحدث هذا حرجاً في موقف الملك خاستدعى الملك أخاه الأمير فيصل، وترك له تشكيل وزارة في ٢٢ مارس سنة ١٩٥٨. وفي هذه الوزارة وضع الأمير فيصل أساساً اقتصادياً وسياسياً سرعان ما ضاق بها الملك، كما ضاق بها الذين تأثروا بها اقتصادياً، وأدرك فيصل أن مناورات تدبر ضد موقفه في الخفاء، فأثر التخلّي مرة أخرى عن السلطة، فترك رئاسة مجلس الوزراء سنة ١٩٦٠.

وشكّل الملك سعود الوزارة عقب ذلك برئاسته، ولكن مجلس الوزراء الجديد لم ينجح في اقرار الأمور، ثم قامت باليمين ثورة العمال، فخاف الملك عاقبها فلحاً مرة أخرى إلى أخيه ليتولى السلطة من جديد.

— نوفمبر ١٩٦٢ فيصل يعود للسلطة من جديد، وفي هذه المرة وضع برنامجاً واسعاً للإصلاح يلخص في الآتي:

- ٢١٦ -

فيما يتعلق بالعلاقات الخارجية :

- وَضَعْ ميثاق يجمع بين الدول الإسلامية في دائرة تضامن وتعاون .
- محاربة بقايا الاستعمار في كل البلد الإسلامية .
- التعاون الصارم ضد الصهيونية ولمصلحة فلسطين .

وفي المجال الداخلي :

- أصدر فيصل قراراً بإلغاء الرق وإلغاء قاما على أساس تعويض المالك .
- سن تشريعات تضمن حقوق العمال .
- تزويد البلاد بأحدث الأجهزة في ميادين المواصلات والمصحة والتعليم .

وسافر الملك سعود إلى نيس بفرنسا للاستشفاء ، وهناك اتصل به أنصاره يخوفونه من إصلاحات ولی العهد التي ستقتضي على حكم الملك وتنزيله بولی العهد .

وسرعان ما عاد سعود محاولاً استرداد سلطته والاستبداد بها ، وكان معنى هذا هو الهودة بعقارب الساعة إلى الوراء ، ولذلك فشل ولم تتمكنه الظروف من ذلك مما اضطره إلى مغادرة البلاد تاركاً خلفه جنباً حافلاً بالغموض والاضطراب .

وكان لابد من وضع حد لهذا الغموض ، فصدر في ٣٣ مارس سنة ١٩٦٤ فتوى وقعها علماء السعودية طلبوا فيها من الملك سعود أن يقوم فيصل بتصريف جميع شئون الدولة الداخلية ، الخارجية وأن يبقى الملك سعود ملكاً باسم فقط ، وأيد مجلس الوزراء فتواي العلماء . ووافق الملك على ذلك ، وعلى نقل جميع سلطاته إلى الأمير فيصل .

- خطاب العلماء وأفراد أسرة آل سعود خطوة أخرى ، فقرروا في أواخر أكتوبر سنة ١٩٦٤ خلع الملك وطلبوه إلى الأمير فيصل أن يتولى الملك ، وفي الثامن من نوفمبر ١٩٦٤ قرر مجلس الوزراء السعودي الاستجابة لقرار العلماء والأمراء ، فخلع الملك سعود وبایع الأمير فيصل ملكاً شرعياً على البلاد ، وقبل فيصل هذه المبايعة فتم له الأمر .

- في الثاني من يناير سنة ١٩٦٥ أدى بعد شهرين من عزل الملك سعود أعلن الملك السابق (سعود) موافقته على ما ارتآه أهل الحل والعقد فكتب للملك فيصل خطاباً نصه كما يلى :

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى جانب الأخ
جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز سلّمه الله .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بناء على ما أقرته الأسرة والعلماء بتنصيبكم ملكاً على البلاد فإننا نبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله ملكاً للبلاد راجياً لكم التوفيق ، ولشعب السعودية الرفاهية والازدهار والتقدم والسلام .

وقوف الملك السابق سعود سنة ١٩٦٩ ونقل إلى الرياض حيث دفن بهما .

الملك فيصل *

لم يكن الملك فيصل جديداً على الحكم ولا على الحياة الدولية ، فقد كان ساعد أبيه في نضاله ، وكانت مواهبه الادارية واضحة وعالية ، وفيما يلى أبرز المناصب والأعمال التي باشرها فيصل قبل أن يصير الملك إليه :

— اصطحب أباه في هجومه على ابن رشيد في حائل سنة ١٩٢٠ .

— اشتراك في حصار جدة بعد أن استولى السعوديون على الطائف ،

في سنة ١٩٢٧ أصدر الملك عبد العزيز (التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية) وعين فيصل نائباً عاماً للملك في الحجاز ورئيساً لمجلس الشورى ، وكان عمره آنذاك عشرين عاماً .

— في مايو سنة ١٩٢٧ كان فيصل نائباً عن والده في المباحثات التي جرت بين المملكة وبين الانجليز الذين كان يمثلهم الجنرال « كلايتون » لتعديل معاهدة العقير التي سبق أن وقّعت في أثناء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٥ ، وكان بها بعض القيود التي تتنافى مع الاستقلال الكامل للبلاد ، وقد انتهت المفاوضات بإبطال معاهدة العقير واستقلال البلاد استقلالاً تاماً .

— شغل منصب رئيس مجلس الوكلاء الذي كان يدير أكثر الشئون بالبلاد ، والذي صدر به مرسوم سنة ١٩٣٢ .

— وكان أول وزير للخارجية عندما أنشئت هذه الوزارة .

— وقد أنشأ مجلس الوزراء في أكتوبر ١٩٥٣ في عهد الملك

(*) من مراجعنا للحديث عن جلالة الملك فيصل الكتب التالية :

(١) خطب الملك فيصل بن عبد العزيز في وفود الحجاج المسلمين .

(٢) فيصل بن عبد العزيز من خلال أقواله وافعاله للدكتور صالح الدين المنجد .

(٣) معجزة فوق الرمال لأستاذ أحمد عبيه .

عبد العزيز ، على أن يكون الأمير سعود رئيساً لهذا المجلس والأمير فيصل نائباً للرئيس ، ولكن الملك عبد العزيز توفي في الشهر التالي (٩ نوفمبر) قبل أن يباشر هذا المجلس سلطاته ، ولما أُنشئ هذا المجلس في عهد الملك سعود كانت الرئاسة الفعلية لولي العهد (فيصل) ولو أن الرئاسة الاسمية كانت للملك سعود .

— وقد رأينا جهوده العظيمة في خلال عهد الملك سعود ، تلك الجهود التي رجحت بكفته ونالت الملك إليه .

وإذا كان الملك عبد العزيز قد أسس الدولة ووحدتها ووضع أساس نهضتها فإن الملك فيصل رفع شأن البناء ، ونقل المملكة من عصر إلى عصر ، ومن حال إلى حال ، وقد برهن جلالته بحق أنه قمة من قممعروبة ، ورائد من أعظم رواد الإسلام ، وفتح " جديد بين الرجال .

ما زالت جهود الملك فيصل :

وقد اتجهت جهود الملك فيصل إلى كل اتجاه ، فله في الميدان الداخلي جهد يذكر فيشكر ، وله كذلك جهود عظيمة في الميدان العربي والإسلامي ، وكذلك في الميدان الدولي .

وتشعبت جهوده الداخلية فشملت الجانب الثقافي والاقتصادي والاجتماعي ، كما شملت حركات التقدم والعمان وتقوية الجيش .

ففي مجال العلم والمعرفة فتحت الجامعات في مختلف العواصم بالملكة ، وشيدت مئات المدارس والمعاهد والكليات ل تستوعب مئات الآلاف من الطلاب ، كما ارتفع عدد المبعوثين من أبناء المملكة إلى الخارج ارتفاعاً عظيماً .

وقد أصبح عدد الطلاب يقترب من المليون في جميع مراحل التعليم .

وارتفعت مخصصات تعليم الفتيات في عهده إلى ٤٨٥ مليون ريال ، أى ٢٤٢ ضعفاً مما كانت عليه سنة ١٩٦٠ ، حينما بدأت سياسة تعليم الفتيات في السعودية ، وكان فيصل وقائده رئيساً للوزراء ، وهو الذي أصدر هذا القرار ، وتحمل كل آثاره من جانب العقول المتعصبة الرافضة لتعليم الفتيات .

وفضلاً عن ذلك دخلت المملكة السعودية عصر التصنيع على يديه ، فبدأت خطوات جديدة تستهدف الانتقال بهذه البلاد من مجرد الاعتماد على ثروتها الطائلة من البترول إلى بلد يسير نحو الصناعة ، وتطوير الزراعية .

كما صاحب ذلك حركة مماثلة في ميدان الصحة ، حيث انتشرت المستشفيات وظهرت قلاع علمية طبية تستفيد من أحدث المجنزات العلمية في هذا الميدان ، وتجذب إليها أعظم الخبراء في هذا المجال .

وفي الميدان العربي كان الملك ضمان ود عند الأزمات ، وكان دائمًا كبير القلب مستعداً أن يمد يده لكل العرب وأن يتعاون معهم ، يمشي للرؤساء العرب أو يستقبلهم ، وكان مستعداً — من أجل المستقبل — أن ينسى إساءات الماضي التي تتسبّب لبعض الرؤساء ، وكانت الميزانية السعودية على استعداد أن تقدم المال كلما احتاجت الأمور للمال ، وبخاصة للمنظمات الفلسطينية التي تصارع لاستعادة كيانها .

وفي الميدان الإسلامي كانت هناك حقيقة تمثل أمام الملك هي أن بلاده مشرق النور ، وأن الإسلام أثنيق من الأرض المقدسة التي تقع ضمن نطاق مملكته ، وإذا كان الفكر الإسلامي قد اتخذ له عدة مراكز هنا وهناك فإن الحجاج ينبغي أن يظلوا مركزاً مهماً من مراكز الفكر بالإضافة إلى أيه مقدم لآلاف المسلمين كل عام للحج وزيارة مدينة رسول الله ، وقد اتجه الملك بعنابة فائقة إلى ربط بلاده بأقطار العالم الإسلامي برباط من الود

الوثيق وتبادل المنافع ، كما اتجه إلى أن يكون من المسلمين قوة تقف أمام الملادينية والإلحاد ، وتعمل على التعاون المثمر حتى تبقى كلمة الله خفافة عالية ، والذي يدرس تاريخ الملك فيصل في هذا المجال يجده سلسلة من النشاط أثمرت أطيب الثمرات ، وعملت على أن تخلق من المسلمين قوة كبيرة قوية متماسكة تتعاون في مختلف الحالات ، حتى تسهم كل دولة من الدول الإسلامية برصيدها النكرى أو البشري أو الاقتصادي بهدف خدمة المجتمع .

ولا شك أن الملوك والرؤساء المسلمين استجابوا أقوى استجابة لدعوة الملك فيصل للتضامن والتعاون ، فالتضامن والتعاون بين المسلمين من أهم أسس الإسلام ، وعندما ينادي بهما صوت أو ترتفع بهما راية يتजاوب الصدى في كل مكان ، وتجتمع حول الرأية كل القوى بالحماس والتثاب ، والأمل .

فيصل وحرب رمضان ١٣٩٣ (أكتوبر ١٩٧٣)

من الحق أن نذكر أن الملك فيصل كان له دور فريد في حرب رمضان ، وقد بدأ هذا الدور قبل اندلاع المعركة ، فقد صرخ الرئيس أنور السادات بأنه عرض على الملك فيصل قبل المعركة بفترة نية مصر نحو بدء الصراع ضد إسرائيل ، ودعا الملك فيصل لمصر بالتوفيق ، ووعد بكل التأييد في جميع المجالات ، كان له شرط واحد هو أن تكون المعركة طويلة ، فطولها فرصة للثقة والجدية ، وبالتالي للتجمع العربي والتضامن ، ووعد أنور السادات بذلك .

ومع بدء المعركة وصلت برقية إلى الرئيس السادات من الملك فيصل يقول : « نؤكد لكم بأننا إلى جانبكم بجميع إمكانياتنا ، داعين للجيش المصري المظفر بالنصر والتأييد » .

- ٢٢٢ -

ودارت المعركة ، ووقف الرجل عملاقا هائلا كأنه في غرفة لعمليات الحربية ، ويقول الرئيس السادات عنه :

إن كل ما صدر بعد ذلك عن قضية البترول ، وعن مد مصر بكل ما تحتاج إليه ، وعن الوقوف الصلب في المحيط الدولي ، وعن الدعم الكامل للتضامن العربي ٠٠٠ كل ذلك صدر من الملك فيصل دون أن يطلب أحد منه شيئا » ٠

وعلى هذا فسيظل التاريخ يذكر للرجل دوره الكبير في المعركة الناجحة ٠

ومن الواضح أن صدى قطع البترول عن أمريكا كان عنيفا للغاية ، فلقد أحس كل بيت وكل مصنع بهذه المفاجأة الشديدة ، وانطلقت ألوان من التهديدات الثائرة ، ولكن الرجل كان أصلب عودا ، وكان كالجبل الأشم ، فلم تقتل منه هذه الترهات منلا ، وتراجعت التهديدات من تلقاء نفسها ، وسحبها أولئك الذين ظنوا أن صداتها سيكون له تأثير على نفس الملك ، مع العلم أن الملك لم يقل شيئا يرد به على هذه التهديدات ، ولكن صمته كان أبلغ من كل كلام ، فالذين هددوا توقفوا عن التهديد ، ثم سحبوا هذا الشعار الزائف وتراجعوا ثم سلکوا الطريق الذي يرضي الصحف العربي الذي نال من الملك فيصل قوة وثباتا وجلا ٠

ولم يكن قرار فيصل عن البترول ولivid انفعالات صاحبت المعارك العسكرية ، وإنما جاء تنفيذا لحكمه ولحساب دقيق ، ومن أجل هذا اجتمعت حول هذا القرار كلمة جميع الدول العربية المنتجة للبترول ٠

وكانت معركة البترول - ولا زالت - نموذجا لاستخدام الحكم والدهاء والمرونة التي هزت أنماط التفكير الغربي من أساسه ، فبعدأ يعيي الحسابات في مواقفه نحو العالم العربي ، وكانت النتائج مذهلة :

- ٢٢٣ -

- تحركت دول أوربا الغربية لتصدر قرارا جماعيا تطالب فيه بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية التي احتلتها .

- تخلت اليابان عن حيادها ، وأعلنت انحيازها وإيمانها بالقضية العربية ، وبدأت تشترك بصوت فعال في عمليات تنمية الدول العربية .

- ثم تحركت الولايات المتحدة ، وبدأت تبحث عن حل لأزمة الشرق الأوسط ، بعد انحياز كامل دام أكثر من ربع قرن نحو ربيتها المدللة

- وانتهت إلى الأبد حالة اللا حرب واللا سلم . وشرع كيسنجر في رحلاته المتلاحقة لنزع الفتيل من الأرض المشتعلة والمهددة بالانفجار ، وما يستتبع ذلك من خطورة الموقف الدولي .

- أفاق العالم بأسره من غيوبية الالامبالاة ، واعتنق أسطورة الدولة المسالمة التي يريد العرب إلقاءها في البحر .

نهاية الملك فيصل :

وهذا الرجل الذي رفع شأن بلاده وأعز شأنها ، وأيد المعركة قبل أن تقوم ، ودعمها وهي مشتعلة ، وناصرها بحزم بعد أن توافت ، سقط شهيدا في لحظة كان العالم العربي ، والعالم الإسلامي في أشد الحاجة إليه ، وكان موته غدرا بيد ابن أخيه المسئي فيصل بن مساعد بن عبد العزيز ، وقد أطلق عليه هذا الشاب الرصاص وهو يتظاهر بأنه يريد أن يقدم له التحية ، وفي لحظة سريعة أفرغ في جسد الملك رصاص مسدسه ، وسقط الرجل العظيم شهيدا في الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١٣٩٥ هـ (٢٥ مارس ١٩٧٥) وأحدث نبأ اغتيال الملك فيصل ذويها هائلا في العالم كله بوجه عام ، وفي العالم الإسلامي والعربي بوجه خاص .

وكان الشاب القاتل قد عاد حديثا من أمريكا ، ولا يستبعد أن يكون قد تأثر بالحنق الذي يذيعه الصهيونيون وعملاؤهم ضد الملك الراحل ،

- ٢٢٤ -

فأقبل الشاب على فعلته المطائشة لهذا السبب أو لسواء ، وقد قيل عقب الحادث أن الشاب مفتل العقل ، ولكن سرعان ما أثبتت الأطباء أنه عاقل مسئول عما يفعل ، وبناء على ذلك قدم الشاب للمحاكمة ، وقد استغرقت محكمته عدة أشهر ، ولما سئل أحد أولاد الملك الراحل عن القصاص قال : وماذا يجدى القصاص من ذلك الشاب بعد أن قضى بفعلته الشنعة على رجل كان العالم الإسلامي يتطلع إليه ويرقب فضله :

ولكن القصاص على كل حال يحمي الأحياء من مثل هذا التصرف الإجرامي ، وهو المعنى الذي تشير له الآية الكريمة « ولهم في القصاص حياة » *

وفي صبيحة يوم ١٨ يونيو سنة ١٩٧٥ صدر حكم المحكمة الشرعية بإعدام القاتل الأثيم وتم تنفيذ الحكم في نفس اليوم وصدر بذلك بيان رسمي يقول :

« تم تنفيذ الإعدام في المجرم القاتل بناءً على حكم أصدرته صباح اليوم المحكمة الشرعية العليا لارتكابه جريمة قتل فقيد الأمة العربية والإسلامية المغفور له الملك فيصل ، وإن جلاله الملك خالد بن عبد العزيز قد صدق على الحكم فور صدوره وأمر بتنفيذ عقب صلاة العصر » *

وقال الراديو نacula عن بيان للقصر الملكي أن القاتل اعترف خلال محكمته بأنه قتل الملك لكي يضع حدا للإسلام ، وأن جريمته هي جزء من أهدافه لحاربة هذا الدين . لعن الله هذا القاتل الأثيم .

ورحم الله الفقيد وأثابه على ما قدمه لبلاده وللعالم العربي والإسلامي من جهد وعون *

الملك خالد بن عبد العزيز

ولئن سقط في الميدان بطل ، فهناك أبطال وأبطال يملئون الفراغ
ويُكملون مسيرة الذين رحلوا بعد أن أناروا الطريق ، ومهّدوا السبيل .

وفاة الملك خالد

لم تَطْلُ حِيَاةُ الْمَلِكِ خَالِدٍ بَعْدَ أَنْ آتَتْ لَهُ الْأَمْوَارَ، فَقَدْ هَاجَمَتْهُ الْأَمْرَاضُ، وَعَجَزَ الْأَطْبَابُ عَنْ شَفَائِهِ، وَأَسْلَمَ الرُّوحُ بَعْدَ حِيَاةٍ مُلْكِيَّةٍ قَصِيرَةٍ وَلِكُنْتَهَا عَامِرَةً بِالْإِيمَانِ وَالْخَدْمَاتِ الْعَالِمَةِ رَحْمَهُ اللَّهُ وَأَحْرَلَ ثَوَابَهُ :

البيعة للملك فهد بن عبد العزيز

وآل الملك للملك فهد ، وهو من الملوك الأفذاذ ، فقد استطاع أن يعيد أمجاد أخيه الملك العظيم فيصل في قوته وكياسته وعمق تفكيره وحسمه للأمور ، عطّر الله أيامه ، وجعل عصره من أزهى العصور للمملكة العربية السعودية وللعالم الإسلامي كلها .

وللملك نهاد مأثر رائعة جديرة بالتسجيل مع الإجلال والتقدير ومن أهمها ما يلي:

تعاون و عون :

تشهد هذا العصر تعاوناً وصل إلى القمة بين المملكة العربية السعودية ودولة

(١٥ - التاريخ ح)

وبيـن دول العـالـم الإـسـلـامـيـ، وفـتحـتـ المـلـكـةـ خـرـائـنـهاـ بـقـدـرـ الطـاـقةـ لـكـلـ الدـوـلـ
الـتـىـ طـلـبـتـ عـونـاـ أـوـ مـسـئـهاـ الـضـرـ، وـعـنـدـمـاـ شـمـلـ التـصـحـثـ بـعـضـ الدـوـلـ
الـإـسـلـامـيـةـ بـإـفـرـيقـيـةـ فـيـ الثـمـانـيـنـاتـ اـمـتدـتـ يـدـ الـحـوـنـ مـنـ السـعـودـيـةـ فـكـانـتـ
بـلـسـماـ خـفـ آـلـمـ الـمـنـكـوبـينـ وـأـزـالـ كـرـبـتـهـمـ، وـأـحـسـ الجـمـيعـ أـنـ الـمـلـكـ «ـفـهدـ»ـ
وـاقـفـ فـيـ صـفـوفـهـمـ .

مـلـيـينـ النـسـخـ مـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ :

وـقـامـتـ الـمـلـكـةـ بـطـبـعـ مـلـيـينـ النـسـخـ مـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ وـوـزـعـتـهـ عـلـىـ
الـعـالـمـ إـسـلـامـيـ، وـاخـتـارـتـ لـهـذـهـ الـمـصـاحـفـ أـحـسـنـ الـأـورـاقـ وـأـجـودـ وـسـائـلـ
الـطـبـاعـةـ .

وـعـنـدـمـاـ هـبـتـ صـحـوةـ إـسـلـامـيـةـ فـيـ الدـوـلـ إـسـلـامـيـةـ الـتـىـ يـشـمـلـهـاـ الـاـتـحـادـ
الـسـوـفـيـيـتـىـ اـسـتـغـلـتـ الـمـلـكـةـ السـعـودـيـةـ هـذـهـ الـفـرـصـةـ وـأـرـسـلـتـ لـلـمـسـلـمـينـ
هـذـاـكـ مـلـيـينـ مـنـ الـمـصـاحـفـ وـمـنـ الـكـتـبـ إـسـلـامـيـةـ، وـكـانـتـ هـذـهـ الـهـدـيـةـ مـؤـثـرـةـ
تـأـثـيرـاـ عـظـيـماـ، وـلـفـتـةـ إـسـلـامـيـةـ طـيـيـةـ .

خـادـمـ الـحـرـمـينـ الشـرـيفـينـ :

وـتـنـازـلـ الـمـلـكـ فـهدـ عـنـ لـقـبـ «ـصـاحـبـ الـجـلـالـةـ»ـ وـاخـتـارـ بـدـيـلاـ عـنـ ذـلـكـ
لـقـبـ آـخـرـ هوـ :ـ «ـخـادـمـ الـحـرـمـينـ الشـرـيفـينـ»ـ .

جـسـرـ الـمـلـكـ فـهدـ :

وـمـنـ أـخـطـرـ الـأـعـمـالـ الـتـىـ تـمـتـ فـيـ هـذـاـ الـعـهـدـ الـمـيـمـونـ «ـجـسـرـ الـمـلـكـ فـهدـ»ـ .
وـطـولـهـ سـتـةـ وـعـشـرـيـنـ كـيـلوـ مـتـرـاـ، وـهـوـ الـذـىـ وـصـلـ «ـدـوـلـةـ الـبـحـرـيـنـ»ـ بـأـرـضـ
الـسـعـودـيـةـ، وـقـضـىـ بـذـلـكـ عـلـىـ الـأـمـلـ الـفـارـسـيـ الـذـىـ كـانـ يـرـاـوـدـ حـكـامـ إـيـرـانـ
بـأـنـ تـكـوـنـ جـزـءـاـ مـنـ إـيـرـانـ، وـسـنـرـىـ عـنـدـمـاـ تـنـتـكـلـمـ عـنـ الـبـحـرـيـنـ
مـحاـواـلـاتـ الـفـرسـ لـتـسـلـلـ لـهـذـهـ الـبـلـادـ، وـلـكـنـ هـذـاـ جـسـرـ قـضـىـ عـلـىـ الـأـطـمـاعـ
وـالـمـحاـواـلـاتـ وـثـبـتـ الـبـحـرـيـنـ دـوـلـةـ عـرـبـيـةـ عـمـيـقـةـ الـمـروـبـةـ .

أقسام المملكة العربية السعودية

وأهم بلدانها

بعد هذا الحديث عن المملكة العربية السعودية يتضح لنا أنها الآن تشمل أربعة أقسام رئيسية هي : نجد والأحساء والجاز وعسير ، وأن نجدا تشغل المساحة العظمى بالملكة ، وأما الأحساء فتطلق على المنطقة الممتدة على الساحل الغربي للخليج من حدود المنطقة الحایدة بين الكويت وال سعودية إلى حدود قطر ، أما الجاز وعسير فيشغلان شريطا موازيا للبحر الأحمر يضيق حينا فيصل إلى عشرة أميال ، ويتسع حينا فيصل إلى أربعين ميلا ، ويقع الجاز في الشمال وعسير في الجنوب وفيما يلي معلومات سريعة عن أقسام المملكة :

أولاً - نجد :

تحدثنا عن نجد حديثا طويلا ذيما سبق ، وكل ما نضيفه هنا أن نجدا معنها الأرض المرتفعة وعكها نهاية ، وأن نجدا تمثل همة الوصل بين أقاليم المنطقة وهي التي تربط بينها ، وفي نجد موقع أكثر المشاهير من شعراء الجاهلية ، ففي جبل المسؤول بالقرب من حائل عاش حاتم الطائي وسجل أروع المكرمات ، وفي منطقة الوشم توجد بلدة جرير الشاعر ، وفي بلدة منفوحة عاش الأعشى الشاعر ، وهكذا ، وتعداد نجد حوالي مليونين

ثانياً - الأحساء :

الأحساء هي - كما سبق - الأرض الرملية التي يقرب الماء من سطحها ، وهي اليوم تطلق على المنطقة الممتدة على الساحل الغربي من الخليج العربي من حدود المنطقة الحایدة جنوب الكويت إلى حدود قطر ، وتلتقي بالربع الخالي في الجنوب ، وكانت قديما تسمى البحرين أو هجر ، ويقول أبو الفدا ، إن البحرين أو هجر ناحية تمتد على سطح بحر فارس ،

والأحساء جزء فيها ، والقطيف بلدة على شاطئ بحر فارس من
البحرين ^(١) وتعرف هذه المنطقة الآن بالمنطقة الشرقية *

ومنطقة الأحساء كثيرة المعيون ، نصرة خضراء ، خصبة التربة تنمو
بها زراعات الأرز وغيره من الحبوب ، ويكثر بها النخيل كما توجد بها
أنواع مختلفة من الفواكه ، ولكن أعظم ما تشتهر به الأحساء هو حقول
البترون الهائلة التي تمثل بحراً في versa بالذهب الأسود ، وكثرت البلدان
المشهورة بالأحساء ، ومن أهمها البلدان التالية :

- الهافوف : كانت عاصمة الأحساء قبل اكتشاف النفط ، وهي مقر
أميرتين من كبار التجار الأثرياء ، وهما القصبيي والعجاجي ، والأفراد
هاتين الأميرتين قصور ضخمة تحيط بها حدائق فينانة ، والهافوف مدينة
مسورة ، وبها سوق حافلة بأنواع البضائع وال الحاجيات ، وكانت المهافوف
عاصمة المنطقة في العهد العثماني يوم كانت الأحساء لواء إدارياً مستقلاً *

- الظهران : هي مدينة حديثة تقع على أكمة مسماة بهذا الاسم ،
وتبعد حوالي خمسة أميال عن الساحل ، والظهران مركز شركة الزيت
العربية الأمريكية ، وقد أنشئت الظهران على نسق أميركا الأمريكية ، ولها
ميناء على الساحل وهو رأس تورة ، ومنه يتدفق البترون إلى نواح
مختلفة بالعالم *

- القطيف : واحة في الجهة الشمالية الشرقية من الأحساء ، وأكثر
سكانها من الشيعة ، وهي تقع على الخليج على بعد ٣٦ ميلاً من الظهران ،
وهي كثيرة المياه العذبة ، وبها حركة تجارية واسعة *

- الدمام : تقع الدمام على الخليج ، وهي عاصمة الأحساء الآن ،
وتبعد سبعة أميال عن مدينة القطيف وكانت الدمام قد خُرّبت في القرن

(١) أبو الفدا : كتاب البلدان ص ٩٨ - ٩٩

القاسع عشر ، ثم أعيد عمرانها ، وفي الدمام تكثر الحدائق والآبار الارتوازية ، وهى مركز اقتصادى هام ، ومركز رئيسى لشحن البترول ، وأهم الموانى السعودية على الساحل الشرقي ، وتبدأ منها سكة حديد الرياض .

وستتكلم عن تاريخ الأحساء فيما بعد ضمن حديثنا عن منطقة الخليج .

ثالثاً — الحجاز :

طول الحجاز على ساحل البحر الأحمر حوالي ٧٠٠ ميل تبدأ من خليج العقبة إلى عسير ، ويقدر عدد سكان الحجاز بحوالي مليوني نسمة ، وهم يتكونون من حضر يسكنون المدن أو القرى ويشغلون بالتجارة أو الزراعة ، ومن بدو يتنقلون طلباً للمراعي وبحثاً عن الماء .

وت التجارة الحجاز تتحصر غالباً في البضائع التي ترد له من الخارج والتي يشتريها الحجاج ويعودون بها إلى بلادهم ، وتصدر الحجاز بعض الحاصلات من التمر والجلود والحناء والصمغ ، وأهم مدن الحجاز مكة والمدينة والمطائف وجدة وينبع ، وستكلم كلمة عن كل من هذه المدن :

— جدة : جدة هي الميناء الأولي للمملكة العربية السعودية ، وينبع هي الميناء الثاني ، وتقع جدة في منتصف طول البحر الأحمر تقريباً ، وبينها وبين مكة ٥٥ ميلاً ، وقد أسست جدة في عهد الخلفاء الراشدين أسسها الخليفة عثمان رضى الله عنه ، وكان بجدة قبر ينسب إلى حراء أم البشر ، وقد أزالته حركة الإصلاح ، إذ كان الحجاج يتمسحون به ، ويتوسلون به إلى الله .

وتبعد جدة عن بور سودان الواقعة على الشاطئ الآخر بمقدار ١٩٠ ميلاً ، وتبعد جدة عن السويس بمقدار ٧١١ ميلاً ، وكانت تحصل على ماء الشرب من تقطير مياه البحر ، ولكنها الآن تحصل على المياه العذبة من منابع في وادي فاطمة الذي يبعد عن جدة بمقدار ٥٠ ميلاً .

- مكة : ومكة تسمى بـ مكة وأم القرى ، وهي أشهر مدن الحجاز ، وتعتبر المدينة الأولى بالملكة العربية السعودية ، تقع على ارتفاع يبلغ ١٤٠٠ قدم ، ولا يدخلها غير المسلمين ، وهي محاطة بالتلل الصخرية ، ومعرضة لحرارة الصيف الهائلة ، كما أنها تتعرض أحياناً لفيضان جارف وتعتمد مكة على عين زبيدة في الحصول على ماء الشرب ، وفي مكة يوجد المسجد الحرام أول مساجد العالم ، ولقد كان في مكة كثير من الآثار التاريخية مثل المكان الذي ولد فيه الرسول ، وبيت المسيدة خديجة ، وبيت أبي بكر وغيرها من الآثار ، ولكن الإخوان هدموا هذه الآثار مع ما هدموا من القباب والقبور ، ويقول المؤرخون للحركة السعودية الأولى إن مكة والمدينة في أثناء الحكم السعودي في القرن التاسع عشر قد أزيل منها كل الآثار التاريخية التي كان يتبرك بها الحجاج ^(١) .

- المدينة : المدينة تسمى طيبة ويُشرب ، وهي أول عاصمة إسلامية ، وتبعد المدينة عن مكة حوالي ٣٠٠ ميل ، وعن ينبع حوالي ١٣٠ ميلاً ، وبها قبور الصحابة وأكل البيت وأئمة الحديث والفكر ، وكانت تكثر بها القباب والمباني فوق هذه المقابر ، ولكن الحكومة السعودية هدمت هذه القباب والمباني وسوّتها بالأرض ، وترتفع المدينة حوالي ٢٠٠٠ قدم عن سطح البحر ، وفي المدينة مياه غزيرة وافرة تساعد على زراعة الفواكه والخضير بكثرة تزيد عن حاجة السكان .

- الطائف : والطائف مدينة مسورة تقع على بعد ٧٥ ميلاً من الجنوب الشرقي من مكة على ارتفاع ٥٠٠٠ قدم من سطح البحر ، وهي صيف العظاماء والأغنياء ، وأمطارها غزيرة تسقط في فصل الخريف ، وآبارها كثيرة ، وأرضها خصبة يكثر بها العنبر والرمان والخوخ والليمون والمشمش ، كما تنمو بها أنواع مختلفة من الزهور والورد .

(١) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٣٤ .

رابعاً - عسير :

تقع عسير إلى الجنوب من الحجاز بين الحجاز واليمن ، وتشمل سهول تهامة ، وفي عسير قامت إمارات متعددة تحدثنا عنها من قبل ، وكان بعضها تابعاً للأتراك أو خاضعاً لنفوذهم ، ولكن المملكة العربية السعودية شملت منطقة عسير فيما شملته من باقى عسير .

ويبلغ عدد السكان حوالي مليونين ، وهم شافعيون المذهب وهناك قلة في الشمال الشرقي تتبع مذهب أحمد بن حنبل ، ويشتغل أغلب الأهالي بالزراعة ، والبدو الرحل قليلاً جداً في عسير ، والاختلاط في الأنساب قليل فيها ، إلا ما كان في المدن الكبيرة ، وحدود القبائل معينة تعيننا دقليقاً ، ليس لها نظير في غير عسير ^(١) ، وعسير أغزر جهات السعودية مطرًا .

وأهم مدن عسير هي جيزان وأبها والقنفذة - وصبياً ، وأبو عريش وتربة وميدى .

وجيزان عاصمة تهامة في إقليم عسير ، وكانت ميناء الأدارسة في زمانهم ، وجيزان تقع على قمة خليج يكتنفه المد والجزر العنيف ، وبها مقر الحكم ، ويشتغل سكان جيزان باستخراج المؤلؤ .

وأبها كانت العاصمة القديمة في عهد الأتراك ، وموقعها جذاب ، وتقع على ارتفاع ٧٠٠٠ قدم ، وهي محاطة بحقول وجبال خضراء . والقنفذة أهم ميناء بعسير ، وهي على بعد حوالي ٢٠٠ ميل جنوب مكة ، وهي ميناء أبها .

وصبياً كانت عاصمة الأدارسة ، وبها قلعة قديمة بنيت أيام الحكومة السعودية الأولى ، وقد أصلحتها الحكومة الحالية .

(١) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٤٢ .

- ٢٣٢ -

وأبو عريش أثمر بلدة في تهامة ولها تاريخ حافل في القرن الماتسع عشر ، عصر النهضة الدينية الأولى ٠

حضارة المملكة العربية السعودية

لا يعرف ما حققه السعوديون من تقدم في المملكة العربية السعودية إلا الذي يعرف أو يتصور ماذا كانت عليه هذه المنطقة قبل السعوديين : وكيف عبر سكان هذه البلاد مئات السنين في حياة جاهلية وقبلية وصراع وتناحر وسلب ونهب وفوضى ، فلما قامت الدولة السعودية بها تغير كل شيء ، ومع هذا فإن شوطاً طويلاً لا يزال يرجى من القادة السعوديين ، فإن الإمكانيات الكبيرة المتاحة لهم تتيح لهم أن يلعبوا دوراً واسعاً لخدمة الإسلام وال المسلمين ، ولكن هذا الأمل لا ينسينا أن نتصفح التطور الهائل بين ما كان وما هو كائن فعلاً ، وفي السطور الآتية نشير لهذا التطور الكبير ٠

التصحيح الفكري :

في قمة ما حققه السعوديون في مملكتهم ذلك التصحيح الفكري الذي انطلق به الإمام محمد بن عبد الوهاب وحمل القادة السعوديون لواءه ، وقد انقل الناس بهذا التصحيح من جاهلية حمقاء وشرك أو ما يقرب منه إلى التوحيد الخالص ، وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق ، وأظهرنا أثره في داخل البلاد وخارجها ٠

وحدة المملكة :

أصبحت هذه المنطقة الفسيحة تتكون منها دولة واحدة بعد أن كانت أشتاتاً من القبائل والجماعات ، وخضعت هذه الدولة للشريعة الغراء بعد أن كانت تتبع شريعة الغاب ٠ وكما استطاع الملك عبد العزيز وخلفاؤه من بعده أن يتغلبوا على الشعور القبلي الذي كان يهدد المملكة ، فقد استطاعوا كذلك أن يقضوا على التقليد الإقليمي الذي حدث بعد ضم المحاجز وغيره من المناطق إلى نجد ، ويوماً بعد يوم ، وعاماً بعد عام ضعف

هذا التفكك ، وزال تقربيا ، ويمكن القول أن ما قام به السعوديون في هذا المجال عجز عنه غيرهم في المظروف المشابهة وكانت عدالة السلطة وحكمتها أعظم وسيلة لما وصلت له من وحدة حقيقية ، هذا بالإضافة إلى اتباع أحدث الوسائل لهذه الغاية كتمهيد الطرق بين نواحي الملكة ، وكبرامج التعليم ، وكالحزم عند الضرورة وغير ذلك من الوسائل .

القيادة الرشيدة :

عُرف عن ملوك السعوديين أنهم يحسنون اختيار بطانتهم ، وبطانة الخير تدفع للخير وتشعن عليه ، وفي الفترة الأولى من ظهور الملكة العربية السعودية كانت بطانة الملك عبد العزيز تختار من الكفاءات العربية الإسلامية بدون ارتباط بالجنسية ، وعلى هذا ظهر بين مستشاري الملك شخصيات تتسب إلى العراق وسوريا ومصر ، ولما اتضحت الكفاءات بين أبناء المملكة السعودية ، اتجه الاختيار إليهم ، وإن كانت المملكة لا تزال منتفع بالخبراء وقمم المفكرين في مجالات مختلفة من أبناء العالم العربي والإسلامي .

الأمن :

عمّ الأمان تلك المناطق الفسيحة التي تكونت منها المملكة العربية السعودية ، وأصبح الحجاج من مختلف البقاع يسرون رحلتهم إلى الأرض المقدسة في أمن وسلام وطالما تعرضوا من قبل للسلب والنهب والعدوان وهو في طريقهم الأداء فريضة الحج ، ومثل وفود الحجيج حظيت التوافل التجارية التي تجتاز الجزيرة العربية بمثل ذلك الأمن ، ولم تعد قوافل التجارة تحتاج لحراسة ، إذ اخترى العدوان في ظل المملكة العربية السعودية وقد سبق أن ذكرنا أن قادة السعوديين جعلوا قيادات المناطق مسؤولة عن أي عدوان يقع في مناطقها ومن هنا حرص هؤلاء القادة على حفظ الأمان في مناطقهم خوفاً من هذه المسؤولية ، وكان بعض القادة من قبل يشتراك في التخطيط للعدوان ، وبينما نصباً موهوراً من الثنائيات المسئولة

وهذا يوضح الفرق الكبير بين ما كانت عليه الأحوال قبل قيام المملكة العربية السعودية ، وبعد قيامها ٠

الإِدَارَة :

خلق السعوديون للدولة الجديدة جهازاً إدارياً دقيقاً ، وأخذ هذا الجهاز يتطور بتطور الظروف ، فقد كان الملك عبد العزيز يحكم البلاد كأنه أب لأسرة يحكم أسرته ، فثروة الدولة كلها كانت في يده دون فصل بين ما في الدولة وما له الخاص ، وكان ينفق من هذه الثروة على الدولة وعلى الأسرة ، وكان هناك معاونون في العاصمة وخارجها لمساعدة الملك في مختلف الشئون : وكان للملك بعض المستشارين يطلب رأيهما كلما عنَّ له ذلك ، وكان هذا يكفي عن الوزارات والتقسيمات الفنية ، ثم اتجه الملك إلى نوع من التطور في هذا المجال ، فأنشأ وزارات متخصصة ، وكانت وزارة الخارجية أولى هذه الوزارات إذ أنشئت سنة ١٩٣٠ ، وجاءت بعدها وزارة المالية ١٩٣٣ ، فالدقاع سنة ١٩٤٤ ، فالداخلية سنة ١٩٥١ ، فالمواصلات والمعارف سنة ١٩٥٣ ، ثم أنشىء مجلس يضم هذه الوزارات سنة ١٩٥٣ قبل وفاة الملك بشهر واحد ، كما ذكرنا من قبل ، كما قسمت البلاد إلى مناطق متعددة ، وعيّن لها محافظون أكفاء أشداء ، ووُجِدت كذلك مجالس محلية ومجالس بلدية لإدارة المدن والمناطق ، كما وُضِعَت التشريعات الملزمة للعمل وللتأمينات الاجتماعية ، واتخذت من التشريع الإسلامي اتجاهاتها ومبادئها ٠

محاربة الأعداء الثالثة :

كان الفقر والجهل والمرض صورة للحياة العامة في الجزيرة العربية قبل قيام المملكة العربية السعودية ، وقد ذكرنا عند حديثنا عن نجد نماذج من الآفات الطبيعية والمجاعات التي كانت تنتاب البلاد من حين إلى حين ، وقد حارب السعوديون هذه الآفات قبل أن ينبعق البترول وبعده ، حتى وجد كل إنسان وسيلة طيبة للحياة والعلم والعلاج ، وسنعطي فيما يلي صورة سريعة لما حققته المملكة السعودية في مجال العلم والمصحة ومحاربة

الفقر ، وقد ذكرنا بعض هذا التطور متصلاً بالملك فيصل ، ولكن هنا نتحدث عن الجهود العامة منذ إنشاء المملكة حتى العهد الحاضر .

النهاية العلمية :

إن عناية ملوك السعودية بلغت غاية رائعة في مجال التعليم ، فالمدارس وجدت في القرى والنجوع ، والجامعات شيدت في الرياض ومكة والمدينة وجدة وأقيمت كليات تابعة لها في المدن الأخرى مثل بريدة وأبها ، ووجدت البنت طريقها للعلم ابتداء من سنة ١٩٧٠ ، والحق يقال إن الملك فيصل – كما أشرنا من قبل – واجه تذمراً واسعاً عندما بدأ وهو رئيس للوزراء يفتح المدارس للفتاة السعودية ، وكان إقبال الأهالي على تعليم بناتهم محدوداً ، ولكن سرعان ما زال التذمر ، وأدرك الناس يثمنون هذه الخطوة وباركوها ، فتدفقت الفتيات على التعليم حتى أصبح للطالبات ٤٦٤ مدرسة سنة ١٩٧٠ ، بعد أن كان عددها يعده على أصابع اليد الواحدة سنة ١٩٦٠ ، وتضاعفت المدارس والكليات بعد ذلك ولا شك أن النهاية العلمية تستحق التقدير والإعجاب .

والتعليم بالمملكة العربية السعودية بالمجان في جميع مراحله ، ويقدم للتلاميذ ما يحتاجونه من كتب وعلاج ، وتقدم وجبة غذائية للتلاميذ في مراحل ما قبل الجامعة ، ولكل طالب في المدارس المهنية وفي الفروع العلمية من الجامعة وكلية البترول مرتب شهري يتراوح بين ٢٥٠ و ٣٠٠ ريال سعودي .

وقد أنشئت أول مديرية للتعليم سنة ١٩٢٦ ، وجعلت تابعة لإدارة الشئون الداخلية وفي سنة ١٩٥٣ أنشئت أول وزارة للمعارف في تاريخ شبه الجزيرة العربية ، وتولاها الأمير فهد بن عبد العزيز ، (الملك فهد الآن) ومنذ ذلك الحين تطور التعليم بالمملكة تطوراً عظيماً .

الصحة :

حقق السعوديون في مجال الصحة تقدما هائلا ، ففتحوا المستشفيات الكثيرة ، وبعض هذه المستشفيات ينافس في إعداده وأطبائه أعظم المستشفيات في العالم ، وأدخلوا نظم التحصين ، والعناية الصحية بمختلف أنواعها ، كما عنوا عنية كبيرة بالنظافة العامة ، وبتطهير الأماكن التي تكثر فيها التجمعات ، وبخاصة في موسم الحج ، متبعين أحدث الطرق للوقاية من ظهور الأمراض أو انتشارها .

مقارنات :

ولا يمكن أن نترك الحديث عن التقدم العلمي والتقدم الطبي اللذين أشرنا لهما آنفا بدون أن نعود إلى الوراء قليلا لنضع في ميزان المقارنة صورتين من المصور الفكرية والطبية التي كانت سائدة بهذه البلاد في مطلع عهد الراحل العظيم عبد العزيز آل سعود لنرى الجهد الكبير الذي بذله هذا الرجل وبذله خلفاؤه من بعده :

فالمجال الأدبي نقتبس سطورا من الخطابين اللذين أرسلاهما الملك عبد العزيز وهو أمير نجد سنة ١٩١٠ إلى الشريف حسين بمكة — والخطابان ركيكا الأسلوب ضعيفا البنيان ، وتكثر الأخطاء النحوية بهما ، وقد سبق أن أوردنا الخطابين عند الحديث عن الملك عبد العزيز بين « عهدين » ، وفيما يلى هذه المقتطفات :

من الخطاب الأول :

بعد إهداه مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، على الدوام مع السؤال عن شريف خاطركم العاطر لازلتكم بكمال الصحة والسرور حايزين الأوصاف الحميدة ٠٠٠ أحوالنا من كرم الله جميلة ، وتقديم لسعادتكم قبل هذا كتاب ، فرجو أنه وصل وأنتم مسوريين ، ثم نعرض لدولتكم العزيز أنه بموجب شفقتكم وعلو همتكم وأنظاركم العالمية قدمنا أخيانا عبد العزيز

عبد الله السعود لوجب خدمتكم ، وأحبينا المساواة معه لوجب التبرك
بأندامكم ١٤٠٠

وفي الخطاب الثاني في نفس العام يقول عبد العزيز آل سعود
للشريف ، بعد نفس المقدمة السابقة ما يلى :

أحوالنا من كرم الله جميلة ، بشرف وقت أخذنا مشرفكم ، فمسرنا
ما تضمنه من صحة أحوالكم واعتدال أوقاتكم ، وما عرف جنابكم كان
لدى ابنكم معلوما خصوصا ما عرف جنابكم من جهة عتيبة والقصيم ،
وأنهم يلقون إليكم من الأكاذيب التي ليس لها حقيقة ، ويظلمون عند
حضرتكم ، ونحن نقول بما قالوا : « سبحانك هذا بهتان عظيم » فاما
من جهة نظركم علينا وعليهم فهذا شأن مثلكم ، وهو مقامكم العزيز ،
ونحن متيقنين ان هنا بأنفسنا أقرب منهم ومن غيرهم لسعادتكم ، وأدنى
جواب يصدر منكم إلينا إذا كان صادر منا لشيء فنحن نمثل به ٠٠٠٠٠

ذلك هو مدى ما وصل له البيان في مطلع هذا القرن ، ولو قارنا ذلك
بما تنعم به هذه البلاد من فساحة القول ، وعمق الفكر الآن ، لاتنسخ انا
التفاوت الواسع بين ما كان في مطلع عهد الملك الراحل ، وما تم في عهده وعهد
خلفائه من تطور هرموق عظيم ٠

وفي المجال الطبوبي يقرر الشيخ حافظ وهبة (١) أنه حتى العقد الثالث
من القرن العشرين كان الطب بالجزيرة العربية بدائيًا وضاراً أحياناً ،
ويذكر أن الملك ابن سعود نفسه عانى من ذلك ، فقد أصيب بدمel صغير
في شفته ، فاستعملوا معه أنواع العلاج المستعملة في نجد من كى وغيره
فزادت حالته خطراً ، وسبب تقيحاً شديداً ، فارتقت معه حرارة الرجل ،
وأشك أن يقضى نحبه ، وفي حالة أخرى أصيب برمد حادٍ ولجاً كذلك

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين للأستاذ حافظ وهبة ص ١٣٩ ٠

للطب المطلي الذي كان ضرره أكثر من نفعه ، وفي الحالتين كان اللجوء للطب الحديث ولمشاهير الأطباء المصريين والأمريكيين هو مطلع العلاج الصحيح .

أين هذا مما حققه الرجل نفسه من تطور في المجال الأدبي ، وال المجال العلمي والطبي الذي شهدته مملكته في عهده ، وفي عهد خلفائه في مدى وجيز ؟ .

الزراعة :

تقدير المساحة الصالحة للزراعة بالمملكة العربية السعودية بحوالى ١٢٪ من مساحة المملكة ، ولكن المنزوع فعلاً كان لا يتجاوز ٠.١٪ فقط ، ومن أجل هذا تبذل جهود كبيرة للزحف الأخضر ، حتى تتمكن المساحات الجرداء ، وتنمو المساحات الخضراء ، ومن هذه الجهد بناء المسدود ، والتعرف على المناطق التي تكثر بها المياه الجوفية لاستخراجها بأحدث الوسائل الميكانيكية والذي يزور مناطق المملكة العربية السعودية يدرك قوة هذا الجهد ويري انتشار الآلات في أمكنة متعددة ، لترتفع الخصارة على الرمال ، وقد استطاعت السعودية بهذا الجهد أن تنتاج ما تحتاجه من قمح وأن يكون عندها فائض .

ويرتبط بالزراعة موضوع مهم هو : توطين البدو ، الذي أشرنا له من قبل ، فقد اتجهت عقريبة الملك عبد العزيز إلى أن توطين البدو سيخلق استقراراً نفسياً ، واستعداداً لحمل المسؤولية ، كما سييسر التعليم والعلاج ، وعلى هذا أقطع جلالته الأرض للبدو ليزرعواها ، وأمدّهم بما يحتاجونه من عون ، كما بنى لهم الدور والمساجد ، وكان ذلك اتجاهها طيباً نحو تحضير البداية ، لو لا الانحراف الذي ارتبط بهذا الأمر ، والذي درسناه فيما سبق تحت عنوان « الإخوان » .

على أن الظروف التي أتاحت لإخوان قرصنة الثورة سنة ١٩٣٩ ، قد زالت بعد حقبة من الزمن ، ولذلك جدد الملك عبد العزيز ، والملك

— ٢٣٩ —

فيصل من بعده مشروع توطين البدو ، وساعد على ذلك وجود النفط غير بعيد من مناطق هؤلاء البدو ، واجتذاب هذه الصناعة لكثير من الأيدي التي كانت تحويها البادية من قبل ، وكل هذا جعل نسبة البدو تتناقص من حين إلى حين ، حتى أصبحت أقل من ربع السكان .

ويبدو أن البدو استعادوا مكان الثقة من نفس الملك فيصل ، ولذلك تكون منهم جيشاً أسماه الشرطة ، وهذا الجيش شديد الولاء للملك ، وهو يخلق عملية توافق بالنسبة للجيش النظامي .

وقامت سياسة المملكة السعودية في عهد الملك فيصل وبعده بالنسبة للبدو على توطينهم حيث هم ، فلا ينتقلون لوطن جديد إلا للضرورة ، على أن يكون هذا الوطن أقرب ما يمكن لمناطقهم الأصلية ، فالمقصود التوطين لا التهجير ، وعلى أن يتاح لهم ما يحقق حياة مستقرة طيبة من خدمات علمية وصحية وفنية ، ولنجاح هذا الاتجاه وضعت مشروعات كثيرة في مجال تربية البادية والتوطين ، منها البحث عن المياه ليكون وسيلة إلى الاستقرار ، وتوسيع المراعي طبيعياً وصناعياً ، لأنها لابد منها في حياة البدو وتوسيع الأراضي الزراعية التي يعمل البدو فيها بدلاً من الارتحال ، وإنشاء المخازن لشرب الماشي ، وانتاج الأعلاف لها ، ومن أهم المشاريع التي قامت بها المملكة في هذا المجال : مشروع حرض ، ومشروع وادي جيزان ، ومشروع وادي السرحان ^(١) .

العمران والهرمان الشريفان :

يمكن القول أن المملكة العربية السعودية حققت نصرياً مرموقاً من التطور فيما يرتبط بالحضارة العمرانية ، فالمملكة ترتفع فيها العمائر الضخمة ، وتوجد بها المستشفيات الكبيرة والمدارس

(١) دكتور صلاح المنجد : فيصل بن عبد العزيز من خلال اقواله وأعماله

— ٢٤٠ —

والجامعات الفسيحة على نحو ما قدمنا ، كما ترتبط مدنها وكثير من قراها بشبكة موأصلات دقيقة ، وقد نال الحرمان الشريفان من عناية المملكة قسماً كبيراً ، فقد وسعاً عدة مرات حتى ضم الحرم المكي المسعى بين جدرانه ، وضم الحرم المدنى كثيراً من المساحات حوله ، وعلى كل حال فالذى يزور المملكة العربية السعودية من عام إلى عام يشهد درجات التطور التى توشك أن تكون مستمرة لا تتوقف ، قوية لا تتواتى .

الصناعة :

اتجهت المملكة العربية السعودية إلى ادخال بعض المصانع بها ، فوجدت بها مصانع للحديد ، ومصانع للصفائح المعدنية ، والمدابع ، وصناعة البليح ، وتعبئة الغاز ، وقد بدأت المدارس المهنية تخرج عملاً مدربين على مختلف الاتجاهات الصناعية ، ولكن الصناعات المرتبطة بالبترول أكثر نشاطاً ، وأكثر جذباً للأيدي العاملة ، ومن هنا ينبغي أن نتحدث كلمة عن تاريخ النفط في السعودية ، ومدى النشاط فيه ، لأن النفط يمثل أبرز العناصر في اقتصاد هذه البلاد وفي تطوراتها المختلفة .

وقد جاء النفط أثر أزمة اقتصادية طاحنة مرت بالسعودية ، وشملت العالم كله في مطلع العقد الرابع ، فكان النفط إنقاذاً للبلاد .

وكان أول اتفاق عملى لاستخراج النفط السعودى مع شركة استاندارد أف كاليفورنيا الأمريكية ، وقد أسست هذه الشركة فرعاً خاصاً للتنقيب عن النفط السعودى عرف باسم شركة أرامكو ، وأسهمت فيه شركة تكساس ، وعندما تدفق النفط في منطقة الظهران أنشأت الشركة خطاناً للأنابيب يصل بين الآبار وبين ميناء الدمام على بعد خمسة أميال منها ، وصدرت باكورة إنتاج سنة ١٩٣٩ .

بعد أن الحرب العالمية الثانية شبكت عقب ذلك فتوقف نشاط استخراج البترول السعودى ، ولم يستأنف إلا عقب نهاية الحرب ، وقد رأت الشركة

- ٤١ -

التي تقوم باستخراجها أن تضم لها شركتين أمريكيتين آخريين هما : نيو جرسى وسوكتونى فاكوم لتضمن فتح أسواق جديدة لإنتاجها ، واتسعت أعمال التقسيب اتساعاً واسعاً ، ولم تقنع هذه الشركات بموانىء السعودية على الخليج ، بل أبنت خط القابلين الذى أمتد ١٠٦٨ ميلاً إلى البحر المتوسط ، وبذلك لم يحتج البترول السعودى إلى قناة السويس ليصل إلى أمريكا وغيرها .

وأنشئت شركات أخرى يابانية وفرنسية وأسبانية وغيرها للبحث عن البترول في مناطق أخرى غير تلك التي تعمل فيها أرامكو .

وتوصف المملكة العربية السعودية بأنها البلد البترولى الأول في الشرق الأوسط ، فإن إنتاجها من البترول يزيد عن إنتاج أي بلد آخر ، والاحتياطي من البترول يزداد ب رغم ارتفاع الإنتاج ، بسبب الاكتشافات المستمرة الجديدة فيها ، وقد تجاوز هذا الاحتياطي ١٤٣ مليون برميل ، وتبلغ نسبة الاحتياطي السعودية من البترول - إحصاء ١٩٧١ - إلى الاحتياطي العالمي ٢٧٪ . وإلى احتياطي الشرق الأوسط ٥٣٪ . وهذا يجعل السعودية البلد البترولى الأول في العالم أيضاً ، وبالتالي يزيد في مسؤولياتها ورثائها .

وقد سبق أن ذكرنا أن النفط لعب دوراً عظيماً في خلال حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، فأصبح الأول مرة سلاحاً خطيراً في المعركة ، فعندما قامت الحرب ، وظهرت انتصارات مصر وسوريا تشجع العرب فيذلوا كل ما عندهم لاستمرار الانتصار ، وكانت وحدتهم أولى الثمرات ، وبعد ما أصدروا قرارات حاسمة في قضية النفط كان دويتها في العالم قوياً ، هزة أرجاءه وزلزال أفكاره ، ومن أهمها تخفيض صحن البترول بمقدار ٢٠٪ تتجاوز ٥٪ كل شهر طيلة فترة الصراع ، ومنعوا تصدير البترول تماماً إلى الولايات المتحدة وهولندا ، وهددوا بأن قرار المنع سيمتد إلى آية دولة أخرى تساعد إسرائيل ضد العرب .

(م ١٦ - التاريخ ج ٧)

— ٢٤٢ —

وكان احتياطي النفط في الدول المستوردة قليلاً ، ولذلك سرعان ما عانت هذه الدول من هذا القرار ، ودخل موسم الشتاء في أعقاب ذلك ففاقت هذه الدول متاعب الظلام والبرد حتى أحس العالم كله بالمشكلة ، وبأن وجود إسرائيل وعدوانها سيعود على العالم كله بالضرر والخسارة ، ولم تكن الولايات المتحدة تظن إمكان أن يقف العرب منها هذا الموقف ، ولذلك هزها هذا القرار هزا عنيفاً ، وعندما أطلقت الولايات المتحدة وغيرها من الدول إشاعة عن الاستيلاء بالقوة على منابع الزيت كان رد العرب حاسماً وقوياً هو أن أعلناوا أن المتفجرات ستستهدف آبار البترول قبل أن يستولى عليها أحد ، وستقتصر كذلك أنابيب الضخ ، فتهاوت قوى التهديد وتلاشت *

واتخذت الدول المنتجة للبترول قراراً آخر بزيادة أسعار النفط زيادة كبيرة ضاعفت أثمانه ، وحجة العرب في ذلك أن المعركة تأكل كثيراً من ثرواتهم ، وتحتاج إلى نفقات باهظة ، ومعدات عسكرية كبيرة يشتريها العرب من الدول الغربية ، ولابد من مضاعفة أسعار النفط لتغطية هذه النفقات ، ووعدوا ببحث تخفيض الأسعار عقب تصفيه العدوان الإسرائيلي *

وكلمة حق سجلناها من قبل ونعود لتسجيلها الآن ، هي أن جلال الملك فيصل كان له موقف يذكر في شيك في هذا المضمار ، وأن صوته كان أول صوت دوىًّا بهذه الإجراءات ، واستجابة له الجميع في حماسة وقوة واليungan *

وفختام أحاديثنا عن المملكة العربية السعودية يطيب لنا أن نبارك تقدمها ونثني على تعاونها العميق مع العالم العربي والإسلامي وندعوه الله لها باليمين والبركة ، وأن يكون التعاون بينها وبين العالم الإسلامي سبب عز ومجد لدولة الإسلام والشعوب الإسلامية *

عدوان على المسجد الحرام

رُوع العالم الإسلامي في موسم الحج الذي يوافق العام الهجري الأول من القرن الخامس عشر الهجري (أواخر نوفمبر ١٩٧٩) بحدث مؤلم اهترت له قلوب المسلمين في مختلف الأ направ ، ذلك هو عدوان شرذمة من الرجال على المسجد الحرام وعلى الحجاج فيه .

وقد احتل المعتدون الذين كانوا مسلحين بأسلحة مختلفة أمكنة متعددة بالمسجد الحرام ، واحتجزوا مجموعة من الرهائن يحتمون بهم ، وقام خطبائهم بإلقاء مجموعة من الخطب العدوانية المثيرة ، وكان المسجد الحرام كعادته خاليا من جنود الحراسة مما مكن لهؤلاء المعتدين من الأمر ، وأحكم إلى حين سلطانهم على البيت الحرام وعلى من فيه ، واتخذوا هذا البيت المقدس والحجاج الذين وفدوا إليه من مختلف الأ направ وسيلة لدعائية متبردة قاموا بها .

وقد هب العالم الإسلامي كله يستذكر هذا العدوان على بيت الله الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ، ويستذكر لذلك العدوان على الحجاج الذين وفدوا من كل فج عميق .

ومن الحق أن يقال إن مصر بكتاره في رد هذا العدوان واستتكاره وبعد ساعات قلائل من حدوث هذا التمرد ، وقف كاتب هذه المسطور بالتلذذيون المصريين يندّد بهذا العمل ويدينه .

وسنروى أحداث هذا الحادث من البيانات الرسمية السعودية التي صدرت عنه :

وصل المسلحوں إلى المسجد الحرام في فجر يوم الثلاثاء في عدد من سيارات الأتوبيس بدعوة تأدية صلاة الفجر كأول صلاة في القرن الخامس عشر الهجري ، وعندما وصلوا إلى المسجد اتخذوا مواقعهم في الأماكن

الاستراتيجية وأخرجوا مسدسات ومدافع رشاشة من تحت ملابسهم ثم قدموا إلى إمام المسجد ورقة مكتوبة ليقرأها على المصلين : ولكن إمام المسجد رفض قراءة الورقة كما رفض السماح لهم بتلاوتها من إذاعة المسجد الحرام .. فاطلقوا عليه الرصاص وقتلوه في الحال وعند سماع أصوات طلقات الرصاص .. انطلق الحراس الموجودون حول المسجد الحرام إلى داخل المسجد ليعرفوا ماذا يحدث ، ولكنهم فوجئوا بوابل من طلقات المدفع الرشاشة .. وسقط منهم عدد كبير من الجرحى والقتلى بينما فشل باقى الحرس في السيطرة على الموقف ..

وسرعان ما وفدت قوات سعودية ، وحدثت اشتباكات بينها وبين المتمردين ، ولكن المتمردين اندفعوا إلى بعض الأماكن بالمسجد وأخذوا معهم مجموعات من الحجاج كرهائن يحتمرون بها ، وتقول المصادر السعودية إنه كان من الممكن القضاء على هؤلاء المتمردين لو لا الحرص على أرواح الرهائن ، ومن أجل هذا امتدت الأيام قبل أن ينتهي هذا العدوان ، وقد ذكرت المصادر السعودية أنه لم يتضح لديها أن العملية مخططة من أي جهة أجنبية ، بل إن المجموعة الكبيرة من أفراد هذه الشرذمة من السعوديين . وإذا كانت هناك مجموعات تتفقى إلى جنسيات أخرى فهي أعداد قليلة ..

وأعلن الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية أن المسلحين الذين احتلوا المسجد الحرام من جنسيات مختلفة ولا ينتمون لأى جماعة سياسية محددة . وقال إنهم متهمون في أشد حالات الهياج وسيحاكمون طبقا للشريعة الإسلامية وأحكام القرآن الكريم ..

وأوضح أن السلطات السعودية تسيطر على الموقف وأنه لم يعد هناك داخل المسجد سوى حوالي ثلثين شخصا انزواوا واعتصموا بالأركان ..

وبعد بضعة أيام أضاف الأمير سعود الفيصل أنه قد تمت السيطرة

- ٢٤٥ -

على الموقف . و قال إننا نحاول الآن معرفة دوافع هذه الجماعة التي تضم حوالي مائتي شخص .

وذكرت وكالات الأنباء أن عدد المسلمين الذين اقتحموا المسجد الحرام يتراوح بين مائتين وخمسمائة ، كما يقدر عدد الرهائن بحوالي مائة وخمسين .

ويقال إن من الأسباب التي ألزمت هؤلاء التمردين بالاستسلام أن الحكومة بدأت تعمير المسجد الحرام بماله ، وأصبح الغرق لا مفر منه إذا لم يستسلم هؤلاء ، فكان الاستسلام أفضل لأنه يطيل هذه الأرواح الرخيصة ساعات أو أيام .

وقد عالجت السياسة السعودية هذا الأمر بحكمة وكياسة ، واستسلم التمردون بعد عدة أيام ، وحكموا على فعلتهم الشديدة حسب قوانين الإسلام .

عدوان إيراني بالمسجد الحرام

هناك سلسلة من الأعمال العدوانية على المسجد الحرام ، وهي هذه المرة ترتبط بإيران ، وقد بدأت هذه السلسلة بالعدوان الأول سنة ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ثم توالت هذه المرات في سنة ١٤٠٣ و ١٤٠٤ و ١٤٠٥ ، ثم كان العدوان الكبير سنة ١٤٠٧ هـ فقد سقط قتيلاً في هذا العدوان عدد من النساء والأطفال والكهول وكان تعدادهم ٤٠٢ بخلاف عدد كبير من الجرحى . وقد كتبت بالتفصيل عن ذلك في مرجع آخر^(١) .

العراق وال سعودية :

من أخطر الأحداث التي مرت بالمملكة العربية السعودية تلك الأحداث

(١) انظر : حركات فارسية للمؤلف ص ٢٠٤ - ٢٠٨ .

— ٢٤٦ —

التي شهدتها شهر أغسطس سنة ١٩٩٠ ، فقد غزت القوات العراقية دولة الكويت في مطلع هذا الشهر ، وأقامت بها حكومة لم تَعِشْ إلا بضعة أيام ، ثم أعلنت العراق اعتبار الكويت محافظة من محافظاتها ، ولم تقنع العراق بالزحف على الكويت ، بل حشدت ^(١) قواتها على حدود المملكة العربية السعودية ، مما جعل الملك فهد يستجده حدود المملكة العربية السعودية ، مما جعل الملك فهد يستجده بالدول الإسلامية والمصدقة لرد العدوان المحتل ، وقد هيئت الولايات المتحدة وبريطانيا ومصر للاستجابة لهذا الطلب وحشدت قواتها للدفاع عن المملكة .

إنه موقف يدعو لشدة الأسف أن تفعل العراق ذلك ، وألا تكون للدول العربية قدرة لحماية بعضها البعض دون حاجة للغرب ، ولنستأدري ماذا تعنيه اتفاقية الدفاع المشترك مادامت تعجز عن الدفاع .

(١) سنتكلم عن هذا الموضوع عند حديثنا عن الكويت وال伊拉克 فيما بعد .

سَاطِنْ عَمَان

تقديم :

في الكتابة عن عمان يحس الكاتب بغبطة وسعادة إذ يدفع بتاريخ هذه البلاد إلى الضوء بعد أن احتواها الظلام فترة طويلة حتى أصبحت منقطعة عن جيرانها ، وأصبحت في عداد الأقطار التي لا يعرف الكثيرون عنها شيئاً ، وعمان جديرة بمكان واضح على صفحة التاريخ ، فقد لعبت أدواراً عالمية في مجال السياسة والاقتصاد ، ثم أدار لها الزمن ظهره ، وأوشكت أن يغمرها النسيان ، ولكن الجوهر الحر يستجيب لصاقله ، وسرعان ما يعود للبريق واللمعان .

موقع عمان على خريطة العالم :

تقع عمان في أقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية ممددة شمال بحر العرب ، وعلى طول خليج عمان حتى إمارة الفجيرة إحدى إمارات دولة الإمارات العربية ، وبعد إمارة الفجيرة توجد منطقة تابعة لعمان أيضاً وهي منطقة رأس مسندم الذي يقع على مضيق هرمز .

وتقع الجمهورية اليمنية إلى الغرب من عمان ، وتقع المملكة العربية السعودية في الجهة الغربية والشمالية منها ، كما تقع دولة الإمارات في الناحية الشمالية الشرقية منها .

وعمان تطل على البحر من جهة ، وتطل على الصحراء من جهة أخرى ، ومن هنا يمكن تقسيم سكانها إلى طائفتين متميزتين هما الحضر والبدو ، والحضر هم الذين يسكنون الساحل وبخاصة مسقط ، وهم خليط متمازج من السكان أشد اتصالاً بالعالم الخارجي ، أما البدو فيعيشون في المناطق الداخلية ، وهم أكثر فطرة وبساطة ، وهم شديدو المحافظة على عاداتهم وتقاليدهم^(١) .

(١) عمر رضا كحاله : جغرافية شبه جزيرة العرب ص ٤٤٣ .

- ٢٥٠ -

ومساحة عمان حوالي مائة وعشرين ألف ميل مربع ، وهى مساحة إنجلترا تقريبا ، وعدد سكانها حوالي مليونين ، وتنقسم هذه المساحة إلى عدة مقاطعات هي :

— مقاطعة الباطنة اللى تطل على خليج عمان إلى الشمال من مسقط ، وهي سهلٌ خصب •

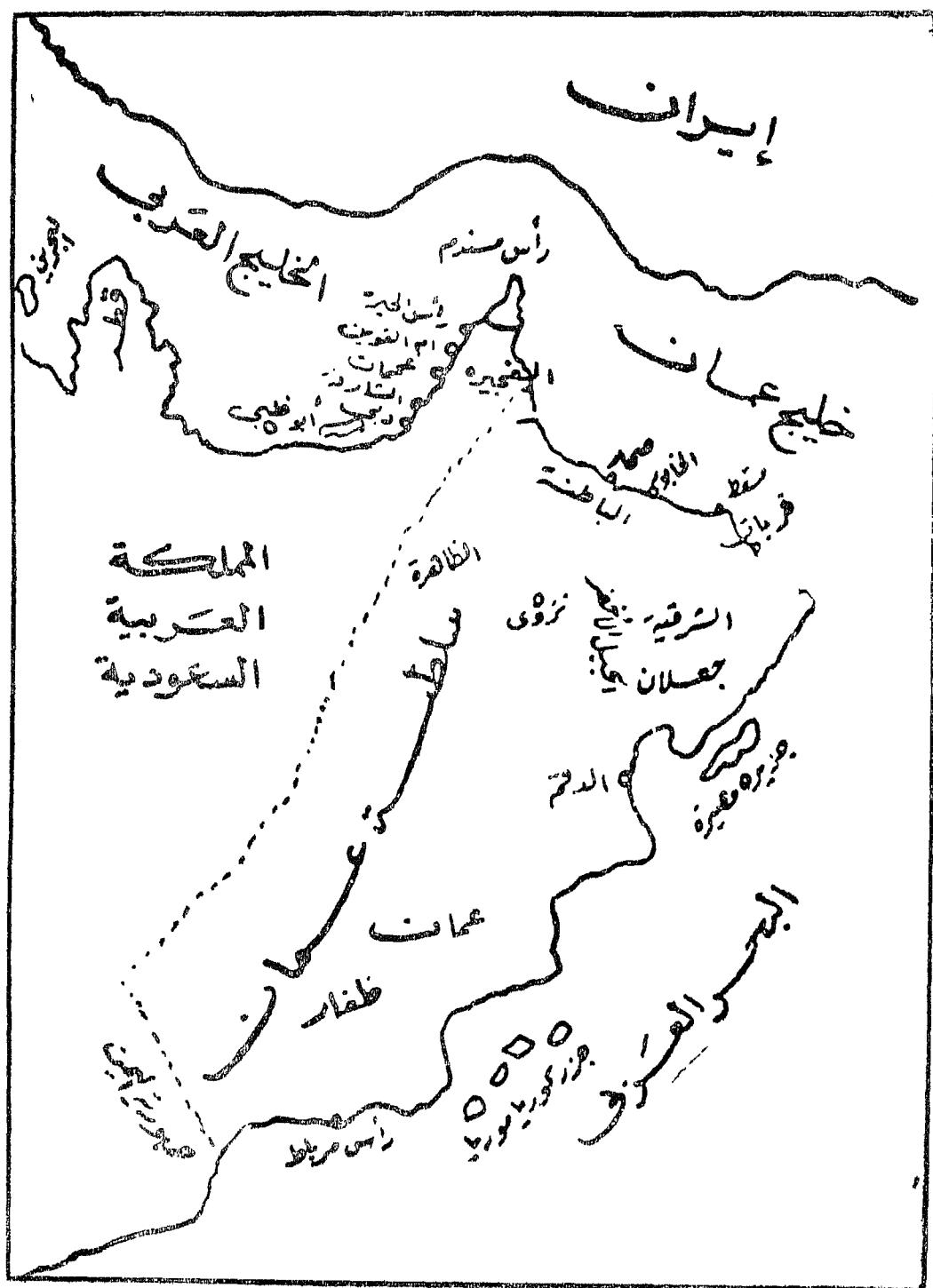
— ومقاطعة عمان ، وهى المقاطعة الداخلية ، وتضم الجبل الأخضر ، كما تضم المناطق المحيطة بهذا الجبل والتى توجد بها العواصم القديمة والمدن الشهيرة مثل نزوى والرستاق وسمائل ، وفي الجبل الأخضر ، تجود أنواع الفاكهة ، وتشمل هذه المنطقة الظاهرية ، وسميت بذلك لأنها أول ما يظهر من عمان للوافد من الجزيرة العربية ، ومنطقة الظاهرية أرض جبلية تتخللها الواحات والسهول الخصبة والوديان التى تعتبر مصدراً مهماً من مصادر المياه في الصحراء •

— والمقاطعة الشرقية وأهم نواحيبها المضيبي ووادي بنى خالد •

— ومقاطعة جعلان ، واسمها مشتق من اسم سكانها القسادمى ، وأهمها بلاد بنى بو حسن وبو على وصور •

— والمقاطعة الجنوبية المسماة « ظفار » وتتألف من سهلٍ ساحلى منبسط تحاذيه الجبال •

ويفصل بين مراكز العمارة الرئيسية حاجز طبيعية تتمثل في سلاسل الجبال الشاهقة ، وأهمها سلاسل جبال الحجر التي تمتد من الحجر الغربى إلى الحجر الشرقى ويفصل بينهما وادى سمائل الذى يعتبر الطريق الرئيسي بين الساحل وبين المناطق الداخلية ، وفي جبال الحجر الغربى تقع منطقة الجبل الأخضر التى تعتبر أعلى القمم في سلسلة تلك الجبال ، إذ يصل ارتفاعها إلى عشرة آلاف قدم ، ويمكن مشاهدتها على بعد مئات الأكمال من البحر •



سلطنة عمان ومقاطعاتها

— ٢٥٢ —

وهناك مجموعة من الجزر تتبع سلطنة عمان وهى جزر كوريا موريما « الحاليات » وهى تقع في بحر العرب مواجهة لمقاطعة ظفار ، وجزيرة « مصيراه » وهى تواجه مقاطعة جعلان ، وجزيرة الغنم ، وتقع عند مدخل مضيق هرمز .

وعلى هذا يمكن القول بأن عمان تحتل أقصى الزاوية الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، وتلتقي حولها مياه المحيط الهندي وخليج عمان ، وتشمل الصحراء العربية حركة الالتفاف حولها من الجهة الغربية ، ومن الطبيعي أن هذا الموقع له أهميته العظمى من الناحية الاستراتيجية ومن الناحية الجغرافية كما سيتضح ذلك فيما بعد .

تسمية عمان :

إن دولة عمان مرت بها تسميات مختلفة ، فكانت في فترة من الفترات تسمى « متزون » أو « مازون » وهو اسم يعود في أصله إلى السومريين (بلاد ما بين دجلة والفرات جنوب الموصل) ، ويقال ان المفرس هم الذين أطلقوا هذا الاسم على عمان ، ويررون في ذلك قول الشاعر : « إن كسرى سمي عماناً مزوناً » (١) .

وقد وردت « مرون » في المسعودي بالراء المهملة (٢) ولعل الاعجماء أشهر :

ونقل المسالمى أن قبيلة الأزرد اليمنية التي هاجرت إلى عمان بعد حادثة سيل العرم سنة ١٢٠ ق.م. الذي سبب انهيار سد مأرب ، هي التي أطلقت على هذه المناطق اسم « عمان » إذ كان هؤلاء يعيشون في واد قريب من مأرب يدعى « عمان » فسموا الموطن الجديد باسم موطنهم الأصيل (٣) .

(١) انظر كشف الغمة الجامع لأحكام الأئمة لأحد علماء الاباضية ص ٣٢ .

(٢) مروج الذهب ج ١ ص ٩١ .

(٣) تحفة الأعيان ج ١ ص ٥١ .

ولما انتقلت عاصمة البلاد من الداخل إلى الساحل واختيرت مسقط لتكون العاصمة سميت البلاد « عمان ومسقط » وظلت كذلك حتى العصر الحديث حينما كان السلطان يباشر نشاطه في مسقط وينصب عنده ممثلاً في عمان ، وهذا أثار الفرصة لبروز فكرة استقلال عمان عن مسقط فتوجد السلطنة في مسقط والإمامنة في عمان ، وكانت الدولة على وشك أن تصبح دولتين حتى سنة ١٩٥٥ عندما هاجم السلطان عمان ، وأعاد توحيد البلاد وسنشرح ذلك فيما بعد ، ومن أجل هذا وقف السلطان الحالي « السلطان قابوس » موقفاً حاسماً من هذه الازدواجية ، فجعل اسم البلاد هو « عمان » وهو الاسم المستعمل الآن ، ومسقط هي عاصمة البلاد .

أهم المدن في عمان :

وبمناسبة ذكر مسقط العاصمة ينبغي أن نعطي بعض المعلومات عن هذه المدينة المهمة وأن نعرف أيضاً بالمدن المهمة بعمان ، ثم بعواصم عمان ، ويقول المؤرخون عن مسقط إنها تشمل على كثير من خصائص عمان ، فهو يطل على البحر الذي يمتد امتداداً طويلاً مع بلاد عمان ، وبها الصخور السوداء الفاحمة التي تنتشر في عمان ، وتتصلها طريق ملتوية ضيقة إلى « مطرح » ومن ثم إلى داخل البلاد ، وعلى هذه فمسقط تتمثل فيها الخصوصية والبحر والجبال ، وتلك هي أبرز مظاهر الحياة في عمان .

أما منظر مسقط من البحر أو الجو فهو منظر رائع إذ يمتد صف فوق صف من الجبال الجرداء مسافات طويلة ، وتقع في الخليج الصغير الذي يلتقي عنده البحر بالجبال مدينة مسورة تتطلّ عليها قلعتها القديمة ، وقلما يوجد ركن في مسقط لا يمكن منه رؤية هاتين القلعتين ، ولم يكن القصد من بناء مدينة مسقط قديماً أن تكون صالحة للسيارات على الأطلاق ومزال السير على الأقدام في أنحائها هو الطريقة الواقعية الوحيدة التي يمكن بواسطتها التعرف عليها .

أما خارج الأسوار فتوجد مسقط الحديثة الأخذة في التمو ، وهي

فسيحة الشوارع ، ضخمة المباني ، وتشهد مسقط الآن أعظم مرفاً على خليج عمان ، ونشاطها التجارى واسع فهى تستورد الأقمشة القطنية والحريرية وتصدر المؤلئ والماعج والجلود والبلح والزبيب وغيرها ، ولها علاقات تجارية مع أكثر بلاد العالم وبخاصة مع الباكستان والهند وببلاد الخليج وببلاد فارس ^(١) .

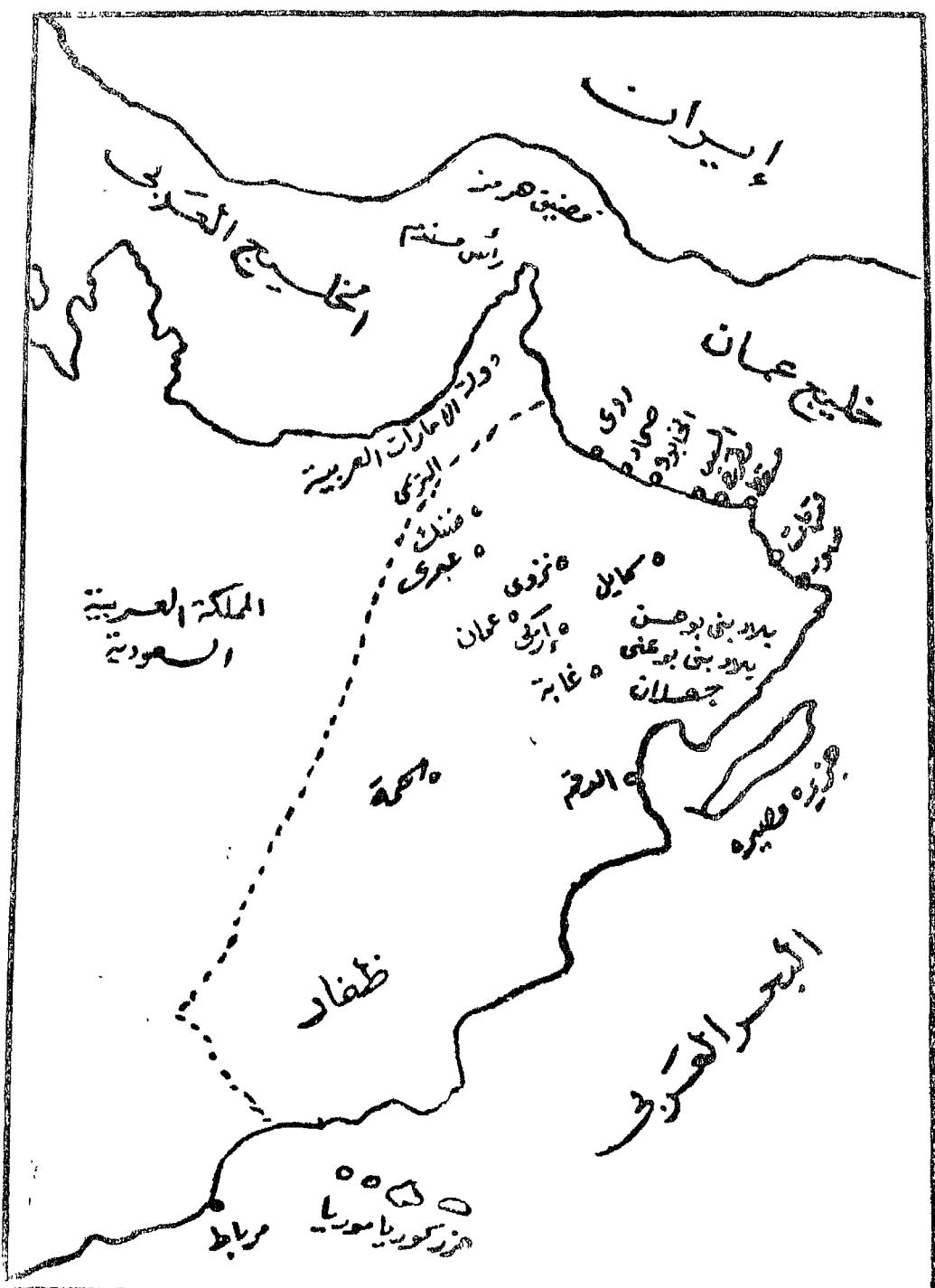
على أن مسقط لم تكن دائمًا عاصمة عمان ، فقد ذكر الاصطفرى أن قصبة عمان هي صُحَار ، وذكر أنها على البحر وبها متاجر ومرفأ للمراكب ، وهي أعمى مدينة بعمان ، وأكثرها مالاً ، ولا تكاد تعرف على شاطئ بحر فارس مدينة أكثر عمارة وما لا منها ^(٢) . ويقول ابن حوقل عن صحار أنها قصبة عمان وتقع على البحر ، وبها من التجارة والتجار مالا يحصى كثرة ^(٣) ، ومن البلاد التي كانت عواصم لعمان كذلك « نزوى » وكانت عاصمة لعمان قديماً ، وأحياناً كانت العاصمة هي مدينة « الرستاق » أو مدينة « ازكي » . وينتحدث بعد قليل عن « عواصم عمان » .

وفي عمان مدن كثيرة شهيرة ، يحمل بعضها آثار الماضي ومظاهره ، ودرج بعضها في طريق المدنية والحضارة الحديثة فتلاالت به الأنوار ، وظهرت المباني الضخمة ومظاهر المدنية المختلفة ، ومن هذه المدن مدينة « مطرح » وهى تقع على بعد ميلين إلى الغرب من مسقط ، وبها ميناء قابوس الجديد ، وتنطل عليها قلعة عالية بناها البرتغاليون ، وقد ظلت هذه المدينة عدة قرون الميناء الذى يصل بين عمان والعالم الخارجى ، وأسمها مأخوذ من طرح آى خط الرحال ، وأهم معالمها « سور اللواتيا » أو حى الخوجات ، وهى منطقة مسورة داخل المدينة ، والخوجات ، وجماعة من التجار من أصل سندى أصبحوا مواطنين عمانيين ، ولكتهم مازالوا يحتفظون بعاداتهم وتقاليدتهم ولغتهم .

(١) عمر رضا كحاله : جغرافية شبه جزيرة العرب ص ٤٤٤ .

(٢) المسالك والممالك ص ٢٥ .

(٣) صورة الأرض ص ٤٤ .



أهم المدن في سلطنة عمان

— ٢٥٦ —

ومن المدن الشهيرة في عمان مدينة « قلهاط » التي زارها ماركوبولو في أواخر القرن الثالث عشر ، ورآها كذلك الرحالة العربي ابن بطوطة ، وهي تبعد عن مسقط بحوالي ٨٢ ميلاً إلى الجنوب الشرقي ٠

ومن المدن الشهيرة مدينة صور ، وقد زارها ابن بطوطة أيضاً وكانت في يوم من الأيام الميناء الرئيسي في عمان ومركزاً للتجارة مع ساحل أفريقيا الشمالى ، وكان سكانها من البحارة والتجار ، مما يوحى بارتباط بينها وبين مدينة صور الفينيقية ٠

ويقول الشيخ سالم بن حمود بن شناس ٠٠٠٠ : وجاء في بعض الرسومات التاريخية أن « صور » هي إحدى مدن الخليج التي استوطنها الفينيقيون وربما بنوها ، وما إن هجروا الخليج إلى البحر المتوسط بسبب من الأسباب حتى أنشأوا لهم هناك مدينة أطلقوا عليها الاسم نفسه : وأهل صور كالفينيقيين لهم مهارة في الأسفار البحرية ، ولهم بها ولع ، وهم أهل علم يأحوال البحر (١) ٠

ومن المدن المهمة بالداخل مدينة عبرى وهي أكبر مدن مقاطعة الظاهرية وهي مركز منطقة كانت في وقت من الأوقات منطقة زراعية مهمة ٠

ومن المدن المهمة « الرستاق » التي كانت عاصمة لعمان في الماضي ، وهناك بلدتان تشبهانها ، ولكنهما أصغر منها قليلاً هما بلدتا « العوابي » و « نخل » وهذه المدن الثلاثة تسيطر على ممرات الجبل الأخضر ، وتقع « العوابي » بين « نخل » و « الرستاق » وفي كل منها فلكلج من الأفلاج العمانية الشهيرة ، وقد زارها الكولونيال « ماينز » وكتب عنها كتابة رائعة ٠

والآن نتجه إلى عواصم عمان عبر التاريخ لنعطيها مزيداً من الدراسة والاهتمام ٠

(١) سالم بن حمود : العنوان في تاريخ عمان ص ١١٨ ٠

عواصم عمان الميساوية

مقدمة :

تعددت العواصم في عدة أقطار من عهد إلى عهد ، ففي العراق كانت « الكوفة » أول عاصمة للدولة العباسية ثم انتقل العباسيون إلى « الحيرة » وجعلوها عاصمتهم ، ثم إلى « الأنبار » (الهاشمية) وبقوا بها حتى بنوا « بغداد » ، ومع ما وصلت له بغداد من الشهرة والعظمية فقد انتقل منها المعتصم إلى عاصمة جديدة هي « سامراء » .

وفي مصر كانت أول عاصمة إسلامية هي « الفسطاط » وفي عهد الخلافة العباسية بنى العباسيون مدينة « العسكر » وجعلوها عاصمة مصر ، ثم أنشأ أحمد بن طولون عندما تولى السلطة في مصر مدينة « القطايع » وجعلها عاصمة له ، فلما قامت الدولة الفاطمية أنشئت « القاهرة » وأصبحت العاصمة .

عواصم عمان :

وفي عمان حدث مثل ذلك أيضا ، بل حدث شيء آخر هو أن البلاد ظهر فيها حاكمان أو أكثر من حاكمين أحيانا في وقت واحد ، وأصبح لكل حاكم عاصمة .

ويتحدث ابن رزيق^(١) عن أنه عندما بُويع الإمام ناصر بن مرشد كان يمتلك « نخل » سلطان بن أبي العرب ، ويمتلك « سمائل » مانع بن سنان ويمتلك « سعد » على بن قطن الهلاي ، وكان ملكه « أبرا » محمد بن جفير وكانت « ازكي » بيد بنى عزرة و « نزوی » بيد أهل العقر .

وتجمعت البلاد في عهد « المعيارية » ثم تفرقت في نهاية ذلك العهد فلما

(١) الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ص ٢٦٣ .

بويع أحمد بن سعيد إماماً على عمان وكان آنذاك والياً على صحار كانت هناك عواصم متعددة لمقاطعات كانت كل منها مستقلة فمضى أحمد بن سعيد من صحار إلى الرستاق ففتح حصنها ، ومضى إلى سمائل فاستخلصها ، ثم إلى أزكي فأذعن له ، ثم إلى نزوى فسلّم لها الأمر ، ثم إلى بهلاء فطاعته ^(١) .

وأحياناً كان « الإمام » يتّخذ عاصمة يمكن أن يطلق عليها العاصمة الدينية ، وفي نفس الوقت كان ملوك النهاة يتّخذون لهم عاصمة أو عواصم أخرى ^{*}

وهكذا تعددت العواصم في عمان تبعاً للزمن أو تبعاً للطموح ، أو لوجود الأئمة في جانب والساسة أو السلاطين في جانب آخر ، وانتهى هذا التعدد في عمان ، وأصبحت مسقط عاصمة وحيدة للبلاد ^{*}

وفي الدراسات التالية سنتحدث حديثاً موجزاً عن عواصم عمان ، تلك العواصم التي تكتَبَتْ أو وُجِدتْ في وقت واحد ، ونقول إن الدراسة ستكون موجزة لأن المادة التي بين أيدينا يمكن أن تكون حديثاً طويلاً ، ولكن المظروف الآن تقتضي الإيجاز ^{*}

(١) المرجع السابق ص ٣٤٩ .

حصار

تقع صحار إلى الشمال الغربي من مسقط بعد مطرح والسبـب
والخابورة ، وبين صحار ومسقط مائة وأربعة وخمسون ميلاً^(١) ويقوـن
عنها ابن حوقل^(٢) إنها قصبة عمان وتقع على البحر وبها من التجارة
والمجـار ما لا يـتصـحـيـ كـثـرـةـ

وذكر الاصطخري (٣) أن صحار أعمد مدن عمان وأكثرها مالاً،
ولا تكاد تعرف على شاطئي بحر فارس (!!) مدينة أكثر عمارة وما لا منها .

ويذكر المقدسي أن صغار مدينة طيبة الهاوا كثيرة الخيرات والفاكهة ،
واسعة ، ليس في تلك التواحى مثلها ، وتهى قصبة عمان ، بلد عامر آهل ،
حسن ، طيب ، نزه ، ذو بيسار وتجار ، أسواقه عجيبة ، والجامع
على المساحل له منارة حسنة ، والبلدة بها آبار عذبة وقناة حلوة ، وأهلها
في سعة من كل شيء (٤) .

وبالإضافة إلى موقع صحار وأهميته يذكر الباحثون أن النحاس استخرج من مكان يقع بالقرب من صحار ، وكان ذلك في الآلف الرابعة قبل الميلاد (٥) .

واستمر استخراج النحاس بعد ذلك ، وترتسب على هذا أن قامت في مشارف صغار صناعة صهر النحاس ، عند الطريق الطبيعي إلى الداخلية ، كان عمال النحاس يشغلون حيزاً كبيراً في المدينة (٦) .

^{٤١} حصاد ندوة الدراسات العمانية ج ١ ص ٢٧٢.

٤٤ - صورة الارض ص (٢)

^{٣)} المسالك والممالك ص ٢٥.

^{٤)} أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ج ٥ ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

(٥) مال الله بن على بن حبيب : ملامح من تاريخ عمان ص ٣ .

(٦) اندر ویلیامسون : صحار عبر التاریخ ص ٢٧ .

ومع صناعة النحاس كانت صحار دائماً المركز الطبيعي للتطور الزراعي في أقليم الباطنة الساحلي ، وهي تنتج فائضاً كبيراً من المنتجات الزراعية ، وبخاصة البلح والفوواكه شبه الاستوائية •

ويصف بعض الكتاب الحالة الزراعية في صحار خلال فترة ازدهارها بأنها كانت تنتج كمية هائلة من البلح بالإضافة إلى الموز والمتن ، وكان الزراع يتتوسعون في زراعتها^(١) •

وازدهار الصناعة في مشارف صحار ، وازدهار الزراعة حولها ، مع موقعها الساحلي الممتاز ، كل هذا هي « صحار » لتنبع دوراً كبيراً في مجال التجارة ، فقد نشطت تجاراتها إلى الهند وإلى شرق إفريقيا ، وقد ذكر عنها الاصطخري وأبن حوقل في هذا المجال أنها كانت مستودع العالم ، ولا توجد مدينة في جميع أنحاء العالم تضاهي صحار في ثراء تجاراتها ، وإن جميع منتجات الشرق والغرب والجنوب والشمال تصب في هذه المدينة ، وتخرج منها إلى جميع المراكز التجارية في العالم^(٢) •

وننتقل بالحديث عن صحار من وضعها الطبيعي إلى دورها السياسي وحظّها في الاستقلال والاحتلال ، وجهود أهلها لدفع الاحتلال عنها •

وأول ما نذكره كتابان وردان من الرسول صلى الله عليه وسلم أحدهما إلى أهل عمان بوجه عام والثاني إلى « عبد » و « جيفر » أبني « الجلندي » بوجه خاص ، وكانت لهما السعادة على عمان وكانا يقيمان في مدينة صحار •

ونص الكتاب الأول هو : من محمد رسول الله إلى أهل عمان ، أما بعد ، فأدعوكم أن تقرروا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، وأن تقيموا الصلاة ونؤتوا الزكوة ، وأن تعمروا المساجد •

(١) المرجع السابق ص ١١ و ٢٢ .

(٢) اندر ويلليامسون : صحار عبر التاريخ ص ١٩ و ٢٣ .

ونص الكتاب الثاني هو : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى جِيَفَرْ وَعَبْدِ ابْنِ الْجَلْنَدِيِّ ، أَمَا بَعْدَ فَإِنِّي أَدْعُوكُمَا لِدِينِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمُمَا تَسْلِمُمَا ، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كُلَّهُ لَا يَنْذَرُ مِنْ كَانَ حَيَا وَيَحْقِّقُ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِيْنَ ٠٠٠٠ ٠^(١)

وَحَمِلَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ وَقَابِلَ « عَبْدًا » وَهُوَ أَحْكَمُ الرِّجْلَيْنِ فَأَوْصَلَهُ إِلَى أَخِيهِ جِيَفَرْ ، وَإِيجَازُ القَوْلِ هُنَا أَنَّهُمَا أَسْلَمُمَا وَتَبَعَّهُمَا قَوْمُهُمَا ، وَرَفَضُ الْفَرْسِ الَّذِينَ كَانُوا يَقِيمُونَ بِعُمَانَ أَنْ يَدْخُلُوا إِلَيْهِ إِسْلَامًا ، فَأَشْتَعَلَتِ الْحَرَبُ بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ وَبَيْنَ الْفَرْسِ . وَغَلَبُ الْفَرْسِ وَطَلَبُوا الصَّالِحَ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْبَلَادِ ، وَتَمَّ ذَلِكَ فَخَرَجُوا مِنْ عُمَانَ وَبَقِيَتْ أَهْوَاهُمْ لِأَهْلِ الْبَلَادِ ٠

وَهَكُذا حَظِيتْ صَحَارُ بِأَنَّهَا كَانَتْ أَوَّلُ مَدِينَةٍ فِي عُمَانَ تَرَحَّبُ بِالْإِسْلَامِ وَتَدْخُلُهُ طَوَاعِيْةً ، ثُمَّ حَظِيتْ بِشَرْفِ طَرْدِ الْأَجَانِبِ مِنْهَا لِرَفْضِهِمُ الْإِسْلَامَ ٠

وَحَظِيتْ عُمَانُ كَذَلِكَ بِالْإِسْتِقْلَالِ ، وَكَانَ بِصَحَارِ الْوَالِيِّ الَّذِي عَيَّنَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخَلَافَةُ مِنْ بَعْدِهِ لِتَقْتِيلِ الزَّكَةِ ، وَفِي عَهْدِ الدُّولَةِ الْأَمْوَيَّةِ تَعَرَّضَتْ عُمَانُ لِهُجُومِ حَرْبِيِّ مِنْ بَعْضِ خَلَفَاءِ الْأَمْوَيَّيْنِ ، وَلَكِنْ عُمَانُ عَادَتْ فَحَصَّلَتْ عَلَى اسْتِقْلَالِهَا إِبَانَ الْعَهْدِ الْعَبَاسِيِّ ، وَبَدَا بِذَلِكَ الْعَصْرُ الْذَّهَبِيُّ لِصَحَارِ ٠^(٢)

صَحَارُ تَحْتَ سُلْطَةِ الْبِرْتَفَالِ :

وَفِي مَطْلَعِ الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ زَحْفَ الْإِسْتِعْمَارِ الْبِرْتَفَالِيِّ إِلَى أَرْضِ عُمَانَ بَعْدَ أَنْ نَجَحَ فَاسِكُو دِيْ جَامَا فِي الدُّورَانِ حَوْلَ إِفْرِيقِيَّةِ ، فَيَمَا عُرِفَ بِطَرِيقِ رَأْسِ الرَّجَاءِ الصَّالِحِ ، وَبِفَتْحِهِ هَذَا الطَّرِيقِ تَحَوَّلَتْ تِجَارَةُ الشَّرْقِ مِنْ

(١) الْكِتَابَانِ وَرَدَا فِي مُخْطُوطَةِ عَمَانِيَّةٍ مَجْهُوَّلَةٍ مُؤَلَّفَهَا الْدَّكْتُورُ سَعِيدُ عَاشُورَ وَجَعَلَ عَنْوَانَهَا « تَارِيخُ أَهْلِ عُمَانَ » صِ ٤٠ وَمَا بَعْدَهَا ٠

(٢) عُمَانُ وَتَارِيْخُهَا الْبَحْرِيُّ : اِصْدَارُ وَزَارَةِ الْاعْلَامِ وَالثَّقَافَةِ صِ ٣٤ ٠

- ٢٦٢ -

الطرق البرية — البحرية إلى هذا الطريق البحري المتصل ، وحاول البرتغاليون أن يقيموا مراكز للتمويل والحراسة على طول الطريق ، فاتجهوا إلى عمان واحتلوا صور وقريات ثم مسقط وصحار سنة ١٥٠٧ ، واتجه القائد الجائر البوكيريك إلى تدمير السفن العمانية وإقامة القواعد والقلاع ليدعم مركزه ويفوز بسيطرته على تلك المنطقة الاستراتيجية ذات الموقع الملائم الممتاز ^(١) .

اليعاربة يحررون صحار :

وقامت دولة اليعاربة ، وأعلن مؤسسيها الإمام ناصر بن مرشد الحرب على البرتغاليين بعد أن وحّد البلاد ، وكانت أجزاء من عمان خاضعة لهرمز . وبالتالي خضعت للبرتغال التي احتلت هرمز ، ولما تحررت هرمز بجهود مشتركة سنة ١٦٢٢ وأصبحتتابعة للفرس حاول الفرس أن يسيطرؤا على المناطق العمانية التي كانتتابعة لهرمز ومن أهمها صحار ، ولكن الإمام ناصر بن مرشد خاض حربا ضد الفرس ونجح في تخليص صحار وجلفار (رأس الخيمة) ^(٢) من السيطرة المفارسية .

وهكذا عادت الحرية لصحابار بعد نضال طويل ، وأدى ذلك إلى توجيه حملات نحو صور وقريات ، فاستطاع الإمام تحريرها أيضاً من البرتغاليين ^(٣) وكانت صحار قلعة المقاومة ضد الفرس وضد قوات العدوان على العموم .

وكانت صحار مقرًّا لأحمد بن سعيد مؤسس دولة البوسعيديين والذي كان الإمام سيف بن سلطان قد ولأهـ صحار قبيل نهاية اليعاربة ، وعقب نهاية اليعاربة آتى الأئمـ لأحمد بن سعيد واستخلفـ من صحار مركزـ حرر منه مسقط وغيرها من الموانـىء .

Stephan and Handy Ronald : Arab Civilization p. 396. (١)

Boger : History of the Imams and Sayyids of Oman : The Introduction (٢)

وستاتى تفاصيل الاحتلال البرتغالى وطرده فيما بعد .

(٣) حصاد ندوة الدراسات العمانية ج ٢ ص ٣٨ .

- ٢٦٣ -

وسنرى بعد قليل عندما نتكلم عن « الرستاق » انتهاء دور صحار كعاصمة ، ووجود عاصمتين في عمان ، عاصمة الإمامة في الرستاق ، وعاصمة سياسية في مسقط .

مكانة صحار العالمية :

كانت صحار قوة هائلة في الدفاع عن عمان كلما اتجه أعداء عمان إليها بسوء ، وكانت في الوقت نفسه تحظى بمكانة عالمية في مجال التجارة والبحرية ، ونَسْعَيْتُ صحار بمرسم فريد فتجمعت لها خصائص قلًّا أن تجمعت لسواءها ، ونعيده في هذا المجال قول الاصطخري إنها كانت مستودع العالم ، وإن جميع منتجات الشرق والغرب والشمال والجنوب كانت تصب في هذه المدينة وتخرج منها إلى جميع المراكز التجارية في العالم .

وظلت صحار عاصمة لعمان فترة طويلة كما ذكرنا ، وفيها كان يقيم الولاة الذين كان الخلفاء يعينونهم ، وكانت صحار تمثل مرقعاً مهماً بالنسبة للسيطرة على المجتمع العماني ، وعندما افتتح الجنديون المناطق الجبلية الداخلية كقاعدة للحكم ظلوا يحتفظون ببعض التحصينات في صحار ، وظلت صحار تحتفظ بصلات وثيقة مع الخارج كالبصرة والهند وخراسان ، ولهذا فعندما تحولت السلطة السياسية عن صحار احتفظت صحار بطبعها الدولي كعاصمة اقتصادية لعمان .

وهكذا كانت صحار تمثل مركزاً عمانياً مهمًا بسبب ارتباطها ببقية المناطق العمانية وبسبب علاقاتها بالخارج .

وتشتهر صحار بقلعتها الشماء التاريخية ، ومن صحار انطلقت السفن العمانية تجوب البحار والمحيطات متوجهة للصين وغيرها من موانئ الشرق والغرب .

- ٣٦٤ -



قلعة صحار

وموقع المعركة الحاسمة التي قادها أحمد بن سعيد لتحقيق استقلال عمان

وفي صحار الحديثة معالم نهضة وتطور ، ومنها مزارع شمس عمان
التي أُنشئت سنة ١٩٧٢ وهذه المزارع تتسع أنشطتها فتشمل أنشطة صناعية
وزراعية وحيوانية *

ومن معالمها الحديثة كذلك التقسيب عن النحاس الذي نجح نجاحاً عظيماً
وتكونَ على أثره مصنع النحاس *

وفي صحار الحديثة مؤسسات تعليمية وصحية رائعة *

- ٣٦٥ -

الرستاق

ذكرنا فيما سبق أن «عمان» تقسم خمس مقاطعات هي :

- ١ - مقاطعة الباطنة .
- ٢ - مقاطعة عمان .
- ٣ - المقاطعة الشرقية .
- ٤ - مقاطعة جعلان .
- ٥ - المقاطعة الجنوبية (ظفار) .

والذى يهمنا هنا هو مقاطعة عمان حيث توجد الرستاق التى تبعد عن مسقط بحوالى ١٧٠ كم .

وعندما تغلب البرتغاليون على ساحل عمان أصبحت عمان خاضعة لثلاث سلطات هي :

- ١ - سلطة الأئمة في الرستاق ، وكان الإمام آنذاك هو محمد بن إسماعيل (٩٠٦ هـ) .
- ٢ - بعض ملوك بنى نبهان وتقبّلهم بعض مناطق بالداخل .
- ٣ - البرتغاليون ويسيطرون على المدن الساحلية : صور ومسقط وقرىات وقلهات وصغار .

أما القرى الساحلية التي تقع بين المدن الساحلية فكان ولاؤها للإمام في الرستاق .

وهكذا لم تخضع الرستاق للبرتغال ، فما كان هؤلاء يستطعون الاندفاع لداخل عمان ، ولو قد فعلوا لالتقطتهم أيدي العمانيين وأنزلت بهم النحر . فالعدو كان يعيش بالموانى في حراسة الموارج العسكرية وعلى صلة بالتمويلين من الخارج .

وكان الرستاق عاصمة الأئمة الذين حرصوا — وبخاصة في فترات ازدهار الإمامة — على الحياة مع الشعب ووسط تجمعاته ، ولهذا فقد عقدت الإمامة لِإمام ناصر بن مرشد بالرستاق سنة ٩٠٣ هـ (١٦١٥ م) وبذلت ذلك دولة اليعاربة^(١) في هذه العاصمة المهمة .

ويقول كتاب « تاريخ أهل عمان » الذي لم يُعرف مؤلفه : ظهر الإمام ناصر بن مرشد بين أهل الرستاق ، بعد أن اشتدت المحن ، وكثير الشقاوة ، ٠٠٠٠ فتشاور أهل الاستقامة في الدين ، وبحثوا فيمن يكون أهلاً لقيادة الأمر ، فأجمعوا أمرهم أن ينصبوا السيد الأجل ناصر بن مرشد فمضوا إليه وطلبوه منه ذلك فاستجاب لهم ، وكان مسكنه في بلد الرستاق فأظهر العدل ، ودَمَرَ الجهل^(٢) .

وجال الإمام جولته يضرب العصاة حتى اجتمع الكل إليه ثم رجع إلى الرستاق .

ومن الرستاق خرجت جيوش ناصر بن مرشد التي أوقعت أشد المهزائم بالبرتغاليين والفرس ، وأحرز ناصر انتصارات واسعة ، ولم يبق مع البرتغاليين إلا مسقط ومطرح ، وقد خرجت جيوش ابن عممه وخليفته سلطان بن سيف من الرستاق أيضاً فلجهزت على الأعداء ، وحررت مسقط ومطرح .

وفي أواخر عهد اليعاربة شهدت الرستاق — كما سيعاينى تفصيله — صراعاً مريراً بين أفراد هذه الأسرة فلجاً أحدهم المتافقين (سيف بن سلطان بن سيف) سنة ١٧٣٧ إلى نادر شاه ملك الفرس يطلب عونه ، وانتهز نادر شاه هذه الفرصة فدخل عمان بجيشه ، وسرعان ما ظهر أنه لا يعمل لحساب سيف بن سلطان بل يعمل لحساب نفسه ٠٠٠٠٠

(١) الشيخ سعيد بن على المغيري : جهينة الاخيار في تاريخ زنجبار ص ١٩٩ .

(٢) انظر كذلك حمد بن سيف : الموجز المفيد في تاريخ البوسعيد ص ١١ .

- ٢٦٧ -

وقد مات بالرستاق آخر أئمة اليعاربة ، وعند موته كانت فارس
تحتل بعض المناطق ومنها مسقط ٠٠٠

واستقبلت الرستاق علماً جديداً من أعلام السياسة وال الحرب ، هو
الإمام أحد بن سعيد الذي انتُخب إماماً لعمان سنة ١١٥٧ هـ (١٧٤٤ م)
وهو رأس الأسرة البوسعيدية التي لازم تحكم البلاد حتى الآن ، واستطاع
حكمَ البلاد من عاصمته الرستاق ، وأعاد للبلاد استقلالها بالحرب حيناً
 وبالخديعة حيناً ، حتى خلّصَ البلاد من الاحتلال الفارسي ، وكانت
الرستاق في عهده عاصمة سياسية واقتصادية مهمة إذ عملَ أحمد بن سعيد
على تنشيط التجارة وازدهار المال ، وأنقامَ أحمد بن سعيد توافرنا بين
الساحل والداخل وشجعَ التجارة وحققَ الأمان والاستقرار للبلاد ٠

وتوفى الإمام أحمد بن سعيد بالرستاق في محرم سنة ١١٩٨ هـ ودفن
بها وقبره هناك معروف ٠

وبعد وفاة الإمام أحمد بن سعيد حدثت حركات سياسية وثورات جعلت ابنه
سعيد بن أحمد بن سعيد يقنع بالإمامنة في الرستاق ، إذ ثار عليه ابنه
حمد واستولى على مسقط وجعلها عاصمة سياسية ، ومع أن حياة حمد بن
سعيد لم تطل إلا أن مسقط أصبحت العاصمة منذ ذلك التاريخ (١٢٨٣ م)^(١)

ومنذ ذلك التاريخ الذي ثار فيه حمد بن سعيد على أبيه وانتقل
إلى مسقط وقنع أبوه سعيد بأن يبقى في الرستاق إماماً ، منذ ذلك التاريخ
أصبح هناك إمام في الرستاق و « سيد » أو « سلطان » في مسقط ،
وبتبعاً لذلك فإن سلطان بن أحمد بن سعيد الذي ثار على أخيه سعيد بعد
وفاة حمد اتخذ من مسقط عاصمة له ٠

وانتهى بذلك دور الرستاق كعاصمة سياسية ، وانتقل الأمر إلى

(١) مال الله بن على : ملامح من تاريخ عمان ص ٢٤ ٠

- ٢٦٨ -

مسقط التي ستكون موضوع حديثنا بعد الانتهاء من الكلام عن الجوانب
الحضارية في الرستاق :

وتشتهر الرستاق بقلعتها العظيمة وكذلك بقلعة الحزم وجامع
البياضة الذي تخرج منه عدد كبير من علماء عمان وأئمتها الأفذاذ .

وتشتهر الرستاق كذلك بعين « الكسفة » التي تتدفق منها مياه حارة
نقية .

وكانت الرستاق فيما مضى مركزاً تجارياً مهماً يعرض منتجات الجبل
الأخضر من المشمش والرمان والخوخ والماتين والعنب ، وكانت الدواب
تتوارد على الرستاق تحمل هذه الفواكه من الجبل الأخضر ، كما كان أهل
الباطنة يفدون إلى الرستاق يحملون إنتاج هذه المنطقة من الأسماك والموز
والليمون ، فكانت الرستاق بذلك نقطة التقاء اقتصادي كما كانت نقطة التقاء
سياسي .

ومن الصناعات التي برزت في الرستاق صناعة الحلوى العمانية ،
وصناعة المصوغات الفضية ، وتحظى الخناجر الرستاقية بشهرة بالغة
إذ يضع الصائغ العماني في الرستاق بصماته الدقيقة على هذه التحفة
الفضية الرائعة .

ومن الصناعات التي حظيت بالاهتمام في الرستاق صناعة التمور ،
وهناك بالرستاق مصنع عظيم للتمور ، تشتهر فيه أجود التمور وتتر بمراحل
مهمة لتشلّك تعليباً رائعاً للتمور مما جعل تمور عمان من أرقى أنواع
التمور في العالم .

كلمة عن قلعة الرستاق وقلعة الحزم :

زرت هاتين القلعتين يوم ١٧/٥/١٩٩٠ وهما قلعتان شاهقتان ، وتقع

قلعة المرستاق على مرتفع يجعلها تطل على كل الجهات حولها ، وبهذه القلعة مساكن للإمام والأسرته ، ومساكن للحراس ، ومكان للمسجونين ليكونوا تحت رقابته ، ومكان آخر للمعتقلين السياسيين وبها مدرسة لتعليم القرآن الكريم وعلوم الإسلام ، ومكتبة يقال أنها كانت عامرة بأهم الكتب .

أما قلعة الحزم فيرجع بناؤها إلى سنة ١١٢٦ هـ وهي على طبيعتها عندما زرتها أى لم تدخلها يد التجديد والإصلاح .

وقيق لي إن هناك نفقا يربط بين القلعتين وطوله ٢٥ كم .

ومما يذكر عن القلاع أن الولاة يجلسون بها الآن مرة كل شهر حيث يباشرون أعمال الولاية منها ، وذلك لربط الحاضر بالماضي .

مسقط

الحديث عن مسقط يحتاج إلى نفَسٍ طويلٍ ، فهُنْ درةُ الظلَيجِ ، والنجم الساطع في هذا المكان من العالم ، وقد أتيح لى أن أزور مسقط عدة مرات ، وأن أتجوَّل في ربوعها ، وكانت تسحرني مظاهرها ، فالقلاع الشامخة تبهر الرائي والبحر يخلب الأنفاس ، وناسها ينعكس عليهم صفاء البحر فنافسوا الماء في النظافة والنقاء ، وانعكس عليهم صمود الجبال فظهروا كأجدادهم قوةً وصلابةً *

وأشهد أن مسقط جذبني ، وتنميَتْ أن أصف مشاهدها ، وأن أعيش مع تاريخها الأضييف شيئاً إلى ما كتب عنها ، وهأنذا أفعل ، ولكن ليس بالقدر الذي تمنيته بل بالقدر الذي تتحمله الظروف *

وقد كتب علماء الجغرافيا والرحلات شيئاً عن مسقط ولكنه ليس كثيراً ، فهو لذلك لا يشفى الغلة ، وكتب الباحثون المحدثون دراسات تتولّ وقصص عنها ، ونحن نقتبس من هؤلاء وأولئك ما ينير لنا المسعيَ ، ثم نضيف بعض ما دوناه عنها خلال زيارتنا ودراساتنا *

يقول ابن الفقيه الهمداني (٩٠٢ م) عن مسقط : إنها تقع في نهاية عمان وعلى بعد مائتين فرسخ من « سيراف » وهي ميناء تبحر منها السفن إلى الهند (١) *

أما أبو عبد الله المقدسي (٩٨٥ م) فيذكر أن مسقط أول ميناء ترسو فيه السفن اليمنية المتوجهة للشمال في الخليج الفارسي ، ومسقط مدينة كثيرة المفاواكه (٢) *

(١) كتاب البلدان ص ١١٧ .

(٢) أحسن التقسيم ج ٢ ص ٦٣ .

— ٢٧١ —

ويتحدث ابن بطوطة عن مسقط فيقول : هي بلدة بها السمك الكبير المعروف بقلب الماء ، وبعدها سافرنا إلى قريات ثم قللها وهذه البلاد كلها من بلاد عمان ^(١) .

أما المؤرخ العماني الشيخ سالم بن حمود فقد كتب عن مسقط كلمات قصيرة أيضاً بدأها بتصحيح ما ذكره عنها ياقوت الحموي ، ثم أضاف أن مسقط مدينة من أهم المدن على البحر العربي المارسي ، علا شأنها وعظم مكانها منذ القرن الحادى عشر للهجرة حين حل بها البرتغاليون ، وبنوا بها حصناً لهم بل حصونا وسوسروها من الجبال بأسرار متينة ، حين صار ذلك عمان بأيدي الطغاة من آل نبهان ، واستمر بها الحال أيام اليعاربة الأجلاء الذين يفتخرون بهم الدين ، وتبتهج بهم الدنيا ، ثم اتخذها آل بوسعيد عاصمتهم الوحيدة ، وهكذا تطور الزمن بها حتى الآن ^(٢) .

ولعل العالمة الشيخ سالم كان في عجلة من أمره ، فلم يمنح مسقط ما تستحقه من عناية ، وربط على شأنها بالبرتغاليين ثم اتجه بسرعة للحديث عن آل نبهان الطغاة ، واليعاربة الأجلاء ، وختم كلامه القصيرة ذاكراً أن آل بوسعيد اتخذوها عاصمتهم الوحيدة مع أن قمة البوسعيديين « الإمام أحمد بن سعيد » كانت الرستاق عاصمته .

وعلى العموم فالعلامة سالم بن حمود تحدث طويلاً عن مسقط وهو يسرد تاريخ عمان ، فإذا كان قد أوجز هنا ، فقد أعطى فيما بعد تفاصيل واسعة عنها وهي تصارع الأحداث .

وفيما يتعلق بأهمية مسقط ومطلع بروزها في التاريخ نتفق مع الرأى الذي يقرر أنه على الرغم من أن صحار كانت الميناء الرئيسي في عمان

(١) رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٢) عمان عبر التاريخ ج ١ ص ٦٢ .

بيان ما يسمى « المعهد الذهبي لتجارة الخليج » ما بين سنة ٧٥٠ و ١٥٠٧ بعد الميلاد ، وارتبطت بعلاقات تجارية مع موانى الخليج الهامة الأخرى كسيراف وهرمز ، فإن مسقط هي الأخرى كانت محطة هامة لتمويل السفن واستقبال البضائع القادمة من موانى الخليج والمهد وشرق إفريقيا ، وإن ظل دورها ثانويا في هذا المجال ^(١) .

وعلى هذا فقد كان لمسقط دور في التجارة العالمية بجوار صغار منذ القرن الثاني الهجري مع الاعتراف بأن دور صغار كان هو الدور الرئيسي ^(٢) .

ونستمر في مزيد من الاقتباسات للتعریف بمسقط ، ونحن الآن نقتبس من أحمد بن ماجد البحار الشهير الذي كتب عن مسقط يقول :

« إنها ميناء شهير لا مثيل له في العالم ، وفيه أمور وأشياء لا يجد لها المرء في أي مكان آخر ، وفي رأس الميناء صخرة عالية يراها القاصي والمداني ، ويهدى بها المسافر أينما كان ، ويستطيع أن يراها المسافر إلى الهند أو المسند أو هرمز أو مكران أو الغرب ، وتوجد إلى القرب من الشمال الغربي جزيرة حمراء عالية اسمها (الفحل) وهي ظاهرة بارزة بروزا كافيا حتى يمكن للجاهل أن يهدى بها ليلاً ونهاراً ^(٣) .

« أن مسقط هي الميناء الأول لعمان ، وتأتي إليه السفن وتتموّن فيه ، وفي مسقط تباع الأقمشة والخضروات والزيوت والحبوب ، ثم إن السفن حين تقصد مسقط تكون في مكان آمن من كل ريح ، وفي مسقط المياه العذبة ، وسكانها كرام لطفاء يحبون الغرباء » ^(٤) .

(١) سطور من مقال عن : مسقط : الحاضر والمستقبل للأستاذ عباس ابن غلام نشر في ٢٠٠ « أخبار شركتنا » .

(٢) المرجع السابق بتصرف ص ١٢ .

— ٢٧٣ —

مسقط بين الاحتلال والاستقلال :

عانت مسقط احتلال الفرس ثم الاحتلال البرتغالي الذي وصلت به المقدمة أن يعتبر أهل مسقط قراصنة ، وأنزل بهم أقسى العذاب . ثم تحقق لسقوط الفicer المؤزر على يد ناصر بن مرشد وابن عمه سلطان ابن سعيد *

وعاد الفرس لاحتلال مسقط في آخر عهد المغاربة ، ولكن البطل أحمد بن سعيد حرر مسقط وأذلَّ المعتدين *

وكان أحمد بن سعيد قد جعل الرستاق عاصمة له ، ولكن حفيده حمد ابن سعيد (١٧٧٩ - ١٧٩٢) اتخذ مسقط عاصمة له كما سبق ، فانتقلت العاصمة إلى مسقط ، ومنذ ذلك التاريخ ظلت مسقط عاصمة البلاد وواجهتها *

م الموضوعات ختامية عن مسقط

هناك موضوعات مهمة ترتبط بمسقط سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً وثقافياً ، وفيما يلي نتكلم عن هذه الموضوعات :

(١) اقتصاد مسقط :

من مشاهدات المسير بارتر فريير أنه زار مسقط فشاهد الأسواق تتجدد بالحركة حيث تعرض السلع والمنتجات على اختلاف أنواعها مثل المنسوجات والأقطان والحرير والمجوهرات وأدوات المائدة واللحوم والأسماك *

وفي « رحلات عبر الجزيرة العربية » لكارستان يقول : تنتج مسقط الجبن والشعير والعدس والعنب وتصدر كميات هائلة من البلح إلى الخارج *

(م ١٨ - التاريخ ج ٧)

وذكر G. T. Rinal أن مسقط تصدّر للبان والمر والمفحة والمصحف^(١) .

وأهم دور اقتصادي قامت به مسقط هو أنها كانت محطة تجارية ومركزاً لتوزيع البضائع وشحنها ، فالخليج يتوسط شبكة من الطرق البحرية التي تربط الهند وجنوب شرق آسيا والشرق الأقصى وإفريقيا ، هذا الخليج كانت مسقط تمثل أهم ميناء بين موانيه ، وكان هذا الموقع يدرّ ربحاً عظيماً على البلاد وعلى العمال العمانيين .

وعلى هذا فمنتجات مسقط وموقعها الجغرافي جلّبَا لها عبر التاريخ مكانة اقتصادية مرموقة ، ولذلك كان يقال إن نفوذ مسقط في الخليج نفوذ غير منازع^(٢) .

وكان لمسقط معاهدات سياسية واقتصادية مع بريطانيا وفرنسا وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية^(٣) .

ولكن انقسام الدولة العمانية إلى دولتين بعد وفاة سعيد بن سلطان أو سعيد العظيم كما كان يسميه الحكم الأوروبيون جعل عمان تفقد مكان الصدارة الذي كانت تحتله بين دول المنطقة بقوة أسطولها البحري العظيم ، كما فقدت مدينة مسقط أهميتها كميناء بحري هام ، وهكذا تداعت حياة النعيم والرخاء التي كانت تتمتع بها هذه المدينة العربية .

وعندما جاء للحكم السلطان سعيد بن تيمور عام ١٩٣٢ استطاع هذا الحاكم تهدئة النزاعات القبلية ، ولكن البلاد كانت شبه منقسمة إدارياً ، فالإمام كان لايزال الحاكم في داخلية عمان فهو الذي يعين الولاية والقضاء من مقره في « نزوى » على الولايات الداخلية ، بينما كان السلطان

(١) عمان في صفحات التاريخ ص ٧٤ ، ٣١ ، ٤٣ بالتوالي .

(٢) عمان وتاريخها البحري ص ٧١ .

(٣) دكتور جمال ذكرييا قاسم : الخليج العربي ص ٣٧٩ .

- ٢٧٥ -

سعيد يسيطر على المنطقة الساحلية وهي الباطنة وعلى المنطقة الجنوبية من السلطنة . ولكن السلطان سعيد قضى على هذا الانقسام وأصبح الحاكم الوحيد .

و جاء عصر السلطان قابوس بداعا من ٢٣ يوليولو سنة ١٩٧٠ دون صخب ودون إعلام زائف عن الماضي والمستقبل فكان هذا العهد نوراً كاملاً وبهذا كلّه في مختلف المجالات فوحد البلاد تماماً ، وأصبح الحاكم الوحيد يعاونه وزراؤه ومستشاروه ، وكان النفط قد انبثق في الستينيات فاستغل السلطان هذا المورد الجديد كما استغل مواهبه الخصبة السمححة في حركة عمران رائعة سنتكلم عنها عندما نتحدث عن مسقط المعاصرة .

(ب) مسقط مدينة الأبراج والقلاء :

تكثر الأبراج والقلاء والحسون في عمان ، وتقوم هذه عادة على



مسقط مدينة الأبراج

المثال البارزة ، ومهمتها الحراسة والدفاع عن مداخل المدن ، وأحياناً كانت القبائل المتنازعة تقليم الأبراج للحماية ضد بعضها البعض ٠

والقلاع والأبراج كانت منازل للحكام ، وأحياناً كانت توجد بداخلها مدارس ومكتبات ، ومكان للمساجين السياسيين حتى يكونوا تحت سمع الحكم وبصره ٠

وفي مسقط مجموعة من الأبراج والقلاع تشرف على المدينة من ناحية البحر ، فمسقط كانت دائماً يخشى عليها أن تضرب من البحر ٠

وفي مسقط قلعتان عظيمتان أقامهما البرتغاليون والقلعة الغربية تسمى « ميراني » ولعلها أخذت اسمها من الاميرال البرتغالي ، وكان البرتغاليون يطلقون عليها في الأصل « كابيتان » إذ كانت مقرًا للقائد البرتغالي ٠

أما القلعة الشرقية فتسمى قلعة « جلالى » ولعل اسمها مقتبس من اسم أحد القادة الذين ارتبطوا بها ٠



(ج) مسقط المعاصرة :

إن الحديث عن مسقط المعاصرة يحتاج إلى دراسة طويلة لا تتناسب لها هذه العجلة ويكفى أن نذكر أن عهد السلطان قابوس أقام جسرا هائلاً بين الماضي والحاضر والمستقبل ، فقد اتجهت عمان المعاصرة إلى المحافظة على القييم الأصيلة والتقاليد العربية مع تعديها بما يزيدها بهجة وجمالا دون تغيير في جذورها ، ثم اتجهت عمان إلى الحضارة الحديثة فأخذت منها قسطاً كبيراً بحيث لا يتناقض مع القيم والآداب العربية والإسلامية ، ولا تستطيع هنا إلا تقديم إشارات سريعة لما جَدَ في مسقط من صور حضارية :

— امتداد الشريط الساحلي من مسقط إلى مطرح ، ويحسن المسائر فيه
بروعة الطبيعة وقدرة الحضارة الحديثة .

— شق الطرق في الجبال الصلدة بحيث قربت المسافات إلى حد كبير
وربّطت بين أحياي العاصمة في سهولة ويسر .

— ظهرت للوجود مدن جديدة أو ما يسمى بالضواحي لمسقط ومن هذه
مدينة قابوس الفاخرة ، ومدينة الإعلام التي تحوي محطة الإذاعة
والتليفزيون ونادي الصحافة ومساكن العاملين ، والمدينة الدبلوماسية
لرجال السلك السياسي ولسفاراتهم .

— المنطقة الصناعية بكل ما تحويه من أجهزة ومعدات .
— مجموعة من الفنادق الضخمة العالمية .

— المستشفيات التي أعدت أروع أعداد لاستقبال المرضى وعلاجهم .

— مطار دولي يستقبل أضخم الطائرات .

— ميناء قابوس الذي يستقبل أعظم السفن .

— جامعة قابوس وهي مفخرة عظيمة للعلم والمعرفة .

— التماضيل التي ترددان بها المبادين المرائعة المختلفة في العاصمة .
— ومن أهم ما يذكر لسقط ولعمان الأمن الذي يسود العاصمة ويسود
القطر كله ليلاً ونهاراً فوقه مجرمة يعتبر شيئاً نادراً للغاية .
وبعد ، إنني أرفع القلم عن الحديث عن مسقط ولايزال هناك الكثير
مما يمكن أن يدوّن عنها .

نزوی

تقع نزوی في المنطقة الداخلية بعمان ، على بعد ١٨٠ كيلو مترا من مسقط ، وهذه المنطقة مهمة جدا وبخاصة بالنسبة لمؤرخ الإسلام ، وذلك لما تزدان به من مساجد ، ولما قدمته المجتمع العماني من أسطول العلماء ، ثم لأن هذه المنطقة بها حصون فخمة تتبعها بجلاها ، وبعض الحصون شملت معاهد عليا ترعى العلوم والمعارف ، ولذلك فإننا قبل أن نتحدث عن نزوی كإحدى العواصم العمانية يجدر بنا أن نتحدث عن نزوی بلدة العلماء ونزوی منطقة الحصون .

نزوی بلدة العلماء :

حظيت نزوی بأن أطلق عليها « بيعة الإسلام » وذلك لوجود مدارس الفقه الإسلامي بها ، وعكوف العلماء والمريدين فيها على الدراسة والتأليف في كل جوانب الدراسات الإسلامية ، وقد تخرج من معاهد نزوی مجموعة من جلة العلماء النسابوا في نواحي عمان يحملون العلوم والمعارف وسنذكر بعد قليل أسماء بعض هؤلاء العلماء ، وقد كان مناخها المعتدل من الأسباب التي جذبت حلقات العلم لاتخاذ نزوی مركزا للدراسة .

ونزوی من أوائل بلدان عمان التي احتضنت الإسلام ، ولذلك نجد مساجد نزوی تجتمع في عمارتها بين التقديم وال الحديث ، وعلى سبيل المثال مسجد الشواذنة المنسوب لعيسي بن عبد الله بن شاذان ، وهو أول مسجد في المنطقة وقد أعيد تجديده سنة ١٠٧ هـ .

وبمناسبة الحديث عن أول مسجد بني في منطقة نزوی ينبغي أن نقفز قليلا من نزوی إلى سماقئن حيث نقابل الصحابي الجليل مازن بن غضويه ، وهو أول عمانى اعتنق الإسلام ، وأسس مسجدا سمي « مسجد المصمار » وهو أول مسجد أسس في عمان ، وقد جدده السلطان قابوس على حسابه الخاص تكريما لهذه الذكرى المجيدة .

ونعود إلى نزوى لنكمل حديثنا عن مساجدها ، ففيها الجامع الذي لا يزال مقراً لدراسة الفقه والعلوم الإسلامية ، وجامع سعال الذي يقال أنه بني في السنة الثامنة للهجرة ، ويوجد بنزوى كذلك مسجد العين ومسجد الشیخ ، وقد تخرج العديد من العلماء الفطاحل من مساجد نزوى ومن هؤلاء الإمام الصلت بن مالك الخروصي والإمام جابر بن زيد «أبو الشعثاء» والشيخ محمد بن إبراهيم الكتدي مؤلف كتاب «بيان الشرع» والشيخ العلامة بشير بن المذر ، والشيخ أحمد بن عبد الله بن موسى الكتدي وغيرهم كثيرون .

نزوى بلدة الحصون :

وتشتهر نزوى بالحصون والقلاع ، ومن أهم حصون نزوى قلعتها التاريخية التي بناها سلطان بن سيف سيف ١٠٥٩ - ١٠٧٩ هـ (١٦٤٩ - ١٦٦٨ م) وقد استغرق بناء هذه القلعة اثنى عشر عاماً ، ويزيد طول قطر برجها الدائري الصخم عن ٣٧ متراً ، وهي تتضمن تحصينات متينة كما تضم أبراجاً محصنة .

ويوجد بهذه القلعة أماكن للتعبد والصلوة والإدارة الحكومية وبسبعين آباراً للمياه العذبة .

وتتعدد الحصون في نزوى فمنها حصن «تنوف» الذي يقع على سفح الجبل الأخضر ويتحكم في مدخل الجبل الأخضر ، وتحيط به ثلاثة أبراج .

وهناك حصن الدويبة وله موقع استراتيجي ، إذ يقع في الشمال الغربي ، ويتحكم في مدخل الوادي المؤدي للجبل الأخضر ويحترقه فلنج البركة ^(١) وقد أسسه محمد بن الإمام أحمد بن سعيد ولولده هلال ، وبه قلعة الشهباء ويرجع القرن ^(٢) .

(١) سلطنة عمان ومسيرة الخير : المنطقة الداخلية والوسطى ص ١٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣ .

ومرة أخرى ونحن نتحدث عن الحصون — نقفز إلى حصن جبرين ، ولجبرين صلة سياسية بنزوى سنتحدث عنها فيما بعد ، وحصن جبرين (ويسمى أحياناً ببرين) يقع في ولاية بهلاء غير بعيد عن نزوى ، وهو من أهم الحصون الأثرية في عمان ، وقد بناه الإمام بلعرب بن سلطان ، وأصل اسمه « أبو العرب » ثم نطق بلعرب اختصاراً ، وهذا الحصن هو أحد الآثار الكاملة الباقية ، وهو مزين بالنقوش الملونة ، وتنشر فيه السراديب ويطل على مدينة بهلاء ، وحوله أرض زراعية تتقدّر فيها أشجار النخيل ، وله فلنج للمياه ، وهو مزود بشبابيك وفتحات تيسّر مراقبة الداخلين والخارجين منه ^(١) .

وبمناسبة الحديث عن حصن جبرين ينبغي أن نعود إلى تحفة الأعيان لنروى عنه قوله :



حصن جبرين

(١) المرجع السابق ص ٣١ .

حصن جبرين هن أعاجيب الزمان ، وقد بنا . بلعرب من صلب ماله لأن الأموال قد كثرت في أيامه وأيام والده قبله وذلك لبركة العدل وفضل الجهاد ، ولذلك أقبلت الأمة على تشييد الحصون والمعاقل وإجراء الأنهر وغرس الأشجار ، وإحياء المواتت ليعيش الناس بأرغد عيش وأتم نعمة ، فبني والده قلعة نزوى وهي الشهباء ، وبنى هو حصن جبرين ، وبنى ابن أخيه وهو سلطان بن سيف بن سلطان حصن الحزم والمثلاثة من أعاجيب الزمان حتى قيل إن حصن جبرين لا يستطيع أحد أن يصفه بجميع ما فيه ولو بقى به شهراً كاملاً ، وهو قصر عال يجري في بطنه نهر جاره وله حيطان شاهقة ، ومن أعاجيبه أنه لو دخله داخل من غير أهله لم يستطع أن يبلغ أعلى إلا بدليل من أهله ^(١) .

أشياء أخرى تشتهر بها نزوى :

وتشتهر نزوى أيضاً بصناعة الحلوي العمانية التي يرجع فيها العمانيون بصفة عامة وأهل نزوى بصفة خاصة ، وقد ساعد على ذلك توافر السكر الأحمر بنزوى الذي تصنع منه هذه الحلوى ^٠

وتشتهر نزوى كذلك بصناعة دبغ الجلود وتصنيع هذه الجلود بعد دبغها ، كما تشتهر بالمشغولات الذهبية والفضية والخناجر وحلى الأعراس والسيوف وغيرها من المشغولات التي ترددان بالنقوش البدوية ^٠

جولة تاريخية

اتَّسَدَ الْإِمَامَةُ الْإِبَاضِيُّونَ « نزوى » عاصمة لهم طيلة تاريخهم الطويل في فترة الإمامة الأولى التي بدأت سنة ١٣٥ هـ باختيار جلندي بن سعيد إماماً ، وامتدت إلى الإمامة الثانية التي بدأت سنة ١٧٧ هـ باختيار محمد ابن عبد الله بن أبي عفان ، ثم فترة الإمامة الثالثة التي بدأت باختيار

(١) المسالى : تحفة الاعيان ج ٧ ص ٧٧ وانظر كذلك جهينة الاخبار لسعيد بن على ص ٢٠١ ^٠

الخليل بن شاذان إماماً سنة ٤٠٨ هـ واستمرت حتى مالك بن على الموارى الذي توفي سنة ٨٣٣ هـ مع ملاحظة وجود فترات كان منصب الإمامة شاغراً، أو وجود فترة ظلام سيطرت على البلاد.

وعادت الإمامة مرة أخرى باختيار عبد الله بن خامس بن عامر الأزدي سنة ٨٣٩ وظلت إلى نهاية بركات بن محمد بن إسماعيل في إمامته الثانية سنة ٩٦٨ هـ وكانت العاصمة تتارجح بين نزوی وبهاء^(١).

واف خلال عهد الأئمة وبسبب الصراع الداخلى الذى اشتد وامتد ظهرت سلطات جديدة بعمان هم ملوك بنى نبهان الذين كانوا إلى الشر والتخريب أميل، وقد اتخذ هؤلاء عاصمتهم بهاء أو مقنيات^(٢) وأحياناً في نزوی^(٣).

وعندما أصبحت الإمامة لليعاربة كانت «الristaq» غالباً هي العاصمة، ولكن بلعرب أمضى فترة طويلة من حياته بين جبرين - التي شيد بها حصنه الذي سبق الحديث عنه - وبين نزوی^(٤).

وقد ذكرنا من قبل أنه قبل قيام اليعاربة كان بعمان خمسة من صغار الملوك يحكمون في الرستاق والنخل وسمائل وسمد وأبرا.

ويقول الشيخ سعيد بن على المغيرة^(٥) عن «نزوی» إن الإمام العادل سيف بن سلطان توفي بها سنة ١١٢٣ ويصفها بأنها بيضة الإسلام وعاصمة الإمامة العمانية، ويصفها السالمي بأنها كرسى مملكة العرب^(٦).

(١) انظر السالمي : تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان ج ١ ، ٢ وانظر كذلك زامباور : معجم الانساب والاسرارات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ج ١ ص ١٩١ وما بعدها.

(٢) زامباور : المرجع السابق من ١٩٤ .

(٣) تاريخ أهل عمان ص ١٠٣ .

(٤) تاريخ أهل عمان : مؤلفه مجاهول ص ١٤٦ .

(٥) جهينة الاخبار في تاريخ زنجبار ص ١٩٦ .

(٦) تحفة الاعيان ج ٢ ص ٢١١ .

عواصم ثانوية مع نزوئ :

وهكذا نجد نزوئ قد نعمت بأن تكون عاصمة عمان فترة طويلة ، وفي عصور التفكك ظهر بجانبها كثير من العواصم الثانوية (بهلاء - جبرين - النخل - سمائل - سمد - ابرا) وقد ذكرناها جميعا حتى نلم بكل العواصم العمانية ، المهم منها وقليل الأهمية .

صلالة :

بقيت كلمة تقال عن « صلالة » فأغلب المفكرين العمانيين أو ربما كلهم لا يعدون « صلالة » في العواصم العمانية ، ومن المعروف أن جلاله السلطان سعيد بن تيمور أقام بها اثنى عشر سنة إقامة متصلة ، ومنها كان يصدر تعليماته وتوجيهاته إلى وزرائه ورجاله بمسقط ، وإذا كان العرف قد جرى على اعتبار « الاسكتدرية » مثلاً عاصمة صيفية إذ يقيم بها الملك أو الرئيس شهرين في العام ، فإن من الممكن أن تعتبر صلالة أيضاً عاصمة ثانوية بجوار مسقط .

أحداث تاريخية تتصل بنزوئ :

وهناك أحداث تاريخية مهمة تتصل بالعاصمة نزوئ ، ونحن نوردها فيما يلى :

أولاً - احتلال فارسي قصيري :

مررت بعمان - كما أشرنا من قبل - فترات فوضى واضطرابات وبخاصة في عهد ملوك بنى نبهان وكان الفرس يت Hickson الفرصة لمحاجمة عمان مستغلين أي اضطراب أو أي ظهر من مظاهر الضعف ، ولذلك نجد أنه في سنة ٦٧٤ هـ في عهد الملك عمر بن نبهان هاجمت شيراز عمان ، وكان المهاجمون عدداً من الفرسان الأشداء ، واستطاعوا أن يحتلوا نزوئ ، وأن يسلبوا أموال الناس ، وحاصروا بهلاء ، ولكنهم لم يستطيعوا فتحها فارتدوا على أعقابهم بعد احتلال لنزوئ دام أربعة شهور .

ثانياً - خضوع نزوى بسهولة لناصر بن مرشد :

عقب البيعة للإمام ناصر بن مرشد سار بالبلاد ليقضى على الفرقة التي كانت سائدة ، وسرعان ما رحبّت به سمايل ، ثم سار إلى نزوى ومعه القاضي خميس بن سعيد ، وفي الطريق نصرته قوة من أهل أزركي ودافعت له أزركي بالطاعة ، ثم سار إلى نزوى فالتقاه أهلها بالكرامة ودخلها في حال من السلامة ^(١) .

ثالثاً - الإمامة في عهدهما الأخير بنزوى :

كان الإباضيون يرون أن بعض سلاطين آل بوسعيد لم يتم اختيارهم بالطرق التي يوافق عليها المذهب الإباضي ، ومن هنا لا يعتبر هؤلاء أئمة في نظرهم ، وقنعوا البوسعيديون المتأخرون بلقب « السيد » أو « السلطان » ولم يتمسّكوا بلقب الإمام ، وعلى هذا اختفت الإمامة طيلة القرن التاسع عشر وقبله بقليل وبعده بقليل أيضاً ، وكانت خلال ذلك تظهر أحياناً باهتة لا غناء فيها ^(٢) .

وفي سنة ١٩١٣ م بدأت حركة قوية لبعث الإمامة ، فاجتمع زعماء الإباضية ومعهم الشیخ نور الدين السالمی واختاروا راشد بن سالم الخروصی إماماً ، وقتل هذا سنة ١٩٢٠ فبُويع محمد بن عبد الله الخلیلی إماماً لعمان ، وقد ظل يشغل إماماً عمان فترة طويلة حتى سنة ١٩٥٤ وحاول خلال هذه المدة أن يجعل من عمان الداخلية دولة شبه مستقلة عن مسقط ولكنه لم ينجح ، وعندما توفي سنة ١٩٥٤ اختير غالب بن على إماماً وحاول هذا أن ينفع نهج سلفه ، ولكن هذه الأزدواجية وذلك التقسيم لم يكن في مصلحة عمان ، ولذلك سار جيش من مسقط سنة ١٩٥٩ وقضى على هذه المحاولة تماماً ، وختفت بذلك الإمامة من نزوى إلى الأبد كما ذكرنا من قبل ^٠

(١) تاريخ أهل عمان ص ٢٥ .

نزوی في رأى العلامة سالم بن حمود :

في ختام هذه الدراسة نذكر أن العلامة الشيخ سالم بن حمود يذكر نزوی بالكثير من التقدير والإجلال ، ولعله تلقى العلم في معاهدها أو علّم فيها ، وعلى كل حال فالعلماء يجالبون معاهد العلم وملتقى الفكر ، وييسعدنا أن نقتبس منه هنا بعض كلماته عن نزوی :

تعرضت عمان من الفرس وقراصنة الهند ٠٠٠٠ إلى هجمات متعددة ، فرأى المسلمون تحويل عاصمة الإمامة من صحار إلى نزوی ، ورأى ذوو الشأن أن نزوی أمنع لهم وأحسن لزعامتهم وأقرب لسلطانهم ، فاتفق نظرهم إلى أن يكون الإمام بها ، ولا يخرج منها إلا لهم يعود أو يدع ، يستدعي *

وأصبحت نزوی كرسي الإمامة في عمان ، وكان مقام الإمام في الحصن ، وفي عهد الإمام غسان سميت تحت مثلك العرب ، كما سميت بيضة الإسلام *

والخلاصة أن نزوی كانت عرش الإمام في عمان ، وقد استوطنهما الأئمة والعلماء والقضاة ، وكم حوت تربتها من إمام وفقيه وزاهد *

ويختتم العلامة الشاعر كلامه عن نزوی بقصيدة طويلة نقتبس منها البيتين التاليين :

فإن تيامنتَ الْحُورَاءَ شَاحِشَةَ
لها مع السحب أكتافٌ وأحضانٌ

فحطَّ رحلَكَ عَنْهَا إِنَّهَا بَلَغَتْ
نزوی وطافتَ بِهَا لِلْمَجْدِ أَرْكَانَ

تلك هي العواصم العمانية بما حفلت به من أمجاد وما عانته من
صعب واستبداد ، وقد سعدتْ وأنا أعيش معها ، وكانت تتعكس على
نفسى أحوالُّها فأفرح عندما أدوّن انتصاراتها العسكرية والفكريّة ،
وأحزن عندما أراها تعانى من صراعات داخلية أو عدوان خارجي .

حمى الله عمان ورعى سلطانها العظيم الذى شاهدنا بصماته في كل
شبر من هذه الأرض الطيبة ، إنه طاقة من الخير والنور ، سطع على البلاد
فاستجابت له البلاد ، وخطت فى ظله أوسع خطوات فى طريق المجد
والمسؤلية .

هل تعد عمان من دول الخليج؟ أو لا ت تعد؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تتوقف على اعتبار خليج عمان جزءاً من الخليج العربي^(١)، أو ليس جزءاً منه، فإذا كان خليج عمان جزءاً من الخليج العربي كانت عمان إحدى دول الخليج، وكان الحديث عنها ينبغي أن يكون ضمن الحديث عن دول هذا الخليج، أما إذا كان خليج عمان ليس جزءاً من الخليج العربي، فإن عمان لا تكون إحدى دول الخليج، وبالتالي يكون الحديث عن عمان مستقلاً كالحديث عن السعودية واليمن وغيرهما.

وإذا ذهبنا نتعرف بما إذا كان خليج عمان جزءاً من الخليج العربي أو ليس جزءاً منه، نحس أن هذه القضية ليست موضع اتفاق، أو قد إنها لم تطرح للبحث والتفكير من قبل، ولهذا تردد مضطربة عند بعض الأكاديميين؛ فالدكتور جمال زكرياء له كتاب عنوانه «الخليج العربي» وفيه يتحدث عن عمان ضمن دول الخليج، وله كتاب آخر عن «دولة بوسعيد» وفيه لا يجعل عمان إحدى دول الخليج العربي إذ يذكر في صفحة ٦ أن حدود عمان هو الخليج العربي شمالاً وبحر العرب جنوباً، وخليج عمان شرقاً، وصحراء الربع الخالي غرباً.

وهذا الاضطراب يتضح أيضاً فيما كتبه الدكتور سيد نوبل فهو مرة يجعل خليج عمان جزءاً من الخليج العربي، إذ يقول عن جنوب الجزيرة العربية وشرقيها ما يلى: إن جنوب الجزيرة العربية يبدأ من مضيق باب المندب ويستمر شرقاً إلى عدن وحضرموت، ثم يتجه شرقاً فشمالاً على بحر العرب، فخليل عمان حيث عمان ومسقط، ثم تدخل الخليج العربي من جانبه الغربي^(٢) فهو بهذا يجعل ما بعد خليج عمان جزءاً غربياً للخليج

(١) عن تسمية هذا الخليج سيجد القارئ دراسة شاملة فيما بعد عند الكلام عن الخليج ودوله.

(٢) الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة ج ١ ص ٤٠.

العربي عاد^(١) خليج عمان الجزء الشرقي لهذا الخليج ، ولكنه يعود في مكان آخر فيقرر أن خليج عمان ليس جزءا من الخليج العربي ، وهكذا كلماته « إن بريطانيا استطاعت أن تسيطر باسم سلطان مسقط على مدخل الخليج العربي في مضيق هرمز » فهو بهذا يحدد مضيق هرمز ليكون مدخلاً للخليج العربي مما يجعل خليج عمان ، ليس جزءا من الخليج العربي ، ويذكر المؤلف هذا الاتجاه في موضع آخر فيقول : إن مضيق هرمز هو باب الخليج العربي ^(٢) .

وإذا ذهبنا لغير هذين المؤلفين أحسينا أن الموضوع غير مطروح ، ولا مدروس ، وبالتالي تختلف الآراء حوله كلما ورد له ذكر ، وكانت المراجع القديمة يتبع بعضها بعضا في عد^(٣) خليج عمان جزءا من الخليج العربي ، فالم Saunders وهو يتحدث عن أسماء بحر فارس جعل حدوده تمتد من البصرة حتى مسقط ^(٤) .

وأتجه ياقوت هذا الاتجاه أيضا ، فقد جعل الخليج الفارسي نسبة من بحر الهند ^(٥) ، ومعنى هذا أنه ابتدأ به من المحيط الهندي وجعله يشمل خليج عمان .

وأتجه النويري ^(٦) هذا الاتجاه أيضا ، فقد حدد خليج فارس وجعله يشمل مضيق هرمز وخليج عمان ، ويمتد إلى بلاد مهرة .

وتحدث ابن الوردي ^(٧) حديثاً واضحاً عن بحر عمان بقوله : هو نسبة من بحر فارس ، وهو بحر كثير العجائب فيه معاكس المؤلّف ، ويخرج منه الحب الجيد .

(١) المرجع السابق ص ٦٦ .

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٨١ .

(٣) مروج الذهب ج ١ ص ٩١ - ٤١ .

(٤) معجم البلدان ج ١ ص ٣٤٣ .

(٥) نهاية الأرب في فنون الأدب : ج ٢ ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٦) جريدة العجائب ص ٦٤ .

وذكر ابن خلدون ^(١) ان عمان إقليم سلطاني منفرد يقع على بحر فارس .

ومن الباحثين المحدثين الذين قالوا بهذا الرأى الدكتور صلاح العقاد الذى خصص جزءاً كبيراً للحديث عن عمان في كتابه عن « التيارات السياسية في الخليج العربي » .

وهناك لمحات أخرى تدعم هذا الاتجاه منها أن البلاد امتد لها الاحتلال الفارسي قبل الإسلام مع ما امتد له من دول الخليج ، وأن هذا الاحتلال ترك على المنطقة كلها بصمات متشابهة تربط بين نواحيها المختلفة .

ومن اللمحات كذلك أن الفرق الإسلامية التي عاشت بالخليج العربي امتد نشاطها إلى عمان ، وطبعت المنطقة كلها بطبع واحد تقريباً .

أما الاتجاه المضاد أى الذي يجعل خليج عمان ليس جزءاً من الخليح العربي ، وبالتالي لا يجعل عمان جزءاً من دول الخليج العربي فهو اتجاه له ثقله فيما نرى ، فعمان يقع جزءاً كبيراً منها على بحر العرب ، والخليط الهندي ، مما يبعدها عن أن تكون محصورة في نطاق هذا الخليج ، ثم ان عمان توصف في المؤلفات العمانية ، بأنها الطريق البحري بين الخليج والمحيط الهندي ^(٢) . وهي بذلك ليست من دول الخليج وقد ذكر Stephan and Handy Ronart ^(٣) حدود عمان فقرر أنها تمتد من ظفار إلى الشاطئ العماني الذى يطل على بحر العرب وعلى خليج عمان شاملة رأس مسندم حتى مطلع الخليج الفارسي ، وهو بهذا يوضح أن الخليج الفارسي يبعداً من ناحية خليج عمان ، وبهذا لا تكون عمان من دول الخليج الفارسي .

(١) العبر : ج ٣ ص ١٩٧ .

(٢) سلطنة عمان ص ١٠ .

(٣)

— ٢٩١ —

وقد ورد ذلك الاتجاه بوضوح في تعريف بوغاز هرمز ذلك التعريف الذي أورده « عليضا مرتا محمد » ونصه : وبغاز هرمز يوصل خليج العجم ببحر عمان ^(١) .

وعدد رفاعة الطهطاوى خلجان آسيا ، فذكر أنها عشرة ، وعد الخليج العربى واحدا منها ، وخليج عمان واحدا آخر ^(٢) .

وذكر ابراهيم رفعت باشا حدود الجزيرة العربية فقال : أنها يحدها البحر الأحمر غربا ، والمحيط الهندي جنوبا ، وبحر عمان والخليج الفارسي شرقا ^(٣) .

بقيت كلمة تهسم الموضوع فيما أرى هي أن الساحل المهدان أو ساحل الصلح كان جزءا من عمان ^(٤) ، وهذا الجزء يقع على الخليج العربى ومن هنا فعمان قبل أن تفقد هذا الجزء كانت تقع على خليج عمان والخليج العربى جميا ، ولهم ^{عد} ^٢ وها من دول الخليج العربى لاهظوا وضعها التقديم أيام كانت شاملة لدولة الإمارات . وفي أثناء التفكك الذى انتاب عمان وأخضعوا إلى عدد من الطموحين والقبائل ظهرت هذه الإمارات وتلقفها الإنجليز عندما ظهروا في الخليج العربى فثبتوا إبعادها عن الوطن الأم ، وتقربت منها أخيرا دولة الإمارات العربية كما سرني فيما بعد .

ومن هنا فإن عمان الحالية تقع على خليج عمان وليس من دول الخليج العربى ، ولهذا يجدر بنا أن نتدارسها مستقلة قبل أن نتدارس هذا الخليج ودوله .

(١) الخليج الفارسي عبر القرون والاعصار ص ١٠٢ وانظر التحفة الاذهرية لسامعيل على ص ٤٥٩ .

(٢) التعريفات الشافية ص ٢٦ .

(٣) مرآة الحرمين ج ١ ص ١٤٣ .

(٤) دكتور سيد توفل : الأوضاع السياسية ج ١ ص ١٥٤ و ج ٢ ص ٣٧ - ٣٨ .

صورة عمان بصفة عامة

لو أردنا أن نرسم صورة بالقلم لعمان لقلنا إنها بلاد تكثر بها المفارقات ، فهى قمم شاهقة تطل على وديان منحدرة ، وهى صخور جرداً ، بجوار سهول البساتين والبيارات ، وهى بحر زاخر من جانب ورمال متراصة بلا نهاية من جانب آخر ، وشعبها تتبعاً لذلك يشتغل بالرعى والزراعة كما يعمل في صيد الأسماك ، ولكن بحر العرب وخليج عمان والموقع الاستراتيجي قد ثبت لشعب عمان مهنة أخرى هي السفارة التجارية ؟ فعمان تسيطر على أقدم وأهم الطرق التجارية البحرية في العالم ، وهو الطريق البحري بين الخليج والمحيط الهندي ، وقد استغل أهل عمان الموقع البحري أعظم استغلال ، ودرسووا اتجاهات الرياح أعمق دراسة ، وراحوا بسفنهم الشراعية تدفعهم الرياح الموسمية عبر بحر العرب إلى الهند ثم إلى ما بعد الهند من أقطار ، وهناك كانوا يبيعون ما يحملون من سلع تحتاجها هذه البلاد ، ويجمعون من منتجاتها ما يملئون به سفنهم ، وبيننطرون حتى موسم هبوب الرياح العاكسة التي تدفعهم في رحلة العودة إلى عمان ، ومن عمان يبدعون رحلة جديدة داخل الخليج حتى حوض دجلة والفرات . . . وكان ذلك هو طابع الحياة لتلك البلاد في العصور القديمة والوسطى .

ويقول المؤرخون الغربيون إن موقع عمان الجغرافي كفل لعمان أهمية خاصة ، لأنها تحتل مركزاً مهماً بالنسبة للطرق الموصلة إلى الهند وإفريقيا والبحر الأحمر ، كما أن الرياح الموسمية كانت خير وسيلة للعمانيين ليزأولوا هذه التجارة بين هذه المناطق^(١) .

اقتصاد عمان

وبمناسبة الحديث عن التجارة البحرية التي كانت عمان تقوم بها

(١) Palgrave : Narrative of a year's journey through Central and Eastern Africa vol. I p. 255.

— ٢٩٣ —

خلال قرون طويلة مضت ، نقرر أن هذه التجارة كانت وسيلة ربح وغير للعمانيين ، ليس فقط للذين يزاولون التجارة ، بل لعدد كبير غيرهم ؛ كالذين كانوا يعملون في بناء السفن ، ويقومون بشحنها أو تفريغها وكاؤلئك الذين كانوا يحرسون المخازن التي تودع فيها البضائع إلى أن تجيء السفن . . .

وهكذا شهدت الموانئ العمانية حركة تجارية نشطة للغاية ، وكان نشاط العمانيين أبرز نشاط ملاحي في المحيط الهندي قبل أن تظهر السفن التجارية الكبيرة ، واستتبع هذا النشاط أن قام أبناء عمان بدور واسع في إنشاء عدد من المدن البحرية على امتداد شواطئ إفريقيا الشرقية ، كما اتخذوا مراكز لهم في المدن الساحلية التي كانوا يفدون لها على طول المحيط الهندي وحتى شواطئ الصين .

وتقرر المراجع العمانية أن عمان كانت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر تملك أسطولاً من السفن يقدر بنحو خمس عشرة سفينه من الطراز الغربي المربع الهيكل ، وثلاث سفن كبيرة ، ونحو ٢٥٠ سفينه نساعية أغلبها من سفن الشحن الكبيرة الحجم والحمولة ، إلى جانب مائة سفينه أخرى تزاول مختلف ألوان النشاط الملاحي ، وكانت السفن الكبيرة من هذا الأسطول التجارى تربط بين ميناء مسقط وميناء زنجبار من جانب ، وبين مسقط وكلكتا وجاكارتا من جانب آخر (١) .

ويتبين من التاريخ السابق أن النشاط التجارى العماني ضم إلى نفوذه كل المناطق التجارية التي كانت البرتغال تتصل بها ، فما إن أجلى العمانيون البرتغال عن بلادهم في النصف الأول من القرن السابع عشر حتى ورثوا معاقلهم ، وورثوا الخطوط البحرية التي كان البرتغاليون يزاولون فيها نشاطهم ، وفرضوا سيطرتهم على هنقة خليج عمان ، وامتد سلطانهم قوياً عزيزاً إلى ساحل إفريقيا الشرقية .

(١) عمان الماضي والمستقبل هـ ١٩ - ٢٠

وهكذا كانت التجارة مصدر رزق وغير الأبناء، عمان طيلة عدة قرون ٠

وبالإضافة إلى التجارة كانت الزراعة مصدراً مهماً من مصادر الاقتصاد العماني ، بل إنها كانت المصدر الرئيسي الذي يعمل فيه حوالي ٨٠٪ من أهل البلاد ، وقد ساعد على نشاط الزراعة في عمان أن بها مساحات واسعة من الأراضي الخصبة ، كما أن بها بعض الواحات التي تكثر بها أنواع الفاكهة ، ويبرز في الحديث عن الزراعة بعمان منطقة الباطنة الساحلية ، ووادي سمايل حيث توجد المساحات الخصبة والماء الوفير ، وتنتفع أرض عمان الحنطة والشعير والخضروات وقصب السكر ، كما تكثر بها فواكه المناطق الاستوائية كالمانجو والرمان والجوز ، وينمو العنبر في منطقة الجبل الأخضر ، وتكثر أشجار جوز الهند في مقاطعة ظفار ، كما تكثر أشجار النخيل في الواحات ، وهي تنتفع أنواعاً متعددة من التمور تصل إلى مائتي نوع ٠

ويحصل بالإنتاج الزراعي تربية الحيوانات وتنقوع هذه الحيوانات بتنوع المناطق في عمان ، فالقبائل في الصحراء تهتم بتربية أجود أنواع الجمال ، وتكثر الأغنام في مناطق الرعي الجبلية ، ويوجد البقر في مقاطعة الباطنة ، وتكثر الجياد العربية في مقاطعة عمان ٠

ومن مصادر الاقتصاد العماني الثروة السمكية ، إذ تمتد سواحل عمان مساحات طويلة على المحيط الهندي وخليج عمان ، ويقدر طول الشاطئ العماني بـ ١٥٠٠ كيلو متر ، وقد اتجه الأهالي منذ عهد طويل إلى اتخاذ صيد الأسماك حرفه مهمة يعتمدون عليها في الطعام والتجارة ، كما يقومون بتجفيف الأسماك أحياناً ثم سحقها لاستعمالها ساماً أو غذاء للحيوان ، وساعدهم على ذلك أن الساحل العماني من أغنى البحار من حيث كثافة الأسماك وتنوعها ، إذ يشمل سمك « التن » و « المارلين » وسمك « القرش » و « السردين » وغيرها من الأنواع ، ويستعمل صيادو

الأسماك القوارب والشباك وغيرها من الأنواع البدائية ثم المتطورة
لتحقيق أهدافهم في صيد الأسماك .

ولعمان أطماع في أن تصبح الصناعة مصدراً من المصادر الاقتصادية
بها ، وتدلّ البحوث على أن بأرض عمان مناجم للنحاس والفضة ، ومن
الممكن أن تتحقق هذه الأطماع في المستقبل عندما تُجرى بعمان عمليات
للتنقيب للبحث عن هذه الثروات .

على أن أكبر مصدر تعتمد عليه عمان في الوقت الحاضر هو البترول
الذى انبثق في منتصف العقد السابع ، وبدأ تصديره سنة ١٩٦٧ ، ومع
أن كميته لا تزال قليلة نسبياً فهو قد فتح لعمان باباً واسعاً من أبواب
الخير يرجى أن يكون باب ثراء وبركة .

- ٢٩٦ -

جولة تاريخية عن عمان

لحة عن التاريخ القديم :

يتجه كثير من الباحثين إلى أن الحضارة البحرية الأولى ظهرت على مياه الخليج ، وأن هذه المنطقة جذبت لذلك جماعات الوافدين عبر البحر أو عبر الصحراء غزاة أو تجاراً أو نازحين .

وبجانب الحضارة البحرية القديمة تدل الآثار على حضارة زراعية قديمة ارتبطت بمناطق الخصب والمياه في عمان ، وتدل عليها المقويات والمسدود التي لا تزال آثارها واضحة للعيان .

وهناك مظاهر حضارية من الفخار ، ومن الأدوات الحجرية ، ومن نظام الرى ، والأسلحة ، تدل على أن عمان كانت جزءاً من الحضارة التي شملت مع عمان منطقة بلاد فارس وامتدادها إلى أفغانستان وغرب الهند في القرن الثالث قبل الميلاد ، وأن الأسكندر المقدوني حينما استولى على مصر أدرك أن مقامه بها غير آمن ما دامت الفرس تسيطر على المنطقة البحرية بالخليج العربي وامتداده في المحيط الهندي إلى المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، وهذا هو الذي دفعه للزحف على إمبراطورية فارس ، وامتدادها في أفغانستان وغرب الهند (الباكستان حالياً) .

وقد كان غزو الأسكندر لبلاد فارس وسبيله لتخلص منطقة الخليج ومنطقة عمان من الفرس فحصلت هذه المناطق على استقلالها في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد .

ولكن الفرس لم يقبلوا استقلال هذه المناطق عنهم ، فحاولوا من جديد فرض سلطانهم عليها ، بل حاولوا دفع جماعات من الفرس ليعيشوا بها ، ولكن العرب في هذه المناطق حرصوا على الاستقلال عن سلطان

- ٢٩٧ -

الفرس ، ولم يقبلوا أن يعيش في بلادهم من الفرس إلا من يخضع لسلطانهم كما يعيش العرب على الشاطئ الشرقي تحت سلطان الفرس . وعلى هذا شهدت القرون الميلادية الأولى محاولات من الفرس للزحف ، وأصرارا من العرب لرد الزاحفين ، ولم ينته هذا الصراع إلا بمجيء الإسلام الذي استقرت في ظله عروبة هذه المناطق كما استقر استقلالها عن الفرس إلى حد بعيد ^(١) .

سكان عمان :

وبمناسبة الحديث عن عروبة عمان يجدر بنا أن نتحدث عن أصل العمانيين ، ويقرر التاريخ أن السواد الأعظم من أهل عمان يرتبط بهجرتين عربيتين كبيرتين ، أولاهما هجرة منذ زمن سحيق من قلب الجزيرة العربية إلى جبال عمان وشواطئها ، وقد وفد هؤلاء المهاجرين بسبب الجفاف في نجد وما حولها ، بحثا عن أرض خصبة ، أو بحثا عن الماء ولا يُعرف بالضبط تاريخ هذه الموجة من المهاجرين ، ويغلب أن يكون هؤلاء قد وفدوا على عدة دفعات ، وينتسب هؤلاء إلى قبائل نزار ، ويعرفون بالنزاريين .

وأما الهجرة الثانية فقد وفدت من جنوب الجزيرة العربية ، أي من مناطق اليمن ، وارتبطت هذه الهجرة بانهيار سد مأرب سنة ١٢٠ ق.م . وقد بدأت هذه الهجرة مع بدء الانهيار في القرن الثاني قبل الميلاد ، وظلت تتوالى كلما تعرض السد إلى مزيد من التصدع حتى كمل هذا التصدع في نهاية القرن السادس الميلادي ، وبهذا تكون الهجرات اليمنية إلى عمان قد استقررت ثمانية قرون ، ويعرف هؤلاء الوافدون باليمنيين أو القحطانيين ، ويقال أن إحدى موجات اليمنيين كانت بقيادة

(١) Arian's History of Alexander's Expedition vol. I p. 108

وانظر الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة
للدكتور سيد نوبل ج ١ هـ ٤١ - ٤٢

نصر بن الأزد ، وأن موجة أخرى يمنية كانت بقيادة مالك بن فهم وهو أيضاً من بني أزد .

ولا يزال سكان عمان حتى الآن ينتسب بعضهم إلى نزار ، وبعضهم إلى أزد ، أو بلعة أخرى يرتبط بعضهم بالشمال وبعضهم بالجنوب ، وهذا الانقسام عانى منه المجتمع العماني أحقاباً طويلة ، وطالما هددت النزعة القبلية الاستقرار والسلام في المنطقة ، على أن النزعة الوطنية كانت تغلب على النزعة القبلية كلما هدد خطرٌ خارجي أرضَ عمان ، فحينئذ ينسى هؤلاء وأولئك مشكلاتهم القبلية ، ويتجمرون صفاً واحداً للوقوف في وجه ذلك الخطر ، ولكنهم سرعان ما يعودون للصراع القبلي إذا تطلبوا على الخطر الخارجي ، وقضوا على الاعتداء الذي يهدد وطنهم .

وبالإضافة إلى عرب الشمال وعرب الجنوب الذين يكتون العنصر الرئيسي في عمان توجد هناك جماعات أخرى وفدت على عمان من خارج الجزيرة العربية ، واستقرت بها ، وأصبحت عمانية الجنس ، عربية اللسان ، تدين بالإسلام ، وبعض هؤلاء وفدوا من إفريقيا إبان الارتباط الطويل الذي كان يربط زنجبار وساحل إفريقيا الشرقي بعمان ، وأكثر هؤلاء يعيشون في مسقط ومطرح وغيرهما من المدن الساحلية ، وبعضهم وفدوا من شبه القارة الهندية عن طريق الارتباط التجاري الذي ربط شبه القارة الهندية بعمان قروناً طويلاً ، وأكثر هؤلاء يعيشون في مطرح وبعضهم وفد من ساحل مكران في بلوشستان (الباكستان الآن) وأصبحوا الآن جزءاً من المجتمع العماني ، ويعيش أكثرهم في الظاهره ، وبعضهم في المناطق الساحلية .

عمان الإسلامية

في عهد الرسول :

عندما جاء الإسلام كانت أكثر مناطق عمان تحت حكم أسرة الجثيني الأزدي ، وقد اشتهر من هذه الأسرة شخص عظيم هو « جيفر » وكان ينزل من قومه منزلة الملك بين الرعية ، فبعث إليه الرسول " عمرو بن العاص بن وائل السهمي في العام السابع للهجرة بكتاب يدعوه هو وقومه إلى الإسلام في نفس الوقت الذي كتب فيه الرسول بذلك إلى الملك والرؤساء في الجزيرة العربية وخارجها ، وقد أورد أبو عبيدة نص كتاب الرسول إلى ملك عمان مع ما أورد من نصوص لكتاب الرسول إلى الملك والرؤساء ^(١) ، ويذكر الخثعمي السهيلي أن من الملك من اتبع محمدًا صلى الله عليه وسلم كملوك اليمن وملك عمان ^(٢) ، وقد أسلم مع ملك عمان وجوه العشائر وبقية الناس .

ولم يكتف جيفر بإسلامه ، وإنما أرسل من قبيلته رسلًا تحمل دعوة الإسلام إلى مهرة وغيرها من المناطق المجاورة لعمان ، وقد استجاب أكثر العرب في هذه المناطق إلى الدعوة الجديدة ، ولكن الفرس الذين كانوا يقيمون بها رفضوا دعوة الإسلام ، فاجتمع الأزد إلى جيفر وقالوا له : لا يجاورنا العجم بعد هذا اليوم ، وأجمعوا على إخراجهم ، فدعا جيفر مرازبة الفرس وقال لهم : إنما أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس أو تخربوا من أرض العرب ، فرفضوا الاستجابة لأى من هذين الاتجاهين مما سبب صراعا شديداً بين الجماعتين ؛ كان النصر فيه لأهل عمان ، واضطُر المرازبة أن يتّلّبوا الصلح ، وتم الصلح على أن يخرج الفرس من عمان بأنفسهم وذرارיהם ، وعقب ذلك خلت عمان من الفرس الذين عادوا إلى بلادهم .

(١) الأموال لأبي عبيدة ص ٤٢ - ٢٠ .

(٢) انظر الروض الأنف ج ١ ص ٢٥٠ .

— ٣٠٩ —

وأقام عمرو بن العاص عاماً على عمان من قبيل الرسول فكان يجمع الصدقات ويوزعها ، ويعلّم الناس مبادئ الإسلام ، ويقضى بينهم حسب تعاليم الدين الجديد ، وكان زعماء الأزد من بنى الجلندي عوناً له في أداء مهمته ، وقد ظل كذلك حتى جاءت الآباء بوفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فعاد عمرو إلى المدينة ومعه عبد الله بن الجلندي وبعض بنى أزد ، وألقوا زمام الأمر إلى أبي بكر ليختار من يراه ليكون والياً على البلاد .

ويقرر المفكرون العمانيون أن الإسلام استطاع أن يوحّد القوى انقلابية في عمان تحت لوائه ، فقد منحها شخصيتها الدينية كما أمدتها بنظام سياسي وتشريعي أقامته عليه دعائم مجتمعها ^(١) .

عمان في عهد الخلفاء الراشدين :

يذكر العسالمي ^(٢) أن أبي بكر استقبل عمرو بن العاص ووفد عمان بترحاب وتقدير ، وأن أبي بكر قال لهم : إنكم يا معشر أهل عمان أسلمتم طوعاً ، فجمع الله علىكم خيراً شملكم وبعث الرسول صلوات الله عليه لكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فأجبتموه إذ دعاكם ، مع بُعد داركم ، وأطعتموه إذ أمركم على كثرة عدكم ، فأقام فيكم عمرو مكرماً ما أقام ، وكنتم على خير حال حين أتيتكم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأظهرتم ما يضاعفها فضلكم ، وقدمتم مقاماً همداً لكم فيه وأقر أبو بكر جيفر وأخاه عبداً على ملكهما ، وجعل على الصدقات حذيفة بن محسن .

وفي عهد عمر عيّنَ على صدقات عمان عثمان بن أبي العاص وهو الذي أغري عمر أن يعبر الخليج إلى بلاد فارس ، وظل جيفر وأخوه « عبد » يقومان بعملهما إلى أن ماتا في عهد عثمان ، فتولى السلطان بعدهما عبد

(١) عمان بالكلوان (انظر المقدمة) .

(٢) تحفة الأعيان : ج ١ ص ٤٧ ، ٤٨ .

— ٣٠١ —

بن عباد الجلندي ، وأقره عثمان على ذلك ، وظل على حاله تلك طيلة عهد عثمان وعهد على كرم الله وجهه .

ولنعد إلى عهد أبي بكر الصديق لذكر أنه حدث بعمان خلاله فتنة يختلف المؤرخون في سببها ومدتها ، ومن المعروف أن حركات الردة وادعاء النبوة ومنع الزكاة ظهرت في مناطق مختلفة من الجزيرة في آخريات عهد الرسول ، ونشطت في عهد أبي بكر الصديق ، ويدرك ابن الأثير (١) أن إحدى هذه الحركات قامت بعمان بزعامة رجل اسمه ذو التاج (لقيط ابن مالك الأردي) فقد ارتد هذا عن الإسلام ، ودعا الكثيرين إلى رأيه ، واتخذ من الزكاة وسيلة لإثارة الناس ضد مركز السلطة بالمدينة ، وكرر في هذا المقام التعبير الذي كان شائعاً في هذه المناطق ، والذي قيل لعمرو بن العاص وهو في طريقه من عمان إلى المدينة ، ونصه « إن العرب لا تطيب لكم نفساً بالاثارة ، فإن أبغضتموهم من أخذ أموالهم فستستمع لكم وتتطيع ، وإن أبغيتم فلا تجتمع عليكم كلمة العرب (٢) » وبهذا استجاب الكثيرون من أهل عمان لهذا القائد ، وأرسل أبو بكر أحد جيوشه التي دكت الجزيرة العربية للقضاء على هذه الفتنة ، وكان الجيش الذي أرسل إلى عمان بقيادة حذيفة بن محسن من حمير ، وأرسل أبو بكر إلى عكرمة ابن أبي جهل بعد أن اشترك في القضاء على مساعي الكذاب أن يلحق بحذيفة ، ودارت معركة هائلة ، انتصر فيها المسلمين انتصاراً عظيماً ، وتقسمى هذه المعركة موقعة « دبا » وقد انضم للمسلمين فيها بنو ناجية بقيادة الخريب بن راشد ، وبنو عبد القيس بقيادة سيفان بن صونجان .

ولكن المؤرخ العماني السالمي يهاجم ابن الأثير وروايته ، ويبرئ أن كلامه باطل لا أصل له ، ويقرر أن سبب هذه الواقعة أن امرأة من بنى الحارث بن مالك بن فهد كان عليها أن تدفع الزكاة لعامل الزكاة ، ولكنها

(١) الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ١٤٣ .

(٢) انظر هذا الحديث أيضاً في تاريخ حضرموت لحامد بن صالح العلوى ج ١ ص ١٥٧ .

دفعت أقل مما كان يجب أن تقدمه ، فأخذ عامل الزكاة منها حق المسلمين غير مكتثر برأيها ، فاعتبرت المرأة هذا غصباً وعدواناً ، وصرخت يا آل مالك ، وكانت دعوة جاهلية استجابت لها بعض الناس دون تمحيص وصارعهم حذيفة بن محسن الذي كان أمير الصدقات ، وقامت حرب ليست واسعة انتصر فيها الجانب الإسلامي^(١) . وعلى هذا لم تكن بعمان حركة منع الزكاة وإنما هي حادثة فردية أزكاهها الاتجاه القبلي الذي انتخب لنداء المرأة .

عمان في العهد الأموي :

إن الحديث عن عمان في العصر الأموي يحتاج إلى عودة للوراء لنتحدث عن الصراع الذي دار بين على بن أبي طالب وبين معاوية ، ففي هذه الحرب نشأت فرقة « الخوارج » وقد تحدثنا عنها حديثاً طويلاً في الجزء الثاني من موسوعة التاريخ الإسلامي ، وشمل حديثنا عنهم مبادئهم وحركاتهم^(٢) والمهم أنه في موقعة النهروان التي حدثت بين الإمام على وبين الخوارج سنة ٣٨ هـ لم يَتَّسِعْ من الخوارج إلا عدد قليل لم يتجاوز العشرة ، وأن هؤلاء تفرقوا في البلاد ، واتجه أكثرهم إلى المناطق الザئية ، فذهباثنان منهم إلى عمان واثنان إلى كرمان ، واثنان إلى سجستان ، واثنان إلى الجزيرة ، وواحد إلى اليمن^(٣) ، شهدت عمان نشاط الخوارج الذين همدو إليها ، فلما قتل على كرم الله وجهه بعد هذه الموقعة بحوالي سنتين ، وآل أمر الخلافة إلى بنى أمية أعلن الخوارج أن عداهم الحقيقي هو معاوية ، وأصبحت عمان أهم مركز بالجزيرة العربية لهذا العداء ، وتجمع ضد الأمويين السكان الأصليون ، وعدد كبير من الخوارج الموافدين ، ووجد أهل عمان في ذلك فرصة لإعلان الاستقلال لهم عن الحكم المركزي ، وهذا الاتجاه الاستقلالي واضح فيهم عبر التاريخ ، وساعدتهم عليه مكان بلادهمザئي ، وأنشغال الخلافة الأموية بكثير من

(١) تحفة الأعيان : ج ١ ص ٥٣ - ٥٤ .

(٢) ص ٢٢٩ - ٢٦٨ .

(٣) الشهريستاني : الملل والنحل القسم الأول من ١٠٧ .

— ٣٠٣ —

المشكلات ، كما ساعدتهم عليه أن المجتمع العماني مجتمع قبلي ، لا يقبل بمسؤولية سيطرة الخلافة النائية ، ثم ان طبيعة عمان الجغرافية تجعل الاتصال بها والتقطلها يداخلها أمراً عسيراً ، وعلى هذا فلن أية حركة انفصالية بعمان تجد أمامها فرصة معقولة للنجاح ^(١) وعلى هذا أصبح أمر عمان — كما يقول المسالى ^(٢) — بيد أهلها ، ولم يكن لمعاوية ، ولا من بعده سلطان في عمان حتى عهد عبد الملك ^٠

وفي عهد عبد الملك تغيرت الأمور ، فقد أصبح الحجاج صاحب السلطة في أرض العراق ، ومن هنا تطلع إلى الخليج ، وبالتالي إلى أرض عمان ، ورأى أن سلطانه بالعراق لا يتم إلا إذا امتد سلطانه إلى الخليج العربي وخليج عمان ، ومن هنا قام صراع طويل بين أهل عمان وبين جيوش الحجاج ، وانتصر الحجاج في نهاية الأمر ، وفر ^٢ زعماء أسرة الجلندى من وجه الحجاج إلى بلاد الزنج « زنجبار » وكانت لعمان صلة سابقة ببلاد الزنج ، فكتممت هذه الصلة ووضعت أساساً لصلة طالت وأمتدت بعد ذلك بين عمان وساحل إفريقيا الشرقي ، واستعمل الحجاج على عمان الخيار بن صبر الماجاشوى ، وعندما آل الأمر إلى الوليد بن عبد الملك عين هذا سيف المهدانى واليا على عمان ، ثم عين مسليمان بن عبد الملك على عمان صالح بن عبد الرحمن الليثي ، وبعده زياد بن المهلب بن أبي صفرة من أهل عمان ^٠

وانتجه عمر بن عبد العزيز وبجهته الإسلامية ، فعين واليا صالحها هو عمر بن عبد الله الأنصارى ، فأحسن العسيرة بين الناس ، ومن أجل هذا ظل مكرماً محبوباً بين أهل عمان حتى وفاة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ، وحينئذ تناهى هذا الوالى عن الولاية ، وأعاد السلطة لزياد بن المهلب قائلاً له : هذه البلاد بلاد قومك فشأنك بها ^٠ وخرج عمر بن عبد الله من عمان ، وقام بالولاية زياد بن المهلب ^(٣) ^٠

(١) سلطنة عمان ص ٣٣ بتصرف ^٠

(٢) تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٧ ^٠

(٣) المسالى : تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٩ ^٠

عمان والمذهب الإباضي :

رأينا فيما سبق أن اثنين من زعماء الخوارج أخذوا طريقهما إلى عمان عقب موقعة النهروان ، وأن مذهب الخوارج بدأ ينتشر في هذه البلاد ، وزاد في تعميق جذوره أن السكان أخذوه وسيلة ليعلنوا به رغبتهم في استقلالهم عن السلطات المركبة البعيدة التي تحبى الزكاة وتفرض الولاة ، ورأينا كذلك أن الاتجاه الاستقلالي نجح في خلال عهد الخلفاء الأمويين الأوائل ، فلما جاء عبد الملك بن مروان صارع الخوارج بالعراق ، وكان يقودهم نافع بن الأزرق وقطري بن الفجاءة وعبد الله بن إباض ، وانتصر عبد الملك ، فهرب بعض من نجا من الخوارج عبر الخليج العربي إلى عمان ليكونوا بمنأوى عن العراق ، ولكن جيوش الحاج لحقت بهم في عمان كما ذكرنا من قبل ٠ ٠ ٠

وعاش الخوارج في عمان ، وكان أكثرهم من أتباع عبد الله بن إباض ، وكانوا يضمرون ثورتهم حيناً ويعلنونها أحياناً ، حتى جاءت الدولة العباسية فاستعاد أهل عمان سلطانهم كاملاً منذ مطلع هذه الدولة ٠

والذى نريد أن نقوله هنا أن تفاعلاً دقيقاً حدث في عمان بين الأمانى الوطنية ، وبين المذهب الإباضي ، وكان المذهب الإباضي في طبيعته أقرب مذاهب الخوارج إلى أهل السنة . وقد قاتل الإباضيون في عمان بدور واسع في الصراع العسكري ضد النشاط الأموي ، ومن هنا المترجت المركبة الاستقلالية العمانية بالفكر الإباضي . واتبقي عن هذا الامتزاج فكر جديد هو الذى ساد عمان منذ ذلك التاريخ حتى العهد الحاضر ، ومن هنا حقاً لأهل عمان أن يكرهوا أن يتكل عنهم خوارج ، ومما جعلهم يكرهون أن يسموا خوارج أنهم لا يريدون أن يرتبطوا بجماعة خرجوا على الإمام على كرم الله وجهه ، ويفضلون أن يرتبطوا بعد الله ابن إباض الذى خرج على عبد الملك بن مروان ، ثم إنهم من ناحية المذهب لم يستطروا كما اشتظ بعض الخوارج ، بل كانوا معتدلين جداً ،

واعتبروا أنفسهم ورثة للفكر الإسلامي الأصيل الذي جاء به القرآن الكريم .
رسنة الرسول ، وتبعه الخلفاء الراشدون من بعده . وقد شرح هذا الفكر
إفاضة المؤرخ العماني أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي (١) .

وجاء في كتاب سلطنة عمان (٢) ما يلى عن الامتراج بين الذهب
الإباضي والدم العماني : كان الذهب الإباضي هو النبراس الذي أضاء
قلوب العمانيين ، ووحد بينهم في كفاحهم لنيل استقلالهم ، وكان العمانيون
في هذا الكفاح يستبسرون في الدفاع عن عقيدتهم وتقاليدهم .

بيان إباضية في عمان :

من أبرز التعاليم التي يعتقد بها إباضية عمان أن لا يجتمع إسلامي
أن يختار إمامه من تتوافق فيه القوة والعلم والعدالة والفضل والورع ،
ولا يتشرط أن يكون هن قريش ولا من العرب ، ومن الممكن أن يعيش
الإباضيون بدون إمام فترة من الزمن ، ومن الممكن أن تتعدد الأئمة بتنوع
الأحداث ذات بال ، ومن الواضح أن هذه المبادئ كانت عميقة الاتصال
لذكر الاستقلال الذي اهتم به العمانيون .

ومن المبادئ الإباضية أن الله لا يرى بالبصر ، وأن الثواب والعقاب
بديان ، والله يغفر الصغائر ، ولكن الكبائر لا تمحى إلا بالتوبة النصوح .

ومن المبادئ الإباضية أن القرآن والحديث هما مصدرا الشرعية
الإسلامية ، ويقول الإباضيون بالرأي لا بالقياس ، ويعتبرون آبا بكر وعمر
القدوة الطيبة بعد الرسول ، ويرىون صحة مناكحة المخالفين من المسلمين
والقوارث منهم ، ويرىون أن مخالفיהם من أهل الإسلام دار توحيد ،

(١) تحفة الأعيان ج ١ ص ٦٠ - ٦٦ .

(٢) ص ٣٤ .

ويقبلون شهادة مخالفهم ويقولون إن أفعال العباد مخلوقة لله إحداثاً وإبداعاً، ومكتسبة للعبد حقيقة لا مجازاً، ولا يسمون إمامهم أمير المؤمنين^(١) ٠٠٠٠ وبسبب هذه المبادئ الإباضية السمححة كان مذهب الإباضية هو الموحد بين مذاهب الخارج الذي عاش حتى العهد الحاضر ٠

والإمام عند الإباضية ينتخب عن طريق مجلس صغير من الشيوخ هم «العلماء» ثم عليه أن يتقدم إلى الشعب للحصول على موافقته^(٢) وفي هذا الجمع العام ينادي الشعب «الإمام»، ويتعهد الإمام بصيانته كيأن الجماعة والمذود عنه، ولم يكن التجاء الإمام للشعب لفتة للمجاملة، بل كان لذلك نتائج مهمة، فهناك حوادث مسجلة وثبتت رفض فيها الشعب الأشخاص الذين انتخبهم العلماء، وكان الإمام المنتخب على هذا النحو يسمى «إمام بيعة» وولاء الشعب قابل للاسترداد إذا ظهر أن الإمام دون المستوى اللائق^(٣) ٠

عمان في العصر العباسي:

لم تطلّ مدة ارتباط عمان بالخلافة العباسية، بل كانت مدة قصيرة سرعان ما استقلّ أهل عمان بعدها بشئونهم، ويذكر السالمي أنه لما آل الأمر لبني العباس وولى السفاح أخاه أبا جعفر شئون العراق الجنوبي استعملَ هذا على عمان جناح بن عباد بن قيس بن عمر الهنائي، فقدم إلى عمان عاملاً عليها، وهو صاحب المسجد المعروف بمسجد جناح بضمّ حار، ثم عزله المنصور وولى ابنه محمد بن جناح، وكان هذا سمحاً

(١) الملل والنحل : الشهريستاني - القسم الأول من ٧١ و ١١٣ - ١١٤ ، والفرق بين الفرق للبغدادي ، والملل والنحل لابن حزم .

(٢) ذلك هو الاتجاه الإسلامي الذي وضحه كبار المفكرين المسلمين (انظر كتاب الأموال لأبي عبيد ص ٤ ، والخلافة لرشيد رضا ص ١٢ ، والاسلام والحضارة العربية لكرد على ، والسياسة في التفكير الإسلامي للدكتور أحمد شلبي ص ٤٩ - ٥٤) .

(٣) السالمي : تحفة الأعيان ح ١ ص ٦٠ - ٦٦ وسلطنة عمان ص ٢٣ .

عاقلاً أدرك رغبة العمانيين في أن يكون واليهم منهم ، وأن يكون لهم حق انتخابه بأنفسهم ، فوافقهم على ذلك ، فعقدوا الإمامة للجلندي بن مسعود بن جيفر بن جلندي ، وبدأت به الإمامة في عمان سنة ١٣٥ هـ ولكن أبي العباس السفا حارسل جيشاً بقيادة حازم بن خزيمة الخراساني للقضاء على هذه الحركة الاستقلالية ، وانتصر العباسيون وقتل إمام عمان في المعركة التي دارت برأس الخيمة ، وسرعان ما مات السفاح وانشغل المنصور بعمه عبد الله بن على ، وترك عمان بدون وال أو إمام حتى سنة ١٤٥ حيث عادت الإمامة ٠

وقد حاول العباسيون استعادة السلطة على عمان ، حاول ذلك المنصور والرشيد والمعتصم ، ولكن هذه المحاولات لم تتحقق نجاحاً على الإطلاق أو لم تتحقق نجاحاً ذا بالٍ^(١) ٠

(١) انظر تحفة الأعيان للمسالى ج ١ ص ٧٤ و ٨٩ و ٢٠٦ - ٢٠٨ ٠

عصور الحكم في عمان عبر التاريخ الإسلامي

١ - الأئمة الإباضية : ١٣٥ هـ (٧٥٢ م) حتى القرن الخامس عشر الميلادي ، مع تسلسل حيناً ، وانقطاع حيناً آخر ، ومع ظهور آل نبهان الذين كانوا لهم ملكاً عدة قرون ، ومع قيام أسر ملكية قصيرة ال عمر ، وحدوث تمزق وتشتت في بعض الأحيان مما مهد لاحتلال البرتغاليين لعمان سنة ٩١٤ هـ = ١٥٠٧ م .

وتشمل هذه الفقرة ما يسمى « العصور المظلمة » في عمان ، تلك التي بدأت بقتل الإمام عزان بن تميم سنة ٢٨٠ هـ واستمرت حوالي ستة قرون .

٢ - عصر الاحتلال البرتغالي : من ٩١٣ = ١٥٠٧ م إلى سنة ١٠٣٤ = ١٦٢٤ م .

٣ - الأئمة من بنى يعرب ، ١٠٣٤ - ١١٥٤ هـ (٦٢٤ - ١٧٤١ م) مبتدئين بالإمام ناصر بن مرشد الذي خلّص البلاد من حكم البرتغاليين ، وفي آخر حكم اليهاربة خضعت البلاد لنفوذ الفرس .

٤ - البوسعيديون : ١١٥٤ هـ (١٧٤١ م) حتى العهد الحاضر ، وهؤلاء هم الذين خلصوا البلاد من نفوذ الفرس .

يلاحظ أن الإمامة في أكثر العهدين الآخرين أصبحت بالوراثة ، أو قد أن الحكم أصبح بالوراثة بدل الانتخاب .

وكانت الإمامة بالانتخاب هي القاعدة الإباضية التي سار عليها الحكم في عمان ، وقد بلغ الأئمة المنتخبون ٤٣ إماماً ، أولهم الجندي ابن مسعود سالف الذكر ، ولكن نظام الإمامة تحول من الانتخاب إلى

نظام الملكية الموروثة ثلاثة مرات ، وذلك في عهد بنى نبهان واليمانيين
والابواليبيين (١) .

ومع التعرف على عصور الحكم بعمان التي أوردناها آنفا ، فإن
المصادر العمانية تبرز أن فترة غامضة طويلة مرت ببلادهم ، وإن عصورا
حالكة شملت تاريخ عمان عدة قرون ، وسنقتبس فيما يلى سطورا عن هذا
الغموض الذي لفَّ البلاد وأخفى أهم معالم تاريخها :

١ - في الجبل الأخضر توجد طريق غير معبدة تقع عليها بلدتان
تسيرتان هما سمد والمضيبي ، وللأولى مكانة تاريخية مهمة ، لأنها كانت
مكان معركة جرت في منتصف شهر أبريل سنة ٨٩٣ م (٢٨٠ هـ) وقتله
فيها الإمام عزان بن تميم الخروصي ، وكان ذلك يوما كالحا أسود في
تاريخ عمان ، إذ كان بمثابة علامة لنهاية حقبة من السلام ، وبداية فترة
من الحرب الأهلية أدت إلى الدخول في « العصور المظلمة » في تاريخ
البلاد .

ولسنا نجد اليوم في التاريخ سجلا لما جرى في عمان بين القرن
العاشر والسادس عشر بعد الميلاد ، فقد ضاع ذلك كله ، وتلك هي الحقبة
التي تعرف بالعصر المظلم (٢) .

٢ - بعد أن ازدهرت عمان في رحاب الإسلام عاد الغموض يخيim على
تاریخها فيما بين القرن العاشر والسادس عشر الميلاديين ، ولم تعد عمان
للأخسواء إلا عندما وصلت الدول الاستعمارية إلى المحيط الهندي باحثة عن
طريق تجاري بديل لذلك الذي سيطر عليه العثمانيون باستيلائهم على
المقسطنطينية سنة ١٤٥٣ (٣) .

٣ - ومن القرن العاشر راحت عمان تنغط في نوم عميق ، حتى جاء

(١) دكتور أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الامبرالية ج ١
ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٢) سلطنة عمان ص ٢٣ .

(٣) عمان بالألوان (انظر المقدمة) .

التجار البرتغاليون ومن بعدهم الإنجليز والهولنديون والفرنسيون يطردون
أبواب سواحلها ٠ ٠٠٠

ومع هذا المعرض فإننا سنحاول أن نعطي لحة تاريخية ما وسعتنا
السبيل عن عصور الحكم في عمان بما في ذلك تلك العصورظلمة ٠

الأئمة الاباضية

وأول من يواجهنا من حكام عمان عقب الحركة الاستقلالية التي بدأت
مع مطلع العصر العباسي الأئمة الاباضية ، وكان هؤلاء ينتخبون بواسطة
أهل العلم على أن يوافق الجمهور على الاختيار ، كما ذكرنا من قبل ،
ولم يكن هناك توارث ، وكان الإمام يعزل أحياناً ، والأئمة الاباضية
الأول لهم :

جلندي بن مسعود بن جيفر بن جلندي الأردي من ١٣٥ هـ
قتل بعد سنتين تقريباً من حكمه ، وكان مصرعه في حربه ضد الجيش
العباسي ٠

وهرت عقب ذلك بعمان فترة شغور وفوضى ٠

محمد بن عفان الأردي	١٤٥ هـ
الوارث بن كعب اليحمدي	١٨٥ هـ
غسان بن عبد الله	١٩٢ هـ
عبد الملك بن حميد الأردي	٢٠٨ هـ
مهنا بن جعفر اليحمدي	٢٢٦ هـ
الصلت بن مالك الأردي	٢٣٧ هـ
راشد بن نصر (أو النظر)	٢٧٣ هـ
عزآن بن تميم	٢٧٧ هـ (قبل سنة ٢٨٠ هـ)
محمد بن الحسن	٢٨٤ هـ
عزآن بن خضر	٢٨٥ هـ
عبد الله بن محمد	٢٨٦ هـ
الصلت بن القاسم	٢٨٧ هـ

- ٣١١ -

٢٨٧ هـ

محمد بن الحسن (للمرة الثانية)

٢٨٧ هـ

الحسن بن سعد^(١)

ونقف عند هذا الإمام دون أن نتبع سياسة زامباور الذي راح يسرد بعد ذلك عدداً من الأئمة دون أن يحدد تاريخاً لتعيين أكثرهم، أو يذكر نهاية حكمهم أو مدة بسبب الدخول في عصر الظلام الذي أشرنا له من قبل، والذي لم تعد تتبع فيه الحقائق.

وسنعود للحديث عن هذا العصر المظلم فيما بعد، ولكن ينبغي قبل ذلك أن نقف هنا وقفة تتحدث فيها عن أهم الأحداث التي تتصل بقائمة الأئمة الذين أوردنا ذكرهم آنفاً.

وأول ما نذكره متصلة بعهد هؤلاء الأئمة أن اختيار الإمام لم يكن يتم بالاجماع، إذ كانت هناك وجهات نظر متعددة، وهذا كان يفتح الباب من حين الآخر لخلاف قد يتسع مداه، ويكثر أن يتصدى الإمام المنتخب لمن كانوا يعارضون انتخابه، أو أن يظل هؤلاء المعارضون على موقفهم دون أن يلتفوا حول الإمام بعد انتخابه، ومن هنا جاز لنا أن نقول إن الإمام لم يكن إماماً للجميع كما تضيي بذلك تقاليد العصر الحاضر التي تجعل الرئيس رئيساً لكل، من انتخبه ومن انتخب خصمه، ويورد السالمي صوراً من الصراع الذي حصل بين إمام منتخب وبين من عارضوا انتخابه، كما يورد صوراً من الثورات التي كانت تشتعل لو سقط الإمام في صراغه مع معارضيه^(٢).

ثم إن كثيرين من الأئمة لم يكونوا محمودي المسيرة، وينسب المؤرخون لهؤلاء صفات غير طيبة، فيقولون مثلاً عن محمد بن عفان إنه أساء

(١) زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ

الإسلامي ج ١ ص ١٩١ .

(٢) تحفة الاعيان ج ١ ص ٨١ ، وانظر كذلك من ٨٣ .

المسيرة ، وبشكلٍ وغير فعّله المسلمين. حين لم يرضوا سيرته ولا مذهبها ، ويقرّون عن عزان بن تميم إنه لم تحمد سيرته ، وإن التبازع قد كثُر بين أهل الديار في عهده حتى انفض الناس عنه ، واختلفوا حول صحة إمامته ؛ ورَكَانُوا يَقُولُونَ عَنْهُ إِنْ عَقْدَتْهُ مُشْكَلَةً^(١) .

وحدثت أحداث خطيرة في عهد الصلت بن مالك ، ففي سنة ٣٥١ هـ نزل أمر عجيب في ببدب والباطنة وسمائل وصحراء ، إذ حل بهم دوى وظلمة ، ثم انسكبت الأمطار ، واقتصرتهم السبيل فهدمت المنازل وغرقت المزارع وأصبح القوم في ليلة واحدة أصواتهم خامدة ومنازلهم هامدة^(٢) .

ويذكر المؤرخون عن راشد بن النظر أن عهده كان حافلا بالظلم ، فيعرف عنه أنه جبس الكثرين من مخالفيه ، وأنزل بهم الضر وهم في سجونه ؛ وكان كلما سمع عن جماعة يخالفونه في الرأي أوقع بهم ، وقد عرَفَ عهده ما نعرفه الآن بالسحل^(٣) .

وعلى هذا يمكننا أن نقول إن الأحداث التي جرت في عهد هؤلاء الأئمة ، والخراب والدمار الذي عرفته البلاد في عهدهم ، كل هذا كان من الأسباب التي مهدت للاضطراب والفوضى في العهد التالي .

العصور المظلمة

بدأت العصور المظلمة في عمان من نهاية القرن الهجري الثالث وامتدت إلى القرن العاشر (أى من القرن العاشر الميلادي إلى القرن السادس عشر) وتلك الفترة تعد محوراً جديراً بأن ندير حوله دراسة دقيقة توضح لنا أسباب الظلام الحالك الذي أحاط بها ، ومداه ، ونتائجها ، لعلنا بذلك نملأ فراغاً تركه كثير من المؤرخين الذين كانوا يتخطون هذه

(١) تحفة الاعيان : ص ٨٤ ، ١٩٤ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٢٥ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٧٤ .

المقرون باعتبار أنها عصور مظلمة لا يُعرف تاريخها ، وفيما يلى ذرامة عن أحداث هذه العصور التي قادت إلى الظلام ، وقضت على صوت عمان وحضارته حيناً طويلاً من الزمان ٠

أولاً : لعل من أهم أسباب العصور المظلمة ، تلك الفترة السابقة التي تحدثنا عنها ، والتي خلفت دماراً أحدهته الطبيعة أو أحدهته الخلافات التي طال مدتها بعمان خلال أكثر عهود الأئمة ، ومن الواضح أن الدمار العسكري يترك أثراً على الاقتصاد ، لأن الاقتصاد لا يستطيع أن يعيش إلا في جو من الأمان والطمأنينة ، وإذا اضطرب الاقتصاد توقفت الزراعة وإنكمشت التجارة أو اختفت ؛ فإن الفرضي يتسع مدتها ، والاضطراب يتعقد أثراً ، وعلى هذا فقد كان طبيعياً أن يبدأ عصر مظلم بعد عصور الاضطراب التي أسلفنا الحديث عنها ٠

ثانياً : شهدت العقود الأخيرة في القرن الثالث صراعاً مريضاً بين المجموعتين الكبيرتين اللتين تكوّنان المجتمع العماني ، وهما النزارية واليمنية ، وقد وصل هذا الصراع قمته في موقعة « القاع » التي حدثت في شوال سنة ٢٧٨ هـ وانهزمت فيها النزارية هزيمة لم يُرَ أقبح منها كما يقول السالى^(١) وأسر منهم خلق كثير وقتل منهم في المعركة ستمائة رجل بعضهم من القادة العظام ، وقتل من اليمنية خمس وثمانون ، وقد فتحت هذه المعركة الباب لصراع طويل سنشير له فيما بعد ٠

ثالثاً : شهدت منطقة جنوب العراق ومنطقة الخليج صراعاً فكريياً مريضاً طوال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وقد بدأ ذلك بشورة الزنج (٢٥٤ - ٢٧٠ هـ) وما إن انتهت هذه الثورة بعد جهد كبير وتحسينات واسعة حتى هبّت ثورة القرامطة في نفس المنطقة ، وصاح أبو سعيد الجنابي (توفي سنة ٢٨٦ هـ) صيحته الدمرة التي استلزمت جهداً كبيراً من المبابسين لإيقاف نشاطها ، وقد اهتم الخليفة العباسي المعتصم (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) بمواجهته ، فاختار العباس العنوي أحد قادته الأشداء ،

(١) تحفة الاعيان ص ٢٠٢ ٠

— ٣١٤ —

وأمره بحرب القرامطة في البحر ^{٢٠٠٠} والهم هنا أن نشاط الزنج والقرامطة قد امتد من البحرين إلى عمان ، فأحدث في عمان مزيداً من المفوض والاضطراب ^(١)

رابعاً : قام المقصود العباسى بحركة مهمة من حركات العباسيين لاسترداد سلطانهم على عمان ، وقد ارتبطت حركة المقصود بالصراع الداخلى الذى حدث في عمان بين النزارية واليمينية ، فإن النزارية عقب هزيمتهم في موقعة (القاع) توجه بعض زعمائهم إلى الخليج وقابلوا محمد بن بور العتصى ، وطلبو منه الزحف على عمان ووعدهم بالتأييد ، وقد استأنف محمد بن بور الخليفة في ذلك فاذن له ، فسار في جيش كبير سنة ٢٨٠ وحارب عزان بن تميم وقتلته ، وهزم جنده ، ثم هب أهل عمان ضدّه في معركة شرسة كان له النصر في نهايتها ، فأوقع بأهل عمان وأذلّهم ^(٢) .

خامساً — كان من عمال المقصود على عمان محمد بن القاسم السلمي ^(٣) وقد استطاع هذا أن يكوّن له دولة ^(٤) في عمان توارثها أبناءه من بعده ، ومن ملوكهم أحمد بن الخليل (٣٠٠ هـ) وعبد الخاتم بن ابراهيم (٣٦٦ هـ) ^(٥) .

سادساً : قامت في بعض مناطق عمان أسرة حاكمة أخرى هي أسرة (بني وجيه) وقد قويت شوكتها حتى تطلع ملوكها إلى السيطرة على البصرة ضد البريدى ، ولكن هذه المحاولة قد فشلت ^(٦) وملوك بني وجيه هم كما جاء في رواية زامباور ^(٧) :

حتى سنة ٣٣٢

٣٣٣

يوسف بن وجيه
نافع (غلام يوسف)

(١) انظر السالمى ج ١ ص ٢٠٩ .

(٢) زامباور : معجم الانساب - ج ١ ص ١٩٤ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٣٠ (حوادث سنة ٤٣١) .

(٤) زامباور : المرجع السابق ص ١٩٣ .

محمد بن يوسف

حتى سنة ٣٤٠

سابعاً : في سنة ٣٦٣ هـ حدثت بعمان أحداث مؤلمة يرويها ابن الأثير^(١) يقوله : في هذه السنة استولى المظير بن محمد وزير عضد الدولة على عمان ، وكان يتولى أمرها عمر بن نبهان الطائي ، ولكن الزنوج غلبت على البلد ، وقتلوا ابن نبهان ، فأرسل عضد الدولة جيشاً كبيراً قتل ودمر ، واستطاع أن يستعيد النفوذ على البلاد بعد سيل من الدماء ، ودمار في البيوت والمزارع ، وكان أهل عمان يتبعون إماماً من أئمة الإباضية كان يقودهم في هذه المعارك ٠

ثامناً : وفي وسط هذا الصراع عرفت عمان سلطتين متعارضتين ، فكثيراً ما وجد بعمان سلطان أو ملك في منطقة ، وإمام في منطقة أخرى ، ويتحدث السالمي عن يوسف بن وجيه الذي كان قد ملك ناحية من عمان ، وكان معاصر ل الإمام سعيد بن عبد الله^(٢) ، وعن محمد بن مالك الذي كان ملكاً بعمان في عهد الإمام بن أبي العالى^(٣) ، ويتحدث السالمي عن صراع مستمر بين الأئمة والملوك ٠

ملوك آل نبهان

ظهر ملوك آل نبهان ولاة للبوبيين في عمان في القرن الهجري الرابع كما ذكرنا من قبل ، وساعت حالة عمان من جراء الأحداث التي ذكرناها آنفاً ، وأكتملت الفوضى والخراب من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) فاستبد آل نبهان بالنفوذ في أكثر ربع عمان ، ولكنه في الحق كان نفوذاً على الدمار والخراب ، فقد استبد بنو نبهان بما تبقى في البلاد من خيره وتركتوا الأهالى للضياع ، ويقول السالمي^(٤) إن الملك انتقل إلى آل نبهان وذلك لما أراد الله إنفاذ أمره في أهل عمان لأنهم افترقوا فرقتين ، وصاروا

(١) الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٢١٣ - ٢١٤ ٠

(٢) تحفة الاعيان ج ١ ص ٢٣١ ٠

(٣) المرجع السابق ص ٢٧٧ ٠

(٤) المرجع السابق ص ٢٨٦ ٠

— ٣١٦ —

طائفتين ، فنزع الله دولتهم من أيديهم ، وسلط عليهم قوهم من أنفسهم يسمونهم سوء العذاب ، وكانت دولتهم مبنية على الاستبداد بالأمر ، وقهر الناس ، ولم نجد لدولتهم تاريخا ولا ملوكهم ذكرا ٠٠٠٠

وعلى هذا فإننا نريد أن نقر أن بنى نبهان ليسوا وحدهم المسؤولين عن عصر الظلم كما يظن أكثر من كتبوا عن تاريخ عمان ، وإنما المسؤول هو العوامل المتعددة التي ذكرناها فيما سبق ، فعصر الظلم هو نتيجة طبيعية للخلافات في عهد الأئمة الأول ، وللصراع الداخلي ، ولوجود الزنج والقراطمة ، ولهجمات العباسيين ، ولولالتهم الذين كثيرا ما استقلاوا بعمان وبعدهم عن مركز الخلافة ، وكان من النتائج الطبيعية لذلك أن خربت البلاد وشملها ظلام دامس ٠

وأهم ملوك بنى نبهان هم أبو عبد الله محمد بن عمر بن نبهان وأخوه والحسين أحمد ، وأبو محمد نبهان ، وأبو عمر معمر ، ثم أبو القاسم على بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان ، وأبو الحسن ذهل ابن عمر ٠٠٠٠ وقد ذكر زامبار (١) ملوكا آخرین مثل الفلاح بن الحسن البهائی ، وعرار بن الفلاح ، والمظفر بن سليمان ، ومخزوم بن الفلاح ٠

وقد ظلت حركة بنى نبهان حتى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) حيث عاد معظم النشاط إلى الأئمة من جديد ٠

الأئمة خلال عهد آل نبهان وبعدهم

لم تقطع محاولات انتخابات الأئمة بعمان بعد الحسن بن سعيد (٢٨٧) فحتى في أطلق العصور خلال حكم آل نبهان ظهر بعض الأئمة الاباضية ، ولكن سلستهم لم تكن منتظمة ، ولم تكن تواريχهم محددة ، وأحياناً تعدد الأئمة في وقت واحد ، وأحياناً خلت البلاد من وجود الأئمة

(١) معجم الانساب ج ١ ص ١٩٤ ، وانظر كذلك تاريخ الدول الإسلامية لأحمد السعيد ج ١ ص ٢٣١ ٠

سماها ، وفي بعض الأحيان ظهرت فترات يقظة ووحدة لبعض الأئمة ، ومن الأئمة الجديرين بالذكر بعد الحسن بن سعيد ذكر :

٥ ٢٩٣	الحواري بن مطرف
٥ ٣٠٠	عمر بن محمد بن مطرف
٥ ٣٣٠	سعید بن عبد الله بن محمد بن محبوب
٥ ٣٢٨	راشد بن الوليد
٥ ٤٠٠	الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك
٥ ٤٤٥	حفص بن راشد
٥ ٤٤٥	راشد بن على
٥ ٥٤٩	موسى بن موسى

ومن الواضح أن هناك فترات خلت من الأئمة في عهد بنى نبهان ، ولكن عندما زالت دولة آل نبهان بدأ الأئمة يظهورون من جديد ، في مسلسلة متصلة تقريريا ، وقد أوردها زامباور كالتالى :

٥ ٨٣٩	أبو الحسن عبد الله بن خامن بن عامر الأزدي
عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان بن الصلت اليحمدي	
٥ ٨٥٥	
٥ ٨٩٦	عمر الشرييف
٥ ٨٩٧	أحمد بن محمد
٥ ٩٠٥	أبو الحسن بن عبد السلام
٥ ٩٠٦	محمد بن اسماعيل
٥ ٩٣٦	بركات بن محمد بن اسماعيل
٥ ٩٦٧	عبد الله بن الهنائي
٥ (١) ٩٦٨.	

وكم ان الأئمة اقتحموا على بنى نبهان حياتهم ولم يسمحوا لهم بالتفred بالسلطة ، فإن بنى نبهان اقتحموا على الأئمة الذين ظهروا بعد بنى نبهان حياتهم ، وأرادوا سلب السلطة منهم ، فقد خرج سليمان بن سليمان النبهانى على عمر بن الخطاب ، وحاربه سنة ٨٨٥ ، وتم النصر للإمام بعد جهد جهيد ، وفي سنة ٩٦٤ ظهر ملوك بنى نبهان المتأخرة في نزوى وأصبح لهم جاه وسلطان ٠

وقد نشأ عن هذا الصراع تمزق شمل البلاد وقطع أوصالها ، فقبل قيام اليعاربة كان بعمان خمسة من صغار الملوك يحكمون في الرستاق والنخل وسمائل وسمد وأبرا كما كانت بعض الحصون والمدن في قبضة عدد من رؤساء القبائل بالإضافة إلى الاستعمار الخارجى الذى بدأ يجثم على البلاد ، وسنتحدث عنه بعد قليل ٠

بقى أن نقول عن بنى نبهان كلمة تصور مظالمهم وقسواتهم على المرعية ، ويسمىهم السالى بالجبابرة دائمًا ، ويصف خردلة بن سماعة أحد ملوك بنى نبهان بقوله : إنه كان يأخذ أموال رعيته ظلما ، ويأكل أموال المساجد والمدارس والمقابر ، ويأخذ نصفة مهر المرأة من العاجل إذا تزوجت ، وإذا طلقت خاصم للجل ، وكان يأخذ نصف الحب والتمر ، ويكلف الناس العناء ، ويأخذ نصف حق المدعى ، ويختتم السالى كلامه عنه بقوله : لقد ابتليت به البلاد لتغير أهل عمان في الله ١١ ٠

ويقول المؤلف العماني سالم بن الرزيق عن بنى نبهان : لم يكن بين حكم بنى نبهان إمام أو ملك واحد يرضى عنه الرحمن الرحيم ، بل كان الأمر على العكس ، فكلهم ظالم طاغية ، مما أدى إلى سقوطهم ، فلما شاء تعالى أن ينزل رحمته على أهل عمان مما أصابهم ، ولما شاء أن يحمد جرائمهم ويشملهم بعده ورعايته ، أرسل عليهم شعاعا من نوره خلصهم ، وبدد عنهم سحب الظلم والطغيان ٠

- ٣١٩ -

عمان هدف لعدوان خارجي

أسفرت هذه الفوضى ، وهذا التمزق بعمان عن استهانة الأعداء بها ، فأصبحت هدفاً لعدوانين من الخارج ، وكان أولهما من بلاد فارس سنة ٦٧٤ هـ في عهد الملك عمر بن نبهان ، فقد هاجم أهل شيراز عمان وكانتوا عدداً من الفرسان الأشداء واستطاعوا أن يحتلوا نزوئ وأن يسلبوا أموال الناس ، وحاصروا بهلي ولكنهم لم يستطعوا فتحها فارتقوا على أعقابهم بعد احتلال دام أربعة شهور ١٠

أما الاحتلال الثاني فكان احتلالاً أوربياً قام به البرتغال في مطلع القرن السادس عشر الميلادي ، ففي القرن الخامس عشر استطاع الرحالة البرتغاليون ، أن يجدوا طريقاً إلى الهند بالدوران حول إفريقيا وبدون المرور في البحر المتوسط والبحر الأحمر كما ذكرنا من قبل ، ويعرف الطريق الجديد بطريق رأس الرجاء الصالح ، وقد اشتراك عدد من البحارة البرتغاليين في المحاولة التي أدت لهذا الكشف ، وكان النجاح النهائي على يد فسكوندي جاما الذي بدأ رحلته سنة ١٤٩٦ ١١

وبفتح هذا الطريق بدأ الاستعمار الأوروبي للشرق في العصر الحديث ، وتحولت تجارة الشرق من الطرق البرية - البحرية إلى هذا الطريق البحري المتصل ١٢

وبفتح هذا الطريق اتصل البرتغاليون بالهند وبالشرق الأقصى ، وأخذوا بينون لأنفسهم ملكاً واسعاً على يد مستعمرتين معروفتين ، وقواد ذوي خطر من أمثال (كيريو) (البوكرك) (Alfonso de Albuquerque) وأصبح المحيط الهندي والمادي تحت سلطانهم وكانت تلك البحار مقصورة على ملاхи المسلمين من عرب وفرس ١٣

(١) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المؤلف ج ٥ ص ٢١٣ .

(٢) حسين مؤنس : الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص ٤٣ .

— ٣٢٠ —

وحاول البرتغاليون أن يقيموا مراكز للتمويل والحراسة على طول الطريق ، فاتجهوا بوجه خاص إلى عمان التي كانت مركزاً تجارياماًهما ، وكانت في الوقت نفسه تصلح لحماية الخط البرتغالي إلى أبعد حد ، ومن هنا اتجه البرتغاليون إلى عمان ، فاحتلوا صور وقرىات ثم مسقط وصغار سنة ١٥٠٧ ، وكان البويرك هو قائد الجيش البرتغالي الذي أنسقط مدينة مسقط ، وسرعان ما أتجه هذا القائد إلى تدمير سفن مسقط ومبانيها ^(١) . واتجه المستعمر لإقامة القواعد والقلاع هنا وهناك لميدعم مركزه ويقوى سيطرته على تلك المنطقة الاستراتيجية ذات الموقع الملائم الممتاز ^(٢) .

واستولى البرتغاليون كذلك على بعض الموانئ بشرق إفريقيا لذكـون محطـات لسفـنـهم فـي الـذهبـابـ إلىـ الـهـندـ وـالـعـودـةـ منهاـ .

وحاول البرتغاليون الاستيلاء على الطريق البحريية البرية القديمة لتصبح جميع المنافذ التجارية في أيديهم ، فاستولوا على خليج عمان وعلى جزيرة هرمز مدخل الخليج العربي سنة ١٥٠٧ ، ودمروا مدينة عدن وعيدواً محالفة من الأحباش ضد مصر ، وكان من أساليبهم لضرب مصر أن يحاولوا تحويل مجرى النيل ، وعلى كل فقد كان صراعاً صليبياً مميراً قادته كذلك البرتغال ضد عدد من الواقع الإسلامية ^(٣) .

ولنعد للطريق الملأى الجديد لنقرر أن المماليك لم يستطعوا أن يتغلبوا على البرتغاليين وأن يعيدوا الأوريبيين إلى الطريق التقليدي القديم ، ولا استطاع ذلك السلطان سليم بعد فتح مصر ^(٤) . وكانت

(١) محمد صبيح : موافق حاسمة في تاريخ القومية العربية ص ٤٦٧ .

(٢) Stephan and Handy Ronart : Arabic Civilization p. 396.

(٣) شكب أرسلان : حاضر العالم الإسلامي ج ٤ .

(٤) انظر تفاصيل ذلك في الجزء الخامس من موسوعة التاريخ للمؤلف من ٢١٣ - ٢١٦ .

- ٣٢١ -

المشكلة بالنسبة لعمان مزدوجة ، فلم تتوقف عند ضرب الاقتصاد بل امتدت إلى احتلال الأرض ، ومن هنا أتجهت عمان لمصارعة الاستعمار الذي جثم على البلاد ، وكما يقولون إن المشكلة إذا استعصم على قوم حملت القيادة الرشيدة ، وسنتحدث فيما يلى عن القيادة التي صارت البرتغاليين وطردتهم من عمان ، وأعادت عمان إلى الاستقلال والضوء :

بني يعرب (اليعاربة)

١٠٣٤ = ١٦٢٤ - ١١٥١ = ١٧٣٨ م

قبيلة اليعاربة :

تحدر قبيلة اليعاربة من أصل أزدي ، فهي قبيلة غافرية شمالية ، وكانت هذه القبيلة قبل ظهور الزعيم ناصر بن مرشد قبيلة عادية بين قبائل عمان ، فلما سقطت البلاد ضحية التقليك والانقسام في الداخل ، والهجوم الاستعماري من الخارج ، ظهر ذلك الرجل العملاق الذي دفع قبيلته إلى القمة ، وقد بلاده إلى السلامة ، وكانما كانت البلاد تتنتظر ظهور القائد لتلتئف حوله لينقذها مما ألم بها من ضيم ، فلما ظهر ناصر ابن مرشد سرعان ما بدا فيه امتيازه ومواهبه وإخلاصه للمهمة الكبرى التي كانت تنتظره ، وكان في « الرستاق » حيث ظهر ناصر عالم تقى صالح اسمه الشيخ خميس بن سعيد ، وكان هذا الشيخ مسموع الكلمة ، فلما اجتمعت الحلبة لاختيار الإمام ، قاد هذا الشيخ المناقشات والمشاورات ، فأجمع الكل على اختيار ناصر بن مرشد اليعربى إماماً لعمان ، فبويع بالإمامية في الرستاق سنة ١٦٢٤ م وبه بدأت إمامية بني يعرب ، والأئمة اليعاربة هم :

١٠٣٤ = ١٦٢٤

ناصر بن مرشد بن سلطان بن مالك

١٠٥٩ = ١٦٤٩

سلطان بن سيف بن مالك

١٠٩١ = ١٦٨٠

بلعراب بن سلطان بن سيف

(م ٢١ - التاريخ ج ٧)

١٦٩٢ = ١١٥٤	سيف بن سلطان بن سيف
١٧١١ = ١١٢٣	سلطان بن سيف بن سلطان
١٧١٨ = ١١٣١	سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان
١٧١٨ = ١١٣١	مهنا بن سلطان بن سيف
١٧٢١ = ١١٣٤	يعرب بن بلعرب
١٧٢٢ = ١١٣٥	سيف بن سلطان (للمرة الثانية)
١٧٢٤ = ١١٣٧	محمد بن ناصر بن غافر
١٧٢٧ = ١١٤٠	سيف بن سلطان (للمرة الثالثة)
١٧٣٨ = ١١٥١	سلطان بن مرشد
الى سنة ١١٥٤ = ١٧٤١ (١)	

ويلاحظ على هذه القائمة أنها حضرت السلطة في أسرة اليعاربة مع أن الفكر الإباضي لا يرى التوارث في المساطحة ، ولكن يلاحظ أن الأئمة الأوائل من اليعاربة كانوا قمماً قيادية ، وكانت البلاد محتاجة لهم لطرد المستعمر ، وإعادة الوحدة ، فكانت بيعتهم الواحد بعد الآخر طبيعية . ثم أصبح التوارث عادةً بعد ذلك في هذه الأئمة ، وفي أسرة البوسعيدية ، مما جعل هذا النظام شديد الشبه بالملك والسلطان ، ولهذا حاولت الإمامة أن تقوم من جديد مستقلةً عن « السلطان » ولكن هذه المحاولة كانت قصيرة العمر كما سُنِّي فيما بعد .

وستتكلّم فيما يلى كلمة عن أشهر الأئمة اليعاربة .

الإمام ناصر بن مرشد

كانت بيعة الإمام ناصر بن مرشد عودةً للتفكير الإباضي المتأصل في عمان ، والذي غالبًا بين طيات الأحداث ، وقد وجد ناصر أن أمامه مشكلات كبرى ليعيد البلاد إلى الوحدة ، حتى يستطيع أن يواجه الغزاة

(١) زامباور : معجم الانساب والأسرات الحاكمة ج ١ ص ١٩٤ - ١٩٥ .

الأوربيين ، ومن أبرز هذه المشكّلات الملوك الصغار الذين كان كلّ منهم يحكم في منطقة من مناطق عمان ، ومن أبرزهم خمسة كانوا يحكّمون في الرستاق والنخل وسمائل وسمد وأبرا ، كما كانت بعض الحصون والمدن في قبضة عدد من رؤساء القبائل ، أما البرتغاليون فكانوا يحتلّون مسقط وغيرها من المناطق الساحلية كما ذكرنا من قبل ، كما كانوا يحتلّون جزيرة هرمز حتى سنة ١٧٣٢ م ، وكانوا كذلك يمدون نفوذهم على ساحل إفريقيا الشرقي الذي تربّطه بعمان روابط عميقه منذ زمان بعيد ، إذ يرى التاريخ أن حكام عمان الذين فروا من الزحف الأموي اتخذوا من الشرق الإفرنجي موطنًا لهم ، وكان ذلك أساساً لصلات القربي بين هذين الموقعين ٠

وخطا ناصر خطوطه الأولى نحو توحيد البلاد تحت قيادة واحدة والقضاء على حكم المناطق ، فاستجابت له البلاد ، والتفتت تحت لوائه ، وتجمعت عمان تحت قيادة واحدة بعد فرقة امتدت أكثر من سبعة قرون ، واتجه ناصر عقب ذلك لمصارعة البرتغاليين الذين عاثوا بالبلاد ظلماً ، ونهبوا خيراتها أكثر من مائة عام ٠

ولقد كان ناصر بن مرشد بطلاً عظيماً بلا شك ، ولكن كانت هناك ظروف مهمة ساعدته على تحقيق أمله ، وأيدت خطواته ، ومن هذه الظروف أن البرتغال سقطت تحت سلطان أسبانيا فيما بين سنّتي ١٥٨٠ و ١٦٤٠ وقد أيدت أسبانيا الاستعمار البرتغالي في الشرق ، ولكن حماسة البرتغاليين تحت الحكم الأسباني ضعفت ، واهترت يدها ، مما هيأ للحركات التحررية في المناطق المستعمرة أن تنجح ٠

ومن هذه الظروف كذلك أن الاستعمار البرتغالي لم يبق وحده دون منافس في مناطق الشرق ، ولم يبق الطريق الجديد وقفاً على مكتشفيه ، فسرعان ما ظهرت عناصر استعمارية أخرى تافست البرتغال ، وهي هولندا وبريطانيا ، فإن هولندا بعد أن تطلّقت من حكم أسبانيا سنة ١٥٨٨ شجّعها هذا الانتصار على خوض المجالات السياسية والاقتصادية الشائكة ،

— ٣٢٤ —

فوجئت نشاطها التجارى نحو الشرق ، وأسست الشركة الهندية — الهولندية
في عام ١٦٠٢ .

وأتجهت بريطانيا بحماس تجاه الشرق كذلك فأسست شركة الهند
الشرقية الإنجليزية ، وقام صراع طويل بين هذه الدول الاستعمارية
بعضها مع بعض في مناطق الشرق كان نتيجته إضعاف جبهة البرتغال^(١) .

جزيرة هرمز وأثرها في إضعاف البرتغال :

ومن الظروف التي أضعفـت البرتغال ضياع جزيرة هرمز من يد
البرتغالـيين ، مما نقل زمام القوة في هذه المنطقة من البرتغالـيين إلى أيدي
أعدائهم ، وجزيرة هرمز تحتاج إلى مزيد من الإيضاح والدراسة يتحتم
أن نقوم به ، فقد كانت هذه الجزيرة تتـخذ من موقعها في مدخل الخليج مركزاً
خطيراً لها ، وهي بذلك تحـتل موقعاً استراتيجياً مهماً للغاية .

هل كانت هرمز تابعة لـلفرس وجـزءاً من بلاد فـارس ؟ .

يـتجـهـ الكتابـ الإـيرـانـيـونـ المـعاـصـرـونـ إـلـىـ الإـجـابـةـ عنـ هـذـاـ السـؤـالـ
بـالـإـيجـابـ (٢)ـ وـلـعـلـ الـاتـجـاهـ الـقـومـيـ وـالـمـوـرـضـ الـمـعاـصـرـ الـآنـ هـمـاـ مـنـ الـأـسـبـابـ
الـتـىـ دـفـعـتـ الـمـؤـرـخـينـ الـفـرـسـ لـهـذـاـ الرـأـىـ ،ـ وـيـتـابـعـهـمـ فـيـ هـذـاـ

Stephan and Handy Ponart

الـذـىـ يـقـولـ إـنـ الـبـوـكـرـ عـقـدـ مـعـ الشـاهـ إـسـمـاعـيلـ اـمـبـاطـورـ فـارـسـ
مـعـاهـدـةـ لـتـصـبـحـ لـهـ مـكـانـةـ خـاصـةـ فـيـ جـزـيـةـ هـرـمزـ الـتـىـ كـانـتـ تـابـعـةـ
لـلـفـرـسـ (٣)ـ .

وهـنـاكـ نـظـرـةـ تـارـيـخـيـةـ أـخـرـىـ (٤)ـ تـرىـ أـنـ هـرـمزـ لـمـ تـكـنـ دـوـلـةـ
عـرـبـيـةـ أـوـ فـارـسـيـةـ ؟ـ بـلـ كـانـتـ دـوـلـةـ إـسـلـامـيـةـ تـضـمـ مـخـلـفـ الـجـنـسيـيـاتـ الـإـسـلـامـيـةـ

(١) لوريمر : دليل الخليج ج ١ ص ١٦ (الترجمة العربية) .

(٢) آدميات : البحرين ص ١٤ .

(٣) Encyclopaedia of Arabic Civilization p. 190.

(٤) دكتور صالح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي

التي تسكن دول الخليج من عرب وفرس وهنود وغيرهم ، ولم تتخذ طابعاً قومياً ، وإنما كان طابعها محلياً ، ونشاطها تجارية ، فقد حققت كثيراً من المثراء لسكانها ، واستلزم وضعها أن تبسط سلطانها السياسي على أجزاء متراصة من شواطئ الخليج وجزره ، فشملت بعض سواحل عمان وجزر البحرين وجاءها كثيراً من الساحل الشرقي ، ويستدل هذا الرأي على أن هذه الدولة لم تكن جزءاً من الفرس لأن الدولة الصفوية الفارسية لم تساعدهم عندما احتلها البرتغاليون ، وتركتها مدى طويلاً تحت نير الاحتلال .

وعلى كل حال فقد تعاون الإنجليز والفرس ضد البرتغاليين ، وقدمنا عمان للقوى المناضلة للبرتغال عوناً كبيراً أسفراً عن تحرر هرمز سنة ١٦٢٢ وأصبحت هذه الجزيرة تابعة للفرس .

ومن الظروف التي ساعدت ناصر في نضاله ضد البرتغاليين الاتجاه الديني ، فقد ظهر التحصّب الصليبي في تصرفات البرتغاليين ، وهذا دفع المسلمين للتجمع والحماسة فيما يمكن أن نسميه « الجهاد » ضد هذا الزحف الصليبي .

ومن هذه الظروف كذلك سوء معاملة البرتغاليين لكل المناطق التي نزلوا بها ، فقد اتسمت أساليبهم في الحكم بالاستبداد والجور .

وقد انتهز ناصر هذه الظروف فأعلن — بعد توحيده للبلاد — الحرب لاستقلال بلاده ، ولما كانت أجزاء كبيرة من عمان تابعة لهرمز وبالتالي للبرتغاليين ، فإن هزيمة البرتغاليين في هرمز دفعت الإمام ناصر أن يعلن استقلال هذه الأجزاء ، وأن يطرد البرتغاليين منها ، ومن أهمها « صحار » وخاصة ناصر حرباً ضد الفرس الذين حاولوا أن يرثوا البرتغاليين في سيطرتهم على البلاد فنجح في تخليص جفار « رأس الخيمة » منهم (١) .

(١) Badger : History of the Imams and Sayyids of Oman : The Introduction.

- ٣٧٦ -

وأتجه ناصر بعد ذلك لمواجهة البرتغاليين في مراكزهم الرئيسية بعمان أى في مسقط ومطرح ، وقد حاصرهم ناصر حصاراً طويلاً ، ولكن الحامية البرتغالية التي كانت متصلة بالبحر استطاعت أن تصمد لهذا الحصار ، فاضطر الإمام أن يعقد صلحاً يحقق له بعض الأهداف ، فعقد صلحاً التزم فيه البرتغاليين بدفع الجزية لعمان ، وألا يعترضوا نشاطهم التجاري ، وأن يكفوا عن الاتيان بأية حركة عدائية ضد عرب عمان ، وأن يهدمو التحصينات التي أقاموها في سهد وقريات^(١) .

وقد كسر هذا الصلاح قوة البرتغاليين وأذلهم ، وترك ناصر لخليفته وابن عمه أن يجهز على هؤلاء الأعداء كما سترى .

سلطان بن سيف

بويع سلطان بن سيف سلطاناً على عمان عقب وفاة البطل ناصر ، وكان سلطان عوناً لابن عمه في أثناء حكمه ، ومن هنا كانت بيته دفعه لاستمرار النضال الذي بدأه ناصر ، ومن الواضح أن البيعة لسلطان استمرار لل الفكر الإباضي الذي لا يمنع اختيار إمامين أو أكثر من أسرة واحدة ما دام ذلك هو رأي أهل الحل والعقد ، وكان سلطان جديراً بالثقة التي ارتبطت به .

وأستمر أولاً للجهود التي بدأها ناصر استطاع سلطان أن يستعيد من البرتغاليين كل ما كان قد تبقى بأيديهم من عمان ، فطردهم سنة ١٦٥٨ من مسقط ومطرح .

ولم يكتف سلطان بذلك بل راح يتبعهم في المراكز الأخرى التي أنشئواها في شرق آفریقيا أو في الهند ، ففي آفریقيا استطاع تخلص جزيرتي بمنجا وزنجبار ، ثم اتجه لحصار همبستة مناء على استغاثة أهلها .

(١) السالمي : تحفة الاعيان ج ٢ ص ١١ .

— ٣٧ —

وتقى سلطان بن سيف رسالة سرية من أهل الصومال يشرحون فيها ما يعانونه من استعمار البرتغاليين المسيحيين ، فأرسل لهم جيشا كبيرا يقوده بطل اسمه الأمير سالم الصارمي ، وقد حقق هذا الجيش كثيرا من الانتصارات ضد البرتغاليين ، وطردهم من الصومال ، ولم يكن سلطان عمان مطامعا في الصومال فغادرتها جيوشه عقب النصر بعد أن أسلمت الزمام للأهالي ، وهناك مخطوطة صومالية تصور النصر الذي أحرزه القائد العماني كما تصور فرح الصوماليين بالاستقلال ^(١) .

وفي الهند وصل أسطول سلطان إلى ساحل كوجرات بالهند والجناح عساكره (ديو) و (دامان) ووقفت بغنائم وافرة .

وكان سلطان بالإضافة إلى قدراته العسكرية رجل تعمر ، فقد وجه همه إلى ترويج التجارة وعمارة الأسواق ، كما كان حسن السيرة في الرعية ، واتجه كذلك إلى تجديد القلاع وال حصون وجلب الأسلحة حتى يحافظ على استقلال البلاد ومكانتها ^(٢) .

سيف بن سلطان

رأينا سلطان بن سيف يقضى نهائيا على الوجود البرتغالي في عمان ، ويحقق نصرا ضد البرتغال في المراكز التي أقاموها في الهند وفي شرق إفريقيا ، وكانت عمان قوة واحدة خلال هذا الصراع فلما صفا الجو ، وتحقق النصر دب الخلاف وأطلت الأطماع ، ولذلك ما ان توفي سلطان ابن سيف حتى تطلع أبناؤه بلغوب وسيف إلى السلطة ، وكان بلغوب أكبر سنا فأخذ مكانة أبيه باسم السابق في السن ، ولم يكن ذلك وحده كافيا ، ومن هنا ثار عليه أخيه سيف ، وقام صراع داخلي طويلا حسمه موت بلغوب خلا الجو لسيف بن سلطان ^(٣) .

(١) اقرأ بعض ما جاء فيها في الجزء السادس من هذه الموسوعة ص ٦٥٧ .

(٢) سعيد باوزير : معالم تاريخ الجزيرة العربية تص ١٦٩ .

— ٣٦٨ —

وهذه الحادثة تكررت في التاريخ العربي في مختلف العصور فـإن العرب تجتمع كلمتهم عند الشدائـد ، فإذا حققوا نصراً بسبب وحدتهم أسرعوا إلى الفرقة والخلاف ، وكان جديراً بهم أن يجنوا ثمار تعاونهم في تعاطف وابتهاج ، ولم ينزل الأعداء من العرب أكثر مما نالوا هم من أنفسهم .

جهود سيف الموقفة :

وكان سيف من أبرز القادة والأئمة في تاريخ اليعاربة وقد وجه عنایته للقضاء على البرتغاليين في شرقى أفريقيا ، فاستعاد الجزر التي كان البرتغاليون قد استردوها إبان فترة الخلاف الداخلى ، وخطا خطوطه الخامسة حينما استولى سنة ١٦٩٨ على ممبسة التي كانت تعد عاصمة المستعمرات البرتغالية بشرقى أفريقيا ، والتي عز الاستيلاء عليها على من سبقه ، وقد استلزم الاستيلاء عليها حصاراً دام ثلاثة وثلاثين شهراً بسبب حسنها المنبع ، ولكن قوة العmanyin كانت أعظم من مناعته ، وقد وضع سقوط ممبسة نهاية لتفوق البرتغاليين في شرقى أفريقيا ^(١) وكان أساساً لأنهيار آمالهم في تلك المناطق .

واهتم سيف بالأسطول اهتماماً كبيراً ، فقد كان الأسطول أهم وسائل الدفاع عن البلاد ، وأهم وسائل الهجوم على أعدائها ، وقع بلغ عدد سفن الأسطول ثمانية وعشرين سفينة كبيرة ، يحمل بعضها ثمانين مدفعاً ^(٢) مما يدل على تقدم عمان في فن الملاحة ، وعلى القدرة في تصميم السفن ، وهو فن كان آنذاك جديداً .

وقد استطاع سيف بهذا الأسطول أن يحتل بعض الجزر القريبة من بومبى بالهند ، وأن يطرد البرتغاليين منها ، ومن بعض المدن التي كانت تحت سيطرتهم .

(١) Caupland : East Africa and its invaders pp. 67-77

(٢) المسالى : تحفة الاعيان ج ٢ ص ٨٩

- ٣٢٩ -

وكان سيف كأبيه محباً للعمارة يصفه الأستاذ سعيد باوزر^(١) بأنه كان بصيراً بالإصلاح : شديد الاهتمام بمرافق البلاد ومصالحها ، ابتكر حفر القنوات تحت الأرض ليجلب الماء من الأعماق ، مما سبب تطور الزراعة ، واعتنى بغرس النخيل حتى أصبح محصولاً يدر على الأهالي كثيراً من الثراء .

سلطان بن سيف (الثاني)

تولى سلطان بعد أبيه ويعتبر آخر الأئمة العظاماء . وقد استطاع أن ينزع البحرين من أيدي الفرس الذين كانوا قد استولوا عليهما سنة ١٦٢٢ عند طرد البرتغاليين من هرمز .

بعد سلطان

لم يعمر سلطان بن سيف (الثاني) طويلاً ، وتفسرت بهذه الخلافات ، وكثير الطامعون في الحكم من أفراد الأسرة ومن خارجها وظهر الصراع القبلي بين العدنانيين والقططانيين ، وازداد هذا الصراع حدة عندما طعنتم بالنزاع الطائفي فأصبح النزاريون من أتباع الذهب السنى ، واعتنق اليمنيون الذهب الإباضي ، وكان ذلك يمثل زيفاً جديداً يضاف ليفسدة الذهب .

وسقط كثير من القادة والجندي في المعارك ، وأعمى الدم والحقن العيون والقلوب ، فلجاً أحد المتناقضين (سيف بن سلطان بن سيف) سنة ١٧٣٧ إلى نادر شاه ملك الفرس يطلب عونه ، وكان هذا شديد الطموح ، فاستجاب لهذا النداء ، وزحف بجيشه إلى عمان ، ولكن سرعان ما اتضح أن ملك الفرس يعمل لحسابه لا لحساب الذي استتجده به ؛ ولذلك ندم سيف على تصرفه ، وعقد صلحًا مع نفسه ، واستعاد العمانيون أكثر بلادهم من الفرس ، ولكن منافساً جديداً اسمه (سلطان

(١) معلم تاريخ الجزيرة العربية ص ١٧٠ .

ابن مرشد) ظهر في الجو ونجح في الاستيلاء على أكثر عمان . فعاد سيف يطلب عون الفرس مرة أخرى ، واستجواب الفرس كذلك ٠٠ ولكن سيف الذي تواى الإمامة ثلاث مرات لم يعمر بعد ذلك ، ومات تاركاً البلاد غارقة في بحار من الدم والخلافات ، وتاركاً الفرس يحتلوا بعض المناطق ومنذما هستط أعظم ميناء بعمان ، وقد هيأ ذلك الجو لظهور أسرة مالكة جديدة تعمل لاستعادة الاستقلال والأمن للبلاد ، ويستكثرون هذه الأسرة موضع حديثنا بعد قليل ٠

من آثار اليعاربة

أنشأ اليعاربة جيشاً جراراً ضم حوالي ٩٠٠٠ مقاتل ، وأسطولاً ضخماً باخ غالية مجده في عهد سيف بن سلطان كما أشرنا من قبل ، وشيدوا القلاع والمحصون في كثير من المناطق الاستراتيجية ، واهتموا اهتماماً بالغاً ببناء البلاد وتعديراًها بعد ما أحدهـ البرتغاليـون بها من إهمال ، وبعد التدمير الذي أصابـ البلادـ فيـ فتراتـ المـ صـ رـاعـ ضدـ هـذـاـ المـعدـوـ ، واهتمـ الـيعـارـبـةـ بالـزـرـاعـةـ فأـحـيـواـ الـبـرـارـىـ وـالـقـفـارـ وـغـرـسـواـ عـشـراتـ الآـلـوـفـ منـ الآـشـجـارـ المـثـمـرـةـ ، وـشـقـواـ الـأـفـلـاجـ (ـمـجـارـيـ المـيـاهـ)ـ وـحـقـقـواـ منـجزـاتـ مـعـمـاريـةـ رـائـعةـ فـيـ الـفنـ الـهـنـدـسـيـ فـيـ نـزوـيـ وجـبـرـينـ ، وـبـسـطـواـ أـيـدىـ الـعـلـمـ فـيـ كـلـ نـاحـيـةـ ، وـأـقـامـواـ فـيـ قـصـرـ جـبـرـينـ مـدـرـسـةـ فـتـحـتـ أـبـوـابـهاـ لـطـلـابـ الـعـلـمـ مـنـ عـمـانـ وـمـنـ سـواـهـاـ مـنـ الـأـقـطـارـ ، وـأـشـاعـواـ مـنـاخـاتـ مـنـ الـاسـتـقـارـ وـالـأـمـنـ أـسـهـمـتـ فـيـ إـشـاعـةـ الرـخـاءـ وـالتـقـدـمـ وـالـازـدـهـارـ فـيـ جـمـيعـ مـرـافقـ الـحـيـاةـ (١)ـ

(١) سالم بن حمود بن شاميـس : العنوان في تاريخ عمان (مقططفات) .

- ٣٣١ -

آل بو سعيد

١١٥٤ = ١٧٤١ م حتى الآن

قبيلة آل بو سعيد :

قبيلة آل بو سعيد قبيلة هناوية جنوبية هاجرت من اليمن إلى عمان منذ عهد بعيد ، وكان اهتمامها محصورا في التجارة ، ولم يكن لها شأن سياسي ينبيء عن أنها ستتصبح من أكثر القبائل شهرة في مجال السياسة ، سواء في الجزيرة العربية أو في العالم الخارجي بوجه عام (١) .

المستشار أحمد بن سعيد :

شهدت السنوات الأخيرة من حكم العياربة اضطراباً واسع المدى في عمان كما ذكرنا من قبل ، وقد شمل هذا الاضطراب صوراً من التفكك الداخلي وصوراً من تدخل الفرس العسكري في شئون البلاد ، وقد كانت الأمور حول سيف بن سلطان الذي تولى الإمامة ثلاث مرات حافلة بالأكاذار والدسائس من الداخل والخارج ، فأحس بحاجته إلى مستشار يلجاً لرأيه إذا اشتد الأمر ، فذكر له أحمد بن سعيد ، وقد كان شخصية لامعة له حول واسع في شئون التجارة والاقتصاد ، وهو فرع من قبيلة عادية ، فعينه مستشاراً له ، وعهد إليه بإدارة ميناء صحار ذي الأهمية الكبرى ، وببدأ أحمد بن سعيد بذلك خطواته نحو المجد .

وسار أحمد في إدارة الميناء بيقظة بالغة وحزم قوى ، وكانت البلاد من حوله تتوج بالفتنة ، وتقى تحت ثقل الاحتلال الفارسي ، وتجاهد الخلاص منه ، وفي نفس الوقت بُرِزَ شخص جديد أدعى الإمامة ، وحاول أن ينزعها من سيف بن سلطان ، ذلك هو سلطان بن مرشد ،

(١) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي : من مطبوعات شركة الزيت العربية الأمريكية ص ١٧٤ .

— ٣٣٢ —

وقد حقق هذا الوانا من النجاح دفعت خصميه سيف بن سلطان أن يفاوض الفرس لمساعدته على أن يترك لهم صغار ، واستجاب الفرس كعادتهم لهذه الدعوة وأرسلوا جيشاً كبيراً غزا البلاد ، واستولى على أكثر مناطقها وظهر أنهم لا يعملون لحساب سيف وإنما لحسابهم هم كما ذكرنا آنفاً ، وفي هذه الأثناء مات المتنزاعان ، مات سيف حزيناً كاسف البال ، ومات سلطان بن مرشد نتيجة جراح ألت به في صراعه ضد الفرس ، ولم يبق إلا شخص واحد ، كان اسمه يلمع دون أن تمسه المثاب ، ذلك هو أحمد ابن سعيد حاكم صغار مستشار السلطان المراحل .

أحمد بن سعيد ينتزع عمان :

في هذه الفترة نشط أحمد ليدافع عن بلاده ، وليعيد لها الوحدة والاستقلال ، وقد استطاع أن يحقق خطوات ثابتة في هذا المجال ، فقد سار من صغار التي حافظ على استقلالها حتى حاصر مسقط ، وهنا لعب الذكاء دوره أو لعبت الحظوظ دورها ، فإن مستشاري شاه إيران كانوا قد نصوه ألا يستمر في المصراع مع العثمانيين ، وأن يسلم مسقط إلى رجل من المغاربة متعاون مع الفرس اسمه ماجد ، وهو بذلك يضمن استمرار المصراع الداخلي بين الطامعين في الحكم ، وبالتالي يجني لنفسه ثماراً طيبة بدهن جهد كبير ، واستجاب الشاه لهذه النصيحة وأصدر أمره إلى الحامية المغاربية بمسقط أن تسلم المدينة إلى ماجد بن سلطان ، بيد أن هذا الأمر وقع بطريق المصادفة في يد أحمد بن سعيد الذي أرسل مندوبيه إلى الحامية المغاربية متظاهرين أنهم يمثلون ماجد بن سلطان ، وتسليموا منهم المدينة بناء على ذلك ، ولم يدعَ أحمد بن سعيد سفن الفرس تبحر إلى الموانئ المغاربية ، بل تصدى لها وأغرقتها واستسلم له أكثر من كانوا بها .

ويرى كذلك أنه دبر وليمة دعا إليها الإيرانيين وفَ أثناء الوليمة دفع بعض رجاله فهاجموا الإيرانيين وذبحوهم ، وانتهى بذلك أمر الفرس ببلاد عمان^(١) وأصبح أحمد بن سعيد سيد الأمر كله بالبلاد ، وسارع أحمد فعقد

(١) سعيد باوزير : معالم تاريخ الجزيرة العربية ص ٧١ - ١٧٢ .

اجتماعاً من الرؤساء وشيوخ القبائل لاختيار إمام للبلاد ، وكان من الطبيعي أن اقتصر اسمه ؛ لأنه الذي خلص البلاد من استبداد الفرس ، وبابيعه الحاضرون بالإمامية (١) .

ومنى أن لقب الإمام لم يطل بقاوه في بيته ، وأن أكثر قادة هذه الأسرة قنعوا بلقب « السيد » ويعيد بعض المفكرين ذلك إلى أن البيعة التي تمت لأحمد بن سعيد لم تكن على النمط الذي تعوده الإباضيون ، ومن الذين يرون هذا الرأي السالمي في كتابه « تحفة الأعيان » الذي يقول : إن عقد البيعة لأحمد جاء بعد فتنة ، وتغلب على الأمر ، ولم تتوافر فيه الشروط المطلوبة لإماماة إباضية صحيحة (٢) .

ولكنا نرى رأياً يخالف السالمي لأن اليعاربة بوعيوا في ظروف معاشرة ، ولم يعرض السالمي على البيعة لإمامهم الأول ، ثم إن السالمي مشكوك في رأيه هنا ، لأنه لم يكن له ولاء لهذه الأسرة ، وقد اشتراك في إعلان إماماة الخروصي كما منى فيما بعد ، فكان رأيه ضد إمامرة أحمد بن سعيد متأثراً بميول شخصية .

وسلطان أسرة آل بو سعيد بعمان هم :

١٧٤١ = ١١٥٤	أحمد بن سعيد
١٧٧٤ = ١١٨٨	سعيد بن أحمد
١٧٧٩ = ١١٩٣	حامد بن سعيد
١٧٩٢ = ١٢٠٦	سلطان بن أحمد
١٨٠٤ = ١٢١٩	سالم بن سلطان وسعيد بن سلطان
١٨٥٦ = ١٢٧٣	شويني بن سعيد

J. B. Kelly : Easter Arabian Frontiers p. 53.

(١)

(٢) تحفة الأعيان ج ٢ ص ١٦٣ .

١٨٦٦	=	١٢٨٣	سالم بن شويني
١٨٦٨	=	١٢٨٥	عزان بن قيس
١٨٧٠	=	١٢٨٧	تركى بن سعيد
١٨٨٧	=	١٣٠٥	فيصل بن تركى
١٩١٣	=	١٣٣٣	تيمور بن فيصل
١٩٣٢	=	١٣٥١	سعيد بن تيمور
١٩٧٠	=	١٣٩٠	قابوس، بن سعيد

وقد أشرنا من قبل إلى الجهود الكبيرة التي بذلها أحمد بن سعيد لينتظم شأن عمان ، وليرسم أسرة مالكة جديدة في تلك البقاع ، وقد استحق أحمد مجده أن يصبح إماماً لعمان ، وأن تجتمع حوله الرأيات .

بيد أن هذه البلاد كانت كما ذكرنا من قبل تجتمع كلمتها عندما تعصف بها الشدائـد ، فإذا هب عليها ريح الرخاء عادت للتمزق والفرقة . وكانت فكرة الإمامة والاختيار لها ، من الأسباب التي تثير الخلاف ، فلم يكن القوم يحترمون رأى الأغلبية في ذلك الوقت ، وطبعـى أنه من الصعب أن يجتمع كل السكان في أوقات السلم على رجل واحد ، ومن هنا كانت قضية الانتخاب تخلق دائمـا الفرصة لـتعدد الولـاة ، والذى يقرأ تاريخـ آل بو سعيد ترـعـجه هذه الخلافـات التي لم تهدـأ على الإطلاق إلا عندما أصبحـت السلطة بالوراثـة في آخرـيات الدولة ابتداء من عـهد تركـي بن سعيد ، ومن هنا يـحق لنا أن نقول : إنـ النظام الـانتخابـي يـحتاج إلى احـترام رأـيـ الأـغلـبية ، وهذا يـحتاج إلى عـقلـية مـتطـورة لمـ تـعرـفـهاـ الـبلـادـ خـلالـ حـكمـ آـلـ بوـ سـعـيدـ ، ولاـ حـكمـ منـ سـبقـوـهـمـ ، فقدـ رـأـيـناـ أنـ كـلـ جـمـاعـةـ كـانـتـ تعـينـ إـمامـاـ أوـ مـلـكاـ ، وـمـنـ هـنـاـ كـانـتـ الـبـلـادـ تـحـكـمـهـاـ الـانـقـسـامـاتـ وـالـخـلـامـاتـ الـعـمـيقـةـ ، وـسـنـرـسـمـ فـيـمـاـ يـلـىـ شـجـرـةـ الـأـسـرـةـ الـبـوـ سـعـيـدـيـةـ ، وـنـبـيـنـ عـلـيـهاـ أـبـرـزـ الـحـرـكـاتـ الـثـورـيـةـ وـالـانـفـصـالـيـةـ التـيـ ظـهـرـتـ بـعـدـ عـمـانـ ، وـالتـيـ وـجـدـتـ بـيـنـ الـابـنـ وـأـبـيـهـ ، وـالـاخـ وـأـخـيـهـ ، وـلـنـاـ بـعـدـ ذـلـكـ تـعلـيقـ أـوـسـعـ مـدىـ عـلـىـ أـبـرـزـ الـأـحـدـاثـ التـيـ وـقـعـتـ خـلـالـ هـذـهـ الـأـسـرـةـ :

- ٣٣٥ -

١ - احمد بن سعيد (مؤسس الأسرة)

١٧٤١ - ١٧٧٤ | ١١٨٨ - ١١٥٤

٤ - سلطان بن احمد

ثائر على أبيه احمد

اتخذ الرستاق عاصمة له

اتخذ مسقط عاصمة له بعد وفاة حامد

وقنع بالامامة بها حتى مات

استبد ابناه سالم وسعيد بالسلطنة في

حياته

٢ - سعيد بن احمد

ثائر على أبيه احمد

قتل قبل وفاة أخيه سعيد

وبعد وفاته ووفاة أخيه سعيد آل الأمر

لابنه :

٣ - حامد بن سعيد

ثائر على أبيه سعيد ، احتل

مسقط ثم مات قبل أبيه

٤ - سعيد بن سلطان

٦ - ثوييني في عمان

في سطرب الدولة

٧ - سالم : اتهم بالتمر ضد أبيه وقتله يافريقيا

٨ - عزان بن قيس : اختير اماما ، ثم زحف وأخذ السلطة
من السلاطين

٩ - تركى بن سعيد : ثار على سالم بن ثوييني
هزمه وأبعد للهند ثم عاد في عهد عزان وطرده ، واستولى على السلطة

١٠ - فيصل : هو الذى وقع معاهدة الحماية مع انجلترا سنة ١٨٩١

١١ - تيمور : تنازل عن السلطة لخلافاته مع الانجليز الذين زاد تدخلهم
في الشئون ولم يساعدوه ضد المركبات الانفصالية بالبلاد

١٢ - سعيد : عهد به جمود وتخلف - عزله ابنه قابوس من السلطة
واحتل مكانه

١٣ - قابوس : هذا السلطان نافذة خير بلاد عمان - ههد استقرار وتطور

الانقسامات والتفكك :

أشرنا في شجرة الأسرة التي أوردناها آنفاً إلى ألوان من الانقسامات والتفكك التي انتابت هذه الأسرة ، ولكن هذا الأمر يحتاج إلى مزيد من الدراسة ، فقد بدأت هذه الانقسامات في عهد أحمد نفسه ، فإن ثورات اليعاربة ظلت شوكة في ظوره حتى اضطر أن يترك لهم بعض جوانب النفوذ ، وأن يدع تحت سيطرتهم قلعتين هما قلعتنا نخل والحرزم ، كما ظل أفراد من أسرة اليعاربة ينعمون بسلطات محلية اقطاعية ، وكان لهم في ممتلكاتهم بالجبل الأخضر سيطرة ونفوذ ^(١) .

وبجانب الثورات التي هبت في وجه أحمد من خارج أسرته هناك ثورات هبت ضدّه من أولاده ، ومن أهمّها ثورة ابنيه سعيد وسلطان اللذين تمردا على أبيهما ، ولم يقنعوا بما أعدّ لهما أبوهما من سطوة وسيادة .

ويبدو أن ثورة سعيد وسلطان ضد أبيهما كانت فاتحة صراع طويل من هذا اللون ، وكانت نموذجاً اتبّعه كثير من أفراد هذه الأسرة ، فعندما تولى سعيد بن أحمد السلطة بعد أبيه ثار عليه ابنه حامد ، وانفذ مسقط عاصمة له ، وعجز أبوه عن إخضاعه ، ولم يرجع الأمر لأبيه في عاصمته بالرستاق إلا بعد موت حامد نفسه ، على أن موت حامد أبرزَ شخصية أخرى في مدينة مسقط ، تلك هي شخصية سلطان بن أحمد الذي ثار على أبيه من قبل ، ثم ثار على أخيه سعيد بعد موت ابن أخيه حامد ، واستولى على مسقط ، وظل « سلطان » صاحب السلطة في مسقط من سنة ١٧٩١ حتى قُتل في نوفمبر سنة ١٨٠٤ عندما كان عائداً من البصرة بواسطة البحر ، ومات بعده الإمام سعيد ، وبعد مناوشات آل الأمر إلى ابنه سعيد ابن سلطان سنة ١٨٠٦ الذي اتّخذ زنجبار عاصمة له من سنة ١٨٣٢ والذي تخلّى إلى حد كبير عن المناطق الداخلية بسلطنته عمان مقتنعاً بالساحل .

وبعد وفاة سعيد بن سلطان سنة ١٨٥٦ انقسمت الدولة قسمين بين ولديه ماجد وثوييني ، واستقر ماجد في زنجبار ، واستقل ثوييني بعمان ، على أن يدفع ماجد جزية أخيه ولكنه سرعان ما قطع هذه الجزية ٠

وثار تركى بن سعيد على أخيه ثوييني ولكنه هزم في هذه الثورة وأبعد إلى الهند ، وثار كذلك سالم بن ثوييني على أبيه ، واتهم بقتله ، وتردد الناس في البيعة له مع وجود هذا الاتهام ، ولكن الانجليز أيدوه ذاكرين أن التهمة لم تثبت عليه ٠

وقفز شخص طموح آخر من الأسرة اسمه عزان بن قيس ليغتصب الملك من سالم بن ثوييني ، فاغتصب مسقط من سالم الذي فر من وجهه ، فعاد تركى من منفاه بالهند وأخذ السلطة من عزان ٠

فصل ساحل الصلح عن عمان :

وبسبب هذا التفكك وتلك الانقسامات فصل ساحل عمان (ساحل الصلح) عن عمان ، وقسم هذا الساحل إلى سبع إمارات حسب الحكم والقبائل بكل قسم ، وقد كان هذا الساحل جزءاً من عمان كما ذكرنا من قبل ، وكان المغاربة يعيرون عليه حاكماً من قبلهم ، فلما زالت دولة المغاربة أعلن رحمة بن مطر الاستقلال ، واتخذ رئيس الخيمة قاعدة له وأعترف له بالاستقلال أحمد بن سعيد مؤسس دولة آل بو سعيد (١) وسيعطي مزيداً من التفاصيل عن هذا الموضوع عند الكلام عن دولة الإمارات ٠

وهكذا نجد أن أسرة البوسعيدية عاشت في صراع مستمر ، وكان العقوق من أبرز مظاهرها ، ولم تعرف الأسرة الاستقرار نوعاً ما إلا في

(١) دكتور سيد نوفل : الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي
ج ٢ ص ٦٣ ٠

(م ٤٤ - التاريخ ج ٧)

الستينين الأخيرة بالقرن التاسع عشر ، ربما بعد أن أصبح الأمر للانجليز ، فلم يعد هناك أمل في نجاح ثورة ضدتهم ، أو ضد من ينال تأييدهم من السلاطين وقد أصبح التوارث منهج القوم في الحكم ، ولكن السلطة الحقيقية أفلتت من أيدي الحكم المتأخرين ، وصارت إلى أيدي الانجليز ، ولم يستعد السلطة حقيقة إلا السلطان الحالى قابوس بن سعيد .

القاب الحكام :

قلنا فيما سبق إن الأصل في السلطة بعمان أن تكون بالانتخاب تبعاً للمذهب الإباضي ، وقلنا كذلك إن نتائج الانتخاب لم تكن بالاجماع بطبيعة الحال ، وهذا خلق عدداً من الأئمة في وقت واحد كما خلق ملوكاً ورؤساء عشائر في أماكن مختلفة دون حاجة لانتخاب .

ولكن يتضح ابتداءً من أسرة آل بوسعيد شيء جديد أصبح بمثابة قاعدة ثابتة ، فقد كان الإمام يعيش في الرستاق ، واتخذت الثورات من مسقط مكاناً مفضلاً لها ، ولم يطبع حاكم مسقط في لقب الإمام ، وفي نفس الوقت قنعت الإمامة بالمقاطعات الداخلية في عمان ، وبالمظاهر الدينية التي ترتبط بالأئمة ، وتركت السلطة لحاكم مسقط الذي كان يعاشر الأمور السياسية وأكثر شئون الحكم ، ومما زاد ذلك تأكيداً إن الإباضية كانوا قليلاً العدد بالساحل ، وفي نفس الوقت كان سكان مسقط خليطاً من الأجناس لا ينضوي أكثرهم تحت المذهب الإباضي ، إذ أن الكثرين منهم وفدو من بغداد أو البصرة أو الكردستان أو أفغانستان وسواحل مكران ، وافريقية وغيرها من كانوا يرتبطون بالتجارة أو يعملون في المال .

وقد قلنا من قبل إن إماماً أحمد بن سعيد لم تتوافق فيها الشروط التي يراها أكثر المؤرخين والإباضيين ، فالرجل مع بطولته وجهاده لم تكن إمامته موضع اتفاق ، ثم إن الاتجاه للثورات قلل من الاعتراف بهؤلاء الحكماء . ونشأ عن ذلك حقد وانفصال بين الإباضية في الجبل الأخضر وزنوى وبهلا وازكى والرستاق وغيرها من مناطق الداخل ، وبين سلاطين

مسقط الذين كان يراهم الإباضيون بعيدين عن نهجهم ، ومن أجل هذا كله قنعوا سلاطين آل بوسعيد بلقب السيد ، وطرحوا لقب الإمامة ، وكان للقب « السيد » مكانة سامية في تلك المناطق فرأوا فيه ما يرضي اتجاهاتهم دون حاجة إلى الإمامة التي تستلزم البيعة ولا ترضي بالوراثة ، ثم اتخذ الحكماء أخيراً لقب « سلطان » .

وأصبح الاتجاه لترك لقب الإمامة ضرورة لازمة عندما اتصل سلاطين بالقوى الخارجية الأوروبية واستعنوا بها ضد الأحداث التي صادفتهم ، فاتسعت الهوة بين الإباضية الذين استكروا هذه الصلات ، وبين سلاطين آل بوسعيد .

وعلى هذا اختفت الإمامة أمداً طويلاً يقرب من قرن ونصف قرن وكانت خلال هذه المدة تظهر أحياناً باهتة لا غنا عنها ، وفي سنة ١٩١٣ بدأ حركة قوية لبعث الإمامة ، فاجتمع زعماء الإباضية ومعهم الشیخ نور الدين السالمي واختاروا راشد بن سالم الخروصي إماماً لعمان ، وأيد هذا الاختيار زعماء الغافرية والهناوية جميعاً ، مما قوى مركز الإمام الجديد ، وأعلن زعماء الإباضية خلع السلطان فيصل بن تركى ، واعتبار وجوده في الحكم غير شرعى ، وتطلع الإمام إلى توسيع حكمه وإلى الزحف إلى الساحل لاستكمال السلطة على عمان كلها ، ولكن هذا الإمام قُتل في سنة ١٩٢٠ قبل أن يتم الزحف وب Bowie محمد بن عبد الله الخيلى إماماً ، وتدخل الانجليز لوقف أي محاولة زحف يقوم بها أتباع الإمام للساحل .

اتفاق السيد :

عقد « اتفاق السيد » في سبتمبر سنة ١٩٢٠ بين تيمور بن فيصل وبين ممثلى الإمام ، وخلاصة هذا الاتفاق تخفيض الضريبة التى يحصل عليها السلطان في الموانى عند تصدير السلع العمانية ، وأن ترفع جميع القيود عن العمانيين الذين يمرشون بمدن الساحل ، وأن يتمتع أهل عمان بالأمن والحرية بالمدن الساحلية ، ولا يتدخل السلطان في الشئون الداخلية لمناطق

الداخلية ، وفي مقابل ذلك تتعمد القبائل بعدم مهاجمة مدن الساحل ، وإباحة الحرية لسكنى الساحل في أن يباشروا التجارة الداخلية وأن يكون المشرع هو الحكم عندما يوجد خلاف بين تجار الساحل وبين أهل الداخل .

ويختلف المفكرون في قيمة اتفاق العصيّب ، فيرى البعض أنه يفيد اعتراف السلطان بوجود دولة مستقلة في عمان ، ويرى آخرون أنه عمل تنظيمي بين السلطان وبين بعض القبائل التابعة له .

وقد ظل محمد بن عبد الله الخليلي يشغل إماماً عمان فترة طويلة حتى سنة ١٩٥٤ ، وحاول في منصبه أن يبرز عمان في شكل الدولة المستقلة . فطلب الانضمام لجامعة الدول العربية ، وأصدر جوازات سفر ، ولكن ذلك لم يبرز عمان كدولة مستقلة ، ولم تقبل جامعة الدول العربية طلبه .

وعقب وفاة الإمام الخليلي سنة ١٩٥٤ اختير غالب بن على إماماً لعمان في نفس العام (سنة ١٩٥٤) ، وفي عهده تفجر الخلاف بين الإمام والسلطان لأن الحكومة البريطانية احتلت وانهات البريمي باسم السلطان وبعد الأمل في انتاج متذبذب من البترول من هذه الواحة ، وطالب الإمام بجزء من عائد البترول ، وكل هذا هيأ لنهاية حاسمة وضرورية للموضوع ، فزحف جيش السلطان سعيد بن تيمور بقيادة و بمغونة قوات إنجليزية قوية ، وهاجم نزوئ وحاصرها مدة ثلاثة أيام ثم احتلها سنة ١٩٥٥ وألغى الإمام ، وهرب غالب بن على إلى السعودية ، وذكر أن هذا اعتداء إنجليزي على الإمام أخذ ثوب الشرعية ، وبوضع القوات تحت قيادة السلطان سعيد بن تيمور ومن أجل هذه النزرة اندفع الإمام غالب وشقيقه طالب لإشعال ثورة جديدة ضد السلطان وكان ذلك في يونيو سنة ١٩٥٧ واستطاعا أن يدخلان نزوئ وأن برفعوا علم الإمام على مدن الجبل الأخضر ومقاطعته ، ولكن السلطان سعيد قاد جيشاً قوياً اقتطع به هذه الثورة من أصولها وأعاد سيطرته على الجبل الأخضر في يناير سنة ١٩٥٩ .

وقد اتجه بعض الباحثين آنذاك إلى مهاجمة السلطان سعيد واعتباره بيطش بعيد بريطانيا ، وكان الإمام غالب يحظى لذلك بالعطف والتأييد من هؤلاء ، ولكن الزمن مر ، وأثبتت الأحداث أن التجمع خير من الفرقة وأن في تلك البقاع دولة واحدة هي عمان ، وأن مسقط عاصمة لها ، ولهذا أصدر السلطان الحالى قابوس بن سعيد قراراً بـلا تسمى البلاد سلطنة مسقط وعمان كما أتبع في عهد سلفه ، وأن تسقط هذه الازدواجية ، وأن تسمى البلاد سلطنة عمان فقط ، وتصبح مسقط عاصمة لها ، وكان هذا التصرف توحيداً لبلاد كانت على وشك أن يثبت تقسيمها ، والاتجاه الواحد هو اتحاد المخلصين في الوطن العربي والوطن الإسلامي .

عمان والقوى الاوروبية :

تعرضت عمان بحكم موقعها إلى محاولات من بريطانيا وفرنسا لتضمينها هذه أو تلك إلى مناطق نفوذها ، وقد كانت بريطانيا أكثر حرصا وأكثر حاجة إلى عمان بسبب مكانة عمان في طريق المواصلات البريطانية إلى الهند ، ولما بدأ نابليون مغامراته في الشرق ودخل مصر سنة ١٧٩٨ أسرع بالتطلع إلى عمان ، وكتب رسالته إلى سلطان مسقط يخطب وده ، ومن هنا زاد اهتمام بريطانيا بعمان ، واستطاعت أن تعقد معها أول معايدة ، وكان ذلك في عهد سلطان بن أحمد وكانت المعايدة بين السلطان وبين شركة الهند الشرقية البريطانية ، وتم توقيعها في أكتوبر سنة ١٧٩٨ وتعد هذه المعايدة أول معايدة عقدتها بريطانيا مع الأمراء العرب ، وأول تدخل إنجليزي في شئون عمان ، وخلاصة هذه المعايدة تقوية روح المودة بين عمان وبريطانيا ! ! والقضاء على النفوذ الفرنسي والهولندي بالبلاد ، وفي سنة ١٨٠٠ وقعت بريطانيا مع السلطان اتفاقية لتأكيد معايدة ١٧٩٨ ، ونصت هذه الاتفاقية على أن يعين ممثل لإنجلترا يقيم في مسقط ، ويتم عن طريقه الاتصالات بين الدولتين ، كما نصت على استثناء الانجليز من

- ٣٤٢ -

القوانين المحلية المعمول بها في السلطنة^(١) ونصوص هذه المعاهدة توضح
المرحى البريطاني على سيادة عمان^٠

وقتل سلطان بن أحمد سنة ١٨٠٤ وقام صراع بين ولديه سالم وسعيد
ورجحت كفة سعيد ابتداء من سنة ١٨٠٦ وقد حاول أن يتخلص من المفوود
البريطاني ، فعقد معاهدة مع فرنسا سنة ١٨٠٧ ثم عززت بأخرى سنة
١٨٠٨ وبمقتضى ذلك نزل بمسقط أول مقيم فرنسي^٠

واتجه سعيد كذلك لعقد معاهدة مع الولايات المتحدة الأمريكية لإمداده
بما يحتاجه من أسلحة وعون ، نظير منح الولايات المتحدة امتيازات سياسية
والاقتصادية مهمة ، وقد وقعت هذه المعاهدة سنة ١٨٣٣ م ، وخففت إنجلترا
أن تفلت عمان من نفوذها فعرضت استعدادها لتقديم ما طلبته عمان من
الولايات المتحدة ، وعقدت عقب ذلك معاهدة سنة ١٨٣٦ وأصبحت عمان
 بذلك تحت الحماية البريطانية ، ثم عقدت معاهدة أخرى بنفس الروح سنة
١٨٩١^٠

وفي سنة ١٩١٣ حدث خلاف على السلطنة عقب وفاة فيصل بن تركي
وكانت ظروف الحرب العالمية الأولى تدعو للحذر ، فتدخلت بريطانيا في
الحال والاحتلت البلاد ، كما احتلت الدول العربية الواقعة على ساحل
الخليج العربي ، وأخذت الدولة البريطانية على عاتقها أن تشرف على حكم
بلدان الخليج وخفارته بدل الامبراطورية العثمانية التي كان لها هذا
الإشراف من قبل^(٢) واستمر هذا الاحتلال حتى سنة ١٩٣١^٠

وفي سنة ١٩٣٣ وقع أمير عمان تعهد^(٣) للحكومة البريطانية بـ لا يقوم
بالبحث عن المترول أو استغلاله دون استشارة المقيم البريطاني^(٤) .

Bombay Government Selection from the Records. See also (1)
Kelly p. 58.

(2) عمر رضا كحالة : جغرافية جزيرة العرب ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .

(3) محمد حبيب أحمد : نهضة الشعوب الإسلامية ص ٣٣٤ .

وفي فبراير سنة ١٩٣٩ أبرمت آخر معاهدة بين عمان وبريطانيا ، وجددت هذه المعاهدة سنة ١٩٥١ لمدة خمسة عشر عاما وبمقتضى هذه المعاهدة قدمت بريطانيا مساعدات للسلطان سعيد ليستعيد نفوذه في عمان وليقضي على الإمامة سنة ١٩٥٥ ، وعندما رأت بريطانيا أن هذا التدخل أثار ثائرة العرب بوجه خاص ، والعالم بوجه عام تراحت قضيتها عن عمان ، وكان ذلك طبقاً لسياسة البرطانية الجديدة بالنسبة إلى مناطق ما أسمته « ما بعد السويس » تلك السياسة التي كانت مطلع زوال الاستعمار البريطاني من العالم كله .

ويقول الدكتور سيد نوبل^(١) إن بريطانيا عقدت مع عمان منذ أوآخر القرن الثامن عشر حتى القرن العشرين أكثر من عشرين تعهداً واتفاقاً تمنح الرعايا البريطانيين امتيازات ضخمة ، وتقديمهم على غيرهم في المعاملات التجارية ، وتقرر لهم في مسقط مقيمين ووكلاء في شئون السياسة والاقتصاد ، ثم تمنع أيدي السلطة عن التصرف في أراضيها إلا بموافقة بريطانيا ، وقطلق أيدي الانجليز في شئون البلاد ومواردها . وبمرور الزمن تقلص هذا النفوذ الأجنبي حتى زال في العصر الحالى .

السعوديون وعمان :

تحدثنا عند الكلام عن المملكة العربية السعودية عن الموحدين أتباع الإمام محمد بن عبد الوهاب وشرحنا مبادئهم ، وذكرنا أن أمراء السعوديين استجابوا لهذه الدعوة ، وتعهدوا بحمايتها ، والتقوى بذلك فكر ابن عبد الوهاب مع قوة آل سعود فتمت الدعوة خطوات واسعة من النجاح ، وأحياناً يسمى التكيل أو المزيج الذي تكون من الدعوة والقوة في نجد باسم « الوهابيين » وهي تسمية غير مقبولة بالملكة العربية السعودية وإن اشتهرت خارجها ، وتنسمى بالسعودية « دعوة التوحيد » .

ودعوة التوحيد ليست دعوة خاصة لحدود معينة، بل هي تنتفع إلى

(١) الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي ج ١ ص ٦٣

الانتشار في العالم الإسلامي ، وإزالة الانحراف الذي كان سائداً ، وبخاصة في الجزيرة العربية ، ومن هنا سارت الدعوة تحت الخطأ ، وتدق الأبواب ، وتزيل الحواجز .

وكانت الجزيرة العربية تحكم في الغالب بنظام قبلي ، إذ تتغلب كل قبيلة على منطقة من المناطق ، وكانت عمان قد انحاثت خلال عهد البوسعيديين إلى مقاطعات ومناطق شبه مستقلة ، بسبب الصراعات الضخمة التي انتابت هذه البلاد ، وبسبب الخلافات الحادة التي سادت بين أمراء البيت الحاكم بعضهم والبعض أحياناً ، وأحياناً بين المسلمين وبين الطموحين الذين كانوا يبرزون من حين إلى حين ، ونتيجة لذلك استقالت عن عمان إمارات الخليج التي كانت جزءاً من عمان كما ذكرنا من قبل ، كما استقالت بعض مناطق الظاهرية بعد أن تركت سلطات مسقط في مناطق الساحل .

أضف إلى ذلك أن كثريين من سكان الظاهرية ، وبعض المناطق الداخلية من عمان تجمعت لديهم أسباب خاصة تدفعهم إلى التخلص من سلطنة البوسعيديين والانضواء في السلطة السعودية الناشئة في الجزيرة العربية ؟ ومن هذه الظروف أن كثريين منهم ينحدرون من عرب الشمال ، وترتبطهم بسكان نجد السعوديين رابطة الدم ، ومنها كذلك أن تنافساً خطيراً كان موجوداً بين القبائل التي كانت تعيش في المناطق الداخلية وبين مناطق الساحل ، ومنشأ هذا التنافس أن بعض القبائل كانت تتبع المذهب السنى ، وكانت في الوقت نفسه فرعاً من الغفارية ، وذلك مثل قبائل نعيم في البريسي التي كانت على خلاف معمور مع القبائل الهندادية الدم الإباضية التفكير ، ومثل القواسم سكان الشارقة ورأس الخيمة فقد كانوا كبني نعيم سنتين غفارية (١) .

واحة البريسي وصراع القوى :

ولكل هذه الأسباب وجد الوهابيون فرصتهم للزحف إلى واحة البريسي

فاحتلواها لأول مرة سنة ١٧٩٥ ، كما وصلوا زحفهم حتى وصلوا إلى ساحل الخليج العربي في عهد الأمير محمد والأمير عبد العزيز ، وسرعان ما أصبحت واحة البوريمي معقلًا لهم ، فكان القائد السعودى يتخذ منها مقراً له ، وكان يجب الزكاة من سكانها ومن سكان القرى المجاورة ، وكان جبى الزكاة رمزاً للسلطة والتبعية .

وعندما اشتد ساعد الوهابيين كان المتحسرون على السلطة في عمان يطلبون العون منهم ، ومن هؤلاء بدر الدين سيف بن سعيد « أحمد بن سعيد مؤسس الدولة » فقد حاول بدر هذا أن يخلع سلطان ابن أحمد ولكنه فشل في محاولته ، فطلب العون من السعوديين ، مما فتح الباب لنفوذ السعودى في عمان ، وبخاصة عقب مقتل سلطان بن أحمد ، وتولية بدر الوصاية على أبنائه ^(١) ومن هؤلاء كذلك ثوبينى بن سعيد الذى استصرخ السعوديين عندما شار عليه أخوه « تركى » الذى كان والياً على حصار ، ونظم لذيل السلطة .

وتقول المصادر السعودية إنه بالنسبة لاتساع الصحراء العربية وقلة طرق المواصلات السريعة بها فإن الأمراء السعوديين اكتفوا بالروابط الاجتماعية والاقتصادية بينهم وبين البوريمي ، وكانت الزكاة تدفع للعمال السعوديين ، وكان أمراء البوريمي يعلقون ولاعهم لأمير نجد ^(٢) .

على أن تدخل محمد على والى مصر وخضوع الدرعية لإبراهيم باشا سنة ١٨١٨ أوقف نشاط السعوديين بواحة البوريمي ، وفي المناطق الواقعة حولها ، ولم يستطع حاكم البوريمي الذى كان يمثل السعوديين أن يستبقى السلطة في يده ، فسلموا الواحة إلى سلاطين عمان ^(٣) على أن

(١) دكتور زكريا قاسم : دولة بوسعيد ص ٥٢ .

(٢) مشكلة البوريمي : من مطبوعات سفارة المملكة العربية السعودية بجاكarta .

J. B. Killy Ibid : p. 57.

(٣)

منافسيْن جديديْن ظهرَا لعمان في امتلاك هذه الواحة ، أما المنافس الأول فهم بنو ياس الذين كانوا يعيشون في الداخل غير بعيد من البوريمي ، وكانوا يذهبون للساحل لصيد السمك أو اللالى ، فلما ظهر الماء في أبو ظبى سنة ١٧٦١ رحلوا لها واتخذوها وطنًا لهم ^(١) والمنافس الثاني هو بريطانيا التي اهتمت بالخليج أبتداء من القرن السابع عشر ، ثم رجحت كفتها على كل القوى الأوروبية بالخليج العربى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وعقدت معااهدات مع إمارات الخليج في القرن التاسع عشر أصبتت بمقتضاها تتحدث باسمهم ^(٢) فلما ظهرت بوادر البترونول في البوريمي سنة ١٩٤٩ أعلنت بريطانيا أن السيادة على هذه الواحة من حق مشيخة «أبو ظبى» وسلطان مسقط ، وها خاضعان لحماية بريطانيا ، وأعلنت المملكة العربية السعودية آنذاك أن الواحة جزء لا ينفصل من المملكة وأن سكانها يدينون بالولاء للمعاهل السعودى منذ زمن بعيد .

وتطورت المشكلة ووصلت إلى درجة خطيرة سنة ١٩٥٣ فقبل المطردان (بريطانيا وال سعودية) إجراء تحكيم دولي لحل المشكلة ، وعقدت لإجراء التحكيماتفاقية في ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٤ ولكن بريطانيا لم تنتظر نتيجة التحكيم ، وأواعزت سلطان مسقط أن يزحف بجيشه ، وكان أكبر قواده من البريطانيين فاحتل هذا الجيش منطقة عمان وواحة البوريمي ، وثارت ثائرة السعودية ، بيد أن الأمر قد سوى بعد ذلك بين الأطراف العربية ، وكان أساس هذه التسوية اعتبار الدعوة إلى التوحيد منطلقا ذكريا ، وأن اتباع هذه الدعوة لا يسئلزم تبعية سياسية .

البوسعيديون في شرق إفريقيا :

رأينا من قبل الجهد الكبيرة التي بذلها اليهاربة لطرد البرتغاليين

Ibid. p. 51. (١)

Ibid. p. 35. (٢)

من شرقى إفريقيا ، ولكن اليعاربة اكتفوا بالسلطنة الاسمية على هذه المناطق لشدة ارتباطهم بالجزيرة العربية وحراسة أملاكهم بها ، وعيتوا على المناطق الإفريقية أمراء يحكمونها باسمهم ، فعينوا أسرة الحارث لجزيرة زنجبار ، وأسرة النبهانين لحكم باتا ، وأسرة المعمودى لحكم ممبسة ، وتلتها أسرة المزروعى ، وكانت هذه الأسر خاصة خصوصاً اسمايا لأئممة عمان ، وعندما سقطت أسرة اليعاربة في عمان ، وقامت على أثرها أسرة بو سعيد (البوسعيدية) اكتمل سلطان أئممة عمان على الساحل الإفريقي ، وعلى الجزر المواجهة له ولم يقبل البوسعيديون أن ينافسهم الأمراء في حكم هذه الجزر وبخاصة الأمراء من أسرة المزروعى الذين كانوا قد حاولوا الاستقلال بجزيرة ممبسة ، ولعل السبب في اهتمام البوسعيديين بالمناطق الإفريقية أن نفوذهم تقلص في المناطق الآسيوية ، وتكللت بعض أجزاء عمان عن حكم الدولة ، فاتجهه البوسعيديون إلى إفريقيا بأكثر نشاطهم ، بل نقل سعيد بن سلطان (١٨٥٦ - ١٨٣٢) عاصمة ملكه من مسقط إلى زنجبار سنة ١٨٣٢ مما يشير إلى أن البوسعيديين كانوا يتوجهون إلى جعل القسم الإفريقي عماد دولتهم واستطاع سعيد أن يفرض العشور على التجارة الداخلية والخارجية وأن يجعل زنجبار مستودعاً هائلاً للتجارة ، تخزن فيه البضائع التي تأتي من أنحاء كثيرة بإفريقية ، ومنها توزع على التجار العرب الذين يحملونها إلى سواحل شبه الجزيرة ، وإلى المناطق المختلفة بآسيا وإفريقيا ، كما توزع على التجار الأوروبيين والأمريكيين الذين يحملونها إلى بلادهم^(١) .

وبالاضافة إلى الحركة التجارية والنشاط الاقتصادي اتسع نفوذ زنجبار السياسي في عهد السلطان سعيد ، فشمل مسافة على الساحل تقدر بأكثر من ألف وستمائة كيلو متر ممتدة من جنوب مقدشيو شمالاً إلى سفاله وتونجى جنوباً ، كما امتد نفوذه أيضاً داخل القارة حتى وصل إلى

(١) دكتور صلاح العقاد ، والدكتور جمال قاسم : زنجبار ، وانظر موسوعة التاريخ الاسلامي للدكتور احمد شلبى الجزء السادس ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .

حدود الكونغو وأوغندا ورواندا ، وانتشرت في هذه الأجزاء كلها شبكة من خطوط القوافل تربط بين الساحل وبين شواطئ فيكتوريا وتنجانيقا ونياسا ، وتابع سعيد توغله في الأجزاء الشرقية من الكونغو وعلا صيته حول البحيرات العظمى حتى كان يقال : إن الناس على شواطئ البحيرات يرقصون على أنغام زنجبار ^(١) .

وعلى هذا فقد صادف السلطان سعيد نجاحاً كبيراً على الرغم من أن عصر الاستعمار الأوروبي كان قد بدأ ، واتجهت القوى الأوروبية لمصارعة السلطان المسلم في هذه المنطقة ^(٢) .

وعقب وفاة السلطان سعيد انقسمت دولته إلى سلطنتين مستقلتين ، إحداهما إفريقية حكمها ماجد بن السلطان سعيد ٠٠٠ وقد تكلمنا عنها ، وعدّنا سلاطينها عند الحديث عن الدول الإسلامية بإفريقية في الجزء السادس من هذه الموسوعة ، والثانية آسيوية عاصمتها مسقط حكمها ثوبيني ابن السلطان سعيد وهي التي نتحدث عنها الآن .

تعريف بأشهر سلاطين البوسعيديين

لقد تعرفنا خلال الدراسة السابقة على سلاطين هذه الأسرة وتكلمنا بشيء من التفصيل عن مؤسسها أحمد بن سعيد ، ويبقى بعده سلاطين جديرون بشيء من التفصيل كذلك ، وهؤلاء هم :

(١) ١٧٩١ - ١٨٠٤

سلطان بن أحمد

(٢) ١٨٠٦ - ١٨٥٦

وسعيد بن سلطان

(٣) ١٩٧٠

وقابوس (السلطان الحالى)

See Ructe R. : Saiid Bin Sultan, Rulers of Oman and East Africia (١)

(٢) دكتور عبد العزيز كامل : قضية كينيا ص ٢٢ وانظر الجزء السادس من هذه الموسوعة للمؤلف ص ٤٠٩ .

وفيما يلى كلامه عن كل من هؤلاء وستعطيها هذه الكلمة فكرة عن سلاطين آخرين سيمتد الحديث إليهم ونحن نتحدث عن هؤلاء السلاطين الثلاثة :

سلطان بن أحمد :

ثار سلطان بن أحمد على أبيه ، ثم ثار على أخيه سعيد ، واستولى على السلطة منه في مسقط والمساحل من سنة ١٧٩١ وقتل أخوه معه بالنفوذ الديني بالداخل ، كما كان قاتلًا بذلك إبان ثورة ابنه حامد عليه ، ومنذ تولى سلطان بن أحمد جعل التوسع الخارجي سياسة ثابتة له ، وببدأ بالجذب المواجهة لساحل عمان وهي قشم وهرمز ، ثم بسط سلطته على الموانئ المهمة في ساحل مكران ، واستولى على مينائي شهبار وجواردور ، وبواسطة هذين الميناءين توثقت الصلات بين بلخستان وبين عمان ، واستولى كذلك على بندر عباس ، وهكذا صارت دولة عمان في عهد سلطان ابن أحمد تتكون من شريط ساحلي في شبه جزيرة العرب ، ويضاف إليه عدة جزر وموان حتى حدود باكستان الحالية بالإضافة إلى جزيرة زنجبار .

وهذا التكوين الجغرافي لعمان استوجب أسطولاً قوياً ، ويبدو أن السفن التجارية كانت أحياناً تستعمل لأغراض الدفاع ، فإذا أخذنا بذلك استطعنا أن نقول إن أسطول عمان في عهد سلطان بن أحمد كان يتكون من ٦٠٠ سفينة بخلاف السفن الكبيرة المخصصة للحرب ، ومن الطبيعي في مثل هذه الظروف أن تتم العلاقات بين مسقط وبين العالم الخارجي نمواً كبيراً^(١) .

وانتهز سلطان بن أحمد فرصة وقوع نزاع بين أهالي البحرين وبين حاكمهم الشيخ سليمان آل خليفة فأرسل أسطوله إلى تلك الجزر ، وربما كان ذلك بناءً على طلب السكان ، وانتهى الأمر بعد صلح بين سلطان بن

(١) دكتور صلاح العقاد : الخليج العربي ص ٥٢ - ٥٣

أحمد وبين آل خليفة سنة ١٧٩٩ نص على أن تمد مسقط سيادتها على البحرين ، وعاد سلطان بن أحمد إلى بلاده بعد أن أخذ أخا حاكم البحرين رهينة عنده ، وبعد أن وضع ابنه سالم ليمثله في المسياحة على البحرين ، ولكن هذا الابن كان لا يزال حدثاً ذا شرک أبوه معه أحد زعماء الشيعة وأسمه محمد بن خلف في هذه السلطة^(١) .

وحدث بعد ذلك أن مات أخو الحاكم الذي كان رهينة في مسقط ، فت Hollow آل خليفة « العتوب » من وعدهم واستعنوا بالسعوديين ضد سيطرة مسقط ، فاستسلم سالم وانسحب ، ولكن مسقط عادت تدافع عن مكانتها متعاونة مع بعض القوات الفارسية واستعادت السلطة في البحرين من جديد ، ولكن ذلك الوضع لم يدم طويلاً بسبب العون السعدي المستمر لسكن البحرين .

وبالاضافة إلى هذه الانتصارات العسكرية والتوسيع الخارجي يضيف المؤرخون إلى سلطان بن أحمد فضلاً عظيماً في المجال الحضاري ، فقد فتح الباب للألوان من التقدم والمدنية كانت بعيدة عن بلاده من قبل ، كما تعاون مع العثمانيين على حماية البصرة من الفرس ، مما جعل له مكانة خاصة لدى الباب العالي الذي أصدر فرماناً بإعطائه راتباً سنوياً نظير هذه المساعدة .

سعيد بن سلطان :

عندما توفي سلطان بن أحمد سنة ١٨٠٤ كان ولداه سالم وسعيد في سن الحداة ، لم يصلا بعد إلى سن البلوغ ، وكان سعيد بن أحمد قائماً بمنصب الإمامة في الرستاق وقيس بن أحمد يسيطر على صحار ، ومحمد بن أحمد يسيطر على السوق ، وكان بدر بن سيف بن أحمد يحاول أن يستولى على مسقط بعد وفاة عميه سلطان ، وكان يعتمد على

(١) دكتور جمال قاسم : المراجع السابق ص ٧٧ .

المسعوديين الذين وعدوه بالعون والمساعدة ، وكان اليعاربة مستبدّين في نخل ، ووسط هذا التفكك تمكّن السعوديون من تأكيد سلطانهم في الخلاherة • والبوريمي .

وحاول كل من إخوة سلطان بن أحمد أن يخلفه في السلطة وأن يقتناصي ولديه الصبيين الذين آل إليهما ميراث أبيهما الراحل ، وكانت ترعاهما عمة لهما اسمها « معازة » وقد لجأت هذه العمة إلى بدر بن سيف ليساعدها ضد القوى الزاحفة على مستطه ، وكان بدر طموحاً من جانب ، وقوياً بعون المسعوديين له من جابر آخر ، فاستجاب اطلبها وأصبح وصياً على الصبيين ، وتخلت له معازة عن الوصاية ، ولكن بدر حاول أن يأخذ الأمر لنفسه ، فقوّى صلته بالسعوديين ، وعقد معهم اتفاقية تعيير السلطة لهم في عمان ، وتبيّح أن يكون لهم في مسقط مندوب يقول في جمع الزكاة باسمهم ، ووضع بدر سعيد بن سلطان في مقاطعة صغيرة ليشغله بها ، وكانت سنة آنذاك حوالي خمس عشرة سنة .

وكان هذا الشاب في أول خطواته لمرحلة الشباب ، ولكنه كان شديد الميأس عميق الفكر ، فدعا عمه بدر بن سيف لحضور اجتماع في إقليمه لاتفاق على وسيلة للتخلص من قيس بن أحمد حاكم صحار ، واستجاب حر لهذه الدعوة ، وكان سعيد قد أعد كميناً له في القلعة التي يعقد فيها الاجتماع ، وما إن دخل بدر حتى انقض عليه سعيد ورفاقه ، فأجهزوا عليه . خلصت بذلك مسقط لسعيد سنة ١٨٠٦ .

وأخذ سعيد بعد ذلك يتخلص من باقي المنافسين وكانوا أهون عليه من عمه بدر ، ولذلك تهافت القوى المنافسة له واحدة بعد الأخرى ، ثم ستوى على الرستاق بعد وفاة الإمام سعيد بن أحمد ، وبذلك وحد سعيد المقاطعة كلها تحت حكمه .

بيد أن سعيد أدرك أن استمرار الاستقرار في هذه المنطقة شيء بعيد

المنال ، فإن الخلافات والانقسام كانت لا تتوافق حتى تبدأ من جديد في الجزيرة العربية ، وبالإضافة إلى هذا فقد ظهر بالجزيرة العربية منافس جديد خطير هو محمد على والى مصر ، وثبتت الوثائق أن محمد على فكر في الزحف على عمان واتصل بأمير البحرين ، مما جعل حدود عمان تهددها القوة التي حلت محل السعوديين في الجزيرة العربية لفترة من الزمن ، ومن أجل هذا وجه سعيد عنایته إلى إفريقيا ، واستمر ما كان قد ضاع من الساحل خلال المراحل التي سبقته ، ثم آثر سنة ١٨٣٣ أن ينتقل إلى زنجبار ويتخذها عاصمة له ، وقد سبق أن تحدثنا عن جهود سعيد في الساحل الإفريقي ، وعن المكانة السياسية والاقتصادية التي حققها هناك .

وكان سعيد معروضاً بالتواضع يميل إلى الشورى ، ولا يصدر حكماً مهماً كان إلا بعد اجتماع مجلس الرؤساء والشيوخ للتشاور في هذا الأمر ، وكان محبوباً لدى الرعية ، معظمها بينهم ، وقد عد أحد المؤلفين السعوديين هذا التعظيم مطعناً في سعيد وهو في هذا يقول : إنه الرئيس المعروف عند شعبه بالسيد ، المتقدم في رياستهم وسياستهم والمطلق فيهم ، ولقد أتى الناس من توقيره وتعظيمه ، والاعتقاد فيه ، ما أفضى بهم إلى طريق الصالح والإلحاد ^(١) .

وكان سعيد ذكياً مستنيراً حريصاً على تنمية معلوماته والتعرف على أعمال الرعماء من معاصريه ، فكان يتابع إصلاحات محمد على ليماشر ما يمكن مباشرته منها في بلاده وبين رعيته .

ويقول عنه الرحالة Wellesley إنه كان يحتفظ بكثير من الصفات البدوية الأصلية ، لا ينطلي بالكلام والجواهر ، وكان يلبس لباس مواطنيه ،

(١) حسين بن غنم : روضة الأفكار والآفهام ج ١ ص ٩ .

— ٣٥٣ —

وكان يظهر في الاحتفالات والمناسبات بدون المظاهر التي يحرص عليها السلاطين والملوك ، وكان يزور والدته يومياً كدليل على البر والتقدير^(١) .

وتوفي السيد سعيد سنة ١٨٥٦ وهو في سفينته من مسقط إلى زنجبار ، ودفن في هذه الجزيرة ، لأن القدر أراد له أن يوارى جسده في الجزيرة التي أحبها واستوطنها .

السلطان قابوس :

عندما نحاول أن نتعرف على السلطان قابوس وجهه في خدمة بلاده ينبغي لنا أن نتعرف على أحوال هذه البلاد خلال الفترة التي سبقت حكم السلطان قابوس .

ومن الواضح أن التدخل الانجليزي في البلاد بعد وفاة السلطان سعيد كان شديداً للغاية ، وقد أنتهز الاستعمار الانجليزي وفاة السلطان سعيد ، وحدوث خلاف بين أولاده فتقدم هذا الاستعمار وحكم بإقامة سلطنتين يحكم إحداهما توييني بن سعيد ويحكم الثانية ماجد بن سعيد كما ذكرنا من قبل ، وقد تسبّب عن هذا التقسيم أن حلت بعمان أضرار بالغة ، وبخاصة بالمقاطعات الساحلية بالبلاد ، فقد تدهورت تجارة عمان مع زنجبار ، وأضطرر عدد كبير من التجار العرب إلى الهجرة من عمان ، وتقلص النشاط الاقتصادي عن البلاد ، وبذلت تعانى أزمة قاسية ، وبالأضافة إلى ذلك فإن الاستعمار بدأ يتمكن من البلاد ، وأخذ يتدخل بما يحقق له أهدافه وأطماعه ، وقد دخلت البلاد تحت الحماية بناء على المعاهدات التي حدثت مع الانجليز وكانت النتيجة أن السلاطين لم يعودوا في يدهم سلطة ، وأن السلطة الحقيقية أصبحت في يد المستعمر ، وفي سنة ١٩١٣ تجدد بعث الإمامة فانشطرت البلاد شطرين ، شطر يحكمه

(١) Travels in Arabia vol. I p. 5 ff.

الإمام وشطر يحكمه الانجليز ، وأحسن تيمور بن فيصل إلا سلطان له فتنازل عن مكانه لابنه سعيد بن تيمور سنة ١٩٣٣ ، واتجه الحكم في عدد سعيد بن تيمور نحو العزلة والانغلاق والصمت ، وتحول نشاط الخليج إلى « دبي » ولم يعد لعمان صوت يسمع في الخارج ، ولا كيان يذكر في الداخل ، وأخذت البلاد تتأخر يوماً بعد يوم نتيجة للقيود العجيبة التي فرضها السلطان على عمان وعلى شعبها ، ومن هذه القيود عدم جواز اقتناء المذيع للاستماع للإذاعة الخارجية إذ لم تكن هناك إذاعة محلية ، وبالتالي كان امتلاكه محرماً حتى لا يتاثر أهالي عمان بمحويات الأئمـور خارج البلاد ، ومن المحظورات كذلك التدخين ، وقرع الطبول ، وإحياء الأفراح ، والبقاء خارج أسوار المدن بين غروب الشمس وشروقها ، وهكذا أصبحت عمان ، نقطة هامدة على خريطة العالم ، ولم يكن لعمان قبل قابوس عهد بالعلم ، فلا توجد في البلاد كلها غير مدربتين لا تقبلان إلا عدداً قليلاً من التلاميذ على أن يكون ذلك بأمر السلطان نفسه ، ولم يكن في البلاد مراكز صحية ذات بال ، ولا مستشفيات على الإطلاق ، ولم تعرف التخطيط والنظم الإدارية السليمة ، واقتضاد البلاد كان في القاع ، وكان الشعب يعيش في ظلام لا يعرف الأمل .

ووسط هذا الظلام انبثق الأمل متجسداً في قابوس بن السلطان سعيد ، وكان قابوس قد عاد من الخارج بعد أن أتم دراسته في كلية سانت هيرست العسكرية في لندن ، وطاف قبل عودته بعدد من دول العالم ، وما إن خطت قدماه على أرض عمان حتى أدرك الهوة السحيقة التي تعيش فيها هذه البلاد ، وسرعان ما أحس أن السجن الكبير القائم الذي يضم شعب عمان قد احتواه هو أيضاً ، فإن أبوه السلطان فرض عليه العزلة حتى لا يختلط بالناس كى لا يتاثر بهم أو يؤثر فيهم ، وعاني قابوس ما يعانيه الشعب ، وبالتالي أحس بإحساسه ، فأخذ يدبر الأمر في صمت ، ويتجلى بعض الاتصالات ببعض العناصر المخلصة بالخارج فلما جاء شهر يوليو سنة ١٩٧٠ كانت الخطة قد أحكمت ، وانبثق يوم الثالث

والعشرين من هذا الشهر على فجر جديد ، فقد هبت ثورة الخالص ، فأَبْعَدَ قابوس أُبَاه عن الحكم وتولى مسؤولية الحكم بالبلاد ، وكان ذلك مطلع عهد جديد *

وأخذ قابوس يعمل بسرعة هائلة لتعود عمان إلى النور ، فأمر بجازة القيود التي كان السلطان السابق قد هرّبها على الشعب ، وأسرع كذلك في إقامة إصلاحات في مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية *

وفي أكتوبر سنة ١٩٧١ دخلت سلطنة عمان الجامعة العربية ، ثم دخلت الأمم المتحدة ، وأقامت علاقات دبلوماسية بينها وبين كثير من الدول العربية ومن دول العالم ، وأخذت تلعب دورها في الحياة العربية والدولية *

لقد كان قابوس نافذة نور لعمان ، وكانت يده تعمل في كل مجال ، في مجال التعليم ، وفي مجال الزراعة ، والطرق والمواصلات ، والتخطيط ، والتنمية ، والصحة ، والأمل ، وبناء الإنسان العماني بوجه عام ، ودن هنا فقابوس يستحق تقدير المتصفين لأنه خطأ أوسع الفطورات في أقصر وقت وهو بهذا يفوق الكثيرين من الأنداد *

أما سياسة السلطان قابوس الخارجية فكانت مثلاً في الدقة والحكمة وبشّع الرأى ، فقد خالص قابوس بلاده تماماً من آثار الاستعمار ، وأمسك بزمام كل الأمور ، ولم يخضع في تصريف شئون البلاد الخارجية للأهواء أو الانفعالات بل وقف كالطود الشامخ يتدبر المشكلات بعمق وأصالة ليضع بلاده في الوضع الذي يخدم العربوبة والإسلام ويستعيد لعمان ما كان لها من مجد تلييد *

لقد رأت عمان في عهد السلطان قابوس أنضر عهودها في كل اتجاه ، بارك الله له ، وهيأ الخير على يديه *

مشكلة المقاطعة الجنوبية « ظفار » :

تحكى المصادر العمانية^(١) قصة المصراع في ظفار فتقول : إنه عندما تسلم المعهد الجديد بقيادة السلطان قابوس مقاليد الحكم وضع في اعتباره حل المشاكل المختلفة ومن بينها مشكلة ظفار ، وكانت مشكلة ظفار قد ظهرت إلى الوجود في منتصف السبعينات بسبب الأحكام الجائزة ، والأوضاع غير المقبولة التي فرضها المعهد السابق على أبناء الشعب في عمان .

وقد حاول الأهالى أن يرفعوا أصواتهم بالشکوى أكثر من مرة ولكن أحدا لم يستمع إليهم ، أو يحاول رفع الظلم عنهم ، لذلك قاموا بانتخاب جماعة من بينهم لتنذهب إلى مسقط وترفع شکواها إلى السلطان سعيد لعله يستمع إليهم ، ويتحقق رغباتهم ، وبطبي مطالبهم ، ولكن السلطان كان لا يستجيب لشيء ، فاتجه لرفض كل حركات الإصلاح ، ومن هنا بدأت حركة ظفار ، وكانت الحركة وطنية خالصة . إلا أن بعض الماركسيين والشيوعيين استغلوا هذه الحركة واندسووا في دسوفها باسم الوطنية ليحققوا المخطط الشيوعى الرامى إلى الاستيلاء على الجزيرة العربية والسيطرة على مقدساتها .

وفي سبتمبر سنة ١٩٦٨ بدأ الشيوعيون يخرجون من ثوابتهم وتزعموا حركة لتغيير اسم جبهة تحرير ظفار إلى الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي .

وانتهت الحركة الخط الماركسي الليبي وزعمت أن هذا الخط لا يتعارض مع الإسلام ، أو مع العقيدة الإسلامية ، وبالطبع كان هذا الزعم مجرد محاولة لتفليل العناصر الوطنية المنضمة إلى الحركة .

(١) عمان : الماضي والمستقبل ص ٨٧ .

وبدأت أهداف الحركة الداخلية تتضح أكثر فأكثر عندما عاد بعض افرادها من بكين حيث كانوا في دورة تدريبية ، وشكلوا مؤتمرا حزبيا في يونيو سنة ١٩٦٩ .

وهذا يتضح لدى الثوار أن هذا الحزب هو حزب شيوعي قلبا وقالبا ، وأن الحركة خرجت من الخط الوطني لتمصير في الخط الشيوعي فبدأ الناس ينفضون من حولها وببدأت الجبهة تهتز وتتخلخل .

وفي ٣٣ يوليو سنة ١٩٧٠ قام السلطان قابوس بحركة التغيير التاريخية ، وفتح الأبواب أمام جميع المواطنين ليمارسوا الحياة الطبيعية التي تمارسها الشعوب الراقية ، وأعلن السلطان قابوس أنه سيعفو عن جميع المتمردين في ظفار الذين ثاروا ضد سياسة السلطان السابق ، وأنه يفتح أمامهم الأبواب ليعودوا إلى صفوفه ، واستجاب العديد منهم لدعوته ، وحملوا سلاحهم وعادوا إلى الوطن ورفضوا أن يعملوا في صفوف الشيوعيين .

وأحدث هذا التحول ذakra ضخما في صفوف الشيوعيين فلجأوا إلى العنف والإرهاب والتكميل بالمواطنين الأبرياء وقتل شيوخهم ونسائهم وأطفالهم . وأصبحت أرض ظفار نتيجة لذلك مسرحا للصراع بين الأفكار الوطنية المؤمنة بعروبتها وإسلامها وبين الأفكار الشيوعية المؤمنة بالماركسيية واللينينية .

ومن المؤسف والمؤلم في نفس الوقت أن هؤلاء المارقين المتمردين وجدوا من أرض اليمن الجنوبية قاعدة يختهون بها ، ويتدربون على أرضها ، وينطلقون منها في الظلام إلى قرى ظفار المسالمة ليقتلوا الشيوخ والنساء والأطفال ويحرقوا المحاصيل والماشية ، ثم يعودوا من جديد إلى قواعدهم في اليمن الجنوبية .

وتقول المصادر العمانية^(١) : إن السلطان قابوس قد حاول أكثر من مرة أن يلفت نظر جيرانه إلى هذه الأعمال غير الودية ولكنهم رفضوا الاستماع إليه ، والتفاهم معه .

إذاء كل هذا الإرهاب ، وخوفاً من خطر التسلل الشيوعي إلى باقى أنحاء السلطنة كان لابد للعهد الجديد في عمان أن يتحرك ، فقد تأكد قابوس أن حرب هذه الفئات الباغية المخارة على مبادئ الدين الإسلامي ضرورة دينية ، واضطُر لتخصيص نصف ميزانية البلاد للصرف على الحرب والقضاء على الفتنة الحمراء .

وبدأ يُعدّ الجيش المدرب على فنون القتال ليحمى حقوق الشعب العماني ومصالحه وأمنه ، واستطاع في أقل من عامين أن يجهز القوة الضاربة التي دخلت الحرب ضد المتمردين من أجل نصرة قضايا الحق والعدل .

وتقف إلى جوار القوات المسلحة فرق شعبية قوامها الرجال الذين رفضوا القتال في صفوف الشيوعيين ، وأثروا العودة إلى صفوف السلطان والقتال تحت رايته .

على أن اتجاهات الإصلاح التي قام بها السلطان قابوس بالبلاد كانت خير رد على هذا التمرد ، فعاد الكثيرون إلى صوابهم وإلى التعاون لتحقيق الأهداف الوطنية التي اتجهت لها عمان في عهده الجديد .

وفي العيد القومي لعمان في نوفمبر سنة ١٩٧٦ ألقى السلطان قابوس في اجتماع ضخم عقد في مدينة مسقط خطاباً حافلاً عدد المنجزات التي حققها والمشروعات التي ينوي السير في تحقيقها ، وكان أهم ما حققه البلاد الانتصار الشامل على حركة ظفار والمهم بجد لإعادة البناء للديار

(١) المرجع السابق : ص ٨٨ .

التي خربتها هذه الحركة ، وإعادة المهجرين إلى دورهم ، وتحدد السلطان كذلك عن النهضة التعليمية الكبرى بالبلاد ، وعن المسير نحو إيجاد مكان لكل طفل بعمان في المدارس ، وعن الاهتمام بالجانب القومي في التاريخ حتى يكون الجيل الجديد فخورا بما حققه أجدادهم من تطور وتقدّم .

وتكلم السلطان عن مشروعات الصحة والإسكان والشباب والبترول ، فرسم للبلاد مستقبلا طيبا ، كما تحدث عن مشاركة عمان للدول العربية في الجهود التي تبذل لتأييد الحق العربي بفلسطين ولخدمة قضية السلام بوجه عام .

والناظر إلى عمان يحس أن نافذة الضوء على عمان التي فتحها السلطان فابوس قد اتسعت ، ونتجه دائما إلى مزيد من الاتساع ، والباخرة تسير .

حضارة عمان :

خيّمت على عمان سحابة قاتمة من التخلف خلال عهود الظلام التي كلامنا عنها ، وزاد التخلف عمقا في عهد الاستعمار البريطاني ، فكانت عمان - كما يقول المفكرون العمانيون - نقطة هامدة على سطح الأرض ، ولم يكن لها دور في حياة العرب أو المسلمين ، ولكن هذه الحالة الطارئة ينبغي ألا تنسينا ما حققتها عمان قبل ذلك من أمجاد حضارية ، ولهذا نذكر هنا أبرز ما قامت به عمان في هذا الميدان ، ولعلنا قد أشرنا إلى بعض هذه المنجزات الحضارية في دراستنا السابقة .

وأول ما نبرزه أن عمان كانت الدولة الوحيدة بين الأقطار العربية التي كانت لها مستعمرات خارج المنطقة العربية ، نالت مكانتها بحد السيف بعد أن طردت المستعمر الأوروبي منها ، وبقيت عمان في هذه البقاع برغبة سكانها لتخفيه من أطماع الغرب التي بدأت تظهر عقب طرد البرتغال .

ويتصل بهذا أن نذكر لعمان بكثير من الفخر أنها قاومت البرتغاليين بدون معونة من أحد ، وهى بهذا تعد في صفوف الدول التي حطمت بالسيف قوى المستعمر الغاشم وأذلته ، وألزمته أحياناً أن يدفع الجزية وأحياناً أن يستسلم .

ومن المواقف الحضارية التي تحسب لعمان دورها التجارى العظيم في دنيا ذلك الزمان ، فقد غطت تجاراتها أكثر دول آسيا وأفريقيا ، وكانت لها السيطرة على أكثر بحار هذه المناطق كما كانت لها مراكز تجارية على جميع السواحل التي يرسو بها أساطولها التجارى العظيم ، وقد استدعت هذه الحركة التجارية النشطة ظهور ساحل مبار من القراءنة الذين ينتمون إلى مختلف الجنسيات الآسيوية والأوروبية ، وهكذا سبق العمانيون الإنجليز إلى تلك السياسة التي ترمي إلى تأمين الملاحة التجارية في المحيط الهندي (١) :

وقد أنجبت عمان صفوة ممتازة من الناس في مختلف نواحي المجد فمنهم الأبطال ، ومنهم العلماء والقادة ، وفي قمة الأبطال العمانيين الذين عرفهم التاريخ الإسلامي المهلب بن أبي صفرة ، ومن علمائها صحار العبدى صاحب الخلفاء المراديين ، وكمب بن سور قاضى عمر بن الخطاب على البصرة ، والخليل بن أحمد الفراهيدى واضح علم العروض وصاحب كتاب العين ، ومن خطبائها صعصعة بن صوحان ، ومن أجواودها مرة بن الوليد ، ويقال : إنه لم يكن في الأرض أجود منه ، وكان رسول المهلب إلى الحجاج ، ومن فصحائها بشر بن المغيرة ولم يكن في الأرض أنطق منه ، ومنهم الربع بن حبيب الفراهيدى وكان يضرب به المثل في العلم ، ومنهم حمزة الشعري وهو من بنى سليمية ، ومنهم أبو بكر أحمد بن دريد صاحب الجمهرة ، ومنهم أبو العباس المبرد صاحب كتاب الكامل وكثيرون جداً غيرهم من ذاع صيتهم في ميادين السياسة والبطولة والعلم .

(١) السالمى : تحفة الاعيان ج ١ ص ١٠ وما بعدها .

وقد عرف التاريخ مجموعة عظيمة من نساء مسقط شاركن بمنصب كبير في النشاط السياسي والاجتماعي ، وقد من ذكر السيدة معازة التي كانت وصية على سالم وسميد ابني سلطان بن أحمد فأحسنت قيادة الأمر ، وظهرت كثيرات من النساء على رأس الثورات التي كانت تشتمل أحيانا ، وكان حجاب النساء في مسقط أقل مما كان عليه في البلدان العربية الأخرى ^(١) .

ويشتهر سكان عمان بالنظافة والدقة ، وقد كان هذا الاتجاه مما لفت أنظار الرحالة الأوروبيين فقال Buckingham إنهم أنظف وأشد رقة وأكثر أناقة من جميع العرب الذين صادفهم في رحلات ^(٢) .

Bohem : The Persian Gulf p. 6. (١)

Travels in Syria, Media and Persia vol 2 p. 413J. (٢)

صلات شخصية بعمان

ارتبطتُ بعمان منذ كتبت تاریخها السابق ، ثم تطورت الصلات بعد ذلك ، وأنا بطبيعة عملی شدید الرغبة في تطوير الصلة بالبلاد التي أكتب عنها ، ففي مطلع حیاتی العلمیة اكتشفت مجموعةً من الأخطاء وقع فيها الذين يكتبون تاريخ بلادِ وهم بعيدون عنها ، وقد صحت بعض هذه الأخطاء عند زیارتی للمواقع التاریخیة^(١) ، ومن أجل هذا كنت شدید الحرص على زیارة البلاد التي أكتب عنها ، وقد أتيحت لى والحمد لله فرص متعددة لزيارة كثير من البلاد التي كتبت عنها ، ومن ضمنها سلطنة عمان .

وسلطنة عمان جذابة ، ناسها طييون ، وتاريχها حافل بالغموض من جانب ، والمخاخير من جانب آخر ، وتاريχ كهذا فيه إغراء للمؤرخ ليحاول أن يكشف ما به من غموض ، وليس منتم بمما به من مفاخر ، تضاف المفاخر العربية والإسلامية .

وقد دُعیت لزيارة عمان عدة مرات سأتحدث عن أهمها فيما بعد : ولكن الذي يعنينى أن أبدأ به هو أننى خلال هذه الزيارات أو بعضها دُعیت لدخول بيوت بعض العمانيين ، وبهذا أصبحت هذه الزيارات بها لمسة عائلية ، وقد تركت هذه الزيارات أثراً كبيراً في نفسى لأننى جالست العمانيين بعيداً عن الرسميات والفنادق ، فراعنى كرمهم الذى يصل إلى حد البذخ ، وسعدت ببيوتهم التى تحفل بالطنافس وتردان بجيد الإناث .

وهناك نقطة أكثر أهمية هي أن عقل الرجل العماني متفتح يستقبل أحدث الأفكار فيفكراً فيها ويناقشها ، ولا يردها — دون تفكير — كما يفعل غيره ، ومن هنا أتيح لجلساتنا أن تشاهد عرض كثیر من الإسرائیلیات لتفنيدها ، فنناقشناها بصراحة مع أننى لاحظت أنه في بعض البلاد الأخرى لا يواافقون

(١) انظر صوراً من ذلك في كتابي : التربية والتعليم في الفكر الاسلامي ص ١١٩ - ١٢٠ .

على مناقشة مثل هذه الأفكار ، ويعدونها أصولا إسلامية لا تتحتمل المناقشة (١) وفي هذا المجال لابد من تسجيل الإعجاب بعالمين جليلين من علماء عمان هما معالى الشيخ محمد بن أحمد مستشار السلطان للشؤون التاريخية والدينية ، وهو عالم جليل ، سمح ، واسع الأفق ، كريم المحس ، وقد زرته في مكتبه ، ثم زرته مرة أخرى في المكتبة الحافلة التي أنشأها للاطلاع في « السبب » .

أما العالم الثاني فهو سعادة الشيخ يحيى بن عبد الله النبهاني ، وقد أمضيت سهرة علمية حافلة بمنزله العامر .

وفي هذا البيت وذاك دار حوار حول مجموعة من القضايا العربية والإسلامية ، فأسعدنى أن العقل العماني يحسن التلقى ، واختبار ما يلتقاء ، كما يحسن تصدير ما اقتنع به غير مكبل بتقاليد ، وغير خاضم لجمود .

تحية للعقل العماني السمح المفتوح .

مازن بن غضوبية والصنم الذي نكلّم

ومن أمتخ المواقف التي تدل على سعة أفق الإنسان العماني أن حلقة دراسية كانت قد عقدت عن الصحابي « مازن بن غضوبية » أول من أسلم من عمان ، وقد اشتراك في هذه الحلقة وكان النظام يقضى أن يكتب باحث « دراسة » متكاملة عن « مازن » وقد كثُر بهذا العمل الباحث العماني الأستاذ أحمد بن مسعود السيبابي ، ثم يقوم كل « من الأساتذة الآخرين بكتابية بحث عن جانب من جوانب هذه الشخصية ، أو في موضوع عماني على العموم ، وكان الموضوع الذي اختير لي هو عن « مشاركة العمانيين في الفتوحات الإسلامية » .

(١) انظر بعض هذه القضايا في « الاسرائيليات والجمود وحرب أعلنها على الجبهتين » بكتابي « رحلة حياة » .

وهناك قضية متوافرة عن «مازن بن غضوبة» خلاصتها أنه كان قبل الإسلام سادن أصنام، وأنه في يوم من الأيام ذهب ليقدم قرباناً لصنمه «ناجر» ولكنه سمع صوتاً ينبعث من جوف الصنم يقول له :

يَا مَا زَنْ اسْمِعْ تَسْرِئْ
بَشِّعِثْ نَبِيْ مِنْ مُضِيرْ
فَدْعْ نَحِيَتَا مِنْ حَجَرْ
تَسْلَمْ مِنْ حَرْ شَسْعَرْ

واضطرب مازن عندما سمع هذه الأرجوزة ، ولعله ظن أن القربان كان أقل من مستوى الصنم ، ولذلك أعد قرباناً أكبر وذهب به إلى الصنم في يوم تالٍ ، ووضعه بين يديه ، ولكنه سمع الصنم يقول له :

أَقْبَلْ إِلَىْ أَقْبَلْ تَسْمِعْ بِمَا لَا تَجَهَّلْ
هَذَا نَبِيْ مَرْسَلْ جَاءَ بِحَقْ مَنْزَلْ
آمِنْ بِهِ كَىْ تَعْدِلْ عَنْ حَرْ نَارِ تَشَعَّلْ
وَقُودُهَا كَالْجَنْدَلْ

وانبرى مازن يحطم الصنم ، واتجه للحجاز حيث قابل الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلم وأعلن إسلامه .

وهذه القصة كانت شائعة ومتواترة ومقبولة لدى الجميع . وتسربت إلى بعض المصادر التاريخية ، وليس هناك حوار عنها ، وتعرض لها أكثر المحدثين في الندوة ومن أولئهم الأستاذ أحمد بن مسعود .

وقد طلبت الكلمة لواجهة هذه القضية ، وأعلنت سخريتى منها ، وذكرت أن الصنم لا يتكلم أبداً ، ولو كانت الأصنام تتكلم لكان أولى بذلك أصنام مكة المكرمة ، لتفح من الاضطهاد والتنكيل الذى نزل بالرسول صلى الله عليه وسلم وبصحبة الأولين .

وقلت إن الشعر الذي رُوِيَ في ذلك هو في الحق يناسب مازن نفسه ، وهو عبارة ” عن حديث مازن حدثته به نفسه ، وعندما نضع هذا الشعر في ميزان النقد الأدبي ونقارنه بما نعرف من شعر مازن يتضح لنا أنه في نفس مستوى شعره ، وطلبت من الزميل الذي كان يتكلّم عن أدب مازن أن يضم المقطوعتين اللتين تسبّبان للصنم إلى شعر مازن ، فاستجاب لذلك .

وكان هذا موقفاً خطيراً لفكرة مرت عليها القرون من مطلع الإسلام حتى الآن ، والعجب أن العقل العماني قبلها بهدوء ، وفكّر فيها وارتقاها ، وصدرت صحف عمان في اليوم التالي (الوطن الأسبوعي في ١١/١/١٩٩٠) تذكر أن الأستاذ الدكتور أحمد شلبي فجر قضية مهمة ٠٠٠٠٠٠ وجّدت قبولاً لدى السامعين أو أكثر على الأقل ، تحية للعقل العماني المتحرر .

وقصة مازن وصنمته تذكّرني بقصة مماثلة لعلها تؤكّد أنّ الشعر هو شعر مازن وأنّه كان يحدّث نفسه بهذه الأفكار .

والقصة الجديدة حدثت في السودان وكان ذلك عقب عيد الأضحى ، فالرعاة السودانيون كانوا قد وفدو بقطعان من الخراف والماعز على العاصمة قبيل العيد ليبيّعواها إلى المراغبين في تقديم الأضحى ، وباع الرعاة الكثير ، ولكن بقي لديهم كثير من الخراف والماعز لم تجد من يشتريها ، فعاد بها الرعاة إلى القرى والنجوع ورأى شاعر سوداني تلك القطعان العائدة فتخيل خزيّها وأسفها ، ونظم قصيدة ، نشرت في حينها بالصحف السودانية ، وكانت القصيدة على لسان الخراف والماعز تبدّى أسفها لأنّها جاءت للمدن وهي حريصة على أن تتمتع أهلها وأن تقدم لهم لحومها وصوفها وجلودها ، ولكن الناس أعرضوا عنها ، فعادت حزينة كاسفة البال راجية لا يتكلّر إهمالها عندما تفدي مرة أخرى في عيد مقبل .

على أن الأدب العربي يعرف ذلك كثيراً في كتاب « كليلة ودمنة » .

المهم مرة أخرى أن العقل العماني استجاب بمسؤولية لفكرة عرضتها
تتعارض مع تراث طويل لمدينه •

ونعود بعد ذلك للحديث عن زياراتي لعمان وعن أهدافها :

الزيارة الأولى : الاشتراك في ندوة الدراسات العمانية :

في سنة ١٩٨٠ دعا سمو الأمير فیصل بن علی بن فیصل وزير التراث
القومي والثقافة مجموعة من المفكرين المسلمين والعربين للاشتراك في
« مهرجان التراث العماني » وحضور « ندوة الدراسات العمانية » التي
أقيمت في مسقط من أول نوفمبر إلى الناهن منه سنة ١٩٨٠ وذلك بمناسبة
احتفال السلطنة بيدها الوطنى العاشر في العهد الزاهر لحضرت صاحب
الجلالة السلطان المعظم : السلطان قابوس بن سعيد •

وسرعان ما اختارت موضوعاً أثّسهم به في هذه الندوة ، وفي الموعد
المحدد كنت هناك ، حيث التقى بعده كثير من الباحثين والدارسين دعّوا
لهذه الندوة من الأقطار العربية والإسلامية والمغربية •

وفي « مسقط » عيشنا في رحاب وزارة التراث القومي والثقافة فترة رائعة
شاهدنا فيها عمان الحديثة ، وهي تصل تاريخها المعاصر بأمجادها القديمة ،
ونعمنا بالإهبة العمانيين الذين أحاطونا بكل مظاهر الكرم والحفاوة •

وكلمة حق لابد أن تقال هي أن صاحب المسمى ممالى فیصل بن علی^١
ابن فیصل كان طيلة أيام الندوة يحيط الأعضاء والباحثين بكامل الرعاية ،
وكان يعيش معنا ، ويشترك بكل اهتمام في سير العمل ، مما أضافى على
الندوة جوا من الدقة والتوفيق •

وقد بدأت الندوة مساء السبت أول نوفمبر بحفل افتتاح رسمي كبير
حضره مجموعة من أصحاب المسمى أفراد الأسرة المالكة الكريمة ، كما حضره
 أصحاب المعالي الوزراء ومجموعة من علماء عمان الأجلاء ومن أعيان البلاد •

وابتداءً من يوم الأحد بدأ إلقاء البحوث والدراسات في المسابح
والمسابقات وقد وُضع تخطيط دقيق لضمان حسن سير العمل ، فخصصت
أربعة أيام هي أيام : الأحد والاثنين ، والأربعاء والخميس لإلقاء البحوث
ومناقشةها أما يوم السبت ويوم الثلاثاء فقد خُصّصا لرحلات داخل عمان ،
وكان يوم الجمعة يوم راحة .

وقد لوحظ أن البحوث كانت غزيرة المادة ، وأن المناقشات كانت جادة ومثمرة ، مما أضفى على الندوة جوا من الاهتمام والنجاح .

أما الرحلات فكانت ممتعة حقا ، فقد زرنا فيها المناطق العربية في
عمان ، ورأينا العواصم القديمة ، والقلاع الشاهقة ، وكم وقف الباحثون
بإعجاب أمام قلاع جبرين وزنوى وبهلاء وبيت النعمان وحصن الحرم
والمستنق ٠٠

وقد كانت لمسات التقدم ظاهرة في كل مكان زرناه ،رأينا هذه اللمسات في الإنسان العماني ، وفي العمران ، والطرق ، والحقول ، في القرى والمدن ، مما دفعنا جميعاً للدعاء لصاحب الجلالة بحسن الجزاء من الله الذي لا يضيئ أجر من أحسن عملاً .

الإشراف على تصنيف وطباعة البحوث ،

وكان لي الشرف أن أُسند إلى الإشراف على طباعة البحوث التي قدمت الندوة ، وهذا التكليف استلزم أن أقوم بالخطوات التالية :

أولاً - كتابة تاريخ وجز وتحصل لعمان حتى يستطيع أي «اري» بحوث الندوة أن يضع كل بحث على خريطة التاريخ بمسؤولية .

ثانياً - تصنيف البحوث :

رغبة في أن تخرج هذه البحوث في شكل علمي اتجهت إلى تصنيفها في التسلسل التاريخي بين بعدها والبعض من جانب ، وعلى الوحدة في كل مجلد من مجلدات هذا العمل من جانب آخر . وللهذا دسمت البحوث للأقسام التالية :

- عمان في العصور القديمة .
- تاريخ عمان ونشاطها الداخلي من مطلع الإسلام حتى الآن .
- عمان في شرق إفريقيا .
- سلالات عمان بال المغرب العربي .
- عمان في مواجهة البرتغال .
- الأحصون وال عمران في عمان .
- علاقات عمان الخارجية سياسيًا وحضارياً واقتصادياً .

ثالثاً - تنفيذ الإصلاحات التي أشار بها الباحثون المماليون :

كانت البحوث قد أحيلت إلى مجموعة من الباحثين العمانيين لراجحة تها قبل الطبع ، وقد أثبتت هؤلاء الباحثون بعض الملاحظات المهمة ، وكان على أن أضع هذه الملاحظات موضع التنفيذ .

— ۴۴۷۹ —

رابعاً - الإشراف على الطبع والإخراج :

و هذا الإشراف استلزم إعداد الأكاديميات والخراط والتنسيق والمراجعة ، ثم عمل الفهران ، لضمان إخراج هذه المجموعة من البحوث في شكل يلائم المناسبة العظيمة لهذه الدراسات الرائعة .

ومن الاعتراف باليد لصاحب اليد أن نذكر أن صاحب السمو معالي وزير التراث القومى والثقافة السيد فيصل بن على بن فيصل قد أولى هذا العمل كل العناية ، وكما رعى الندوة رعى إخراج بحوثها في أحسن شوب *

وَمِمَّا يُذَكِّرُ أَنَّ هَذِهِ الْبَحْثُونَ قَدْ خَرَجُتُ فِي ثَمَانِيَةِ أَحْزَابٍ سَعْنَاهُ اَنْ :

مجلة
الدراسات العمانية

الزيارة الثانية لعمان : تكريم عالم فاضل من علماء عمان :

ومن الرحلات التي قمت بها إلى عمان رحلة للاشتراك في مهرجان لتكريم أحد علماء عمان البارزين هو الفقيه الفاضل الشيخ سالم بن حمود المسيباني ، وهو مؤلف لعشرات من الكتب في موضوعات مختلفة وشاملة ، ولعل أهمها كتابه « عمان عبر التاريخ » وهو يقع في خمسة أجزاء وكتاب « إرشاد الأئمة في الأديان والآحكام » وهو أيضا يقع في خمسة أجزاء وبعض مؤلفاته في المفقه مثل : المقول المعتبر في أحكام صلاة المسفر ، والعقود المفصلة في الأحكام المؤصلة

وقد كتبت بحثا طويلا عرضت فيه مؤلفات الشيخ وحللت أهم مذاه بها .

الزيارة الثالثة : الاشتراك في كتاب عن « عمان في التاريخ » :

في سنة ١٩٩٠ اتجهت عمان للاحتفال بمرور عشرين عاماً على نهضتها وارفة الخلال منذ بدأ عهد السلطان قابوس . وكان من الأعمال العلمية التي اتجهت وزارة الإعلام لإبرازها في هذه المناسبة أن دعت " عدداً كبيراً من المؤرخين لإعادة كتابة تاريخ عمان . واختير لى موضوع مهم في هذا التاريخ هو « تاريخ العواصم العمانية » .

والحق أن هذا الموضوع كان غامضاً تماماً ، ولم تسبق المكتبة عنه ، بل إن العواصم لم يكن متوفقاً عليها . وقد زرت عمان بهذه المناسبة وتجولت في أنحائها ، واطلعت على كثير من المراجع ، وقابلت عدداً من علماء عمان وعدت لمصر ، وعشت في تصوراتي ومراجعي حياة خصبة كان من شمارها أن كتبت بحثاً مهماً عن هذا الموضوع . يسرني أننى أخفته من قبل لهذا الكتاب في الصفحات من ٢٥٧ إلى ٢٨٧ .

هذا وإذا كانت لى صلات " خاصة بعمان ، فإن بلادي صلات خاصة بها كذلك ، فالإنسان المصري لا ينسى أن سفاره عمان خلقت اعلامها تترنح بالقاهرة . وخللت الصلات الدبلوماسية والثقافية متصلة بين البلدين . يوم انتسبت باقى الدول العربية اتجاه العراق في مؤتمر بغداد سنة ١٩٧٨ الذي قرر قطع العلاقات مع مصر وسحب السفراء ..

وهذا يدل على عمق الروابط بين مصر وعمان . وعمق انتقال عمان في اتخاذ القرار .

اليمن

- ١ - الجمهورية العربية اليمنية
- ٢ - جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

ثم الوحدة التي تحققت سنة ١٩٩٠

دود الپمن

إن المحاولات التي تجري في المعهد الحاضر لتوحيد اليمن الشمالي واليمن الجنوبي ليست إلا عملاً يُقصد به إعادة الحق إلى نصابه ، فاليمين الشمالي واليمين الجنوبي يكتنان على مر التاريخ دولة واحدة ولم يوجد الانفصال إلا بفعل تمزق يعم البلاد ، أو قوى أجنبية تحتل بعضها .

والكتب التاريخية التي بين أيدينا تضع حدود اليمن بحيث تشمل اليمن الشمالية واليمن الجنوبية ، ومن هذه المراجع ما يمتد بحدود اليمن الشرقية إلى الخليج العربي ، فيجعل المساحة الجنوبية من الجزيرة العربية المتدة مع المحيط الهندي من البحر الأحمر إلى خليج عمان تكون دولة واحدة هي اليمن ^(١) و هو لاء في هذا الاتجاه يتبعون ما عرف عن حدود اليمن قبل ظهور الإسلام ، فقد ذكر جورج زيدان ^(٢) أن اليمن في التاريخ القديم كان يحدها من الشرق خليج العرب ، ومن الغرب البحر الأحمر ، ومن الجنوب المحيط الهندي ، وذكر الهمданى ^(٣) أن بلاد اليمن تمتد من جنوب نجد والجaz في الشمال إلى خليج عدن في الجنوب ، ومن حدود عمان والربع الخالي شرقاً إلى البحر الأحمر ومضيق باب المندب غرباً ، وهناك نص قديم يرجع إلى عهد الملك شرحبيل بن معفر (٤٥٥ - ٤٥٠ م) وهو مكتوب بخط المسند ويبيّن هذا النص أن هذا الملك الذي امتد حكمه على هذه المناطق جمّعاً قام بترميم سد العرب (مارب) وفيما يلي فقرات من هذا النص :

شجبيل ملك سباً وريدان وحضرموت وبمنات وأعرابهم في التطور
وتدهامه، قام بترميم سد العرم أي سد مأرب، بآئن سرّه (طهرّه) من

(١) أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ص ١٠ .

^{٢)} العرب قبل الاسلام ص ١١٩ .

^{٣)} صفة جزيرة العرب : ص ٥١ .

أكداس الفراب من أسفله إلى أعلىه ، بغية تحويل الملياہ إلى العرم ، وقد اشترك في العمل الكثيرون من قبائل حمير وحضرموت ^(١) .

وقد امتد اليمن في التاريخ الإسلامي فشمل حضرموت في أكثر فترات هذا التاريخ ، فكان عمال الخلفاء على اليمن يتولون ولاية حضرموت أيضاً في أكثر الأحوال ، ويعينون من قبلهم نواباً عليها ^(٢) .

ذلك هو الاتجاه العام بالنسبة لليمن وحضرموت ، ولكن هناك اتجاه آخر يميل له بعض الحضارمة ، وهو أن حضرموت غير اليمن تاريخياً وحضارة ، وقد تمسك بهذا الرأي الأستاذ صالح بن سعيد ، فقد انتهز فرصة رواية تشير إلى أن حضرموت جزء من اليمن فلعل عليها قنائلاً : لا يفوتنى أن أذكر أنه ليس المراد أن حضرموت جزء من اليمن ، وإن كان بعض المؤرخين يطلقون عليها اليمن بوجهه عام ، ولكن إذا أردنا الدقة فحضرموت دولة مستقلة لها تاريخها القديم المستقل وعاداتها وتقاليدها ، ومنذ فجر الإسلام كان الرسول يبعث لها بعوثاً خاصة غير مكتفٍ ببعوث اليمن ^(٣) .

ويستدل هذا المؤلف على رأيه برواية يقتبسها من ابن كثير في البداية ، وفيها يذكر ابن كثير عمال الرسول على اليمن وعلى حضرموت ويختتم ابن كثير روايته بقوله : وبعث معاذ بن جبل معلماً لأهل البلدين : اليمن وحضرموت ، ينتقل من بلد إلى بلد ^(٤) . فيرى هذا المؤلف أن ابن كثير عدّهما بلدين .

(١) انظر النص كله في كتاب اليمن عبر التاريخ ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٢) صالح بن حامد العلوى : تاريخ حضرموت ج ١ ص ١٦٨ .

(٣) دخول الإسلام إلى حضرموت ص ٢٧ (وانظر الهاشم) .

(٤) المرجع السابق ص ٣٠ .

أقسام اليمن الطبيعية :

تنقسم اليمن طبيعياً ثلاثة أقسام هي :

١ - منطقة تهامة ذات المناخ الحار الواقعة على ضفة البحر الأحمر ابتداءً من المحيط الهندي إلى « حرض » شمالاً بعرض خمسين كيلو متر تقريباً ، وتمتاز أرضاً بالخصوبة ، وتتدفق المياه .

٢ - المنطقة الجبلية ذات المناخ الصحي المعتدل ، وتنقسم إلى منطقة الجبال « سلسلة جبال السارات » وتبعد هذه المنطقة من أرض المغافر الحجرية جنوباً إلى الطائف شمالي بعرض حوالي ١٥٠ كم ويتراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين ١٠٠٠ و ٣٦٠٠ متر ، وهي من أهم المناطق لزراعة البن والحبوب ، وتهطل عليها الأمطار بغزاره .

٣ - المنطقة الصحراوية الشرقية ، وهي منطقة حضرموت حتى عمان شرقاً ، وعرضها حوالي خمسين كم ، وفيها مناطق اليمن الأثرية ، ومدن معين وسبأ وققبان ، كمارب ، وصراوح ، وحرث ، وقد حظيت هذه المنطقة بازدهار عظيم في الماضي في المجال الزراعي والعماري ، وتعتبر أقدم منطقة في العالم عرفت أساليب الرى التي كانت تعتمد على السدود ، كسد مأرب ويسرين وغيرهما ، وفيها الكثير من بقايا القصور والهيكل مما يرجع بناؤه إلى عهد شهادة اليمن وتفوقة ^(١) .

تاريخ اليمن قبل الإسلام :

إن تاريخ اليمن قبل الإسلام تاريخ حاصل ، ومن الممكن أن نقر هنا حقيقة شهيرة ، هي أن اليمن حملت لواء حضارة مزدهرة فترة طويلة من الزمن ، ولعبت في التجارة دوراً كبيراً ، كما كان لها دور عظيم في نشر الفكر الحضاري قبل الإسلام وبعده .

(١) أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ص ١٧ بتصرف .

وفي اليمن القديمة قامت إمارات كثيرة ، لم يكشف التاريخ بعد عن مكانتها ، ولكنَّ هناك خمس دول ذات أهمية كبيرة ، تكلمنا عن أهمها في الجزء الأول من هذه الموسوعة . وهي بإيجاز كالآتي :

مملكة معين :

أقدم دول اليمن المعروفة هي دولة معين . وقد بدأت من القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وظلت حتى ٨٥٠ قبل الميلاد وحلت محلها مملكة سبا . وكان لمعين عاصمتان إحداهما سياسية وهي « معين » والثانية دينية وهي « بثيل » وستتكلّم كلمة فيما بعد عن هذه الدولة التي وضعت الأساس لحضارة اليمن ، ونشاطها في الداخل والخارج .

مملكة حضرموت :

وقد بدأت حوالي سنة ١٠٢٠ قبل الميلاد وظلت حتى سنة ٦٥ ميلادية ، وكانت عاصمتها « شبوة » وقد تغلبت عليها سباً وضمت أرضها .

مملكة قتبان :

وقد بدأت حوالي الألف الأول قبل الميلاد ، وكان لها الإشراف على باب المدب ، وكانت عاصمتها (تمنع) وسقطت سنة ٥٤٠ قبل الميلاد ، وقد ورثتها سباً كما ورثت دولة معين بدولة حضرموت .

مملكة سبا :

وقد قامت حوالي سنة ٩٥٥ قبل الميلاد وظلت حتى سنة ١١٥ ميلادية ، وكانت عاصمتها مأرب ، واقتسم ملكها كما ذكرنا من قبل فشل مملكة حضرموت ، ومملكة معين وقطبان ، وقد تحدثنا عنها في الجزء الأول من هذه الموسوعة (١) .

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي - ١ ص ٩٨ من الطبعة الرابعة عشرة .

مملكة حمير :

ونسمى دولة التابعية ، وكانت عاصمتها (ظفار) وظلت حتى أستطاعتها الاستعمار الحبشي سنة ٥٢٣ ميلادية .

حضارة اليمن القديمة

وينبغى أن نقرر أن أقدم سكان اليمن الذين سكنتوا مملكة معين جاءوا إلى هذه المناطق وأفادين من أرض العراق ، وكأنوا هناك من العاملة الذين نالوا حظاً وفيراً في دولة حمورابي ، ثم وفدوا إلى اليمن ومعهم حضارة زاهرة كانت أساساً للدور الحضاري الذي لعبوه في موطنهم الجديد .

ومع قيام دولة معين بدأت صلة كبيرة بين هذه المناطق وبين اليونان ومصر ، وكانت موانئ اليمن الكثيرة تستقبل الحاصلات من الهند والصين ودول جنوب شرق آسيا ، وتتصدرها إلى اليونان ومصر ، فكانت همة وصل بين هذه الدول .

وتتحدث النصوص التي عثرت عليها في مصر عن الصلات التي كانت تربط مصر بالمعينيين ، كما تقرر أن جالية معينية كانت تعيش في مصر ، وأن المعينيين كانوا يقumen بتزويد معابد مصر بالبخور ^(١) ، وصلات اليمن باليونان ومصر وصلاتها بالفرس والهند والشرق الأقصى جعلها على علم بما كان يوجد في هذه الأقطار من علوم وفنون مما جعل التبادل لا يتوقف عند السلع ، بل يشمل الأفكار والحضارات .

وقد خلقت سباً وحمير آثاراً تدل على العظمة والرقي ، وهي تشمل كثيراً من الأطلال والنقوش ، كما كان لها أسطول ضخم ينقل البضائع

(١) دكتور جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ١ ص ٣٩٧ وما بعدها .

بين موانى الهند والصين وسومطرة والصومال بحيث كانت التجارة شبه احتكار في يدها ^(١) .

ومن اليمن كانت التجارة تصعد إلى الشمال بقوافل برية تسيطر عليها اليمن أيضا ، قبل أن ينتقل مركز هذه القوافل إلى مكة ، فقد كانت سبأ إبان عظمتها التجارية تسيطر على طرق النقل التي تجتاز المحاجز متوجهة شمالا حتى موانى البحر المتوسط ، وكانت لها مستعمرات أنشئت على هذه الخطوط ، ويرى الدكتور حتى أن بلقيس لم تكن ملكة على بلاد اليمن ، وإنما كانت ملكة على أحد معاقل سبأ ومركزاً لها التجارية سالفة الذكر ^(٢) .

وقد كان تجار اليمن من الذكاء لدرجة أنهم حافظوا على أسرار تجارتكم ، خلِم يعرف أهل الشمال مصادر كثير من البضائع التي كانت ترد إلى اليمن من الهند وإندونيسيا والصين وغيرها حتى ظن بعض الرومان والميونان أن جميع هذه البضائع كانت من إنتاج اليمن ^(٣) .

وقد كتب الهمданى (٣٣٤ هـ) مجموعة كبيرة من الكتب وصف فيها حضارة اليمن كما شاهدتها ، وتحدث بإفاضة عن آثار سبأ وحمير من المحسون ، والقصور ، والمعابد ، والسدود ، وصهاريج المياه وقنوات الري ، والأبراج ، وتماثيل الرخام والبرونز ، وجلاميد الصخر الهائلة المنحوتة نحتا فنينا رائعا إلى غير ذلك من زخرفة الحيطان وسقوف الأبنية والمعابد بالذهب والفضة والبرونز ، وغيرها من المعادن التي استطاعوا

Pecipius of the Erytarasan Sea Translated from
the Greek.

(١)

(٢) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ١ ص ٥٤ .

(٣) المرجع السابق : ص ٥٩ - ٦٠ .

استخراجها من بطن الأرض ، واستخلصوها مما خالطها ثم استعملوها
أروع استعمال^(١) .

الأديان في اليمن قبل الإسلام :

وقد انتشرت في اليمن الديانة التي كان القمر فيها يعد إليها ، وهي إحدى الديانات الرئيسية التي كانت تسيطر على جنوب الجزيرة منذ عام ألف قبل الميلاد ، أى منذ مطلع عهد مملكة سبا ، وعاشت بهذه المناطق حتى دخلت الديانة اليهودية اليمن في مطلع القرن السادس الميلادي ، ولكن هذه لم تعمر باليمين كثيرا ، فحلت محلها الزرادشتية على يد الفرس ، ثم الديانة المسيحية على أيدي الأحباش ، وظلت المسيحية باليمين حتى جاء الإسلام ، ويبدو أن كثرة الأديان باليمين وأضطراب هذه الأديان لم تدع لأى منها فرصة للاتعمق في ذهن اليمنيين ، فلما جاء الإسلام رحبوا به .

وقد عرَّفَ تاريخ اليمن القديم النظام الدستوري ، وال المجالس التبابية والقبلية التي كانت تمثل بها القبائل تمثيلا يترك لها مجالا واضحا في السلطات التنفيذية .

كما عرفت اليمن بناء السفن ، وفن الملاحة بما يستتبعه من علوم فلكية وطبيعية ، كما كانت قصور اليمن نموذجا ظل بعد الإسلام لما كان له من جلال وجمال .

اليمن فريسة الاستعمار :

سقطت اليمن فريسة الاستعمار سنة ٥٢٣ ميلادية ، وقد وضحتنا في الجزء الأول من هذه الموسوعة ظروف امتداد نفوذ الحبشة إلى اليمن ، وقد ظل الأحباش باليمين اثنين وسبعين سنة ، ثم انتصر عليهم الفرس

(١) انظر كتاب : صفة جزيرة العرب ، والاجزاء التي عرفت من كتاب الكليل للهمданى ، وحديث الاستاذ أحمد شرف الدين عن الهمدانى وكتبه .

وطردوهم منها (١) ، وكان مع الفرس أحد أولاد ملوك حمير وأسمه سيف بن ذي يزن ، وقد عينه ملك الفرس حاكما على اليمن ، ولكنه قتل على يد الذين استيقاهم لخدمته من الأحباش وقيل قتل بتدبير الفرس ، وتشئت شمل اليمن بقتل سيف بن ذي يزن ، وقادت باليمن طائف متعددة ، وديارات كثيرة لكل منها ملك ، وعین کسری وهرز حاكما لليمن ، وكان سلطانه فوق سلطان ملوك الطوائف (٢) .

وبعد وهرز حكم أبناؤه وأحفاده على ما ذكرناه في الجزء الأول من هذه الموسوعة ، حتى آل السلطان إلى يد باذان الذي عينه کسری ، والذى ظهر في عهده الإسلام ، وبعث له رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم يطلب دخوله هذا الدين ، في الوقت الذي بعث فيه الملوك والرؤساء في مناطق الجزيرة وما حولها ، وتذكر الرواية أن کسری عندما جاءه رسول محمد ثار وأرسل إلى باذان نائبه باليمن يطلب منه أن يرسل رجلين شديدين إلى مكة ليقبضا على محمد تمهدًا لإرساله إلى کسری ، وببدأ باذان ينفذ ما أمر به ، فأرسل الرجلين إلى رسول الله ، ودخل الرجلان على محمد وأخبراه الخبر فقاتل محمد لهما : قولًا لمن أرسلكما أن ربى قتل ربه ، وكان قد أوحى للرسول أن شبرويه ابن کسری قتله ، وعاد الرجلان بهذه الرسالة ، وكان خبر القضاء على کسری لم يصل إلى اليمن ، فقال باذان : إن صدق محمد فهونبي حقا ، وبعد فترة قصيرة وردت الأخبار بذلك ، فآمن باذان وآمن معه كثير من المسكان ، وببدأ الإسلام ينتشر في اليمن .

(١) تاريخ الطبرى : ج ١ هـ ٥٥٨ .

(٢) صالح بن حامد العلوى : تاريخ حضرموت ج ١ ص ١١٣ .

- ٣٨١ -

الإسلام في اليمن

فتح إسلام باذان الطريق لانتشار الإسلام بنواحي اليمن ، وكان التخلص من نفوذ الفرس من أهم العوامل التي دفعت السكان لاعتناق الإسلام .

وفي عام الوفود مَدِّمت من اليمن ، ومن حضرموت وفود متعددة ، ومنها وفود كندة وهمدان وخولان والنخع والصادف وعذر ووجهينة ومراد غيرها .

وكان وفد كندة برئاسة الأشعث بن قيس الكندي صاحب مرباع حضرموت ، وله ولأولاده تاريخ قلق أبرزناه في الجزء الأول والثاني من هذه الموسوعة ، ويقولون أن وفد كندة كان أهم وفود اليمن للرسول ، وقد كان هذا الوفد مثلاً للروعة وحسن الهيئة ، وكان يتكون من ثمانين عضواً ، كل واحد منهم متألق في لباسه وهيئته ومركبته ، وكان الأشعث رئيس الوفد من ملوك كندة ، وصاحب مرباع حضرموت .

وكان وفد همدان برئاسة مالك بن الخط الهمданى ، ومالك بن أبيفع الهمدانى .

وكان وفد حمير برئاسة الحارث بن عبد كلال الحميري ، ونعميم بن عبد كلال ، وكان وفد مراد برئاسة فروة بن مسبك المرادي .

ومن العظام الذين وفدو على الرسول من اليمن وائل بن حجر بن ربيعة وكان من أبناء الملوك باليمن ، فأذن له الرسول منه وأجلسه على ردائئه ثم أقطعه الرسول أرضاً وأرسل معه معاوية بن أبي سفيان ليسلمها إليه ، فركب وائل ناقته ومشى معاوية خلفه ، ولما شق المishi على معاوية طلب من وائل أن يرده خلفه ، فقال وائل : لست كفينا لأن تكون رديفاً .

— ٣٨٢ —

وقد عاش وائل حتى أصبح معاوية خليفة ، فوفد وائل عليه بدمشق ، فاكرمه معاوية وأحسن إليه فقال وائل : وددت لو كنت حملته بين يدي ^(١) .

ومن مشاهير الذين وفدو من اليمن أبو موسى الأشعري ، وأخوه أبو بردة ، وياسر بن عمار العنسي والمد عمار بن ياسر ^(٢) .

عمال الرسول على اليمن :

لما أسلم باذان أقره الرسول على مكانته باليمن وإنما على جميع مخالفين اليمن ، وقد اتخذ صنعاء عاصمة له وبقى بها حتى مات بعد حجة الوداع ، فقسم الرسول اليمن إلى عشر عمارات ، عين عليها ولاة من قبله كما يلى :

شهر بن باذان على جانب من صنعاء .

وعامر الهمданى على الجانب الآخر من صنعاء .

وطاهر بن أبي هالة الأشمرى على مك .

وزيادة بن لبيد على هضموت .

والهاجر بن أبي أمية أخي أم سلمة على كندة وقد تولى زياد بن لبيد إمارة كندة بالنيابة عن المهاجر الذي منعه المرض من الذهاب لها . عقب توليته إليها .

وعكاشة بن ثور على السكانك والمسكون .

وأبو موسى الأشعري على زبيد .

وخالد بن سعيد على نجران .

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب ، والاصابة .

(٢) تحدث ابن حجر العسقلاني في كتابه « الاصابة في تمييز الصحابة » عن أبرز شخصيات هذه الوفود أحاديث واسعة .

ويعلى بن هنبه التميمي على الجند *

و عمرو بن حزم الأنصارى على بعض مناطق حضرموت *

وبجوار هؤلاء الولاة أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم دعاء وقضاء إلى اليمن ، ومن هؤلاء : أبو عبيدة بن الجراح الذى أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم مع وفد نجران حينما سأله قادة هذا الوفد أن يبعث لهم إلى اليمن رجلاً أميناً ، فنظر الرسول إلى أبي عبيدة بن الجراح وقال له : قم يا أبي عبيدة معهم ، فأنت أمين هذه الأمة (١) *

ومن هؤلاء كذلك على بن أبي طالب الذى بعث به الرسول ليتولى منصب القضاء باليمن ، ولما تردد على خوفاً من هذا المنصب قال له الرسول : إن الله سيهدي لسانك ويثبت قلبك ، وكانت وجهته رخي الله عنه صناعه ومخالفتها ، ومنهم كذلك معاذ بن جبل الذى اتجه إلى الجند ومخاليقه ، وهكذا شمل الدعاة أقسام اليمن الكبرى *

ويتبين مما ذكرناه آنفاً عن عمل اليمن أن الانقسام أصبح واضحاً في هذه المنطقة ، ذلك الانقسام الذى عرفه تاريخ اليمن قبل ذلك كما اتضحت من المفهود الذى جاءت شبه مستقلة لتعلن للرسول إسلامها *

اليمن في عهد الخلفاء الراشدين

تحديثنا في الجزء الأول من هذه الموسوعة ، وفي مطلع هذا الجزء (السابع) عن المشكلات التي واجهها الخليفة الأول أبو بكر الصديق ، وهي المرتدون ، ومانعو الزكاة ، والمتبنون ، وذكرنا أن عدم تعميق الإسلام في بعض الفنوس جعلهم يستجيبون لكل ثورة تعمل لتخليصهم من تكاليف الإسلام المادية كالزكاة – أو انتقاماته العقائدية

(١) بدر العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان : مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ ج ٧ ورقة ٦٥٤ .

كالتوحيد والعبادات، ونريد هنا أن نقول: إن اليمن أسرهم بنصيب كبير في هذه الثورات المضادة للإسلام، وإنه قامت به أكثر هذه الحركات، وكانت باليمين أسباب كثيرة تمهد لهذا التمرد والانحراف عن الإسلام الصحيح، فقد كانت هناك منافسات عميقة الجذور بين الحضر باليمين والبدو في وسط الجزيرة، ورأى اليمن أنه سيفقد سلطانه نهايأ إذا أصبح الحجاز مركز السلطة، ثم إن ملوك الطوائف باليمين أصبحوا مروعين للعمال الذين عينهم الرسول على مناطق اليمن، وكان هؤلاء الملوك يحرصون على مكانتهم ويرون أن خصوصهم لعمال المدينة فيه مهانة لهم، وكانت هناك كذلك الأضطرابات الفكرية المنتشرة باليمين بسبب الاتجاهات الدينية والفكرية الكثيرة التي عرفها اليمن بسبب موقعه وظروفه، فقد وفدت على اليمن اتجاهات دينية مع التجار الوفادين أو العائدين من الهند ومن الشرق الأقصى، وانتشرت في اليمن اليهودية عندما تبود حاكمها، وحكم الفرس^١ اليمن فجلبوا الزرادشتية معهم، وتحكمها الأحباش ففرضوا المسيحية، وكانت الوثنية دينا شائعا بين العرب، وكل هذه الأسباب حالات دون تعمق الإسلام في النفوس، وهيأت لإثارة الشغب في مناطق اليمن وما جاورها، وقد هبت الحركات المضادة للإسلام في أواخر عهد الرسول، وانتسعت في عهد أبي بكر الصديق، والحق أنه ليس يعنينا أن تسمى الحركة بمانعى الزكاة أو المرتدين أو المتبئن، فكلها تنبع من معين التمرد، وتصب فيه، وكانت إذا فشلت حركة انضم أتباعها إلى أية حركة أخرى تحمل لواء العصيان، وفيما يلى كلمة عن أشد حركات اليمن.

الأسود العنسي:

ادعى الأسود العنسي النبوة في بلاد مذحج حيث كان يتكهن هناك في أحد الكهوف^(١) وكان له مریدون افتتنوا به، فهب بهم يعلن نبوته وسمى نفسه «رحمان اليمن» وقد استطاع أن يدخل نجران التي تجاور

(١) النويري: نهاية الأرض ح ٣ ص ٣٧٩ .

بلاد الحجاز وأجلی عنها خالد بن سعید ، وتبغه کثیرون من نجران فاقتصر
بهم صباء ، وقتل نهر بن باذان وتستق جيشه وتزوج امرأته ، وعلا
 شأنه في اليمن ، وكان ذلك في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان
 الرسول آنذاك يعد العدة للزحف على الروم بالشمال وقد طرأت فكرة
 أن يتوجه الجيش الذي أعد للشمال ليضرب الأسود باليمين ، ولكن الرسول
 اثر ان تبقى حطته ذما هي ، إذ ظهرت في بلاده هذا المتنبى موجه من
 المؤامرات أغتى عن شن حملة عسكرية عليه ، وكان في قمة هذه المؤامرات
 حركة قادتها زوجته وألئها نفقة عليه بسبب زواجه من امراة شهر بن باذان ،
 ونجحت هذه المؤامرات ، فقتل الأسود العنسي غيلة بمأمورة دبرتها هذه ازوجة
 مع بعض خصومه في سكون الليل ، وكان ذلك قبل وفاة الرسول بيوم
 أو يومين ^(١) وكانت مدة ظهور العنسي حوالي أربعة شهور ^(٢) .

وبعد مقتل الأسود العنسي ووفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه أرسل
 أبو بكر أحد جيشه بقيادة المهاجر بن أبي أمية للقضاء على ما تبقى من
 أتباع الأسود ، ثم للقضاء على ثورة كندة بحضرموت التي سنتحدث عنها
 فيما يلى :

الأشعث بن قيس :

أظهر الأشعث بن قيس الكندي التمرد في حضرموت عقب وفاة
 الرسول ، ثم حدثت حادثة جعلته يعلن الردة ، فقد كانت طوائف من
 كندة قد أعلنت ردهما ، فحاربها زياد بن لبيد ، وأسر منها كثيراً من
 النساء ، وقد مر وف النسوة بالأشعث فناديه من تحبات باكيات لينقذهن
 من الأسر ، فهب الأشعث يعلن تمرداً شاملًا في كندة وحضرموت ، ويعلن
 وقف دفع الزكاة ، ولكن فواد المسلمين تدافعوا نحو هذه المناطق بجيشهم
 الكبيرة ، فقبضوا على الأشعث وهزموا جيشه ، فشد المهاجر بن أبي أمية

(١) انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٣٠ وفتح البلدان
 للبلاذري ١٠٦ .

(٢) ابن عبد البر : الاستيعاب القسم الثالث ص ١٢٦٥ .

وثائق الأشعث وأرسله إلى أبي بكر ، وقد سرخ فيه أبو بكر قائلا : أكفر بعد إيمان يا أشعث لا فأجاب الأشعث : لا ولكننا شحذنا بأموالنا وتاب الأشعث فقبل أبو بكر توبته ، وتزوج هذا اخت أبي بكر فيما بعد ^(١) ، وقد أوردنا في الجزأين الأول والثاني من هذه الموسوعة دراسات عن أخلاق أسرة الأشعث تدل على أن مبادئ الإسلام لم تتعمق في نفوس هذه الأسر ، وقد اشتراك في حرب الأشعث مع المهاجر زياد بن لبيد وعكرمة ابن أبي جهل .

أهل مهرة :

وارتد أهل مهرة في موجة التمرد التي شملت جنوب الجزيرة ، فأرسل لهم أبو بكر عكرمة بن أبي جهل عقب الخلاص من مسيرة مهرة فتحقق النصر على يديه .

وفاء أهل اليمن إلى الإسلام كما يقول تاج الدين اليماني ^(٢) واتجه أبو بكر إلى تجميع وحدات اليمن لتكون تحت أميرين فقط ، فجعل عبد الله بن أبي ربعة على الجند ومخاليقه ويعلى بن منية التميمي ^(٣) على صنعاء وأعمالها ، وكان والي صنعاء يتولى حضرموت أيضاً ويعين من قبله ذو ابا عليها .

واستكمالاً للحديث عن ولاة اليمن في عهد الخلفاء الراشدين نذكر أن عمر بن الخطاب أقر عبد الله ويعلى في عمليهما ، ثم عزل عمر يعلى لشكاكية فيه واستعمل بدله المغيرة بن شعبة على صنعاء ، فلما عاد يعلى إلى عمر دافع عن نفسه وأنظهر بطلان الشكاكية فرده عمر إلى عمله بعد سنتين .

(١) ابن حجر : الاصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٦٩ .

(٢) بهجة الزمن في تاريخ اليمن ص ١٥ .

(٣) نسبة إلى أمه وأحياناً ينسب إلى أبيه فيقال يعلى بن أمية .

وفي عهد عثمان أقر الخليفة الوليين في مكانتهما ، فلما جاء على ابن أبي طالب استعمل ابن عمه عبيد الله بن العباس على جميع اليمن ، ففارق يعلى وعبد الله بن أبي رببه اليمن ، وأتيا مكة ، وانضم يعلى إلى طلحة والزبير وعائشة وأعانهم بمال وإبل ، واستمر عبيد الله باليمين حتى أديب أمر على ^(١) .

الفتوحات الإسلامية وأهل اليمن

عندما انتهت مشكلات التمرد بالجزيرة العربية ، وعادت الجزيرة إلى الطاعة ، بدأ التوسيع الإسلامي في الشمال ، وقد حملت اليمن عبئاً ضخماً في المصراع ضد الفرس والروم ، ويذكر المؤرخون أنه عندما تلى خطاب أبي بكر داعياً أهل اليمن للجهاد استجابوا بحماسة لهذه الدعوة حتى يخدموا راية الإسلام من جانب وحتى يتجهوا بنشاطهم العسكري إلى أعداء العرب من جانب آخر ، وسرعان ما نهض عدد كبير من قبيلة ذي الكلاع بقيادة زعيمها ذي الكلاع الحميري ، ومن قبيلة مذحج بقيادة زعيمها قيس بن هبيرة ومن قبيلة روس (الأزرد) بقيادة زعيمها جنبد ابن عمر الروسي ، ومن طيء بقيادة زعيمها حابس بن سعد الطائي ، ووصل هؤلاء جميكاً إلى أبي بكر في يوم واحد ، وكان عددهم يزيد على العشرين ألفاً بكامل سلاحهم وعتادهم ، فبعثهم أبو بكر إلى العراق والشام فجاهدوا أصدقهم ، وأبرزوا أعظم بلاء ^(٢) .

وكان معظم الجيش الذي اعتمد عليه عمرو بن العاص في فتح مصر من اليمانيين الذين ينحدرون من عك وغافق ، ومن لخم ، وراشد ^(٣) ويرجع الفضل في اقتحام حصن الفرما إلى سميدع بن وعله السبيء ، كما أبلى اليمانيون بلاء حسناً في حصار حصن بابليون ^(٤) .

(١) تاج الدين اليماني : في تاريخ اليمن ص ١٥ .

(٢) أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ص ١٦٨ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٥٦ - ٥٨ .

(٤) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٦٢ وما بعدها .

اليمن بين عثمان وعلي :

اختلف اليمنيون إبان الثورة على عثمان ، فغالب أكثرهم إلى على بن أبي طالب ، الذي كان يعتبر منافقاً لعثمان ، ومن أجل هذا كانت اليمن أحد مراكز الثورة على عثمان ، ولما آلت الخلافة إلى على وعارضه معاوية أخذ اليمنيون مكانهم في صفوف عالي ، وكانت همدان شديدة الدمار ... على في صراعه ضد منافقيه *

ومن الشخصيات اليمنية التي بُرِزَ اسمها في تاريخ الصراع الذي خاضه على كرم الله وجهه مالك بن الأشتر النخعي اليمني الذي كان كبير القواد في جيش على ، وأبلى أحسن البلاء في موقعه الجمل وصفين ، ومنهم كذلك البراء العذري الهمданى الذي كان في جيش معاوية ثم تركه وانضم إلى جيش على ، عندما رأى معاوية يمنع الماء عن جيش على ، ومنهم سعيد بن قيس الذي يعتبر أحد فرسان العرب المعدودين وأحد الدهاء الخمسة : معاوية وعمرو بن العاص والمعيرة بن شعبنة ، وقيس بن سعد ابن عبادة ، وسعيد بن قيس *

اليمن في العهد الأموي

كان معاوية يدرك أن حياز اليمن إلى على بن أبي طالب ، ومن أجل هذا نجده عندما ضعف أمر على إبان صرائعه مع الخوارج والأمويين . يتوجه معاوية لضم اليمن إليه ، واستعمل في سبيل ذلك صوراً من القسوة والعنف ليثبت أمره بهذه البلاد ، فأرسل لها جيشاً كبيراً بقيادة رجل عرف بالقسوة والشدة هو بسر بن أرطاة العمري ، وأمره أن يقتل شيعة على وكل أنصاره ، ولم يستطع عبيد الله بن العباس أن يتصدى لهذا الجيش فترك اليمن عائداً إلى الكوفة تاركاً أهله وذويه باليمن ، ودخل بسر صنعاء ، فقتل ولدتين لعبيد الله بن العباس ، كما قتل كثيراً من أنصاره ، وقد دفن الولدان في مكان بنى به مسجد (١) يسمى مسجد الشهيدين *

(١) الهمданى : الأكيليل ج ٨ ص ٦٦ .

ولم يسكت على بن أبي طالب على هذا المتصرف فأرسل جيشاً كبيراً بقيادة حارثة بن قدامة السعدي ، ولم يقطع بسر أن يلتقي بهذا الجيش الكبير فولى الأدبار ، ولكن وفاة على بعد ذلك ضمت اليمن نهايياً إلى معاوية مع أجزاء العالم الإسلامي المختلفة التي دانت له .

وقد بذلك الأمويون جهوداً كبيرة في تفريب اليمنيين لينتفعوا بهم وبجهودهم ، ولি�أخذوهم درعاً يسعون به ضد غير العرب ، وضد أعدائهم . وقد تزوج معاوية إمرأة كلبية يمانية ، وأنجب منها ابنه وولي عهده يزيد ، ومن أجل هذا كانت قبيلة كلب اليمانية هي التي استطاعت أن تبعد السلطان إلى الأمويين وكان على وشك أن يزول بقيام ابن الزبير ، فب بواسطة كلب قهر مروان بن الحكم عرب الشمال في مرج راهط وبذلت انتصارات الأمويين على ابن الزبير ^(١) ولعل هذا هو الذي دفع جورجي زيدان إلى أن يقول : إن اكتاف اليمانية هي التي رفعت عرش الدولة الأموية ^(٢) .

قد اتجه اليمنيون بكل قواهم المعاودة في حركة الفتوح الواسعة التي خاضها الأمويون ويزرت من القادة اليمنيين أسماء الكثرين مثل عبد الرحمن الغافقي العكى اليماني بطل الفتح الإسلامي في إسبانيا ، وأمير الأندلس السمح بن مالك الخولاني فاتح قرطبة ، وأسد بن عبد الله القسري الذي كافح بإصرار في خراسان ليحافظ على ملك الأمويين بها ضد حركات الشيعة التي ظهرت هناك .

يبعد أن نشاط اليمنيين في الأندلس كان واسعاً بدليل ما عرف من قلاع تنسب إلى قبائل يمنية مثل قلعة همدان في قرطبة ، وقلعة خولان في غرناطة وقلعة يحصب في أشبيلية ، ولا عجب أن يُقبل اليمنيون على أماكن الخصب بالأندلس أو الشام ومصر ، فقد كانت لهم ولأجدادهم جذور في معاناة الزراعة والعيش في رحابها .

(١) انظر كتاب اليمن وحضارة العرب للassistant عدنان ترسיס ص ٨٩ .

(٢) التمدن الإسلامي ج ٤ ص ٥٢ .

أما عن ولادة الأئميين في اليمن فقد تحدث عنها تاج الدين العيماني :
ومنه نقلت بس قاتمة هؤلاء الولادة :

- عثمان بن عفان الثقفى •
- عتبة بن أبي سفيان •
- النعمان بن بشير الأنصارى •
- سعید بن دادوية (من أبناء الفرس^(١)) •
- الضحاك بن فيروز الديلمى •
- يزيد بن يوجير الحميرى •

• ولاحظ أن هؤلاء الولاة كان لهم أمر اليمن كله .

وقد ذُلَ الوالى الأَخِير فِي السُّلْطَة حَتَّى مات يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَة، وَظَهَرَ أَمْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ فَأَطْاعَهُ أَهْلُ الْيَمَن إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْهُمْ، فَوَلَى ابْنَ الزَّبِيرِ عَلَى الْيَمَن عَدْدًا كَبِيرًا مِنَ الْوَلَاءِ، كَانَ بَعْضُهُمْ لَا يَبْقَى فِي مَنْصَبِهِ أَكْثَرُ مِنْ بَضْعَةِ شَهُورٍ ثُمَّ يَعْزَلُهُ ابْنُ الزَّبِيرِ، وَهُنَّ وَلَادُ ابْنِ الزَّبِيرِ عَلَى الْيَمَن، عَدْدُ اللَّهِ بْنِ عَدْ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَعَبِيْدَةَ بْنَ الزَّبِيرِ.

ولما عاد سلطان الأمويين على اليمن توالى أمراؤهم على النحو التالي :

- محمد بن يوسف الثقفي (أخو الحجاج)
- أبوبن يحيى الثقفي
- عروة بن محمد السعدي
- مسعود بن عوف الكلبي
- يوسف بن عمر الثقفي
- السلطان بن يوسف بن عمر الثقفي

(١) ترى بعض المراجع أن الذى تولى بعد النعمان بن بشير هو
مشير بن سعد الأعرج .

مروان بن محمد الجعدي •

الفتحاك بن واصل *

القاسم بن عمر الثقفي *

ونشب آنذاك صراع باليمن قاده عبد الله بن يحيى الحضرمي الخارجى ،
وفد استند هذا الصراع كثيرا من جهد الأمويين ، ولما استعادوا سلطانهم
على بلاد اليمن ، ولـى هروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين الوليد بن عمر ،
فكان هذا آخر ولاة الأمويين بـاليمن .

رأينا القبائل باليمين الكبرى تشتراك بحماسة وافرة في حركة الفتوح التي بدأت في عهد الخلفاء الراشدين ، واستمرت في العهد الأموي ، ولكن يبدو أن هناك فرقاً خلقته الطبيعة بين اليمن وحضرموت ، فاليمين استعادت كثريين من خرجوا منها بسبب ما تنعم به من خصب ورخاء ، أما حضرموت فقد دفعت بفلذات أكبادها إلى الميادين المختلفة بالأقطار المتعددة ، واستطاب أكثر هؤلاء تلك المناطق التي نزلوا بها ، فأقاموا فيها ، وتخلوا عن حضرموت إلا بارتباط الذكرى ، وتراث الأجداد ، وتحدد المراجع التي بين أيدينا تلك القبائل التي نزلت هنا وهناك في رحاب العالم الإسلامي الذي كان يبعد وحدة واحدة لا يحس الإنسان بع리بة في أي منطقة من المناطق يعيش بها ، وبناء على المراجع التي نتدارسها سكت كندة الكوفة ، ولتهم لم يستطعوا أن يطول مقامهم بها لأنهم كانوا عثمانية ، وكانت الكوفة شيعية النزعة ، فكان سكانها يتناولون عثمان بما لا يرضي الكنديين ، فنقلهم معاوية إلى الرها من أرض الجزيرة ، ولم يبق منهم بالكوفة إلا من كان شعراً، النزعة

وفي الشام سكن عدد كبير من كندة، ومن قبيلة حضرموت كنفير بن مالك الحضرمي، وعمر بن عبد الله الحضرمي وكان ممن قدم حمص

— ٣٩٢ —

مع أبي عبيدة ، وقد اتجهت قبيلة السكون إلى حمص فنزلت بها ومن زعمائها صالح بن شريف السكوني ، كاتب أبي عبيدة ، والحسين بن نمير السكوني الذي استخلفه مسلم بن عقبة بعد وقعة المحرقة وكثيرون سواهم .

وفي مصر نزل عدد كبير من قبيلة الصدف ، وقبيلة حضرموت والسكون ، ومهرة وكتنة ، وقد نزل هؤلاء الفسطاط والفيوم ومنفلوط ، وانشروا في محافظتي الشرقية والقليوبية وغيرهما وسارت جماعات من القحطانيين حتى حطت رحالها في ليبيا ، كما نزل عدد كبير من الحضارمة بالحجاز .

ونبغ في الفقه الإسلامي عدد كبير من الحضارمة فقلعوا مناصب القضاء في عدة أمكناة ، ففي مصر عين سليمان بن عتر التجيبى للقضاء في عهد عبد الله بن أبي سرح ، وبيونس بن عطية في عهد عبد العزيز بن مروان وتولى بعد بيونس ابن أخيه أوس ، وفي الكوفة تولى سلمة بن كهيل وأوس بن ضميج .

الحضارمة في جنوب شرق آسيا :

وربما جاز لنا أن نقفز قفزة زمنية واسعة لنقرر أن الحضارمة في العصر الحديث لعبوا نفس الدور الذي لعبه أجدادهم في الزمن الماضي ، فتركوا حضرموت واتخذوا وجهتهم نحو جنوب شرق آسيا ، وبخاصة في إندونيسيا ، وعندما طلب لهم المقام هناك أقاموا واستوطنو الأرض الجديدة ، وأخلصوا لها وتعاونوا مع أهلها لخدمتها ، والكثرة الغالبة منهم لم تنس وطن الأجداد ، وتحرص على اللغة العربية ، وعلى توثيق الصلات بهن قعدت هممهم عن الهجرة ، أو آثروا البقاء بموطن الأجداد .

أسباب ضعف حضرموت :

ويقول مؤرخ حضرموت الأستاذ صالح بن حامد العلوى : إن حضرموت بسبب المهاجرات في عهد الفتوح خلت من الوجوه والأعيان ،

ولم يبق بها إلا من قعدت بهم عزائمهم ، وأناخت بهم هممهم عن الموضوع في نصرة الإسلام ، وكان جفاف حضرموت والتراث العظيم عند الأمويين ، ورغبة الأمويين في الاعتماد على العرب في صراعهم للفتوحات من جانب وللقضاء على ثورات الفرس التي وضعت التشيع لافتة لها من جانب آخر ، كل هذا سبب رحلة أهل حضرموت إلى الشام ، ففتح عن ذلك خراب البلاد ، حتى لم تعد لحضرموت أهمية تذكر ، وأصبحت تابعة لليمن وعدت إحدى بواديها ، وكانت هذه هي الفرية الثانية لليمن بعد فرية الردة ^(١) .

وهناك فرية ثالثة أصابت حضرموت تلك هي ثورة عبد الله بن يحيى الكندي التي أشرنا إليها آنفا ، وقد تعاون هذا مع أبي حمزة الخارجي الذي كان قد أسقفى على مكة وعلى المدينة ، وقد تعرضت حضرموت لكثير من الخسائر في أرواح الباقية من أبنائها ، فقد أرسل مروان ابن محمد الخليفة الأموي الأخير جيشا كبيرا بقيادة عبد الملك بن عطية السعدي ، وشعييب البارقي ، وقد استطاع هذا الجيش أن يقضي على الثنائيين ، ولكنه في الوقت نفسه قضى على الباقية الباقية من آمال حضرموت في التقدم والتطور ^(٢) .

ومرة أخرى نقرر أن هذه الأسباب أضعفت حضرموت وجعلت هذه المنطقة تابعة اليمن ، وهذا يوضح جذور الاتصال والانفصال بين اليمن وبين ما يعرف الآن بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

(١) تاريخ حضرموت من ١٨١ -- ١٨٢ ، ١٩٨ .

(٢) تاج الدين اليماني : تاريخ من ١٨ .

- ٣٩٤ -

اليمن في العصر العباسى

لما بُويع أبو العباس السفاح بالخلافة بعث على الحجاز والميمن عمه داود بن علي فاستخلف داود على الميمن عمر بن عبد المجيد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب ، وهو الذي بوب جامع صنعاء ^(١) وسَارَ ولاة الميمن بعد ذلك على النحو التالي :

محمد بن زيد بن عبد الله الحارثي وقد نزل صنعاء وبعث أخاه عليه عدن *

عبد الله بن مالك الحارثي *
على بن الربيع بن عبد المدان *

عهد المنصور :

عبد الله بن الربيع بن عبد المدان *

معن بن زائدة الشيباني : وهو من أشهر أجواد العرب ، وأحد الشجعان العظام ، وكان من خواص المنصور ^(٢) ، ولما ولى معن بعث ابن عمه سليمان نائباً عنه إلى حضرموت ، فكان بها قاسياً غليظاً ، مما دفع أهل حضرموت إلى قتله بقيادة زعماء الإباضية ، وانتقضت حضرموت على معن ، فسار إليها وأوقع بأهلها عدة وقفات ، قيل بلغ من قتله خمسة عشر ألفاً فأعظم الناس ذلك ، ولكن المنصور استتصوب فعله لأن هؤلاء بقية الخوارج ^(٣) *

زائدة بن معن : كان أبوه قد ولد حضرموت عقب الإيقاع بها *

الفرات بن سالم العبسى :

(١) القاضي عبد الله الكريم الجرافي : المقتطف من تاريخ اليمن ص ٤٩ *

(٢) وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥١ *

(٣) تاج الدين اليماني : تاريخ اليمن ص ١٩ ، ٢٠ *

- ٣٩٥ -

يزيد بن منصور الحميري ابن خال المهدى وأقره المهدى

خلافة المهدى :

- يزيد بن منصور الحميري
- رجاء بن روح الجذامى
- على بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس
- منصور بن يزيد بن منصور الحميري
- عبد الله بن سليمان التوفلى وكان رجلا خيرا من أهل العلم
- سليمان بن يزيد بن عبد المدان

خلافة الهادى :

- عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام
- إبراهيم بن سليمان الباهلى

خلافة الرشيد :

- الغطرييف بن عطاء : خال الرشيد قدم اليمن والفتنة شاعرة بين الجند
- وأهل صنعاء فأصلاح بينهم
- عاصم بن عتبة الغساني
- أبيوب بن جعفر بن سليمان
- الربيع بن عبد الله الحارثى

محمد إبراهيم الهاشمى : وقد جمع له الحجاز واليمن فأقام بالحجاز وبعث ابنه العباس إلى اليمن

عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن الزبير : ويذكر تاج الدين اليماني أن الرشيد رفع رزق عبد الله إلى ألفى دينار في الشهر ، وكان مرتب

- ٣٩٦ -

الوالى ألف دينار فقط ، فقال له يحيى بن خالد : هذا يفسد عليك من توليه من أهل بيتك ٠ فرد الرشيد رزق عبد الله إلى ألف دينار ، ووصله بصلة جليلة ٠

أحمد بن إسماعيل بن على الهاشمى ٠
إبراهيم بن عبد الله بن طلحة بن أبي طلحة ٠
محمد بن خالد بن برمك ٠

حمد البربرى مولى الرشيد : جاء إلى اليمن خلال ثورة الهيضم بن عبد الرحمن الهمدانى بجبل سور ، وكان الهيضم قد قام بثورة عاتية زلزلت سلطان بنى العباس فى اليمن ، وامتد نفوذه إلى عدة بقاع ، ولم يستطع ولاة الرشيد المغلب عليه ، فأرسل الرشيد مولاه حمادا البربرى لذلك وقال له : « أسمعني صوت أهل اليمن » أى اقس عليهم حتى يضجوا بالشكوى ، وقد حق حماد ذلك بعد صراع طويل ، ويقول الشماحى (١) ، وبرغم التغلب على الهيضم فقد كانت ثورته فاتحة لقيام الدول اليمنية ، وفرصة اهتبلتها الشيعة لنشاطهم الذى مهدوا به الطريق إلى ظهور دعائهم كما حدث أيام المؤمن ، وكقدوم إبراهيم الجزار العلوى إلى اليمن كما سفرى فيما بعد ، وبعد الرشيد أقر الأمين حمادا على اليمن (٢) ٠

خلافة الأمين :

محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعى : عينه الأمين بعد حماد ٠
سعید بن السرح الكتانى ٠

خلافة المؤمن :

يزيد بن جرير بن خالد بن عبد الله القسري ٠
اسحق بن موسى بن عيسى ٠

(١) اليمن : الإنسان والحضارة ص ٨٨ .

(٢) عبد الواسع بن يحيى الواسعى : تاريخ اليمن ص ١٤٩ .

محمد بن على بن عيسى بن ماهان : وقد صارع إبراهيم بن موسى الطالبى الذى يقول عنه ابن خلدون : إن ظهوره باليمن كان سنة ٢٠٠ هـ وإن أمره لم يتم ، وكان يعرف بالجزار لكثرة ما سفك من دماء^(١) ، ويقول عنه الجرافى : إنه دخل صعدة وخربها كما خرب سد الخانق^(٢) وكان قد أرسله الحسين بن على الطالبى لما نجحت ثورته الطالبية فى الاستيلاء على مكة والمدينة وقد حدثت وقائع بين محمد بن على بن عيسى وبين إبراهيم بن موسى الطالبى كان النصر فيها لابن ماهان

وقد تركت هذه الوقائع وما سبقها من معارك ، بلاد اليمن ففوضى شاملة ، ففتحت الباب لتقسيم اليمن ، كما فتحت الباب لاستقلاله عن الخلافة العباسية على ما سترى *

اليمن

ابتداء من عهد بني زياد في خلافة المأمون

قلد المأمون محمد بن زياد ، وهو من ولد عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان الأعمال في تهامة ، وما يستولى عليه من الجبال التي كانت الثورة مستقرة بها ويقول ابن خلدون : إن المأمون اختار ابن زياد لما عرف عنه من شدة البعض لآل على ، فقصد اليمن سنة ٢٠٢ هـ ، واستولى على تهامة بعد حروب جرت بينه وبين أهلها ، واختط مدينة زبيد سنة ٢٠٤ هـ وكان مع ابن زياد مولى له يسمى جعفر ، وهو الذي نسب إليه مخلاف جعفر ، وكان فيه دهاء وكفاية ، حتى كانوا يقولون « ابن زياد بجعفره » واشترط على عرب تهامة ألا يركبوا الخيل ، وقد سير ابن زياد بعد أن استقر له الأمر مولاً جعفر إلى المأمون سنة ٢٠٥ هـ بهدايا جليلة ، وأموال عظيمة فعاد جعفر في العام الثالثي ومعه ٢٠٠٠ فارس ، فيهم من

(١) العبر ج ٤ ص ٢١٢ .

(٢) المقتطف من تاريخ اليمن : هـ ٥٣ .

مسودة خراسان ٩٠٠ ، فعظم بذلك أمر ابن زياد ، واتسع ملكه فشمل
المناطق التالية :

عدن : وهى مدينة جنوبية ، تهامية ، من أقدم أسواق العرب .
أبين : وهى مخلاف باليمن تعد عدن مدينة منه ، ولذلك يقال ،
« عدن أبين » .

لحج : بلد بمنطقة أبين .
ديار كندة : وهى من جبال اليمن مما يلى حضرموت وقاعدتها
دامون .

حضرموت : وهى ناحية واسعة تقع شرقى عدن قرب البحر ، ولها
أعمال عربية ، وبينها وبين عمان رمال كثيرة تعرف بالأحقاف .

الشحث : وهو ساحل اليمن المتدلى بين حضرموت وعمان ، وتنسى
هذه المنطقة أيضاً مهرة ، وقصبته أيضاً تسمى الشحر .

مرِّباط : وهى مدينة منفردة على ساحل البحر بين عمان وحضرموت
الجند : وهى تمثل قسماً كبيراً من أنواع اليمن الثلاثة « الجند
وصنعاء وحضرموت » .

وملك بن زياد أيضاً من الجبال أعمال المعافر وهو بلد واسع ذو
مزارع وقرى كثيرة .

وقلد ابن زياد جعفراً مناطق الجند ، فاختطف جعفر بها مدينة
« المژيخرة » في جبل قريب من صنعاء ، به أنهار ورياحين واسعة .

— ٣٩٩ —

وخطب ابن زياد بصنعاء وصعدة ونجران وبیحان ، ووضع ابن زياد بذلك أساس ملك وراثي باليمن^(١) وكان بصنعاء خلال عهد ابن زياد (بنو يعفر) وهم من حمير ، وكان لهم السلطان بها ، ولكنهم كانوا يخطبون للعباسيين ، وأحياناً يذكرون اسم ابن زياد في الخطبة بعد اسم الخليفة العباسي بها ، وذلك لكانه ابن زياد من الدولة العباسية .

وفي السنوات الأخيرة من حياة ابن زياد ، وخلال عهد أولاده من بعده بدأ التفكك وكثرت الحركات الانفصالية ، وسرعان ما انقسمت اليمن لا إلى يمن شمالي ويمن جنوبى فحسب بل إلى إمارات وعمالات كثيرة ، وقد بدأ ذلك من القرن الثالث الهجرى ، ويمكن أن يوضح التخطيط التالي صورة سريعة للحركات السياسية باليمن :

(١) تاج الدين اليماني : تاريخ اليمن ص ٢٥ - ٢٦ .

صنائع

- عمال العباسين : ٢٠٣ - ٢٧٢ هـ
- بنو يعفر : ابتدأ ملوكهم في شبابهم بحضور موت سنة ٢٢٥ هـ ثم امتد إلى صنائع سنة ٢٤٧ في حركة صراع ضد ولادة بنى العباس وبني زياد في زبيد ، ثم استقر الأمر لهم في صنائع وجدد من سنة ٢٤٧ إلى ٣٨٧ هـ
- حكم قبلى
- الأئمة الزيديون يمدون نفوذهم إلى صنائع حتى سنة ٤٢٩ هـ
- بنو همدان (بنو حاتم) ٤٩٢-٥٦٩ هـ
- بنو صليح ٤٢٩-٤٩٢ هـ

زبيد

- بنو زياد ٢٠٣ - ٥٤١٢ هـ وامتد ملوكهم إلى مناطق أخرى
- بنو نجاح ٤١٢ - ٥٥٤ هـ
- بنو المهدى ٥٥٤ - ٥٦٩ هـ

١ - الحدود غير ثابتة بين هذه المالك بعضها والبعض الآخر ، وكانت كل مملكة تحاول أن تدفع بحدودها لتضم مزيداً من الأرض .

٢ - بعض التواريخ ليست دقيقة وهي على كل حال خلاصة الأبحاث المتعددة .

٣ - بعض هؤلاء الحكام كانوا يكتفون بلقب الإمارة ، وبعضهم اتخذ لقب السلاطين ، أما الأئمة فاحتفظوا بلقب الإمامة .

الآيوبي

- بنو رس
- بنو طاه
- الماليك المصري
- العثماني

- الأئمة في اليمن الشمالية حتى قيام الثورة (١٩٦٢)

- الجمهورية العربية اليمنية بالشمال ثم جمهورية اليمن

عَدْن

بنو زريع ٤٧٦ - ٥٦٩
بدا بنو زريع في عدن
ولاه للصلحين ، ثم استقلوا
عن ملكبني صليح ، ويقوا
بعد سقوطبني صليح حتى
دخلت عدن فيما دخلت فيه
ولايات اليمن سنة ٥٦٩ .

صَعْدَة

الأئمة الزيديون ٢٨٠ - ١٣٨٢ هـ
(بيو طباطبا)

كان سلطان الأئمة محصوراً في صعدة
حتى سنة ٧٠٠ هـ ثم امتد إلى صنعاء ،
وبعض المناطق الأخرى وانكمش وامتد
عدة مرات ثم خلقت لهم اليمن من سنة
١٠٤ هـ حتى سنة ١٣٨٢ هـ حيث قامت
السورة ، وكان أئمة الزيدية على مر
تاریخهم يصارعون لثبت أقدامهم ، أو
بطأطئون لقوى أخرى تم نفوذها عليهم ،
ولكنهم على كل صدوا في صراع اليمن
العثمانيين ، فبقوا وفني الآخرون ،
كان من الأسباب لفصم العلاقة بين اليمن
الشمالية وحضرموت ، لأن الحضارة
كانوا سنيين ، وكان الزيدية فرقة شيعية ،
وكانت الوحدة تعود غالباً مع الحكم السنى
كحكم الأيوبيين والعثمانيين فإذا بُرِزَ حُكْمُ
الزيدية بدأ الانفصال .

سُون ٥٦٩ - ٦٢٦ هـ

وَل ٦٢٦ - ٨٥٨ هـ

ر ٨٥٥ - ٩٠٤ هـ

سُون ٩٠٤ - ٩٥٥ هـ مع التداخل مع بنى طاهر
وَن ٩٤٥ - حتى الحرب العالمية الأولى
(محاولات لم تنجح أكثرها وصراع ضد الأئمة)
الاستعمار والقبيلية في اليمن الجنوبية حتى سنة ١٩٦٧
الديمقراطية الشعبية بالجنوب .

ملاحظات مهمة :

هناك ملاحظات مهمة نبرزها فيما يلي ، وقد أشرنا لبعضها في التخطيط السابق ، وهي :

— كان الأئمة الزيديون موجودين مع الحكام الآخرين ، وكانوا يعلّون الولاء أو يثورون حسب الأحوال ، وعندما اختلف أمر بنى زياد غالب أهل الأطراف على ما بآيديهم وبدأ بذلك تفكك اليمن .

— كانت الدولة الأيوبيّة ، والدول التي تلتّها تهتم بما يسمى الآن بجمهوريّة اليمن الشماليّة ، وتحاول أن تمد نفوذها إلى اليمن الجنوبيّ لتعيد وحدة اليمن كله ، ولكن محاولاتّها كانت دائمًا قصيرة العمر فإذا نجحت في ضم بعض أجزاء مما يدخل الآن تحت اليمن الجنوبيّ فإن هذه الأجزاء سرعان ما تتحرر وتستقل وبخاصة أن اليمن الشماليّ نشط فيها الأئمة وهم شيعة ، أما اليمن الجنوبيّ فكانت تتبع المذهب السنّي ، وهذا كان بمثابة حاجز بين المقطفين .

— عندما احتل الإنجليز عدن سنة ١٨٣٩ م كان ذلك بمثابة حاجز حسين قسم اليمن قسمين ، وكان من آثاره الحالة التي وجدت بجنوب الجزيرة فترة طويلة .

وستزيد هذا الموضوع وضوحا فيما بعد تحت العنوان التالي « اليمن بمنان » .

وبعد هذا التخطيط نعود لهذه الدول السابقة لفتح الحديث عنها بشيء من التفصيل ، وسنتكلّم عن زبيد ، فصنعاء ، فصعدة ، فعدن على النحو السابق حتى تلتقي كلها في ظل الأيوبيين .

زبيد

مدينة من أهم مدن تهامة اليمن ، تقع في السهل الساحلي في موضع متوسط بين ميناءى الحديدة في الشمال ومضايا في الجنوب ، وهي على بعد

— ٤٠٣ —

٢٥ كم من البحر الأحمر ، ومحاطة بسور عظيم وبها كثير من المساجد
والدور الكبيرة •

وقد أسسها مؤسس أسرة بنى زياد وجعلها عاصمة ملكه ، وذلك في
خلافة المؤمن العباسى •

وكانت زبيد عاصمة لبعض الأسر الملكية فيما بعد كالدولة الصالحية
التي نقلت عاصمة ملكها من صنعاء إلى زبيد ، وكبني المهدى الذين
استقروا بها حتى استولى عليها توران شاه عام ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) الذي
أسس الدولة الأيوبية باليمن ، ثم أصبحت في عام ٨٥٠ هـ (١١٤٦ م)
عاصمة الطاهريين حتى انتقلت عاصمتهم بعد ذلك إلى عدن •

وفي عام ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) استولى عليها أبو نهى الثاني شريف
مكة حتى خضت مع باقى مدن اليمن إلى الدولة العثمانية •

ويمر بمدينة زبيد وادٍ من أهم وديان اليمن يسمى وادي زبيد ،
تسير فيه المياه معظم أيام السنة ، وهو ينبع من الهضبة ، ويمر بمدينة
زبيد إلى أن يصل إلى البحر الأحمر •

والنسبة إليها زبيدي ، وهو لقب اشتهر به جمع من الفقهاء وعلماء
اللغة الذين ينحدرون منها أو ينتسبون لها ، وقد كانت ولا تزال من أهم
مراكز العلم باليمن •

بنو زياد في زبيد (٤١٢ - ٤٠٣ هـ)

تحدثنا من قبل عن ابن زياد وعن نشأة دولته باليمن ونفوذه هناك ،
ذلك النفوذ الذى شمل أكثر مناطق هذه البلاد ، وذكرنا أنه بعد عشرين
سنة تقريباً من بدء ملكه بدألون من استقلال الأطراف ، ثم تما ذلك
الاتجاه في عهد أولاده وأحفاده ، مما سبب حركات انفصالية كثيرة ، وعلى

— ٤٠٤ —

كل حال فقد ظل ملك الزياديين بين اتساع وانكماس حتى دالت دولتهم
بعد حوالي قرنين .

وأبناء بنى زياد هم :

٢٤٥ — ٢٠٣	محمد بن عبد الله بن زياد
٢٨٩ — ٢٤٥	ابراهيم بن محمد
٣١١ — ٢٨٩	زياد بن ابراهيم
٣٧١ — ٣١١	اسحق بن ابراهيم
٤٠٩ — ٣٧١	عبد الله بن اسحق
٤١٣ — ٤٠٩	بعض هوالي بنى زياد

ومن الواضح أن عهد محمد بن زياد كان عهد السلطة والنفوذ لهذه الدولة ، وإن كان سلطانه لم يكتمل لاستبداد بنى يعفر بصناعة العاصمة الرئيسية للبيهقي ابتداء من سنة ٢٢٥ هـ ، وهي السنة التي تعتبر مطلع الضعف .

وبعد ابن زياد زاد الجرح اتساعا ، فلما جاء عهد اسحق بن ابراهيم كمل الخطبة ، إذ امتنع عليه أهل الأطراف ، وانقطعت الخطبة له في الجبال واستولى سليمان بن طرف على المخلاف المعروف بالسليماني نسبة إليه وجعل السكة والخطبة باسمه ، وخرج أيضا على نفوذ اسحق لحج وأبين وبعض البلاد الشرقية ^(١) .

ولما مات اسحق كان ابنه عبد الله ^{طفل} فقتلت كفالتة أخته هند وبعد لأبيها اسمه الحسين بن سلامة النبوى ، ولكن هذا استبد بالأمر ولم يعد الزمام إلى عبد الله عندما شب عن الطوق ، ويبدو أن عبد الله ترك النفوذ إلى الحسين وقنع بالاسم .

(١) تاج الدين اليماني : تاريخ اليمن ص ٢٧ - ٢٨ .

— ٤٠٥ —

وفي عهد نفوذ الحسين بن سلامة النبوي استطاع هذا أن يسترد كثيرا من الأطراف المتمردة ، ويستعيد السلطة على الحصون والمخاليف التي كانت قد أعلنت استقلالها ، فاستعاد بذلك مملكة ابن زياد الأولى ، واحتل مدينة (الكدراء) وهي الآن من المدن القديمة الخربة ، وكانت لها شهرة كبيرة (١) كما احتل مدينة المعرف ، وأنشأ كثيرا من المساجد والمنارات ، ومهد الطرق في داخل المملكة ، وبينها وبين مكة المشرفة ، وحفر كثيرا من الآبار ، ونظم البريد .

ولما مات الحسين بن سلامة النبوي قام مولاه مرجان بالأمر ، وكان لرجان هذا عبدان أحدهما اسمه نفيس ، والثاني اسمه نجاح ، وقد تناقصا في حياة سيدهما مرجان على السلطة التي آلت إليه ، وتقول الرواية : إن عبد الله بن أسحق وعمته التي كفلته من قبل كانا يهيلان إلى نجاح الذي عرف بالعدل والرأفة ، وينقضيان عن مرجان ونفيس ، ولذلك قبض هذان عليه وعلى عمته ، وبنيا عليهما جدارا وتركاهما به حتى ماتا ، ولما عرف نجاح ذلك ثار من أجل سادته بنى زياد ، وكان له الفوز ، ولكنه سرعان ما أقام دولة جديدة لنفسه والأولاده من بعده ، فأسس بذلك دولة بنى نجاح وسنتكلم عنها فيما بعد .

وبعض المؤرخين اليمنيين يرى أن دولة بنى زياد أول دولة وطنية نشأت باليمن واستقلت به ، وببعضهم لا يراها حكومة وطنية لأنها جاءت إلى اليمن من بغداد ، وظلت تابعة للخلافة العباسية ، وقد عرف بعض ولاتها ووزرائها بالصلاح والإصلاح ، ولكن عهود أكثرهم كانت حافلة بالغوضى ، وأسلموا البلاد في النهاية إلى طبقة من العبيد (لهم بنو نجاح) جعلت الحياة في اليمن حافلة بالاضطرابات كما سرى عند حدوثها عن آل نجاح فيما يلى (٢) .

(١) الحراف : من تاريخ اليمن ص ١

(٢) القاضي عبد الله الشماعي : اليمن الانسان والحضارة ص ١١٠ .

— ٤٠٦ —

بنو نجاح في زبييد (٤٠٣ - ٥٥٥ هـ)

في المصراع الذي دار بين موالى آل زياد ونجاح من جانب وبين نفيس ومرجان من جانب آخر استطاع نجاح الحبشي أن يحقق لنفسه الفوز فدخل زبييد ، واستتب له الأمر في تهامة ، وكتب للخليفة العباسى في بغداد معلنا ولاءه وطاعته للدولة العباسية ، فأقره الخليفة ونعته بالمؤيد نصير الدين ، وكان حازما سمحا ، يتبع مذهب الإمام الشافعى ، وقد دانت له تهامة طيلة حياته ، وبعد وفاته دار صراع طويل بين أولاده وأحفاده من جانب وبين دولة بنى صليح التي كانت قد نشأت في صنعاء سنة ٤٢٩ هـ من جانب آخر ، وبعد شد وجذب حول العاصمة زبييد حيث انتصر بنو صليح تارة وبنو نجاح تارة أخرى استقر الأمر لبني نجاح هوالي سنة ٤٧٢ هـ وبقى فيهم إلى سنة ٥٥٤ هـ وسلسلة أمراء بنى نجاح هي كالتالي :

الأمير نجاح	
سعید بن نجاح	٤٠٣ - ٤٥٣ هـ
جياش بن نجاح	٤٨١ - ٤٥٢ هـ
فائق بن جياش	٤٩٨ - ٤٨٣ هـ
منصور بن فائق	٥٠٣ - ٤٩٨ هـ
فائق بن منصور	٥٣١ - ٥٠٣ هـ
فائق بن محمد بن فائق	٥٤٠ - ٥٢١ هـ
فائق بن محمد بن فائق	٥٥٤ - ٥٤٠ هـ

ومن الواضح أن فترة نجاح كانت أطول الفترات بالنسبة لأمراء هذه الدولة ، وقد عاصر نجاح قيام دولة بنى صليح في صنعاء ، وبهذه المناسبة بين الدولتين ، ويقال إن على بن محمد الصليحي لم يجد وسيلة للتخلص من نجاح إلا بقتله بواسطة سم استطاع أن يدسه في طعامه ، على يد جارية أهدتها إليه .

ولما مات نجاح ، وكان أولاده لم يبلغوا سن الرشد بعد ، قام بأمرهم مولى له اسمه كهلان ، فاتاح هذا فرصة لمحمد بن على الصليحي ، فزحف إلى تهامة سنة ٤٥٥ هـ واستولى على زبيد ، وفرَّ من وجهه آل نجاح إلى جزيرة « دهلك » فظلوا بها حتى سنة ٤٥٩ هـ ، وهي السنة التي قتل فيها على بن محمد الصليحي ، فعاد سعيد بن نجاح إلى زبيد ، ولكن مذته لم تطل ، فأخرجه المكرم الصليحي سنة ٤٦١ هـ واستطاع سعيد أن يعود مرة أخرى سنة ٤٧٦ هـ ، وظلا سعيد أميراً حتى قُتل سنة ٤٨١ هـ فاندفع بنو صليح إلى زبيد مرة ثالثة ، وفر جياش بن نجاح إلى الهند ولكن بقاء بني صليح في زبيد هذه المرة لم يزد عن عام ، ثم جاء جياش وطردهم سنة ٤٨٣ هـ ، واستقرت السلطة إلى حد كبير لآل نجاح بعد ذلك .

وجاء سقوط بنى نجاح على يد بنى المهدى ، وهى أسرة حميرية سنتكلم عنها فيما بعد ، وقد هالها تحكم بنى نجاح الأحباش فى اليمن نجمع زعيمها على بن مهدى حوله الجموع ، وغزا مدينة الكدراء سنة ٥٣٨ هـ ولكن أميرها الحق بهم المهزيمة ، فعاد ابن المهدى يعد نفسه من جديد وانتهز فرصة ضعف الأمير فانك بن محمد آخر أمراء بنى نجاح ، فاندفع مرة أخرى نحو زبيد سنة ٥٥٣ هـ ، وقد تخلَّى أهل زبيد عن فانك ، واستجدوا بالإمام المتوكِّل فوعدهم هذا بالنجدة إن تخلصوا من فانك ، فتخلصوا منه فعلاً ، ولكن المتوكِّل عجز عن نصرتهم فاعطى ذلك فرصة لبني المهدى أن يدخلوا زبيد ويستقرُّوا بها .

وقد اتخذ آل نجاح وزراءهم من الأحباش أيضاً وكان أول وزير لهم أنيش الفاتكى وكان جباراً غشوماً حاول أن يستبد بالملك ، فقتل منصور ابن فانك ، ولكنه قُتل فيه ، وجاء بعده الوزير من الله الفاتكى ، وكان سبيلاً السيرة ، فمات في ليلة من ليالي العبث والمجون ، ووزر بعده رزيق الفاتكى ، ثم أبو محمد سرور الفاتكى ولم يكن في هؤلاء الوزراء صفات الشجاعة أو الشهامة ، فألحقوا بالدولة ألواناً من الضرر ، ومن الواضح أن هؤلاء جاءوا في عصور الضعف مما تسبب في نهاية الدولة .

— ٤٠٨ —

بنو المهدى الحميريون بزبيد

١١٧٤ - ١١٥٨ = ٥٦٩

تبداً هذه الأسرة بعلى بن مهدى الحميرى ، وهو ينحدر من أسرة الأغلب بن أبي الفوارس بن ميمون الحميرى الروعينى ^(١) . وكان آل المهدى يعيشون في قرية اسمها العنبرة من سواحل زبيد . ويسماها ابن خلدون « العترة » وهو تحرير والتصحيح من معجم العلادان ، ومن مراصد الاطلاع .

ونشأ على بن مهدى نشأة دينية ، حج وزار ، ولقى العلماء والوعاظ وتضلع في المعارف ، وكان فصيحاً صبيحاً ، حسن الصوت ، طيب النغمة ، حلوا التائنى ، غزير المحفوظات ، يعظ الناس على الطريقة الصوفية ، وقد استمال القلوب حوله بهذه الصفات ، حتى ظهر أمره بساحل زبيد .

ولما ذاع أمره في الصلاح والتقوى ، تربته أم فانثى بن منصور ، وأطلقت له والأهل خراج أملائهم ، فأثروا واتسعت حالهم ، وتنجأ لهم المغنى والعلم ، وأمهم الناس من كل صوب فأصبحوا قوة كبيرة ^(٢) .

وكان حال آل نجاح في انهيار وانحدار ، وكان اليمانيون يتتحدثون عن حكم الأحباش لبلادهم ، وعن سوء سيرة وزراء هؤلاء الأحباش ، وكل هذا دفع بعلى بن المهدى إلى الثورة على آل نجاح ، وقد فشل مرة كما ذكرنا من قبل ، عندما هاجم مدينة الكدراء سنة ٥٣٨ ولكن عاد بجميع جموعه ويُعد نفسه ، ثم هتف بأصحابه قائلاً : أيها الناس دنا الوقت ، أزف الأمر كأنكم بما أقول لكم وقد رأيتموه عياناً . وببدأ بهاجم زبيد . ودار صراع طويل بينه وبين آل نجاح . واستطاع أن يحاصر زبيد ، حتى الحق الفر بأهلها ، فاستجدوا بالشريف أحمد بن سليمان صاحب صعدة ، وشرطوا

(١) القاضى حسن بن أحمد : بلوغ المرام من ١٧ .

(٢) تاج الدين اليماني : تاريخ اليمن من ٧٠ - ٧١ .

٤٠٩ -

له أن يملكون عليهم ، فقال لهم : إن قتلتكم هؤلاكم فاتكا نصرتكم ، فوثب أهل زبيد على فاثك فقتلوه سنة ٥٥٣ ، ولكن الشريف بعد ذلك عجز عن نصرتهم ضد على بن المهدى ، فاستطاع هدا أن يدخل زبيد ويقيم بها دولة بني المهدى كما ذكرنا من قبل .

وكانت دولة بني المهدى قصيرة العمر ، فلم تتجاوز مدتھا خمسة عشر عاما وبضعة أشهر ، وأمراوئها هم :

علي بن مهدي	٥٥٣ - ٥٥٣ (٨١ يوما)
مهدي بن علي	٥٥٣ - ٥٥٨
عبد النبي بن علي	٥٦٩ - ٥٥٨

مع فترة استولى فيها عبد الله بن علي على الملك
من أخيه عبد النبي .

ونذكر هنا أن اليمن أحسن استقبال هذه الأسرة لأنها أسرة وطنية تماما ، ولأن منشئها كان يمتاز بالعلم والخلق ، ومن أجل هذا يذكر تاج الدين اليماني أنه اجتمع لعبد النبي ملك الجبال ، والنتهائم ، وانتقل إليه ملك جميع اليمن وذخائرها ، حتى إنه يقال إن ملك خمس وعشرين دولة من دول اليمن قد آلت إليه ^(١) .

ولكن هذه الدولة كانت قصيرة العمر كما ذكرنا من قبل لأن الزحف الأيوبي بدأ يمتد إلى اليمن من جهة ، ولأن أمراء الأسرة الذين جاءوا بعد مؤسسيها اتجهوا إلى القسوة والمشدة ، كما انحرفو في أخلاقهم ، مما جعل الناس في دولتهم يعيشون في رعب منهم ومن أفعالهم القاسية ، وجعل اليمن تتهيأ لاستقبال أي فاتح ، ومن أشق ما عرف به ابن مهدي أنه كان يكفر بالمعاصي ويستبيح نساء هؤلاء ، ويسترق ذراريهم ، كما أنه كان

(١) تاج الدين اليماني : تاريخ اليمن ص ٧٣ .

إذا غضب على أحد من أتباعه عذبه بقسوة • وكان يقتل من انهزم من عسكره ، كما كان يقتل من تأخر عن صلاة الجماعة أو عن مجلس وعظه ، أو من شرب خمرا ، أو من سمع غناء وبخاصة من رجال العسكرية (١) . وللهذا اتجه أهل اليمن لكره بنى المهدى ، لتخوفهم منهم بسبب هذا التصرف وكثرة الفتنة بازهلين (٢) .

ويذكر المؤرخون أن صلاح الدين الأيوبي اتصل به من ينقل له أن عبد النبي بن مهدى يزعم أن دولته تطبق الأرض ، وأن ملكه يسير مسيير الشمس ، فجهز صلاح الدين جيشا كبيرا بقيادة أخيه توران شاه ، ومعه خمسة من آل رسول كانوا يقيمهون في مصر ، وبعث بهم إلى اليمن سنة ٥٦٩ هـ فلما استطاع أن يدخل زبيد ، وأسر عبد النبي وقتله (٣) .

ولما ت بذلك دولة بنى المهدى ، وببدأ ملك الأيوبيين في اليمن كما سترى فيما بعد .

(١) انظر تاريخ اليمن لعمارة اليمن ص ١٢١ .

(٢) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ص ١٨٢ .

(٣) على بن الحسن الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٨ .

صنعاء

صنعاء هي العاصمة الرئيسية للبيمن ، وأهم المدن به ، وأجملها ، وهي ترتفع عن سطح البحر ٢٣٥٠ مترًا ، ولذلك يضرب المثل بصعوبة الوصول إليها ، فيقال « لابد من صنعاء وإن طال السفر » وتقع صنعاء في منطقة خصبة كثيرة المزروع والفاكهه ، وبخاصة العنب ، وهي ملتقى لكثير من طرق القوافل من جميع أرجاء البيمن ، مما جعلها مركزاً تجارياً هاماً ، وهي إلى الجنوب من لواء صعدة ، وإلى الشرق من لواء الحديدة ، وإلى الغرب من مأرب والربع الخالي ، ومن أوديتها الرئيسية وادي المواهب ووادي الزبيدي ، وتقع في السفح الغربي من جبل نقم .

ويقول ياقوت^(١) إن اسمها كان (أوزال) فلما وقعت البيمن تحت الاستعمار الحبشي ، غير الأحباش اسمها إلى « صنعاء » ومعناها حصينة وذلك لأن جبل نقم يقف منها موقف الحارس ، فهو يرتفع عنها بحوالى ٦٠٠ متر ويشرف عليها بموقعه وقلاعه ومدافعته ، ويقال إن هذا الوضع هو السبب في المثل الذي أوردهناه آنفاً وهو (لا بد من صنعاء وإن طال السفر) أي أن الوصول إليها والسيطرة عليها شيء شاق للغاية .

ويمتد تاريخ صنعاء فترة طويلة قبل الإسلام ، ولا يزال هناك عمد وأحجار عليها نقوش وكتابات ترجع إلى ما قبل الإسلام ، وقد أعيد استخدام هذه الأحجار في بعض المباني الحديثة ، وبخاصة في الجامع الكبير ، وقبيل الإسلام بنى بها أبرهة كنيسة القليس ، وهو جدرانها بالذهب ، وغطائى حيطانها بالفضة ورصعها بالجواهر ، وكان هدفه أن يجذب العرب إلى الحج إليها بدل حجتهم إلى الكعبة بمكة ، ولكن أعرابياً من كثابة دخلها ليلاً ولطخها بالقاذورات ، مما كان سبباً في إغارة الحبشة على مكة التي رواها القرآن الكريم في سورة الفيل .

(١) معجم البلدان ج ٥ ص ٤٣٤ .

- ٤١٢ -

ومن آثارها القديمة كذلك قصر غمدان ، ولا تزال هناك أطلال تتنفس
إليه *

وفي العصر الإسلامي ظلت صنعاء العاصمة الأولى للبيمن وإن قامت
بجانبها عواصم أخرى للولايات المتعددة التي قامت بالبيمن *

وفي العهد الأيوبي أقيمت حول صنعاء سور ضخم لا تزال آثاره
موجودة ، وتكثر في صنعاء الجوامع الضخمة التي يمتاز بعضها بالجمال
والروعه ، وبها دور كثيرة ترتفع عدة طوابق مع أنها مشيدة بالحجر الاجر
على الطراز الصناعي الجميل ، وبها بعض الصناعات المعدنية وصناعة
الحلى التي تزين بالأحجار الكريمة التي تنسب للبيمن كالجزع اليماني
والعنيق *

وسنعيش مع الدول التي قامت بصنعاء ، حتى توحدت البيمن تقربيا
تحت سلطان الأيوبيين *

صنعاء في العهد العباسى

كانت صنعاء عاصمة البيمن خلال العهد العباسى ، فلما بدأ التفكك في
البيمن في عهد المؤمن ، كان أمراء صنعاء لا يزالون على ولائهم للعباسيين ،
ولذلك أرسل الخليفة المؤمن عبد الله بن زياد ، ليسقط عبيد للعباسيين السلطان
في المناطق المتمردة ، واحتضط هذا مدينة زبيد كما قلنا من قبل ، وجعلها
عاصمة له * وأخذ يوسع منها دائرة سلطانه ، واكتفى من صنعاء بالدعاء
له بعد الدعاء للخليفة العباسى *

وعلى هذا فإن سلطان العباسيين قد استمر على صنعاء ردها من
الزمن بعد أن قامت دولة بنى زياد في زبيد ، وتوالي على صنعاء ولاة
العباسيين ومن أشهر هؤلاء الولاة نعيم بن وضاح الأزدي ، وأسحق بن
العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، ولكن هذا كان قاسيا

— ٤١٣ —

مع أهل اليمن فأثار الحميريين عليه ، وهب أهل صنعاء في وجهه فعزله
الملعون وللبي العباس بن عمر الشنهاي .

وفي عهد المعتصم عين جعفر بن على المهاشمي والليا على نجد واليمن ،
فأناب هـذا عنه في اليمن عبد الرحيم بن ابراهيم الحوالى
الحميرى ، ولما توفي عبد الرحيم قام ابنه يعفر مقامه ، ويعد يعفر مؤسسا
للدولة اليعفرية التي آن لنا أن نتكلم عنها .

دولة بنى يعفر بصنعاء

(٢٢٥ - ٤٨٧)

بدأ نفوذ هذه الأسرة في (شبابام) بحضور دوت سنة ٢٢٥ هـ وقد
أهند نفوذ بنى يعفر إلى صنعاء عن طريق جعفر بن على المهاشمى كما ذكرنا
آنفا ، فقد ولـى هـذا عبد الرحيم بن ابراهيم الحوالى الحميرى اليمن نياحة
عنه . ولما توفي عبد الرحيم قام ابنه يعفر مقامه ، وقد صارع يعفر في عدة
هيادين من أهمها صراعه ضد حمير بن الحارت الذى عينه المـتوكل ٢٣٢ هـ
حاكمـاً على اليمن ، ودفـها صراعـه ضد ابن زـيـاد الذى كان يـتـطلع إـلـى ولـاء
ولـاة صـنـعـاء لـه ، وـفـي سـنـة ٢٤٥ هـ تـوـفـي ابن زـيـاد وـبـعـده بـحـوـالـى سـنـتين
قـتـلـ المـتوـكـل ، وـكـانـ ذلك إـيـذاـنا بـتـشـيـيتـ سـلـطـانـ يـعـفـرـ فيـ صـنـعـاءـ ، وـيـعـدـ
هـذاـ العـامـ ٢٤٧ـ بـدـءـ قـيـامـ هـذـهـ الدـوـلـةـ بـصـنـعـاءـ ، وـيـعـتـبرـ المـؤـرـخـونـ الـيـمـنـيـونـ
دولـةـ بنـىـ يـعـفـرـ حقـقـتـ الـامـسـتـقـلـالـ لـيـمـنـ .^(١)

وأهـراءـ بنـىـ يـعـفـرـ بـصـنـعـاءـ هـمـ

٢٤٧ - ٢٥٩

يعـفـرـ بنـ عبدـ الرـحـيمـ

٢٥٩ - ٢٧٩

محمدـ بنـ يـعـفـرـ

(١) الشـمـاحـىـ : الـيـمـنـ الـانـسـانـ وـالـحـضـارـةـ صـ ٩٩ .

ابراهيم بن محمد بن يعفر ٢٧٩ - ٢٨٥

فترة من الاضطراب تولى فيها جعفر بن ابراهيم
وعبد القادر بن أحمد بن يعفر فترات قصيرة)

أسعد بن ابراهيم بن محمد بن يعفر ٢٨٦ - ٢٨٨

(الإمام الهادى يقتسم صنعاء ويسلط عليها من
سنة ٢٩٩ - ٢٨٨ ، ثم يدخل على بن الفضل
القرمطى صنعاء ويعتذر بها من ٢٩٩ - ٣٠٣)

أسعد بن ابراهيم (مرة أخرى) ٣٠٣ - ٣٣٣

محمد بن ابراهيم ٢٣٣ - ٢٥٢

وقد اختلت الدولة في عهده اختلالاً واسعاً نتيجة
لاقتحام الأئمة والقراطمة للبلاد وتسلب الملك إلى
ابن أخت أسعد وأسمه عبد الله بن قحطان حتى
سنة ٣٨٧ هـ حيث انحلت الدولة وسيطر الحكم
القبلي في نواحيها .

وكانت المعركة التي دارت بين الإمام الهادى وبين بنى يعفر معارك
كثيرة وقاسية ، وفي إحدى هذه المعارك كان النصر حليف بنى يعفر ،
فأسروا محمد بن الإمام الهادى وقضوا على جيشه ، وقد تعرض أسعد
لصراع آخر مع على بن الفضل القرمطى ، وانتصر القرمطى ، ودخل صنعاء
وشبام وأخرج أسعد منها ، ولكن أسعد حاول مرة أخرى أن يستعيد
سلطانه وساعده على ذلك وفاة على بن الفضل ، فاستطاع أسعد أن يحقق
نصرًا كبيرًا وأن يقتل من القراطمة عدداً هائلاً وأن يستعيد سلطات آبائه
وأجداده . ولكن الانهيار كان قد بدأ يدب في الدولة بسبب ما عانت من
صراع فتفتتت كما قلنا من قبل ، وأصبحت صنعاء لقمة سائغة لمن يتتناولها

القراهمطة في صنعاء :

تحدثنا في الجزء الرابع من هذه الموسوعة ^(١) عن نشاط الشيعة في الأئمدة النائية عن مركز الخلافة ، ومنها اليمن والشمال الإفريقي ، وكان من أهم دعاتهم في اليمن على بن الفضل الذي تحدثنا عنه آنفا ، وأصله من اليمن ، من حمير ، وينسب إلى « خنفر » وهي قاعدة « أبین » الواقعة في الجنوب الشرقي من اليمن ^(٢) وكان يعاونه المنصور بن الحسن بن زادان ، وكانا يدعوان لعبد الله المهدى الذى كان مختفيًا في سلمية بالقرب من حماة . وقد استطاع هذان الداعيان أن يحققان انتصاراً واسعاً في اليمن وتمكن على بن الفضل من الاستيلاء على صنعاء كما ذكرنا آنفا . ولكنه عندما تم له ذلك أظهر مذهب الخبيث وتبعيته للفكر القرمطي ، وادعى النبوة وأباح المحرمات وأسقط اسم عبد الله المهدى ، مما أثار عليه زميله المنصور بن الحسن ، فووقة حروب بينهما كان النصر فيها لعلى الذى حاصر زميله في قرية من قرى اليمن عدة أشهر ثم انصرف عنه . ومات المنصور سنة ٣٠٢ ثم مات على بن الفضل سنة ٣٠٣ وكان موت هذا عن طريق طبيب فصده ومسح باسمه على موضع الفصد وأضمهل أمر القرامطة بعد ذلك . ومبادئ القرامطة تجمعها قصيدة لشاعر من شعرائهم لعنهم الله جاء فيها :

تولى نبى بنى هاشم وهذا نبى بنى يعرب
لكل نبى مفى شرعه وتلك شريعة هذا النبى
لقد حط عنا فروض الصلاة وحط الصيام ولم يتشعب
وما الخمر إلا كماء السماء حلال فقد سدت من مذهب ^(٣)

وقد حقق على بن الفضل نجاحاً كبيراً على معظم اليمن فخضع له ملوكها أو أخلوا الطريق له ، ومن هؤلاء بنو يعفر في صنعاء ، وبنو زياد

(١) من ٣٢٣ وما بعدها .

(٢) الجرافى : المقتطف من تاريخ اليمن ص ٥٩ .

(٣) تاج الدين اليماني : تاريخ اليمن ص ٣٩ - ٤٠ .

— ٤٦ —

في زبيد والآئمة في صعدة ، وامتدت غزواته إلى حضرموت ٠ ويرى بعض الكتاب أن اتهامه بمذهب القرامطة كان عملاً قام به أعداؤه الكثيرون الذين قضى على سلطانهم فأثاروا ضده دعاية راجت بين الدهماء ، وامتد صداتها إلى اليوم ، وهي في الحقيقة لا وجود لها ولا يقبلها ذوق ١) ٠

وسماء كانت الأئمّة التي نسبت إليه حقيقة أو افتئالاً فقد التصقت به ، وكان صداتها مريراً ، وهذا ساعد على نهاية على بن الفضل ، ومكّن للأمير أسعد بن أبي يعفر ، من عزّو القرامطة في المذبحة وإبادتهم سنة ٣٠٤ هـ ٠

صنعاء في الفترة بين بني يعفر وبني صلیح :

بعد سقوط دولة بني يعفر بصنعاء قبيل نهاية القرن الرابع الهجري وقعت صنعاء فريسة للخراب والدمار ، ويقول عنها العميد دحيي الدين بن الحسين ٢) : في الفترة من ٤٠٥ إلى ٤٤٧ عم الخراب صنعاء وغيرها من بلاد اليمن ، لكثرة الخلاف والتزاع وعدم اجتماع الكامة ، فأظلم اليدن وكثير شرابه ، وفسدت أحواله ، وكانت صنعاء وأعمالها كالخرقة الحمراء تتخطّتها الحداة ، لها في كل سنة أو شهر سلطان غالب عليها ، حتى ضعف أهلها ، وهجروها وتولى عليها الخراب وقل العمران ٠

ولا غرو ففي هذه الفترة كان المصراع مريراً حول صنعاء ، اشتراك فيه بني نجاح ، وبنو يعفر الذين تحدثنا عنهم ، وحكام بني صلیح ، والآئمة الذين سيشتملهم حديثنا فيما بعد ٠٠٠ فكل هذه الأطراف بالإضافة إلى القرامطة والمصراع القبلي أسهمت في تدمير صنعاء خلال هذه الفترة إلى أن رسخت دولة بني صلیح فأعادت الحياة للعاصمة اليمنية الكبيرة ٠

(١) القاضي عبد الله الشماحي : اليمن الانسان والحضارة ص ١٠٩ ٠

(٢) انباء الزمن « نقلًا عن اليمن عبر التاريخ » ١٩٣ ٠

— ٤١٧ —

بنو صليح في صنعاء

ثم في سواها

٤٢٩ - ١٠٣٧ = ٥٣٢ م

تحدثنا آنفاً عن المنصور بن الحسن الذي كان شريكاً لعلى بن الفضل في الدعوة لعبد الله المهدى ، ثم افترق عنه عندما استبد على بن الفضل بسلطانه ، وأدعى النبوة ، أو على الأقل تقاسى التزاماته بالنسبة للمهدى ، أما المنصور فقد ظل وفيها بعده للمهدى ، واقتصر ببسط نفوذه على منطقة مسار ، وما مات سنة ٣٠٢ خلفه عبد الله الهمدانى ، وما قتل هذا خلفه ابن الطفيف ٠٠٠٠ ثم سليمان بن عبد الله الحميري الذى استتمال على بن محمد الصليحي إلى مذهب الإسماعيلية ، واستخلفه على هذه المنطقة فبدأ به ملك بنى صليح ، ومما يذكر أن الخلافة الفاطمية كانت قد قامت قبل ذلك بالشمال الأفريقى ثم بمصر ، وكان بنو صليح يدينون لها بالولاء ٠

وسرعان ما علا أمر الصليحي خاستولى على كثير من الحصون ، وتبعه عدد كبير من الناس ، ثم استولى على صنعاء ، ودس السُّم لابن زيد واستولى على زبيد^(١) ، ويقول^(٢) عنه تاج الدين اليماني إنه طوى اليمن طيباً ، سهله وجبله ، وفي سنة ٤٥٥ هـ ملك الصليحي جميع اليمن إلى حضرموت ، كما ولاه المستنصر الفاطمى أمر مكة ، واتخذ صنعاء عاصمة له ، وبنى فيها عدة قصور ، وأحسن سيرته في الرعاية واستمر على التشريع ، ولكنه سمح لأهل السنة ببيان مذهبهم ، وأسكن معه ملوك اليمن الذين أزال ملوكهم ، وكان إذا حج اصطحبهم معه حتى لا ينتهزوا فرصة غيابه فيثروا في البلاد ، وأمراء الصليحيين هم :

على بن محمد

٤٢٩ - ٤٥٩ م

(١) انظر حديثنا فيما سبق عن ابن زيد وسبب وفاته .

(٢) تاريخ اليمن ص ٥٣ .

الكرم أحمد بن على

شمس المعالى سباً الصليحي

السيدة أروى بنت أحمد الصليحي (زوجة الكرم)

ونهاية على بن محمد الصليحي جاءت على يد سعيد بن الأحوص النجاحي وأخيه جياش ، وقصة ذلك أن الصليحي كان في طريقه إلى مكة ومعه بعض الفرسان والاتباع ، ومعه كثير من التحف والمهدايا ، فلما وصل قرية المهمم في تهامة فاجأه سعيد الأحوص ، وأخوه جياش وبعض اتباعهما من الفرسان ، وقد دارت معركة بينهم قتل فيها على الصليحي وأسرت نساء بنى صليح ، وفيهن زوجة على (أسماء بنت شهاب) ، وسار ركب المفترضين إلى زبيد ، ومع الركب أسيرات بنى صليح ، وبدأ التفكك في دولة الصليحيين .

وعقب مقتل على الصليحي قام بالأمر ابنه الكرم وصارع أعداء الدولة والشقيقين على سلطان أسيرته فحقق كثيراً من الانتصارات واتجه لإنقاذ والدته وأسيرات أسيرته من بنى نجاح ، ودارت معارك عنيفة بينه وبين النجاحيين سنة ٤٦٠ هـ تحقق له فيها النصر وقتل عدد كبير من جيش بنى نجاح ، ونجا سعيد الأحوص زعيم بنى نجاح من الموت بأعجوبة ، وهرب إلى « دهلك » وهي جزيرة بالبحر الأحمر بالقرب من شواطئ زبيد ، واستطاع الكرم بذلك أن يستعيد والدته وأسيرات أهل بيته .

وكان لكرم زوجة من أسرة بنى صليح أيضاً أسمها أروى وكانت خير عون لزوجها في صراعه الحربي ، وفي إدارته لشؤون دولته ، ولما مرض زوجها انتقلت به من صنعاء إلى « ذي جبله » على بعد ٨٠ كم من مدينة تعز في الشمال الشرقي وبنت بهذه المدينة داراً تعرف بدار العز ، ويتحدث المؤلفون اليمنيون بإعجاب عن السيدة أروى فيقولون : لقد ضربت أروع الأمثل من الحزم والثبات ، والحكمة والعدل ، وكانت إلى جانب هذا

— ٤١٩ —

على مكان عال من الفضل في الأدب والمعروفة والدهاء ، وسموا التفكير وسداد الرأي ، ولها محسن في اليمن كثيرة ، وأعمال خيرية جليلة ، منها بناء جامع « ذى جبلة » وعمارة الجنان الشرقي للجامع الكبير بصنعاء ، وغير ذلك من المساجد والمحاسن ومعاهد العلم ، والوقفيات الكبيرة ، والصدقات ورواتب العلماء والمرشدين والمدرسين ، وكان يقال لها بلقيس الجديدة في رجاحة عقلها وحسن تدبيرها للملك ٠

وكان من وزرائها ورجال دولتها سبأ بن أحمد الصليحي ، والمفضل ابن أبي البركات ، وابنه منصور ، وسبأ بن أبي السعود بن المزري ، وعلى ابن ابراهيم بن بخيت الدولة المصرى مندوب الخليفة الفاطمى في بلاط بنى صليح ٠

ولما مات المكرم سنة ٤٨٤ ه قام بالأمر بعده شمس المعالى سبأ وهو من أسرة بنى صليح ، ومن خاصة المكرم . وقد خطب شمس المعالى السيدة أروى أرملة المكرم فاستجابت إلى ذلك بعد أن أذن الخليفة الفاطمى في مصر لها ، ولم تتجه منه بل يقال إنه لم يدخل بها ، وإنما كان زواجا سياسيا ليشتراكا في إدارة شئون الدولة ٠

ولما مات شمس المعالى قامت أروى بالأمر بطريق مباشر ٠

نهاية دولة بنى صليح :

بدأ انهيار دولة بنى صليح ، عقب اغتيال على بن محمد الصليحي للأمير الأول ، وقد بذلك ابني المكرم وزوجته أروى جهودا كبيرة لاستعادة بناء الدولة ، بيد أن انتقال أروى بزوجها من صنعاء إلى ذى جبلة ، واستخلاف عمران بن أبي الفضل الهمданى على صنعاء ، خلق الأطماع حول صنعاء . وبعد موت المكرم وقيام أروى وشمس المعالى بالأمر لم تعد الملائكة إلى ما كانت عليه ، ولم تستطع السيدة أروى أن تستعيد صنعاء وما إن ماتت سنة ٥٣٦ ه حتى تفككت الملائكة الصليحية ٠

و سنواصل دراستنا عن صناعه بعد خروجها من إمارة بنى صليبيح ، و قبل أن نبدأ ذلك ، نقول كلمة عن صلة اليمن بالخلافة الفاطمية بمصر .

مكانة الفاطميين في دولة بنى صليبيح :

كان الصليحيون من دعاة الفاطميين ، ومن أتباعهم كما سبق القول ، وقد قامت دولتهم بعد قيام الدولة الفاطمية في الشمال الأفريقي وانتقالها إلى مصر ، وقد ساعدتهم الفاطميين مادياً وأدبياً حتى قامت دولتهم واتسع ملوكهم وكان للفاطميين في بلاط الصليحيين مندوب يمثل النفوذ الفاطمي وقد ذكرنا من قبل ابن بخيت الدولة الذي كان مندوب الخلافة الفاطمية في عهد السيدة أروى .

ومما يدل على نفوذ الفاطميين في دولة الصليحيين ما يذكره أحمد حسين شرف الدين ^(١) من أن هذا المنصب اتهم لدى الخليفة الفاطمي بشئ ، فأمر سلط الخليفة بطلب القبض عليه ، ولكن السيدة أروى ترددت في تسليميه ، ولكن عظماء دولتها عظموا عليها الخلاف مع الخليفة ، فسلمت المنصب وأرسلت معه كتاباً إلى الخليفة تستعطفه .

ومما يدل على صلتها بالخلافة الفاطمية كذلك ما ذكرناه آنفاً من أن السيدة أروى لم تستطع أن تتزوج من الأمير شمس المعالى بعد موت زوجها إلا بعد أن حصلت على إذن من الخليفة الفاطمي بمصر .

ويتحدث عمارة اليمنى في كثير من صفحات تاريخه عن الصلة الوثيقة بين دولة بنى صليبيح وبين الفاطميين في مصر ^(٢) .

ومن الملاحظ أن الصليحيين بعد أن قامت دولتهم لم يرغموا الناس على التشيع وسمحوا لأهل السنة أن يظهروا مذهبهم كما سبق القول .

(١) اليمن عبر التاريخ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) تاريخ اليمن من ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩ .

— ٤٢١ —

وكان ذلك متمشيا مع الفكر الفاطمي الذي ارتقى عقب وصوله إلى السلطنة في مصر أن يهدى من تعصبه للتشيع ليضمن ارتباط الناس به ، وقد جاء في الوثيقة التي كتبها جوهر الصقلي للمصريين ما يلى :

« ٠٠٠ وذكرتم وجوهاً التمستم ذكرها في كتاب أمانكم . فذكرتها إجابة لكم وتطمئنا لأنفسكم ، وهي إيقامتكم على مذهبكم وثبتاتكم على ما كان عليه سلف الأئمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين بعدهم ، ومن فقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم وفتواهم ٠٠٠ »^(١) .

وفي هذا المجال يختلف الصليحيون عن الأئمة الزيدية الذين لم يسمحوا بغير المذهب الزيدى ، مما سبب شرخاً بين اليمن الشمالية واليمن الجنوبية عاش طويلاً .

صنفاء بعد بنى صليح (سلطان الهمدانيين)

٤٩٣ هـ - ١٠٩٨ م - ٥٩٦ م

مرت صنفاء ، عقب وفاة سبأ الصليحي سنة ٤٩٣ هـ بفترة اضطراب مدهرة ، وأول من ملكها بعد سبأ رجل من همدان يعرف بحاتم الهمداني المخسي^(٢) ويسميه القاضي الجرافي^(٣) حاتم بن العشم الهمداني ، ويقول تاج الدين اليماني عنه^(٤) انه كان ناهضاً كافياً ، وكان له ولد اسمه محمد ، لم يشاركه أحد في شجاعته وجوده ، ولكن كان فيه لوثة واختلاط عقل ، فكان إذا أحب امرأة وتزوجها قتلها ، فأحدث اضطراباً في الدولة حتى قتله أبوه .

(١) المقرizi : اتعاظ الحنفا ص ٦٧ - ٧٠ .

(٢) القاضي حسين العرشى : بلغ المرام ص ٢٩ .

(٣) المقاطف من تاريخ اليمن ص ٧١ .

(٤) تاريخ اليمن ص ٦٢ .

— ٤٢٢ —

وبقيت صناعة في أيدي بنى حاتم الهمدانيين حتى سقطت ، وضمها الأيوبيون إلى سلطانهم مع ما ضموه من اليمن .

وسلطان الهمدانيين بصناعة هم :

٤٩٣ —	حاتم بن العشيم الهمداني
لم تورد المراجع	عبد الله بن حاتم
تاریخ محدد	معن بن حاتم
لأبناء هذه الفترة	هشام بن القبّيب الهمداني
	حماس أخو هشام

حاتم بن أحمد بن عمران اليامي الهمداني ٥٣٢ — ٥٠٠

فترة صراع بين حاتم وبين الأئمة على صناعة

٥٥٠ على بن حاتم

فترة صراع ضد عبد النبي بن مهدي الذي هاجم
عدن مهدت الطريق لانتصار الأيوبيين

وهكذا كانت هذه الفترة حافلة بالفوضى والاضطرابات حول العاصمة
الرئيسية للبيمن ، وقد مهد ذلك لتدخل مصر التي كان الأيوبيون بها يرون
أنهم الورثة الحقيقيون للمناطق التي كانت تابعة للفاطميين .

وسترجى الآن الحديث عن الأيوبيين لنوصل حديثنا عن باقى
المناطق اليمنية ، بعد أن انتهينا من الحديث عن زبيد وصنعاء .

— ٤٢٣ —

صعدة

صعدة بفتح الصاد وسكون العين كما يقول ياقوت^(١) لواء باليمين ، وعاصمتها اسمها صعدة كذلك . ويقع لواء صعدة في شمالى اليمن متاخماً للواء عسير السعودى ويسمى هذا اللواء كذلك الشام أو القبلة ، وهو معقل أئمة الشيعة الزيدية ومركز للعلوم الدينية ، وفي صعدة كثير من المساجد والدور المهمة .

ومدينة صعدة مدينة عامرة ، آهلة بالسكان ، نشاطها التجارى واسع وبها بعض الصناعات وبخاصة الجلود . ونكثر فيها الفواكه وبخاصة الأعناب ، وستتدars فيما يلى تاريخ صعدة ، ونشرى الأئمة الزيديين وهم يبنون بها أنفسهم ، ثم يخرجون منها ليوسعوا رقعة سلطانهم ، وقطلل معهم عدة قرون نشاهد فيها حركة المد والجزر ، وصوراً من المصراع المطويل .

الشيعة :

في الجزء الثاني من هذه الموسوعة^(٢) تحدثنا بإفاضة عن الشيعة من ناحية العقائد والأفكار ، ومن ناحية الفرق ، كما تحدثنا عن الحركات التي قاموا بها في العصر الأموي الذي خصصنا له الجزء الثاني سالفَ الذكر ، ونريد هنا أن نعود مرة أخرى لنقدم إلمامة سريعة عن عقائد الشيعة وفرقهم ليكون ذلك وسيلة لمزيد من التفصيل عن الزيدية الذين اتخذوا اليمن مرکزاً لنشاطهم ، ولنعرف مدى ملاءمة اليمن للفكر الشيعي بوجه عام ، ولل الفكر الزيدى بوجه خاص .

والشيعة هم الذين شايروا علياً رضى الله عنه^(٣) وقد كان لعلى

(١) معجم البلدان ج ٥ ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٢) ص ١٤٥ وما بعدها من الطبعة الثامنة .

(٣) الشهر ستانى : الملل والنحل ج ١ ص ١٣١ .

شيعة منذ اللحظات الأولى بعد وفاة الرسول ومن هؤلاء جابر بن عبد الله وحذيفة بن اليمان ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفارى وغيرهم ، وتم الأمر لأبى بكر الصديق ، وجاء بعده عمر الفاروق ، وقد هذا التشيع خالل عهديهما بسبب ما عرف عنهما من أطيب الخصال ، وأرقى السجايا ، وفي عهد عثمان رضى الله عنـه بدأ التشيع ينشط من جديد ، ودخلته أفكار منحرفة على يد عبد الله بن سبأ وجماعته ، كما تسلل لصفوف الشيعة جماعات أسمياهم في الجزء الثاني « مدعى التشيع » فنفتوا في صفوف الشيعة بعض سموهم ، واستطاع الشيعة أن يكشفوا ضلالتهم أحياناً ، وينزلوا بهم أقسى العقوبات ، كما استطاع مدعو التشيع أن يتحققوا النجاح أحياناً أخرى ، وأن يغرسوا أفكارهم الضالة في عقول الشيعة ، وقد أوردنا تفاصيل لهذا الاجمال في الجزء الثاني سالف الذكر ، والمهم أن قبول الشيعة للأفكار الوالدة لم يكن على مستوى واحد ، وهذا سبب وجود فرق مختلفة للشيعة باختلاف القدر الذى تأثرت به هذه الأفكار الواردة .

وتفق فرق الشيعة على عقيدة واحدة هي أفضليـة عـلـى عـلـى على جميع الخلق فيما عدا رتبة النبوة التي امتاز بها آثـيـاء الله ، وفيـمـا عـدا هـذا هـذا غـيـان الاختلاف يدب بين فرق الشيعة ، وتـبـرـزـ فيـ ذـلـكـ فـرـقـتـانـ كـبـيرـتـانـ إـحـدـاهـماـ الإـمامـيةـ وـالـثـانـيـةـ الـزـيـدـيـةـ .

والفرقة الإمامية انقسمت فيما بعد إلى فرقتين هما الاثنتين عشرية والإسماعيلية ، ويرى الإمامية جميعاً أن الإمامة خاصة بعلى ثم بأولاده من فاطمة أى بالحسن والحسين فأولاد الآخرين ، وليس لأولاد الحسن فيها نصيب منهم لأن تنازع أبיהם لعاوية عن الخلافة أصاغ حقه ، ولا يجوز أن تكون الإمامة — ويدخل فيها الخلافة — لغير هؤلاء المستحقين ، ومن هنا فهم لا يعترفون بخلافة أبى بكر وعمر وعثمان .

أما الزيدية فاعتقادهم أسمى وأيسر فهم يرون بجواز إمامـةـ المـفـضـولـ

مع وجود الأفضل ، فمع أن عليا وأولاده أفضل الخلق إلا أن خلافة غيرهم جائزة ، وعلى هذا فمذهب الزيدية كان يُقرّب مذاهب الشيعة لرأي الجمهور .

ولكن زيدية اليمن انحرفو عن الفكر الزيدى العام وتمسكون أن تكون الإمامة فيهم على نحو ما يقول الإمامية ، ويرى المفكرون اليمنيون أن هذا الاتجاه في زيدية اليمن هو الذي أثار المشكلات ضدّهم منذ مطلع عهد الزيدية باليمن في أيام الهادى يحيى بن الحسين أول الأئمة بصعدة ، ويقول القاضى الشماحى ^(١) إن الإمام زيد بن على كان أبعد نظراً من الهادى فقد أبى أن يأخذ بنظرية حصر الخلافة في أبناء جدته فاطمة الزهراء ، ولقد كان الهادى يحيى بن الحسين ممثلاً لصفات القائد والقدوة الحسنة لابنائه وكان يتمتع بصفات نادرة .. ولكن للأسف اتجاه الإمامية في المذهب ففرض أبناءه وأحفاده رؤساء على الدولة مع أن كثريين منهم لم يكونوا مثل جدهم الهادى ولم يكونوا أهلاً لakan الصدارة ، ولو أن الهادى سار على مذهب جده زيد وحطّم هذه القيود الداخلية على المذهب لخرج من الدائرة الضيقة التي جرت عليهم وعلى اليمن ألواناً من الخراب والدمار لأن اعتبارهم مختلفين عن الآخرين ووضعهم أنفسهم موضع السيد الدائم بالنسبة للناس مما ضعفت كناعتهم ومهمما سمت كفالة الآخرين ، هذا الاعتبار أسوء لهم ولليمن وكان من أسباب ضعف الزيدية .

اليمن والتشريع :

في ظروفنا مختلفة شرحتها في الجزء الأول من هذه الموسوعة ^(٢) هاجرت جماعات كثيرة من اليمن وأتجه بعض هذه الجماعات إلى يثرب قبل الإسلام ، وقد حل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جوار هؤلاء بالمدينة ،

(١) اليمن الانسان والحضارة من ٩٩ - ١٠٢ .
 (٢) من ٢٥٠ وما بعدها من الطبعة الرابعة عشرة .

— ٤٢٦ —

وفي ذلك يقول الويسي^(١) : نزل بيثرب من القبائل القحطانية قبيلة الأوس والخرج وهو بطنان من الأزرد من نزح من اليمن بعد حادثة سيل العرم ، ثم هاجر الرسول وبعض آله إلى بيثرب ، وقامت صلة وثيقة بين المهاشميين وبين الأنصار ، بل بين المهاشميين وبين اليمن الموطن الأصلي للأنصار ، وهذا يفسر لنا كلمات عبد الله بن العباس للإمام الحسين عندما أراد هذا أن يترك الحجاز إلى العراق فقال له ابن عباس : إن أهل العراق قوم غدر ، فلا تقربنهم ، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز ، فإن أبيت إلا الخروج فسر إلى اليمن فإن بها حضونا وشعابا ، وهي أرض عريضة طويلة ، ولأبيك بها شيعة ، وأنت من بنى أمية في عزلة^(٢) .

وإذا كان الإمام الحسين لم يستجب لفكرة ابن عباس ولم يتوجه إلى اليمن ، فإن كثيرين كانوا يرون في اليمن ملذاً لهم كلما نزلت بهم التوازن في الشمال ، ومن أجل هذا كان اليمن دائمًا مكانًا مناسباً لدعوة الشيعة ، فاليه لجأ دعاة الفاطميين قبل أن يتجهوا للشمال الأفريقي ، وفيه هب على بن الفضل الخنفرى ، وكان يدعو لاسماعيلية ، واستطاع أن يخضع أسعد اليعفرى ويقهر سلطان زبييد وبهاجم صعدة ويمد سلطانه إلى حضرموت ، ولكن كل أعدائه تجمعوا ضده ، ورموه بشتى الانحرافات ، وشرحوا للناس أنه من القرامطة ، وأنه من أعداء الإسلام ، وساعدهم ما انتشر عنه من عبث وسفك دماء ، فانفض الناس عنه وحجمه أحد الأشراف فوضع السم في المبعض فمات سنة ٣٠٣ هـ .

ومن الدعاء الاسماعيلية في اليمن أبو القاسم المنصور حسن بن حوشك الذي نجحت دعوته في بعض مخالفات اليمن .

(١) اليمن الكبرى من ٢٥٢ .

(٢) الطبرى ج ٣ ص ٢٨٨ وعقيدة الشيعة تاليف هوایت دونالدش من ١٥ .

وأيا ما كانت نتائج هذه الدعوات ، فإن المدعوة الزيدية باليمين كانت أكثر الدعوات الشيعية عمقاً ورسوخاً ، ذلك لكتابة الإمام الهادى (الإمام الأول للزيدية) ولأن هذا الإمام لم يصل إلى اليمن إلا والمدعوة الشيعية قد رسخت فيه تسانده عسائل قوية^(١) .

وإذا رجعنا إلى الوراء حوالي قرن من الزمان قبل وصول الهادى أى إذا عدنا إلى العقد الأخير من القرن الثاني الهجرى ، نجد اليمن شائرة هاجة ضد الخليفة العباسى هارون الرشيد الذى هاله عصيان اليمن ، فأرسل مولاه « حماد البربرى » وأوصاه وصيته الشهيرة التى أوردنها من قبل وهى : أسمعني صوت أهل اليمن ، وإذا كان حماد قد نجح في ذلك فإن نجاحه لم يكن إلا كبتاً لشعور اليمنى ، وسرعان ما تجددت ثورة اليمن بعد وفاة هارون الرشيد بعام واحد .

وكانت ثورة اليمن آنذاك مرتبطة بظهور محمد بن ابراهيم بن طباطبا ابن إسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بالكوفة يعاونه أبو السرايا السرى بن منصور الذى نجح من جيش هرثمة احتجاجاً على ما اشهم به المؤمنون من تعاطف مع الفرس ضد العرب ، واستولى أبو السرايا على الكوفة والمدائن .. ودعا للطالبيين^(٢) واظهر ابن طباطبا سالف الذكر ، وسرعان ما اتجه إلى اليمن أحد قادة هذه الحركة وهو ابراهيم الجزار ابن موسى بن جعفر بن محمد على بن الحسين بن على والختلف حوله الشيعة الذين كانوا قد كثروا باليمين وبخاصة في صنعاء وحاربهم حمدويه بن عيسى بن ماهان والى اليمن من قبل المؤمنون ، وحقق كثيراً من الانتصارات ، وترک بلواء صعدة وسمى الجزار لكثره ما قتل ودمر ، إذ أعلن أن كل خارج عن الإمامية الزيدية لا حرمة لدمه ولا لماله .

وتغلب المؤمنون على هذه الحركة بعد جهد طويل ، ولكنها خلقت

(١) القاضى الشماحى : اليمن الانسان والحضارة ص ١٠٦ .

(٢) موسوعة التاريخ الاسلامى ج ٣ ص ١٧٤ من الطبعة العاشرة .

بصعدة اتجاهها زيديا بقى قوياً وواضحاً ، على أن ما فراساه الشيعة على يد المؤمن دفعهم إلى البيل إلى الهدوء وعدم الالتجاء إلى الثورات والاكتفاء بنشر الدعوة وتجميع الأنصار ، وبخاصة أن المؤمن عقب ذلك ولد محمد بن عبد الله بن زياد الذي بدأ به الاتجاه الاستقلالي في اليمن .

الرس" والأئمة الزيديون

يقال إن «الرس» دار «بالمدينة لأحد زعماء الزيدية» ، ويقال إن «الرس» جبل «أسود عند ذى الجحفة بالقرب من المدينة» ، والنسبة ^{لإليها الرس} ولعل أول من نسب لها هو الإمام القاسم بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي وكان يلقب «نجم الأئمة» وهو شقيق محمد بن إبراهيم سالف الذكر ، وقد اختفى بعد وفاة أخيه وانتقل من قطر إلى قطر ثم لجا إلى الرس واختارها مكاناً له ولشيعته وببدأ يُعرف بالرسى .

وأول من طالب بالإمامية من بنى الرسى هو المهادى يحيى بن الحسين ، وقد ذهب له وفد من شيعة اليمن يطلبون للقدوم لحكم اليمن بعد ما ساءت به الأحوال وكثير الصراع واشتتدت شوكة الشيعة ، فقدم المهادى لليمن سنة ٢٨٠ هـ ولكنه لم يجد العون الكاف فعاد أدراجه إلى الرس ، وفي سنة ٢٨٤ عاد شيعة اليمن يطلبون مقدمه ويعدون بالتجمع حوله ونصرته ، فجاء ومعه آله ، ومریدوه ونزل صعدة والتئف الناس حوله وبدأت به ساطة الأئمة باليمن ، ومن صعدة بدأت الدعوة الزيدية تنتشر إلى بقاع أخرى باليمن ، ومن أجل هذا قاد المهادى معارك شرسة قوية ضد كثير من دول اليمن التي كانت موجودة في عهده وبخاصة بنى يعفر وعلى بن الفضل .

وكان المهادى شخصية ممتازة جديرة بأن تقوم بهذا الدور الكبير الذى فامت به ، فقد نشأ بالمدينة نشأة فيها ضوء العلم ، وفيها ورع وتقوى ،

— ٤٢٩ —

ولما اكتمل فكرة كتب عدة مؤلفات في الدراسات الإسلامية منها الأحكام ، والمنتخب ، والفنون ، وعندما قدم اليمن بروز فيه جانب القيادة بروزا واضحا ، وتجمعت فيه صفات القائد الناجح ، فكان متزفعا عن الأهواء والمتع ، شجاعا في المارك ، معتدلا حتى مع أعدائه ، لم يمنعه ترقيه بنسبيه عن ترويج بناته من غير العلوين .^(١)

وعندما بدأ يهد المدة لصراع أعدائه وضع لنفسه نموذجا مثاليا أعلنه على أتباعه في صورة عهد ، قال فيه : أيها الناس إني أشترط لكم أربعا على نفسي : الحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والأثرة لكم على نفسي فيما يكون بيني وبينكم ، وأن أقدمكم عند العطاء ، وأنقدم عليكم عند لقاء العدو .

وأشقرط لنفسي عليكم اثنين النصيحة لله في السر والعلنية ، والطامة لأمرى ما أطحت الله .

كان هذا نهجا رائعا نفذه الهدى أدق تنفيذ مما كسب له التصر في أكثر ما خاص من المارك .

ومما يذكر أن الهدى ينتهي نسبة بالحسن بن على ، فهو ليس من أبناء زيد بن على زين العابدين ، ولكنه اعتنق الزيدية كما اعتنقتها من قبل أبوه وجده .

وإذا كنا في حديثنا عن الإمارات التي قامت في زبيد وصنعاء قد توقفنا عند سنة ٥٦٩ هـ وهي السنة التي دخل فيها الأيوبيون اليمن ، فإننا مع أئمة الزيدية لن نقف عند ذلك التاريخ لأن هؤلاء الإمامة لم يختنوا كما اختفى سواهم ، بل ناضلوا أو طلطلوا الرؤوس للقوى التي تتلوهم هـ لكنهم بقوا على كل حال في أكثر فترات التاريخ حتى سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) عندما قامت الثورة ضد الإمام البدر .

(١) القاضي الشماحي : اليمن الانسان والحضارة ص ١٠٠ .

— ٤٣٠ —

ومما يذكر أن الأئمة الزيدية عاشوا في صراع مع الدول اليمنية الأخرى من سنة ٢٨٤ هـ حتى سنة ١٠٤٥ هـ ثم خلصت اليمن الشمالية للأئمة الزيدية حتى قيام الثورة ، فيما عدا فترة الاحتلال التركي (١) .

ومما يذكر كذلك أن الأئمة الزيدية اندفعوا في كثير من الأحوال إلى صراع مرير ضد بعضهم البعض ، فكان كلما مات واحد منهم أدعى عدد من الزيدية حقهم بولاية الأمر ، ويدور بذلك صراع مرير مما يمكن أن يجعلنا نقرر أن أرض اليمن عرفت الدماء والأهوال بسبب الصراع الذي قام بين فرق الزيدية وأحزابها بعضهم والبعض ، وبين الزيدية من جانب والدول اليمنية من جانب آخر .

ويصف المؤلف اليمني أحمد الجنداوى الصراع بين الأئمة بعضهم والبعض أدق وصف حين يقول : وبعد موت المؤيد محمد بن المتوك إسماعيل ، افترق آل الإمام فرّقا ، ومثلىء بعضهم من بعض فرّقا ، فطمع الكل في الإمامة ، حتى كادت تقوم القيامة .

وكان المؤيد قد أوصى بالإمامية لابنه يوسف لاعتقاده أنه أحسن إخوه ، ولكن أدعى الحسين بن عبد القادر الإمامة بكل كيان ، وادعواها الحسن بن محمد بعمران ، وعلى بن أحمد بصنعنة والحسين بن الحسن برداع ، ومحمد ابن أحمد بالنصرة وسمى صاحب المواهب ، وصارت الأرض جيفة وفي كل قرية خليفة ، ولكن صاحب المواهب هو الذي غالب ، وصال على أنداده ووتب ، وما ظفر سواه بغير اللقب (٢) .

بقى أن نقول عن الأئمة الزيدية : إن سلطانهم ظل محصوراً في المنطقة الشمالية حتى القرن السابع الهجرى ثم بدأ سلطانهم يمتد جنوباً إلى صنعاء وإلى المناطق الأخرى في اليمن الشمالية .

(١) القاضي الشماحى : اليمن الإنسان والحضارة ص ٩٥ - ٩٦ .

(٢) الجامع الوجيز في وفيات أولى العلم والتبريز مخطوط نقل عن تاريخ اليمن السياسي للدكتور حسن سليمان ص ٢٨٢ وعن اليمن عبر التاريخ للأستاذ أحمد حسين شرف الدين ص ٢٤٧ .

— ٤٣١ —

ومنذ أوائل القرن الحادى عشر الهجرى حاول الأئمة أن يندفعوا إلى اليمن الجنوبية ، إلى حضرموت وبخاصة بعد جلاء الإثراك عنها ، ولكن سلطانهم لم يستقر في تلك المناطق إذ تمسكت منطقة حضرموت بالذهب الشافعى ، وكان ذلك من أهم الأسباب التي لم تهينه للزيديه النجاح في اليمن الجنوبية ، هذا بالإضافة إلى الحياة القبلية التي وجدت لها في مناطق حضرموت أرضا خصبة ؛ فدفعت إلى الوراء كل سلطان حاول أن يقضى عليها من الشمال .

وبعد هذه الدراسة عن الأئمة الزيديه باليمن نثبت فيما يلى قائمه بأسمائهم مع بعض المعلومات المهمة التي ترتبط ببعضهم ، وسنلاحظ من هذه القائمه أن التسلسل غير موجود ، فطالما قفز إمام إلى السلطة من غير أولاد الإمام المعزول أو المتوفى ، وأحيانا يتلاحق بعض الإخوة بعد أبيهم ، وأحيانا كان يقوم إمامان أو أكثر في وقت واحد في أمكنة متعددة ، ولكن المؤرخين يذكرون أقواهم أو أحقهم ويهملون الآخرين ، وسنلاحظ كذلك وجود أوقات بدون أئمه على الإطلاق . وملحوظةأخيرة هي الألقاب التي تحدث اضطرابا في الفهم ، فلكل إمام لقب كالمهدى والهادى والنصرور والمتوكل ، والمؤيد . وهى تتكرر أحيانا وكانت ألقاب مملكة في غير موضعها ، وقد حذفت الكثير منها طلبا للإيضاح .

وفيما يلى هذه القائمه :

١ - الهادى يحيى بن الحسين $٩١١ - ٨٩٨ = ٢٩٨ - ٢٨٤$

٢ - المرتضى بن الهادى $٩١٣ - ٩١١ = ٣٠١ - ٢٩٨$

(تبعى)

٣ - الناصر بن الهادى $٩١٣ - ٣٢٥ = ٣٠١ - ٩٣٤$

تغلب على الداعية منصور بن حسين فى موقعة
(نغاش) إحدى معاركه ضد الباطنية .

— ٤٣٣ —

- ٤ — المنصور بن القاسم ٩٣٤ = ٣٦٦ - ٣٢٥ ٩٧٦
- ٥ — يوسف بن المنصور ٩٧٧ = ٤٠٣ - ٣٦٦ ١٠١٢
- ٦ — المنصور القاسم بن على العياني ٣٨٩ = ٣٩٣ - ٩٩٩ ١٠٠٣
الإمامان رقم ٦، ٧ قاماً في أثناء حكم الإمام رقم ٥
- ٧ — المهدى الحسين بن القاسم ٤٠٣ = ٣٩٣ - ١٠١٢ ١٠٠٣
- ٨ — أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن ٤٣١ = ٤٢٦ - ١٠٣٥ ١٠٤٠
- ٩ — أبو الفتح الديلمى ٤٤٤ = ٤٣٧ - ١٠٥٣ ١٠٤٦
- ١٠ — التوكل أحمد بن سليمان ٥٣٢ = ٥٦٧ - ١١٧١ ١١٣٧
- ١١ — المنصور عبد الله بن حمزة ٦١٤ = ٥٨٣ - ١٢١٧ ٦١٤
ينتهى نسبه إلى عبد الله بن الحسين أخي الهادى يحيى بن الحسين
- ١٢ — المعتصد يحيى بن المحسن ٦٣٦ = ٦١٤ - ١٢٣٩ ٦١٤
- ١٣ — المهدى أحمد بن الحسين ٦٤٦ = ٦٥٦ - ١٢٥٨ ٦٤٦
ينتهى نسبه إلى محمد بن القاسم عم المهدى
- ١٤ — يحيى بن محمد السراجى ٦٦٠ = ٦٥٦ - ١٢٦٢ ٦٦٠
ينتهى نسبه إلى الحسن بن زيد بن على ، سمه سنجر الشعبي عامله
المظفر الرسولى *
- ١٥ — المنصور الحسن بن بدر الدين ٦٦١ = ٦٧٠ - ١٢٦٢ ٦٦١
- ١٦ — المهدى ابراهيم بن تاج الدين ٦٧٤ = ٦٧٠ - ١٢٧٦ ٦٧٠
حارب المظفر الرسولى وانتصر أحياناً ، ولكنه هزم
أخيراً ووقع أسيراً وظل في الأسر حتى مات *
- ١٧ — التوكل المطهر بن يحيى ٦٩٧ = ٦٧٦ - ١٢٧٨ ٦٩٧

— ٤٣٣ —

١٨ — المهدى محمد بن المطهر ٦٩٧ — ٧٢٨ = ١٢٩٨ — ١٣٢٧
استولى على صنعاء وعدن ولحج وحضر ملك الدولة الرسولية في
منطقة تعز +

١٩ — المؤيد يحيى بن حمزة ٧٢٩ — ٧٤٩ = ١٣٢٨ — ١٣٤٩
ينتهى نسبه إلى على زين العابدين بن الحسين

٢٠ — الواقف المطهر بن محمد ٧٣٠ — ٧٥٠ = ١٣٣٠ — ١٣٥٠

٢١ — المهدى على بن صلاح ٧٣٠ — ٧٥٠ = ١٣٣٠ — ١٣٥٠

٢٢ — الداعى أحمد بن على الفقى ٧٣٠ — ٧٥٠ = ١٣٣٠ — ١٣٥٠

٢٣ — المهدى على بن محمد ٧٣٠ — ٧٥٠ = ١٣٣٠ — ١٣٧٣

٢٤ — صلاح الدين بن المهدى ٧٧٣ — ٧٧٣ = ١٣٧٣ — ١٣٩٣

٢٥ — على بن صلاح الدين ٧٩٣ — ٨٤٠ = ١٣٩١ — ١٤٣٦

٢٦ — المهدى أحمد بن يحيى المرتضى ٧٩٣ — ٧٩٣ = ١٣٩١ = ١٣٩١

٢٧ — الهادى على بن المؤيد ٧٩٦ — ٨٣٠ = ١٣٩٣ — ١٤٢٧

٢٨ — الموكل المطهر بن محمد الحمزى (في ذمار) +

١٤٧٥ — ٨٤٠ = ٨٧٩ — ١٤٣٧

٢٩ — المهدى صلاح بن على (في صنعاء) ٨٤٠ — ٨٤٩ = ١٤٣٧ — ١٤٤٦

٣٠ — الناصر بن محمد ٨٤٣ — ٨٦٦ = ١٤٣٩ — ١٤٦٢

٣١ — محمد بن الناصر ٨٦٦ — ٩٠٨ = ١٤٦٢ — ١٥٠٣

٣٢ — الهادى عز الدين بن الحسن ٨٧٩ — ٩٠٠ = ١٤٧٥ — ١٤٩٥

٣٣ — الناصر الحسن بن عز الدين ٩٠٠ — ٩٢٩ = ١٤٩٥ — ١٥٢٤

٣٤ — محمد بن على الوشلى ٨٨٠ — ٩١٠ = ١٤٧٦ — ١٥٠٥

فترته متداخلة مع الإمامين قبله ، اعتقله السلطان الطاهرى (على بن عامر) وبقى بسجين صنعاء حتى مات +

(٢٨ م - التاريخ ج ٧)

— ٤٣٤ —

٣٥ — شرف الدين بن المهدى
اعتل الإمامه بعد حكمه الطويل

٣٦ — المظفر بن شرف الدين
صراع الأتراك العثمانيين

٣٧ — الحسن بن على داود
استمر في محاربة الأتراك ولكن هؤلاء قبضوا عليه ونفوه للأستانة

٣٨ — القاسم بن محمد
يعرف هو وأولاده بالدولة القاسمية ، تهـر الأتراك ، وحضر سلطانهم
في نقاط خبيقة .

٣٩ — محمد بن القاسم
تم في عهـه جلاء الأتراك للأمرة الثانية

٤٠ — اسماعيل بن قاسم
امتد نفوذه فشمل جميع نواحـي اليمن ، ومنها حضرموت

٤١ — أحمد بن الحسن بن القاسم
٤٢ — المؤيد محمد بن اسماعيل بن القاسم

٤٣ — محمد أحمد بن القاسم

يعرف بصاحب المawahـب نسبة لقرية بناها وسماها « المawahـب » .

٤٤ — الحسين بن القاسم بن المؤيد

٤٥ — القاسم بن حسين

٤٦ — محمد بن إسحق

٤٧ — الحسين بن القاسم

٤٨ — عباس بن الحسين بن القاسم

- ٤٣٥ -

٤٩ - على بن الحسين بن القاسم ١١٨٩ = ١٢٢٤ - ١٧٧٥ = ١٨٠٩

٥٠ - أحمد بن الحسين بن القاسم ١٢٢٤ - ١٢٣١ = ١٨٠٩ = ١٨١٦

٥١ - عبد الله المهدى بن الحسين بن القاسم
١٨٣٥ = ١٨١٦ = ١٢٥١ - ١٢٣١

٥٢ - أحمد بن علي السراحي ١٢٤٧ - ١٢٤٧ = ١٨٣١

٥٣ - على بن المهدى ١٢٥٢ - ١٢٥١ = ١٨٣٥ = ١٨٣٦

بدأ في عهده غزو الأئمك الثالث للميمن

٥٤ - عبد الله بن الحسن بن أحمد بن المهدى
١٨٤٠ = ١٢٥٦ - ١٢٥٢

في عهده احتل الانجليز عدن - قُتل في ثورة همدان سنة ١٢٥٦

٥٥ - محمد بن أحمد بن الحسين ١٢٥٦ - ١٢٥٩ = ١٨٤٠ = ١٢٥٦

٥٦ - محمد بن يحيى بن المنصور ١٢٦٠ - ١٢٦٥ = ١٨٤٤ = ١٨٤٩

٥٧ - أحمد بن هاشم ١٢٦٤ - ١٢٦٥ = ١٨٤٨ = ١٨٤٩

٥٨ - العباس بن عبد الرحمن ١٢٦٦ - ١٢٦٦ = ١٨٥٠ = ١٢٦٦

٥٩ - غالب بن الم توكل محمد ١٢٦٧ - ١٢٦٨ = ١٨٥١ = ١٨٥٢

٦٠ - محمد بن عبد الله الوزير ١٢٦٩ - ١٢٦٩ = ١٨٥٣ = ١٣٠٧

٦١ - الحسن بن أحمد ١٢٧١ - ١٢٧١ = ١٨٥٥ = ١٢٩٥

٦٢ - حسين بن محمد بن الهادى ١٢٧٥ - ١٢٧٩ = ١٨٥٩ = ١٢٥٩

٦٣ - شرف الدين بن محمد ١٢٩٦ - ١٣٠٧ = ١٨٧٨ = ١٣٠٧

٦٤ - محمد بن يحيى حميد الدين ١٣٢٢ - ١٣٢٢ = ١٨٩٠ = ١٩٠٤

٦٥ ... يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين

١٩٤٨ = ١٣٦٧ - ١٣٣٢

جعل صنعاء عاصمة له وانتقل لها من صعدة

— ٤٣٦ —

- ٦٦ — أحمد بن يحيى
١٣٦٧ = ١٣٨٢ = ١٩٤٨ = ١٩٦٢ —
٦٧ — البدر بن أحمد
١٣٨٣ = ١٩٦٢ (عدة أيام ثم هبت
ثورة السلال)

وقد بدأ الأئمة نشاطهم في صعدة كما تلذا من قبل ، ثم امتد سلطانهم إلى أكثر اليمن الشمالية وبعض بقاع اليمن الجنوبي ، وانتهى الأمر بسيطرتهم على اليمن الشمالي كله ، وعلى انفصال اليمن الجنوبي ، وسنترال الآن الأئمة الزيدية لنواصل حديثنا عن عدن منذ ظهرت بها اتجاهات استقلالية حتى زحف الأيوبيون على اليمن كله .

وبعد الأيوبيين جاء على نظامهم بنو رسول وبنو طاهر والملك المصريون ، ثم ظهر الأنراك العثمانيون واقتحموا اليمن ، ولم يقف أمامهم في حلبة النضال إلا الأئمة ، ولم يجد اليمنيون قيادة غيرهم في الصراع ضد العثمانيين ، ومن أجل هذا التفوا حولهم ، وظهر بعض الأئمة قادة ممتازين قادوا الشعب بمهارة في هذا الصراع الطويل .

عدن

عدن — كما يقول ياقوت — مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، لا ماء بها ولا مرعى ، وعدن هرفاً هام ، وتنسمى « عدن أبین » وأبین مخلاف باليمن عدن من جملته ، وتعد عدن من أقدم أسواق العرب ، وهي تطل على البحر . ويحيط بها جبل لم يكن فيه طريق يصل عدن بما خلف الجبل ، فقطع في الجبل باب فصار لها طريق إلى البر ، ويورد ياقوت أسباباً عددة من تسمية عدن وأكثرها يتجه إلى نسبتها إلى أشخاص سموا بهذا الاسم ^(١) .

وفي التاريخ القديم كانت عدن تسمى « آدانا » وكانت أهم الموانئ في جنوب شبه الجزيرة العربية عند مضيق باب المندب حتى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد ، إبان دولة سبا التي تحدثنا عنها في الجزء الأول من هذه الموسوعة . وكانت دولة سبا تتحكم التجارة بين البلاد العربية وبين البلاد الشرقية (الهند والصين) ومن أجل هذا لم تكن تسمح للسفن العربية المهاجرة من البحر الأحمر بأن تجتاز مضيق وتوالد سيرها في الخط التجارى الذى احتكرته سبا ، وكانت سبا تشتهرى التجارة المهاجرة وتقوم بتسويقها حيثما شاء ، وتبيع لتجار الشمال ما يحتاجونه من حاصلات الأقطار الشرقية ، وظل الحال على ذلك حيناً حتى سقطت سبا ، وضفت حمير من بعدها ، ولم يعد في سلطة حكام اليمن أن يوقفوا السفن عن اجتياز مضيق وموائلة الرحلة في المحيط الهندي إلى الشرق .

وفي كلتا الحالتين كانت عدن أهم ميناء تقف فيه المسفن المهاجرة والمساعدة لتتزود ب حاجياتها قبل أن تواصل سيرها في المحيط الهندي أو البحر الأحمر .

ولم تصبح عدن مملكة قائمة بذاتها إلا ابتداء من دولة بنى زريع سنة ٤٧٦ هـ ، وكانت قبل ذلك ولاية تابعة لآل زياد وآل نجاح والصلحبيين ، وسنتحدث فيما يلى عن عدن في فترة استقلالها .

(١) معجم البلدان : ج ٣ ص ٦٢١ - ٦٢٢ .

— ٤٣٨ —

بني زريع في عدن

٤٧٦ — ٥٦٩ هـ

من بني صليح إلى بني زريع :

عندما استولى على بن محمد الصليحي على اليمن مد سلطانه إلى عدن فوجد بها بني معن الحميريين ، وكان هؤلاء قد تغلبوا على لحج والشحر وحضرموت ، وقد أظهر هؤلاء ولاءهم لبني صليح وعاونوهم في حروبهم ضد بني نجاح ، ومن أجل هذا أبقاهم على الصليحي على ما تحت أيديهم على أن يكونوا نواباً عنه في حكم هذه البقاع ، والمترم بنو معن بذلك ، وقنعوا بالسلطة في ظلال التبعية لبني صليح .

ولما خطب الصليحي الأميرة أروى التي تحدثنا عنها من قبل إلى ابنه المكرم جعل دخل مدينة عدن وما حولها صداقاً لها ، كما قرر أن يدفع لها هذا الخراج كل عام هدية لها ، وظل بنو معن يدفعون للسيدة أروى هذا الخراج حتى سقط على بن محمد الصليحي بسيوف بني نجاح سنة ٤٥٩ هـ فاستبد بنو معن بما تحت أيديهم ، وتوقفوا عن دفع الخراج للسيدة أروى ، ولكن زوجها (السلطان المكرم) انتظر ريثما فرغ من المشكلات التي كانت تحيط به ، فلما جاءت سنة ٤٦٧ هـ هاجم المكرم^{*} بني معن وطردهم من عدن وما والاها ، وقضى على نفوذهم تماماً .

بعد سلطة بني زريع :

لما استقر الأمر للمكرم الصليحي في عدن وما حولها جعل ولايته للعباس ومسعود ابني المكرم الجشمي بن يام بن أصبهي الزريعي - ويعرف بابن الذئب مما جعل المؤرخين يطلقون على الزريعيين أحياناً « بني الذئب »^(١) وجعل المكرم الصليحي للعباس حصن التفك و ما يليه من

(١) جمال الدين يوسف بن يعقوب : صفة بلاد اليمن ص ١٢١ .

— ٤٣٩ —

البر ، ولمسعود حصن الخضراء وما يليه من البحر ، وله كذلك مدينة عدن ، إذ دان هذا قد أبلى بلاء حسنا في الصراع الذي دار بين المكرم العسليحي وبين بنى نجاح ، والذي استطاع المكرم بواسطته أن ينفذ أمه وصوابحتها من أسر بنى نجاح ، وقد أشرنا لهذا الصراع من قبل ، واستخلص المكرم العباس والمسعود على أن يدفع كل منهما للسيدة أروى مبلغ خمسين ألف دينار كل عام ، وقد استمرا على ذلك طيلة حياتهما وسار على ذلك أبناؤهما من بعدهما مع تخلف وانتفاخ في بعض السنوات .

وهكذا أصبح بنو زريع شبه مستقلين في هذه البقاع ، على أن الزمن قد هر وسقط بنو صليح ، وماتت السيدة أروى وظهر على أثر بنى صليح بنو مهدي وبنو همدان ، ولكن عناصر من بنى زريع قفزت إلى السلطة وقلدتها خلفاء الفاطميين سلطة الدعوة باسمهم ، وقد استمر ذلك حتى سقطت الخلافة الفاطمية بمصر ، وقام الأيوبيون مقامهم ، فتطلعوا إلى أن يرثوا أملاك الفاطميين ومن ضمنها اليمن كما سنرى فيما بعد .

وقائمة سلاطين آل زريع هي :

في حصن التucker	
العباس بن المكرم	٤٧٧ — ٤٧٠ المسعود بن المكرم
زريع بن العباس	٤٧٧ — ٤٨٠ أبو العازات بن المسعود
أبو المسعود بن زريع	٤٨٠ — ٤٩٤ محمد بن أبي العازات
على بن محمد	٤٨٩ — ٤٧٨
المداعى سباً بن أبي المسعود (ف المنطبقتين)	٥٣٣ — ٤٨٩

والداعى سباً هو ابن أبي المسعود بن زريع ، وكان عظيم الشخصية في عهد أبيه ، حARB ابن عمّه على بن محمد حاكم حصن الخضراء وعدن ، وانتصر عليه ، واستولى على منطقته سنة ٤٨٩ هـ ثم ورث أباه في حصن

— ٤٤ —

التعتبر سنة ٤٩٤ هـ فدانت له المنطقة كلها ، وقاده الخليفة الفاطمي بهصر الدعوة ، وسمى الداعي سبأ ، وظل في سلطانه إلى أن مات سنة ٥٣٣ .

الداعي محمد بن سبأ (في المنطقتين) ٥٣٣ - ٥٥٠

عمران بن محمد بن سبأ (في المنطقتين) ٥٥٠ - ٥٦٠

أبو الدر جوهر المعطى وصيا على أولاد عمران ٥٦٠ - ٥٦٩

ويقول تاج الدين اليماني (١) عن محمد بن سبأ : إن لقبه كان المعظم المتوج الكبير ، وكان مدحه ، ويقصده الشعراء فيجزل لهم العطاء ، وكان جواداً كريماً ، توسع في الملك ، وغلب على أكثر البلاد ، وعندما توفيته السيدة أروى سنة ٥٣٢ انتقل ما كان بيدها من الحصون والذخائر إلى المنصور بن المفضل ، فابتاع الداعي محمد منه الحصون والبلاد سنة ٥٤٦ وسكن الداعي بذى جبلة — ولما مات سنة ٥٦٠ انتقل الأمر إلى ذرارية ، إلى أن نفاهم سيف الإسلام توران شاه بن أيوب أخو صلاح الدين سنة ٥٦٩ .

(١) تاريخ اليمن ص ٦١ - ٦٢

- ٤٤١ -

مصنف في اليمن

مطلع الدعوة الفاطمية :

إن الحركة العلوية التي أثمرت خلافة فاطمية بالشمال الأثريقي قبيل نهاية القرن المجري الثالث ، كانت قد بدأت نشاطها قبل ذلك في اليمن ، وإذا كانت أضرحة أئمة أهل البيت في النجف وكرمانشاه عدّت المكان الملائم لاختيار الدعاة العلويين ، فإن اليمن كانت المكان الملائم لنشاط هؤلاء الدعاة .

وقد سبق أن ذكرنا المميزات التي جعلت اليمن تنعم بهذه المكانة وهي بعدها عن مركز السلطة في دمشق وبغداد ، وكثرة ما بها من أغوار وكهوف ونجاد ، ولما كان بها من مذاهب وفلسفات متعددة قبل الإسلام ، ثم لما كان يربطها بالهاشميين من روابط ووشائج ، ويضيف على بن التخشن اليماني سببا آخر جعل اليمن بلاداً مناسبة للدعوة الفاطمية ، وهو في ذلك يقول : « والله ان الفرصة ممكنة في اليمن ، وإن الذي تدعون إليه جائز هنالك ، وناموسنا يمشي عليهم فإن فيهم ضعف العقول ، وقلة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية » .

وعلى هذا أرسل الفاطميون دعائهم إلى اليمن ليقوموا بالدعوة للإمام أبي عبد الله المهدى ، وبعد وفاة هذا استقرت الدعوة لأبنه عبد الله المهدى^(١) .

وكان أول الدعاة الفاطميين باليمن أبو القاسم الحسن بن حوشب وهو من ولد عقيل بن أبي طالب ، وعلى بن الفضل الخنفرى اليمانى ، وقد أوحى أبو عبيد الله المهدى داعيته أبو القاسم بقوله : أجمع المال والرجال وألزم الصوم والمصلحة والتقشف ، واعمل بالظاهر ، ولا تُنْظَهِر الباطن ،

(١) انظر هذه الموسوعة ج ٤ ص ٣٢٣ وما بعدها .

وأوصاه بعلى بن الفضل قائلا عنه : هو شاب قريب عهد بالأمر ، شأنه شأن
كيف تنسوس أمره *

ووجه المهدى نصّحه لعلى بن الفضل قيائلا : إن هذا الرجل (ابن حوشب) الذى نبعث به معك هو بحر علم ، فانظر كيف تتحببه ، وقىّرْه ، واعرف له حقه ، ولا تخالفه فيما يراه لك ، انه أعرف منك ، وإنك إن خالفت لم ترشد

وأتجه إلى الاثنين قهائلاً : أبعثكم إلى اليمن تدعوان إلى ولدي هذا ،
فسيكون له ولذريته عز وسلطان ، وأن الله عز وجل قسم لليمنيين إلا
يتم أمره في هذه الشريعة إلا بنصرهم ^(١) .

وخرج الداعييان معاً حوالي سنة ٢٦٨ هـ ثم افترقا ، فذهب كل منهما إلى مكان باليمين على أن يتصل أحدهما بالأآخر من حين إلى حين ، وقد اتجه أبو القاسم إلى عدن ، وأخذ على بن الفضل وجهته إلى بلاد يافع الجليلية بالقرب من الجنكاد .

ونجح الاثنان نجاحاً موفوراً للأسباب التي ذكرناها ، وبسبب الاهتزازات السياسية التي كانت سائدة باليمن آنذاك ، وعندما أحسن أبو القاسم بما ناله من نجاح تسمى « منصور اليمن » ودانت له بقاعة كثيرة باليمن من أهمها ذخار وشمام ٠٠٠ وحقق على بن الفضل نجاحاً واسعاً بطريق القوة تارة والدعوة تارة أخرى ، وبطريق التآمر تارة ثالثة ، ودانت له عدن وصنعاء وزبيد ٠

ولكن النصر العسكري خلق كثيراً من الغرور والأطماع في نفس على ابن الفضل ، فبدأ يظهر التمرد والرغبة في الاستقلال بل اتجه إلى الانحراف

(١) تقول من «افتتاح الدعوة الزهراء» مخطوط محمد بن منصور التعميمي (النعمان) .

والخطيئة كما ذكرنا من قبل ، وتغلبت عليه تقالفة قرمطية قديمة كانت
اللتى بذورها فى نفسه ، ولعل هذا هو ما جعل المهدى لا يُقبل على اليمن
وأثير أن يتبع أبا عبد الله الشيعى الذى كانت دعوته قد حقت نجاحا
عظيما فى الشمال الافريقى ، وقد اغتيل على بن الفضل سنة ٢٠٣ هـ
ومات ابن حوشب فى العام الثالثى سنة ٢٠٣ هـ

وملهم أن الخلافة الفاطمية قامت فى الشمال الافريقى ولكن الفاطميين
كانت لهم دعوة ناجحة فى اليمن . وانتصارات لا تنسى ، وإذا كان
الفاطميون قد شغلتهم الأحداث فى الشمال الافريقى وفي مصر . فإنهم
لم ينسوا اليمن الذى كان على وشك أن يكون قاعدة لسلطانهم .

على أنا نعتقد أن أطامع الفاطميين جعلتهم يؤثرون أن تقوم دولتهم
فى الشمال الافريقى وفي مصر ليكونوا على حلة بمناطق انتشاره بالعالم
الإسلامى ، بدل أن تقوم دولتهم فى اليمن حيث يصعب أن يمتد منها
سلطانهم إلى مناطق أخرى .

وملهم أن حلة وثيقة قامت بين مصر التى انتقلت لها الخلافة الفاطمية ،
وازدهرت بها ، وبين اليمن منذ ذلك التاريخ البعيد .

تجدد الدعوة الفاطمية باليمن :

عندما قامت الدعوة الفاطمية بمصر تطلع الخلفاء الفاطميين إلى أن
يستعيدوا نفوذهم باليمن ، ووجدوا في بنى صليح و سيلتهم لذلك ، قد
ساعد الفاطميين بنى صليح ماديا وأدبيا حتى قامت دولتهم في « منصع »
وانتشرت إلى أماكن أخرى باليمن ، وهذا الوضع وثق الصلة بين مصر
واليمن .

- ٤٤٤ -

الأيوبيون في اليمن

٥٦٩ - ٦٣٦ هـ = ١١٧٤ م

لماذا دخل الأيوبيون اليمن؟ :

إن المراجع التي بين أيدينا تعطي لذلك أسباباً متعددة ، ولكنني لم أستطع تقبل هذه الأسباب . ومع هذا فلنوردها أولاً ، ثم نورد بعد ذلك الرأي الذي نراه .

— يقول ابن الأثير^(١) : إن السبب في إرسال صلاح الدين أخاه توران شاه إلى اليمن يرجع إلى أن صلاح الدين كان خائفاً أن يأخذ نور الدين منه مصر ، ولذلك فكر في الاستيلاء على باد آخر ليلاجأ إليه في حالة استيلاء نور الدين على مصر ، وافتضى هذا أن يُسيّر صلاح الدين أخاه إلى بلاد النوبة ولكنها لم تعجبه ، فسیره صلاح الدين إلى اليمن .

ويورد ابن الأثير^(٢) نصاً آخر يحمل فكرة أخرى فيقول : إن توران شاه استأذن نور الدين في أن يسير إلى اليمن لمحاربة صاحب زبيد الذي قطع الخطبة لبني العباس ، فأذن له بذلك .

ويرى ابن واصل أن قطع الخطبة لبني العباس كان أيضاً السبب في زحف الأيوبيين إلى اليمن ، وهو في ذلك يقول^(٢) لما ملك على بن مهدي زبيد وقطع خطبة بني العباس ، وخطب لنفسه ، استأذن صلاح الدين نور الدين أن يُسيّر عسكراً إلى اليمن فأذن له بذلك .

وهكذا نرى أن الأسباب التي يورددها المؤرخون لدخول الأيوبيين اليمن تدور في نطاق قطع الخطبة لبني العباس ، أو في نطاق أحاسيس

(١) الكامل في التاريخ ١١ ص ١٤ .

(٢) مفرج الكروب ج ١ ص ٢٣٨ .

الخلاف بين نور الدين وصلاح الدين ، ولكن في الحق لم أقنع بهذه الأسباب ، ففرار الأيوبيين من مصر لليمن خوفاً من نور الدين لن يجعلهم بمأمن منه ، فإذا كانت اليد الطولى لنور الدين فإنه يستطيع بسهولة أن يلحق بهم في اليمن ويقضى عليهم *

أما أن يقوم الأيوبيون بهذه الحملة لأن صاحب زبيد قطع الخطبة لبني العباس فیناقضه أن حملة الأيوبيين كانت على اليمن كله ولم تقف عند زبيد ، ثم إنها لم تكتف بتآديب المتمرد بل استقرت في اليمن وحكمته *

وعلى هذا فإني أرى من تتبعى للأحداث التاريخية أن السبب الحقيقي كان يكمن في اعتقاد الأيوبيين أنهم ورثوا ملك الفاطميين بكل اتساع يشمله هذا التعبير ، ومن أجل هذا الاعتقاد زحف الأيوبيون إلى كل مكان امتد له سلطان الفاطميين ، سواء كان ذلك في اليمن أو في الشمال الأفريقي أو في الحجاز ، أو في النوبة ، وكان اهتمام الأيوبيين بالحجاز واليمن أكثر ، لأن سلطان الفاطميين كان أ Maul ، وأثبتت في هاتين المنطقتين

ومما يؤكّد أن ملك الأيوبيين في اليمن كان امتداداً لسلطان الفاطميين بها ما أورده كاتب يمني (١) من أن الشريف قاسم بن يحيى ، وهو من كبار أعيان المخلاف السليماني استدرج بالخليفة العاضد ضد نشاط آل محمد في زبيد وجميع المدن والقرى القهامية ، وأن العاضد استجاب لذلك وأمر وزيره صلاح الدين أن يأخذ في نجدة ، فبعث صلاح الدين أخاه توران شاه الملقب شمس الدين إلى اليمن ومعه قوة كبيرة .. وهذا الرأي يوضح أيضاً أن الحملة الأيوبية لم تكن من أجل العباسين ، بل كانت دفاعاً عن سلطان الفاطميين بهذه البلاد ، ذلك السلطان الذي ناله صلاح الدين بعد أن قضى على الدولة الفاطمية *

(١) تاج الدين بن عبد المجيد : بهجة الزمن في تاريخ اليمن ص ٢٥
واما بعدها *

وقد بدأ الزحف الأيوبي على اليمن في شوال سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) واتخذ رجنته زبيد، وسرعان ما انتصر على عبد النبي بن المهدى، وقضى على مقاومته وأسره، واستولى على أمواله^(١) وسار الزحف الأيوبي من زبيد إلى عدن فقضى على آل زريع، وقبض عن القائم بأمر الأولاد النصیر من بنى زريع^(٢) ثم غادرها إلى ذي جبلة حيث أنهم حكم الصالحيةين دعاة الفاطميين؛ لأن سلطان الفاطميين بمصر كان قد أوقف، وأصبح من الضروري إيقاف نشاط دعاتهم حتى لا يثروا من أجلهم • وامتد حكم الأيوبيين إلى صنعاء، وإلى مناطق كثيرة من حضرموت^(٣) وكان الزيدية قد ضعفوا وأشتد بينهم الخلاف حتى أنهم لم يستطعوا أن يعينوا إماماً لهم في المدة بين سنة ٥٦٦ و٥٩٣ وكان هذا مما يسر زحف الأيوبيين ونجاحهم^(٤) •

وأسس توران شاه عاصمة جديدة له هي «تعز» واهتم بتعديل اليمن مما قاسى من صراعات وشدائد، ويروى أنه لما رأى جنده يحاولون تخريب بعض المدن عقب الاستيلاء عليها للتأكد من خلوها من جنود المقاومة صالح فيهم: ما جئنا لتخريب البلاد، وإنما جئنا لحكمها ونعمراها •

ولكن مقام توران شاه باليمن لم يطل، إذ استأنذن صلاح الدين في العودة إليه، فلأنه له، فعاد بعد حوالي العام، وولى توران شاه الولاية على نواحي اليمن فجعل على زبيد أبا اليهون المبارك الأكذاني المشهور بسيف الدولة، وعلى تعز ياقوت التعزى، وعلى الجندي مظفر الدين، وعلى عدن الزنجيلي •

بيد أن صراعاً دار بين هؤلاء الولاية ابتداء من سنة ٥٧٦ فأرسل صلاح الدين أخاه ملغيتين للقضاء على الفتنة وإعادة السلام والولاية، وقد استطاع ملغيتين أن يستولى على البلاد بكثير من اليسر إذ خضع له متىروا الفتن، أو فريراً من وجهه، واستولى بذلك على جميع اليمن، واحتفل بالنصرة

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٧٨ •

(٢) ابن سعيد المجيد: بهجة الزمن ص ٧٦ •

(٤) يحيى بن الحسين: غاية الأمانى ج ١ ص ٣٤١ •

— ٤٤٧ —

في جبال المعافر ، وسور زبييد وصنعاء ، وإليه ينسب بستان السلطان في
صنعاء ، وخضعت له عدن وحضرموت ^(١)

وفيما يلى قائمة سلاطين الأيوبيين باليمن :

٥٦٩ - ٥٧٠	السلطان توران شاه بن أيوب
٥٧٩ - ٥٨٠	ولاة توران شاه على التوالي
٥٨٩ - ٥٩٠	السلطان طغتكين بن أيوب
٥٩٨ - ٥٩٩	المعز اسماعيل بن طغتكين
٦١١ - ٥٩٨	السلطان المناصر بن طغتكين
٦٢٠ - ٦١١	السلطان المسعود يوسف بن الكامل
٦٢٦ - ٦٢٠	عمر بن علي بن رسول الغساني نائباً عن السلطان يوسف ^(٢)

ومما يذكر أن المعز اسماعيل كان من أهم أسباب انهيار النفوذ الأيوبي باليمن ؛ إذ كان مسيطر الاتجاهات ، فقد أعلن التشيع ولكنه في الوقت نفسه انتسب إلى بنى أمية وانتقم من بنى العباس ، وادعى الخلافة ، كما كان شحرياً مع الجند كثير العذر ، مما قوى نفوذ إمام الزيدية عبد الله ابن حمزة ، ودفع الكثريين من قادة اليمن إلى الالتحاق بهذا الإمام ^(٣)

وبمقتل المعز اسماعيل سنة ٥٩٨ هـ عادت الأمور مرة أخرى لصالح الأيوبيين ، وذلك بسبب نفوذ الأتابك الذين كان لهم الائتلاف على الناصر أيوب بن طغتكين ، ولكن ذلك الاستقرار لم يطل ، وعادت الاضطرابات لليمن مرة أخرى ، فرأى السلطان العادل الأيوبي خطورة الوهسم في اليمن ، فأنفذ قوة جديدة لاستعادة سلطان الأيوبيين ، وكان يقودها

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٢١٦

(٢) زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي

ج ١ ص ١٥٢

(٣) يحيى بن الحسين غاية المumanى ج ١ ص ٣٢٩ - ٣٣٠

المسعود بن الكامل ، وقد استطاع المسعود أن يحقق نصراً على حل أعدائه ولذلك سرعان ما استدعى إلى مصر ، فاتَّاب بها عنده عمر بن رسول^(١) ، وبوفاة السلطان المسعود ، وبدء تدهور شأن الأيوبيين في مصرأخذ أمر اليمن ينتقل لبني رسول . ولكن الباحث المدقق يحس أن الارتباط بين اليمن وبين مصر في عهد المماليك لم ينقص تماماً بانتقال الأمر لبني رسل ، فقد ظل هناك نوع من الارتباط يلاحظه الباحث من قراءته عن رحلات سلاطين بني رسول لمصر ، ومن الثابت أن السلطان الأخير من سلاطين بني رسول (المسعود أبو القاسم) قد رحل إلى مصر وكانت رحلته كما سنرى خطوة تحول من بني رسول إلى بني طاهر ويتحدث المؤرخ اليمني أحمد حسين شرف الدين^(٢) عن هذه الرحلة فيقول : استولى بنو طاهر على زبيد بعد سفر المسعود إلى الديار المصرية للمرة الأخيرة ، وهذه العبارة تدل على تكرار رحلات هؤلاء السلاطين إلى مصر ، وبالتالي على وجود العلاقة *

وسيراً مع هذا الاتجاه يمكن ان نرى في زحف المماليك الشراكسة من مصر إلى اليمن في عهد قتصوه الغوري امتداداً لتمسك مصر بالعلاقة بين البلدين المذكورين *

وبالنهاية، أن نترك حكم الأيوبيين لليمن ينبغي أن نقرر أن انضمام اليمن باسم في تلك الفترة الحاسمة في تاريخ العرب والمسلمين كان عثراً لهم الجدوى ، فقد اشتربكت اليمن أرضها وشعبها في الصراع الذي كان يقوده صلاح الدين وخلفاؤه ضد الصليبيين ، وكان ذلك من أسباب النصر الذي ناله القوى الإسلامية *

وبعد الأيوبيين لم تقم باليمن إلا دولة واحدة وبجانبها القبلية التي امتنعت، وبخاصة في اليمن الجنوبية ، ثم تحولت إلى مملكات متعددة ذاتها، أسس جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فيما بعد *

(١) المختار : العقود الولائية ج ٢ ص ٣٣ *

(٢) اليمن عبر التاريخ ص ٢٢٧ *

— ٤٤٩ —

بنو رسول

٦٢٦ - ١٢٢٩ = ٨٥٨ م - ١٤٥٤

إن تسمية بنى رسول لها قصة؛ فإن نسبةهم ينتهي إلى محمد بن هارون الغساني، وكان هذا أثيراً عند الخليفة العباسى، فأرسله عدة مرات إلى سلاطين الأيوبيين بمصر، فطلق عليه لقب «رسول».

ويحيل المؤرخون^(١)اليمنيون إلى الربط بين هذه الأسرة وبين الوطن اليمني، واعتبار دولة بنى رسول دولة يمنية وليس دخيلة، ولذلك يعتبرون محمد بن هارون من حفدة جبلة بن الأبيهم آخر ملوك الغساسنة، وهذا دوره ينتهي نسبة إلى زيد بن كهلان بن سباً الأكبر.

أما Stanley Lane' Pool فيرى أن بنى رسول ينحدرون من أصل فارسي، ودليله على ذلك أن جدهم يسمى «رستم» وهو اسم فارسي^(٢) ولكن فاته أن بعض الأسماء الفارسية دخلت بلاد اليمن منذ احتلال الفرس لليمن فلا ينهض ذلك دليلاً.

ويتجه بعض الباحثين إلى أن بنى رسول من أصل «تركمانى»^(٣) ودليلهم على ذلك أن محمد بن هارون كان يتكلم اللغة التركمانية ولكن نرى أن معرفة اللغة لا يعني ارتباط العرق.

وقد رأينا أن بنى رسول قد بدأوا سلطانهم نواباً عن الأيوبيين وقد قنع عمر بن على أول سلاطين بنى رسول بهذه النياية منذ عاد السلطان مسعود آخر سلاطين الأيوبيين إلى مصر سنة ٦١٥ هـ حتى وفاة السلطان

(١) انظر العقود اللاؤلية للخرجى ج ١ ص ٢٦ - ٢٨ .

(٢) Muhammadan Dynasties P. 92.

(٣) المقريزى : السلوك ج ٢ قسم ١ ص ٢٣٤ .

— ٤٥٠ —

مسعود سنة ٦٢٦ هـ فأعلن عمر استقالته بالأمر في اليمن ، واستصدر بذلك أمرًا من الخليفة الظاهر بن الناصر العباسى ، وضرب المسكة باسمه ، وأمر الخطباء فدعوا له في خطب الجمعة ، وبدأ بذلك ملك بني رسول ٠

ومما يذكر أن السلطان مسعود عندما أذن له عمر بن على خاف أن يطغى ببني رسول على اليمن فقبض على بدر الدين وفخر الدين أخوي عمر وصحابهما معه إلى مصر ليضعف من شوكة بني رسول ، وقد ظل هذان في مصر حتى سنة ٦٤٩ هـ فأعيدا إلى اليمن في عهد المظفر بن عمر . ولكن هذا أودعهما السجن أيضا ، ولذلك يروى أن بدر الدين قال وهو يدفع سجيننا إلى القلعة : قبحك الله قلعة ، أخرجنا منك مقيدين وعدنا إليك مقيدين (١) ٠

وكان عمر بن على يحس بالرهبة تجاه السلطان مسعود لقوسته مع بدر الدين وفخر الدين ، لذلك حرص عمر على التقرب للعامة لعلهم يكونون درعا له إذا غضب عليه السلطان مسعود ، أو لعلهم يؤيدهونه بعد مسعود ، وهذا هو الذي يسر الأمر لعمر ، فما كاد يصله خبر وفاة السلطان مسعود حتى استبد بالأمر ، واتخذ الوسائل لذلك كما رأينا آنفا ٠

وقد طالت مدة بني رسول باليمن فاستمرت أكثر من قرنين ، واتسع ملوكهم فشمل أكثر بقاع اليمن الشمالية والجنوبية بما في ذلك حضرموت ، وقهروا الأئمة في كثير من الأحوال وأذاقوهم الوبيلات ٠

ولما ضعف شأن الأئمة من طول صراعهم ضد بني رسول اتجه بني رسول إلى أهالיהם ، وقنعوا بإرسال الإمدادات إلى منافيسيهم ، وإلى بعض عمالهم ليحملوا عنهم عبء هذا الصراع وكان ظاهر بن عامر أحد عمال بني رسول من أكثر العمال ملاحقة للأئمة ، وقد استطاع أن يستولى على

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ٨٥ .

— ٤٥١ —

بعض معاقلتهم ، ويطرد منها العمال الموالين للإمام على بن صلاح الدين^(١) وسلطان بنى رسول هم :

- | | |
|-----------|--|
| ٦٤٧ — ٦٢٦ | ١ — المنصور عمر بن علي بن رسول |
| ٦٤٧ — ٦٩٤ | ٢ — المظفر يوسف بن عمر |
| ٦٩٤ — ٦٩٦ | ٣ — الأشرف (الأول) عمر بن يوسف |
| ٦٩٦ — ٧٢١ | ٤ — المؤيد داود بن يوسف |
| ٧٢١ — ٧٦٤ | ٥ — المجاهد على بن داود |
| ٧٦٤ — ٧٧٨ | ٦ — الأفضل العباسى بن المجاهد |
| ٧٧٨ — ٨٠٣ | ٧ — الأشرف (الثاني) اسماعيل بن العباس |
| ٨٠٣ — ٨٢٩ | ٨ — أحمد بن الأشرف الثاني |
| ٨٢٩ — ٨٣٠ | ٩ — المنصور بن أحمد |
| ٨٣٠ — ٨٤٢ | ١٠ — الأشرف (الثالث) بن منصور |
| ٨٤٢ — ٨٥٠ | ١١ — يحيى بن الأشرف (الثالث) |
| ٨٥٠ — ٨٥٨ | ١٢ — المسعود أبو القاسم بن الأشرف الثالث |

الاتجاهات الحضارية لبني رسول :

شغف كثير من سلطانين بنى رسول بالدراسة وتأليف الكتب التي تناولت مختلف المجالات ، ومن هؤلاء السلطان المظفر الذي درس الحديث والفقه والنحو وغيرها ، واشتغل منذ شبابه بدراسة الطب .

وكان الأشرف الأول بن السلطان المظفر متضلعًا في بعض علوم المطب ، وفلاحة الأرض ، ومن مؤلفاته (كتاب الجامع في الطب^(٢)) وكتاب (التقاحة في معرفة الفلاحة)^(٣) .

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ج ٢ ص ٥٤١ .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٦٤ و ٥٤١ .

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ج ١ ص ٤٧٦ .

أما المؤيد بن المظفر فيريوي أنه حفظ مقدمة ابن بابشاد^(١) في النحو وكفاية المتحفظ في اللغة ، واحتوت خزانة كتبه على مائة ألف مجلد ، وله مؤلف عن الخيل وأنواعها وصفاتها وسيطرتها .

والأفضل بن المجاهد ألف كثيرا من الكتب منها كتاب : « نزهة العيون في تاريخ طرائف القرون » وكتاب : « العطایا المسنية في المناقب اليمنية (٢) » وكتاب : « نزهة الأبصار في اختصار كنز الأخبار » و « بغية ذى الهمم في أنساب العرب والمعجم » .

وكان بنو رسول يهتمون بالختيار الموزرء من بين أرباب الأقلام ،
وكان الوزير لقب « القاضي » أو « الشیخ » (٣) .

وكان قائداً لجيش بنى رسول يلقب «أمير القلم» ومن أشهر من تولوا هذه الوظيفة الأمير حسام الدين التوريزى وهو الذى عينه السلطان المظفر مقدماً لحشه ، وقد أنفق على هذا الجيش كثيراً من الذهب والفضة (٤) .

واهتم بنو رسول بتبادل السفارات مع كثير من سلاطين عصرهم ،
وكانوا يختارن ذوى القربى والملحدين لهم ليكونوا سفراء من قبلهم ،
ومن أهم الشروط التى كانوا يهتمون بها في السفير أن يكون مشهورا بالتقوى
• والاستقامة (٥) .

ومن الحياة الاجتماعية لبني رسول أنهم كانوا يحرصون على حضور «الكتيب» وهو الاحتفال بليلة ٢٧ من رجب كل عام ، وكانوا يأمرون المحكاب لا يحولوا بينهم وبين الناس في هذه الليلة .

(١) النجوم الزاهرة لأبي المحاسن ج ٩ ص ٢٥٣ حاشية .

(٢) ابن الريـد : بـيـغـةـةـ الـمـسـتـفـيدـ : وـرـقـةـ ١٢ـ .

^{٣)} القلقشندی : صحيح الأعشى ج ٤ ص ٢٨ .

(٤) المخرج: العقود المؤلبة ح١ ص ٢١٠

(٥) أبو محزمه : قلادة النحر .

هوارد حكمة بنى رسول :

يبدو أن مسئوليات الاستقلال الذى أعلنه عمر بن على دفعته لفرض ضريبة إضافية على المزارعين أسمها « المعونة » بالإضافة إلى الخراج الذى كان مفروضاً من قبل ، وقد أحس ابنه المظفر بضجر المزارعين لضاعفه الضرائب فأوقف تحصيل « المعونة » . وكان ذلك فضلاً من أفضاله جعله موضع الدعاء والقدير .

اما أهم مصدر من مصادر الدخل عند بنى رسول فكان ما يتجمىء من التجار ، وبخاصة من تجارة عدن التى كانت مركزاً تجارياً واسعاً النشاط ، ويبدو أن بعض سلاطين بنى رسول اشتغل في تحصيل الضرائب من تجار عدن فاتجه هؤلاء إلى جدة ليجعلوا منها مركزاً لنشاطهم التجارى بدل عدن ، وقد تسبب هذا في حرمان بنى رسول من أرباح هائلة كانوا يجبونها من تجار هذه المدينة .

أعظم ملوك بنى رسول :

ولنعد إلى عمر بن على لنقرر أننا إذا استثنينا « المعونة » التي عدلت قسوة منه فإن مؤرخي اليمن يذكرونها بخير ، ويقررون أنه من أهل العزم وقد دانت له البلاد والعباد ، وأدرك في نفسه المراد ، ومد نفوذه إلى مكة ، وقام بضبط الحرمين الشريفين ضبطاً مرضياً وله بهما آثار جليلة ومحاسن عظيمة ، ومن محاسنه في اليمن مدرستان في تعر هما الوزيرية والعزابية وبثلاث مدارس بزيبيد ، ومدرسته بالجند ، وأخرى بعدن ، كما بنى بكل قرية من قرى تهامة مسجداً ، وأوقفت عليه وقناً جيداً^(١) .

وجاء المظفر يوسف بن عمر بعد أبيه ، فوجد دولة شاهقة البنيان فزادها رفعة ومجداً ، ويعد أكبر شخصية في الدولة الرسولية ، وكان يقال له « التبع الأصغر » وفي أيامه اتسعت المملكة الرسولية حتى شملت

(١) أبو عبدون الجندي : السلوك في طبقات العلماء والملوك .

حضرموت وأعمالها والمسؤول الداخلية وجبارتها ، وصعد ومعظم الجزيء ، ومنها الحرمان ، ولما قتل هولاكو الخليفة العباسى الأخير المستعصم وأنهى الخليفة العباسية سنة ١٢٥٨ م نادى المظفر بنفسه خليفة للمسلمين^(١) ولعل هذا هو الذى دفعه إلى التدخل لدى ملك الصين عندما حرم هذا الختان على المسلمين ببلاده فكتب له المظفر في ذلك ، وأرفق بالكتاب هدية مناسبة فكان لذلك أثره ، وقد شيد المظفر كثيراً من المدارس والمساجد^(٢) .

ومن يذكر اسمه في مجال العمران المؤيد الرسولى الذى بني القصر العقili سنة ٧٠٨ هـ في تعز ، ويبلغ طول مجلس هذا القصر ٢٥ ذراعاً وعرضه ٢٠ ذراعاً ، وكان له سقفان بغير عمد ، مطليان بالذهب ، وكان هذا المجلس يطل على بستان جميل المنظر ، وكان لا يرى في المجلس إلا الرخام والذهب ، وأمامه بركة طولها ١٠٠ ذراع وعرضها ٥٠ ذراعاً وعلى حافتيها تماثيل من النحاس الأصفر للطيور والوحش ، وهي تقدّف الماء من أفواهها ، وقد استعان المؤيد بكثير من الصناع اليمينيين والغرباء في بنائه^(٣) .

ويذكر الخزرجي أن الدولة الرسولية تعد أعظم دولة وطنية يمنية عرفها التاريخ منذ سقوط الدولة الحميرية ، وقد قامت بإنهاض البلاد وتعهيرها ونشر العلوم بها ، ونبغ من أفرادها علماء عباقرة حتى في الطب والرياضيات والتاريخ وغيرها من العلوم ويساهموا في إنجاح اليمن على الرغم من معارضه الأئمة الرسميين الذين تمكنوا في عصر الدولة الأيوبية من تنمية دعوتهم ، وتوسيع رقعتهم ونفوذهم^(٤) .

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٧٩ .

(٢) أحمد محمد شرف الدين : اليمن عبر التاريخ من ٢٢٩ .

(٣) تاج العروس ج ٩ ص ٢١٦ والقلقشندى : هبّح الاعشى ج ٥

ص ٢٦٢ والخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٧٨ .

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٨٤ ، ٢٧٦ .

الأئمة بعد قيام الأيوبيين :

يبدو أن تجمع اليمن كلها تحت سلطان الأيوبيين وسلطان من خلفوهم ، وبالتالي اختفاء السلاطين في المناطق المختلفة ، أتاح الفرصة للأئمة الزيدية أن ينشروا دعوتهم في غيبة السلطات المحلية المأواة ، ولذلك كان على ملوك بنى رسول أن يصارعوا الأئمة صراعا طويلا ، وقد كان النصر حليف بنى رسول ، ويعتبر عصر المظفر أهم العصور في هذا المجال فقد حارب الإمام المهدى أحمد بن الحسين (٦٤٦ - ٦٥٦ هـ) ثم حارب خلفه يحيى بن محمد السراجمي (٦٥٦ - ٦٦٠ هـ) وقد تمكّن سجن الشعبي عامل المظفر أن يسمّل عينيه^(١) ، فعاش بقية عمره مكفوفا ، وحارب الملك المظفر الإمام المهدى ابراهيم بن ناج الدين سنة (٦٧٠ - ٦٧٤) وتمكن من القبض عليه سنة ٦٧٤ هـ وسجنه في تعز حتى مات ، ولعل لقب «المظفر» جاء ليوسف بن معمر بسبب هذه الانتصارات .

نهاية بنى رسول :

ما أضعف ملك بنى رسول أن تنافسا قاسيا هب بين الأمراء وبين الطامعين من بنى رسول ، وكان الثائرون على الأمير أحيانا أولاده أو إخوته ، وكانت هذه الثورات المتلاحقة من أبرز الدواعي للقضاء على دولة بنى رسول .

وعندما رحل السلطان مسعود آخر سلاطين بنى رسول إلى مصر ، استبد عبيده بالسلطة وأساءوا التصرف ، فلجل الناس إلى بنى طاهر أبرز عمال بنى رسول لينقذوهم من عنف هؤلاء العبيد ، وتقدم بنو طاهر فازوا بسلطان العبيد واستبدوا بالسلطة لصالحهم هم ، فسقطت دولة وقامت دولة .

(١) السحاوى : الضوء الالامع ج ٢ ص ٢٩٩ .

— ٤٥٦ —

بنو طاهر

١٤٥٤ = ٩٢٣ - ١٥١٧ م

ينتسب بنو طاهر إلى جدهم الشيخ طاهر بن ناج الدين بن معوضة، وهم لهذا يسمون أحياناً بنى معوضة، ويرى بعض النساية أن بنى طاهر ينحدرون من الأسرة الأموية، وباسم هذه الصلة طمع بعض سلاطينهم في الخلافة، وحمل بعضهم لقب أمير المؤمنين، وهذا يوضح لنا طموح سلاطين اليمن، وقد رأينا بعض ملوك الدولة الرسولية يدعى الخلافة بعد نهاية الخلافة العباسية، ومن الدولة الرسولية من قفع بالارتباط بمصر كما رأينا من قبل، فهم بين الطموح والقناعة.

وسلاطين بنى طاهر سرهم ما قاله بعض النساية عن انحدارهم من الأمويين فادعوا الخلافة لذلك، ولكن اليمن – كما قلنا من قبل – كان بمثابة قلعة هاشمية وبالتالي كان يتمتع على الفكر الأموي وما انحدر منه وقد وجد أعداء بنى طاهر في هذا النسب طبتهم، فأثاروا الناس ضد بنى طاهر لذلك^(١).

وكانت الظروف السائدة في آخريات عهد بنى رسول تمهد لقيام دولة بنى طاهر، فقد كانت لهم ولاية عدن، وكانوا يشغلون مناصب الوزارة والقيادة في ملك الروسليين، ثم جاءت رحلة السلطان مسعود آخر سلاطين بنى رسول إلى مصر واستبداد عبيده بالسلطة في غيته، وانحرافهم بما آلت إليهم من نفوذ، وما تبع ذلك من التجاه الجماهير لبني طاهر لينفذوهم مما آلت له الأمور من فساد وعيث، كل ذلك دفع عامر بن طاهر أن يهب للأمر، وقد استطاع أن يدخل زبيد بدون قتال، وبدأت بذلك دولة بنى طاهر^(٢)

(١) انظر اليمن الانسنان والحضارة للقاضي الشماحي ص ١٢٨-١٢٩.

(٢) يحيى بن الحسين: غاية الأمانى ج ٢ ص ٦٦٩.

ولكن سيطرتها على اليمن لم تكن يسيرة لأن نفوذ الأئمة كان قوياً فجعل عهد بنى طاهر عهداً حافلاً بالصراع كما سنشير لذلك بعد قليلٍ .

وقد اتخذ بنو طاهر « المقرانة » وهي من بلاد وداع عاصمة لهم .
ومسلطين بنى طاهر هم :

٨٧٠ — ٨٥٧	الظاهر (الأول) عامر بن طاهر
٨٧٠ — ٨٨٣	المجاهد علي بن عامر
٨٨٣ — ٨٩٤	المنصور عبد الوهاب بن طاهر
٨٩٤ — ٩٢٣	الظاهر (الثاني) عامر بن عبد الوهاب
٩٢٣ — ٩٤٥	عامر بن داود بن طاهر
	احتفظ بعده حتى سنة ٩٤٥ بعد أن استولى
	المجراء على باقي ما كان بيد طاهر قبل ذلك .

صراع بنى طاهر مع الأئمة :

كان الصراع بين بنى طاهر وبين الأئمة يمثل الصراع بين الشمال والجنوب ، ومن هنا كان هذا الصراع عنيفاً ، فبنو طاهر كانوا يطمعون أن ينالوا ملك بنى رسول الله شمالاً وجنوباً ، والأئمة كانوا يرون أن الأولان قد آن لتقى سيطرتهم على اليمن كله ، وليقضوا على مناوئيهم ، ومن هنا كان الصراع شاقاً ومريراً ، وسنعطي فيما يلى لمحات منه :

— تمكّن عامر بن طاهر من بسط نفوذه على جنوب اليمن ، فهب يصارعه الإمام الناصر بن محمد من ذمار ، ودارت المعارك بين مد وجزر ، حتى وقع الناصر أسيراً في أيدي عمال عامر ، وظل في السجن حتى مات سنة ٨٦٨ وتم استيلاء بنى طاهر على صنعاء عقب القبض على الإمام .

— قام الإمام الجديد محمد بن الناصر بقيادة الأمر بعد أبيه ، وصارع عامر ابن طاهر في حروبها مريرة حول صنعاء ، انتهت بانتصار الإمام ،

وقتل عامر في المعركة ، ولم يستطع على بن عامر ولا عبد الوهاب بن طاهر أن يحققوا انتصارات ذات ببال ، وبذلك بقيت كفة الإمام راجحة . وجاء إلى السلطة الظافر الثاني عامر بن عبد الوهاب ، وهو أعظم سلاطين بنى طاهر بأسا ، وأوسعهم رقعة ، وفي مطلع عهده قامت قبيلة الزوانيق بتهمة بثورة ضده ، ولكنها قاتل هذه الثورة بحزم وقوة ، فقضى عليها قضاء تاما ، ولما أطمأن لولاء الجنوب صعد إلى الشمال حيث حارب الإمام محمد بن علي الوشلي (٩١٠ - ٨٨٠) في صنعاء ، واستطاع أن يقبض عليه ويودعه السجن حتى مات ، ودخل السلطان الظافر صنعاء ، ودانت له اليمن في الشمال والجنوب .

حضرارة اليمن في عهد بنى طاهر :

بني طاهر عدة مائة باليمين ، فقد انتشرت في عدهم المدارس والمساجد في عدن وتعز وزبيد ورداع وغيرها ، وهم الذين بنوا مدينة « المقرانة » في رداع ، وشيدوا بها القصور العظيمة ، وأقاموا الحدائق البدية ، كما شيدوا بعض المساجد من طابقين وجعلوا الطابق الأول للعبادة والطابق الثاني للتدريس والإقامة الطلبة والمدرسين .

وقد شهدت اليمن في أيام بنى طاهر نهضة علمية تمثل في المحدث الكبير والمؤرخ الربيع العامري ومعاصريه في الشمال وفي قمتهم الإمام شرف الدين ، كما بلغت العلوم الرياضية والفلكلية والبحرية والجغرافية في أيامهم شأوا بذلك اليمن معاصريها من الدول البحرية مثل البرتغال وتركيا ، ويعتبر هذا التفوق العالىان الجغرافيان البحريان أحمد بن ماجد العدنى ، وسليمان المجرى فيما اللذان تتلمذ عليهم البحار والجغرافيون البرتغاليون والأتراك ، وبأحمد بن ماجد استعان البحار البرتغالي « دى جاما » في كشف طريق رأس الرجاء الصالح ، واعتبراهما لابن ماجد نصب له البرتغاليون تذكاراً ببلدة « مليتدى » بكينيا على الساحل الأفريقي ، ولابن ماجد مؤلفات في الجغرافيا والملاحة ، وأحوال البحار

— ٤٥٩ —

وطرقها ، ويبلغ الموجد من هذه المؤلفات — كما حكاه الأستاذ محمود كامل في مؤلفه « اليمن : شماله وجنوبه » — أربعين مؤلفا ، ترجمت إلى عدة لغات ، كما أن له أرجوزة مطولة حوت معلومات ملاحية هامة ، ولسيفان المهرى : « العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية » ويقول الرحالة الانجليزى « ريتشارد بيرتون » الذى اكتشف بحيرة تنجانيقا سنة ١٨٥٦ م إن ملاхи عدن كانوا إلى منتصف القرن التاسع عشر ينسبون اختراع البوصلة إلى ماجد ، ويقررون الفاتحة إلى روحه قبل ركوبهم البحر ^(١) .

نهاية بنى طاهر :

جاءت نهاية السلطان الظاهر على يد المماليك الجراكسة الذين اقتحموا اليمن كما سترى ، وأوقعوا ببني طاهر عدة هزائم ، واستطاعوا في النهاية أن يقبحوا على السلطان ، وتم إعدامه سنة ١٥١٧ وانتهت بمقتله سلطة بنى طاهر ، ولم يبق إلا عامر بن داود بن طاهر الذى ظل ثانية ما بعد ذلك محتفضاً بعده حتى قتله الأئمك سنة ٩٤٥ هـ — (١٥٣٨ م) .

اليمن يمتنان :

ذكرنا من قبل أن الأئمة قوي سلطانهم في عهد الأيوبيين ، أى في عهد اختفاء السلطات المحلية المناوئة لهم ، فلما ظهر بنو رسول بعد الأيوبيين دار صراع طويل بين القوتين ، ولما سقط بنو رسول وقام بنو طاهر متذلين من الجنوب مركزاً لهم عظم الأئمة في الشمال ، واتضح بذلك انقسام اليمن إلى يمنين ، ثم برزت عوامل أخرى قوّت هذا الانقسام ، أهمها :

- ١ — الاختلاف المذهبى الذى أبرزناه أكثر من مرة فإن الجنوب السنى رفض بإصرار الخضوع للشمال الشيعي .

(١) القاضى الوشاحى : اليمن الانسان والحضارة من ١٢٩ .

- ٤٦٠ -

٢ - اتخذ الزحف الظاهري (زحف الشركسية والمعثمانين وسفنتهم عنهم فيما بعد) من عدن مركزاً له ، فتكتلت القوى الوطنية متخذة من الشمال مركزاً لها .

٣ - استيلاء الانجليز على عدن بعد العثمانين ، وكان ذلك بمثابة إسفين قوى^١ قام حاجزاً بين الشمال والجنوب .

وهكذا ثبت الانقسام ، وثبت بالتالي أمر الأئمة في الشمال لأنهم هم الذين قادوا القوى الوطنية ضد الزحف الظاهري ، أما الجنوب فقد ترك بعد انزعاله بدون قادة موحدة كما سترى فيما بعد .

(١) القاضي الوشاحي : اليمن الانسان والحضارة، ص ١٢٩ .

الملك مصر (الشراكسة) في اليمن

٩٢٣ - ٩٤٥ = ١٥١٧ - ١٥٣٨ م

في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي استطاع البحارة البرتغاليون أن يجدوا طريقاً إلى الهند والشرق الأقصى بالدوران حول أفريقيا بدون المرور في البحر المتوسط والبحر الأحمر كما كانوا يفعلون من قبل ، ويعرف الطريق الجديد بطريق رأس الرجاء الصالح ، وقد اشتراك عدد من الرحالة البرتغاليون في المحاولة التي أدت لهذا الكشف ، وكان النجاح النهائي على يد « فاسكو دى جاما » الذي بدأ رحلته سنة ١٤٩٦ م .

وقد سبب هذا الكشف لمصر وسوريا خسارة مالية فادحة ، فقد كانت التجارة عبر دولة العمالق رائجة رواجاً كبيراً ، وكانت مصر والشام تلعبان دوراً مهماً فيها بواسطة البحر الأحمر والبحر المتوسط ، وكان كشف الخط الجديد ضرورة قوية لل الاقتصاد المملوكي ^(١) .

وحاول البرتغاليون تأمين طريقهم الجديد فعمدوا لاحتلال بعض المناطق الاستراتيجية المهمة فيه ، فاحتلوا جزيرة كهروان اليمنية وقتلوا عاملها ، كما هاجموا مدينة عدن تمهيداً لاحتلالها .

واتجه سلطان مصر « قنصل الغوري » لحاربة البرتغاليين وقطع الطريق الجديد عليهم حتى يعود النشاط للطريق القديم ، ووجد قنصلوه الغوري أن هياكل اليمن في المحيط الهندي هي المكان المناسب للصراع ، وتذكر قنصلوه الغوري المعهود السابقة التي قام خلالها ارتباط وثيق بين مصر واليمن ، فرأى أن زحف مصر على اليمن سيحمي اليمن ، وسيهيئه للقوات المصرية وسيلة النجاح ضد البرتغاليين ، وكانت في اليمن ظروف

(١) انظر هذه الدراسة مفصلة في الجزء الخامس من هذه الموسوعة ص ٢١٣ وما بعدها .

— ٤٦٢ —

هيأت الفرصة للزحف المصري المملوكي ، وتلك هي المنافسة الشديدة بين سلاطين بنى طاهر في أيامهم الأخيرة وبين أئمة الزيدية الذين كان نفوذهم قد تقلص في دائرة ضيقية بالشمال خلال عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب وقد استتجد الإمام شرف الدين (١٥٠٧ - ١٥٥٨ م) بمالليك فانتهزوها فرصة واستجابوا له ، ودخلوا اليمن وقضوا على سلطنة بنى طاهر ، وبخاصة أن بنى طاهر رفضوا التعاون مع الماليك في الحرب ضد البرتغاليين ، بل قام عاملهم بعمل عدواني هو حجز سفن مصرية بالحديدة كانت تحمل طعاماً للجيش المصري في جزيرة كمران التي استولى عليها المصريون من البرتغاليين ^(١) .

وعلى هذا بدأ هجوم الماليك المصريين على اليمن ، ومما ساعد على سرعة انتصار الجيش المملوكي ، أنه كان يستعمل البنادق ، والمدافع النارية ، وكانت هذه لم تعرف بعد باليمين وقد تم انتصار الماليك بعد معارك عنيفة أبلى فيها قادة بنى طاهر بلاء حسناً ، ومن أشهر المواقع موقعة (الصادفية) التي قادها أخوه السلطان (عبد الملك بن عبد الوهاب) ولاذ السلطان بالفرار ولكنه وقع أسيراً ، وجاءت نهايته عقب ذلك ، وبعد بذلك ملك الشركس ^٠ .

بيد أن مماليك مصر آنذاك كانوا في أيامهم الأخيرة ، لأن الزحف العثماني بدأ في نفس الوقت الذي بدأ فيه زحف الماليك لليمين ، وسقط قنسوه الغوري في مرج دابق سنة ١٥١٦ م كما هزم الماليك كذلك في موقعة الریدانية سنة ١٥١٧ م ، ووقوع مصر تحت سلطان العثمانيين جعل الماليك الذين كانوا باليمين يتسبّلون بالحياة هناك ، بل دفع بعض الماليك الذين نجوا من معارك العثمانيين إلى الانضمام لزملائهم الذين كانوا لهم سلطاناً في اليمن ، ثم وجد مماليك اليمن ألا طاقة لهم في مواجهة العثمانيين فاعترفوا بهم ، وخطبوا باسمهم ^٠

(١) أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ص ٣٦ .

— ٤٦٣ —

وأشهر الملوك الجراكسنة الذين حكموا اليمن هم :

الأمير حسين الكردي : استولى على تهامة وزبيد ، ولم يستطع أخذ عدن من عامر بن داود وبعد ذلك رحل إلى الحجاز ثم قبض عليه وقتل .
برسبي : استولى على تعز والقرانة ، وصنعاء .

اسكدر المخضم : سمي المخضم لأنه قبل التبعية للعثمانيين ، وخطب لهم ، وكان يحكم ويسيطر على زبيد وتهامة ، قتله كمال بك التركى أحد رجال العثمانيين .

كمال التركى : استولى على زبيد عقب مقتل اسكدر المخضم ، وقد قتله حسين الكردى وجماعته .

الناخوذة أحمد الجركسى : وفي عهده اشتد الصراع بينه وبين الأئمة الزيدية ، وقد استطاع الناخوذة أن ينتصر على المظفر بن شرف الدين في معركة زبيد ، ويرده جريحا فاشلا ، وبقى الناخوذة حتى سنة ٩٤٥ (١٥٣٨) عندما انتهى سلطان الجراكسنة باليمن ، ومن الواضح أن سلطان الجراكسنة باليمن كان في منطقة تهامة وزبيد حتى تعز .

ولم يتمدد حكمهم إلى صنعاء إلا فترة قصيرة ، وكان سلطان الأئمة آنذاك يغمر منطقة الشمال .

وقد بدأ سلطان العثمانيين لليمن خلال عهد الجراكسنة .

وفي سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨) قتل الناخوذة غدرا ، وكان قاتلته سليمان باشا مملوك السلطان سليم العثماني ، وقتل غدرا كذلك في نفس العام الأمير عامر بن داود بن طاهر .

وبنهاية الناخوذة أحمد وعامر بن داود لم يبق في اليمن إلا قوتان في ميدان الصراع : أولاهما اليمنيون بقيادة الإمام شرف الدين وابنه المظفر والثانية الأتراك العثمانيون ^(١) وقد تحدثنا من قبل عن الأئمة وبنأخذ الآن في الحديث عن العثمانيين .

(١) القاضى الشماحى : اليمن الانسان والحضارة ص ١٣٥ .

العثمانيون في اليمن

ابتداء من ٩٤٥ هـ إلى ١٣٣٨ هـ (١٩٢٩ - ١٩١٩ م)

بدون اتصال

تحدثنا عن العثمانيين في الجزء الخامس من هذه الموسوعة ، وتتبعناهم وهم يبدعون إمارة صغيرة في الأناضول ، أصبحت سلطنة بعد نهاية السلجوقية ، ثم رأيناهم وهم يقفوون إلى أوربا في عهد مراد الأول ورأينا توسعهم في أوربا ، ذلك التوسيع الذي حقق هدفاً كبيراً من أهدافه بالاستيلاء على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ في عهد محمد الفاتح ٠٠

واتجه الأتراك بعد ذلك إلى العالم العربي لسبب أو آخر ففتحوا سوريا ومصر (١٥١٦ - ١٥١٧) ثم احتلوا الجزائر وتونس وتطبعوا لاحتلال اليمن لاستكمال سيطرتهم على البحر الأحمر ، ولتنمية بحريتهم في المحيط الهندي ، ثم ليمدوا سلطانهم إلى اليمن الذي ارتبط بمصر عدة قرون ، والذي لجأ إليه بعض الأتراك الجراكسة بعد انتصار العثمانيين على جيش المماليك في موقعى مرج دابق والريدانية ٠

وقد بدأ الزحف العثماني على اليمن سنة ٩٤٥ هـ ولم يكن احتلال الأتراك لليمن مستمراً ولا متصلًا ، وقد من ثلاثة مراحل كالتالي :

المراحل الأولى للغزو العثماني :

عندما احتلت الإمبراطورية العثمانية مصر سنة ١٥١٧ م أحسست أن من حقها أن تمد سلطانها لليمن للأسباب التي ذكرناها آنفاً ، ثم لأن الإمبراطورية العثمانية وضعت يدها على شمال البحر الأحمر ، وبذلت تطلع إلى جنوبه ليكون هذا البحر خاضعاً لسلطان العثمانيين ، ولنستطيع أن نتعرض البرتغاليين في دورائهم حول إفريقيا ، إذ أن ذلك سبب خسارة مصر التي أصبحت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية ، وأصبحت

مسئولة عن مواصلة الكفاح ضد البرتغاليين ، ذلك الكفاح الذي بدأه المالك المصريون قبل هزيمتهم أمام العثمانيين ، وأخيراً فإن العثمانيين كانوا يحاولون دائماً استكمال مدد سلطانهم على البلاد العربية.

ومن أجل هذه الأسباب أعد الأتراك العدة لزحف على اليمن وكان ذلك سنة ١٥٣٨ = ٥٩٤ هـ وكانت القوى العثمانية بقيادة الأمير سليمان باشا الأرناؤطى . وقد أبحرت هذه القوى من السويس متوجهة إلى اليمن ، وكانت الحملة العثمانية مزودة بالأسلحة النارية التي لم تكن آنذاك متوفرة لدى جيش اليمن .

وقد سبق أن ذكرنا عند الحديث عن غزو المالك للإيام أن الإمام شرف الدين استدرج بهم ضد منافسيه من بنى طاهر ، وأن المالك استجابوا إلى ذلك ، وساعدوا الأئمة فقضوا على ملك بنى طاهر ، ولسم ييق لبني طاهر ، ألا منطقة عدن التي ظلت تحت سلطان عامر بن داود بن طاهر . وقد حذا حذو الأئمة فاستدرج بالعثمانيين ليستعيد بهم ملك آدائه ، وقد تظاهر العثمانيون بالاستجابة له ، ليتمكنا من النزول بمدن ، ثم قتلوا غدرًا ، ومن عدن زحف الجيش العثماني إلى زبيد ، وقفوا على أمير المالك الجراكسة ، ثم استولى على تعز ، ووصل إلى صنعاء حيث دارت معارك عنيفة بين العثمانيين وبين الأئمة الزيدية ، الذين حملوا عبء المحراع ضد الجيش الزاحف ، وقد استمر هذا المصراع حتى مائة عام ، وتجمعت القوى اليمنية تحت قيادة الإمام ، وبرز من مؤلاء الأئمة الإمام شرف الدين ثم ابنه الإمام المظفر ، وقد أبلى المظفر بلاء حسناً في صراعه ضد العثمانيين ووقعت بينه وبينهم وقائع هائلة بذكر المؤرخون أنها زادت عن الثمانين موقعة ، وكانت معركة «شحوب» على أبواب صنعاء سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٨ م) هي المعركة الخامسة ، وقد انتصر المظفر انتصاراً رائعاً ، وحصور الأتراك في صنعاء عدة أيام بعد أن قتل قائدهم مراد باشا ، وبعد هذه الموقعة جلا الأتراك

عن أرض اليمن ، وتسليم المظہر بنفسه تعز وعدن ، ولم يبق في أيدي الأتراك إلا مدينة زبيد ويُمْسِي ذلك نهاية للمرحلة الأولى في الصراع التركي اليمني ، كما تُعد مدينة زبيد باباً أدى إلى بدء المرحلة الثانية .

المرحلة الثانية للغزو العثماني :

كانت مدينة زبيد المركز الذي بدأ حوله الصراع في المرحلة الثانية ، فإن الإمام المظہر لم يقنع بما وصل إليه من نتائج ، ودفع بجيشه لتكامل النصر وتحتل مدينة زبيد ، وتنقضى على الوجود العثماني باليمن ، ولكن الأتراك العثمانيين كانوا آنذاك في فترة ازدهارهم وقوتهم ، ولذلك أعدوا العدة من جديد للزحف على اليمن زحفاً واسعاً سنة ٩٧٦ هـ (١٥٦٩ م) ودار صراع طويل بين القوتين ، انتصرت فيه القوة العثمانية واحتلت صنعاء بقيادة الوزير سنان ، واستمرت حركة الصراع بين مد وجزر حتى سنة ٩٨٠ هـ ، وفيها تُوفى الإمام المظہر وكانت مفاته شديدة أثر على القوات اليمنية ، فاندفع الجيش العثماني يحرز ألواناً من المتقدم .

وفي سنة ١٠٠٦ هـ بدت القوة اليمنية تتفض عنها الغبار ، وتقاوم من جديد بقيادة الإمام (المنصور) القاسم بن محمد الذي دعا قبائل اليمن لمساعدته في الصراع ضد الأتراك ، فاستجاب له معظم قبائل الشمال ، وخاض الإمام القاسم عدة معارك ضد الأتراك حقق فيها ألواناً من النصر ، وكان أولاده خير عن له ، ولذلك يعرف القاسم هو وأولاده « بالدولة القاسمية » وقد تم لليمنيين في عهد الإمام (المنصور) القاسم بن محمد استعادة أكثر الجهات الشمالية .

وبعد الإمام القاسم قام بالأمر ابنه المؤيد محمد بن القاسم (١٠٠٩ - ١٠٥٤ م) ، وقد واصل حركة النصر ، ودارت بينه وبين العثمانيين مواجهة قاسية أهملها معركة (الصافية) التي قدر لها أن تقضي على القوة

العثمانية ما بين قتيل وأسير ، وبعدها رحل الأتراك العثمانيون عن اليمن ، وسلموا لليمنيين كل المدن والجزر .

وانتهت بذلك المرحلة الثانية للغزو العثماني .

المرحلة الثالثة للفزو العثماني :

بدأت هذه المرحلة سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) وكان ذلك في عهد السلطان عبد الجيد بن محمود ، وكان الزحف التركي هذه المرة جارفا شديدا ، سرعان ما احتل الحديدة ، وبسط نفوذه على جميع تهامة ، ولكن هذا الزحف الذي جاء بعد أكثر من قرنين من الاستقلال الثامن ، أيقظ القادة اليمنيين المعاصرين له ، والذين وجدوا أن من الضروري أن يحافظوا على استقلال بلادهم ، كما فعل أجدادهم واندفع لقيادة اليمنيين شيخ من شيوخ صنعاء هو الشیخ على الدفعي ، وسرعان ما التفت حوله القبائل ، وأخذ يهاجم الأتراك في كل جانب أقاموا فيه ، حتى أقضى مساجعهم ، وقد اتخذ الأتراك سبيلا متويلا للهجوم عليه ، فقد أعلنوا أنه قاطع طريق ، وأنه ليس أهلا للزعامة ، وسقط الدفعي صريحا ، وكانت وفاته شرارة أيقظت ثورة عارمة ضد الأتراك العثمانيين باليمن ، وتقدم الأمة الزيدية لحمل عبء المصراع واسترك فيه المتوكل المحسن بن أحمد من سنة ١٢٧١ هـ إلى أن توفي سنة ١٢٩٥ هـ وخلفه الإمام الهادى شرف الدين من ١٢٩٦ هـ إلى ١٣٠٧ هـ ثم الإمام المنصور محمد بن يحيى بن محمد حميد الدين من سنة ١٣٠٨ هـ إلى ١٣٢٢ هـ ثم ابنه الإمام المتوكل يحيى (١٣٢٢ - ١٣٦٧ هـ) ويقول المؤرخون اليمنيون (١) إن الإمام المحسن كان أصلب الأربعه معamura ، لا مقر له ولا قصر ولا حد من ولا عاصمه إلا سرج حصانه يغادر الأتراك ويرأوه لهم حتى أقضى مساجعهم ، ومهد لخلفه الإمام الهادى أن يقتطع لواء صعدة ، ويقيم شيئاً بحكومة ، وظل ينادي الأتراك بشجاعة فائقة .

(١) القاضي عبد الله الشماحى : اليمن الانسان والحضارة ص ١٦٣ .

وعندما استهل القرن الرابع عشر الهجري كانت الحرب بين اليمنيين والأتراك على أشدها ، وكان منها جانب يمكن أن يوصف بأنه حرب عصابات وجانب آخر كانت تخوضه الجيوش النظامية ، وقد اتسعت رقعة الأرض التي يسيطر عليها الإمام الهادى ، وبعد ما ت سنة ١٣٠٧ هـ كانت سيادته تشمل منطقة واسعة ، وأموالاً وفيرة ، ومعدات قوية ، ولم يقو ابنه محمد الهادى على حمل تبعات الإمامة ناخذير لها محمد بن يحيى حميد الدين الذى ابتدأ به حكم آل حميد الدين ، وقد استمر في الصراع ضد الأتراك ، ثم جاء بعده ابنه الإمام يحيى فأكمل الشوط ، وكانت معركة « شهارة » من أعظم المعارك التى دارت بين اليمنيين والأتراك وفيها سقط عدد خصم من الجيش التركى ، وفر القائد مع من نجوا من الموت وتترك الجيش المهزوم معدات عظيمة استولى عليها جيش الإمام ، ولم يوجد الأتراك بدأ من محاولة التوسل إلى تسوية فعقدوا اتفاقية مع الإمام فى قرية دعان تسمى « اتفاقية دعان » سنة ١٩١١ م وبمقتضاها أصبح الإمامiesz على شئون الأوقاف والقضاء ، وتعيين الحكم والمرشدين ، وتشكيل هيئة شرعية فى البلاد ، وأن تكون جبائية الضريائب على المطريقة الشرعية ، واتفق الطرفان على أن تبقى قوات رمزية تركية باليمن كرمز للوحدة الإسلامية (١) وقد بقيت هذه القوات باليمن حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وهزيمة الأتراك ، وحينئذ صدرت الأوامر من الاستانة بأن تغادر القوات التركية بلاد اليمن ، وأن تعود إلى تركيا بطريق عدن ، وانتهت في سنة ١٩١٩ م المرحلة الثالثة من مراحل المغزو العثماني لليمن .

لقد دمر الأتراك العثمانيون كثيراً من المدن والقرى والمزارع باليمن خلال الحروب الطويلة بها ، وأراقوا دماء الكثيرين وسلبوا كثيراً مما كان باليمن من تحف وآثار ، ولكن اليمن ظلت تناضل حتى تم لها النصر المدون *

(١) انظر نص الاتفاقية في : أمين سعيد : اليمن ص ٢٨ - ٢٩

— ٤٦٩ —

آل حميد الدين

١٣٨٢ هـ = ١٨٩٠ م - ١٣٧٢ هـ = ١٩٦٢ م

ينحدر آل حميد الدين من بيت القاسم ، ذلك البيت الذي أنجبت عدّة أئمّة في سلسلة الزيدية ، فاختيار محمد بن حميد الدين للإمامنة عودة بالسلطة إلى البيت القاسمي ، وعندما مات الإمام الهادى سنة ١٣٠٧ هـ لم يطمع ابنه محمد في الإمامة إذ لم يبلغ درجة الاجتياهاد ، وقد اجتمع أعيان الزيدية ، واستعرضوا أسماء كبار الشيوخ الذين يستطيعون تحمل المسؤولية ، واستقر رأيهم على استدعاء محمد بن يحيى حميد الدين من صنعاء إلى صعدة ليروا إن كان أهلاً للإمامنة أولاً ، فحضر هذا والتقى بالقادة الزيدية ، وأقنعهم بصلاحيته من مختلف الوجوه ، فقبلوه وبابيعوه أماماً لهم ، وقد كان واسع الاطلاع بأحوال زمانه ، وسياسة عصره قوى البنيان في رسائله . شديد التمسك بالمبادئ الزيدية ، نسيط الحركة ، وقد ظل يصارع الأئمّة بمهارة حتى توفى سنة ١٣٦٢ هـ (١٩٠٤ م) فـالآخر إلى ابنه الإمام يحيى ، وسننـتـكلـمـ عنـهـ فـيـمـاـ يـلـيـ :

عهد الإمام يحيى :

حكم الإمام يحيى طيلة النصف الأول من القرن العشرين تقريراً (١٩٠٤ - ١٩٤٨ م) وقد حقق كثيراً من النصر ضد العثمانيين كما رأينا ، ولكن قابلته أحـدـاثـ صـعـابـ لمـ تـظـهـرـ فيـ عـهـدـ منـ سـبـقـوهـ ، فـقدـ ظـهـيرـتـ أـطـمـاعـ الـانـجـلـيـزـ فـيـ الـيـمـنـ ، وـظـهـرـ الـأـدـارـسـةـ فـيـ الـخـلـافـ الـسـلـيـمـانـيـ وـظـهـيرـتـ الـفـوـةـ السـعـوـدـيـةـ ، وـكـلـ هـذـاـ جـعـلـ عـصـرـهـ شـائـكاـ ، وـيـكـفـيـ أـنـ نـتـذـكـرـ أـنـهـ خـالـلـ حـكـمـهـ قـامـتـ الـحـربـانـ الـعـالـمـيـتـانـ ، وـلـمـ تـكـنـ الـيـمـنـ بـمـنـأـيـ عـنـ الـصـرـاعـ ، وـمـعـ هـذـاـ اـسـتـطـاعـ أـنـ يـدـيرـ دـفـةـ الـأـمـرـ بـكـثـيرـ مـنـ الـحـيـادـ ، وـلـكـنـهـ لـمـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـتـطـورـ بـالـيـمـنـ تـنـاـبـ تـطـورـ الـزـمـنـ ، وـيـنـاسـبـ مـاـ شـهـدـ الـعـالـمـ مـنـ تـغـيـرـ عـقـبـ الـحـربـ الـعـالـمـيـةـ الـثـانـيـةـ بـوـجـهـ خـاصـ ، وـلـهـذـاـ تـآـمـرـ عـلـيـهـ جـمـاعـةـ مـنـ أـتـبـاعـهـ ، وـقـتـلـوـهـ سـنـةـ ١٩٤٨ مـ كـمـ سـنـرـىـ فـيـمـاـ بـعـدـ .

ولنعد إلى عصر الإمام يحيى لنصور أهم ما بُرِزَ به من أحداث :

علاقاته مع تركيا :

قلنا فيما سبق أن انتصار الإمام يحيى في معركة « شهارة » قضى على آمال الأتراك في النصر ، ودفعهم إلى طلب الصلح الذي تم في دعان سنة ١٩١١ م بعقد معايدة اعتبرت فيها تركيا باستقلال اليمن ، وأعادت إلى الإمام صوراً مختلفة من النفوذ ، ولم يبق في اليمن من الجنود الأتراك إلا عدد قليل في صنعاء اعتبر بمثابة ارتباط إسلامي بين اليمن وبين دولة الخلافة .

وبعد سنوات قليلة تأزم الموقف الدولي ، واقتربت الحرب العالمية الأولى وانضمت تركيا للألمانيا في هذه الحرب وأخذ الشرييف حسين جانب بريطانيا متوكلاً على تركيا ، كما اتجهت أكثر الدول العربية هذا الاتجاه ، بحكم عدم رضاها عن سياسة الأتراك بها ، ولكن الإمام يحيى وقف موقفاً محايده ، بل لم يعارض في أن يتطلع من بلاده من يشاء ليينضم للدولة العثمانية المسلمة في صراعها ضد غير المسلمين ، وبعد هزيمة ألمانيا وتركيا في هذه الحروب ، صدر أمر من تركيا بانسحاب حاميتها من صنعاء باليمن ، فانسحبت في أمن دون أن يمسها سوء ، وكان ذلك نهاية للعلاقات بين اليمن والأتراك العثمانيين .

علاقاته مع الانجليز :

لم تكن علاقة الإمام يحيى طيبة مع الانجليز بسبب عواطفه التي كانت تؤيد العثمانيين خلال الحرب العالمية الأولى ، ثم إن الإمام يحيى كان يطمع في أن تمتد سلطاته فتشمل حدود اليمن القديمة أى أن تشمل اليمن الجنوبية ، وكانت هذه مرتعًا خصباً للإنجليز ، وأن تشمل منطقة عسير بين اليمن ومكة ، ولكن هذه البقعة كانت أمارة لإلدريري الذي يؤيد الانجليز ، وقد ساعدوه حتى احتلّ ميناء اللحية ، والحديدة ، ولم يكن

— ٤٧١ —

الإمام يستطيع أن ينأى بالإنجليز ، ولذلك عقد معهم معاہدة صداقة وتعاون سنة ١٩٣٤ م نصت على الاحتفاظ بالوضع الراهن فيما يتعلق بالحدود ، ريثما تسوى مشكلة الحدود في معاہدة أخرى ، وكانت مدة هذه المعاہدة أربعين سنة ومعنى ذلك تسليم الإمام بأطماع الإنجلiz .

علاقاته مع السعودية :

كان الصراع بين السعودية وبين الإمام مرتبطة بمشكلة عسير التي شرحتها من قبل ، فإن الإدريسي وافق على أن توضع إمارته تحت حماية السعودية ثم نكث العهد ، فاقتحمت السعودية هذه الإمارة ، ولجا الإدريسي لليمن ، وتأزم الموقف ، وكانت السعودية تقرر أن منطقة عسير لم تكن في يوم من الأيام تابعة لليمن .

وإذا تركنا منطقة عسير مؤقتاً فإننا نقابل منطقة أخرى كانت مثار خلاف بين السعودية واليمن ، تلك هي منطقة نجران ، ويقول المارفون أن أيها من الحكومتين لم تكن تسيطر على هذه المنطقة الداخلية ، بل كانت تسكنها قبائل من الإسماعيلية ، وكان شيخها يعتبر زعيماً دينياً وسياسياً في نفس الوقت ، وقد دخلت القوات اليمنية منطقة نجران بحجة مقاومة المذهب الإسماعيلي وإقامة الشريعة الحقة ، ثم أصبح من المتعارف عليه أن تقبل اليمن وجود السعودية في عسير ، وأن تقبل السعودية وجود اليمن في نجران (١) .

وحدث بعد أن عقد الإمام يحيى معاہدة صداقة مع إنجلترا أن اعتقاد أنه تفرغ السعودية ، فبدأت قواته تتسلل إلى عسير ، وهبت بسبب ذلك معارك طاحنة بين الطرفين ، وكانت القوات السعودية بقيادة الأمير سعود (الملك سعود فيما بعد) وكانت تستعمل أسلحة أحدث من أسلحة اليمنيين ، كما كانت درجة التدريب لديها أوفر وأعظم واستطاعت القوات السعودية

(١) دكتور صلاح العقاد : جزيرة العرب في العصر الحديث ص ٦٧ .

أن تحقق النصر في نجران وعسير بل احتلت الحديدة ، ولكن هذه القوات لم تتعلم في مواجهة الزحف باليمين ، فقد كان واضحاً أن مقاومة اليمنيين بالجبال ، ستكون عنيفة وستستنزف جهود السعوديين ، وللهذا ، وللرغبة المتبادلة في السلام ، ولوساطة مجموعة من أعلام العرب والمسلمين مكونة من الحاج أمين الحسيني وهاشم الأتاسي ومحمد عاى علوية وشكيب أرسلان ، اكمل هذا عقدت بين الدولتين معااهدة الطائف^(١) في سنة ١٣٥٣ (١٩٣٤ م) وبمقتضها اعترف اليمن بتبغية عسير ونجران للسعودية وأخلت السعودية الحديدة ، ووضعت حدود دقيقة بين البلدين ، كما تركت منطقة منزوعة السلاح خلف الحدود من الجانبيين .

سمات عهد الإمام يحيى :

من أبرز سمات عهد الإمام يحيى العزلة عن العالم ، وسبب العزلة معروض ، فإن الإمام ينتمي إلى سكان الجبال وطبيعة هؤلاء أن يميلوا للعزلة ، وهو كذلك ينتمي إلى الشيعة الزيدية ، وهي أقلية في العالم الإسلامي ، ثم أن اليمن عانت الكثير من ضراعها ضد الأتراك العثمانيين ومن أجل هذا أكثر اليمنيون أن يعيشوا بمعزل عن الناس ، فقد أحسوا أن الناس أعداؤهم ، وبخاصة عندما ظهرت قوى جديدة تتاحببهم العداء بعد أن تخلصوا من الصراع ضد العثمانيين ، وهذه القوى هي البريطانيون والإدريسيون وال سعوديون ، وبسبب سياسة العزلة بقيت اليمن بمنأى عن ركب الحضارة ، وعاشت التاريخ الحديث في تشكك وأضطراب فكري لا تسمح بأعمال التنقيب أو دخول المخربعات الحديثة ، فقد كان ذلك بعد عند الإمام انحرافاً آخر وبعد عنه ، وقد كان من مظاهر العزلة والتشكيك أن اتجهت اليمن لعدم المشاركة في الاعداد لجامعة الدول العربية ، وقنعت بأن يكون مندوبيها « مستمعاً » وظل الناس يتذرون بالمندوب المستمع مدة طويلة ، ولم تصبح اليمن عضواً كاملاً إلا عندما

(١) انظر نصوص هذه المعااهدة وملحقاتها في أمين سعيد : اليمن ص ١٠٠ - ١١٣ .

- ٤٧٣ -

اتضاع أن جامعة الدول العربية كائن قليل النفوذ وضعيف التأثير ان كان اـهـ نـفـوذـ أوـ تـأـثـيرـ .

وكان الإمام يحيى قليل الثقة بمعاونيه وكمار رجال دواته ، ولذلك كان يسيطر عليهم بطريق أخذ أولادهم رهائن بالقرب منه ، وكان يعلن ذلك في الظاهر بأنه يجمعهم للتدريب ولتهيئتهم لحمل المسؤوليات الكبيرة بالدولة ، ولكنهم في الحق كانوا وسيلة ليس بسيطر على ذويهم .

ومن الأساليب الشاذة التي مارسها الإمام يحيى ما يسمى « التخطيط » ومفهوم « التخطيط » هو دفع إحدى القبائل للسيطرة المفاجئة على قبيلة أخرى تشكك الإمام في ولائها ، أو ترددت في تقديم التزاماتها المادية للإمام ، وكثيراً ما ترتب على ذلك القضاء على القبيلة المعتمدة عليهما ، ومن الواضح أن هذه التصرفات جبست اليمن في العصور الوسطى ، وامـتـسـعـ لـهـ بـأـيـ نوعـ منـ الانـطـلاقـ نحوـ التـقـدـمـ والـرـقـىـ .

ولم يشهد عصر الإمام يحيى إلا ومضات خفيفة من التقدم كانت أقل بكثير مما يتطلبه العصر ، ومن هذه الملامح من الجانب السياسي أن اليمن أصبحت تدعى « المملكة المتوكلاة » ويعتبر ذلك تطوراً في الفكر السياسي ومؤشرًا إلى عهد جديد من السلطة قوامه الملك ، فلم بعد الإمام يختار كما اختير والد الإمام يحيى بسبب علمه وفضله ، وإنما وضع الإمام نظام الملك وما يتبعه من توارث ، وتنفيذًا لهذه الفكرة حدد الإمام ولـى عهـدـهـ وأـعـلـنـ ذلكـ سـنـةـ ١٩٤٧ـ باختيار ابنه أحمد لهذا المنصب ولـعـلـ اـنتـقالـ الإمامـ يـحـيـىـ إـلـىـ صـنـاعـهـ وـاتـخـاذـهـ عـاصـمـةـ لـهـ عـقـبـ اـتـفـاقـيـةـ « دـعـانـ »ـ كانـ تـأـيـيدـاـ لـهـذاـ الـاتـجـاهـ ،ـ فـذـلـكـ يـوـضـعـ أـنـ الإـمـامـ لمـ يـعـدـ يـقـنـعـ بـعـاصـمـةـ أـجـدـادـهـ ،ـ وإنـماـ أـصـبـحـ يـطـمـعـ فـيـ عـاصـمـةـ عـامـةـ ،ـ وـمـنـ المؤـكـدـ أـنـ هـنـاءـ أـنـسـبـ مـدـيـنـةـ لـهـذاـ الغـرـضـ ،ـ فـطـالـماـ كـانـتـ عـاصـمـةـ الـيـمـنـ كـلـهاـ فـ عـهـودـ متـعـدـدةـ .

وهـنـاكـ وـمـضـاتـ فـيـ الجـانـبـ الـاـقـتـصـادـيـ ،ـ كـاسـتـدـعـاءـ بـعـضـ الـخـبـراءـ فـ الشـئـونـ الصـنـاعـيـةـ وـالـزـرـاعـيـةـ مـنـ مـصـرـ وـسـورـيـاـ وـغـيرـهـماـ .

وهناك ومضات في الجانب الثقافي تتذكر في فتح مدرسة « دار العلوم » بصنعاء ، وإرسال بعض قليلة إلى العراق وإيطاليا المتزبد من الثقافة الطيبة أو العسكرية .

ولكن هذه الومضات كانت أقل جدا مما تتطلبه الأحوال ، وكان ذلك مما أدى إلى نهاية الإمام يحيى كما سنرى فيما يلي :

نهاية الإمام يحيى :

كان الإمام يحيى حاكما عنيفا مخيفا ، وكان ولد عهده مشهورا بالقسوة والعنف ، وطال عهد الإمام يحيى ، وقتل ظله ، وتنقدمت به المئين ، ولكن الناس كانوا لا يتوقعون تغييرا على فرض وفاة الإمام يحيى ، لأن السلطة ستؤول إلى ولد العهد الذي لم يكن يبشر بالخير ومن هنا كانت المؤامرة للقضاء على الإمام يحيى تتجه كذلك للقضاء على ولد العهد ، بالفتوك بالاثنين أو بالفتوك بالأول وإبعاد الثاني عن السلطة .

وقد قاد المؤامرة عبد الله بن أحمد الوزير عضو ديوان الإمام ، وزوج ابنته ، وأحد كبار دولته ، وقاد جيشه بعدة جبهات عسكرية ، وكان يعاونه فيها عدد من أحرار اليمن الساخطين على الحكم والذين كانوا لهم جمعية أسموها « الجمعية اليمنية » واتخذت « عدن » مقرا لها وكان يترعها أحد أبناء الإمام الساخطين عليه وهو سيف الإسلام إبراهيم ، واشترك في هذه المؤامرة كذلك حسين بن محمد الكسبي ممثل الإمام في الشؤون الخارجية ، وزيد بن على الوشكى حاكم تعز ، وانضم لهم الضابط العراقي جميل جمال ، والفصيل الورتلانى عضو جمعية الإخوان المسلمين وهو تاجر مغربي قدم اليمن من القاهرة بحجة محاولة القيام بمشروعات اقتصادية باليمن .

وفي يوم ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٧ نجحت المؤامرة ، إذ اختبأت المجموعة التي عهد لها بالتنفيذ في طريق الإمام وهو عائد من بلدة حرizz إلى صنعاء ، ووضعوا بالطريق ما يعوق سير السيارة التي يركبها الإمام ، وعندما ظهرت

خرج هؤلاء من مكمنهم وأطلقوا الرصاص على السيارة ومن بها ، وقد قتل الإمام ورئيس وزرائه القاضي عبد الله بن حسين العمرى وسائق السيارة والخادم الخاص للإمام ٠

وكان المتأمرون قد وضعوا خطة هجوم على ولی العهد عقب الانتهاء من الإمام ، وكانت الجماعة التي أنسنده لها القيام بذلك تعيش في تعز حيث يقيم ولی العهد ، ولكن ولی العهد استطاع أن يفلت من تعز فـ الوقت المناسب ، ووصل ولی العهد إلى بلدة « حجة » وهي معقل حسين له ٠

ويبدو أن عبد الله الوزير قنع بموت الإمام ، فبدأ يحاول جذب الناس له قبل أن يتتأكد من القضاء على ولی العهد ، وهذا التصرف كان سبباً لـ العواقب ، فقد أعد ولی العهد عدوه – ونازل قوات الوزير ، ودارت بين القوتين عدة معارك ، سرعان ما انتهت بفوز ولی العهد الذي أعلن نفسه إماماً للـ يمن ، واتخذ لـ قب « الناصر لـ دین الله » كما اتخذ تعز عاصمة له ، وقبض على المتأمرين والمتهمين بمساعدتهم ، فأعدم بعضهم ودفع للـ سجون عدداً كبيراً منهم ، وتمكن الفضيل الورتلاني وقلة معه من الفرار من الـ يمن ، وبـأ عهد الإمام أحمد في ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٨ ٠

عهد الإمام أحمد :

في كلمة موجزة يمكننا أن نقول ان الإمام أحمد كان امتداداً لـ عهد أبيه في الحقيقة والواقع ، ولكن الإمام أحمد حاول أن يضع طلاء يـ مظهر حكمه بصورة مخالفة لـ الواقعه ، فعمد إلى التظاهر بتـأيـد حركات الوحدة بالـ عالم العربي ، بل كان عضواً في الحلف الثلاثي الذي عقد سنة ١٩٥٦ بين مصر والـ سعودية والـ يـمن ، وأقام اتحاداً مع الجمهورية العربية المتحدة عقب قيام هذه ضامنة مصر وسوريا سنة ١٩٥٨ وعقد اتفاقية تعاون مع الاتحاد السوفياتي ٢٠٠٠ ولكن هذه الـ اتجاهات كانت مـ ظـاهـرة قـ لـيلـة المـ دـلـول ، وفي النـ اـحـيـة الدـاخـلـيـة حـ صـلـت تـغـيـرـات طـفـيـفـة ، كـ اـشـاء مـؤـسـسـة لـ النقـود ، وإـعلاـدة تنـظـيم الجـهاـز الحـكـومـي ، وـالـقـيـام بـبعـض الـاصـلاحـات الـخـاصـة

- ٤٧٦ -

بإنشاء الطرق ، ولكن أمور الدولة كلها بقيت في يد الإمام كما كانت في عهد أبيه *

وفي ديسمبر سنة ١٩٦١ أصدرت الجمهورية العربية المتحدة قراراً أعلنت فيه حل الاتحاد ، وكان ذلك عقب الانفصال الذي حدث بين مصر وسوريا *

وقد قامت ضد الإمام أحمد ثورات أو محاولات للقضاء عليه ، أهمها ثورة مارس سنة ١٩٥٥ ، وقد أرغم الإمام في هذه الثورة على التنازل عن الإمامة الأخية للأمير عبد الله الذي كان مؤيداً من قادة الجيش ومن كثيرون من القبائل ويبدو أن أعداء الإمام قنعوا بهذا التنازل ، وراحوا يدبرون أمر المملكة ، ولكن الإمام أحمد كان يعد عذته للثورة عليهم ، فكانت سراً أعزوهه وابنه البدر الذي كان بالحديدة ، واستطاع الإمام أحمد أن يدفع ثورة مضادة فقضت على أعدائه وقبض على قادتهم حيث نفذ فيهم حكم الإعدام والسجن *

وفي مارس سنة ١٩٦٠ اعتدى عليه بعض ضباط الجيش ، وأطلقوا عليه نيران مدفعهم الرشاشة وهو يزور مستشفى الحديدة ، وقد سقط الإمام من هول ما أصابه ، واعتقد المعتدون أن الإمام قد مات فاختفوا حتى تتضح الأمور التالية لذلك الحدث * ولكن الإمام لم يكن قد مات . وسرعان ما وضع تحت العلاج مما أصابه من جراح ، وألقى القبض على من حامت حوله الشبهات حيث أعدموا *

وقد ظل الإمام متاثراً بالآلام وجراحه ، حتى مات في ١٩ سبتمبر سنة ١٩٦٢ ، وكان الأمير البدر في صنعاء فأعلن إمامته *

الإمام البدر :

ليس الإمام البدر عهد نتحدث عنه ، فكل مدته لا تتجاوز أسبوعاً ، فقد هبت ثورة ٢٦ سبتمبر ضده ، وأطاحت به ، وكانت بقيادة عبد الله السلال ، وأعلنت الثورة الغاء الإمامة وقيام الجمهورية باليمن *

الجمهورية العربية اليمنية

كانت الثورة التي هبت في سبتمبر نفّوم على عناصر من الجيش ، ومعهم جماعة من المدنيين ، ففي مساء الخامس والعشرين من هذا الشهر ، تحركت قوات عسكرية واتجهت إلى قصر البدر في صنعاء ، وببدأت تسلّك عليه وابلا من رصاصها ، ولكن الإمام البدر استطاع أن يتسلل من باب خلفي وأن يجد طريقه إلى جيزان ، وكان هذا الهروب نذير صراع طويل ، فقد لجأ الإمام البدر إلى القبائل التي تدين بالولاء له ولآلله يطلب عونهم وتجمعت بعض القبائل حول البدر ، وخيف أن تفشل الثورة كما فشلت ثورة سنة ١٩٤٨ وثورة سنة ١٩٥٥ ، فلجمأت الثورة إلى عبد الناصر بمصر تتطلب مساعدته لتأمين الثورة .

عبد الناصر واليمن :

سارع عبد الناصر في السرjg بجيش مصر في اليمن دون تفكير في العواقب ، وبدون استشارة الشعب المصري أو رضاه ، وسرعان ما قدم للثورة العتاد والرجال ، ولكن حركة البدر طلبت العون من السعودية بسبب تدخل مصر في المنطقة ، وكانت العلاقة آنذاك بين مصر والسعودية في شبه أزمة ، فقدمنت السعودية العون للإمام البدر ، واندفع جمال عبد الناصر يرسل إلى اليمن فرقاً مقاتلة من الجيش المصري ، والذي يتبع أحداث التاريخ يحس أن عبد الناصر كان متلهفاً لدفع الجيش إلى اليمن ، وشنقل هقرة من خطابه الذي ألقاه في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦٢ ونصها : « يوم ٥ أكتوبر كان لنا مائة صف ضابط وعسكري في اليمن ، ويوم ٩ أكتوبر أصيروا ٣٠٠ ويوم ١٠ بعثنا أول قوة من سلاح الطيران ويوم ١٦ أصبح لنا باليمن ألفان ٠٠٠ » وهكذا نلحظ سرعة الاستجابة لطلب ثورة الدمن ، كما نلحظ سرعة تطوير العدد والعتاد .

وكانت هائلة هريرة ، فقد شهدت أرض اليمن مذابح رهيبة ، ودماء
غالية أريقت على شراب اليمن ، دماء مصرية أراقها اليهوديون ، ودماء

يمنية أراقتها المصريون ، وقد تحدثنا بإفاضة عن صراع اليمن ودور عبد الناصر فيه في دراستنا عن عهد عبد الناصر ، عهد المظالم والهزائم بالجزء التاسع من هذه الموسوعة *

وقد طال الصراع باليمين واستغرق عدة سنوات واستلزم خسارة هائلة قادمتها مصر من اقتصادها ومن سمعتها ، وكانت حرب اليمن من أسباب هزائم مصر سنة ١٩٦٧ ، إذ كانت مصر تحارب في جبهتين ، وكانت قد سحبت بعض جيوشها من مواجهة إسرائيل لتصدرهم اليمن *

ولم يتوقف تدخل عبد الناصر في شئون اليمن إلا بهزيمة سنة ١٩٦٧ الساحقة وبحاجته الماسة للعون المادي من السعودية ودول البترول ، فهللب إليه في مؤتمر الخرطوم أن يخرج بجيشه من اليمن فانصاع ، وسحبت جيوش مصر من اليمن بعد خسارة جسيمة في الأرواح والأموال *

ومن الواضح أن تدخل عبد الناصر دفع السعوديين للتدخل في الجانب الآخر ، وبخاصة لأن هنافات عبد الناصر بالاشتراكية وتصريحاته ضد النظم الملكية كانت تجعل دفاع السعودية عن اليمن دفاعاً عن النفس حتى لا تمتد لها صيحات عبد الناصر وأهدافه ، والذى يتبع أحداث الوجود المصرى باليمين يدرك اضطراب عبد الناصر وعدم وضعه خطة دقيقة في هذا الموضوع ، فقد استجاب عبد الناصر لتأييد الثورة ثم اندفع في هذا المضمار ، وعادى السعودية ، ولكن عاد عن هذه السياسة فزار جدة في أغسطس سنة ١٩٦٥ ، وعقد اتفاقية جدة التي تقرر موافقة مصر على سحب قواتها من اليمن في موعد محدد على أن يوقف السعوديون تأييدهم لأنبع الدر ، ويقرر مصير اليمن في استفتاء حر ، ولكن هذه الاتفاقية لم تتفذ لسخط الجمهوريين باليمين عليها من جانب ، ولتردد عبد الناصر في سياساته من جانب آخر ، ولم يضع حداً لهذا التردد إلا هزيمة ١٩٦٧ الساحقة وحاجة عبد الناصر للمال السعودى كما قلنا آنفا *

وإذا اتجهنا لقيادة الثورة ، وجدنا أن عبد الله المسلاط لم ينبعح في قيادتها ، ويبعدوا أن معلوماته السياسية كانت ضحلة ، ومن هنا بدأ حكمه بإعدام عشرين شخصا خلال الأسبوعين الأولين ، وأعلن عن و Hammond مكافآت مالية سخية لكل من يائى برأس أحد أعضاء الأسرة المالكة ، ثم اتجه إلى زملائه فأخذ يحقد عليهم ، ويرى في منافساتهم له خطايا عليه وبخاصة اللواء حسن العمري واللواء محمود الجائنى ، ومن أجل هذا اتضجع أنه من الضروري أن يبتعد عن اليمن رجاء المسؤول إلى استقرار النظام بها ، وفي منفاه بالقاهرة لم تتحسن الأحوال مما جعله يطلب أن يعود إلى سلطانه ويؤكد أن ذلك هو السبيل لاستقرار الأحوال في اليمن ، واستجابت القاهرة وأعادته ، ولكنه سرعان ما اتجه إلى الدم والتتريك بخصوصه ، مما جعل من الصعب أن يستمر في مركزه ، فأبعد نهائيا عن رئاسة الجمهورية في فبراير سنة ١٩٦٧ ، وتكون مجلس رئاسي بقيادة القاضى عبد الرحمن الإرياني .

على أن تكوين مجلس رئاسي بقيادة القاضى الإرياني كان تنفيذا للمحاولات التى اشتراك فيها حسن العمري وأحمد النعمان ، والتى وضعها أحمد النعمان موضع التنفيذ عندما أصدر في مايو سنة ١٩٦٥ قرارا بنظام مؤقت يقضى بأن يعين رئيس الجمهورية ومجلس الرئاسة بواسطة المجلس الاستشارى الذى كونه من رؤساء القبائل ، واتجهت اليمن إلى تنفيذ هذه الاعلامات فى نظام الحكم عقب خروج الجيش المصرى منها .

وبينبغي أن نذكر أن الوجود الناصرى باليمن كان قليل الجدوى ، بسبب قلة الخرائط ، وبسبب عدم دراسة الطبيعة اليمنية ، وحرب العصابات والكهوف ، ولأن جيش مصر فى عهد الناصر كان ضحية للتمزق والقطلق بسبب المصراع الذى كان يختفى ويظهر بين عبد الناصر والمشير ، ذلك المصراع الذى سيطر عليه الحقد والتنافس والأنانسية من الزعيمين اللذين أثبتت الظروف أنهما كانوا بعيدين كل البعد عن المواهب والكتفاءات ، ومع الوجود الناصرى باليمن زحف جيش الإمام البدر وجيش عمـه الأمير

الحسن من الشمال ، فحققنا نجاحاً كبيراً ، واستطاعنا أن يسيطرنا على أكثر من نصف اليمن ، ولو لا موقف أمريكا التي اعترفت بالجمهورية ، ولو لا عدم استمرار الدعم السعودي ، لكان من الممكن أن تهوى الجمهورية المنشئة ، وهكذا لم يكن الوجود الناصري كبير الفائدة ، وعندما انسحب الوجود الناصري من اليمن كان يُظَن أن الجمهورية ستستقط وينتصر الملكيون ، ولكن نظام الإمامة كان قد فقد فاعليته نهائياً وبذلت عيوب الآيةينيين تتفتح ، فلم يكن من الممكن أن تعود الأمور القهقرى .

على أن الوجود المصري باليمين كان كبير الفائدة من الناحية الحضارية ، فقد شرقت طرق وأقيمت مدارس ، وبدىء في بعض الاصلاحات الاقتصادية ، ودببت روح جديدة في اليمن لا يمكن أن تزول ، ويثنوّف ناظها على قدرة اليمنيين وإخلاصهم .

ومن القرارات التي أسرعت الثورة باصدارها ، قرار بالغاء الرق وبعيداً المساواة بين الناس أمام القانون ، وقرار بالغاء الطبقات ، كما أتت الثورة أن الأحكام تستند من الشريعة الإسلامية ، وأنه لا فرق بين الشافعية والزيديّة أمام القانون والحقوق .

ثورة جديدة في اليمن :

في يونيو سنة ١٩٧٤ قدم رئيس المجلس الجمهوري استقالته إلى القيادة العامة للقوات المسلحة ، وكان الإرياني القائد العام للقوات المسلحة موجوداً في باريس للعلاج ، وكان العقيد ابراهيم الحامدی نائباً للقائد العام يتولى مهام القائد في أثناء غيابه ، ولذلك أصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة اليمنية قراراً بتشكيل مجلس قيادة من سبعة أعضاء برئاسة العقيد ابراهيم الحامدی ، وأعلن المجلس سياسته وهي تتحقق ديناميك الروابط الأخوية مع الدول العربية ، ودعم أوامر الصداقة مع كل دول العالم على أساس الاحترام المتبادل ، والمحافظة على استقلال اليمن ، والتمسك بسياسة عدم الانحياز .

- ٤٨١ -

وأعلن المجلس كذلك أنه سيعمل على دعم القضايا العربية والمواضيع الدولية ، وكل الاتفاقيات والمعاهدات السابقة ، والوقوف بجانب القضايا الإنسانية العادلة ، وسيعنى المجلس بتحقيق الوحدة اليمنية ودعم روابط الجوار مع الدول العربية الشقيقة المجاورة ، وسيعمل على القضاء على أسباب الرشوة والسلبيات ، وسيتعاون مع العناصر الوطنية الشريفة القادرة على تسيير الأمور .

وبعد العقيد ابراهيم الحامدي أصبح المقدم حسن الغشمي رئيساً لجمهورية اليمن الشمالية وفي يونيو سنة ١٩٧٨ اغتيل المقدم الغشمي بتدبیر سالم ربيع رئيس اليمن الجنوبية ، فقد صدر بيان أذاعه راديو صنعاء يقول ان الحادث وقع عندما دخل مبعوث خاص لرئيس مجلس رئاسة اليمن الديمقراطية (الجنوبية) سالم ربيع إلى مكتب الرئيس الغشمي ليسلمه رسالة خاصة من سالم ربيع وأضاف أن الانفجار وقع عندما فتح ممثل سالم ربيع حقیقته الملعونة التي كان يحملها أمام الرئيس الغشمي فانفجرت وأسفر الانفجار عن مصرع المقدم الغشمي والمبعوث نفسه .

وألقت أذاعة صنعاء مسؤولية الاغتيال على « حزب يتذكر الله وللوطن » وقالت أذاعة صنعاء أن اليد الشيرية في عدن قد اقترفت أسفلاً وأفظع العمليات الغادره ونوهت الأذاعة بأنه ينبغي تسويية الحساب . وقال راديو صنعاء أن الشخص الذي نفذ الاغتيال قد نقل إلى جمهورية العربية اليمنية على متن طائرة خاصة من عدن . وأضاف أن المبعوث قد أخذ إلى مكتب الرئيس الغشمي بكل ثقة وطيب نية بعد مكالمة هاتفية من سالم ربيع رئيس مجلس الرئاسة في عدن .

وقد ذكرت وكالة الأنباء العراقية نقلاً عن مراسلها في صنعاء أن اليمن الشمالية قررت قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اليمن الجنوبية .

(م ٣١ - التاريخ ج ٧)

— ٤٨٢ —

وهكذا كانت الأوضاع المضطربة في اليمن الجنوبي تمتد لهبها إلى اليمن الشمالي ، فعانيا اليمن الشمالي من عبد الناصر ومن أحداث الجنوب .

العقيد على عبد الله صالح :

وبعد هذه الغمة وهذا العدوان من الجنوب ٠٠٠٠ آلت السلطة للعقيد على عبد الله صالح ، وهو حاكم اليمن عند كتابة هذه السطور .

سد مأرب :

في ديسمبر سنة ١٩٨٦ حدث في اليمن أعظم حادث حضاري ، وننقل الكلمة إلى صحيفة الاتحاد التي كتبت تفاصيل رائعة عن هذا الحادث عوالمها :

زaid يتوجه إلى صنعاء اليوم لافتتاح سد مأرب

وجاء تحت هذا العنوان ما يلى بإيجاز :

يتوجه صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة ، بحفظ الله ورعايته ،اليوم إلى صنعاء ، في زيارة رسمية للجمهورية العربية اليمنية تستغرق أربعة أيام بدعوة من فخامة الرئيس على عبد الله صالح . ويشارك صاحب السمو رئيس الدولة الشعب اليمني فرحته في الاحتلال غداً بافتتاح سد مأرب التاريخي الذي قام سموه بإعادة بنائه على نفقته الخاصة .

كما يُجرى صاحب السمو رئيس الدولة مباحثات مع فخامة الرئيس اليمني مساء اليوم ، ويستقبل سمه بالعاصمة اليمنية المسيدة تورجوت أوزال رئيس تركيا الذي يحضر الاحتلال بافتتاح سد مأرب .

وقد أدلى صاحب السمو رئيس الدولة بحديث «للاتحاد » قال فيه أن الذي جعلني أفكر في بناء سد مأرب ثلاثة أمور رئيسية مهمة .

* أولها : أن هذا المسد هو الذي أحيا اليمن في الماضي ، وهو الذي
تطور اليمن بوجوده *

* ثانيةها : ان اليمن كان قد خرج لتوه من حروب طاحنة ابتدأ بها
من الداخل ومن الخارج واستطالت هذه الحروب وازمنت ، وأصبح الشعب
اليمني مشتتا ، كما أصبحت الدولة اليمنية شبه ممزقة ، وأمسى واضحا
العيان أن التخلف فيها أكثر من أي دولة عربية أخرى *

* ثالثها : ان من يقرأ التاريخ يعرف ان نسب العرب وحسبهم كله
يعود إلى اليمن ، فمنه خرجت المigrations إلى كل بقاع العرب وبالاخص
إلى الخليج العربي *

من هذا المنطلق رأينا ان من واجبنا ان نأخذ بيد اليمن حتى يكون رافدا
للامة العربية في الحاضر والمستقبل فلم أجد عندي أعز وأغلى للمنى من
بناء سد مأرب ، فعززت عى بنائه من جديد ، لأن اليمن يعتبر جناب
الخليج * فكيف نساعد اخواننا في كل مكان ولا نساعد الذين دمرتهم
الحروب وطاحت بهم *

وأضاف سموه قائلا : أن هذا واجب الابد منه ، لأن كل دولة عربية
تقوى وتنهض هي سند وقوة للأمة العربية أجمع ، وكل دولة تضعف تتضيّعف
الكيان العربي لهذا لم أتوان ولم أتأخر في تلبية نداء الإخوة
وحرصت على أن يكون هذا العمل سعادة لحاضر اليمن وقوته ومنعة
لمستقبله *

وكما كان وجود السد القديم يُسْبِغ على اليمن اسم اليمن السعيد
فإنني أردت أن يجعل السد الجديد اليمن سعيداً بعون الله وتوفيقه *

وكان هذا السد قد بدأ في إنشائه في الثاني من أكتوبر سنة ١٩٨٤
أي أن العمل فيه استغرق أكثر من ستين ، وكانت تكاليفه باهظة ولكنها
حق اليمن على جيرانها الآخرياء *

اليمن الجنوبي

قبل وبعد اعلان الجمهورية

وصلنا في الحديث عن اليمن إلى العهد الحاضر ، ولكن هناك مساحة مهمة يجب أن يشملها حديثنا ونحن نتكلم عن اليمن ، وهذه المساحة هي ما قاتلت عليه جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

وقبيل اعلان جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية كانت المناطق التي تكونت منها هذه الجمهورية هي :

١ - عدن : وتشمل ثلاثة مناطق هي البلدة الأصلية وما حولها من جبال ، والمعلا التي تشرف على شبهة البحيرة الموصولة إلى باب المندب ، تلك التي ترسو بها البوادر الصغيرة ، ثم التواهي التي يقع بها الميناء العام حيث ترسو البوادر المختلفة ، ويتبع عدن كذلك بعض الجزر التي تقع في مضيق باب المندب مثل جزيرة بريم ، وفي المحيط الهندي مثل جزيرة سو قطرة ، وفي أول البحر الأحمر مثل جزيرة كيران .

٢ - المقاطعات الشرقية : وهي أهم مقاطعات الجنوب ، وبها مناطق حضرموت ومهرة ، حيث تقع سلطنتاً ومشيخات يبلغ عددهما ثمانى ، وأهمها سلطنة القعيطي وعاصمتها الكلا ، وسلطنة الكثيري وعاصمتها سيون ، وسلطنة الواحدى وعاصمتها بلحاف .

٣ - المقاطعات الغربية : وهي كثيرة السلطانات والمشيخات وبلغ عدد هذه وتنك ٢٣ سلطنة ومشيخة ، وهي قليلة السكان ، ويصل تعداد بعض هذه المشيخات ألف شخص فقط ، وأهم سلطانات المقاطعات الغربية سلطنة لحج وعاصمتها الحوطة ، ثم سلطنة الصبيحة وعاصمتها الطور ، وسلطنة العقارب وعاصمتها بير أحمد ، وهناك سلطنة العوالق العليا والسفلى وسلطنة يافع العليا والسفلى ، وإمارة الضالع ، وإمارة بيحان ولغيرها .

— ٤٨٥ —

ومن الملاحظ أن الوحدات اختلفت أسماؤها ، وبالتالي اختلفت
السلطات بها وفيما يلى تعريف مجمل بهذه التسميات :

المشيخة : القبيلة الواحدة التي يتحول شيخها إلى حاكم سياسى
تسمى مشيخة ، فإذا تجمعت عدة قبائل في وحدة واحدة ، وكانت واحدة
منها أعز شأنها وأقوى نفوذاً فإن هذا التجمع يسمى « الاتحاد القبلي » .

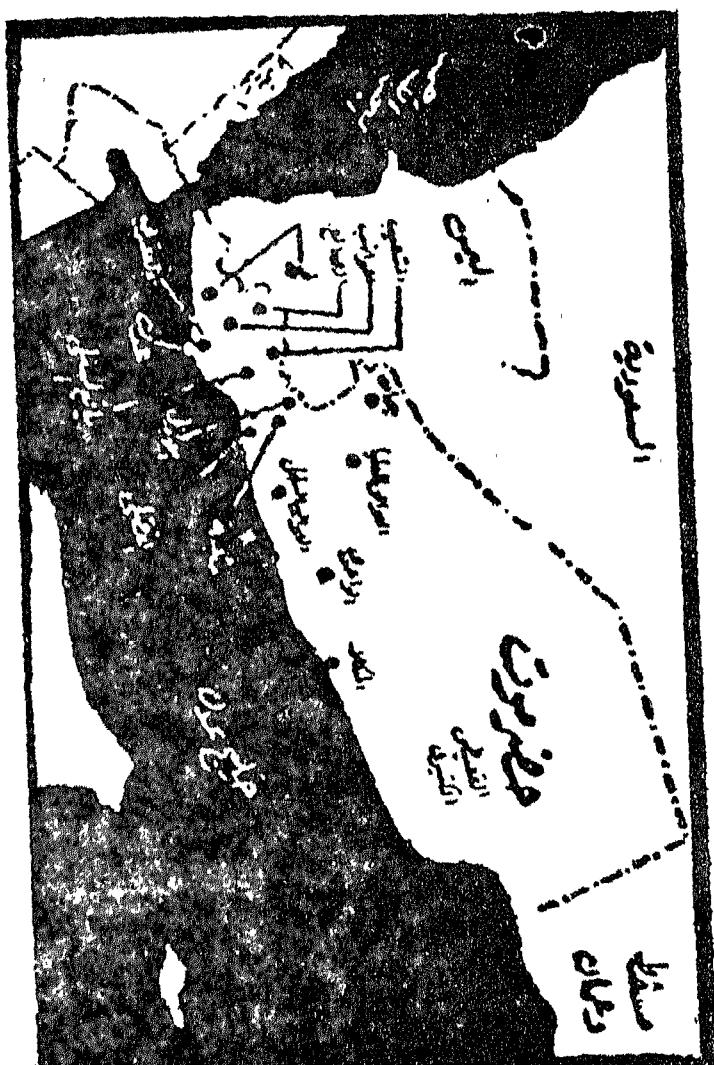
السلطنة : نظام أقرب للدولة حيث يوجد شرطة وجيش وحكام
بالوراثة .

الإمارة : سلطنة صغيرة يعتمد الأمير فيها على مكانة دينية أو يكون
تابعًا لسلطنة بشكل ما من أشكال التبعية .

وسنعطي كلمة تاريخية لعدن والمقاطعات الشرقية والمقاطعات الغربية
فيما يلى :

- ٢٤ -

نعم المخطق الذى تكونت منه جمهورية الدين تديري انة الشعيبة



عدن حتى الاستعمار البريطاني :

كانت عدن جزءاً من اليمن في كثير من الأزمنة - كما ذكرنا من قبل - تابعة للولاية الاموية ثم العباسيين ، ولما قامت دولة بنى زياد باليمن ، كانت عدن جزءاً من هذه الدولة ، وتبعت بعدهم بنى نجاح وبني صالح حتى دخلت فيما دخلت فيه مناطق اليمن ابتداء من سنة ٥٩٩ حيث تبعت دولة الأيوبيين بنى رسول فبني طاهر ، وكان عامر بن داود بن طاهر آخر أمراء بنى طاهر في عدن حين دخلها العثمانيون بدعوة منه ثم قتلوا واستولوا على المدينة ، ولكن أئمة اليمن قادوا اليمنيين في المزارع ضد الأتراك العثمانيين واستطاعوا أن يستعيدوا عدن في عهد الإمام المظفر (١٥٥٨ - ١٥٧٤ م) وظلت عدن تابعة لحكم الأئمة حتى سنة ١٧٣٢ م ، وفي هذا العام قام أهل يافع بقيادة الشيخ فضل بن على العبدلي بثورة ضد الشيخ أحمد الوداعي عامل الإمام المنصور الحسن بن القاسم ، وقد استطاع العبدلي بهذه الثورة أن يطردوا عامل الإمام وأن يسيطروا على عدن .

وفي سنة ١٨٢٢ م تم اتفاق بين سلطان عدن السلطان أحمد عبد الكريم بن فضل بن العبدلي وبين شركة الهند الشرقية البريطانية على أن تقيم الشركة محطة للوقود في خليج عدن في الطريق إلى الهند (١)

وفي سنة ١٨٣٧ غرقت سفينة إنجليزية بالقرب من عدن ، وادعى الإنجليز أن رعايا السلطان العبدلي نهبوها ما بها وطالعوا بالتعويض ، فلم يرضخ لهم السلطان ، فأرسلت شركة الهند مركبا حربيا ضربت عدن ، وقد تصدى لها السلطان وساعدته قوات يمنية ، ولكن القوات الإنجليزية بمعداتها الحديثة كان لها النصر ، وسقطت عدن تحت الاحتلال الإنجليزي .

وقد اعتبرت عدن قاعدة ، زحف منها الاستعمار الانجليزي إلى

^{٤١} انظر نص الاتفاقية في «اليمن» لامن سعيد ص ١٨ - ٢١ .

المقاطعات الشرقية والغربية ، واعتبرت عدن كذلك عاصمة عامة للجنوب العربي ، وحصل الانجليز على فرمان عثماني يعترف بالوضع القائم لهم في عدن ^(١) .

المقاطعات الشرقية حتى الاستعمار البريطاني :

كانت هذه المقاطعات جزءاً من اليمن قبل الإسلام ، وفي عهد الرسول ، وعهد الخلفاء الراشدين ، ودولة بنى أمية ، ومطلع العهد العباسي ، وكان إلى اليمن يعين من قبله ممكناً يلي أمر حضرموت ، وقد سبق أن ذكرنا عند الحديث عن « اليمن في العصر العباسي » أن المنصور ولد معن بن زائدة الشيباني اليمني ، فبعثه هذا ابن عميه سليمان نائباً عنه إلى حضرموت .

وهناك نص يورده المؤرخ الحضرمي سعيد عوض باوزير يفيد أن المنصور ولد مرة عاملاً على حضرموت بطريق مباشر وبدون أن يكل هذا إلى إلى اليمن ، ويتعلق عليه هذا المؤرخ بأن عملاً حضرموت كانوا أحياها يعيثون من قبل مركز الخلافة ^(٢) ، ويتجه باحث حضرمي آخر ^(٣) إلى أن حضرموت لم تعرف في تاريخها الطويل حكومة مركزية خضعت لها كل أنحاء الأقاليم إلا في عهد جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ، وكانت تقوم – في فترات متلاحقة من التاريخ – إمارات في مناطق متعددة من حضرموت شديدة الشبه بدوليات المدن . أما المناطق الحبيطة بالمدن فكانت السلطة فيها متروكة لرؤساء العشائر ، وكانت هناك علاقات لتبادل المنافع بين حكام المدن ورؤساء العشائر وكان حكام المدن يتغيرون من حين إلى آخر ، أما حكام العشائر فكانوا ثابتين ، وما يقال عن ان حضرموت خضعت كلها لهذا الأمير أو لذاك قبل الإسلام أو بعده ؟ فليس إلا من باب التجوز أو الإفراط في الأمل .

(١) المرجع السابق ص ٢١ - ٢٢ .

(٢) معالم تاريخ الجزيرة العربية ص ٢٥٢ .

(٣) محمد عبد القادر بامطرف : في سبيل الحكم ص ١١ وما بعدها .

وفي عهد المأمون - كما ذكرنا من قبل - تولى محمد بن زياد ولاية اليمن فأخضع اليمن جميعها لحكمه ، ودخلت في طاعته حضرموت ، والشحر وديار كندة . وقد تحدثنا من قبل عن الدولة الزيدية وعهدها باليمن . وفي عهد هذه الدولة عظم شأن الإباضية الخارج ، فلما ضعف الزيدية في آخر عهدهم ، بدأ نشاط الإباضية في الارتفاع ، ودار صراع طويل بين الإباضية من جانب ولالة العباسين من جانب آخر ، كان من نتائجه أن أصيّت حضرموت بكثير من المصائب والبلاء . وبينما كانت حضرموت غارقة في هذا الصراع الدامي دخل عنصر جديد زاد الطين بلة ، ذلك هو القرامطة الذين هاجموا حضرموت عدة مرات خلال القرن الرابع والخامس الهجرين ، مما جعل الحياة في حضرموت ظلاماً وضباباً ، ومما أخفى المعالم التاريخية الدقيقة لهذه المنطقة المهمة ، ويصف المؤرخ الحضرمي سالف الذكر هذه الفترة بقوله :

حال بعد المسافة وصعوبة المواصلات وقلة موارد حضرموت وأسباب أخرى كثيرة دون استقرار سلطة الحكومات الإسلامية في حضرموت ، ففيقيت البلاد عرضة لتعاقب سلطات القبائل المحلية التي ليس لأفرادها من المؤهلات ما يمكنها من القيام بواجبات الحكم وتبعاته ، وقد تسبب عن هذه النحوى والاضطراب اختفاء معالم التاريخ الحضرمى ، وامتد ذلك إلى القرن العاشر الهجرى ، بل إن الفترة بين القرن السادس والعشر كانت أكثر عهود التاريخ أضطراباً وفوضى^(١) .

ومع هذا الظلام سناحوا أن نبرز فيما يلى أهم معالم تاريخ حضرموت - في مطلع القرن السابع ظهر آل راشد وهم ينحدرون من قبيلة حمير القحطانية ، ويترעםهم عبد الله بن راشد الذي كان معروفاً بالعلم والورع ، وقد استولى على جميع وادى حضرموت ، وبوبيع له سنة

(١) معالم تاريخ الجزيرة العربية ص ٢٧٣ .

وفي هذه الفترة كان الأيوبيون قد بسطوا سلطانهم باليمن ومدوا سلطانهم إلى حضرموت ، ولكن بدون استقرار ، وانتهى ملك الأيوبيين في حضرموت سنة ٦٢٦ هـ

— ونحو هذا التاريخ ظهرت أسرة آل كثير ، وعاشت بين مد وجزر ولكنها على كل حال كانت أطول عمرًا من سواها حتى قيام الجمهورية •

— وفي تيريم ظهر مسعود بن يمانى الكنانى ، وكون دولة آل يمانى في منتصف القرن السابع الهجرى ، وقد بقىت دولة آل يمانى في تيريم حتى قضى عليها بدر الكثري سنة ٩٢٧ هـ •

ولم تتبّع الدولة التي قاتلت على أعقاب الأيوبيين أن ينكح سلطانها عن حضرموت ، ولذلك دخلت حضرموت تحت حكم بنى رسول فترة من الزمن •

— وفَّى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى بدأ تدخل أئمة اليمن في شؤون حضرموت يتذبذب شكلًا عملياً أيام الإمام الحسين بن القاسم وقد استطاع الإمام المتوكّل أن يزحف إلى حضرموت بجيش كبير سنة ١٠٧٠ هـ بيد أن جموع الشوافع في حضرموت كانت لا تنتقطع ثوراتها ضد الزيدية

— وبينما كانت حضرموت تثور على الزيدية كانت الدولة الكثيرية تتعرض لضغط شديد وصراع مرير حتى قضى عليها مؤقتاً في عهد جعفر ابن عمر في منتصف القرن الثاني عشر الهجرى •

— وعلى أثر ذلك انفكّت حضرموت كعقد تهادى ، وأصبح كلّ جزء فيها خاضعاً لقبيلة من القبائل ، وقد عاشت حضرموت هذه الفترة حتى انبعثت من جديد أسرة آل كثير •

— ثم ظهرت كذلك السلطة القعيطية التي أسسها عمر بن عوض القعيطي البافعى في مطلع القرن الثالث عشر الهجرى ، وقد عظم نفوذها

وانتسعت رقعتها ، وبجوار آل كثير والمقيعطي ظهرت سلطنة الوحدى نسبة لعبد الواحد القرشى كما ظهرت كثير من السلطانات والمشيخات التى أشرنا إليها من قبل والذى استغلها الوجود البريطانى في عدن كما سترى فيما بعد .

المقاطعات الغربية حتى الاستعمار البريطانى :

كانت المقاطعات الغربية أكثر ارتباطاً بالوطن الأم (اليمن) من المقاطعات الشرقية ، وذلك لقرب المقاطعات الغربية لليمن ، وأهم المقاطعات الغربية سلطنة لحج وهى لا تبعد عن عدن إلا بحوالى ٣٥ ميلاً ، وحولها تقع باقى السلطانات والمشيخات بالمقاطعة الغربية . ويمكن القول إن المقاطعات الغربية ظلت تابعة للحكم اليمنى فخضعت لدولته المتعاقبة ، وعند الزحف التركى أيدت الأئمة وكانت تابعة لهم يولون عليها من يحكمها باسمهم ، وقد ولى الإمام الحسين بن القاسم (١٧٢٧ - ١٧٤٢ م) على لحج رجلاً من قبيلة العبادلة اسمه فضل بن على ، وأراد هذا الوالى أن يستقل بحكم ولايته فاتفاق مع جاره حاكم يافع على الخروج على الطاعة وأن يتعاونوا في الاستيلاء على عدن واقتتسام مواردها المالية ، ونجحت المؤامرة حوالى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى ، ولكن نشب بين الاثنين خلاف ورثته عنهما القبيتان ^(١) ، وقد عاشت هذه الخلافة حتى يسر لإنجلترا التدخل في تلك البقاع ، وبسبب هذا الخلاف انفصلت عن لحج مناطق كثيرة كانت تابعة لها ، وكان ذلك من أسباب كثرة السلطانات والمشيخات في المقاطعات الغربية ، ومهما سبب كثرة المشيخات انشغال الأئمة الذين آل لهم وخدمهم السلطان في اليمن ابتداء من الزحف التركى - بالحرب مع العثمانيين وهذا شجع القبائل على اعلان استقلالها ، وتكون مشيخات أو سلطانات قبلية مستقلة حتى داهمها جميعاً النفوذ البريطانى فلم تستطع وهى أشتات متفرقة ضعيفة أن تصمد أمام جبروته كما سترى فيما بعد :

(١) انظر: ملوك الغرب للريحانى .

الحياة السياسية والاجتماعية بحضرموت قبل الاستقلال

بين أيدينا كتاب كتبه باحث حضرمي ، وهو يعد مرجعاً مهماً لتصوير أحوال حضرموت السياسية والاجتماعية ^(١) ، ومنه نقتبس بعض المعلومات في هذا المجال :

كان نظام الحكم في حضرموت متشابهاً قبل الاحتلال الانجليزي وبعدة لأن الانجليز لم يتدخلوا في الشؤون الداخلية بالبلاد ، واتجهت عنايتهم إلى الأمور الخارجية والملازم السلطات المحلية بعدم التفاوض أو الاتصال بأية حكومة أجنبية غير بريطانيا .

وكان نظام الحكم كذلك متشابهاً في جميع المقاطعات الحضرمية ، وبوجه الأجمال تكون الحكومة من السلطان والوزير والقاضي الشرعي ، ويعين السلطان الوزير وغيره من الموظفين والولاة وقد يبقى هؤلاء في مواكزهم عشرات السنين ، وتتصدر أحكام الزواج والأسرة والميراث حسب الشرع الإسلامي ، أما ما عدا ذلك من القضايا فإن الأحكام تتبع العرف إذ لا توجد قوانين جنائية أو مدنية ، ولهذا قد تلتضارب الأحكام وتختلف شدة ولينا باختلاف الولاة والقضاء ، ولا توجد سجلات تدون فيها الأحكام .

ولا يرتبط الولاة بالسلطان إلا فيما يتعلق بتزويد الجيش بالرجال والمال ، والسلطان هو الذي يزيد عدد الجيش أو ينقصه ، وهو الذي يعلن الحرب أو يوقفها ، وليس هناك دوائر خاصة للقضاء ، وليس للسجون نظام محدد .

والحقوق المدنية غير نافذة في بعض بلدان الحكومة ، فالضرائب في كثير من المقاطعات تجيبي من فئة دون أخرى فإن كثيراً من العلوبيين وأل

(١) هو كتاب تاريخ حضرموت السياسي للأستاذ صلاح الدين اليافعي .

— ٤٩٣ —

عمودى وآل باوزير مغفون من الضرائب وليس هناك عذر سوى أن هؤلاء من الروحانين وأصحاب السلطة الروحية .

وت تكون الإيرادات في الدولة غالباً من الجمارك ، وليس لهذه الجمارك نظام خاص وقواعد ترتبط بها ، فنثمين البضائع يرجع إلى رجال الجمارك وعُرِفُهم . وتتأتى بعض الإيرادات من المزارع .

أما المصروفات فتشتمل مرتبات الوزير والقضاة والجيش والموظفين وهم قليلاً جداً . والناس لا يعرفون بالضبط مبلغ إيرادات الحكومة ولا مصروفاتها لأنه ليس لها ميزانية خاصة ولا عاممة (١) .

ومن ناحية الحالة الاجتماعية ، يذكر الأستاذ صلاح البكري أنه لم يكن لضموموت أ حصاء رسمي عن تعداد السكان ، ويقدر سكان ضموموت بنصف مليون نسمة بما فيهم سكان البدوية . ويقسم السكان أربع طوائف هي :

- ١ — حملة السلاح .
- ٢ — التجار .
- ٣ — الزراع .
- ٤ — الروحانيون .

وحملة السلاح يحفظون الأمان وبخاصة في الحاضر ويحرسون القوافل و منهم تتكون حاشية السلطان وأعوانه والرياسات القبلية ، ويسمى حملة السلاح في تعبير الحضارم « القبائل » وربما ترك بعض هؤلاء مهنة حمل السلاح ليصلوا إلى التجارة طمعاً في المال ، أو إلى العلم اجلالاً له .

وحملة السلاح يحملون نوعاً من البنادق والخناجر والسيوف أو

(١) تاريخ حضرموت السياسي ج ٢ ص ٨٥ - ٨٧ .

الرماح ، وأولاد حملة السلاح يتدرّبون على أنواع منه من مطلع الصبا ، وبعضهم لهم نظر عميق في شؤون السياسية والصلاح وكثيراً ما يحدث نزاع بين قبيلتين ، بل بين القبيلة الواحدة بعضها والبعض ، ولكنهم يتعاونون ويتناسون المشكلات الداخلية إذا واجهوا عدواً من الخارج .

أما طائفة التجار ، فيلحق بهم أرباب الصناعات كالنجارين والبنائين وعليهم يقع النشاط في الأسواق والمدن . والتجار الحضرميون مشهود لهم بالأمانة والصبر والجلد .

أما الزراع فهم يحرثون الأرض ، ويزرعونها بالنخيل وأنواع الحبوب ، وهم أكثر الطوائف الحضرمية عدداً ومنفعة للناس ، ومع هذا لا يلاقون احتراماً من «حملة السلاح» ومن الروحانيين ، لأنهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم لتجردتهم من السلاح ومن أجل هذا يسمى هؤلاء «الضعفاء» .

ولعله لهذا السبب لا يحب الفلاح الحضرمي أن يبالغ في الجهد للحصول على الثراء عن طريق الزراعة لأنه لا يستطيع أن يحمي أى ثراء يملكه ولا تهتم الحكومة بحمايته .

أما الروحانيون ، فأشهرهم آل باعلوى «العلويون» ومن العلويين أخاذ وبطون شهيرة كأسرة العطاس ، وآل عيدروس ، وحبش ، وشهاب ، والحضرمي ، والكاف ، والستغافل ، ولهؤلاء نفوذ روحي واسع ومكانة اجتماعية خاصة ، وألقاب يحرصون عليها ، وقد اتجهت بعض هذه البطنون لتوسيع علاقاتها بالرؤساء السياسيين ، وتبادل هؤلاء وأولئك المصالح والمنافع .

وبيوت الحضارة تبني بالطين المخلوط بالتبغ ، وتتكون البيوت من طابقين غالباً ، ويمكن أن ترتفع بيوت الحكام وقصورهم إلى أكثر من ذلك

— ٤٩٥ —

وأثاث البيوت بسيط جداً ولكن الأغنياء يؤثثون منازلهم بفرش وثيرة هـ
والنظافة عامل مهم في كل بيت عظم أو حقر .

وكرم الضيافة من أبرز صفات الحضارمة مما كلفهم هذا الكرم من
جهد أو استدانة .

ويغلب على المرأة الحضرمية أن تكون بيضاء هيقاء مشوقة القد وهي
قنوع صبور — مقتصدة تجيد إدارة المنزل وتربية الأولاد مع عفة وشرف .
ولكن الجهل منتشر بين النساء والحجاب كذلك منتشر في الغالب .

وكان الرق موجوداً في حضرموت حتى تم الغاؤه من ذا مدي ليس
بالبعيد .

وأهم الصناعات في حضرموت هي صناعة الحلى هـ والأسلحة ، ودبغ
الجلود ، والنسيج ، وتجفيف الملح .

وكانت الأمية منتشرة بحضرموت انتشاراً واسعاً ، وكان الاهتمام
يتجه لشيء من علوم الدين واللغة العربية ، وكانت الدراسة تتبع الطريقة
القديمة في تقديم هذه العلوم للطلاب ^(١) .

تلك لحة سريعة عن الحياة في حضرموت كما كانت قبل الاستقلال ،
ومن الواضح أن الاستعمار حرص على إبقاء هذا الظالم في البلاد التي
كانت يوماً مهبطاً حضارة رفيعة والتي دفعت للعالم نماذج طيبة من العلماء
والقادة .

بريطانيا والجنوب اليمني

رأينا كيف احتلت بريطانيا عدن ، وكيف كان الأئمة مشغولين في
الشمال بالصراع ضد العثمانيين وسواهم ، وقد وجد الانجليز حوالي عدن

(١) صلاح البكري : مقتطفات من تاريخ حضرموت السياسي ج ٢
ص ١١٤ - ١٢٨ .

قبائل متناحرة ، فأضالوها المزيد من الزيت ليقوى اللهب ، وفي نفس الوقت لوحت بريطانيا للشيوخ المساكين بأن تمدهم بالمال والسلاح فاستجاب بعضهم وخضع الآخرون تحت التهديد ، وهكذا بدأ التدخل البريطاني في شئون المقاطعات الشرقية والغربية وبدأ الزحف الاستعماري بالسياسة والمال حينا وبالقوة والتهديد أحيانا حتى سقط الجميع ، وكان الثمن رخيصا للغاية فقد قنع الذين قبلوا المال بالقليل منه ، نظير اعطاء الكثير من الحقوق للسلطة الانجليزية .

وكانت أول معاهدة تعقدتها بريطانيا مع سلطان الجنوب تلك التي عقدها سنة ١٨٤١ م مع سلطان لحج محسن بن فضل العبدلي وتنص على تخييل البريطانيين نفوذاً واسعاً في السلطنة نظير مرتب سنوي قدره ٦٥٠٠ ريال تدفع للسلطان وأعوانه ^٥

ومن عجائب المعاهدات ، تلك المعاهدة التي أمضيت مع سلطان الصالح في أكتوبر ١٩٠٣ وتنص على أن يدفع مندوب بريطانيا من لطف الحكومة وكرمه سبعة ريالات في الشهر للشيخ مطهر بن على اعتراضه بصدقته وبالخدمات الجليلة التي أداها الحكومة وبالخصوص لجنة الحدود ويوافق الشيخ المذكور على التمسك دائماً بصدقته وطاعة الحكومة البريطانية ومساعدة ضباطها وملائحته أعمدة الخطوط الم موضوعة في حدود بلاده ، والاعتناء بها وإصلاحها فيما يطرأ عليها من خلل ^(١) .

وهكذا استسلم كثير من هذه الشيوخات بهذا الثمن البخس ، وما كان لهم أن يفعلوا وإن غلا الثمن ، ولكن سلاح القوة والإرهاب كان البديل لمن يتتردد في القبول ، ومع هذا فنحن نقرر أن الموت كان أهون من هذا الخضوع والهوان .

(١) أمين سعيد : اليمن ص ١٨٤ وقد حوى هذا الكتاب نماذج كثيرة من المعاهدات المماثلة .

وقد قسمت بريطانيا منطقة الجنوب الغربي ثلاثة أقسام ذكرناها سابقاً وهي :

- ١ - مستعمرة عدن ، صارت العاصمة الادارية والاقتصادية للبلاد .
- ٢ - المحميات الغربية وهي ٢٣ وكانت تتناقص بعمليات إدماج .
- ٣ - المحميات الشرقية ، وبها ثلات سلطنت رئيسية بالإضافة إلى المشيخات .

وكانت بريطانيا تحكم انجذوب العربي بواسطة حاكم بريطاني مقره عدن ، وكان هذا الحاكم يتبع وزارة الخارجية البريطانية بلندن ، ولكنه ابتداء من سنة ١٩٣٣ أصبح تابعاً لحاكم الهند ، فلما اتضح أن الهند على وشك أن تستقل أعلنت « عدن » مستعمرة تابع سنة ١٩٣٧ فعادت تتبعيتها إلى بريطانيا وكان لحاكم عدن ابتداء من هذا العام ممثل في المحميات الشرقية وأخر في المحميات الغربية ، وكان حاكم عدن واسع النفوذ ، إذ أن موافقته كانت ضرورية لتنفيذ القرارات المهمة التي يتتخذها الحكام ، بل كانت ضرورية عند اختيار أي حاكم جديد ، وبدونها لا يتولى منصبه (١) .

اتحاد الجنوب :

كان قيام اتحاد أو وحدة بين الشتات المنتشرة بالجنوب العربي هدفاً مهماً للاستعمار ، وهدفاً مهماً للمخلصين من المواطنين ، وإن اختلاف الدواعي والأسباب ، فالاستعمار كان يرمي إلى دعم نفوذه وتنسيير حكمه لتلك المناطق ، أما المواطنين المخلصون فقد كانوا يتجهون إلى العودة للوطن الواحد وإزالة الحاجز الصناعية التي تقسم الجسم إلى أسلام لاضعافها ، وكان من الواضح أن مشروعات الاتحاد التي كان يقترحها

(١) انظر تفاصيل علاقات بريطانيا بهذه التجمعات في « سياسة بريطانيا في الجنوب العربي » للدكتور جاد طه من ١٧٥ وما بعدها .

— ٤٩٨ —

المستعمر كانت تحوى نصوصا تتنافى مع آمال السكان والزعماء المخلصين ومن هنا كانت تقابل بحركات مقاومة ، ولسنا نحب أن نمشي خلف التناصيل حول المقترحات و مقاومتها ، وحسبنا أن نقرر أن الاتحاد أعلن كما أراده الاستعمار ومعاونوه الذين انضموا للاستعمار في مواجهة القوى الوطنية التي كانت تزيد الوطن للمواطنين جميعا وليس للحكام السابقين والاقطاعيين كما كان من قبل .

وكان اعلان الاتحاد في فبراير سنة ١٩٥٩ وتكون آنذاك من سنت إمارات من إمارات المحبيات الغربية ، ثم تلاحق انضمام المحبيات الأخرى إلى أن شملها جميعاً ومنها عدن ، وظهر إثر ذلك ما سمي «حكومة الاتحاد» وبمقتضى هذا كان لبريطانيا أن تباشر العلاقات الخارجية لدولة الاتحاد ، وكان لها تدريب جيش الاتحاد ، وتبنيه حكومة الاتحاد إلى أى خطر في الداخل والخارج ، وكان واضحـاً من هذا الاتحاد أنه لا يحقق الأـمـانـيـةـ الوطنية ، ومن أـجلـ هذاـ تعاونـتـ فيـ الجنـوبـ العـربـيـ التـكتـلاتـ وـالأـحزـابـ التيـ تـقاـومـهـ وـتـنـادـيـ بـوـحدـةـ حـرـةـ ، وـمـنـ أـبـرـزـ التـكـتـلاتـ حـزـبـ رـابـطـةـ أـبـنـاءـ الجنـوبـ العـربـيـ ، وـحـزـبـ الشـعـبـ الـاشـتـراـكـيـ ، وـحـزـبـ المؤـتمرـ الشـعـبـيـ ، وـالـمؤـتمرـ العـمـالـيـ ، وـحـرـكةـ الـقـوـمـيـنـ الـعـربـ ، وـالـاـتـحـادـ الشـعـبـيـ .

الاستقلال التام وخطواته :

لم تستطع حـوـمـةـ الـاـتـحـادـ أـنـ تـوقـفـ غـضـبـ الـمـوـاطـنـيـنـ ، وـلـمـ يـسـتـطـعـ الـاـتـحـادـ أـنـ يـوـارـىـ طـاقـةـ الـاـسـتـعـمـارـ الـتـىـ خـلـقـتـهـ ، ثـمـ انـضـمـ إـلـىـ الـقـوـيـ الدـاخـلـيـةـ عـامـلـاـنـ مـهـمـاـنـ أـشـعـلـاـ الثـورـةـ السـلـحـةـ فـيـ الجنـوبـ وـهـماـ :

العامل الأول : قيام الثورة في شمال اليمن ونجاحها في ٢٦ سبتمبر من عام ١٩٦٢ ، وقد أتاحت الثورة الفرصة لتشكيل الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل تلك الجبهة التي قادت العمليات العسكرية وكان ذلك في شهر أكتوبر من العام نفسه ، أى في الشهر التالي

لنجاح ثورة الشمال ، وظلت مدينة تعز اليمنية مركزا هاما لقيادة ثورة الجنوب طيلة السنوات التالية .

العامل الثاني : الدعم الذى قدمته جمهورية مصر العربية والذى ساند ثورة الجنوب في كل مراحلها ، والثابت أيضا أن أول سلاح تلقته الجبهة القومية كان من جمهورية مصر العربية عقب اتصالات جرت في صنعاء واستكملت في القاهرة قبل بدء الثورة ، والثابت كذلك أن عددا غير قليل من ثوار الجنوب تلقوا تدريباتهم في مصر وتحت إشراف خبراء مصريين ، ولم تكن هذه الحقيقة خافية على أحد فقد أعلن جمال عبد الناصر ذلك أكثر من مرة ، وفي زيارة له إلى تعز أعلن أن مصر تقدم كل صور الدعم لثوار الجنوب ، وأنها لن تتراجع عن موقفها رغم ما أدى إليه من تدهور علاقاتها مع بريطانيا .

عبد الناصر وحركات التحرير :

ولنقف هنا وقفة لتعلق على تصرفات عبد الناصر في هذا المجال ومن المعروف عن عبد الناصر أنه كان يدعم كل ثورة في الخارج ، وكان يتظاهر بالعمل لتحرير الشعوب ، وفي سبيل ذلك كان يقدم أموال مصر ورجالها بسخاء ولكن ذلك لم يكن ميلا في الرجل للحرية ، وإنما كان – كما برهنت على ذلك الأحداث التي سنشير لها – أحد وسائله للدعائية الشخصية وخداع الشعوب ، بدليل أنه كان مع شعب مصر يمثل أعنف حاكم عرفه التاريخ ، فقد عانى شعب مصر منه صورا مريرة من الاستعباد والإذلال والمصادرات والاعتقال والتكميل والتعذيب والجوع وهتك الأعراض ٠٠٠ وقد باشر عبد الناصر بعض هذه المظالم مع الشعوب التي انضمت مخدوعة تحت لوائه كالشعب السوري والشعب اليمني ، وحاول أن يتدخل في الشؤون الداخلية للجزائر عقب انهاء حكم ابن بيل ، ولكن قادة الجزائر الجدد ردوه عن هذا الاتجاه .

وهكذا كان عبد الناصر يهتف بالحرية ولكنه كان عمليا يرتكب أبشع

— ٥٠٠ —

وسائل الاستعباد والإذلال ، وكان يحارب الاستعمار وهو يتطلع ليحل محل الاستعمار .

ولنعد بعد ذلك لنقدم باقي العوامل التي ساعدت على إشعاع الثورة في الجنوب العربي ضد الاستعمار الانجليزي ، فنذكر أن عامل طرأ على السياسية الاستعمارية العالمية ، وذلك العامل هو الاتجاه إلى القواعد العسكرية البحرية المتحركة دون الارتباط بالقواعد البرية التي تشير سخط المواطنين .

وعامل آخر أضيف إلى هذه العوامل ذلك هو موقف الأمم المتحدة ، فلقد أصدرت لجنة الوصايا التابعة الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً في أوائل نوفمبر سنة ١٩٦٥ ينص على ضرورة إزالة القواعد العسكرية البريطانية من عدن والمخيمات ، وفيما يلى نص هذا القرار الخطير :

« تعرب الأمم المتحدة عنأسفها للمحاولات التي تبذلها الدولة الحاكمة (بريطانيا) لإنشاء نظام حكم لا يمثل الشعب في المنطقة ، وتناشد جميع الدول ألا تعترف بأى استقلال لا يكون نتيجة للتعبير الحر عن رغبات وأمنيات الشعب عن طريق انتخابات تقوم على أساس حق الاقتراع للراغبين ، كما تعرب عنأسفها لرفض الدولة الحاكمة تنفيذ قرارات الجمعية العامة ، وتوكل الأمم المتحدة حق شعب المنطقة في تقرير المصير وفي التحرر من الحكم الاستعماري ، وتعترف بشرعية الجهد الشى تبذل لنيل الحقوق التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة ، وتحذر الأمم المتحدة أنبقاء القواعد العسكرية في المنطقة يمثل عقبة كبرى في سبيل تحرير الشعب من السيطرة الاستعمارية ، ويعتبر بقاء هذه القواعد ضاراً بسلام المنطقة وأمنها ، ومن ثم فإن إزالتها فوراً إزالة تامة أمر ضروري وتدعوا الأمم المتحدة بريطانيا إلى إلغاء حالة الطوارئ وجميع القوانين التي تحد الحريات العامة ووقف أعمال القمع ضد شعب المنطقة ، ولا سيما العمليات العسكرية ، وأطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ، والمسماح

- ٥٠١ -

بعدودة المتفينين أو الذين منعوا من البقاء في البلاد بسبب نشاطهم السياسي • وتنادى الأمم المتحدة جميع الدول تقديم كل المساعدات الممكنة إلى شعب المنطقة في مساعيها وجهودها للحصول على الحرية والاستقلال ، وتلقت نظر مجلس الأمن إلى الموقف الخطير المسائد في المنطقة نتيجة الأعمال العسكرية البريطانية ضد شعب المنطقة ، وتنطالب من الوكالات المتخصصة تقديم المساعدات إلى الشعب الذي يعاني من العمليات العسكرية ، كما تطلب من يوثانت العمل على ضمان تنفيذ هذا القرار » .

وتأججت الثورة بسبب هذه العوامل ، وضعفت حكومة الاتحاد عن القيام بمهامها ، وجرفت الثورة بعض من اتهموا بالخيانة الوطنية من المواطنين فخرروا صرعي ، كما فر عدد من جند الاحتلال ، وأدرك حكام بعض الولايات ما يحيط بهم من خطر ، ففروا إلى السعودية ، ومن هؤلاء غالب القعيطي وحسن بن على الكثيري وخليفة بن عبد الله حاكم مهرة ، وحلت الجبهة القومية محل هؤلاء الفارين في السلطة .

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

إذاء هذه الحركات والتطورات رأت بريطانيا ألا أمل في البقاء ، فحددت موعدا للجلاء تم عادت فقدمت هذا الموعده ، وجعلته ٣٠ من نوفمبر سنة ١٩٦٧ و وسلمت الجبهة القومية السلطة في جميع أنحاء البلاد منذ ذلك التاريخ ، وانسحبت بريطانيا إلى الأبد من هذه البقاع ، ولأول مرة في التاريخ ، تكونت في جنوب اليمن دولة واحدة ذات شوكة فعالة ، تشمل كل أنحاء اليمن الجنوبي ، وكان زمام المصراع ضد الاحتلال في يد « عبد القوى مكاوى » ولكن ما ان تم استقلال البلاد حتى هفرت قيادة جديدة يسارية ، وسميت الدولة الجديدة « جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ^(١) » وكان يرأسها آنذاك (سنة ١٩٧٦) السيد سالم ربيع . وتحوي تسمية الدولة كما توحى دلائل أخرى باتجاه الدولة الجديدة اتجاهها يساريها ^(٢) ، وإذا صبح ذلك فإننا نرجو أن تعود بسرعة هذه البقاع الطيبة إلى رحاب العروبة السمحاء والإسلام الحنيف ، وهي نتيجة لا شك آتية إن شاء الله .

بقيت كلمة جديرة بالذكر تتعلق بما ذكرناه آنفا من أن النظام الثوري باليمن الشمالية قدم مساعدات جمة لحركة التحرير في الجنوب ، ونريد هنا أن نقول إن حركة تحرير الجنوب قدمت مساعدات جمة للنظام الثوري في الشمال وبخاصة بعد انسحاب مصر من اليمن الشمالية بناء على اتفاق الخرطوم .

نهاية سالم ربيع ثم رئاسة عبد الفتاح اسماعيل :

في يونيو سنة ١٩٧٨ حدثت حركة انقلاب ضخمة في اليمن الجنوبي قتل فيها سالم ربيع ، وقد كان هذا الانقلاب انقلاباً دموياً تقول الآباء

(١) محمد عبد القادر بامطرف : في سبيل الحكم ص ١١ .

(٢) بيان نشره السيد محمد على الحضرى رئيس رابطة اتحاد الجنوب العربي في مؤتمر بمكة المكرمة سنة (١٩٧٥) ١٣٩٥ هـ .

أن عبد الفتاح إسماعيل هو الذي قاده بمساعدة الاتحاد السوفييتي ، وقد قام الطيارون السوفييت بقذف قصر الرياسة الذي كان يوجد به سالم رببع رئيس الدولة .

وأعلن عبد الفتاح اسماعيل في بيان القاء عقب الحادث أن اللجنة المركزية والمكتب السياسي للجنة القومية قد اتخذتا عدة قرارات في اجتماعهما أمس الأول من بينها الموافقة على إعدام سالم ربيع على وجسم صالح وعلى سالم الأعور رميا بالرصاص . كما تقرر تجرييد كل من على صالح عباس وعبد الله الباز وحسن باعوم من كافة المسؤوليات الحزبية والرسمية وفصلهم نهائيا من الجبهة القومية .

وآل حكم اليمن إلى عبد الفتاح اسماعيل وأعوانه .

علي ناصح :

ولم تتوقف حركات الانقلابات والثورات في اليمن الجنوبي ، بل تلاحت ، وسقط عبد الفتاح اسماعيل ، وأُبعد عن البلاد ، ثم قتل ، وجاء إلى الحكم على ناصر محمد الذي اتّهِم بقتل عبد الفتاح اسماعيل ، ولكنه يدافع عن نفسه وينفي هذه التهمة .

آدیہ تکمیلی

وفي ١٣ يناير سنة ١٩٨٦ حدثت حركة انقلاب دموية بالعمن الجنوبي ضد على ناصر ، ويقول هذا عن هذه الحركة ، ولا نعرف مدى الدقة فيما يقول :

— القاصي والمدافىء يعرف ما حدث في ١٣ يناير والأيام التي تلت هذا التاريخ ويمكن أن أقول بإيجاز لقد قامت المجموعة الانقسامية منذ صباح هذا اليوم بانقلابها الدموي المشئوم والذي راح ضحيته عشرات الآلاف من الضحايا الأبرياء ، ويكفى أن أقول أن هؤلاء الدمويين قتلوا ٢٠٠٠

وأصبح أبو بكر العقاد رئيساً لجمهورية اليمن الجنوبية الشعيبة .

- ٥٠٥ -

وحدة اليمن الشمالية والجنوبية

تتجه حكومات اليمن بعد الاستقلال إلى إعادة الوحدة بين شطري اليمن ، فقد أعلنت حكومة الجنوب عقب خروج الانجليز أن اين الجنوبيّة جزء من اليمن ، وأن الموحدة هدف الجميع ، وأعلنت حكومة اليمن الشمالية ذلك أيضا ، والذين زاروا اليمن يقررون أن الزعماء في الشطرين ينادون بالوحدة ، وكل الحكومات هنا وهناك تتطلب بها ، وجميع المثقفين ينادون بها ويتناقشون ، ويناضلون لها ومن أجلها ، وأجهزة الاعلام تبشر بها ، ثم ان الشعب اليمني الجنوبي يملأ المدن الساحلية على شطآن اليمن الشمالية تجارا وفنين وطائفة ومزاين وعائلات ، والشعب الشمالي يذهب إلى الجنوب ويحبه دون أن يعترضه أحد ، بل إن الحزب الحاكم في الجنوب ينتهي المكثir من أعضائه إلى الشمال ٠٠٠ وتعجب ما الذي يؤخر تلك الوحدة التي ينادي بها الجميع ؟

وسيرا في طريق الوحدة اجتمع ممثلون لليمنيين بالقاهرة في أواخر أكتوبر سنة ١٩٧٢ ، وبعد مباحثات شاهدة صدرت صحف الصباح التالي تعلن الآتي :

أًعلن قيام الوحدة بين شطري اليمن مساء أمس في اتفاق، يقعه محسن العيني وعلى ناصر رئيسا وزراء جمهوريّيّ اليمن ، وحضر توقيع الاتفاق أمين الجامعة العربية وجميع السفراء العرب في القاهرة وأعضاء مؤتمر المصالحة وأعضاء الوفدين الممثلين لليمن الشمالية واليمن الجنوبيّة .

ويتضمن اتفاق الوحدة ١٥ مادة تحدد شكل الدولة الجديدة ونظام الحكم فيها ، ونص الاتفاق على تعيين ممثّلين شخصيين لرئيسى الدولتين لتابعة تنفيذ الاتفاق ولتنظيم عقد اجتماع لرئيسى الدولتين يوم ٢٥ نوفمبر التالي . وبالنسبة لشكل الدولة الجديدة نص الاتفاق على

أن تقوم وحدة بين دولتي اليمن تذوب فيها الشخصية الدولية لكل منها في شخص دولي واحد ، وقيام دولة يمنية واحدة ، ويكون للدولة الجديدة علم واحد ، وشعار واحد ، وعاصمة واحدة ، ورئاسة واحدة ، وسلطات تشريعية وتنفيذية قضائية واحدة ، ونظام الحكم في الدولة الجديدة نظام جمهوري وطني ديمقراطي . ويضم دستور الوحدة جميع المritis الشخصية والسياسية والعامة للجماهير كافة ، ولختلف مؤسساتها ومنظماتها الوطنية والمهنية والنقابية ، وتضمن دولة الوحدة حماية جميع المكاسب التي حققتها ثورتا سبتمبر وأكتوبر .

ومع كل هذه الآمال وتلك الجهد فان الوحدة لم تتم ، ربما لفارق الكبير بين الاتجاهين في الشمال المتحفظ والجنوب التقديمي ، وربما لما ي قوله الدكتور صالح العقاد^(١) ونصه :

ان استمرار هذا الانفصال إنما يعبر عن ظاهرة تعم للأسف مختلف أنحاء الوطن العربي ، وهى أن التقسيمات التى وضعها العهد الاستعمارى تظل قائمة بعد الاستقلال لأن المناضلين الذين حصلوا على هذا الاستقلال في إطار التقسيمات الاستعمارية لا يحبون أن يتنازلوا عن شيء من السيادة التي حصلوا عليها ، وسرعان ما تحول الوحدة إلى مبادئ نظرية فحسب .

وأخيرا تمت الوحدة بين اليمنين :

ذكرنا من قبل أن المحاولات لم تهدأ لتعود اليمن الموحدة للوحدة ، وكانت أغلب المحاولات تفشل لأن الوحدة تتعارض مع الأطمام الشخصية ، وأخيرا نجحت هذه المحاولات في الثاني والعشرين من مايو سنة ١٩٩٠ ، وقد تم الاتفاق على أن يكون على عبد الله صالح رئيس اليمن الشمالي رئيسا لليمن الموحدة وحيدر أبو بكر العطاس رئيس اليمن الجنوبية رئيسا لوزراء اليمن الموحدة .

(١) جزيرة العرب في العصر الحديث ص ١٦٠ .

- ٥٠٧ -

وللأسف يبدو أن روح التقسيم تسيطر على الوحدة ، فكل وزراء الشمال وكل وزراء الجنوب تقريباً وزراء في الوزارة الواحدة ، فبلغ عدد الوزراء ٣٩ وزيراً .

وندعوا الله أن تخنقى روح التقسيم تماماً ، وأن تصبح اليمن موحدة واقعاً وروحاً .

وبتبعاً لقرار الوحدة توحدت الشعارات ، ورفع علم اليمن الجديد على مقر الأمم المتحدة في نيويورك عقب احتفال حضرة بيريز دي كويار السكرتير العام للأمم المتحدة ، الذي وصف هذا الحدث بأنه مناسبة جيدة ومرجحة لتحقيق الوحدة بين بلدين عن طريق المفاوضات الودية والشمرة .

جهود الحضارمة في نشر الإسلام :

لقد سرنا بتاريخ حضرموت من مطلع الإسلام حتى الآن ، ويجدونا قبل أن نرفع القلم عن هذا التاريخ أن نتكلم كلمة عن جهود الحضارمة لخدمة الإسلام . وقد تكلمنا من قبل عن هجرات الحضارمة في الأزمنة المختلفة إلى بقاع شتى في العالم ، ونزيد هنا هذا الموضوع بضوحاً ، فقد كان للحضارمة دور كبير في نشر الإسلام وخدمته في كل مكان نزلوا به ، وأكثرهم هاجر واستقر حيث هاجر ، فكان جدهم مستمراً . والحضارمة فيهم العلماء الأفذاذ ، ومنهم التجار المهرة الذين ورثوا هذه المهارة عن أسلافهم الذين احتكروا التجارة العالمية في يوم من الأيام .

ولنعد إلى كتاب تاريخ حضرموت السياسي ليصور جهود الحضارمة في مجال خدمة الإسلام ونشره ، وهو يقول عن هجراتهم إنهم هاجروا إلى الأندلس في أواخر القرن الأول ، وكان على رأس المهاجرين أسرة خلدون ، بزعامة رئيسها خالد بن عثمان الذي ينتهي نسبة إلى وائل بن حجر الكندي ، وقد علا شأن هذه الأسرة وظهرت بها شخصيات كبيرة شغلت أعظم المناصب في مختلف العهود .

ومن اشتهر من علماء الحضارمة في الأندلس محمد بن آبراهيم

الحضرمي ونعمان بن عبد الله الحضرمي في أشبيلية ، وعبد العزيز بن الحسن الحضرمي الذي نزل قرطبة ، وسواهم كثيرون ^(١) .

وهاجر كثير من الحضارمة إلى مصر ومن هؤلاء يونس بن عطيه بن أوس بن عبد الله ، ويحيى بن ميمون وتوبة بن نمر ، وخير بن نعيم وغوث بن سليمان ، ويزيد بن عبد الملك ، وعبد الله بن لهيعة ، ولهميحة بن عيسى ، وقد ولى هؤلاء مناصب القضاء ^(٢) . ومن المهاجرين الحضارمة إلى مصر كذلك حفص بن الوليد ، وقد تولى ولاية مصر من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٤ هـ ، وجمع له هشام الصلاة والخراج جميعا ، وما توفي هشام سنة ١٢٥ هـ أقر الوليد بن يزيد بن عبد الملك حفظا على الصلاة والخراج ^(٣) .

وهاجر كثير من الحضارمة إلى اليمن في عمود مختلفة وكانوا يرحلون للتجارة وطلب العلم ، وإن كان التجارة لم يطلبوا بقاءهم في اليمن لاضطراب السياسة وعدم استقرار الأمن في الشمال ^(٤) .

وهاجر آلاف الحضارمة إلى الحجاز ، وأمسكوا بزمام التجارة فترة طويلة من الزمن ، وتولى بعضهم مناصب كبيرة كمنصب الوزارة الذي تولاه السيد عبد الله باحصفر الذي كان وزير المالية في عهد الأشراف ، وكان وزير المالية في عهد الشريف عبد الله بن عون حضرمي كذلك هو عبد الله باناعمة ، ثم ابنه على ، وفي عهد الشريف حسين كان وزير المالية السيد أحمد باناعمة ^(٥) .

وهاجر عدد كبير من الحضارمة إلى شمال إفريقيا ، ومن هؤلاء

(١) صلاح البكري : تاريخ حضرموت السياسي ج ٢ ص ٢١٨ - ٢٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٠ - ٤٢٤ واقرأ كذلك تاريخ التشريع والقضاء للمؤلف .

(٣) تاريخ حضرموت السياسي ج ٢ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٣٥ .

بنو هلال بقيادة زعيمهم «أبو زيد الهلالي». وبصحبته أبناء عمه وهم مرعى ويحيى ويونس أبناء حسن بن سرحان^(١).

وهاجر عدد من الحضارة إلى الهند، وهناك اشتغلوا بالتجارة والأعمال، والتحقوا بجيوش حاكم حيدر آباد، وأصبح بعضهم من أقرب المقربين إلى ملك تلك البلاد، وقد استطاع بعضهم أن يصل إلى مكانة عالية في بلاط الملك، وحصل آخرون على غنى واسع وثروة طائلة، ومن مؤلاء القعيطي الميافعى، وغالب بن محسن الكثيرى، وقد سبق أن ذكرنا أن رحفا بدأ من حيدر آباد وحقق في حضرموت انقلابا سياسيا.

ولعل من أعظم هجراتهم التاريخية هجرتهم إلى إندونيسيا فقد حطوا رحالهم في هذه البلاد تجارة وعلماء، وقد بدأت وفودهم إلى هذه الجزر في أواخر القرن الثامن الميلادي، وأى قبل نزول البرتغاليين بها، وكانت ديانة بوذا منتشرة في كل مكان، واستطاع الحضارة أن ينتشروا في كل الجزر، وفي كل البلدان، وأن يعاشرو السكان معاشرة أقرب إلى الامتناع، وأمسكوا بزمام التجارة في البر والبحر، وسيطروا على المواصلات البحرية ابتداء من القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر، وكانت مراكبهم تجوب جزائر إندونيسيا وتبصر إلى الهند وإلى سواحل الجزيرة العربية، وهي تحمل في الذهب وفي العودة ألوانا من البضائع والمسلح تشتريها من هنا لتبيعها هناك على طول الطريق.

وكان لهم دور هائل في نشر الإسلام بإندونيسيا وبالجزر والبلاد المحيطة بها مثل تايلاند والفيلبين وسنغافورة، ولا يزالون يقومون بهذا الدور حتى كتابة هذه السطور، وهم يرون في إندونيسيا وطنًا لهم،

(١) المرجع السابق ص ٢٣٦.

- ٥١٠ -

ويخلصون لهذا الوطن أعظم إخلاص وقد اشتركوا في حركات التحرير بهمة ونشاط ، وأسهموا في دفع عجلة التقدم والتطور بالبلاد^(١) .

ذلك هي اليمن وذلك هو دور الحياة معها ، ونرجو ليمن المستقبل كل ازدهار ونور ، ولشعب اليمن شماله وجنوبه كل رفاهية وتقدير لتحقيق اليمن في المستقبل ما حققه في الماضي من مجد وعزّة .

(١) أقرأ ما كتبناه عنهم في الجزء السادس من موسوعة التاريخ الإسلامي هـ ١٨١ - ١٨٢ .

اخْتَلِفَ الْعَزَّزُونَ
وَالدُّولَ الْعَرَبِيَّةِ الْوَاقِعَةِ عَلَيْهِ

مقدمة :

سنحاول بادئ ذي بدء أن نتكلم كلمة عن الخليج نفسه قبل أن نتكلم عن ساحله العربي فهذا الخليج كبير الأهمية من جهات متعددة ، وترتبط به عدة قضايا ينبغي أن نعرضها وأن نحاول شرحها ، وهذا ما سنقوم به فيما يلى :

تسمية الخليج

ولعل أول قضية تواجه الباحث في هذا النطاق هي تسمية الخليج ، فالمراجعة القديمة تسميه الخليج الفارسي أو خليج فارس أو خليج العجم ، وتتجه المراجع العربية الحديثة وبعض المراجع غير العربية إلى تسميتها خليج العرب أو الخليج العربي ، وهناك حساسية دقيقة حول هذه التسمية ، فالعرب المحدثون لا يقبلون إلا أن يسمى الخليج العربي ، ويتمسك الفرس بأن ينسب إلى بلادهم ، بل راح أحد علماء الفرس المحدثين يجمع من مختلف المراجع أي اقتباس ورد فيه ذكر هذا الخليج مرتبطا بكلمة الفرس أو فارس أو العجم ، وهو ي يريد بذلك تأكيد هذه التسمية (١) ، ويقول العرب إنهم ظلوا يسمونه الخليج الفارسي أو خليج العجم ، إلى أن حاولت إيران استغلال الاسم سياسيا ، فاتجه العرب إلى تسميته الخليج العربي وضعا للأمور في نصابها (٢) وقد لاحظ العثمانيون أن إيران تستغل التسمية استغلالا سياسيا فأسماء العثمانيون « خليج البصرة » *

ونحن دعوة تجمع لا دعوة فرقه ، وترتبطنا بإيران روابط عميقة دينية وثقافية وتاريخية ، ومن أجل هذا سنجعل خطتنا في دراسة هذه القضية

(١) عليرضا ميرزا محمد : الخليج الفارسي عبر القرون والاعمار .

(٢) مصطفى كامل الدباغ : قطر ماضيها وحاضرها من ٢٦ - ٢٧ .

بالهامش *

() ٧ - التاريخ ج ٣٣ - م

— ٥١٤ —

أن نعرض الآراء والجذور التاريخية لها مكتفين بذلك حرصا على هذه الروابط التي ينبغي الحفاظ عليها .

و قبل أن نسير في تحقيق التسمية نتساءل : هل التسمية تمنح حقوقا ؟ وبالتالي يحرض العرب والفرس على تسمية ينالون عن طريقها حقوقا في هذا الخليج ؟

إن الإجابة الدقيقة ترى أن التسمية لا تجلب حقوقا ، و تستدل على ذلك بالبحار التي تسمى بأسماء ذاتية ولا تنسب لأى بلد من البلاد البحار غير المياه الأقليمية المعترف بها دوليا كالمحيط الهندي الشاسع الذي لا تملك الهند فيه إلا مياهها إقليمية محددة ، ومثل هذا يقال عن خليج عمان وخليج عدن وغيرها من البحار والخلجان .

وهناك بحار كثيرة تسمى بأسماء ذاتية ولا تنسب لأى بلد من البلاد كالبحر الأبيض والبحر الأحمر والبحر الأسود ومع هذا فلبلاد المتصلة بها نفس المياه الأقليمية ، مما يدل على أن التسمية ليست ذات بال .

ولكن العرب يرون أن هناك أهدافا أخطر من ذلك فيما يتعلق بهذا الخليج ، فإن الكاتب الفرنسي « جان جاك بيربي » ألف كتابا باسم الخليج الفارسي ، وترجمه كاتبان عربيان وجعلوا تسمية الكتاب « الخليج العربي » فثارت البعثة الإيرانية الدائمة بالأمم المتحدة لذلك ، ونبهت دار النشر الفرنسية التي أخرجت الأصل لتحتج على ذلك ، و تتطلب إعادة الكتاب باللغة العربية ، على أن يكون عنوانه « الخليج الفارسي » ويرى العرب أن ذلك ما كان يحصل لو لا أن هناك أطماعا ترتبط بهذه التسمية .

ودليل آخر يثير شكوك العرب هو هذا الجهد الكبير الذى أشرنا إليه آنفا ، إذ اتجه عالم كبير ليقرأ ويجمع من مختلف المراجع بشتى اللغات كل الاقتباسات التى يرد فيها ذكر هذا الخليج باسم « الخليج الفارسي » وقد جمع ذلك في مجلدين نشرهما بعدة لغات مع أن المفكر

- ٥١٥ -

العربي يرى ذلك أمراً يسهل الرد عليه ، فإن التسمية كانت كذلك في المراجع القديمة والوساطة بدون شك ، فالإلحاح على وجودها أمر يحسن العرب بأنه يخفي شيئاً .

ما الأهداف التي يرى العرب أن الفرس يتطلعون لها من وراء هذه التسمية ؟ .

يرى بعض المفكرين ^(١) أن إيران ترمي من وراء ذلك إلى جعل الخليج بحيرة فارسية ، وقد احتلت في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٧١ ثلات جزر في مدخل هذا الخليج ، وأعلنت حيناً أن « البحرين » جزء منها ، وليس هذا وذلك إلا لتحقيق هذا الهدف .

وعلى كل حال ننرجو أن يكون هذا الاتجاه قد هدأ بعد أن أصبحت عروبة البحرين موضع اتفاق ، والعرب والفرس مسلمون قبل كل شيء وترتبطهم روابط الدين والجوار والود وهذا يخفف من التعصب للتسمية و يجعل الود والقربى تحل محل التعصب والأطماع .

وهذا الأمل لا يعيينا من دراسة التسمية دراسة تاريخية محاولين التعرف على منشأ هذه التسمية ومدى الدقة فيها ، ويذكر الباحثون أن هذا الخليج كان يطلق عليه في العصور القديمة اسم « البحر الأدنى » أو « البحر الم » وعندما زحف الإسكندر المقدوني إلى الشرق اكتشف أسطوله بقيادة نيارك ^٢ « Nearchus » شواطئ آسيا من نهر المسند إلى هذا الخليج ^(٢) ، وقد تعرف على الشاطئ الشرقي (الفارسي) قبل أن يتعرف على الشاطئ الغربي (العربي) فأطلق على هذا الخليج « الخليج الفارسي » لاتصال الشاطئ الأول ببلاد فارس ، وأصبح هذا هو الاسم المعروفة لهذا الخليج واستعمله المؤلفون والكتاب بعد ذلك .

(١) دكتور سيد نوفل : الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي ج ١ ص ١٢١ .

(٢) حقائق الاخبار عن دول البحار ج ١ ص ٧ .

ومما ساعد على ثبات هذه التقسيمة أن البحر الأحمر كان يسمى البحر العربي أو الخليج العربي في العصور اليونانية والرومانية ، فلم يكن من الممكن أن توضع كلمة « العربي » بدل « الفارسي » في هذا الخليج حتى لا يحدث اختلاط لو أطلقت كلمة العربي على الاثنين ، ولكن هذا السبب زال إذ أصبح هذا البحر معروفاً بالبحر الأحمر^(١) .

ومن المهم ، وجاءت النهضة العربية ، وأخذ العرب يحيون أمجادهم ويستعيذون حقوقهم ، وكان من ذلك أن أطلقوا على هذا الخليج اسم « الخليج العربي » لأسباب مهمة أوردوها ، ونذكرها فيما يلى :

- ١ - إن الساحل العربي يندفع في فوهة الخليج عند رأس مسندم حتى يصبح كأنه مسيطر عليه ، ثم يتلوي هذا الساحل في قلب الخليج ليencies بقطر في داخله أشبه بمنارة عربية وسط الأمواج ، وبالإضافة إلى هذا توجد بالخليج جزر البحرين وهي حوالي ثلاثين جزيرة وهي جزر عربية اللغة والمدم .
- ٢ - إن طول الساحل العربي للخليج يمثل ضعف طول الساحل الفارسي تقريباً مما يعمق صلة الخليج بالعرب .
- ٣ - سكن العرب شاطئي الخليج العربي منذ الأزلمنة القديمة ، وارتبطت به حياتهم بخلاف الفرس الذين تعزلتهم عن الخليج سلسل جبلية .
- ٤ - إن الساحل الفارسي للخليج آهل بالسكان العرب ولذلك يسميه الفرس « منطقة عريستان » .
- ٥ - ركب العرب الخليج متاجرين منذ عهد طويل ، فكانت لهم السيطرة عليه ، إذ كانوا رواد الملاحة في العالم ، ولم يكن للفرس شيء يذكر في هذا المجال .

(١) انظر التعريبات الشافية لرفاعة الطهطاوى من ٢٦

٦ - النّرم العربي بالدفاع عن الخليج يوم اقتحمه الاستعمار البرتغالي ، وبفضلهم تحرر الخليج من هؤلاء الغزاة .

وهذا الخلاف حول تسمية هذا الخليج وما يتبع هذا الخلاف من حساسية جعل الباحثين الأجانب يدللون برأيهم حول هذه التسمية ، وهل من الأجدار أن يسمى الخليج الفارسي تبعاً لاتجاه قادة الإسكندر المقدوني ، ذلك الاتجاه الذي جاء عفواً ، أو أن يسمى الخليج العربي تبعاً لطبيعة وضع هذا الخليج الذي شرحناه من قبل .

تعال بنا نقتبس بعض ما ذكره هؤلاء الباحثون :

يقرر Roderic Owen (١) أنه عندما زار الخليج أحسن بأنه من المعلم أن يسمى « الخليج الفارسي » لأن واقع الأمر يجعل الخليج منطقة عربية ، وأن هذا المعنى تبرزه الرمال والرجال والمياه واللغة القومية التي تتضمن في الشاطئين الغربيين وفي داخل الخليج نفسه ، وإن تسميته بالخليج الفارسي تنقض العرب أشد الغضب ، كما ينكرها الواقع والإنصاف .

ويقول الكاتب الفرنسي جان جاك بيبي : إن هذا الخليج ارتبط بالعرب منذ أمد بعيد ، منذ كانت رحلاتهم البحرية تغمر الطريق بين هذا الخليج وبين بحر الصين ، وكان البحارة الصينيون يختلطون بالبحارة العرب ويتعاونون معهم ، إذ تربطهم جميعاً رابطة الأخطار المشتركة من عواصف ورياح وفراصنة وغزة ، كما أن استقرار العرب في الساحل الملائم لبلاد فارس أكد للخليج صفتـه العربية من جانبـيه ، ثم إن الفتح العربي الإسلامي لبلاد فارس جعل المنطقة العربية تماماً ، وقد ظلت كذلك عدة قرون ، وحينما بدأت القومية الإيرانية تستأنـف استقلالـها وكيانـها كانت في الغالـب بعيدـة عن هذا الـبحر مما أطـال عـروبة جـانـبيـه هذا الخليج (٢) .

(١) The Golden Bubble, Arabian Gull Documentary p.p. 3-16.

(٢) جان جاك بيبي : الخليج الفارسي في عدة صفحات .

أهمية الخليج ومنطقته

في الحديث عن أهمية هذه المنطقة يجدر بنا أن نقرر أن بعض المؤرخين يرون أن الخليج العربي هو مهد الحضارة ، بل مهد الجنس البشري ^(١) ، وكان أجدادنا في العصور القديمة قد أدركوا أهمية هذه المنطقة فأقاموا بها حضارة عريقة ، فيرى بعض المؤرخين أن سكان هذه المنطقة هم أول من بنوا السفن ومارسوا الملاحة ، وكانوا صلة وثيقة بين الشرق والغرب ، بل يرى بعضهم أن الفينيقيين كانوا يعيشون على ساحل هذا الخليج و كانت أسفارهم تمتد منه إلى الهند والشام ومصر ، ثم نزحوا إلى سواحل سوريا منذ حوالي خمسة آلاف سنة واستوطنوا شاطئ البحر المتوسط ، ويستدل على ذلك بوجود بعض الآثار الفينيقية في هذه المناطق ^(٢) .

ونقطة أخرى فكرية ترتبط بهذه المنطقة ، تلك هي أن مواجهة الدول العربية بهذه المنطقة للفرس بعد الإسلام ، وخضوعها أحياناً لسلطانهم ، جعلها تتاثر بالفكر الفارسي تأثراً كبيراً ، فظهرت بها حركات كثيرة مخالفة للإسلام تبعاً لهذا التأثر ، فمن الواضح أن دخول الشام ومصر والشمال الإفريقي في الإسلام كان اندماجاً وتلقياً للفكر الإسلامي بالقبول والإيمان ، ولكن الحال كان غير ذلك فيما يتعلق ببلاد فارس ، فإن العناصر التي فقدت سلطانها في فارس أخذت تكيد للإسلام ، واتخذت الفكر أحد الوسائل التنفيذ هذا الكيد ، ومن هنا كانت بلاد فارس والفكر الفارسي مصدر كثير من الحركات الهدامة التي عانى منها الإسلام والمسلمون ،

(١) مصطفى مراد الدباغ : قطر ماضيها وحاضرها ص ٢١ .

(٢) الريحاني : ملوك العرب ص ٤٨ .

كحركة الردة والتنبؤ والزنادقة والزنج والقرامطة وغيرها ، وانعكست أقصى هذه الحركات على الساحل العربي كحركة الزنج والقرامطة^(١) . ومن أهمية الخليج أنه اندفاعة ضخمة من المحيط الهندي ربطت بهذا المحيط عدة دول كانت بدون الخليج ستكون منقطعة عن العالم كبلاد فارس ودولة الإمارات والكويت والعراق ، ثم إن هناك بلادا لا تتصل اتصالا مباشرا بالخليج ولكنها تتصل به اتصالا غير مباشر كأفغانستان والهند وروسيا .

ويعتبر الخليج منفذًا لمناطق واسعة بالجزيرة العربية كانت لولاه ستكون معزولة .

والخليج أهمية واسعة في مجال السياسة وقد عبر Raymondo Shea عن هذه الأهمية السياسية بقوله أنه يتواصط جميع الخطوط البحرية والجوية الرئيسية ، ويحوى الموانئ والمراكز البحرية ومحطات الوقود الضرورية للأساطيل والبوارج والطائرات ، والدولة التي تستولى على الخليج الفارسي تستطيع أن تحكم جزيرة العرب والعراق وإيران وإفريقيا^(٢) وقد اقتبس Raymondo هذا التفكير من اتجاه علماء الجغرافيا السياسية الذين كانوا يضيّعون الخليج في أهم موقع الطوق الساحلي للمحيط بقلب الأرض^(٣) وقد تطلعت الدول الاستعمارية جميعها لهذا الخليج وحاولت السيطرة عليه لهذا الهدف ، وبذلت أقصى الجهد لمقاومة حركات التحرر حوله لي-dom لها السلطان والسيطرة في المنطقة .

والخليج أهمية قصوى في مجال الاقتصاد وقد عبر عن ذلك الباحث

(١) عندما نتحدث عن انحرافات وفدت من بلاد فارس إلى منطقة الخليج فإننا نقصد بلاد فارس في مطلع الإسلام ، ونرجو أن يكون ذلك قد توقف في العهد الحاضر في بلاد فارس تمثل الآن دعامة قوية من دعامتين الإسلام والمسلمين .

(٢) ملك الرمال في عمان .

(٣) انظر الخليج العربي للدكتور سيد نوفل ج ٢ ص ٢٧ .

الفرنسي جان جاك بيربي ف قال^(١) : هذا الشرق العجيب الذى كثُر عنه الحديث على المسنة الخبراء إنما ينحصر أغلبه في الخليج العربي بصورة خاصة ، لأن الخليج هو قلب الشرق الأوسط جغرافيا ، وبابه السحرى وصندوقه الذهبى الرائع الذى يسهل له اللعب .

ومن الأهمية الاقتصادية للخليج أنه طريق التجارة بين الغرب والشرق لكل وسائل النقل ، بحرية كانت أو بحرية أو جوية ، وهو مصدر مهم لاستخراج اللؤلؤ ، وقد ابتكق البترول تحته وحوله فأصبح باطن الخليج مصدر ثراء واسع لأهله ، ومحرك الطاقات والآلات بالدول الصناعية الكبرى .

والخليج أهمية عظيمة في الناحية العسكرية ، وكان ذلك واضحاً منذ الزمن البعيد ، فييوى أن الإسكندر بعد أن فتح مصر قال لقواده : إنني لا أستطيع تأمين مقامى في مصر إذا كانت للفرس السيطرة على هذه المنطقة البحرية ، وببدأ رحلته إلى فارس والمهد^(٢) ومن أجل هذا كانت الدول تتطلع إليه وتحاول ربطه بالأحلاف ، ولم يضعف هذا الاتجاه إلا عندما ظهرت المصوariخ عابرة القارات والأقمار الصناعية وأمثالها مما قرب البعيد .

وقد تحدث ابن الوردي عن هذا الخليج فأضافى عليه أطيب الصفات وأكرمها ، قال^(٣) : هو بحر مبارك ، كثير الخير ، وطريق الظهر ، قليل الميجان ، قال عنه أبو عبد الله الصيني : خص الله بحر فارس بالخيرات الكثيرة والبركات الغزيرة ، والفوائد والعجائب والمظرف والغرائب ، فيه مخاص المدر يخرج منه الحب الكبير ، فربما وجدت فيه الدرة اليتيمة التي

(١) الخليج الفارسي ص ٢٠٤ .

(٢) Arrian's History of Alexander's Expedition vol 1 p. 30.

نقلاً عن الخليج العربي للدكتور نوبل ج ١ ص ٤١ .

(٣) ابن الوردي : جزيرة العجائب ص ٦٢ .

لا تقدر قيمتها ، وفي جزائره ممادن تحوى أنواع المياقات والأهجار الملونة النحيفة ، ومعادن الذهب والمفضة وال الحديد والنحاس والمرصاص والمعيق وأنواع الطيب *

ولم يتحدث أبو عبيد الله الصيني عن البترول لأنّه لم ين ظهر في عصره ، ولم يخطر ببال الصيني أن النفط سيندفع من تحت الطين فتتهاوى أمام قيمته مكانة هذه المعادن ، بل سيدجذب البترول أكثر الأيدي التي كانت تعمل في صيد اللؤلؤ ، فإن البترول أدنى وأثمن من اللؤلؤ الفريد *

ساحل الخليج : البحرين

كانت المناطق التي تقع على امتداد الساحل الغربي للخليج العربي تسمى قديماً البحرين أو الإحساء أو هجر ، يقول ياقوت : البحرين اسم "جامع" للبلاد على ساحل الخليج بين البصرة وعمان ، وتسمى هذه المنطقة أيضاً هجر ، وقيل إن هجر قصبة البحرين ، فيها عيون ومياه وسلامد واسعة ، وربما عد بعضهم اليمامة من أعمالها ، والصحيح أن اليمامة عمل برأسه في وسط الطريق بين مكة والبحرين (١) *

ويقول سديرو (٢) وهو يعدد مناطق بلاد العرب : إن الأحساء ... وتنسمى البحرين أيضاً لأهمية الجزر التي تجاورها — تمتد على طول الخليج الفارسي من حدود عمان إلى الفرات *

وعلى هذا فالبحرين أو الأحساء في التاريخ تشمل قطر فالإحساء (الحالين) فالكويت حتى البصرة ثم الجزر التي تعرف الآن بالبحرين

(١) معجم البلدان ح ٢ ص ٧٢ *

(٢) تاريخ العرب العام ص ٢٤ *

ويذكر ياقوت عن سبب تسمية البحرين كلاما طويلا^(١) ولكن الذي نرجحه أن سبب التسمية هو اتصال هذه المنطقة ببحرين ينسب أحدهما إلى عمان والآخر إلى فارس ، وعلى مر الزمن أخذت التسمية تتفسّر حتى أصبحت كلمة « البحرين » تشمل فقط الجزر المجاورة لقطر .

ويعظم أراضي البحرين صحراءً ويتسبّب الأعشاب والنباتات البرية ، ولكن المياه الباطنية تتوفّر في معظم أنحائها ، وهذه المياه قريبة من سطح الأرض ، مما يجعل استغلالها للزراعة ممكناً وبسيراً ، هذا بالإضافة إلى المياه التي تجتمع في بطون الأودية ، وتكتفي هذه المياه لزراعة بعض المحاصيل كالحنطة ، والشعير والحناء ، وبعض الفاكهة كالموتز والرمان والتين والتمر الذي اشتهرت به منطقة هجر ، حتى ضرب المثل بهذه المنطقة في وفرة تمرها ورخص سعره ، فقيل كم يتبع التمر إلى هجر^(٢) ، وذلك كنفياً عن الدهشة من أن يرحل إنسان بالتمر إلى منطقة تكثر فيها أنواع التمور .

وعرفت نواحي البحرين بأنواع متعددة من النسووجات وكان كل أقاليم من أقاليم البحرين ينتج نوعاً معيناً ينسب لهذا الأقاليم ، كالثوب المجري نسبة إلى هجر ، والثوب القطري نسبة إلى قطر ، ثم أصبحت التسمية علماً على الثوب في العصور المتأخرة ، فلم تعد تدل على مكان الصنع ، بل أصبحت تقوم على أساس الصفات المميزة للثوب^(٣) . ويروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض كبار الصحابة قد لبسوا أردية من صنع البحرين^(٤) .

(١) المرجع السابق ص ٧٣ .

(٢) الميداني : مجمع الأمثال ج ٢ ص ٩٨ ، والزمخشري : المستقصى من أمثال العرب ج ٢ ص ٢٣٣ .

(٣) عبد الرحمن النجم : البحرين في صدر الإسلام ص ٨١-٨٢ .

(٤) ابن حنبل : المسند ج ٥ ص ٤٣ ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ٣ ص ٢٦٤ .

ومنطقة البحرين كانت آهلة بالسكان الذين ينتمي أكثرهم إلى عبد القيس وبكر بن وائل وتميم^(١) ، وقد وفدت عبد القيس إلى البحرين من تهامة ، وتغلبت على من كان بها من إمداد والأزد ، وانتشروا في أكثر جهات البحرين وبخاصة المناطق الساحلية منها ، وزلوا أهمل مدنها ، وقد احتفظت عبد القيس بهذه الأمة حتى ظهور الإسلام^(٢) ، أما بكر بن وائل وتميم فقد عاشوا غالباً في المناطق الداخلية ، وبالتالي لم يكن لهم دور كبير في التجارة وكانتا تعيشان في حياة بدوية .

وكانت هناك جماعات من « الزط » تعيش في ساحل البحرين بمنطقة « الحظ » والزط — كما يقول ابن خلدون^(٣) — قوم من أخلاق النساء يرجع أصلهم إلى الهند (ويعرفون بالفتور) ، وكان همهم الشغف والخطف .

وبعد هذا التعريف بالخليج وساحله نسير مع منطقة الخليج مسيرة تاريخية من مطلع الإسلام حتى الآن :

الإسلام في منطقة الخليج

الإسلام حدث ديني وسياسي زحف إلى منطقة البحرين ضمن المناطق التي زحف إليها ، وينبغى أن نتعرف على أحوال هذه المنطقة قبل الإسلام دينياً وسياسياً لنرى كيف استقبل الإسلام فيها :

فمن الناحية الدينية كانت منطقة البحرين واقعة تحت تأثير عوامل متعددة تركت بها آثاراً دينية مختلفة ، فأغلب السكان وافدون من الجزيرة العربية ومن هنا كانت لهم صلات بالوثنية العربية ، ووقوع هذه المناطق

(١) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٧٤ .

(٢) عبد الرحمن النجم : المراجع السابق ص ٤١ .

(٣) العبر ج ٣ ص ٢٥٧ وانظر الجزء الثالث من هذه الموسوعة ص ١٧٧ .

في مقابلة الفرس وتعت سلطانهم في بعض الأحيان أنتائج الفرصة للمجوسية لتجد طريقها إلى البحرين ، وصلة هذه المناطق بالعراق عن طريق البصرة فتح الباب للمسيحية التي كان يدين بها المذاكرة ، كما أن المسيحية جاءت أيضاً عن طريق البحر وعن طريق الصلات التجارية .

وعندما نتذكر الأهمية الاقتصادية للخليج الفارسي التي تحدثنا عنها من قبل يقفز إلى الذهن ضرورة وجود العنصر اليهودي بهذه المنطقة ، لأن اليهود يتسللون إلى حيث النشاط المالي والاقتصادي ، ويتحدث التاريخ عن وجود جالية يهودية بالبحرين أكثر أفرادها وأفدون وقلة منهم من العرب تهودوا ، وقد أشار طرفة بن العبد الذي نشأ في البحرين إلى يهود هذه المنطقة بقوله في معلقته :

عدولية أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طوراً ويهدى .

والعدولية سفن تتنسب إلى ميناء عدول بالصومال ، وابن يامن يهودي من أهل هجر كان يمتلك عدداً من السفن التي تعمل في الخليج العربي (١) .

ذلك هو الوضع الديني بشكل عام لهذه المنطقة عند مطلع الإسلام ، أما الوضع السياسي فخلاصته أن البحرين كانت تابعة للفرس عند ظهور الإسلام (٢) وكان الفرس يحكمون البحرين بحاكم من العرب هو المنذر ابن ساوي وبجانبه يوجد المرزبان « سبيخت » الذي كان يقود قوة عسكرية فارسية ويتخذ من هجر مركزاً له ، وهذا لا يتدخل في الأمور الداخلية إلا إذا دعت الضرورة (٣) وعلى هذا فحكم الفرس لمناطق الخليج العربي كان حكماً اسرياً لا غير .

وعندما استقر الإسلام في المدينة بعد صلح الحديبية أو بعد فتح

(١) التبريزى : شرح القصائد العشر ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٧٨ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٧٤ .

مكة حسب الروايات الكثيرة أرسل الرسول العلاء بن عبد الله الحضرمي ^(١) إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية ، وكتب معه كتابين إلى المنذر بن سلوي التميمي وإلى المرزبان سبيخت يدعوهما إلى الإسلام ، ويدو أن المنذر أسرع بقبول الدعوة حتى يتخلص من سلطان الفرس ، وقد كفأه الرسول بتقبيلته في مكانه ، فظل واليا على البحرين حتى وفاته سنة ١١ هـ ^(٢) ، وفي رواية ياقوت أن سبيخت أسلم أيضا ، وأسلم مع المنذر ، ومع سبيخت جميع العرب هناك ، وبعض العجم ، أما الذين بقوا على أديانهم من المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء على دفع الجزية ، وكتبوا معه كتابين بذلك ^(٣) .

ويقول العلاء بن الحضرمي : إنني كنت آثني الحائط (أى الحديقة أو المزرعة) بين الإخوة قد أسلم بعضهم ، وبقى بعضهم على دينه ، فأخذ من المسلم العشر ، ومن غيره الخراج ^(٤) .

وبجوار المنذر كان هناك عمال للرسول بالبحرين ، وكان هؤلاء يعملون على نشر الدعوة ، وينظمون الأمور المالية دون أن يكون لهم سلطان سياسي ، وأول هؤلاء العلاء بن الحضرمي ، ويقال إن الرسول عزله وولي أبان بن سعيد بن العاص ، ويدو أن أبان لم يظهر كفاءة مثل العلاء ، فلم يستطع أن ينال رضا القوم ، ولذلك طلب هؤلاء من أبي بكر أن يرد العلاء إلى منصبه فاستجاب لهم ، وبقى العلاء واليا عليهم حتى توفى سنة ٢٠ هـ .

وبعد العلاء الحضرمي توالى الولاة على البحرين ، ونذكر فيما يلى أئمهم هؤلاء :

(١) انظر سيرة ابن هشام وزاد المعاد لابن القيم وعيون الآخر لابن سيد الناس والطبقات لابن سعد .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٧٤ .

(٤) أبو عبيد : الاموال ص ٣٢ - ٣٣ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٧٤ .

— ٥٢٦ —

قدامة بن مظعون — أبو هريرة — عثمان بن أبي العاص — مروان بن الحكم — عبيد الله بن العباس — أسيد بن الأخفش بن شريق — زياد بن الربيع المهاري — الأشعث بن عبد الله بن الجارود — يحيى بن زياد بن الحارث — عبد الله بن شريق — المهاجر بن عبد الله الكلابي ^(١) .

ومما يذكر هنا أن عثمان بن أبي العاص والى البحرين في عهد عمر كان من أشهر القواد الذين عبروا إلى بلاد الفرس ، وأسهموا في فتحها ، وقد ترك أهلاه المغيرة بن أبي العاص خليفة له على البحرين إبان جهاده في فتح فارس ^٠

ومما يذكر أيضاً ما رواه محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : استعملني عمر بن الخطاب على البحرين ، فاجتمعت لي اثنا عشر ألفاً فلما قدمت على عمر قال لي : يا عدو الله والمسلمين ، أخذت مال الله . فقلبت لست بعده ولا المسلمين ، ولكنني عدو من عاداهما ، قال : فمن أين اجتمعت لك هذه الأموال ؟ قلت : خيل لي تناهيت ، ووسهام اجتمعت قال أبو هريرة : فقاسمي عمر هذا المال ^(٢) .

الردة والصراع ضد المرتدين

من الواضح أن بعض سكان هذه المنطقة دخلوا الإسلام دون أن يتعمقوا في التعرف عليه ، وكان أهم دواعي قبولهم الإسلام رغبتهم في التخلص من حكم الفرس كما ذكرنا من قبل ، فلما تحقق لهم الاستقلال عن الفرس طمعوا في أن يكون استقلالهم تاماً ، أى أن يستقلوا عن السلطة البارزية بالمدينة المنورة ، وشجعهم على هذا الاتجاه ظهور مسييمة الكذاب متبعاً في بنى حنيفة باليمامة غير بعيد عنهم ، وقد بدأ مسييمة

(١) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٧٥ .

(٢) ياقوت : المرجع السابق ص ٧٦ .

حركته قبيل وفاة الرسول ^(١) ، وعظم أمره بعد وفاة الرسول ، ثم ان المرسول صلوات الله وسلامه عليه عزل العلاء بن الحضرمي وجعل مكانه أبلن بن سعيد بن العاص ، وفي فترة مرض الرسول عليه السلام توفي المنذر بن ساوي ، فزال بذلك صمام الأمان ، وارتدى مَنْ ^{بالبحرين من وند قيس بن شعلة ، كما ارتدى من بالبحرين من ربعة خلا الجارود ابن بشر العبدى ومن تابعه من قومه} وكان قائد المرتدين يسمى « الحطم » من بني قيس بن شعلة ، وانتهز الفرس حركة الراية فأرسلوا جيشاً فارسياً بقيادة رجل اسمه « المكعبير » لقتال بني تميم في محاولة لإعادة الاحتلال المناطق العربية وضرب الاتجاه الإسلامي ، وكانت حجة الفرس في هذا العدوان أن بني تميم تعرضوا لغير كسرى بالزارة ، وانضم إلى المكعبير بعض المجرمين الذين كانوا قد تجمعوا بالقطيف وامتنعوا عن أداء الجزية ، وماجت هذه المنطقة بالتمرد والغوضى ^(٢) .

وخطا المرتدون خطا زادتهم قوة هي أن الحطم استعنوا ببعض أهل الخط والقطيف ، وبخاصة من بها من الزط والديابية ، ثم أرسل إلى الغرور بن سعيد بن المنذر (وهو ابن أخي النعمان بن المنذر ملك العرب) أن يأتيه بمن معه ، و قال له إن ظفرنا ملوك البحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة فاستجاب له الغرور .

وتجمعت جيوش المرتدين والمرتدات وحاصرت المسلمين في جواباً ، وطال حصار المسلمين في هذه المدينة ، واستبسلا المسلمون في الدفاع عن أنفسهم ، ولكن أعداءهم كانوا أكثر منهم عدداً وعده فأرسل المسلمون لأبي بكر يستجدونه ، ويورد ياقوت مقطوعة من الشعر يهتف بها أحد المسلمين المحاصرين بأبي بكر المسلمين أن يمدوا لهم يد العون ^(٣) .

(١) اقرأ الجزء الاول من هذه الموسوعة ص ٢٧٨ ، وما ذكرناه من قبل في هذا الجزء عن مسيلمة .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٧٥ - ٧٦ .

(٣) المرجع السابق .

واستجابة لذلك أرسل أبو بكر جيشا بقيادة العلاء بن الحضرمي للبحرين ، كما طلب من خالد بن الوليد أن يذهب لمساعدة العلاء عقب الانتهاء من مسيلمة ، وكان بجيش العلاء بعض المسلمين من أهل البحرين وبخاصة الجارود وأتباعه ، والتقى الجيش في عملية كر وفر نهارا مع المهدوء ليلا^(١) . واتيحت للعلاء فرصة فاهاهبتها ، ذلك أنه في ليلة من ليالي الصراع كان الجيشان في راحة بعد نهار حافل بالطعن والدم ، فسمع العلاء ضوضاء وحركة في معسكر الخصم فأوفد إلى المعسكر من يأتيه بخبر الضوضاء ، وعاد رسول العلاء ليقول له إن القوم قد شربوا وتملوا فأطبق عليهم العلاء ورجاله ، فهزموهم هزيمة كبيرة وقتل الخصم في هذه المعركة .

وحضر خالد بن الوليد بجيشه وخططه فاكتسحهم وأدرك المرتدون ألا قبل لهم بالصمدود أمامه ففروا إلى الجزر الداخلية (البحرين الآن) وأحرقوا السفن حتى لا تستطيع جيوش المسلمين أن تلحق بهم ، وهنا تحول خالد بن الوليد إلى العراق بناء على طلب الخليفة وترك الأمر للعلاء الذي أصر على ملاحقة المهرابين ، وتقول الرواية إن العلاء وقف بجيشه أمام الماء الذي يحول بينه وبين المرتددين ، وصل إلى العلاء في تضرع ، ودعا الله أن يمكنه منهم ، فانحصر الماء في حركة جزر كثيرة ما يجعل المسافة بين الشاطئ والجزر يمكن خوضها ، وحينئذ زحف العلاء بجيشه ، ودأهم المرتددين^(٢) وقد ظنوا أنهم آمنون ، فأعلن بعضهم عودته للإسلام وأسفه مما بدر منه ، وقضى العلاء على من بقي على

(١) الطبرى : ج ٢ ص ٥٢١ وما بعدها بتصرف .

(٢) يورد الطبرى موقفا آخر من الكرامات يتصل بهذا الصراع ، فإن جيش العلاء تعرض لعطش قاتل ، فاتجه العلاء إلى الله واستجاب الله إليه ، اذ سرعان ما رأوا ماء يلمع فهبوا إليه وشربوا واستراحوا ، بل رأته القوافل فاتجهت إليه من كل صوب . قال أبو هريرة لقد عدت بعد حين لا تتأكد من حال هذا الغدير ، وهل هو غدير فعلا أو أنه منحة من الله سخرها ل الحاجة المسلمين ، فلم أجده غديرا في المكان ، ولم أجده الا أثرا لغدير وركب ، كان وراح (انظر تحفة المستفيد ج ١ ص ٩٧) .

كُفْرِهِ ، ثُمَّ زَحَفَ إِلَى التَّجَمُّعَاتِ الَّتِي تَقْفَسَتْ حَوْلَ الْمَكَبِرِ ، وَلَمْ يَقْفِي
الْمَعْلَأُ عَنْدَ هَذَا الْحَدِّ ، بَلْ قَرَرَ أَنْ يَعْبُرَ الْخَلْيَاجَ إِلَى بَلَادِ فَارِسَ لِيَصْرَاعَ الْمَرْكَزِ
الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يُثِيرُ الْمُقْلَاقَلَ فِي الْمَنَاطِقِ الْمُسْلِمَةِ ، وَيَرِيدُ أَنْ يَقْضِيَ عَلَى
الْإِسْلَامِ ، وَعَبَرَ الْمَعْلَأَ الْخَلْيَاجَ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ وَجَهَهُ الضَّرِبَاتِ إِلَى فَارِسَ ،
وَلِكَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ أَسْتَدْعَاهُ وَعَيْنَهُ وَالْمِيَا عَلَى الْبَصَرَةِ ، وَوَلَى عَلَى
الْبَهْرَبِينَ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلِهِ أَنَّهُ تَرَكَ الْمَغْرِبَةَ خَلِيفَةً
لَهُ عَلَى الْمَبْحَرَيْنِ وَعَبَرَ إِلَى بَلَادِ الْفَرْسِ لِيَرِدَ عَدُوَّهُمْ ، فَكَانَ مِنْ أَسْهَمِهِمَا
فِي فَتْحِهَا ، وَبَعْدِ عُثْمَانَ أَسْنَدَتْ لِوَالِيَّةِ الْبَهْرَبِينِ إِلَى الرَّبِيعِ بْنِ زَيْدِ
الْحَارِشِ .

وَلَمْ تَغْفَلْ عَيْنُ الْخَلْفَاءِ الْرَّاشِدِيْنِ عَنْ هَذِهِ الْمَنْطَقَةِ بِسَبِّبِ ظَهُورِ هَذِهِ
الْمُرْكَاتِ بِهَا ، وَظَلَّتْ مَوْضِعُ عَنَائِهِمْ طَيِّلَةً عَهْدَهُمْ .

البحرين في العهد الأموي

كانت منطقة البحرين في العهد الأموي من المناطق التي اهتم بها خلفاء بنى أمية اهتماماً كبيراً ، بسبب صلتها ببلاد فارس التي كانت - كما قلنا من قبل - مصدراً لكثير من الانحرافات الفكرية ، فقد خيف دائمًا على هذه المنطقة أن تجروفها تيارات التمرد ، وللهذا ، وللأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة لم يمتد لها الأهمال الذي امتد لكثير من بقاع الجزيرة العربية في العهد الأموي ، وكانت اليامامة في هذا العصر تضمّ أحياناً إلى البحرين ، وأحياناً تبقى ولاية مستقلة^(١) .

فلما جاء عهد مروان بن الحكم وابنه عبد الملك واجه الخليفة الأموي مصاعب جمة لإعادة السلطان الأموي الذي كان قد هزّته حركة عبد الله ابن الزبير ، ولهذا انشغل الخليفة عن منطقة الخليج فضفت المراقبة على هذه المنطقة ، وهنا انتهز الخوارج هذه الفرصة فهبوا في حركات متتالية قاسية سنتحدث عنها فيما يلى :

الخوارج في منطقة الخليج

كانت منطقة الخليج منطقه ملائمه لنشاط الخوارج ، فهى تموج بالفتن والاضطرابات بسبب العوامل المختلفة التي أشرنا لها من قبل ، ولهذا جذبت هذه المنطقة فرقه مهمه من فرق الخوارج هي فرقه النجدات^(٢) وسنتحدث عنها فيما يلى :

فرقه النجدات :

بعد أن افترق الخوارج عن عبد الله بن الزبير انقسموا إلى قسمين : الأزارقة ، والنجدات ، وقد توجه الأزارقة إلى البصرة ، أما النجدات

(١) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٧٣ .

(٢) انظر حديثنا عن فرق الخوارج في الجزء الثاني من هذه الموسوعة ص ٢٢٩ وما بعدها .

فقد توجهوا إلى اليمامة ، ويقول ابن الأثير « انطلق أبو طالوت من بني بكر وأبو فديك عبد الله بن ثور بن قيس بن شعبة ، وعطية بن الأسود الميشكري إلى اليمامة بقيادة أبي طالوت ثم اجتمعوا بعد ذلك على نجدة ابن عامر الحنفي وتركوا أبا طالوت ^(١) » وسنذكر بعد قليل سبب هذا الانشقاق [•]

وأطلق عليهم « النجادات » وليس « النجدية » للفرق بينهم وبين من انتسب إلى أتباع نجدة بن عويمر وهو عامر الحنفي الخارج باليمامة فقد كان هؤلاء يطلق عليهم « النجدية » ^(٢) [•]

نشاط نجدة بن عامر :

مضى نجدة يقود الخوارج إلى « الحضارم » فنهبها ، وأعد رضى عيرا كان يراد بها ابن الزبير ، واستولى عليها ، وساقها إلى أبي طالوت فقسمها بين أصحابه ، فاقتسموا المال وقالوا : « نجدة خير لنا من أبي طالوت فخلعوا أبا طالوت وباعوا نجدة ، وباعيه أبو طالوت كذلك ، وكان ذلك سنة ست وستين ^(٣) » [•]

وقد تحرك نجدة للسيطرة على المنطقة ، فسار إلى بني كعب وهزمهم بدبي المجاز ، وكثُر أتباع نجدة ، وسار إلى البحرين سنة سبع وستين فسالقه الأزرد ، واجتمعت عبد القيس ومن بالبحرين غير الأزرد على محاربته ، وقد حاول الأزرد اقتحام عبد القيس ومن معهم بمسالة نجدة فرفضوا ، وانتصروا مع نجدة في القطييف ، فهزمهما وقتل منهم جمّع كثير ، قال الشاعر :

نَصَحَّتْ لِعَبْدِ الْقَيْسِ يَوْمَ قَطِيفَا وَمَا نَفْعٌ نَصَحٌ تَسْعِلَ لَا يَتَّقْبَلُ

(١) الكامل : ابن الأثير ج ٢ ص ٣٣٦ [•]

(٢) الخطط للمقرizi ص ٣٥٤ [•]

(٣) راجع الكامل : لابن الأثير ج ٣ ص ٣٥٢ [•]

وقد أقام نجدة بالقطيف ، وأرسل ابنه يقتباع فلول المهزمين ، ولكن ابنه قُتل مع نفر من أصحابه ، وأرسل نجدة سرية إلى « الخط » فكتب لها النصر ، وأقام نجدة بالبحرين ٠

وفي سنة تسع وستين أرسل مصعب بن الزبير عبد الله بن عمير في جيش إلى نجدة ، ولكن نجدة استطاع أن يدهمهم في غفلة من ابن عمير ويهزمهم هزيمة بالغة ، وغم ما في عسكرهم « وأصحاب جواري فيهن أم ولد لابن عمير ، فعرض عليها أن يرسلها إلى مولاها فقالت : لا حاجة لمى إلى من هزّ عنى وتركني (١) » ٠

وبعث نجدة بعد هزيمة ابن عمير جيشا إلى عمان واستعمل عليه عطيه بن الأسود ، فاستطاع عطيه أن يستولي علىها ويقتل حاكمها عباد ابن عبد الله ، ولكن عطيه لم يستمر بها طويلا فخلف عليها رجلا يكنى أبا القاسم واستطاع ابنا عباد أن يقتلها أبا القاسم ، وخالف عطيه نجدة ففارقها وانتهى به الأمر إلى المسند حتى تمكنت خيل المهلب من قتله هناك

وبعث نجدة إلى البوادي بعد هزيمة ابن عمير من يأخذ من أهلها الصدقة ، وقاتل بنى تميم وأهل طويلا وأخذ منهم الصدقة ، ثم سار نجدة إلى صنعاء فبایعه أهلها ، بعد أن ظنوا أن وراءه جيشا كبيرا ، وأرسل نجدة أبا فديك إلى حضرموت فجبي الصدقات من أهلها ٠

وهج نجدة سنة ثمان وستين ، وقيل سنة تسع وستين ، وصالح ابن الزبير على أن يصلى كل واحد ب أصحابه ، وعندما صدر نجدة عن الحج ، سار إلى المدينة فتأهب أهلها لقتاله ، وعندما علم نجدة بذلك رجع إلى الطائف ، وأقاه عاصم بن عروة فبایعه عن أهله دون أن يدخل نجدة الطائف ، وعاد نجدة إلى البحرين ، وقطع الميرة عن أهل الحرمين ، ولكنه أعادها عندما كاتبه ابن عباس في ذلك (٢) ٠

(١) المرجع السابق ص ٣٥٣

(٢) الكامل : لابن الأثير ج ٣ ص ٣٥٣

الاختلاف على نجدة وقتله :

وقد خلاف بين نجدة وأتباعه في أمور كثيرة منها : أنه سير سرية بحراً وأخرى براً ، ففضل سرية البحر في العطاء ، ومنها أن عبد الملك ابن مروان كاتب نجدة في الطاعة على أن يوليه اليمامة ، ويهدى له ما سفك من الدماء ، ولكن أصحاب نجدة اتهموه بالاتصال بعبد الملك ، وبالتردد ، ومنها أن قوماً استقابوه ثم ندموا على استتابته وتفرقوا ، ونقموا عليه أشياء أخرى ، فخالفت عليه العامة وولوا أمرهم أبي فديك واختفى نجدة ولكن أصحاب أبي فديك تمكنوا من القبض عليه وقتلته وهو يقول :

وأن جر هولانا علينا جريمة صبرنا لها ان الكرام الداعئم (١)

أبو فديك في البحرين :

تولى أبو فديك أمر الخوارج في الخليج بعد أن اختلفوا على نجدة وقتلوا ، وكان ذلك سنة ٧٢ هـ ، ويقول الطبرى : « وفي هذه السنة كان خروج أبي فديك الخارجى وهو من بنى قيس بن شعبلة ، فغلب على البحرين ، وقتل نجدة بن عامر الحنفى » (٢) .

وثبتت قدم أبي فديك في المنطقة « فوجه إلينه عبد الملك أمية بن عبد الله ، فهزمه أبو فديك وفضحه وأخذ أخته وحرمه (٣) » ثم أرسل عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله ، وقال له : خذ معك أهل المصريين الكوفة والبصرة ، فسار وألقى بأبي فديك وأصحابه في البحرين ، وحمل عليهم حتى استباحوا عسکر أبي فديك وقتلواه ، وحصروا أصحابه « فنزلوا على الحكم فقتل منهم نحو ستة آلاف وأسر شمائهة » (٤) .

(١) راجع الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

(٢) الطبرى ج ٦ ص ١٧٤ أحداث ٧٢ .

(٣) اليعقوبى المجلد الثانى ص ٢٧٣ دار بيروت ١٩٦٠ .

(٤) الكامل . لابن الأثير ج ٤ ص ٢٨ .

مسعود العبدى ونشاطه فى البحرين :

وفي سنة ١٠٥ هـ خرج مسعود العبدى زعيم الخوارج بالبحرين ، فغلب على المنطقة وظل له النصر بعض عشرة سنة ، ثم سار مسعود إلى اليمامة ، فتصدى له سفيان بن عمرو العقيلي وأشتد بينهما القتال ، فقتل مسعود وقتلت أخته ، وأخضطرب أمر الخوارج ، وقال الفرزدق في هذا اليوم :

لعمرى لقد سلكت حنيفة دليلة
سيوفاً أبىت يوم الوغى أن تغيرها
تركت لمسعود وزينب أخته
ردها وسرابلا من الموت أحمراء
أربين الحرورين يوم لقائهم
ببركان يوم يجعل الموت أشقراء

وقيل إن مسعوداً غلب على البحرين واليمامة تسع عشرة سنة حتى قتل سفيان بن عمرو العقيلي^(١) .

وبعد أن أوضحنا نشاط الخوارج في منطقة الخليج وأشهر قوادهم لابد أن نضع أمامنا الملاحظات التالية .

أولاً : إن الخوارج في منطقة الخليج كانت لهم شوكة قوية في عهد بنى أمية ، وقد ساعدهم على ذلك ظروف المنطقة المهيأة للفتن والاضطرابات كما أن المنطقة كانت ملائمة لحياة الخوارج البدو فنمت فيها قوتهم .

ثانياً : مما ساعد الخوارج على أن يسيطروا على معظم المنطقة ، اضطراب الأحوال في الحجاز والشام والعراق ، وانشغال الخلافة الأموية بالقضاء على ابن الزبير وثورات الخوارج في البصرة وما يليها .

ثالثاً : كان ظهور الخوارج وتفوقهم في منطقة الخليج في عهد بنى أمية مقترباً بظهورهم وتفوقهم في منطقة العراق ، وظهور قيادات فذة لهم مثل نافع بن الأزرق وقطري بن الفجاءة ، وفي مثل هذا الوقت

(١) راجع المرجع السابق ص ٩٠ .

استطاع نجدة أن يبسط سلطانه على معظم منطقة الخليج ، فاستولى على اليمامة ، والبحرين ، والقطيف ، والخط ، وعمان ، ودانت له المبادى وأخذ منها الصدقة ، واستولى على صنعاء وأخذ جيابها ، كما أرسل أبا فديك إلى حضرموت فجبي صدقات أهلها ، وباجعه أهل الطائف دون أن يدخلها ، وهكذا نرى أن نجدة كانت له قوة عظيمة في تلك الفترة ، فقد بايع الخارج نجدة « فأقلقوا اليمامة والبحرين وأثخنوا في الناس » ^(١) ويقول البيعوبي : « ووجه مصعب بن الزبير بخيل بعد خيل ، وجيش بعد جيش إلى نجدة ولم يستطع ابن الزبير القضاء على نجدة أو هزيمته ^(٢) . »

رابعا : استطاعت قوات عبد الملك بن مروان أن تكسر شوكة الخارج في العراق وتضعف شأنهم ، وحدث مثل ذلك في منطقة الخليج في عهد عبد الملك ، واستتب الأمر لبني أمية ولم تقم للخارج قائمة إلا سنة ١٠٥ كما تحدثنا من قبل حيث هب مسعود العبدى ولكن ثورته كانت قصيرة العمر .

البحرين في العصر العباسي

سيطر العباسيون على العالم الإسلامي الذي كان يحكمه الأمويون باستثناء الأندلس ، ومن هنا كان سلطان العباسيين سائدا على منطقة البحرين ، وكان عمال البحرين في العصر العباسي على النحو التالي :

السفاح : عين داود بن على واليا على مكة والمدينة واليمن واليمامة والبحرين بسنة ١٣٢ .

ثم عين سليمان بن عاى واليا على البصرة والبحرين وعمان سنة ١٤٣ .

(١) دائرة معارف البستانى ص ٤٩٤ مادة خوارج .

(٢) تاريخ البيعوبي مجلد ٢ ص ٢٧٢ .

- ٥٣٦ -

المنصور : عين السرى بن عبد الله الهاشمى واليا على اليمامة والبحرين سنة ١٣٦ ثم عين سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة سنة ١٣٩ ، ثم ولى على البحرين خاصة قثم بن العباس بن عبد الله ابن على بن عبد الله بن العباس في نفس العام ثم أضاف إليه اليمامة سنة ١٤٤ هـ .

وفي عهد المنصور ثار في البحرين سليمان بن حكيم العبدى ، فوجه إليه المنصور عقبة بن مسلم من البصرة ، واستختلف عليهما نافع بن عقبة ، وقد انتصر عقبة وقضى على الثورة وقتل سليمان بن حكيم وسبى الكثير من أتباعه وأرسلهم عقبة إلى المنصور ، فقتل بعض قادتهم ووهب الباقيين إلى ابنه المهدى فكساهم وأطلقهم .

ومن ولادة المنصور على البحرين في سنين الأخيرة تميم بن سعيد وقد ولد سنة ١٥٧ ثم ولد عليها حمزة الكاتب .

المهدى : عبد الله بن مصعب .

صالح بن داود بن محمد سنة ١٦٤ .

مولاه العلى سنة ١٦٥ وقد ظل في ولايته حتى عهد الرشيد .

الرشيد : في عهد الرشيد خرج بالبحرين سيف بن بكر أحد بنى عبد القيس فوجه إليه الرشيد محمد بن يزيد بن مزيد فقتل ، ومن ولادة الرشيد محمد بن سليمان بن علي وقد ولد مع اليمامة سنة ١٧٠ .

المعتصم : اسحق بن أبي خبيصة ويذكر البلاذري (١) أن اسمه حميضة وأنه بنى مسجدا في الحديقة التي قتلت فيها مسيئمة في عقرباء (٢) .

(١) فتوح البلدان ص ١٠٣ .

(٢) محمد بن عبد الله الانصارى . تحفة المستفيد ص ٧٩ - ٨١ .

وبنهاية العصر العباسي الأول ، وبانتقال سلطة الخلفاء الحقيقية إلى الأئراث تفككت الدولة وهبت بها ثورات عنيفة ، ولا عجب أن تجذب منطقة البحرين كثيراً من الحركات الدمرة القوية التي صارت جيوش المسلمين والتي كان طابعها شديد الانحراف ، وأهم هذه الحركات التي عرفتها منطقة البحرين آنذاك حركة صاحب الزنج وحركة القرامطة ، والحركةتان من أقسى الحركات التي هبت بالعالم الإسلامي واستنزفت كثيراً من جهد العباسيين ودماء المسلمين وقد تحدثنا بشيء من الإيجاز عن الزنج والقرامطة في الأجزاء السابقة من هذه الموسوعة ، ونعيدي هنا الكلام عن هاتين الحركتين بمزيد من التفصيل ، فإن هذا المكان هو المكان الطبيعي للحديث عن هاتين الحركتين .

حركة الزنج

تنسب هذه الحركة إلى الزنج الذين كانوا يعيشون في البصرة والذين استغلتهم على بن محمد (أو على بن عبد الله الملقب صاحب الزنج) في حركة كان يزعم بها إلى تحقيق أطماعه وطموحه في نفسه ، وقد سلك هذا الرجل عدة وسائل ، وقام بعدة محاولات لتحقيق هذه الأطماع كما سترى فيما بعد ، ولكن محاولته مع الزنج كانت أنجح وأشهر وأخطر ، ولذلك اشتهر بها *

ومصاحب الزنج هذا رجل فارسي ، ولد في إحدى قرى السري ، ويصفه ابن طباطبا (١) بأنه كان فصيحا ذكيا طموحا ، وكان في السوق نفسه فقيرا قليلاً المال والعتاد ، وعندما يجتمع الذكاء والطموح والفقير يصبح الإنسان خطرا على المجتمع الذي يعيش فيه ، وهكذا كان هذا الرجل الذي عبر عن طموحه بقوله يخاطب نفسه :

وإذا تنازعني أقولا لها اطلبني موتاً يريحك أو صعوداً المنبر

تحقيق نسبة :

إن نسب هذا الرجل غير واضح ، فقد ادعى أنه ينحدر من آل البيت ، وأن اسمه على محمد بن أحمد بن ولد علي بن أبي طالب ، وقد اتجه أكثر المؤرخين إلى تبنيه هذا الادعاء ، والحكم عليه بالكذب ، وأنه قد اتخذ (٢) الادعاء وسيلة لتحقيق أطماعه كما سترى فيما بعد ، ويرى الطبرى أنه ينحدر من قبيلة عبد القيس وأن اسمه على بن محمد بن عبد الرحمن (٣) والذي نميل إليه إن نسبه العلوى ادعاء باطل بدليل أن أتباعه كانوا يلعنون الصحابة ، وفيهم على وعائشة ، وكان هذا يحدث أيامه فلا يغضب ، وبدليل أن نساء من العلويات قتظن عليهن واعتُنِدَتْ عليهن ، واستُعَذِّبن أمام عينه بأمره ، ولو كان فعلاً من آل البيت لما

(١) الفخرى في الاداب السلطانية ص ٢٤ .

(٢) تاريخ الطبرى ج ١١ ص ١٧٤ .

سمح بهذه التصرفات ، ولعمل على حماية آل البيت من أتباعه الزنوج
والعلوج ^(١) .
مطلع حياته :

اشتغل على بن محمد في مطلع حياته أجيرا ، ولكن هذا العمل لم يقنعه فاتجه لتعليم الصبيان ، بيد أن هذا العمل لم يكسب له ما تطلع إليه من مال وشهرة .

ومن هنا أخذ يتطلع إلى القصور ، وكانت لديه وسيلة يمكن أن تصله بالقصور وسكانها ذلك هي إجادته للشعر ، فقد كان من الذين يجيدون قول الشعر المطبوع ومن يتصف بفصاحة اللهجة ^(٢) فمدح جماعة من حاشية الخليفة المنتصر (٤٧ هـ) واستمالهم بشعره ، وقد كسب عن هذا الطريق بعض المال ، ولكنه أيضا لم يقنع بما وصل إليه .

ومن أجل هذا اتجه اتجاه آخر هو الاشتغال بالتنجيم والمسحر ، ولكن ذلك كلّه لم يحقق للرجل أطماءه ، وكان لابد من جولة جديدة أو جولات جديدة لعلها تتيّل الرجل مأربه .

وقد اتجه على بن عبد الله في هذه الفترة إلى (البحرين) وقد كانت البحرين كما ذكرنا من قبل جديرة باجتذاب هذا الملون من الطموحين المنحرفين كما كانت ظروف العصر مواطية ، إذ كانت الخلافة العباسية تتوجه للانحدار بعد العصر العباسى الأول ، بسبب استبداد الماليك بالسلطان ، وكانت هناك حركات استقلال تغمر العالم فتقطع من جسم الخلافة أجزاء ليستقل بها الطموحون هنا وهناك كما فعل الصفاريون والطولونيون ، فلماذا لا يحاول هذا الرجل مثل هذه المحاولة في البحرين ليجعل من نفسه سلطانا على هذا الجزء من العالم الإسلامي ؟ وقد دفعه عامل المكان (البحرين) وعامل الزمان (ضعف الخلافة) إلى أن يخطو طامعا أن يحقق مأربه .

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٠٨ .

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١٢٧ .

خطوات الثائر

لم تكن الطريقة سهلاً أمام على بن محمد وبخاصة أنه كانت للرجل سمعة غير طبيعية تلاحمه وتعارض أطعماه ، ولذلك كان عليه أن يصطنع الصبر ، وأن يغير خططه من حين إلى حين جرياً وراء شعاع جديد كلما ثبأ أمل سار عليه شوطاً من الأشواط ، وسنثبت فيما يلى دراسة عن هذه المحاولات التي قام بها هذا الرجل في تلك المرحلة :

١- المهدى المنتظر :

كانت فكرة «المهدية» شائعة عند بعض طوائف الشيعة وكان هؤلاء يعتقدون أن المهدى سيظهر يوماً غيماً الدنيا عدلاً ، كما ملئت جوراً ، ويزيل الباطل ، وقد رأى على بن عبد الله أن يجعل نفسه هذا المهدى المنتظر ، ومن هنا أعلن أنه ينحدر من آل البيت ، وأنه علىوى النسب ليكون ذلك وسيلة لادعاء المهدية ، وقد بدأ هذا الادعاء سنة ٣٤٩ هـ ، وكان هناك أناس يستجيبون لكل ناعق فاتبعه هؤلاء ، وجبوا له الخراج ولكن كان هناك ناس آخرن امتنعوا عليه ، وكذبواه ، وبدأ بذلك صراع بين أتباعه وأعدائه ، ولم يكن أتباعه مخلصين له ، وإنما كانوا يتخذون هذه الحركة وسيلة لتحقيق أطماع خاصة بهم كما فعل الرجل نفسه ، وكان ذلك سبباً في فشل هذه المحاولة ، إذ لم تكن هناك عقيدة ذات بال يجتمع حولها الثائرون .

٢- الاتجاه للخارج :

اتجه على بن عبد الله اتجاهها جديداً تبنيًّا فيه فكر الخارج الذي يقرر المساواة والديمقراطية بين المسلمين جميعاً ، والمساواة والمديمقراطية هدفان تتطلّم لهما كل الطبقات الدنيا (١) ومن هنا رأى على بن محمد أن يصطنع هذا الاتجاه ليجذب جماهير الناس إلى دعوته .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٧٣ وابن العميد : تاريخ المسلمين ص ١٦٢ .

— ٥٤١ —

بيد أن الخوارج كانت قد دالت دولتهم ، وأصبح معروفاً أن الدماء الغزيرة التي أسالها الخوارج لم تأت بأية خائدة ، ولهذا لم يكن لهذا الإدعاء صدى ذو بال ، وفشلت هذه المحاولة كما فشلت المحاولة الأولى

٣ - علم الغيب والآلهية :

لم ييأس الرجل الذكي الطموح ، وأخذ يبحث عن طريق جديد ، وكان اضطراب الخلافة العباسية يزيداد فيزداد الرجل طموحاً ، فاتجه في محاولته الثالثة إلى إدعاء أنه ظهرت له آيات عرف بها خصائص أصحابه ، وقد استغل بوسائل متعددة ليعرف عن طريقها أخبار بعض أصحابه وميلولهم ، ثم أخذ يفاجئهم بهذه الأخبار على أنها من قدراته الخاصة ، وأنها يوحى بها إليه ، ثم تماهى في ذلك فادعى النبوة ، بل زاد في تماهيه فأعلن أنه يستطيع أن يفعل ما ليس في قدرة البشر^(١) .

ويذكر ابن أبي الحديد من إدعائه أنه رغب مرة في أن يعلم بعض أمور كان يريد معرفتها فسرعان مارأها مكتوبة على حاطئ أمامه دون أن يرى المكتب الذي كتبها^(٢) .

ومن الواضح أن هذا الإدعاء كان عميقاً في مجال الصالل ، ومن أجل ذلك انكمش عنه العقلاة من كانوا معه ، ولم يبق مؤيداً له إلا الأوغاد الذين لا يفكرون ولا يتذمرون ، وفشلت هذه المحاولة الثالثة .

٤ - زنج البصرة :

مرة أخرى لم ييأس الرجل ، وأخذ يبحث عن فرصة جديدة يندفع بها إلى أطماءه ، ولعله انتفع بتجاربه السابقة ، فأراد هذه المرة أن يسلك طريقاً أقرب إلى النجاح ، وكانت البحرين قد أدركت انحرافات الرجل

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٧٣ وابن العميد . تاريخ المسلمين ص ١٦٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٣١ .

فلم تعد مكانا صالحا لحركته ، فصعد إلى البصرة باحثا عن أهل جديد سنة ٢٥٤ هـ ، وفي البصرة وجد فتنة ناشبة بين بعض القبائل والبعض الآخر فاتجه إلى أن ينضم إلى أحد الفريقين أو أن يبني له مجدا على أشلاء المتراربين جميعا ، فبدأ يقوم بدعوة جديدة ، واتخذ من مسجد بالبصرة مركزا لهذه الدعوة ، ولكن عامل البصرة محمد بن ر جاء كان صارما فأمر بالقبض عليه هو وأتباعه ، كما أمر بالقبض على بعض زعماء القبائل المتصارعة ليقضى على صرائهم ، ولكن على بن محمد استطاع أن ينجو بنفسه ، وسقط بعض أتباعه في يد رجال الوالي ، وألقى بهم في السجن مع من قبض عليهم من أفراد القبائل المتصارعة .

وبعد فترة عزيل محمد بن ر جاء عن البصرة ، فقام رؤساء المتبائل التي كانت متصارعة بفتح السجون واطلاق من كانوا بداخلها ، فعاد أتباع على إليه ، وعاد هو إلى البصرة ليبدأ نشاطا جديدا .

والتحق على بن عبد الله آنذاك بالخيط الذي سيقوده إلى الهدف الذي يطمع فيه ، التقى بجماعات الزنج التي كانت تموج البصرة بهم ، وكان هؤلاء يشغلون بالبصرة أحرق الأعمال ، كما كانوا يعدون طبقة دنيا تعمل لدى السادة ، وتعطى كل قواها ولا تأخذ شيئا ذا بال ، ومن هنا كانوا يحسون بأنهم مظلومون في هذا المجتمع ، وكانت في قلوبهم شيرة مشتعلة ولكنها لا تصل إلى أفواههم ، ولا إلى أيديهم ، وكأنما كانوا يقطعون إلى القائد الذي يقود جماعتهم ليخلصهم من الهوان ويقضى على ظالميهم ، ويأخذ لهم حقوقهم ، وكان على بن عبد الله في الوقت نفسه قيادة كبرى تتطلع إلى الأتباع وتسعي للحصول عليهم بطريق أو بأخر ، وهكذا كانت لهؤلاء عنده حاجة وله عندهم حاجة ، وتصادف أن التقى على بن عبد الله بوحد من الزنج مسموع الكلمة بينهم اسمه ريحان بن صالح ، وأدرك على بن محمد أن ريحان طالب مال وطالب جاء ، فأغدق عليه من المال وأصطاده لنفسه ، ومن هنا أخلص ريحان لزعيمه كل الإخلاص ، وراح يجمع له وفود الزنج ، وفي الوقت نفسه راح « على » يشبع شغف

ريحان بالمال والجاه ويزيد في إكرامه واستغلاله ، ولما جاءت سنة ٢٥٥ هـ كان قد اكتمل حوله ١٢ ألفا من الزوج ، وفي يوم عيد الفطر من هذا اليوم صلى على بن عبد الله ب أصحابه ثم خطب فيهم خطابا حافلا قال فيه : أيها الأحبة ، آن الآوان لتحرروا من الفاقة والظلم ، وإن اجتمعكم سيفضمن لكم خيرات الأرض ، وستصبحون سادة الأرض التي تعيشون فيها ، وسادة هؤلاء الجبارية الذين يستغلونكم ويستعبدونكم ، وخلف لهم الأيمان العلاظ ألا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيئا من الإحسان إلا أنتي به إليهم ^(١) وادعى أنه رسول العناية الإلهية للتخلصهم من النّبل الذي يعانون ومن الرق الذي يكتب رقابهم .

ولما سمع الزوج ذلك أقسموا له على الطاعة المطلقة ، وسار بهم يبطش ويذمر وينهب ويسلب ، وكان هؤلاء الغوغاء يزدادون به إيمانا كلما نالوا من الخيرات والنعم .

وقد حققت حركات الزنج انتصارات واسعة فاستولت على الأنبطة واستسلمت لها عبادان ، ودخلت الأهواز وقتلت الكثير من أهلها ، ودمرت ما شاعت أن تدمر ، كما دخلت البصرة وخربتها وأهانه نجاحهم إلى واسط ثم انحدروا إلى منطقة الخليج فاستولوا عليها ، وامتد نشاطهم إلى عمان ، وأقام على بن عبد الله قاعدة حربية هائلة أسمها « المختار » وكانت المختار مدينة عظيمة بنيت لتكون عاصمة عسكرية ، وافتخار لها موقعا تحميء القنوات والمستنقعات التي تحيط بها ، وزودت بأعظم الأجهزة الحربية ، وكانت المختار من أسباب صمود الزنج وطول مقاومتهم ، وكان من أسباب ما حققه الزنج من نجاح إخلاصهم لقادتهم واحتياطهم المستنقعات والأدغال مكانا لحربهم ، وكان للزنج خبرة بالحياة في هذه المناطق أكثر من سواهم ، وانضم بعض البدو إليهم ليinalوا بعض ما يستولى عليه

(١) تاريخ الطبرى ج ١١ ص ١٧٦ .

— ٥٤٤ —

الجيش الزنجي من المغتائم ، ومن ناحية أخرى كانت الخلافة تعانى صراعاً في أمكنة مختلفة مما قتل الجهد الذي اتجه للزنج في مطلع حركتهم ٠

على أن حركات المقاومة جديرة ببعض الدراسة التي سنقوم بها فيما يلى :

حركات المقاومة

أشرنا فيما سبق إلى أن الطريق أمام على بن عبد الله كان مليئاً بالأشواك ، وفي الحق إن مقاومة عنيفة تصدت للرجل في جميع الخطوات التي خطها ، وصارعته كل المراحل التي مرّ بها ، فلم يكد يعلن محاولته الأولى في البحرين ويدرك أنه المهدى المنتظر حتى هب أكثر الناس في وجهه وأرغمه على الفرار إلى البدارية ٠

وعندما تبنى ذكر الخوارج وأراد أن يجذب له الطبقات الدنيا صارعه الناس ولم يستجيبوا له ، وأرغمه على التخلّى عن هذا الاتجاه ٠

وفي محاولته الثالثة التي ادعى فيها أنه يوحى إليه وأنه يعرف الغيب لم يبن إلا سخط الناس وسخريتهم ، بل تخلى عنه بعض من كانوا قد خدعوا به وأيدوه ٠

وإذا جئنا إلى حركته التي حققت نوعاً من النجاح بالبصرة نجد أن حركات المقاومة ضد هذه المدينة كانت أيضاً قوية وصارمة فقد هب أهل البصرة يقاومونه منذ دخل هذا الرجل مدینتهم ، وكان الوالي محمد ابن رجاء مبكراً في الوقوف في وجه هذا الرجل والقبض على بعض أتباعه وطرد الباقى ٠

وبعد محمد بن رجاء تجمع كثير من القبائل للوقوف بحزم أمام أطماع على بن عبد الله ، وفي القمة من هؤلاء المهالية والسعديه وكثير من الهاشميين والقرشيين ، فقد تجمع هؤلاء للقضاء على حركة على بن

ولما قوى أمر صاحب الزنج ، وأحسن أهل البصرة بعجزهم عن القضاء عليه طلبوا عون الخلافة العباسية ، وتدخلت الخلافة العباسية للقضاء على حركة الزنج ، وأعدت الجيوش أثر الجيوش لخوض معاون قاسية ضد هذا التجمع الأسود ، وكان من قواد الخلافة العباسية ضد حركة الزنج جعلان التركى ، وسعيد الحاجب ، والمنصور بن جعفر الخياط ، وقد بذل هؤلاء جهوداً كبيرة ، ولكنها لم تتحقق في القضاء على حركة الزنج ، وكان ذلك سبباً في إحداث تغير واسع في الحياة السياسية بالعاصمة ، فإن الأتراك الذين كان في يدهم السلطان أحسوا بفشلهم في حراسة دولة الخلافة ، فاتفق رأيهم على أن يعاد السلطان للعباسيين ليتولوا بأنفسهم حماية الديار ، ونتيجة لذلك أصبح الموفق أخوه الخليفة المعتمد قائداً عاماً للجيوش العباسية ، وصاحب السلطة العامة في الناحية السياسية ، وتحمل الموفق بذلك كل التبعيات السياسية والعسكرية باسمه واسم أخيه ، ووجه جهوداً كبيرة ضد الثنائيين على السلطان العباسي ، وبوجه خاص ضد حركات الزنج . . .

وقاد الموفق الجيش ضد على بن عبد الله ، ودارت بين القوتين معارك شرسة ، ولم يكن الموفق بالرجل الذي تقهقر جماعات الزنج على الرغم من كل الاعتبارات ، فصبر وصابر حتى بدأ النصر يأخذ جانبه ، وبدأت المهزائم تحل بخصمه ، ثم انكمش سلطان صاحب الزنج ، وتقهقر حتى حضر في مدينة المختار ، وأخذ يدافع عنها هو وجيشه بجسارة هائلة ولكن الموفق كان قد قرر ألا يخطو للخلف ، فبني مدينة مقابلة للمختارة ليعلن بذلك عن إصراره على حصار دائم حول المختارة حتى تسقط ، وبدأت المختارة تنفرد ذخائراًها العسكرية والغذائية ، وعاد الزنج يعانون في المختارة الجوع الذي دفعهم للالتفاف حول على بن عبد الله ، وكانت بطون هؤلاء الأوغاد تتحكم في عقولهم وفي حركاتهم ، فلما جاءت هذه البطون أخذت تتخلّى عن الزعيم ، وفي معركة مريرة حول المختارة استطاعت

— ٥٤٦ —

قوى الموفق أن تقتضم المدينة وأن تدمر جوانبها ، وأحس « على » بالنتيجة فولى هاربا ، وألقى بنفسه في أقرب نهر قابك ، ولكن جنود الخلافة المتقطوه وقضوا عليه ، وحملوا رأسه إلى قائدهم وقضى الموفق على بعض اتباعه ، واستسلم له آخرون فعفا عنهم ، وكان ذلك سنة ٢٧٠ هـ ، وقد سقط في حركة الزنج عدد هائل من الفريقيين يقدره ابن طباطبا^(١) بـ ٥٠٠ مليون ، وهو نفس العدد الذي يقدر المسيوطى^(٢) .

وقد خافت حركة الزنج أصرارا هائلة ، وبخاصة في الناحية الاقتصادية بسبب ما دمرت من بلاد ، وما حرقت من مزروعات ، وما أكلت من ثمار ، وبسبب توقف النشاط التجارى الذى كان نتيجة لتدمير الطرق والفزع الذى شمل مختلف البقاع الذى شملتها هذه الحركة .

ومن الناحية الاجتماعية عانى الناس كثيرا من الشقاء بسبب حركة الزنج ، وعرفوا الجوع ، وأكلوا الجيف مما سبب انتشار الأمراض والأوبئة وعانت الناس من الناحية الاجتماعية تلك التصرفات الجائرة التى قام بها الزنج ضد الأحرار والحرائر ، ويوم يتحكم العبيد في الأحرار تكون الطامة الكبرى .

ومن الناحية السياسية كانت حركة الزنج من الأسباب التى مكنته لتفكيك الدولة الإسلامية خلال العصر العباسي الثانى .

وكانت نهاية الزنج نهاية طبيعية إذ لم يكن هناك منهج ولا مبادئ لهذه الدعوة ، وكان الارتباط الذى يجمع بين أفرادها هو ارتباط المنفعة الذاتية والتزف المادى ، ومن هنا انهارت هذه الحركة عندما تخلفت المنفعة الذاتية وقل التزف ، فانفض الجمع وانحل العقد ، إذ ضاع الخيط الضئيل الذى كان يربط بين هذه الجموع .

(١) الفخرى ص ٢٢١ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢٢٤

- ٥٤٧ -

وهكذا منى العالم الإسلامي بهذه النكبة التي استمرت خمسة عشر عاما (٢٥٥ - ٢٧٠ هـ) وأكلت عشرات الآلاف من الأئمن ، ودمرت صورا من الحضارة الإسلامية ، وبعثت الرعب في النفوس والآفاق ، ولم يكن لها من هدف تسعى لتحقيقه ، ولا مأرب تعمل لنيله .

ومن الحق أن نقول إن ظلم كبار الملوك كان من أهم الدوافع التي أثارت عليهم الأرقاء والمزروج ، ولو أن هؤلاء المترفين أعطوا المزروج حقوقهم التي فرضا عليهم الإسلام لكان من الممكن ألا تقع هذه المأساة التي دمرت الأغنياء والفقراء جميعا ، وأحرقت الأموال ، وقضت على الثروات .

وفي ختام هذه الدراسة نقرر أن حركات هذا الرجل بدأت في هجر بالبحرين ثم انسابت على الخليج كله وكانت بذلك غير بعيدة عن الشاطئ الفارسي الذي كان يوحى بالكثير من الفتنة .

القراطمة ودولتهم

للتاريخ للقراطمة :

في مطلع حديثنا عن القراطمة نبرز نقطة مهمة تتصل بالتاريخ لهم ، فهناك بعض الباحثين الذين يتعاطفون مع القراطمة مثل الأستاذ مصطفى غالب الذي كتب عن القراطمة يقول : إن القراطمة في سلوكهم وفي علاقاتهم بعضهم ببعض وعلاقاتهم مع غيرهم أقرب إلى النزاهة والنساك منهم إلى الإباحية والخلاعة والمجون وغيرها من الصفات التي تذاع عنهم ^(١) .

وفي اعتقادى أن هذا القول ليس باطلًا كله فسنرى فيما بعد ألوانا من النظم السياسية والعسكرية والاجتماعية التي اتبعها القراطمة ، وكان فيها ما يستحق التقدير ، ولكن بجانب هذه الأشياء هناك مثالب قرهطية حفلت بها المصادر التاريخية وهى تبلغ الغاية في الانحراف والشذوذ .

هل يمكن أن يقال إن تاريخ القراطمة لم يدون بإنصاف ؟ لأن الذين دونوا تاريخهم كانوا يعيشون في أرض الخلافة العباسية أو الخلافة الفاطمية ؟ وكان العباسيون والفاطميون في عداء وصراع مع القراطمة ومن أجل هذا كانوا يذيعون عن القراطمة ألوانا من الاتهامات فسجلها هؤلاء المؤرخون دون أن يتعرفوا بطريق مباشر على القراطمة وأفكارهم ؟ ولو كان هناك مؤرخون عاشوا في البحرين إبان عهد القراطمة لنقلوا لنا حقيقة أمر هؤلاء .

وأليس عجياً أن دولة ينسب لها كل هذا الباطل تعيش حوالي قرنين من الزمان ، وتحقق كل هذه الانتصارات ؟

وقد عاصر القراطمة عدة دول كالطولونيين والإخشيديين والحمدانيين

(١) الحركات الباطنية في الاسلام ص ١٦٨ .

والصفاريين ، وكان القرامطة أطول عمراً وأثقل وزناً من كل هؤلاء ، وهل يمكن أن يتوفى ذلك لدولة ضربت في المضاليل إلى هذا المدى البعيد الذي يذاع عنها ؟

ثم إنه كان للقرامطة وزير ممتاز هو « كشاجم » وكان ابنه أيضاً جديراً بالتقدير ولهم تقاليد جديرة بالتقدير كذلك سفراها فيما بعد .

هل يمكن أن يقال أن بعض الانحرافات التي تنسب للقرامطة كانت من باب التحدي ، وكانت مواجهة لتصرفات صدتهم ، وستظهر في هذه الدراسة وجهة نظر القرامطة في بعض ما ارتكبوا مما يؤخذ عليهم .

وينبغى كذلك أن نتذكر موقف المستشرقين من التاريخ الإسلامي ، فإن المستشرقين يفهمون أن يصوروها كثيرة من الفرق الإسلامية في أسوأ صورة ، ويرحبون بكل رواية تصف بعض الفرق أو بعض الأشخاص بما يشين ، فيلتقطون هذه الرواية ويسألون في عرضها وإذاعتها ليملئوا تاريخنا بما يدعوه للنفرة والاشمئزاز .

وعلى كل حال فنحن شديدو الرغبة في إنصاف التاريخ لو وجدهنا وسيلة لذلك ، ولكن كل ما أمامنا من المؤرخين الثقات يدين القرامطة ويسمّيهم بأبشع الصفات ، وقد عاصرهم الطبرى (٣١٠ هـ) وكتب عنهم ، وسنقتبس الكثير منه فيما بعد مما يدينهما ، وعاصرهم ثابت بن سفيان (٣٦٥ هـ) وكتب عنهم الكثير مما اقتبسناه منه ، وعاصرهم وعانياً شذوذهم أديب ذائع الصيت هو أبو العلاء المعري (٤٥٠ هـ) وكتب عنهم يقول : « قيل عن أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي : لو عوقب بلد بمن يسكنه لجاز أن تؤخذ به جنابه ، ولا يقبل لها إثابة ، ولكن حكم الكتاب المنزك أجدر وأحرى ، فلا تتر وازرة وزر أخرى » (١) .

وقد زارهم الرحالة الفارسي ناصر و خسرو وهو يقدم لنا وصفاً

(١) رسالة الغفران ص ٣٨٤ و « جنابة » هي بلدة أبي سعيد الجنابي وستحدث عنها ص ٥٦١ .

— ٥٠٠ —

بمشاهداته يدل على ما عانته هذه البلاد تحت حكم القرامطة ، يقول ناصر و خسرو : « دخلت الأحساء سنة ٣٤٢ هـ وكانت محاطة بأربعة أسوار بين كل سورين فرسخ ، وفيها ينابيع المياه العظيمة ، ويوجد بها كل ما يوجد في البلاد المتقدمة ، ولكن ليس فيها مسجد تقام فيه الصلاة ، وتتابع في الأحساء لحوم جميع الحيوانات حتى الحمير والكلاب ، ومن عوائدهم القبيحة المشهورة ليلة « المشوش » وهي ليلة عيد يجتمع فيها الرجال والنساء فيعبثون ويلعبون ويشربون الخمور ، وتدور رعوسهم فيفعلون القبيح ^(١) .

ذلك مطلع حديثنا عن القرامطة نشير فيه مختلف الاحتمالات ، ولكننا عندما نجيء لدراسة تاريخهم نجدنا ملتزمين باحترام التراث الذي سطّرّه عنهم شيوخ الباحثين والمؤرخين ، والذي يوحى بانحراف القرامطة عن الإسلام والبعد عن صراطه المستقيم ، فذلك هو الطريق الذي لا طريق لنا سواه .

(١) ناصر و خسرو : سفر نامة ترجمة الدكتور يحيى الخشاب
ص ١٣٠

الباطنية

مذهب تتحتم دراسته للتعرف على القراءة

ما الباطنية؟

تحدثنا عن الباطنية في الجزء الثاني من هذه الموسوعة^(١)، ووضحنا أن الباطنية تعنى أن كثيراً من آيات القرآن، وكثيراً من الفرائض الإسلامية لها معنى ظاهر ومعنى باطن، فمعنى الصيام في الظاهر إمساك عن الطعام وعن العاشرة من الفجر حتى غروب الشمس ولكن معناه في الباطن كتمان أسرار الأئمة، ومعنى الحج في الباطن زيارة الشيوخ وهكذا^(٢)، والباطنية يظهرن أمام العامة بالظاهر الإسلامي، ولكنهم يستعملون الفكر الباطني أمام خاصتهم، وعلى هذا فهم قوم يظهرون الإسلام ولكن عقائدهم واتجاهاتهم الفكرية تخالف الإسلام في كل أساسه، فهم لا يعترفون بالخلق، وهم يبطلون النبوة، وينكرن العادات والبعث، ولكنهم لا يظهرون هذه الاتجاهات في أول أمرهم^(٣).

ومذهب الباطنية ينحدر من الفكر الفارسي، وهو حيلة ابتكرها المجوّس لينالوا من الإسلام دون مواجهة صريحة للمسلمين، فقد كانوا يكرهون الإسلام، ولكنهم لا يستطيعون إعلان كراهيتهم فلجأوا إلى تأويل آيات القرآن، وسنن الرسول بما يفسد الإسلام، ويرضى هواهم^(٤).

وكان الباطنية يقدمون أفكارهم بحذر، وكانوا يخطون خطواتهم بالتدرج، فهم أولاً يختارون ضحاياهم من العوام والجهلة والمشككين، وهم ثانياً يبدأون بإثارة شكوك حول الإسلام، كأن يتتساعلوا: لماذا

(١) ص ١٨٤ وما بعدها.

(٢) انظر أربع رسائل اسماعيلية لعارف تامر ص ٩٣ - ٩٧.

(٣) ابن الجوزي: تلبيس ابنليس ص ١٠٤.

(٤) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٨٥.

اختلقت ركعات الصلوات ؟ ولماذا يقبل الناس الحجر الأسود مع أن الإسلام أبطل الأوثان ؟ وما معنى الغسل ؟ ولماذا يجب الغسل من نزول المني وهو ظاهر دون المبول وهو نجس ؟ ٠٠٠ وهم ثالثا لا يسلكون بالجميع مسلكا واحدا ، ويحتكمون على الداعي عدم إفشاء أسرارهم إلا للخواص المستحبين لدعوتهم ، وينقل الإمام الغزالى نصيحة زعماء الباطنية لدعائهم الا يسلكون بالجميع مسلكا واحدا ، وأن يخاطب الدعاة الناس على قدر عقولهم واستجابتهم (١) ٠

وينبغى أن يتضح أنه مع الجهد الكبير الذى قام به الباطنية لم يستجب لهم إلا قلة دفعتهم دوافع العصبية أو الشعوبية أو الجهل إلى الانحراف بالإسلام إلى هذا الاتجاه ٠

والباطنية أساس حركتين كبيرتين إحداهما قامت على شطائىء الخليج العربى ، والأخرى قامت في الشمال الإفريقي ، وكان القرامطة ثمرة الأولى ، وكان الفاطميون ثمرة الثانية ، ومن هنا سارت الحركتان على نمط واحد تقريبا ، وحملتا فكرا يكاد يكون متفقا ، ويقول الشيخ محمد أبو زهرة : إن الإسماعيلية والقرامطة من الشيعة الغلاة الذين خالط مذهبهم بعض آراء من عقائد الفرس القديمة ، ومن الأئمكار الهندية فانحرفو تحت تأثير ذلك (٢) ٠

وجاء في كتاب « كلشن خلفا » أن هذه الطائفة ظلت تخرج في كل زمان ومكان بأسماء مختلفة ، فكانت في مصر وحلب وأطرافهما تسمى الإسماعيلية ، وفي فارس وطبرستان السبعية ، وفي بغداد وما وراء النهر القرامطة ، وفي الأحساء والبحرين القرامطة أو الجنابية ، وفي أصفهان الباطنية (٣) ٠

(١) فضائح الباطنية : ص ١٢٧ ٠

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية . ج ١ ص ٦٤ ٠

(٣) نقل الشيخ ذلك عن كتاب كلشن خلفا تأليف نظمى مرتضى تعريب موسى كاظم ص ٧٤ ٠

— ٥٥٣ —

ولكن ينبغي أن يتضح أن هناك فرقاً كبيراً سرعان ما اتبثق واقتسم بين أفكار الباطنية هنا وهناك ، وقد نتج هذا الفرق عن سبعين كبيرين هم :

الأول : نوع الدعوة الذين حملوا الفكر الباطني بمنطقة الخليج كانوا غالباً ينحدرون من أصل فارسي ، وعلى هذا كانوا شديدي التمسك به والخلاص له ، وقد وصل بهم الحال إلى اعتباره الفكر الصحيح ، ونسوا أنه كان في الأصل وسيلة مزيفة للعدوان على الإسلام ، أما الدعاة الذين حملوا الفكر الباطني بالشمال الإفريقي فلم يكونوا ينحدرون من أصل فارسي ، وبالتالي لم يكونوا أعداء للإسلام وكانوا طلاب سلطة محسب ، ودعاة من الشيعة الذين يرون أن أبناء على "أحق بالخلافة من العباسيين" *

الثاني : مركز الدعوة : فالدعوة الباطنية التي قامت بمنطقة الخليج نشأت وتترعررت في منطقة حفل تاريخها بانحرافات متتالية إذ ظهرت بها الودة وحركات التنبؤ والخوارج الغلاة ، وغيرها من الحركات المعادية للإسلام ، ولم يكن ذلك مصادفة بل إن المنطقة كانت مهيأة لهذه الحركات للأسباب التي سبق أن شرحناها حول هذه المنطقة ، أما الدعوة الباطنية التي قامت بالشمال الإفريقي والتي سرعان ما انحدرت إلى مصر ، فقد قابلت بهذه المناطق وبخاصة بمصر شعوباً لها تاريخ حضاري عميق ، ولها بالإسلام إيمان ثابت ، وكانت مدرسة الدراسات الإسلامية بمصر مزدهرة منذ عهد الولاة ، وقد اشترط ممثلوا الشعب المصري على جوهر الصقل قائد الجيوش الفاطمية الزاحفة من الشمال الإفريقي إلا يتدخل في عقائد المصريين الذين كانوا يتبعون المذهب السنوي ويتمسكون بـ^(١)

وقد رأى الفاطميون أن من الإسلام لهم أن يستبعدوا المبالغات

(١) المريزي : اتعاظ الحنفاء ٦٧ - ٧٠

والانحرافات بقدر الامكان لثبت دوبلتهم ، وقد شرحنا ذلك وأعطينا له
نماذج في كتابنا « تاريخ التربية الإسلامية » .

ونعتقد أن الخلاف بين فرقتي الباطنية أو قل بين القرامطة والباطنيين
كان من الأسباب التي أدت في النهاية إلى المواجهة العسكرية بين الطائفتين
اللتين تتجدران من أصل واحد .

وبعد هذه الدراسة عن الباطنية نتجه للقرامطة وهم الفرع الذي
اعتنق الفكر الباطني ، وسيار فيه إلى أبعد الشوط ووقف من المسلمين
مؤقتاً بشديد القسوة والعداء .

تسمية القرامطة :

عندما ندرس تاريخ القرامطة نقابلنا قضية التسمية ، ونبحث فيها
فتواجهنا آراء متعددة سنسردها فيما بعد ، ولكن تعدد الآراء يوحى للباحث
بأن في القضية غموضاً والتوااء ، وهو شأن مثل هذه المذاهب التي تنشأ في
الظلام ، وتلتوي أفكارها ، ولا تجتمع على شيء إلا على مناهضة الإسلام
وعقadelه وبادئه ، ولنسر مع الباحثين على كل حال لفرى ما يقولون
حول هذه التسمية :

- ١- توجع التسمية إلى رجل بإحدى القرى بسواحل الكوفة اسمه
جمدان بن الأشعث ويُلقب « كرميته » لحرمة عينيه ، وكرميته بالنبطية
أحمر العينين ، وقد التقى هذا الرجل برجل من الباطنية وأفاد من الأهواز
لبسمه حسين الأهوازى ، وكان هذا يتظاهر بالورع والزهد والتقصيف
وبكثرة الصلاة ، ويدعو لإمام من أهل البيت ، وكان هذا الرجل مريضاً
فحمله « كرميته » إلى منزله وعنى به ، وببدأ الذهب ينتشر من هذا
البيت - كما سنرى فيما بعد - ونسب الذهب إلى كرميته باعتباره الذي
آوى الداعية ، وحث الناس على اتباع مذهبها ، أو نسب الداعية إلى كرميته

- ٥٥٥ -

لأنه يعيش في حماه وينطلق بدعوته من بيته وعن طريق الجموع الذين جمعهم كرميته للاققاء بالداعية ^(١) .

٢ - ينسب القرامطة إلى حمدان بن الأشعث نفسه ، وهو رجل كان يعيش بسواحل الكوفة ولقب قرمطاً لأنَّه كان قصيراً ، وكانت رجلاه قصيرتين ، وكان خطوه بذلك متقارباً ، فنعت بالقرمطي لذلك ، وكان هذا الرجل قد أظهر الورع وأضمر المكيدة والخبث ^(٢) .

٣ - ذكر بعض العلماء أن لفظة قرامطة نسبة إلى مذهب يقال له القرامطة ، وهو مذهب خارج عن مذاهب الإسلام ، وهو بهذا نسبة إلى مذهب باطل وليس منسوباً إلى رجل ^(٣) .

٤ - يرى الدكتور فيليب حتى أن لفظ « قرمط » معناها الملم السرى ^(٤) وكانت دعوة القرامطة حافلة بالأسرار .

تلك خلاصة ما ذكرته أدق المراجع عن التسمية وأبرزها يدور حول داعية شيعي فارسي التقى بحمدان (قرمط) وكان هذا يظهر النسخة وينضر المكيدة والخبث ، وقد نفت كل من الرجلين في صاحبه ألوان الشر ، فكل منهما سيء العقيدة ذكي ، يعرف الطريق لنشر الفكر المغتصب ، والبيئة خولهما كانت مستعدة للاستجابة لهذا الانحراف .

من الأهوازى إلى حمدان :

والتقى الأهوازى بحمدان كما سبق القول ، وسائل الأهوازى حمدان عن الطريق إلى بلدة يقال لها « قس بهرام » فقال له حمدان : أنا قاصدنا .

(١) انظر تاريخ أخبار القرامطة لثابت بن سنان ص ٨ و ٩ .
(٢) ابن النديم : القرمطي صاحب الخال من كتاب « تاريخ أخبار القرامطة » ص ٧١ والمقريري : الحسن الأعصم من الكتاب السابق ص ١٠٩ .

(٤) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج ٢ ص ١٨٩ بالهامش .

فسيارا معا ، وأدرك الأهوازى من حديثه مع حمدان أن هذا يمكن استغلاله ، وأن به صفات من الخبر وضحالة العقيدة ترشحه لزيادة من التعاون ، وبعد شوط من الطريق عرض حمدان على الأهوازى أن يركب وراءه شوطا من الطريق ، فرفض الأهوازى قائلا : لم أومر بذلك . فعجب حمدان من هذه الإجابة وسائل الأهوازى : كأنك تعمل تبعا لأوامر تقدم لك ؟ فقال الأهوازى : نعم . فسأل حمدان : ومن الذي يأمرك ؟ فأجاب الأهوازى : مالكى ومالكى ومن له الدنيا والآخرة . فبهت حمدان وقال : يا هذا ما يملك ما ذكرت إلا الله فقال الأهوازى : نعم ، والله يهب ملكه لمن يشاء .

وأدرك حمدان أن هذا الرجل ليس عاديا فسأله : ما ت يريد من القرية التي سألتني عنها ؟ وأدرك الأهوازى أن الزمام أصبح بيده ، وأنه يمكن أن يبدأ الشوط الثاني من التأثير بعد أن نجح في الشوط الأول فقال لحمدان : دفع إلى جراب فيه علم وسر أثمرت أن أغنى به هذه البلدة وأملأهم أعظم الثروات وإن أخرج أهلها من الجهل إلى العلم ، ومن الصال إلى المهدى ، ومن الشقاء إلى السعادة ^(١) . وتفتحت آمال حمدان أن يكون ضمن من يناله الغنى والثراء ، فتضرع إلى الأهوازى أن يضممه إليه ، وأن ينchezه مما به من بؤس وفاقة ، فقال الأهوازى : لا يجوز ذلك حتى آخذ عليك العهود والمواثيق ، فوافق حمدان وأقسم على السمع والمطاعة في السر والعلانية ، وطلب حمدان من الأهوازى أن ينزل بيته ، فقبل لأنه أصبح مریدا مخلصا لدعوته ، وفي بيت حمدان توافد إخوانه حيث أعطوا العهود والمواثيق للأهوازى وبدأت دعوته في الانتشار ، وعندما حضرته الوفاة أوصى بعده لحمدان وقضى نحبه ، وكان حمدان أوفي خلف لهذه الدعوة الضالة ^(٢) .

(١) الإمام الغزالى : فضائح الباطنية ص ١٤ .

(٢) المقريزى : الحسن الاعصم من كتاب « أخبار القرامطة »

هصادفة خطيرة :

أصبح منزل حمدان مركزاً خطيراً للدعوة الجديدة ، وقد اتبع حمدان سيرة سلفه فتح الناس على العبادة المصلحة والصدقة بكل آموالهم استعداداً لملك الأرض الذي ينسب لهم ، وقد تسبب عن تفرغ عدد كبير من الناس للعبادة أن قتل العاملون في ضياع « الهيضم » فسأل عن سبب ذلك فأخبر بخبر حمدان ومرديه ، فألقى الهيضم القبض على حمدان وسائل عن مذهبة فأدرك انحرافه وضرره بالمجتمع ، فحكم عليه بالاعدام ، وحدد لتنفيذ ذلك صباح اليوم التالي ، فأودع حمدان في حجرة أحكام الهيضم قفلها ووضع المفتاح تحت وسادته ، واستغل بالشراب ، وكان في بيت الهيضم جارية تتبع الذهب الشيعي فرقت لحال حمدان ، وانتظرت حتى نام سيدها ، فأخذت المفتاح وأخرجت حمدان وأعادت قفل الباب ووضعت المفتاح حيث كان .

وفي الصباح فتح الهيضم ليقتل حمدان فلم يجده ، فشاع ذلك في الناس ، وقال بعضهم : إنه (uffman) وظهر حمدان في ناحية أخرى ، وقال إن الإلحاد لا يمفعه ، فأصبح ذلك كرامة لدى الجماهير ، والثف حوله عدد أكبر من الأتباع ^(١) ولكن قرمط عنى باختيار مرديه فلم يكن يقبل في جماعته أحداً إلا بعد اختبارات طويلة ومراسيم خاصة تؤكد له قبولهم التام لتعاليم الذهب ، وتفانيهم في سبيل قيادته دون تردد أو تفكير .

وادعى قرمط أنه الإمام ، واختار من مرديه اثنى عشر نقيباً أمرهم أن يحملوا المدعوة إلى الناس ، وبقى هو أسطورة يخترق فيحدث عنه أتباعه ، ويظهر فيكونون له ، وهو في الحالين يأمر نبياترون بأمره .

وعن طريق ادعاء الشيخ نشر القراءة خلاة لهم واستقطبوا

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٤٨ . حسين النجفي : تاريخ الكوفة ص ٣٧٣ .

جماعات من الشيعة والمنحرفين وذوى الأطماع ، وقد ساعدتهم ذلك على أن يخطوا خطوة جديدة هي التحول إلى نشاط سياسى عسكري كما سترى فيما بعد .

عقائد القرامطة :

قلنا من قبل إن القرامطة ينحدرون من الباطنية ، واقتبسنا من الإمام الغزالى ومن غيره صورا من الفكر الباطنى ، ونريد هنا أن نقول إن القرامطة بحكم انتسابهم للفرس ، وبحكم البيئة التى نشروا بها مبادئهم وهى بيئة الخليج ، طوروا أفكار الباطنية وأضافوا المثير إلى خسالاتهم ، إذ كانت الاستجابة لهم مشجعة على المزيد من التطرف ، ومن أجل هذا نورد هنا تصويرا لعقائد القرامطة :

كان القرامطة بحكم انتسابهم للمذهب الباطنى يرون إن للقرآن والسنّة معنى ظاهراً ومعنى باطناً ، وقد راح القرامطة يتتوسعون في هذا المعنى الباطن ، ويضيفون له الكثير مما يفسد الإسلام والمسلمين ، وبهذا قالوا بحل الخمر ، وبأنه لا غسل من الجنابة ، وبأن الصلاة في اليوم أربع ركعات ، ركعتان قبل الشروق وركعتان بعد الغروب ، وأن الصوم يكون يومين في السنّة : يوم المهرجان ويوم النيروز ، ثم خط زعيم القرامطة عن مريديه الصوم والصلاحة وجميع الفرائض وقال لهم : هذا كلّه موضوع عنكم ، ومعرفة الإمام تغريككم عن كل شيء .

وكان القرامطة يرون أن دم مخالفיהם حلال ، وأن أموال مخالفיהם حلال كذلك (١) .

وكان القرامطة على دين الجوس ، ويستدل البغدادي على ذلك

(١) أبو الحسن الملطي : التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع
ص ٢٨

بقوله : مما يؤكد ميل الباطنية إلى دين المجوس أنا لا نجد على ظهر الأرض مجوسيا إلا وهو شديد الود لهم ^(١) .

وقال القرامطة بالشيوعية في النساء والأموال ، وكان مما استند إليه زعيم القرامطة في شيوعية الأموال قوله لرفاقه : ما حاجتكم إلى الأموال الآن ، وستنهى عليكم الثروات وتكون لكم كل الأرض بما عليها من نعيم ، وقال لهم : هذه محتنكم التي امتحنتم بها ليظهر مدي استجابتكم ، فاستجابوا له وجمعوا الأموال في موضع واحد من كل قرية ، وأقام في كل قرية رجلا من الثقات يرعى هذه الأموال من غنم وبقر وحلى ومتاع وغير ذلك ، ويقدم للناس جميعا الطعام والكتناء بما يكفيهم ويسد حاجتهم حتى لم يبق فيهم فقير ولا محتاج ^(٢) .

من حركة دينية إلى مذهب سياسي :

ذكرنا فيما سبق أن حركة القرامطة بدأت في ثوب الدين بشكل مباًأى بدأت باسم الإمام وأسم المهدى ، ويقول الدكتور برنارد تلبيس « إن قرمط له صلة نسب بالإسماعيلية ^(٣) أو أنه في الحق كان ينسب نفسه إلى آل البيت فييد عى أنه من نسل الإمام جعفر الصادق » يقول ابن العديم عن القرمطي صاحب الحال إنه ادعى أن اسمه أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ^(٤) وعن طريق التشيع جمع القرامطة حولهم كثيرين من الشيعة ، وكثيراً من كانوا يتذمرون في الشيعة لإحداث اضطرابات في الدولة الإسلامية ممن أسميناهم « مدعى التشيع » ^(٥)

(١) المفرق بين الفرق : ص ٣٨٦ .

(٢) المقريزى : الحسن الاعصم من كتاب تاريخ القرامطة ص ٩٩ وابن الجوزى تلبيس ابليس ص ١١٠ وابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٧٠٥ .

(٣) The Origin of Ismailism p. 122.

(٤) تاريخ أخبار القرامطة ص ٦٩ .

(٥) انظر الحديث عن مدعى التشيع في الجزء الثاني من موسوعة التاريخ الإسلامي للمؤلف .

وعندما كثر عدد القرامطة ، وقوى جانبيهم وتخلصوا من المتأففات حول الأموال وتوقعوا خيرات الأرض تنهال عليهم بدأوا يتوجهون اتجاهها سياسياً يتحققون به هذه الأحلام ، ويضيرون الأمة الإسلامية التي كان الكثير منهم يطمع في تحطيمها ، ويبدو أن قوة القرامطة بلغت شأوها قبيل نهاية صاحب الزنج ، إذ يروى أن زعيم القرامطة قابل يوماً صاحب الزنج ، وقال له : إني على مذهب ورأي ، ومعي مائة ألف ضارب سيف ، فتتاظرني فإن اتفقنا على المذهب ملت لك ، وإن تكون الأخرى انصرفت عنك ، فتتاظرا فاختلفت آراؤهما فانصرف القرامي عنده^(١) ولكن يبدو أن زعيم القرامطة أدرك أن حركة الزنج كانت تميل للمغيض فلم يشأ أن يربط نفسه بها ولا شك أن هذا اللقاء يوحى بالروابط بين الحركتين الفاسدتين .

ومن معالم الموصول إلى الهدف السياسي وإقامة دولة أن اهتم القرامطة بالسلاح ، وسمح زعيم القرامطة للأقباعه — بعد أن تخلصوا من كل ممتلكاتهم — أن يمتلكوا ما يشاؤن من السلاح ، ثم اتفقوا على بناء دار هجرة فأقاموا سوراً في إحدى القرى بسوان الكوفة ، وجعلوا عرضه ثمانية أذرع ، ومن ورائه خندق عظيم ، وبنوا داخل السور المباني الكثيرة ، وتحول الرجال والنساء إلى دار المиграة سنة ٢٧٧ هـ كل ذلك والخطيبة في بغداد مشغول بصاحب الزنج وكثرة الفتنة ، وقد تسبب عن نمو قوة القرامطة أن الذين لم يتبعوا مذهبهم من الناس خافوهم وانضموا إليهم ، فلم تكن هناك قوة تحمى الناس منهم ، إذ أخذ زعيم القرامطة دم المخالفين — كما ذكرنا من قبل — ولم يبق أمام القرامطة بذلك إلا أن يظهر القائد الذي يقود هذه الجحافل ليكون من بينهم دولة قوية ، وكان أبو سعيد المجنابي هو القائد القوي المتصدى الذي قدر له أن يقود هذه الجماعة ، وأن يؤسس دولة وراثية بمنطقة البحرين هي دولة القرامطة ، ورؤسائه هذه الدولة كانوا ينعتون « السادة » وشجرة نسبهم كالآتي :

(١) كتاب أخبار القرامطة ص ١٢ .

— ٥٦١ —

١ - أبو سعيد الجنابي		
حوالى سنة ٢٨٦ - ٣٠١ هـ		
٥ - أحمد	٣ - أبو طاهر	٢ - سعيد
٣٥٧ - ٣٣٢	٣٣٢ - ٣٠١	٣٠١
٦ - الحسن الأعصم	٤ - ساپور	
٣٦٧ - ٣٥٨	٣٣٣	

ويلاحظ أن دولة القرامطة بدأت قبل الجنابي بأكثر من عشر سنوات واستمرت بعد الحسن الأعصم حتى سنة ٤٦٩ هـ أى أن عهدها كان حوالى قرنين .

وبعد الحسن الأعصم انتقلت السلطة إلى رجلين من القرامطة اسمهما جعفر وإسحق المجريان ، أو إلى جماعة كما يقول زامباور ^(١) ، وستتكلم عن هؤلاء الحكام واحداً بعد الآخر .

أبو سعيد الجنابي

من حمدان إلى أبي سعيد :

قلنا من قبل ان حركة القرامطة بالبحرين ارتبطت في مطلعها برجل فارسي من الباطنية اسمه حسين الأهزوي ، وأن هذا التقى بحمدان بمنطقة الكوفة التي كانت حافلة بالسطط والثورة والتسيع والانحراف ، فألقى إليه فكره واتجاهاته ، ووُجِدَتْ هذه في طبيعة حمدان أرضًا خصبة فنمت وتزعمت ، وأصبحت داره — كما قلنا من قبل — مركزاً يموج بالدعوة وبالمریدین ، وخطا حمدان خطوة أخرى لنشر الدعوة فاختار الدعاة والنقباء من بين أتباعه .

(١) معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ج ١
ص ١٨٠ .

(م ٣٦ - التاريخ ج ٧)

وكان من بين الدعاة رجل داهية طموح شديد الانحراف عن الإسلام هو أبو سعيد الجنابي ، وهو ينسب إلى بلدة « جنابة » وهي بلدة صغيرة على سواحل فارس بينها وبين سيراف أربعة وعشرون فرسخاً (١) ويروى ثابت بن سنان أن هذا المزعيم قدم من خوزستان (٢) ولا خلاف بين الروايتين فالأخولى تنتسبه إلى القرية التي نشأ بها والثانية تنتسبه إلى الإقليم ، وقد أحسن هذا استقبال دعوة حمدان وأصبح من أشد الم COMMUNISTS لها ، ولكن أبرز شيء نسبه إليه هو حسن اختيار المكان الذي ينشر فيه دعوته فقد اتجه دعاء حمدان ونقباوه هنا وهناك فخففت أصواتهم ، وقتلتها المقاومة التي كان يقوم بها المسلمين صادقو الإسلام وحماته ، أما أبو سعيد فاختار منطقة البحرين على مقربة من بلاد فارس حيث الأرض الخصبة للدعوات الشاذة ، وانحدر أبو سعيد إلى القطيف ليغرس هذه الدعوة التي وجدت لها أخصب البقاع .

وهكذا نجدنا أمام تحوش هائل للدعوة القرمطية ، تحوش وضيع حدا للكوفة وبقاعها لتبرز بديلاً عنها منطقة البحرين ، وتحوش عن حمدان ودعاته إلى أبي سعيد الجنابي الذي أصبح محور الدعوة وأسس نجاحها .

أبو سعيد في القطيف :

نزل أبو سعيد القطيف حوالي سنة ٢٨٦ هـ وكانت القطيف آنذاك كما يقول المريزي (٣) — مدينة عظيمة واسعة ، وكان رجالها أئمداداً جهالاً ، وفي القطيف جلس أبو سعيد يبيع الدقيق ، واصططع حسن المعاملة مع الناس ، ليختار منهم من يقدم له دعوته ، واستطاع أن يعثر

(١) المريزي : الحسن الاعصم ص ٩٥ من كتاب (تاريخ أخبار القرامطة) وياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ١٤٢ .

(٢) تاريخ أخبار القرامطة ص ٧ .

(٣) اتعاظ الحنفا : ص ٢١٢ .

بسهولة على طلبه ، وكان أول من استجاب له بنو سنبر ^(١) ويومما بعد يوم ذات دعوة أبي سعيد بين الناس ، ووُجِدَت قبولاً عند الكثيرين ، فتفرغ لها أبو سعيد ، وترك التجارة ، وأخذ ينفق على الدعوة مما كان عنده من مال ، ومما قدمه له الطامعون من أتباعه .

وتقدم أبو سعيد خطوة أخرى فاتجه إلى الأعراب والنبطيين الذين يعيشون حول منطقة البحرين ومنهم بالغنى والجاه ، وكان الغنى والجاه أهم ما يسعى إليه هؤلاء الناس ، فاستجابوا بحماسة للدعوة الجديدة في انتظار أن يتحققوا بذلك أحالمهم ، وقدم لهم أبو سعيد هدية اتفقتو مع معيولهم هي إعفاءهم من التكاليف الدينية ، وكان ذلك تبعاً للفكر الذي يقرر أن معرفة الإمام تغنى عن التكاليف الدينية الأخرى .

وكان في هذه المنطقة بقلياً من الزنج الذين فشلت حركتهم فعادوا إلى العنااء وشطاف العيش ، وقد وجد هؤلاء في دعوة أبي سعيد تجديداً لآمالهم وبخاصة أنه لم يكن لهؤلاء مبادئ ، وكان المال كل هدفهم ، وكان أبو سعيد يمني أتباعه بالجاه والمال — كما سبق — فانحاز إليه هؤلاء وأخلصوا لدعوته ^(٢) .

وأصبح لأبي سعيد بذلك أتباع كثيرون يرون في انتصاره نصراً لهم ، فاستطاع أبو سعيد أن يستولى بهم على القطييف وعلى ما جاورها من مدن وقرى ، وترك أتباعه أن يسلبوا من الأموال ما شاءت لهم نفوسهم ، وكان ذلك أعظم تشجيع يقدمه أبو سعيد لأتباعه فزاد هؤلاء له إخلاصاً ولمبادئه تأييداً .

وأخذ أبو سعيد يضرب هنا وهناك ، وكان النصر حليفه في أكثر

(١) المقرizi : الحسن الاعصم من كتاب تاريخ أخبار القرامطة ص ١٠٣ .

(٢) انظر دول الاسلام الذهبي (عهد المعتمد العباسي) .

— ٥٦ —

ال المعارك التي خاضها وقد استطاع بذلك أن يوسع دائرة نفوذه حتى شملت منطقة البحرين ، وامتدت امتداداً فسيحاً على الخليج العربي وضمت بعض مناطق البدو المجاورة لمنطقة الخليج *

وقد اتجه أبو سعيد إلى مهاجمة مناطق متعددة في العراق والشام وعمان والجزار ومصر ، وربما لم يكن يطمع في الاستيلاء على كل هذه المناطق ، ولكن كان على الأقل يرمي إلى السلب والنهب لإشباع مطامع أتباعه ، كما كان يرمي إلى تهديد الخلافة العباسية ، وكان بعض أتباعه من أمثال زكرويه اللعين يعشقون إراقة الدماء لذاتها تنكيلاً بالمسلمين ، وسعياً وراء إيقاف ما يستطيع إيقافه من مبادئ الإسلام كتعطيل الحج باقتهاك حرمة البيت الحرام ، والعدوان على الحجاج ، وتعطيل المصلحة بتدمير المساجد *

ويصف المؤرخون الفظائع التي ارتكبها زكرويه مع الحجاج رجالاً ونساء وأطفالاً ، فيذكرن أنه كان يسد الآبار بجيف القتلى حتى يموت الحجاج عطشاً ، وكان بعد المعارك يأمر نساء القرامطة أن يدرن بالماء بين الجرحى ليتعرفن بذلك على الجرحى الذين لم يموتوا بعد ليقتلنهم (١) *

أما تنكيل القرامطة بالمسلمين في البلاد التي دخلوها فيرويها ثابت ابن سنان بقوله إن القرامطة دخلوا حماة ومعرة النعمان وغيرها فقتلوا أهلها ، وقتلوا النساء والأطفال ، ودخلوا بعلبك فقتلوا أهلها ولم يبقوا منهم إلا القليل ، وصالح أهل سلمية زعيم القرامطة بعد أن أمنهم فلما دخلها قتل جميع من فيها من بنى هاشم ولم يبق منهم أحداً ، وقتل النساء والصبيان والفقهاء والشيوخ والبهائم وخرج القرامطة منها وليس

(١) ثابت بن سنان : تاريخ أخبار القرامطة ص ٣٢ - ٣٣

— ٥٦٥ —

بها عين تطرف ، ودخلوا في القرى المجاورة يسلبون ويقتلون وينهبون
ويائرون من المنكرات مالا عين رأت ولا أذن سمعت ^(١) .

وقد حاولت الخلافة العباسية إيقاف هذا الباطل بقدر طاقتها فخرجت
جيوشها لمواجهة اللعين زكرويه بعد الذى قام به ضد الحجيج وثبتت
معركة هائلة في ربيع الأول سنة ٢٩٤ هـ بين المريدين وقد انتصر جند
الخلافة انتصارا باهرا في هذه المعركة ، وسقط من القراءطة عدد لا
يحصى ، وضرب زكرويه ضربة سقط منها يتلوى وحمل هو وأله أسرى ،
ومات بعد خمسة أيام ^(٢) .

وإذا كانت الخلافة العباسية حققت نصرا في هذه الموقعة فإن
القراطمة طالما حققوا انتصارات ضد الآمنين ضد الجيوش العباسية
على السواء .

وقد استطاع أبو سعيد بالدعاهية تارة وبالحروب تارة أخرى أن يكون
دولته فسيحة في منطقة البحرين ، وفيما جاورها من مناطق الأعراب حكمها
هو وأولاده من بعده حوالي قرنين من الزمان .

نهاية أبي سعيد :

وفي سنة ٣٠١ هـ قتل الجنابي وكان قاتله خادما صقليا كان ذم من
الأسرى الذين حصل عليهم القرامطة في صراعهم ضد جيوش الخلافة
العباسية في البصرة ، وكان هذا الخادم يبيدو عليه النشاط والذكاء ،
فاصطفعه أبو سعيد ، وجعله من المقربين إليه ، وبمرور الزمن تحقق
الخادم مما كان يشاع عن القرامطة من الانحراف الدينى ، إذ لم
يشاهد سيداه قائما للصلة أو صائما في رمضان ، ومن هنا أسره الخادم

(١) ثابت بن سنان : تاريخ أخبار القرامطة ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) المترجم السابق ص ٣٥ .

— ٥٦٦ —

في نفسه أهراً ، فانتهز فرصة دخول سيده الحمام ، وكان هو حارس باب الحمام لسيده فاندفع الخادم نحو سيداه ومعه خنجر حاد وقضى عليه ، ثم خرج الخادم وهو ممس في آذن قائد من خاصة أبي سعيد كأنما يطلبه لقابلة الحاكم ، ولما خلا الخادم بهذا القائد قتله أيضاً ، وفعلاً ذلك بأربعة آخرين من رؤساء القرامطة ، ولم يفطن للخطر إلا الخامس فقبض على الخادم وقتله^(١) .

سعید بن أبی سعید

سعید هو أکبر أبناء أبی سعید ، وبه كان أبوه مکنئی ، وكان أبو سعید قد عهد له بالأمر من بعده ، ولكن كفاءته لم تكن تملأ الفراغ ، فعجز عن القيام بالأمر ، وتقدم أخوه أبو طاهر سليمان فامتلك زمام الدولة وأصبح الحاکم الجديد لها .

أبو طاهر سليمان

إذا كان أبو سعید الجنابی قد أقام دولة القرامطة بالبحرين ، فإن ابنه أبو طاهر سليمان اتجه لثبتیت الدولة ، ووضع نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سنبحثها فيما بعد ، ولكن ثبیت الدولة لم يكن يسيراً ، فالخلافة العباسیة لم تدع له فرصة للاستقرار ، وأرادت القضاء على انحرافه وانحراف دولته ، ومن ثم قام صراع مرير بين القرامطة والعباسیین ، وكان أبو طاهر فيما يبدو هبّا للدماء ، فاتجه بشراسة إلى سفك الدماء ونهب الأموال ، والقتل والتدمیر دون وازع أو ضمير ، ومما يروى من شعره في ذلك قوله :

أَنَا بِاللَّهِ وَبِاللَّهِ أَنَا
يُظْلَقُ الْخَاقَ وَأَفْنِيهِمْ أَنَا^(٢)

(١) المرجع السابق ص ٣٦ والكامل لأبن الأثير ج ٨ ص ٨٤ .

(٢) حسين أحمد النجفي : تاريخ الكوفة ص ٣٧٥ .

ومع أن اتجاهنا في هذه الدراسة لا يميل إلى تفاصيل الأحداث في الحروب ، فإن دراسة تاريخ القرامطة تحتم أن نتخطى هذا الاتجاه ، وأن نعطي بعض التفاصيل عن المعارك ، لأن تاريخ القرامطة ، وبخاصة في هذه الفترة ليس إلا تاريخ الدم المراق ، والقرى التي التهمتها النيران ، والملاي المسلوب ، وقد اتسع صراع أبي طاهر ، فشمل عدة مناطق ، ولكن البصرة والكوفة والنجاش نالت من العسف والمعدون أكثر مما حل بسواها ، ولذلك نتكلم عن كل من هذه البلاد كلما بقدر ما يتسع المجال .

وقد أبتدأ أبو طاهر صراعه ضد البصرة سنة ٣٠٧ هـ حيث هاجمها بقواته واستباحها ثم رجع عنها ، أما الجولة العاتية التي عانتها البصرة من أبي طاهر فقد حدثت سنة ٣١١ هـ ويحكي ابن الأثير قصتها فيقول : سار أبو طاهر في قوة قوامها ١٧٠٠ رجل ، حيث تمكنا من دخول المدينة بعد أن تسلقوا سورها ، ونحوها في فتح بابها وقتلوا الموكلين به ، وعلم إلى البصرة بما كان من القرامطة فتوجه إليهم في قوة من جنده ، وأشتبك معهم في قتال عنيف ، تمكنا القرامطة خلاله من قتلهم ، ووضع السيف في رقباب أهل البصرة ، وأسفرت الموقعة عن انتصار ساحق للقرامطة ، فقتل من أهل البصرة الخلق الكثير ، واندفع بعضهم إلى الماء فغرقوا فيه ، وظل أبو طاهر وجنده في البصرة سبعة عشر يوماً جموا خلالها ما استطاعوا جمعه من المال والأمتدة والسبايا ، ثم عادوا إلى هجر (١) .

وبعد البصرة اتجه أبو طاهر إلى الكوفة سنة ٣١٢ هـ ، وقد استطاع أن ينتصر على جند الخلافة ، وكان يقودها جعفر بن ورقاء الشيباني ، ودخل أبو طاهر وجنده الكوفة وسلب منها ودمر كما شاء ، وعاد أبو طاهر إلى الكوفة مرة أخرى سنة ٣١٥ هـ ، فأرسلت الخلافة العباسية جيشاً لقتاله بقيادة يوسف بن أبي الساج ، ولكن القرامطة دخلوا الكوفة قبل

(١) الكامل في التاريخ : ج ٨ ص ١٤٤ .

أن يصل هذا الجيش ، وسلبوا ما كان بها من طعام وأموال ، ولما وصل جيش أبي الساج قابله القرامطة ، ودارت بين الفريقين معركة كبيرة انتصر فيها القرامطة ، وقتلوا ابن أبي الساج وأسروا عدداً كبيراً من جنده ^(١) .

وإذا اثنينا إلى الحجاز وجدنا هجمات القرامطة متصلة وقاسية على مكة المكرمة ، وعلى الطرق المؤدية لها ، وعلى الحجاج الوافدين من مختلف البقاع ، ففي سنة ٣١٢ هـ اعترض أبو طاهر وأتباعه الحجاج ، وهم في طريق عودتهم من مكة ، وأنزلوا بهم السوء وأخذوا أموالهم وأمتعتهم وقتلوا منهم عدداً يقدره (ابن تغري بردي) بأكثر من ألفين ، وأسروا مثل هذا العدد ، وعاد أبو طاهر بالأموال والأسرى إلى هجر ^(٢) .

وفي سنة ٣١٧ هـ دخل أبو طاهر سليمان مكة ، فأوقع بأهلها وهاجم الحجاج وهم متعلقون بأسوار الكعبة ، فقتل منهم وأسر ، واقتلع الحجر الأسود ، كما اقتلع أبواب الكعبة وجدرها من كسوتها ، واستولى على ما كان بها من آثار وتحف ، كما استولى على أموال أهل مكة وعاد بكل ذلك إلى هجر ^(٣) .

وكان اقتلاع الحجر الأسود والعدوان على الحجاج فاجعة كبيرة أثارت سخط المسلمين في كل جانب ، وضاعفت كراهية الناس للقرامطة ، وأكدت انحرافهم عن الإسلام ، وجهودهم لتدمره ، وتعطيل ركن مهم من أركانه [•] .

هل قصد القرامطة من اقتلاع الأسود ومن العدوان على الحجاج
أن يُظهروا الخلافة العباسية بمظهر الضعف ليثبتوا بذلك مكانهم ؟

(١) المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٢) النجوم الزهرة : ج ٣ ص ٢١٢ .

(٣) غريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى ج ١٢ ص ٧٠ .

هل قصدوا بذلك المساومة على الحجر لينالوا المال نظير إعادته ؟

هل كان أبو طاهر يرمي إلى جذب الحجيج إلى هجر بدلاً من مكة ؟

يمكن أن نجد في التاريخ إجابات مختلفة لهذه الأسئلة ، ولكن الذي نعتقده أن القرامطة في هذه الآونة كانوا يتصرفون بدون أهداف وازمة إلا هدف السلب والذهب والتدمير ، ليرضي الرعاع والغوغاء الذين كانوا يكتون الجزء الأكبر من القرامطة .

ومع أن الخلافة الفاطمية كانت قد قامت آنذاك في الشهاد الإفريقي ، ومع أن هذه الخلافة كان يهمها تدمير سمعة العباسيين وتدمير هيبتهم ، ومع أنه كانت هناك صلات بين الفاطميين وبين القرامطة ، مع هذا فإن الفاطميين ساءهم أن يصل الأمر بالقرامطة إلى اقتحام الحجر الأسود وأخذه من مكانه بالبيت الحرام إلى هجر ، فكتب الخليفة الفاطمي إلى أبي طاهر يلومه على فعلته ويأمره أن يرد الحجر الأسود إلى مكانه ويرد على أهل مكة ما أخذه منهم . وختم الخليفة الفاطمي رسالته إلى أبي طاهر بقوله : وإن لم تفعل ذلك فأننا برىء منك في الدنيا والآخرة (١) .

ويبدو أن أبو طاهر كان قد اتجه للتمرد على كل القوى ، فاطمية كانت أو عباسية ، ولذلك لم يستجب لطلب الخليفة الفاطمي كله ، واقتصر على بأن رد بعض الأموال إلى أصحابها ، ولم يرد البياعي مدعياً أنه أتفق على الجند ، كما لم يرد الحجر الأسود ، بل استبقاه ليهدى به . ولم يساوم به . ولم يعود الحجر الأسود إلى مكانه إلا بعد وفاة أبي طاهر بسبعين سنوات وكان ذلك في عهد أحمد أخيه سنة ٣٣٩ هـ ، وكان ذلك إجابة لطلب شاطمي جديد تقدم به الخليفة المنصور الفاطمي (٢) . وقال القرامطة أخذناه

(١) ابن الأثير : ج . ص ٢٨٠ .

(٢) دكتور محمد جمال الدين سرور . سياسة الفاطميين الخارجية

بأمر ونعيده بأمر ، وقد بقى عندهم اثنين وعشرين عاما (١) .
بقي أن نذكر التعليل الذى يقوله القرامطة لعدوانهم على بيت الله
الحرام وعلى مساجد المسلمين ؟

يقول القرامطة إن سبب ذلك أننا وجدنا أن الحجاج يرتكبون الكثير
مما يخالف الإسلام ، وأن الأموال التى يحجون بها فيها الكثير من
السحت وأموال اليتامى ، وأن المساجد يدرس فيها الكثير من الأحاديث
المكذوبة على الرسولة ، ويجلس للتدريس بها شيوخ فجرة يؤيدون كل
 الخليفة مهما جار أو غشم ، ولا يحفظون هيبة العلم (٢) .

وفيهما يلى كلمات أبي طاهر سليمان يشرح فيها الخليفة الفاطمى
بإفريقية سبب ما أنكره عليه أى هذا الشأن : أما ما ذكرت من قتل
الحجيج ، فوالله ما فعلت ذلك إلا بعد وضوح الحجة كاتصال الشمس ،
فقد أدعى هؤلاء أنهم أبرار وعayıـت فيهم أخلاق الفجار ، فحكمت عليهم
بحكم الله ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، وأما ما ذكرت
من إحراق المساجد ، فائي أمكن أحق بالخراب من مساجد إذاً توسيطتها
سمعت الكذب على الله تعالى وعلى رسوله بأسانيد عن مشايخ فجرة بما
أجمعوا عليه من الضلاله وابتدعوا من الجهمة (٣) .

وقد نظم الشاعر العيونى « ابن مقرب » قصيدة طويلة ذكر فيها
آثام القرامطة ، وذكر جهد أسرته « الأسرة العيونية » التى سنتكلم عنها
فيما بعد ، وفي هذه القصيدة يصف الشاعر موقف القرامطة من المساجد
بقوله :

(١) انظر الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ١٦٢ وما بعدها و ج ٨ ص ٤٥
وما بعدها .

(٢) انظر كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة للحمد اليماني
ص ١٤ .

(٣) على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفى ص ٤٤٨ .

- ٥٧٩ -

وَمَا بَنُوا مَسْجِدًا لِّلَّهِ نَعْرَفُهُ بَلْ كُلَّمَا أَدْرِكُوكُمْ قَائِمًا هُنَّ مَا

بقيت كلمة عن المعارك الدموية الأخرى التي خاضها القرامطة ، وفي هذا المجال نذكر أن أحاديثنا عن معارك البصرة والكوفة والهزار ينبغي ألا تنسينا أن القرامطة هاجموا مناطق أخرى في الجزيرة العربية والمغرب سالبين ومدمريين ، ومن هذه المناطق عين التمر والأثبار ، بل هددوا ببغداد نفسها ، وأصبح اسمهم يثير الخوف والذعر في جميع الأنهاء .

القرامطة والفاتحون في عهد أبي طاهر :

ما يذكر عن أبي طاهر أن علاقة القرامطة في عهده بدأت تسوء مع الخلافة الفاطمية ، وقد سبق أن ذكرنا أن الإسماعيلية والقرامطة شعبان من الباطنية ، وإن الشعوبان كانتا تتتقان في محاولة النيل من الخلافة العباسية ، فلما قامت دولة القرامطة في البحرين ، والدولة الفاطمية في الشمال الإفريقي بدأت المافحة بين الدولتين الجديدين ، وكان الفاطميون يطمعون في ولاء القرامطة لهم ، ولكن القرامطة كان موقفهم متذبذباً بين الولاء والتمرد وكان إلى التمرد أقرب .

ولعلنا نسبق الأحداث فنقرر أنه عندما امتد نفوذ الفاطميين إلى مصر والشام ، وامتد نفوذ القرامطة عبر الحجاز إلى الشام كذلك ، بدأ صراع عسكري بين القوتين ، ولم يهدأ هذا الصراع إلا مع ضعف القرامطة ، بعد أن نزلت بهم بعض الهزائم التي جعلت نشاطهم ينكمش وقواتهم تتراجع .

هزائم القرامطة في عهد أبي طاهر :

لم تكن حياة أبي طاهر انتصاراً كلها ، بل نزلت بالقرامطة في عهده هزائم قاسمة ، ومنها هزيمته سنة ٣١٦ هـ حيث اجتمع بسواد الكوفة حوالي عشرة آلاف من القرامطة بقيادة حرث بن مسعود ، واجتمع بعشر

المتمر جمع كبير منهم بقيادة عيسى بن موسى ، وقد أرسل الخليفة العباسى المقتدر هارونَ بن عريب إلى حرث ، وأرسل صافى البصري إلى عيسى واستطاع جيشا الخلافة أن يدمرا قوة القرامطة ، فقتلها عددا كبيرا من محاربيهم ، وأسر أكثر من نجا من القتل ، ويقال ان خروج أبي طاهر سنة ٣١٧ هـ للعدوان على مكة كان محاولة للتأثير لجماعته التى هزّها انهزام أتباعه .

بيد أن انتصار أبي طاهر في مكة لم يكتمل على النحو الذى أراده ، فإن جموعا من قبائل هذيل بن مدركة قاتلوا جنود القرامطة وهم عائدون من مكة بالأسرى والأموال ، واصبكتوا معهم في قتال استطاعوا به أن يستولوا على كثير مما كان لدى القرامطة من مال مسلوب ومثار منهوب ، كما هيأت هذه المعركة الفرصة لبعض الأسرى ليغروا من أسر القرامطة .

نهاية أبي طاهر :

في سنة ٣٣٣ هـ مات أبو طاهر ميتة مزوية ، إذ أصيب بالجدري ، فأكله هذا المرض يوما بعد يوم حتى قضى عليه .

بابور

قلنا من قبل أن أبي طاهر سلب السلطة من أخيه سعيد الذى كان أبوه قد عهد له بها ، ودار الزمن دورته وجاء أوان الانتقام بنفس المصورة التي فعلها أبو طاهر ، فإن أبي طاهر عهد بالأمر إلى ابنه سابور ، وتولى هذا فعلا بعد أخيه ، وأحسن سابور أن عمه أحمد قد يحاول أن يغتصب الأمر منه ، فألقى القبض عليه وسجنه ، ولكن سابور لم يستطع أن يديري دفة الأمر ، كما أن حيلا قوية أطلقت أحمد بن أبي سعيد من سجنه ، ومكنته من الاستيلاء على السلطة من سابور ، ووضع أحمد ابن أخيه سابور في السجن الذى كان هو فيه من قبل ، ولاقي سابور نهايةه في السجن ، فلم يبر النور بعد ذلك ، وزيادة في الحرث نفى أحمد بن أبي سعيد أولاد أبي

طاهر (أخوة سابور) وأشياعهم إلى جزيرة (أوال) (البحرين الآن)
واستقر الأُمر لأحمد بن أبي سعيد .

أحمد بن أبي سعيد

قلنا آنفاً أنَّ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي سَعِيدٍ اسْتَولَى عَلَى الْحُكْمِ بِالْقُوَّةِ وَالْحِيلَةِ وَمَعَ هَذَا فَقَدْ سَارَعَ الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ فِي اسْتِرْدَارِ قَرَارِ بَقْوَيْلَةِ أَحْمَدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ أَمْرَ الْبَحْرَيْنِ ، وَكَانَ الْقَائِمُ يَرْمِي بِذَلِكَ إِلَى خَلْقِ جُوْ مِنَ الْوَدِ بَيْنَ الْحَرَكَتَيْنِ الْمُتَحَدَتَيْنِ الْأَصْلِ بِالشَّمَالِ الْإِقْرِيقِيِّ وَبِسَاحِلِ الْبَحْرَيْنِ ، كَمَا كَانَ يَرْمِي بِطَرِيقِ غَيْرِ مُبَاشِرٍ إِلَى اِبْرَازِ سُيَادَةِ الْفَاطِمِيِّينَ عَلَى الْقَرَامَطَةِ ، وَأَنَّ الْقَرَامَطَةَ أَتَيْتَ الْقَوْيِ الْفَاطِمِيِّةَ ، وَقَدْ سَارَ الْفَكَرُ الْفَاطِمِيُّ آنِذَكَ عَلَى مُحاوْلَةِ اِحْتِوَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ لِلْقَرَامَطَةِ ، فَجَدَّدَ الْفَاطِمِيُّونَ إِلَصَارَ عَلَى ضَرُورَةِ رَدِّ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ إِلَى مَكَانِهِ ، وَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ الْمُنْصُورُ الْفَاطِمِيُّ بِذَلِكَ إِلَى أَحْمَدَ بْنَ أَبِي سَعِيدٍ — كَمَا ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلِ — وَقَدْ اسْتِجَابَ هَذَا وَرَدَ الْحَجَرَ إِلَى مَكَانِهِ سَنَةَ ٣٣٩ هـ وَكَانَ الَّذِي حَمَلَهُ سَبْرَ بْنَ الْحَسِينِ بْنَ سَبْرٍ (١) .

وَعَلَى الْعُمُومِ لَقَدْ كَانَ عَهْدُ أَحْمَدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ عَهْدٌ هَدْنَةٌ بِالنِّسْبَةِ لِلْفَاطِمِيِّينَ ، وَكَانَ بِالنِّسْبَةِ لِلْعَبَاسِيِّينَ عَهْدًا قَلِيلًا لِلْحَرَكَاتِ الْعَدَائِيَّةِ ، وَمِنْ ثُمَّ فَأَهْمَمَ مَا يَمْتَازُ بِهِ هَذَا الْعَهْدُ هُوَ تَنْمِيَةُ النَّظَمِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِقْتَصَادِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي عَنِيَّ بِهَا الْقَرَامَطَةُ عَنْيَايَةً كَبِيرَةً وَالَّتِي سَنَتُكَلِّمُ عَنْهَا فِيمَا بَعْدَ .

الحسن بن أحمد (الحسن الأعصم)

جاءَ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ وَهُوَ الْمُسَمَّى الْحَسَنُ الْأَعْصَمُ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَقَدْ شَهَدَ عَهْدَ الْحَسَنِ الْأَعْصَمِ تَحْوِلًا خَطِيرًا فِي عَلَاقَاتِ الْقَرَامَطَةِ بِالْخَلَافَةِ

(١) المقريزى : الحسن الأعصم ص ١٠٤ .

العباسية والخلافة الفاطمية ، وقد سبق أن ذكرنا أن القرامطة هاجموا الشام ضمن ما هاجموا من أقاليم تابعة للخلافة العباسية ، وشنوا لانتصاراتهم وتجنبًا لإراقة الدماء تعهد إلى الشام التابع للخلافة العباسية أن يدفع لهم إتاوة سنوية ، وكانت هذه الإتاوة جزءاً من الكسب المادي الذي كان القرامطة يحرصون عليه ٠

وفي مطلع عهد الحسن الأعصم مدّ الفاطميين سلطانهم إلى مصر فالشام ، وبالتالي قطعت الإتاوة التي كانت الشام تدفعها للقرامطة ، وكان ذلك جانباً مما حول العلاقة بين القرامطة والفاتميين إلى الحدة والتوقير ٠

وهناك جانب آخر مهم هو أن الفاطميين كانوا يشجعون القرامطة في صراعهم ضد العباسيين ويشجعونهم في حركاتهم المدمرة بالمناطق المختلفة بالجزيرة العربية ، وكان هدف الفاطميين من ذلك أن يشغلوا العباسيين حتى يكتُروا دولتهم في الشمال الأفريقي وفي مصر والشام ، والخلافة العباسية في شغل شاغل عنهم ٠

وهناك نقطة ثالثة كبيرة الأهمية أثرنا لها من قبل وهي أن الدعوة الفاطمية ودعوة القرامطة بينهما صلة مشتركة وأصل واحد ، وبالتالي كانوا يقفن في كفتي الميزان موقفاً متعادلاً ، ثم حقق الفاطميين انتصاراً لهم الهائلة في الشمال الأفريقي وفي مصر والشام ، وأعلنوا خلافتهم ، وفي الوقت نفسه كانت حركات القرامطة حركات تدميرية تشبه الثورات الطارئة التي لم يوضع لها أساس معيين ، وبالتالي حاول الفاطميين احتواء القرامطة ، وجعلهم جزءاً من خلافتهم وممتلكاتهم ، ولم يكن قبول ذلك الموضع هيينا على القرامطة !

من أجل هذا اتجه القرامطة أن يحولوا سياستهم تجاه الفاطميين من تعاون وود إلى صراع وحروب ، وقد تم ذلك التحول في عهد الحسن

الأعصم واستلزم ذلك التحول أن يحاول الحسن مهادنة العباسيين ، والانضمام لهم في صراعهم ضد الفاطميين ، ويروى في ذلك أن الحسن الأعصم سأله الخليفة المطیع الله على لسان عثر الدولة بختيار البویهی - أن يوليه أمر الشام ومصر ، أو يمده بالمال والرجال ليحارب الفاطميين ، ويخرج المعز لدین الله من القاهرة ، فرض الخليفة ذلك ، قائلا : كلهم قرامطة وعلى دین واحد ، ولكن عز الدولة بختيار ساعد الحسن الأعصم بمال وسلاح ليقوم بالصراع ضد الفاطميين ، وحينئذ كتب المعز لدین الله إلى الحسن الأعصم كتابا يذكر فيه فضل نفسه وأهل بيته ، وأن دعوة القرامطة كانت له وإلى آبائه من قبل ، ودعا القرامطة إلى الطاعة ، وتوعدهم وهددهم إن استمرروا في عصيانهم ، وسيئر الكتاب إلى القرامطة ، فكتب إليه الحسن بن أحمد ردا نصه « وصل جوابك الذي كثـر تفصـيلـه وقل تحصـيلـه ، ونـحن سـائـرـون إـلـيـكـ عـلـىـ أـثـرـه ٠٠٠٠ » (١) ، وهـكـذا أـسـفـرـ العـدـاءـ بـيـنـ القرـامـطـةـ وـبـيـنـ الفـاطـمـيـنـ ، وـأـسـقـطـ الحـسـنـ بـنـ أـحـمـدـ اـسـمـ المعـزـ لـدـینـ اللهـ مـنـ الـخـطـبـةـ فـيـ بـلـادـ الـبـحـرـيـنـ وـأـقـامـهـ بـاسـمـ الخليـفةـ العـبـاسـيـ المـطـیـعـ (٢) ، بل أمر الحسن بن أحمد بأن يتلعن المعز لدین الله هو وأبواه على المنابر ، وكان يقول : هؤلاء من ولد القداح كذابون أعداء الإسلام ونحن أعلم بهم (٣) ٠

والمهم الآن أن نذكر أن صراعا طويلا موريا قام بين القرامطة وبين الفاطميين في خلال عهد الحسن الأعصم ، وشهدت سنة ٣٦٠ هـ جولات هائلة في هذا الصراع كانت الشام الفاطمية مسرحا لها ، ولم يكتف القرامطة بالشام ، وإنما اندفعوا نحو مصر ، وانضم لهم كثيرون من كانوا يتبعون العباسيين من أهل الشام ، واتجه القرامطة إلى مصر التي

(١) دكتور محمد جمال الدين سرور : ساسة الفاطميين الخارجية
ص ٤٩ ٠

(٢) ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٤ ٠

(٣) تاريخ اخبار القرامطة ص ٥٩ - ٦٠ ٠

تحصن فيها جوهر الصقلى ، وأقام الاستحكامات الالازمة ، ثم التقى جوهر بالقراطمة في عدة وقفات في منطقة عين شمس وغيرها ، حقق الأقراطمة النصر في بعضها ، ولكن نزلت بهم هزائم قاصمة في البعض الآخر ، وكانت هذه الهزائم مما أوقف خطر القراءة إلى الأبد .

مصر تقضي على القراءة :

قامت مصر بدور كبير في الحروب الصليبية ، وفي الصراع ضد التتار ، وأشتهر هذا الدور عند القراء والمفكرين ، ولكن مصر دوراً كبيراً في حروب القراءة لم يأخذ نصيبه من الشهرة ، وقد وضحه ثابت بن سنان في كتابه عن تاريخ القراءة ، ونحن نقتبس منه بعض كلماته في هذا المجال :

— في شهر جمادى الأولى سنة ٢٩٠ حاصر القراء مدينة دمشق ونصب على أهلها وقتل أصحاب طنج بن جف واليها ، وأشرف أهل دمشق على الهاك .. فآمد المصريون أهل دمشق بمجموعة من الجنود والقادة فقاتلوا القراء وهزموهم أشد هزيمة وقتلوا زعيمهم الذي كان يزعم أنه إذا أشار بيده إلى الجهة التي فيها محاربوه انهزموا ، وكان يكتنى « أبو يحيى : الشيف » (١) .

— في شوال من السنة نفسها وقعت معاربة بين القراء وجيش مصر في عهد أحمد بن طولون ، فانهزم القراء ولم يقدر على المقاومة لشدة بأس جيوش مصر وجسارتهم وصبرهم على القتال وما أظهروه من الشجاعة ، ففتكتوا بالقراءة فتكا ذريعاً ومزقوهم كل ممزق (٢) .

— وصل القراءة في مصر إلى مدينة تقرب من « عين شمس » سنة ٣٠٦ هـ فخرج لهم جند مصر وحملوا على القراءة من المدينتين فانهزم

(١) المرجع السابق ص ١٩ .

(٢) تاريخ أخبار القراءة ص ٤٣ .

من بها وتراجعوا إلى خيام القرامطة ، ولحق بهم جند مصر فدمروا خيامهم ، وكبسوا هم فيها ، فاضطروا إلى الهزيمة وولوا الأدبار راحلين إلى الشام (١) .

ويذكر المؤرخون أن الجيوش الزاحفة من مصر ضد القرامطة قاتلت بعض الحيل العسكرية التي يسرت انتصارها ، فقد استطاع جوهر أن يدس رجالاً من عنده من الذين يشق فيهم بين جموع القرامطة ، وهناك ظاهر هؤلاء بالسطح على الفاطميين وعلى كراهيتهم ، ولكنهم كانوا يعملون في الخفاء على إحداث أنواع من الخلاف والنزاع بين جموع القرامطة ، كما أنهم كانوا عيوناً لجوهر في صفوف القرامطة فنكلوا له — سراً — خطط هؤلاء وأحوالهم ، مما مكن لجوهر من إفساد خططهم والإيقاع بهم (٢) .

وهناك حيلة مماثلة قام بها المعز لدين الله بأن راسل حسان بن الجراح الطائى أمير العرب بالشام الذى كان قد انضم إلى القرامطة فى هجومهم على مصر ، وقد استطاع المعز أن يستميل حساناً إلى جانبه سراً ، وقدم له عطايا مالية سخية — وتم الاتفاق بين الاثنين على أن يقتصر حسان بتأييد القرامطة ثم ينهزم عنهم فى لحظة معينة ويتركهم هو ورجاله نهباً لجيش المعز ، وقد نفذ حسان هذا الاتفاق ، فاضطررت القرامطة وأنهزم جيشهم هزيمة ساحقة ، وسقطوا بين قتيل وأسير (٣) .

ولما جاء العزيز بالله مال إلى سياسة الماءدة مع القرامطة واتجه لجذبهم لجانبه حتى لا يستمروا قوة هائلة في جانب أعدائه العباسيين ، ومن أجل هذا راسلهم ، واتفق معهم على العودة للعلاقات الطيبة مع

(١) المرجع السابق ص ٥٨ .

(٢) دكتور حسن ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر ص ٥٩ .

(٣) تاريخ أخبار القرامطة : ص ١٠٧ .

الفاطميين ، على أن يكون هناك صفح شامل لكل ما ارتكبه القرامطة من مخالفات وما أسالوه من دماء ، وعلى أن يخلى القرامطة الشام ويعودوا إلى البحرين ويقدم الفاطميون للقرامطة مساعدة مالية قدرها ثلاثون ألف دينار ، وقد تم الاتفاق على ذلك ، وأمن العزيز بالله بذلك جانبهم ، وانحصرت قوات القرامطة في الإحساء^(١) .

وعلى هذا فقد كان عهد الحسن الأعصم عهدا حافلا بالتحركات والاتجاهات ، ولكته وضع القرامطة في مواجهة مصر أحقت بهم أشد الهزائم مما جعل دولتهم تتوجه للفتور ، وتميل نحو النهاية .

أدب الحسن الأعصم :

كان الحسن الأعصم شاعرا مجيدا ، يروى أنه لما نزل الرملة أحضر إليه الخدم في بعض الليالي شموعا ، فقال لكتشاجم كاتبه : يا أبا نصر ، ما يحضرك في صفة هذه الشموع ؟ فقال كتشاجم : إنما نحن في مجلس السيد لنسمع من كلامه ونستفيد من أدبه ، فقال الحسن بن أحمد في الحال مرتجلة :

ومجدولة مثل صدر الفتاة
تعسرت وباطنه سا مكتسى
إذا غازلته سا الصئبا حركت
لسنانا من الأذهب الأميس

ومن شعره قوله :

إنى امرؤ ليس من شأنى ولا أربى
طبل يزن ولا ناي ولا عسود

(١) ابن القلنسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠ .

ولا اعتكاف على خمر ومجمرة
وذاك دل لها سحر وتجديد

ولا أبیت بـَطِینَ البطن مـَن شـَبـَع
ولـَى رـَفـِیقٍ خـَفـِیضٍ الـَّبـَطـُن مـَجـَهـُود
ولا تـَسـَامـَت بـِی الدـَّنـِیـَا إـِلـَى طـَمـَع
يـَوـْمـَا وـَلـَا غـَرـَنـِی فـِیـَهـَا الـَّمـَاعـِید

زمن مختار شعره أيضا :

لـَه مـَقـْلـَة صـَحـَّت وـَلـَكـُنْ جـَفـَونـِهـَا
بـِهـَا هـَرـَض يـَسـِبـِی الـَّقـَلـُوب وـَيـَقـَّلـَاف
وـَخـَدـُ كـُورـَد الـَّرـَوـَضـِ يـَتـَجـَّذـَی بـَأـَعـِینـِهـَا
وـَقـَد عـَزـًّا حـَتـَّی أـَنـَه لـَمـَیـِس يـَنـَطـَّکـَ
وـَعـَطـَفـَة صـَدـَغـِ لـَو يـَعـَلـَمـُ عـَطـَفـَهـَا
لـَكـَانـُ عـَلـَیـَ عـَشـَاقـِهـِ يـَتـَعـَطـَّفـَ (١)

بعد الحسن بن أحمد

ذكرنا من قبل أن أحمد بن أبي سعيد نفى أولاد أخيه أبي طاهر سليمان إلى جزيرة أولال، وكان ذلك العمل مطلع التقسيم داخلى خطير في جهة القرامطة، وقد اتضحت ذلك إبان الصراع بين الحسن الأعصم وبين الفاطميين، فقد انتهز كثير من القرامطة الفرصة ليتجهوا نحو اخراج الأمر عن أولاد أبي سعيد جميعا، وأن يتمردوا على الحسن الأعصم نفسه، وبوفاة الحسن الأعصم نجح هذا الاتجاه، إذ اختير رجال من هجر هما جعفر وأسحق الهجريان، فقاما بأمر القرامطة، وعادا للولاء الشامل مع الفاطميين، وبالتالي لمصارعة العباسين.

(١) المcriizi : المرجع السابق ص ١١٠ - ١١١ .

وكان هذا الانقسام بين أبناء أبي سعيد الذين يعيشون في الإحساء والذين يعيشون في أوال ، ثم كان التناقض بين القادة الجدد ، كان هذا وذلك بالإضافة إلى المهزائم التي مُتّسِّرَ بها القرامطة ، من أسباب الانحدار بهم نحو النهاية التي سنتحدث عنها فيما يلي :

نهاية القرامطة :

ليس هناك تاريخ محدد لنهاية القرامطة ، ويقولون إنه لا يزال هناك بعض القرامطة يعيشون في الأحساء حتى العهد الحاضر ، أما دولة القرامطة فقد كانت نهايتها بطيئة ، ولم تسقط دفعة واحدة ، وإنما ظهرت عليها علامات الضعف ، واستمر الضعف يزداد والمشاكل تجتمع مدة طويلة حتى كانت النهاية الحاسمة ، وسنحاول فيما يلي السير مع دولة القرامطة ، وهي تضعف ثم تكتب شتم تختفي :

ولعل من أهم أسباب ضعف القرامطة وقوتهم بين أعظم قوتين في العالم الإسلامي ، وهما القوة العباسية والقوة الفاطمية ، ولم يكن في طوق القرامطة أن يقاوموا هاتين القوتين الكبيرتين .

ثم كان هناك الانقسام الذي حدث في صفوف القرامطة ، ويدرك التاريخ أن صفوف القرامطة عرفت الانقسام في عهد مبكر ، فيروى ابن الأثير أنه في سنة ٣٢٦ هـ أوقع الله بين القرامطة فتخاربوا فقتل أشرارهم كفارهم ، ولو يعودوا يخرجون من هجر للعدوان على الآخرين (١) .

ومن الواضح أن هذا الانقسام حدث في السنين الأخيرة من عهد الطاغية أبي طاهر ، وكان ذلك مطلع انقسام لم تختلف معالمه ، فبعد أبي طاهر استطاع أحمد أخيه أن يسلب السلطة من أولاد أخيه وأن ينفيهم إلى جزر (أوال) كما ذكرنا من قبل .

ومن ثم أصبحت هذه الجزر مريراً للمقاومة ضد القرامطة في

(١) الكامل في التاريخ : حوادث سنة ٣٢٦ هـ .

الأحساء ، ولما أسرى الحسن الأعصم عن عدائه للفاطميين أيد الفاطميين
أحفاد أبي طاهر ضد الحسن الأعصم ، وانتهت العناصر غير الشيعية
بجزر أوائل فرصة الانقسام بين جماعات القرامطة ، فأيدت أحفاد أبي
طاهر الذين أبدوا نوعاً من الابتعاد عن الانحراف القرمطي ليقتضي لهم
التعاون مع العناصر المعادية للحسن الأعصم .

ومن الانقسام كذلك ما حدث بين جعفر واسحق اللذين آلت لهما
السلطة في الأحساء بعد الحسن الأعصم ، ومن الطبيعي أنه يوم تكون
هناك سلطة لرئيسين أو عدد من الرؤساء في وقت واحد سرعان ما يبرز
الانقسام واختلاف الرأي فالخصام .

ومن أسباب ضعف القرامطة صراعهم ضد مصر الذي تحدثنا عنه من
قبل ، وما أنزلته بهم مصر من هزائم قصمت ظهورهم ، وجعلتهم إلى حد
كبير يوقفون هجومهم على الآخرين .

وفي سنة ٣٧٨ هـ جمع رجل من بنى المتفق يعرف بالأصفر جماعة
كثيراً من الرجال ، وقصد بلاد القرامطة فخرج القرامطة للقاءه ، وكان
بينه وبينهم وقعة شديدة قتل فيها قائد القرامطة وانهزم جيشه وأُسر منه
عدد كبير ، وسار الأصفر إلى الأحساء فتحصن منه القرامطة ولم يستطعوا
الخروج للقاءه ، فعدل إلى القطيف ، وأخذ ما كان فيها للقرامطة من
الأموال والعيدي والمواشى ، وسار بهم إلى البصرة ، ويقول ابن الأثير
بعد أن روى خبر هذه الموقعة : إن القرامطة بعد هذه الموقعة لم ينتصر
لهم جيش ، ولزموا أراضيهم ^(١) .

وإذا كان القرامطة قد لزموا أراضيهم ولم يعودوا يستطيعون الخروج
منها للغزو ، فإن ذلك فتح بابين كبيرين ساعدا في القضاء عليهم ، أما
الباب الأول فهو تخلي البدو الغوغاء عنهم ، هؤلاء الذين كانوا يؤيدون
الoramطة سعياً وراء مشاركتهم فيما يحصلون عليه من غنائم .

(١) الكامل في التاريخ : حوادث سنة ٣٧٨ هـ .

وأما الباب الثاني فهو إتساحة الفرصة لبعض البلاد التي كانت خاضعة لهم لتخرج عليهم ، وتعلن استقلالها عنهم وذلك مثل عثمان التي هب أهلها من الإباضية ومن الأزد معلنين ثورة عارمة ضد القرامطة حتى أخرجوهم من البلاد ، وأعادوا لبلادهم استقلالها (١) .

ومع مطلع القرن الخامس الهجري كان الانقسام الذي أشرنا إليه من قبل بين أول والأحساء قد اتجه بأوائل إلى الاستقلال عن الأحساء ، وبينى بها سكانها مساجد ، وأقاموا خطب الجمعة باسم الخليفة العباسى ، وسرعان ما تحررت هذه الجزر من حكم القرامطة .

بل أصبحت أوائل مركزا للصراع ضد الأحساء فقد أرسلت الخلافة العباسية جيشا يساعد أوائل في الهجوم على الأحساء ووقعت موقعة خطيرة في الأحساء سنة ٤٦٩ هـ بين جيش أوائل مؤيدا بجيش العباسيين وبين القرامطة ، ونزلت بالقرامطة في هذه الموقعة هزيمة قاصمة كانت أساسا لنهاية دولة القرامطة ، وتسمى هذه الموقعة « موقعة الخندق » (٢) .

وقد وضعت (موقعة الخندق) الأساس لنهاية القرامطة الذي سنرويه فيما يلى :

عندما ضعف القرامطة تصدى قادة العرب في منطقة البحرين للقضاء عليهم ، وقد اشترك في ذلك ثلاثة فرق عربية كبيرة :

ـ المفرقة الأولى بقيادة عبد الله بن على الشيعياني وهو رجل من بنى عبد القويين ، يسكن هشارف العيون بالأحساء وإذللت سمي العيوني : فطمع فيأخذ الأحساء من القرامطة ، وثار عليهم ، ودارت بينه وبينهم عدة معارك أذعنوا في نهايتها وذلوا وسلموا الأحساء لعبد الله بن على الشيعياني .

(١) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٩٣ .

(٢) دكتور حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج ٤ ص ٢٥٠ .

— ٥٨٣ —

— الفرقة الثانية بقيادة البهلوى محمد بن يوسف ، وكان البهلوى
في جزر البحرين ضاماً لموس هذه الجزر للفرامطة ، فلما ضعف شأن
الفرامطة بسبب المصراع بين أول والأحساء طمع في الاستقلال بهذه
الجزر عن هؤلاء وأوائل وأظهر العصيان ، فأرسل الفرامطة إلى قبائل
عبد القيس وقالوا لهم استرجعوا هذه الجزر لكم لا لنا ، ونحن نساعدكم
في ذلك ، فخرج جيش من عبد القيس ومن الفرامطة ، ولكن البهلوى
استطاع أن يقضي على هذا الجيش ، فاستقر له الأمر في هذه الجزر .

— الفرقة الثالثة بقيادة يحيى بن عياش ، وقد ثار في القطيف
وطرد منها عمال الفرامطة ، واستولى عليها وقويت شوكته وعجز
الفرامطة عن استرجاع القطيف منه .

وكان العالم الإسلامي قد انقسم إلى دولات ، وكان المنتصر في
أرض يستولى عليها ويعد أميراً لها ولا يربطه بالخلافة العباسية إلا خيط
ضئيل . ومن هنا فإن هؤلاء المنتصرين لم يسلموا الأرض التي خلصوها
من الفرامطة إلى الخلافة ، بل كون كل منهم لنفسه إمارة في منطقة ،
وانتهت بذلك دولة الفرامطة سنة ٤٦٩ هـ بعد حوالي قرنين من التدمير
وسفك الدماء ، ولابد للليل من آخر .

نظم الفرامطة

السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية

على الرغم مما عرف عن الفرامطة من حب للتدمير وسفك
للماء ، كانت لهم نظم سياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية جديرة
بالدراسة ، وأغلبظن أن حركة التدمير التي قاموا بها كان جديراً بها
أن تنتهي على دولتهم في وقت قصير ، كما حدث للزنج ، لو لا هذه النظم
التي حمت الدولة ، وأطالت عمرها إلى حوالي القرنين ^(١) .

(١) انظر تحفة المستفيد لحمد بن عبد الله الانصارى ج ١ ص ١٠٠
وملوك العرب للريحانى ج ٢ ص ٢٥٠ .

وفي ختام دراستنا عن القرامطة نعطي لحة عن هذه النظم :

ففي مجال النظام السياسي كان هناك مجلس شورى هو الذي يدرس أمور الدولة السياسية والاقتصادية والعسكرية ، ويتخذ فيها القرارات التي يراها ، وكان هذا المجلس يسمى مجلس « القعدانية » ويكون من أبرز الشخصيات في النواحي السياسية والأدارية ، وكان عدد أعضائه اثنى عشر عضوا (١) أو ستة في بعض الروايات (٢) .

ومن الناحية الاقتصادية وضع القرامطة نظاماً أقرب إلى ما يسمى الآن بالنظام الاشتراكي ، أو حتى النظام الشيوعي ، فقد جعلوا الدولة تملك كل شيء ، وتنفق على الرعايا حسب حاجتهم ، وقد سبق أن ذكرنا أن القرامطة جمعوا أموال كل قرية في موضع واحد منها ، وأقاموا رجلاً من الثقات ، يرعى هذه الأموال من غنم وبقر وحلى ومئات وغير ذلك ، ويقدم للناس جميعاً الطعام والكساء بما يكتفيهم ويسمى حاجتهم ، حتى لم يبق في البلاد فقير ولا محتج .

ويذكر عارف ثامر (٣) أن القرامطة لهم يكن عندهم صرائب ولا أعشار ، وإذا احتاج أحدهم إعانة أعاده الآخرون ، وكل غريب ينزل أرض القرامطة وله صناعة كان يعطى ما يكتفيه من المال ليشتري ما يلزم لإنهاض صناعته من مال وآلات ، وكانت عندهم بيوت لسكنى الغرباء على حساب الجميع .

وفي الناحية العسكرية أدرك القرامطة أن إخلاص الجندي يرتبط بمدى إغراق الأموال عليهم ، ومن هنا كان سخاؤهم الواسع على رجال جيشهما ، وعلى البدو الذين كانوا يساعدونهم في الحروب .

(١) دكتور عبد العزيز الدروي : دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ٢٧ .

(٢) المقريزي : الحسن الاعصم ص ١٠٤ .

(٣) القرامطة ص ٧٧ .

أما الجيش القرمطي ، فقد عنى أبو سعيد بوضع الأسس التي توفر له جيشاً يجمع بين الإخلاص والولاء وحسن التدريب ، وعلى هذا كان يختار من سن الرابعة من تبدو عليه الصحة والعافية ، ويجمعهم في دور محسنة لذلك ، ويعين لهم المشرفين والمعلمين ، وكان يسمّ هؤلاء الأطفال باسمة على الخود حتى لا يختلطوا بغيرهم ، فإذا شبوا قدم لهم دراسات في ركوب الخيل والطuan ، فكان هذا النظام أشبه بما أسماه الأتراك فيما بعد بالجيش الانكشاري ، ولم يكن جيش القرامطة على هذا النمط يعرف إلا الولاء الكامل للدولة وللزعيم^(١) .

وفي الناحية الاجتماعية عرف المجتمع القرمطي نظام الطبقات ، وكان يتكون من طبقة الحكام ، ولهن السيطرة على النظم الإدارية وقيادة الجيش ، وطبقة العرب وكانتوا يكونون العنصر العسكري في الدولة ، وطبقة العمال والفلاحين ، وهؤلاء يزاولون التجارة وبعض الحرف ، ومن أهمها الزراعة .

وكان في المجتمع القرمطي آلاف الزنوج يشتغلون بالزراعة وفلاحة العساتين^(٢) .

وكان للمرأة نصيب موفور في المجتمع القرمطي لا يقل عن نصيب الرجل لولا ما أبى في هذا المجتمع من شيوعية في النساء ، مما خلق تدهوراً واسعاً في نطاق الدولة .

كتشاجم والقرامطة :

كان كتشاجم (أبو الفتح حسن بن محمود) كاتب القرامطة وهو من أعلام الشعراء والأدباء ، وكان بعذابي المولد ، وقد ذكره الشعالي في بيتهما الدهر ، والمحضري في زهر الآداب ، وبعده كتب لهم ابنه

(١) المقريزي : اتحاظ الحنفا ٢١٦ .

(٢) عارف تامر : القرامطة ٧٧ .

أبو الفتح نصر ، ولقب كشاجم مثل أبيه ، وقد سبق أن ذكرناه عند حديثنا عن « أدب الحسن الأعصم » .

وكشاجم هو الذي ألف كتابا يعد من أروع الكتب في بابه وهو كتاب « أدب النديم » وقد اقتبسنا منه اقتباسات مهمة في كتابنا « التربية الإسلامية » ص ٧٤ وما بعدها » وفيه يقول : إن على الجليس أن يتعلم حسن الاستماع كما يتعلم حسن الكلام ، وحسن الاستماع يمهل المحدث حتى ينقضى حديثه والإقبال عليه بالوجه والنظر ، والوعي لما يقول ، فلا بشغل السامع طرفه عن المحدث بنظره ولا أطرافه بعمل ، ولا قلبه بتفكير ، ولا يسابقه إلى حديث بيبدأ به (١) .

وإذا كان هذا الكتاب قد ألف ليتبع في بلاط القرامطة فإن ذلك يوحى بما كان لهذا البلاط من نظم وتقالييد عالية .

وبعد ، فهذه دراسة عن القرامطة تأمل أن تفتح الباب لدراسة أوسع ، والحق أن انحراف القرامطة الديني جعل أكثر الكتاب يتدارسونهم كثورة أو حركة باطلة وقل من درس تاريخهم كدولة لها كيان داخلى ، ولها نظمها وقوتها ، ولعل هذه الدراسة تفتح الطريق لإحقاق الحق ، وابراز دولة القرامطة في وضعها الحقيقى بكل مالها وما عليها .

(١) أدب النديم : ص ٣٢ وما بعدها .

العيونيون في البحرين

ينسب العيونيون — كما ذكرنا من قبل — إلى فرع من بنى عبد القيس
كان يسكن مشارف العيون بالحساء ، وكان من هذا الفرع عبد الله بن
على العيوني الذي ثار على القرامطة في الأحساء واستطاع أن يقضي
عليهم فيها ، وقد ذكرنا من قبل كذلك أن أميرين آخرين من أمراء
العرب هما يحيى بن عياش والبهلول محمد بن يوسف قد قضيا على
سلطان القرامطة في القطيف وجزر البحرين ، وأنهى هؤلاء بذلك دولة
القرامطة .

ثم حدث تناقض قوى بين هؤلاء الزعماء انتهى بسيطرة العيونيين
على المناطق الثلاث وكانت مراحله كالتالى :

— حاول يحيى بن عياش أن يسوقلى على جزر البحرين ولكنه عجز عن
ذلك ، ولما مات خلفه في الإمارة ابنه زكريا الذي استطاع أن يحقق الأمل
الذى رسمه أبوه ، فقد زحف على جزر البحرين وظفر بالبهلول وقتله وضم
هذه الجزر إلى ولايته بالقطيف .

— دفع هذا النصر صاحبه إلى طلب المزيد من التوسيع ، فاتجه
زكريا إلى مهاجمة الأحساء رجاء الظفر بها والقضاء على عبد الله العيوني
فخرج بجيش عظيم ، ولكن عبد الله قابله بجيش جرار فهزمه في اللقاء
الأول ، ثم عاود الكورة فقتله في اللقاء الثاني ، وضم العيوني منطقة
القطيف وجزر البحرين إلى إمارته بالحساء ، وتكون من هذه المنطقة
الإمارة العيونية ، وهي إمارة وراثية دامت أكثر من قرن ونصف قرن
(٤٧٠ - ٦٣٠ هـ) ويقول ابن مقرب شاعر آل العيوني في ذلك :

وصار ملك ابن عياش وملك أبي الـ
بهلول مع ملكتنا عقدا لنا نظمـا (١)

(١) انظر تحفة المستفيدين ص ١٠٠ وملوك العرب ج ٢ ص ٢٥٠ .

من أمراء الأسرة العيونية :

هناك مخطوط مجهول المؤلف بدار الكتب المصرية (المكتبة التيمورية) (رقم ٦٣٧ تاريخ) يتحدث عن أمراء العيونيين ، وقد نشر هذا المخطوط في ملحق كتاب « تحفة المستقيد » وهو يتحدث عن عشرين أميراً ابتدأ حكمهم سنة ٤٦٧ وشمل هذا الحكم ثلاثة مدن هي : هجر « الأحساء » وأوال « البحرين » والخط « القطيف » وذكر فيما يلى أهم هؤلاء الأمراء بعد عبد الله بن على :

الفضل بن عبد الله بن على وكان شجاعاً كريماً ، بعيد النها ، كثير الأسفار والتقلات والتجول في البراري لتعقب المفسدين والأخذ على أيدي الأعراب الذين يرثرون من قطع الطرق ، فاستقرت البلاد في عهده وأزدهرت .

ومنهم ابنه محمد بن الفضل وكتبه « أبو سنان » وكان يسكن جزيرة « أوال » وكان نائبه في الأحساء عنه على بن عبد الله ونائبه في القطيف ابنه غويري – وكان الكرم من أبرز صفات محمد بن الفضل .

ولما مات أبو سنان حاول عمه أن يخلفه باعتباره أكبر أفراد الأسرة ، وحاول ابنه أن يخلفه باعتباره ابنه وقام صراع بين الاثنين عانى كل منهما من نتائجه ، وأخيراً قتل العم (على بن عبد الله) ولكن « شمسكر » ابن على بن عبد الله أخذ مكان أبيه وكان عالماً كريماً وفارساً شجاعاً فرجحت كفتته .

وبعد شمسكر آل ملك العيونيين إلى محمد بن أحمد بن عبد الله بن على وقد انتفع ملك العيونيين في عهده ، وأمتد نفوذه إلى نجد مما جعل الناصر لدين الله سلطان مصر يوكل لهذا الأمير خماررة الحجيج من بغداد إلى مكة .^{١٠}

وبعد ذلك وقعت خلافات وأحداث أضعف الجبهة العربية وهياكل لتدخل الفرس في هذه البقاع^(١) .

(١) تحفة المستقيد في تاريخ الأحساء القديم والجديد ص ١٠١-١٠٤ .

بعد أسرة العيونيين

دارس في البحرين :

عندما وقع الخلاف والضعف بين أمراء العيونيين انتهز ملك العجم الفرصة وتدخل في شؤون البحرين ، فدخل هذا الملك جزيرة قيس واحتلها من العرب ، ثم اجتاز بجنوده البحر إلى جزيرة البحرين فأخذها ، واستولى بعدها على الأحساء والقطيف وغيرهما من بلدان الخليج ، وأضطر الأمير العربي أن يذعن لملك الفرس فوقع معه صلحًا غير كريم أملأ فيه ملك الفرس شروطه وقد ذكرها محمد بن عبد الله الأنصاري *

وكان ملك الفرس يولى على البحرين ولاة من العرب يحكمون

باسميه *

والذي نريد أن نقوله بعد هذه الجولة أن منطقة البحرين الواسعة قد بدأت في التفكك والانحلال منذ قامت بها الولايات الثلاث بعد القرامطة ، وكان ذلك أساساً ما يوجد الآن في هذه المنطقة من دول ودوليات *

المغول في البحرين :

في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) بدأ زحف المغول المدمر إلى أرض الإسلام ، وقد حارب المغول حضارة الإسلام ، وأراقوا دماء الآلاف من المسلمين ، وكانوا كالقرامطة قسوة وإلا للMuslimين ، وسيكون لنا معهم حديث في الجزء الثامن من هذه الموسوعة والمهم أن منطقة البحرين خضعت للموجة الثانية من موجات المغول ، وهي الموجة التي قادها هولاكو وكمل بها أعمال جده جنكيز خان البعيدة عن الإنسانية ،

(١) أمين الريhani : ملوك العرب ج ٢ ص ٢٥١ وانظر كذلك تاريخ البحرين للشيخ خليفة بن محمد النهيان *

(٢) تحفة المستفيد ج ١ ص ١٠٨ *

ونجا العالم العربي من سطوة المغول بالهزيمة الكبرى التي أُنزل لها المصريون بهم في عين جالوت سنة ١٢٦٠ م وفيما تبعها من هزائم ، ولكن البحرين بعد أن نجت من المغول عادت إلى الخلافات والتفكك التي كانت قد بدأتعقب نهاية القرامطة ، وكثير الطامعون في مناطقها ، فظهرت قوى متعددة تحكم كل منها منطقة بالبحرين ، وممن حكم في هذه المنطقة آنذاك أولاد مانع بن عصفور ودارهم الأحساء والقطيف ، ومنهم كذلك بنو الحسين وبنو عامر بن عوف وبنو معامس .

نفوذ مصر في البحرين :

وكان مصر التي هزمت المغول نفوذ في دول الخليج التي قامت بعد هزيمة المغول ، وفي ذلك يقول صاحب تحفة المستفید : إن آل عامر وفدوا على السلطان بيبرس بالديار المصرية ، وفي مقدمتهم محمد بن أحمد العقدي ، فقرّبوا بأتم الأكرام ، وأفاض عليهم سابع الانعام ، ولوحظوا بعين الاعتناء ، قال في مسالك الأبصرار : وتوالت وفادتهم على الأبواب العالمية الفاسية ، وأغرقتهم الصدقات والمعطيات بديهمها ، فاستجلبت الثنائي منهم ، وبرز الأمر السلطاني إلى آل فضل رؤسائهم بوادي الشام بتسهيل الطريق لوفودهم ، وتأمينهم في صدورهم وورودهم .

وعلى هذا كان حكام هذه المناطق يعترفون بالولاء لمصر طيبة عهد المالك تقربيا حتى جاء القرن السادس عشر ومعه الزحف العثماني والزحف الأوروبي .

(١) محمد الانصارى : تحفة المستفید ج ١ ص ١١٩ - ١٢٠ .
(٢) ، حيد الانصارى : تحفة المستفید ج ١ ص ١١٩ وهو ينقل بعض الفقرات من مسالك الابصار ج ٤ ورقة ٣٠ مخطوطه بدار الكتب .

صراع النفوذ

ابتداء من القرن السادس عشر

صورنا من قبل خطورة الخليج العربي وخطورة منطقته ، وذكرنا أهميتها السياسية والعسكرية والاقتصادية حتى قبل الكشف عن البترول ه ولا عجب إذن أن تجذب هذه المنطقة أنظار الطامعين ، وقد بدأ ذلك مع دخول العثمانيين أرض العرب في أوائل القرن السادس عشر وبدأ كذلك مع كشف طريق رأس الرجاء الصالح قبل ذلك بقليل . وبذلك اعتبرت منطقة الخليج العربي باللغة الأهمية بالنسبة لاستعمار الهند والهند الصينية والملايو وسنغافورة وإندونيسيا ، وعلى هذا اشتراك في المصراع عليها البرتغاليون والإنجليز ، ورأت روسيا وهي مجاورة لإيران التي تطل على الخليج أن وجود الدول الأوروبية بالخليج يهدد سلامتها فتطلعت إلى مد نفوذها إليه ، وفي نفس الفترة تطلعت القوة العثمانية للمنطقة باسم الإسلام وبخاصة بعد أن دخلت العراق إذ اتصلت بالخليج عن طريق البصرة ، وأصبح وجود الأوروبيين به يهدد سلامتها ، ودخلت فرنسا حومة المصراع إذ كانت لها تطلعات في الهند الصينية ، ثم كانت تحاول أن تدخل نفسها في هذه المعمدة لتقاوم بها ، وانتهت ببلاد فارس فرصة هذا المصراع فزوجت بنفسها فيه ، تختلف هذا أو ذاك كلما حانت لها فرصة لعلها تستعيد مكانها في تلك المناطق .

العرب يواجهون قوى الاحتلال :

واجه سكان المنطقة من العرب هذا المصراع بجأش ثابت ، وخاضوا معهم هائلة ليحققوا النصر ، وحملوا العبء كله ليخلاصوا بلادهم من الطامعين ، ويمكن القول بأديء ذى بدء أنهم طردوا البرتغاليين والهولنديين والعثمانيين والفرس . ولكن قناتهم لانت أمام الانجليز لقدرة الانجليز السياسية من جانب ، ومن جانب آخر كانت قناعة العرب قد لانت من كثرة المصراع ومن التفتت كما سترى فيما بعد .

ذلك موجز القول عن الصراعات التي حلت بالخليج ابتداءً من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين ، وسنعطي فيما يلي بعض التفاصيل لهذا الإجمال :

البرتغاليون :

كان البرتغاليون أسبق الأوربيين صلة بمنطقة الخليج ، فقد وفدو إلية عقب انتصارهم ضد المسلمين في الأندلس ، وقد بدأت حملاتهم بهذه المنطقة عقب نجاح رحلة فاسكودي جاما التي بدأت سنة ١٤٩٦ وطاف بها حول رأس الرجاء الصالح فكشف طريقاً للهند والمشرق الأقصى دون المرور بالبحر الأبيض والبحر الأحمر ٠

وفي سنة ١٥٠٧ بدأ البرتغاليون زحفهم على جزيرة هرمز وأخضعوا حاكمها وألزموه بدفع جزية سنوية ، ولكنهم لم يقنعوا بهذا النصر ، بل احتلوا الجزيرة سنة ١٥١٥ ثم احتلوا « صحار » ومسقط وعبروا مضيق هرمز واحتلوا جزر البحرين ثم القطيف وقطر ، ولكنهم لم يتمكنوا من احتلال الأحساء لأن العثمانيين كانوا قد سبقوهم إليها ، وهكذا نزلت أقدام الأوربيين لأول مرة بذلك المنطقة واستبدت بهما ، ولكن أقدام البرتغاليين لم تثبت بها لأن قوى متعددة عارضتها كان في قمتها العرب الذين هبوا يدافعون عن بلادهم ، وقاموا بعدة انتفاضات وحركات جريئة ، وفي إحدى هذه الحركات قتل أخو ثائب ملك البرتغال بالهند سنة ١٥٢٨ ، وتقاتل الحركات طيلة القرن السادس عشر ٠

وكانت هرمز تمثل أهم مركز برتغالي في الخليج ، وقد استطاع العرب أن يواصلوا صراعهم ضدها دون انقطاع ، وعندما عمد البرتغال لتعزيز حاميتها سنة ١٥٨٥ قتل العرب ٢٥٠ جندياً برتغاليياً وهم يتوجهون لتعزيز هذه الحامية ، فلما جاء القرن السابع عشر أُنزل العرب وبخاصة أهل عمان بالبرتغاليين هزائم خطيرة بمنطقة الخليج فقد طردواهم من البحرين سنة ١٦٠٤ وأسقفلوا سلطان عمان على « صحار »

— ٥٩٣ —

ثم حاصر العرب مسقط واسقووا عليها ، وهكذا لم تأت سنة ١٦٢٢ حتى كان البرتغاليون قد فقدوا كل ممتلكاتهم بمنطقة الخليج العربي ، ثم فقدوا ممتلكاتهم بخليج عمان فلم تأت سنة ١٦٥٠ حتى كان نفوذهم قد زال من المنطقة نهائيا ، وقدمن انجلترا وغيرها بعض المساعدات للعرب في الصراع كما سترى *

الفرس والانجليز والهولنديون :

في سنة ١٥٨٣ حمل ثلاثة من المعاوين الانجليز رسائل من الملكة إليزابيث إلى ملك كمبوديا وإمبراطور الصين لإقامة علاقات تجارية وودية بين الانجليز ودول الشرق الأقصى ، وقد سار حملة هذه الرسائل براً إلى البصرة ثم أبحروا في الخليج إلى هرمز ، ومن هناك ذهبوا إلى الشرق الأقصى ، وعادت هذه البعثة فقدمت تقارير مشجعة للغاية عن الامكانيات التجارية العظيمة في تلك المناطق ، وبناء على هذه التقارير أنشئت شركة الهند الشرقية الانجليزية سنة ١٦٠٠ وبدأت ترسّل أساطيلها التجارية إلى الخليج العربي والشرق الأقصى *

وكانت البرتغال قد سبقت إلى هذه المناطق كما قلنا آنفا ، فحدث صراع بين القوتين الأوروبيتين ، وانضم الفرس إلى الانجليز لما لاقوه من عناء مع البرتغاليين ، ووبينما كان الصراع يدور ظهرت قوة الهولنديين في الخليج فتعاونت هذه أيضًا ضد البرتغاليين ، فكان هذا التحالف مقيداً للنشاط العربي وأضاعا نهاية لوجود البرتغالي بالخليج كما ذكرنا من قبل *

ثم لعبت السياسة الانجليزية دورها ، فاتجهت إلى التخلص من قوة العرب الهائلة أو أضعافها ، واتخذت الفرس سبلاً لذلك ، فرممت العرب بالفرس ، ثم تحالفت مع الفرس لتكون عوناً لها في الصراع الذي توقعت

— ٥٩٤ —

أن يدور في المنطقة لتحديد مستقبلها ، وللحصول على موافقة فارس جعلت لها السلطة على البحرين عقب خروج البرتغاليين منها سنة ١٦٠٢ .

وأصبح الخليج العربي به قوة العثمانيين ، وبه الهولنديون ، والفرس والإنجليز ، بالإضافة إلى القوة العربية الأصلية ، التي تعمل بجد لحماية الديار والدفاع عن الوطن .

ولنعيش فيما يلى ما دار من صراع في هذه المنطقة :

الصراع في الأحساء :

لعل الأحساء عانت أشق أنواع الصراع وأطوله في هذه الفترة ، وتعرضت لحركات قوى كثيرة ، وسنكتفى بإعطاء قائمة بهذه الحركات التقاسية فيما يلى :

— استولى العثمانيون على الأحساء أول مرة سنة ٩٦٣ هـ وولوا عليها على بن أحمد البريكي ، وجاءه بعده ابنه محمد ثم ولى العثمانيون عمر باشا على الأحساء .

— استولى آل حميد على الأحساء بقيادة براك بن غرير سنة ١٠٨١ هـ وأآل حميد بطن من بنى خالد الحجاز ، وسموا خالد الحجاز تمييزاً لهم عن بنى خالد حمص ، وكان استيلاء آل حميد في فترة ضعف العثمانيين ، ومن ولادة آل حميد محمد بن براك وسعدون بن محمد بن براك وسلامان أخيه ، وعرعر بن دجين بن سعدون بن محمد وسعدون ابن عرعر .

— حصل صراع بين الإمام سعود الكبير وبين بنى خالد ونجح الإمام سعود فيه ودخل الأحساء وغيرها من المناطق التي كانت تابعة لبني خالد ، ولكن أنقلاباً سريعاً وقع ضده عقب رحيله من الأحساء وأصبحت أمور الأحساء مضطربة .

- ٥٩٥ -

— غزا العثمانيون الأحساء مرة أخرى عن طريق المعرقل لثبيت سلطانهم وكان ذلك سنة ١٢١٣ *

— لما غزت مصر بلاد نجد انضم محمد وماجد أبناء عرعر إلى إبراهيم باشا في هذا الزحف ضد السعوديين ، وطلببا من إبراهيم باشا بعد استسلام الدرعية أن يوليهمما الأحساء ففعل لسابق صلتهم بها *

— في عهد الإمام تركي استعاد السعوديون الأحساء من بنى خالد *

— لما زحف جيش مصر سنة ١٢٣٨ بقيادة خورشيد إلى نجد ودخل الرياض استولى أيضا على الأحساء وعين أحمد بن محمد المسديري أميرا للأحساء *

— في سنة ١٢٨٧ استولى السعوديون على الأحساء وذلك في عهد سعود بن فيصل *

— صدرت أوامر القسطنطينية بزحف القوات العثمانية إلى الأحساء فساروا واحتلتها سنة ١٢٨٨ هـ ، ومن ولاة الأحساء العثمانيين محمد نافذ باشا ومدحت باشا ثم صالح باشا *

— اقتحمها الملك عبد العزيز في الدولة السعودية الثانية واستسلم له العثمانيون كما ذكرنا عند الحديث عن المملكة العربية السعودية (١) وانتهت العرب في ساحة الأحساء بعد حلول عناء وأصبحت الأحساء جزءا من المملكة العربية السعودية *

المصراع في البحرين :

قلنا من قبل إن الفرس عادوا للسيطرة على جزر البحرين عقب خروج

(١) أقرأ تحفة المستفيض ص ١٢٣ وما بعدها واقرأ الجبرتي في الحملات المصرية تحت السنوات التي أشرنا لها *

— ٥٩٦ —

البرتغاليين منها سنة ١٦٠٢ وأخذوا يعيثون ولادة من العرب عليها ولكن الحكم الفارسي في البحرين تسرب له الخلل الذي اعترى الحكم في بلاد فارس نفسها ، حتى أن آخر عامل عربي للفرس بالبحرين ، وهو الشيخ نصر آل مذكور استنجد حكومة إيران في حملته على آل خليفة في الزيارة (وهي بلد على شاطئ قطر مواجهة لجزر البحرين) فسلم تتوجهه إيران ، وعلى هذا هزم في المعركة سنة ١١٩٧ هـ (١٧٨٢) وفر هذا العامل إلى بوشهر ، ودخل آل خليفة جزر البحرين منتصرين ^(١) .

وانتصر العرب على الفرس في ساحة البحرين واستقروا بها عنهم .

الصراع ضد هولندا :

حمل العرب نصيبيهم وأفرا في الصراع ضد هولندا ، وربما يقال أن إنجلترا ساعدت في هذا الصراع ، وهذا حق ، ولكن النصيب الأكبر حمله العرب ، أما الفرس فقد ارتبطوا بصداقنة وطيبة مع إنجلترا ولم يقوموا بجهد ذي بال في الدفاع عن الخليج ، وكانت هولندا تتأفسن إنجلترا في الخليج منافسة حادة ، وكان لها التفوق التجاري خلال القرن السابع عشر ، ورأت هولندا أن تحذو حذو بريطانيا في التحالف مع إيران ضد العرب فساعدت إيران في حملة ضد عمان ، كما تطوعت هولندا لإخضاع البحارة العرب الذين تمردوا ضد قادتهم في سطول إيران أيام نادر شاه ^(٢) ولكن الهولنديين لم يستطعوا بذلك أن يكسبوا صداقنة إيران التي كانت متوجهة اتجاهًا تماماً لإنجلترا ، وزاد هذا التصرف من كراهية العرب للهولنديين فأشعلوا صراعاً طويلاً أذاقوا خلاله الهولنديين اللوانا من المتابع ، وكان الصراع العربي بقيادة الأمير ناصر وابنه الأمير مهنا في « جزيرة خارج » صراعاً مريراً وطويلاً ومثيراً .

(١) أمين الريhani : ملوك العرب ج ٢ ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٢) من مقال عن « الأوربيون في الخليج » للاستاذ أحمد العناني .

وقد عين الهولنديون حاكما آخر لجزيرة « خارج » فبادر هذا بالهجوم على مهنا ، وهناك استدرجه العرب إلى مكان وجد نفسه فيه مطوقا ، وشب قتال دمر الهولنديين فسقط منهم من سقط وفرت فلولهم ، ولكن القائد العربي لحق بهم وما زال يهاجمهم حتى صفى وجودهم في آخر مركز لهم بالخليج سنة ١٧٦٥^(١) .

إنجلترا :

في خلال الصراع السابق كانت إنجلترا تتدخل أحيانا ، وتصارع القوى الاستعمارية الأخرى ليخلوا لها الجو ، ولكنها لم تكن قط صديقة للعرب ، بل كانت تعمل لصالحها الخاصة بالتعاون مع الهولنديين ضد البرتغال ، وبالتعاون مع إيران في أغلب الأحوال ، وعلى هذا حمل العرب عبء أكثر الصراع لإزالة القوى الأجنبية عن الخليج ، وبخاصة أن إنجلترا شغلت عن الخليج حينا من الزمن ، بسبب صراعها في أوروبا ضد العثمانيين ضد أطماع نابليون التي نشطت في أوروبا وفي الشرق ، فلما فرغت من ذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عادت الخليج لتسكمل فيه نفوذها ، ومهما ساعدتها على النجاح أن الدول العربية كانت قد ضعفت من طول الصراع ، وكان قد أصابها التفكك والتفتت ، وانتهز الإنجليز هذه الفرصة فعقدوا اتفاقات غير متكافئة مع قادة الدوليات التي أظهرها التفكك في منطقة الخليج ، وقد ظلت هذه الاتفاقيات سارية المفعول حتى أزيلت في العقد السابع ومطلع العقد الثامن من القرن العشرين وتحققت هذه الدول استقلالها ، وقد بدأ ذلك بتغير السياسة العالمية الذي قضى أن تنكمش بريطانيا ، ولم يسمح لها بالاستمرار في السيطرة على الشعوب ونهب ثرواتها ، كما أن الثورات العربية بالمناطق المختلفة في الخليج وفي الجنوب العربي وغيرها أبرزت أن تكاليف الاحتلال ستكون باهظة ، وظهرت القوى العالمية الأخرى التي جعلت بريطانيا تحس أنها لم يعد لها أن ترتع في العالم كذئب كاسر مع

(١) المقال السابق بتصرف .

وجود الآساد ، وتجلت أسباب أخرى كثيرة جعلت بريطانيا تعلن سنة ١٩٦٨ اعتزامها الجلاء عن الخليج العربي قبل نهاية ١٩٧١ ، وقد فتح هذا الإعلان الباب لقوى أخرى لمحاول مد نفوذها بطريق أو باخر لتملاً هذا الفراغ ، ولكن حركة تجمع ويقظة ظهرت في المنطقة فأوقفت محاولات الغزو الجديدة أمريكية كانت أو إيرانية ، وتمثل حركة التجمع في الاتجاه لتكوين دولة من إمارات ساحل عمان ، كما تتمثل حركة اليقظة في نشاط الدول العربية وتحركات الجامعة العربية .

ولنعد الآن للوراء قليلاً لنتحدث عن الدول الجديدة التي نشأت في هذه المنطقة ، ولنشر مع تاريخها حتى العهد الحاضر ، ومن الواضح أن الساحل العربي للخليج يشمل الآن الدول التالية :

- ١ — دولة البحرين •
- ٢ — دولة قطر •
- ٣ — دولة الإمارات العربية المتحدة •
- ٤ — دولة الكويت •

أما الأحساء — وهي أيضاً من أهم مناطق الساحل — فقد تحدثنا عنها من قبل وقد دخلها الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٩١٣ وأصبحت جزءاً من المملكة العربية السعودية .

وسنتكلم عن الدول الأربع السابقة بترتيبها السابق ، فنبدأ بدولة البحرين لنواصل حديثنا السابق عن البحرين ، ثم يجيء حديثنا عن قطر فقد كان قد رُكِّبَ لها شديد الارتباط بقدر جزر البحرين ، وبعدها نتكلم عن دولة الإمارات ، فتُعَلِّمُ هذه الإمارات صور الحياة التي عانتها البحرين وقطر مع الاستعمار والمستعمرين .

أما الكويت فينبغي أن يطول معها حديثنا بعض الشيء لأنها لم ترد في أحاديثنا السابقة ، ولأنها سبقت هذه الدول الثلاث في دورها السياسي والحضاري في العصر الحديث .

دَوْلَةُ الْجَهَنَّمِ

لقد تحدثنا عن البحرين فيما سبق حديثاً طويلاً، ووضخنا أن كلمة «البحرين» كانت تطلق على أقليم ساحلي فسيح يشمل المساحة من قطر إلى البصرة، ويضرب في الداخل مسافات يختلف عمقها باختلاف قوة الدولة التي تحكم الساحل، ويشمل كذلك الجزر التي تسمى الآن «البحرين» وقد تتبعنا تاريخ البحرين الكبير من مطلع الإسلام حتى تفككت المنطقة وانحلت، وأصبحت جزر البحرين دولة قائمة بذاتها، وهنا يبدأ تاريخها الخاص، أما بالنسبة للتاريخ العام فقد كانت «جزر البحرين» جزءاً من دولة البحرين الكبرى التي أوردنا تاريخها فيما سبق.

ونقص فيما يلى تاريخ دولة البحرين :

تتكون دولة البحرين من مجموعة من الجزر تقع بين شبه جزيرة قطر وبين ساحل الأحساء السعودي، ومساحة هذه الجزر حوالي ٢٣٠ ميلاً مربعاً، وأهم جزر البحرين كانت تسمى (دمون) ثم سميت (أوال) وأخيراً سميت البحرين لتكون امتداداً تاريخياً للقطر الكبير الذي تقلص وأصبح متمثلاً في هذه الجزر وبخاصة في جزيرة البحرين.

وطول جزيرة البحرين حوالي ٢٧ ميلاً وعرضها عشرة أميال وهي كثيرة العيون والنخيل والفاكهه، وأشهر مدنهما «المنامة» وهي عاصمة الدولة وتقع في الطرف الشمالي لجزيرة.

ومن جزر البحرين كذلك جزيرة «المحرق» ويصلها بجزيرة البحرين جسر طويلاً، وبها مطار من أكبر مطارات الخليج، ومنها كذلك جزيرة النبي صالح.

وسكان دولة البحرين حوالي ربع مليون نسمة، والأكثريية الغالبة منهم عرب، وهناك أقلية هندية وإيرانية.

تاريخ جزر البحرين :

ذكرنا فيما سبق أن الفرس استولوا على البحرين عقب إخراج البرتغاليين منها، وأخذوا يعيّنون لحكمها ولاة من العرب يخضعون لهم

ولكن الحكم الفارسي لجزر البحرين لم يستقر ، فقد كانت الحشود العربية تتدفق للبحرين من حين إلى آخر فتغلب ، ثم يتصدى لها الفرس فيعودون لحكمها ، ومنمن انتزعها من الفرس في هذه الفترة الشيخ محمد الجبرى من بنى عامر ، ولكن الصفوين سرعان ما استعادوها ، وبعد ذلك استولى عليها جباره المولى ، ولكن الفرس عادوا لها أيضا بعد حين ، بيد أن الحكم الفارسي كان قد تدهور فلم يستطع أن يحمي جزر البحرين من قوة العرب ، ولم يقدم الحكم الفارسي للوالى التابع له وهو الشيخ نصر آل مذكور ما طلبه من قوة وتأييد في المعركة سنة ١١٩٧ هـ (١٨٧٢) وفر هذا العامل إلى بوشهر (١) كما ذكرنا من قبل ، ودخل آل خليفة من الزبارة بقطر إلى البحرين منتصرين ، ووضعت البحرين أقدامها نحو الاستقلال عن الفرس ، وأصبحت قطرتابعة للبحرين ، ولكن البحرين واجهت صورا من المتاعب حتى قدر لها النجاح ، وفيما يلى لمحات عن مراحل الحياة فيها بعد معركة الزبارة :

— انتقل آل خليفة إلى البحرين بعد معركة الزبارة — وجمع الشيخ أحمد بن محمد بن خليفة محارم الشيخ نصر وأولاده وأرسلهم إلى بوشهر ، وتوفى الشيخ أحمد سنة ١٢٠٩ هـ وخلفه في حكمها ابنه الشيخ سلمان •

— في سنة ١٢١٥ هـ غزا سلطان بن أحمد حاكم مسقط جزر البحرين وأخذها عنوة •

— في سنة ١٢٢٤ استدرج الشيخ سلمان بالقوة السعودية التي كانت قد أخذت تتساب في الجزيرة العربية والتي كانت قد فتحت الأحساء ، فقدم الإمام سعود للشيخ سلمان جيشا بقيادة ابراهيم بن عفيفمان ، واستطاع هذا الجيش طرد العثمانيين من البحرين ولكن ابن عفيفمان بقى بالجزيرة ممثلا للم السعوديين ولم يسلمها لآل خليفة وذهب آل خليفة إلى نجد ليستطعوا الأمر فأكرمههم الإمام سعود ، ولكنه احتجزهم عنده •

(١) مدينة على الشاطئ الفارسي •

- ٦٠٣ -

— قام جيل الشباب من آل خليفة بجمع الجموع من هنا وهناك واستجدها بأخوهم واستطاعوا أن ينتصروا على ابن عفيصان ، فهرب إلى قطر ، ولما سئل الشيخ خليفة بن الشيخ سلمان عن تصرفه ذلك مع أن كبار الرجال من آل خليفة في حجز ابن سعود أجاب : لا حاجة لنا بآبائنا ، وقد سميأنا بأسمائهم (عبارة عن عدم الأمل فيهم) ^(١) .

وتمسلسل الحكم من آل خليفة كالتالي :

توفى الشيخ سلمان سنة ١٣٣٦ هـ

خلفه الشيخ عبد الله بن أحمد وظل يحكم حتى توفي سنة ١٣٦٥ هـ

وخلفه الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان وفي عهده أسفر الانجليز عن تدخلهم في شئون البحرين ، وكانت البحرين كما رأينا تتقادفها الأيدي ولا تعرف الاستقرار ، فوقع توقيع اتفاقية بين القنصل الانجليزي وبين حاكم البحرين على أن يكتفى سلطان البحرين عن الصراع في الخليج العربي ومقابل ذلك تتعهد بريطانيا بحماية البحرين ، ولكن البحرين هوجمت من قطر بعد ذلك بمدة وجبرة هـ ولما دافعت عن نفسها اعتبر الانجليز ذلك خرقاً لاتفاقية قام به الشيخ محمد فعزلاوه كما عزلوا نائبه الشيخ على بن خليفة ، وجاءوا إلى الحكم بالشاب عيسى بن على وعمره إحدى وعشرون سنة ، وظل يحكم حتى توفي سنة ١٣٥١ هـ

وجاء بعده ابنه الشيخ حمد بن عيسى إلى أن توفي سنة ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م)

ثم الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة إلى سنة ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م)

ثم ابنه الشيخ عيسى الذي يحكم البحرين حتى الآن (١٩٧٧ م)

(١) أمين الريحاني : ملوك العرب ص ٢٦١

- ٥٦ -

وفي عهده استقلت البحرين عن بريطانيا سنة ١٩٧١ وأصبحت دولة ذات سيادة ، وانضمت لجامعة الدول العربية ولهمية الأمم المتحدة ، ومنذ ذلك التاريخ أخذت تلعب دورها كاملاً في الساحة العربية والساحة الدولية .

وكان هذا الاستقلال نتيجة لجهود كبيرة سبقته مسجل فيما يلى خلاصة لها :

الخطوات نحو الاستقلال

يمكن القول أن مجتمع البحرين كان أقرب مجتمعات الخليج إلى البيئة الصناعية ، وذلك بسبب الاهتمام بصناعة الملائكة ، إذ أن البحرين كانت أخصب من سواها في الغوص على المؤلئ وفي صناعته ، وعندما يوجد مجتمع صناعي يوجد بالتالي جو من الحضارة والفهم السياسي ، وهذا ما ثعمت به البحرين إذا قيست بسواها من نواحي المنطقة .

ومن نتائج المجتمع الصناعي كذلك بالبحرين أن ضفت العصبية القبلية ، فقد جمعت المصانع أفرادا من مختلف القبائل وتكونت في المصانع مجتمعات وروابط أخذت مكان القبيلة إلى حد كبير ، ولكن البحرين عرفت الطائفية الدينية إذ وجد بها شيعة وأهل سنة ، ولكن لم توجد خلافات طائفية تهدد مجتمع البحرين ، بدليل أن كثرة هائلة من شيعة البحرين لم يدفعهم التشيع لحاولة الارتباط بإيران على حساب الوطن وانضمت جماهير الشيعة إلى أهل السنة في تأييد استقلال البحرين .

وفي مجتمع صناعي هذلت أو اختفت فيه الروح القبلية ظهرت المدارس ، وكان ظهورها طبيعيا لتمدد البيئة الصناعية بحاجتها من المثقفين ، وهكذا عرفت البحرين المدارس العصرية التي تخرج فيها مجموعة من المثقفين قادوا الحركة الوطنية وحملوا عباء الصراع والاستقلال .

وظهرت الصحافة كذلك في البحرين قبل ظهورها في المناطق المجاورة ، وحملت الصحافة مشعل النور إلى الشعب ، وتحدىت باسمه مهاجمة الاستعمار ومعاونية ، ومن أبرز الصحف مجلة « القافلة » ومجلة « صوت البحرين » التي اهتمت بالقضايا الاجتماعية ليس في نطاق

٦٠٦ —

البحرين فحسب بل في النطاق العربي ، فهاجمت أرق وطالبت بالغائه لأنه يتنافى مع الإسلام ، وهاجمت شركات النفط التي تستولى ظلما على الكثير من حقوق الشعب والتي تظلم الأيدي العاملة^(١) .

ذلك أبرز الأسباب التي دفعت البحرين لتسير خطواتها نحو الاستقلال ، وقد بدأت المحركات الإيجابية نحو هذا المهد سنة ١٩٢٠ ، وكانت زعامة هذه الحركة للشيخ عبد الوهاب الزيني الذي قاد وفدا إلى أمير البحرين الشيخ عيسى آل خليفة ، وطالبه بإسقاط القوانين المدنية والجنائية التي كانت مطبقة بالبلاد منذ سنة ١٩١٤ بناء على قرار الحكومة البريطانية الذي لم يدع للتشرع الإسلامي إلا موضوع الأحوال الشخصية ، وطالب هذا الوفد أن يحل التشريع الإسلامي محل هذه القوانين الوضعية في جميع القضايا .

ويلاحظ في هذا المطلب أن الشيخ عبد الوهاب اتجه إلى أمير البلاد ليأخذ هذا جانبه في المطالبة بتطبيق الشرع الإسلامي ، ولم يتوجه تفكير الشيخ إلى معارضته للأمير ، وإنما إلى معارضته الاستعمار ، وقد خلق هذا أنواعا من التعاون بين الأمير وبين الشعب ، مما دفع الانجليز إلى المطالبة بأن يتخلّى الشيخ عيسى عن السلطة لابنه محمد سنة ١٩٣٣ ، وقد تم لهم ذلك .

وقد اهتمت النقابات والصحافة بموضوع عزل الأمير ، فأثارت الرأي العام ضد المستعمر ، واستمرت حركة المثقفين والصحافة والنوادي في نمط مطرد حتى جاءت ثورة سنة ١٩٥٢ بمصر التي كانت في مطلعها معبرة عن آمال الشعب المصري والشعب العربي كله نحو الاستقلال والحرية والتطور ، فظهر رجع الصوت المصري في مناطق الخليج قوياً وأضحاً ، ثم جاء الاعتداء الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ ، فزاد النار

(١) انظر التيارات السياسية في الخليج العربي للدكتور صلاح العقاد
ص ٢٧٠ .

انه تعالا ، ولم تعد الكلمات كافية بل انطلقت القوى العربية في البحرين كما انطلقت في سواها تدمر أنابيب البترول ، وتمتنع عن التعاون مع المستعمرين .

وأتجهت السياسة الاستعمارية ناحية العنف في مواجهة هذه الحركات التحررية ، فنفت بعض القادة ، واعتقلت بعضهم ، وكان هذا التصرف دافعاً لمزيد من الغضب .

وجاءت سنة ١٩٦٨ حيث أعلنت بريطانيا عزمها على الجلاء عن مناطق ما بعد السويس في أواخر سنة ١٩٧١ ، ومن هنا أصبح استقلال البحرين عن بريطانيا أملاً متحقق الواقع ، ولكن ظهرت في الجهة الموجة التي ادعت أن البحرين جزء من إيران ، لكن صوت هذه الموجة اختفى بين قوة العدل والتاريخ .

وجرت مفاوضات متعددة ترجمى إلى قيام اتحادات بين إمارات الخليج السبع وقطر والبحرين والمملكة ، ولكن هذه المفاوضات سرعان ما اتجهت إلى إمارات ساحل الصلح وحدها لتبقى الإمارات الأخرى مستقلة .

وفي عهد الشيخ عيسى بن سلمان تم استقلال البلاد سنة ١٩٧١ كما ذكرنا من قبل وأعلن الأمير هذا الحادث العظيم ، ثم صدر دستور البحرين سنة ١٩٧٢ ، وهو ينص على قيام سلطة تنفيذية ، وسلطة تشريعية غير خاضعة لها ، وإن كان بعض أعضاء هذه السلطة تعينهم السلطة التنفيذية .

والباحث المسلم العربي يدرك أن البحرين ، ورثت تراثاً حافلاً بالمشكلات من العصور السابقة ، ولذلك يرجو كل مخلص أن تتغلب البحرين على هذه العوائق ، وأن تكمل مسيرتها نحو بناء الإنسان العربي المسلم على خير وجه وأقوى .

إيران والبحرين :

في فترة ما من التأريخ قبل الميلاد وبعده كان لإيران امتدادات ومستعمرات على ساحل الخليج وفي هناظن أخرى من البلاد العربية ، وعلى عكس ذلك خضعت إيران نفسها كلها أو أجزاء منها إلى كثير من القوى الأجنبية عبر التاريخ كالميديين والفينيقيين والميونان والروماني والعرب والمغول والبرتغاليين والمولويدين والفرنسيين والإنجليز والروس ، ثم انتهت إيران إلى وضعها الحالى ، وذلك شأن كثير من الدول عرفت الاتساع والانكماش ، والنصر والهزائم ، ولكن يؤخذ على إيران أنها تنسى هزائمها وأنكماسها وتتنطع إلى عهد تونسـتـ فيـه فـتـطـعـ فـاستـغـلاـهـ ، وأـلـبـحـرـيـنـ بـالـنـسـبـةـ لـإـيـرـانـ مـطـمعـ مـنـ هـذـاـ النـوـعـ ، فـقـدـ أـعـلـنـتـ إـيـرـانـ اـحـتـاجـاجـهـ عـلـىـ كـلـ مـعـاهـدـ عـقـدـتـهـ الـبـحـرـيـنـ مـعـ أـيـةـ دـوـلـةـ ، وـادـعـتـ إـيـرـانـ أـنـ حـكـوـمـةـ الـبـحـرـيـنـ لـاـ تـمـلـكـ هـذـاـ التـصـرـفـ لـأـنـ الـبـحـرـيـنـ جـزـءـ مـنـ إـيـرـانـ ، وـتـوـالـتـ حـكـوـمـاتـ إـيـرـانـ عـلـىـ هـذـاـ النـمـطـ ، بـلـ بـالـغـتـ الـحـكـوـمـةـ إـلـيـرـانـيـةـ سـنـةـ ١٩٥٨ـ إـذـ أـعـلـنـتـ اـنـضـامـ الـبـحـرـيـنـ إـلـىـ أـرـاضـيـهـ ، وـلـمـ يـكـنـ لـهـذـاـ إـلـاعـلـانـ مـنـ قـيـمـةـ إـلـاـ تـكـدـيرـ الـعـلـاقـاتـ بـيـنـ إـيـرـانـ وـبـيـنـ الـبـحـرـيـنـ بـوـجـهـ خـاصـ ، وـبـيـنـهـاـ وـبـيـنـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ بـوـجـهـ عـامـ .

ويحجـ إـيـرـانـ كـانـتـ دـائـمـاـ وـاهـيـهـ ، فـنـهىـ عـبـارـةـ عـنـ خـضـوعـ الـبـحـرـيـنـ لـإـيـرـانـ بـعـضـ فـقـرـاتـ التـأـريـخـ ، وـعـبـارـةـ عـنـ اـعـتـراـفـ وزـيـرـ خـارـجـيـةـ بـرـيـطـانـيـاـ سـنـةـ ١٨٦٩ـ بـتـبـعـيـةـ الـبـحـرـيـنـ لـإـيـرـانـ ، ثـمـ إـنـ أـكـثـرـ السـكـانـ مـنـ الشـيـعـةـ وـالـشـيـعـةـ فـرـسـ قـبـلـ كـلـ شـيءـ .

وهـذـهـ الحـجـجـ وـاهـيـهـ جـداـ ، فـإـنـ الـاسـتـعـمـارـ فـقـرـةـ مـنـ الزـمـنـ لـاـ يـسـتـلزمـ الـنـمـلـكـ وـالـتـبـعـيـةـ كـمـاـ قـلـنـاـ ، وـلـاـ وزـيـرـ خـارـجـيـةـ بـرـيـطـانـيـاـ يـمـلـكـ السـلـطـاتـ عـلـىـ الـأـرـضـ فـيـوـزـعـهـاـ كـمـاـ يـشـاءـ ، وـلـيـسـ مـذـهـبـ الشـيـعـةـ وـقـفـاـ عـلـىـ إـيـرـانـ .

وـقـدـ أـدـرـكـ أـحـدـ الـكـتـابـ الـغـرـبـيـنـ الدـوـافـعـ الـحـقـيقـيـةـ لـمـوقـفـ إـيـرـانـ فـقـالـ إـنـ إـيـرـانـ رـأـتـ عـاـصـفـةـ الـعـرـوـبـةـ تـجـتـاحـ الجـوـ ، فـخـافـتـ أـنـ يـطـالـبـ الـعـرـاقـ

— ٦٠٩ —

بعض المناطق العربية الخاضعة حالياً لحكم إيران ، فأسرعت إيران تسبق الحوادث وتدفع المطالبة بالمؤيد حتى تصرف النظر عن المناطق العربية التي تحت يدها وتوجه كل الاهتمام للبحرين^(١) .

ولكن هذا الصراع حول البحرين توقف الآن بعد أن قام ممثل للأمم المتحدة بقصص الحقائق ، فعاش فترة في البحرين وأتصل بالأفراد والهيئات ، فرأى ما يشبه الاجماع على عروبة البحرين ، وعلى الرغبة في الاستقلال ، واعترفت إيران باستقلال البحرين خصوصاً لهذا الاجراء .

محاولات إيرانية جديدة للسيطرة على البحرين :

ولكن الذي يedo من تتبع الأحداث أن إيران تدبر أمراً جديداً وتعمل بهمة لا تعرف التوالى ، فأكثر العرب قنعوا بهذه النتيجة واعتبروا المسألة منتهية ، ولكن إيران تفكر في المستقبل وتعمل له ذوى تدفع المسلمين بطريق أو باخر ليصلوا إلى البحرين ، وهي تنشر هناك لغتها ، وتنشئ مدارس فارسية ، ومستشفيات ، وتقيم صحفة ، وتجذب لها العديد من الشباب العرب ليتعلموا في جامعاتها ، وتمنحهم كثيراً من التسهيلات ، وفي كلية موجزة تتطلع إيران إلى استفتاء آخر يرجح كفتها ، وحينئذ ترى إيران أن العالم يجب أن يخضع لهذا الاستفتاء كما خضعت هي الاستفتاء الأول . واحتلال إيران للبحرين يعد خطراً بالغ الأهمية ضد العرب ضد الجزيرة العربية ، لأن البحرين تبعد عن الساحل العربي بحوالى ستة عشر ميلاً في حين تبعد عن الساحل الفارسي بحوالى مائة وثمانين ميلاً ، واحتلال إيران للبحرين سيهدد الساحل العربي وشبكة جزيرة قطر ودولة الإمارات التي تكونت من إمارات ساحل الصالح ، وأذلك يعني أن تنتيقط البحرين ، وتنتيقط الدول العربية نحو هذا الخطير ، وبخاصة أن الأثناء تقرر أن إيران تعد جيشاً هائلاً يخشى يوماً ما أن يتجه بالعداء تجاه الجيران العرب في الخليج ، أو في الشمال

(١) جان جاك بيريبي : الخليج الفارسي ج ٢٢٨ .
 () م ٣٩ - التاريخ ج ٧

- ٦١٠ -

والغرب من الخليج ، وهذه صيحة نرجو أن تدق أسماع من يعنفهم
الأمر .

٤- زيد من المعلومات عن «البحرين»

نسجل فيما يلى بعض معلومات حديثة ، وبالتالي لم تشملها الطبعات
السابقة لهذه الطبعة الرابعة :

١- البحرين عبر العصور :

في سنة ١٩٨٥ نظمت حكومة البحرين مؤتمرا عالميا للمؤرخين استغرق
أسبوعا وقامت فيه عشرات الأبحاث العلمية المؤثرة في مختلف مراحل
تاريخ البحرين الذي يتوجل في الزمن قرابة الخمسة آلاف عام منذ عهد
ربعون التي تعاصر سومر في بلاد ما بين النهرين وعصر بناء الأهرام في
مصر ، فكان مؤتمر «البحرين عبر العصور» الذي حضره مئات العلماء
احتفالا علميا جليلا أضفى مزيدا من المهابة على هذا القطر وتاريخه .

٢- من حضارة البابلية إلى حضارة الكمبيوتر :

يقول الباحثون إن دولة البحرين خلال فترة الاستقلال القصيرة
استطاعت أن تنتقل البلاد من حضارة البابلية إلى حضارة عصر الطائرة
النفاثة والكمبيوتر ، ومن جو العصور الوسطى إلى الجو الذي يناسب
استقبال القرن الحادى والعشرين .

٣- النفط وتراث البحرين ؟

كانت البحرين شديدة الحرمن على عدم الارتباط الدائم
 بالنفط ، وربط حياتها به ، فهو يتعرض لذبذبات الأسعار ، ولهذا فقد
اتجهت البحرين إلى خلق بعض الصناعات بها كصناعة الألومنيوم حيث
تستورد مواده الخام من استراليا وتصنفه بالداخل ثم تعرضه للبيع .
واهتمت البحرين كذلك بترشيد الإنفاق ووضع جدول للأولويات بحيث
 تستطيع مواجهة أي انخفاض في أسعار البترول .

جسر الملك فهد وأثره :

تكلمنا ضمن حديثنا عن المملكة العربية السعودية عن جسر الملك فهد الذي ربط بين السعودية بالبحرين ، وكان له أثر سياسي كبير ، فقد قضى على المحاولة الإيرانية التي كانت تدعى أن البحرين جزء منها ، فقد أصبحت البحرين - بهذا الجسر - شديدة الاتصال بالجزيرة العربية ، وقد ذكرنا هناك أن طول هذا الجزء حوالي ستة وعشرين كيلو متراً .

وكان لجسر الملك فهد آثار اقتصادية واجتماعية بالإضافة للآثار السياسية ، فهذا الجسر يمر عليه الآن آلاف السيارات من وإلى المملكة العربية السعودية والكويت وقطر والإمارات العربية المتحدة ، وهذا خلق رواجاً اقتصادياً بالبحرين ، كما قضى بخضص أسعار الخضراء والفاكه واللحوم لإمكان الحصول عليها من تلك الدول ، ثم إن الفنادق شهدت نشاطاً ملحوظاً بأكثر مدن البحرين .

مدينة حمد :

يقول شاهد عيان عن مدينة حمد :

ومن أعظم المشروعات التي انجزتها البحرين في السنوات الأخيرة إنشاء مدينة « حمد » التي تحتل مساحة ثاسعة جنوب العاصمة « المنامة » ، وكانت هذه المساحة من قبل صحراء جرداء وهي الآن مدينة متسعة الارجاء تضم ألف المنازل البيضاء التي تتكون من طابق واحد أو طابقين ، على نمط متشابه تتخالله الحدائق والميادين ، ويستطيع رب أسرة بحرينية الحصول على منزل مناسب من بين عدة نماذج مقابل قسط معندي لا يتتجاوز على أقصى تقدير ربع مرتبه ، بلا مقدم وبدون انتظار طويل .

وقد ساهمت مدينة « حمد » مع سابقتها مدينة « عيسى » في حل أزمة الاسكان بالبحرين نهائياً تقريباً ، وأصبحت معظم الشقق الجديدة في

- ٦١٢ -

المنامة والمحرق وكثير من الشقق القديمة خالية ، معتدلة الأسعار ، تحمل
لافقات « للايجار » .

جامعة الخليج العربي :

وقد كان من الذكاء والتوفيق أن اتفقت دول الخليج العربي
(السعودية - قطر - البحرين - الإمارات - عمان - الكويت) على
إنشاء جامعة الخليج العربي بالبحرين ، وهى خطوة أخرى لإبعاد أية
شبهة قد تتخلل بها إيران لضم البحرين لها .

وقد اتخذ مجلس التعاون الخليجي قراراً بأن تكون البحرين مركزاً
لهذه الجامعة التي تشهد كل دول مجلس التعاون الخليجي في نفقاتها ،
وقد خصصت دولة البحرين مليوني متر مربع لإقامة الجامعة في منطقة
تبعد عن العاصمة (المنامة) حوالي خمسة وعشرين كيلو متراً .

ومباني الجامعة تضم مباني الكليات والإدارة والمعامل ومساكن
الأساتذة ، ومساكن الطلبة والطالبات والموظفين ، كما تضم سوقاً مركزياً
وساحات رياضية ، وغير ذلك مما تحتاجه الجامعة .

يتحقق بجامعة الخليج العربي طلاب من مختلف الدول العربية

دَوْلَةُ قَطَرِ

- ٦١٥ -

دولة قطر

شبه جزيرة قطر قفزة هائلة داخل الخليج العربي كأنها مَعْثَام عظيم يرفع راية العروبة وسط الخليج ، وفيها تقع دولة قطر وعاصمتها الدوحة ، ومن أشهر بلدانها الزبارة ، ودخان وهي منطقة حقول الزيت .

وإلى قطر تنسب الثياب القطرية وكانت تتسمج فيها ، وتنسب لها كذلك النجائب القطريات التي تحدث عنها شعراء العرب .

لحنة تاريخية :

إن حديثنا عن « البحرين » القديمة شمل قطر ، فقد كانت شبه جزيرة قطر جزءاً من البحرين التاريخية ، وينبغى علينا الآن أن نذكر بعض ملامح من تاريخ قطر لنصل بتاريخها إلى المعهد الحاضر ، ولا بأس من عودة سريعة إلى الوراء لنسعى بها على التسلسل التاريخي الذي يصلنا بالحاضر .

كانت قطر جزءاً من البحرين أو الأحساء يحكمها حاكم خاص من قبل الخلافة ، وفي كثير من الأحوال كانت منطقة البحرين تابعة للبصرة أو اليمامة كما سبق القول .

وفي القرن الثامن الهجري استولى بنو نبهان العمانيون على قطر ، ولم يطل مقامهم بها ، ومن بعدهم تناوب على قطر وغيرها من مناطق البحرين كثيرون من أهل البلاد .

وفي سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٧) استولى البرتغاليون على قطر مع استولى عليه من مناطق الخليج .

وفي سنة ٩٤٣ هـ (١٥٣٧ م) أرسلَ السلطان سليمان القانوني أسطولاً بقيادة سليمان باشا والى مصر لحاربة البرتغال وطردتها ،

- ٦٦ -

ونجح هذا الأسطول في مهمته ، فطرد البرتغال من البحرين والمقطيف وقطر ، واستولى عليها كما استولى على الأحساء .

وعندما ضعفت الدولة العثمانية استطاع آل حميد من بني خالد أن يطروا العثمانيين سنة ١٠٨٠ هـ ، ويصبحوا ملوك الأحساء .

وعندما ظهرت الدولة السعودية الأولى مدت سلطانها إلى قطر في عهد عبد العزيز بن محمد ، وأرسلت لذلك حملتين أحدهما سنة ١٢٠٢ بقيادة سليمان بن عفیصان ، والثانية سنة ١٢٠٨ هـ بقيادة ابراهيم بن عفیصان .

وبعد سقوط الدرعية مد آل خليفة أمراء البحرين سلطانهم إلى قطر .

ثم أعاد السعوديون غزوهم لقطر في عهد الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٦٧ هـ ، وقد استطاع جيشه أن يطرد آل خليفة من شبه الجزيرة ، ويستولى على قصورهم وذخائرهم بها ، وحينئذ طلب أهل قطر بزعامة آل ثاني الأمان من الأمير السعودي فأمّنهم ، وعقب ذلك قام صراع بين عبد الله بن فيصل ، وبين أخيه سعود ما استدعى عبد الله بن فيصل العثمانيين لمساعدته ضد أخيه ، فاستجابوا له ، واستولوا على الأحساء وقطر وجعلوا قطر « قائم مقامية » تابعة للأحساء .

آل ثاني في قطر

كان الشیخ ثانی بن محمد مؤسس عائلة آل ثاني خیر عون آل خليفة أمراء البحرين الذين مدوا سلطانهم إلى قطر عقب سقوط الدرعية ، وعندما هبت حرب التحرير بين البحرين وبين بلاد فارس كان الشیخ ثانی بن محمد من خيرة قواد آل خليفة في هذه الحروب مما حقق انتصار البحرين على بلاد الفرس سنة ١٧٨٢ م ، وحدث عتب ذلك ان الشیخ سليمان آل خليفة نقل عاصمته من الزیارة بقطر إلى جزيرة المنامة بالبحرين ،

فلما انتقل آل خليفة إلى البحرين جعلوا آل ثاني حكامًا لقطر ، يحكمونها باسمهم وهكذا أصبح آل ثاني هم زعماء الشعب في قطر ، وقد حافظوا على زعامتهم الشعبية منذ ذلك الحين ، وكان محمد بن ثاني حاكم قطر لا يرضى أمراً إلا بموافقة آل خليفة ، وكان ابنه الشيخ قاسم نائباً له في أثناء حياته ، ولكنه كان من عظماء السياسة ، ومن كبار الآمال ، فبدأ يستقل بالأمر دون أن يعود لاستشارة آل خليفة ، فطلب آل خليفة من والده الشيخ محمد أن يرسل لهم ابنه الشيخ قاسم (لتجديد الصحبة والإزالة الشبيهة)^(١) فاستجاب لهم ، وأرسل الشيخ قاسم ، وهناك ألقى آل خليفة القبض على الشيخ قاسم ، وقام حروب بين آل ثاني وآل خليفة وتدخلت بريطانيا في الأمر ، وانتهت المشكلة بعقد اتفاق بضممان بريطانيا يحدد الروابط بين قطر والبحرين ، وقد وضع هذا الاتفاق أساس استقلال قطر عن البحرين ، وكان عليها فقط أن تدفع ضريبة لحاكم البحرين ، وكانت هذه الضريبة هي كل الالتزام ، ولم يهد لحاكم البحرين مندوب في قطر كما كانت الحال من قبل ، وعندما توفي الشيخ محمد بن ثاني سنة ١٢٩٥ هـ ، أصبح الشيخ قاسم أميراً لقطر .

قاسم بن محمد آل ثاني

(١٣٣١ - ١٨٧٨ هـ - ١٩١٣ م)

يعتبر الشيخ قاسم من عظماء السياسة وكبار القادة وهو مؤسس إمارة آل ثاني المستقلة بعد انتصاره على البحرين في الحرب التي أشرنا لها سابقًا ، وسرعان ما امتنع عن دفع الضريبة التي كان عليه أن يدفعها لحاكم البحرين ، وبذلك دعم استقلاله^(٢) .

وقد وحّدَ الشيخ قاسم قطر ، وقضى على مذاوئيه ، فتألف نجم

(١) مصطفى كامل الدباغ : قطر ماضيها وحاضرها ص ١٧٧ .

(٢) أمين الريhani : تاريخ نجف الحديث ص ١١٣ .

— ٦١٨ —

وعلت مكانته ، ومن هنا خاف العثمانيون أن ينقض عليهم كما فعل مع آل خليفة ، فأرسلت الدولة العثمانية جيشاً للقضاء عليه ، وطلبت الدولة من الكويت أن ترسل جيشاً للمساعدة في هذا الغرض ، وسار الجيشان ، ولكن جيش الكويت توانى في التسير قصداً ، فقامت المعركة قبل وصوله ، وكانت النصر للشيخ قاسم ، وعندما عرف الجيش الكويتي ذلك عاد أدراجه واستقر الأمر للشيخ قاسم ، وأضطر العثمانيون للتراجع ولتنبيه في مكانه .

وكان الشيخ قاسم سيء العلاقة بالإنجليز يعارض سياساتهم ولا يسير في فلكهم ، وهو لكل هذه المواقف يُعد أعظم قطرى في النصف الأول من القرن العشرين . وتوفي الشيخ قاسم سنة ١٢٣١ هـ (١٩١٣ م) .

الشيخ عبد الله بن قاسم (١٩١٣ - ١٩٤٩)

وخلفاؤه حتى الان

كانت الحكومة العثمانية مشغولة بتسوية علاقاتها مع دول البلقان سنة ١٩١٣ ، فرأى أن تقترب من بريطانيا لعلها تساعدها في ذلك الشأن فتنازلت لها عن حقوقها في قطر ، وكان ذلك ضمن الاتفاقية البريطانية العثمانية التي وقعت في العام الذي توفي فيه الشيخ قاسم ، وقد جاء في هذه الاتفاقية ما يلى « تنازل الدولة العثمانية عن جميع حقوقها في شبه جزيرة قطر التي سيستمر في حكمها الشيخ قاسم بن ثانى وخلفاؤه من بعده ، وتعلن الحكومة البريطانية أنها لن تسمح بتدخل شيخ البحرين في أمور قطر الداخلية ، أو ضمها إلى أراضيها » .

ولم يكن الشيخ عبد الله في حزم أبيه ومكانته أو قل : إن التفوذ البريطاني أصبح غنيماً في المنطقة في ذلك الحين ، ومن هنا أضطر الشيخ عبد الله إلى أن يعقد معاهدة مع بريطانيا كذلك المعاهدات التي أعطت

- ٦١٩ -

نفوذاً لبريطانيا في تلك المناطق ، وفي عهد الشيخ عبد الله اكتشف البترول فبدأ ثراء الذهب الأسود ينساب في شبه الجزيرة ٠

وتنازل الشيخ عبد الله للأسباب صحية إلى ابنه الشيخ على سنة ١٩٤٩ وقد ظل الشيخ على في الحكم حتى سنة ١٩٦٠ ، وفي عهده حدثت زيادة هائلة في البترول في قطر مما سبب زيادة في التعمير ، وارتفاعاً في مستوى المعيشة ٠

الشيخ أحمد والشيخ خليفة

وفي سنة ١٩٦٠ تنازل الشيخ على لابنه الشيخ أحمد ليصبح أميراً لقطر ، ونصت وثيقة التنازل على أن يكون الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني (ابن أخي الشيخ على) ولبياً للعهد ونائباً للحاكم الجديد ، وقد ظل الأزدواج قائماً حتى سنة ١٩٧٢ حيث عُزل الشيخ أحمد ، وأصبح الشيخ « خليفة بن حمد » نائب الحاكم هو الأمير ٠

ويقول المطلعون : إن السر في الأزدواجية أن الشيخ على بن عبد الله تولى الإمارة سنة ١٩٤٩ بعد وفاة شقيقه الأكبر الشيخ حمد بن عبد الله والد الشيخ خليفة الذي كان صغير السن عندما توفي والده ، ولذلك رأى أهل الحل والعقد في أسرة آل ثاني عندما تنازل الشيخ على عن الحكم لابنه أحمد سنة ١٩٦٠ ، أن تشنّد نيابة الحكم إلى الشيخ خليفة تعويضاً له عما فاته من قبل ، ومنعاً لحدوث أي انقسام في الأسرة ٠

وقد عُنى الشيخ على بتشييد قصور ضخمة له في قطر وسويسرا وبيروت وبلغ ثراه حداً كبيراً لدرجة أنه قدم للملك سعود عندما زاره عقب تنظيم الحدود بين البلدين هدية تبدو للمقاريء سخية للغاية ، فقد كانت عبارة عن سيارة كاديلاك وسيارة أوستن صنعت بعض أجزائها من الذهب ، وعشر حقائب من المجوهرات الثمينة (١) ٠

(١) مصطفى كامل الدباغ : المرجع السابق ص ١٩٤ ٠

وحتى سنة ١٩٧٠ كان للحكومة البريطانية نفوذ كبير في قطر ، وقد أذاع راديو لندن سنة ١٩٥٩ عقب زيارة الملك سعود لقطر التي أشرنا لها آنفاً أن هذه الزيارة تمت بعد موافقة الحكومة البريطانية عليها^(١) .

وفي خلال فترة الازدواجية وضي القتاقض بين الرجلين . ويقول الأستاذ نجيب الرئيس^(٢) : إن الشیخ خلیفة كان أميل لفهم التغييرات التي طرأت على قطر وعلى المنطقة ، ولذلك كان هناك صراع دائم مستمر بين الزعيمين ، وقد بُرِزَت مواهِب الشیخ خلیفة في المدة بين ١٩٦٨ و ١٩٧١ م في أثناء المباحثات لقيام دولة اتحاد الإمارات العربية ، فقد حاول أن يحتفظ بلاده بمركزها ، ثم أُعلن استقلال قطر في سبتمبر سنة ١٩٧١ .

وقد وضحت الخلافات بين الشیخ أَحمد وبين ولی عهده ونائبه ، حينما عطّل الشیخ أَحمد تنفيذ النظام الأساسي للدولة على الرغم من إصداره ، إذ كان يخشى من تنفيذه أن يتقدّم به هو وأعوانه العصبية القبلية التي كانوا يتمتعون بها في الحكم ، ومع ذلك فقد كان الشیخ أَحمد منصرفاً تماماً عن مهام الحكم ، إذ كان مغرياً برحلات القنص التي كان يقوم بها في إيران ، وكثيراً ما كان يقضى أشهر الصيف في قصره الذي بناه في سويسرا حتى أنه لم يكلف نفسه عناء العودة من جنيف ليعلن استقلال بلاده ، مما اضطر السیر « جيفري ارش » المقيم السياسي البريطاني في الخليج إلى مقابلته في جنيف ، ليوقع معه مراهيم انتهاء معاهدة الحماية بين بريطانيا وقطر ، وكان ذلك موقفاً مفيدةً للشیخ خلیفة الذي قام بإعلان استقلال بلاده ، فظهور بظاهر الحاكم الحقيقي لقطر^(٣) .

ولعل قيامه بهذه الخطوة هو الذي مهد له الظروف لتنفيذ حركته

(١) المرجع السابق : ص ٧١ .

(٢) صراع الواحات والنفط . ص ٢٢٠ .

(٣) المرجع السابق ونفس الصفحة .

- ٦٢١ -

الانقلابية في فبراير سنة ١٩٧٣ ، ليصل بها إلى الحكم ، واستطاع أن ينفرد بالسلطة ، وبالتالي ، ينْهَى عهداً من الأزدواجية في حكومة قطر ، استمر ما يقرب من اثنى عشر عاماً . وقد تم هذا الانقلاب بينما كان الشيخ أحمد في رحلة قنصل بين بندر عباس وشيراز ، واستطاع الشيخ خليفة أن يحظى بتأييد أعضاء الأسرة الحاكمة ، بالإضافة إلى قواد الجيش ، وب مجرد وصوله إلى السلطة استهدف بها تحديث الدولة وإقامة الحكومة على أسس عصرية .

ولا يزال الشيخ خليفة في مكانه حتى اليوم يمارس عمله بكلوعي وحكمة ، وتطور البلاد في عهده تطوراً سريعاً عميقاً .

ولى عهد قطر :

وفي مايو سنة ١٩٧٧ أصدر الشيخ خليفة بن حمد مرسوماً بتعيين ابنه الشيخ حمد ولينا للعهد ووزيراً للدفاع ، وكان منصب ولد العهد شاغراً منذ فبراير سنة ١٩٧٣ ، ولد العهد في السابعة والعشرين من عمره ، ولد ثقافة مدنية وعسكرية عالية .

أشهر المدن في قطر :

أشهر المدن في قطر هي الدوحة ، وتقع في منتصف الساحل الشرقي للجزيرة ، وهي مدينة عصرية الآن انتضحت بها معالم التقدم والرقي ، فطرقاتها واسعة مرصوفة وعلى جانبيها المتاجر العظيمة والفيلات الجميلة ، والدوحة برجاً هاماً لقطر ومن أبرز معالم الدوحة مستشفى العظيم وبرج الساعة الذي يرتفع ٧٣ قدماً عن سطح البحر ، والقلعة التي بني عليها قصر لكاتب الحاكم ، وفي الدوحة عدة من المساجد العظيمة وكثير من المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية وبعض المعاهد الصناعية .

ومن أشهر المدن مدينة دخان ، وهي مدينة البترول ، وتقع على

— ٦٢٢ —

مسافة سنتين ميلاً في الشمال الغربي للدوحة ، وقد شيدت فيها شركة المترول المكتاب والمنازل والفيلات لموظفيها وعمالها على أحدث طراز .

ومن المدن الهامة مدينة أم سعيد ، وهي منطقة المخازن الرئيسية للشركة ، وتقع بالجنوب الشرقي للدوحة على بعد ٢٥ ميلاً ، وتوجد بها مصبات المترول المنقول إليها بالأنابيب من آباره في دخان ، وقد أقامت فيها شركة بترول قطر بناياتها وفيلاتها للمعامل والموظفين ، وأم سعيد هي هبنة قطر منذ سنة ١٩٥٢ م .

ومن قرى قطر الريان والخور والخوير والوكرة وأم أصلال وزكريت وميسمة والعرיש .

ومن أشهر المدن بقطر الزبارة وكانت عاصمة البحرين ، نزل بها آل خليفة والجلahمة وآل ابن على في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ، وقد ظلت الزبارة عاصمة آل خليفة حكام البحرين إلى أن حوالى الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة (١٧٩٤ - ١٨٢٠ م) عاصمتها لتكون في جزر البحرين نفسها وبذلك أصبحت الزبارة مقاطعة تابعة للبحرين ثم استولت عليها قطر .

قطري بن الفجاءة :

ومن أشهر رجالات قطر قطري بن الفجاءة أحد أبطال الخوارج ، وقد ولد قطري في الخوير بالمعدان واسمه جعونة بن مازن وأمه من بنى شيبان ، وأخوه اسمه (الماحون) ولكن هذا كان من أهل السنة والجماعة ومن أصحاب المطلب ، ولذلك حارب « الماحون » « أخاه » « قطري » حرباً طويلة . ويروى ياقوت^(١) أن « قطري » قال لأخيه وكأنما قد تقابلوا في صفين يحارب أحدهما الآخر : أرأيت إذ كنت أنا وأنت نتدافع على ثدي أمنا بالمعدان ؟

(١) معجم البلدان : ج ١ ص ٢٢٠

— ٦٢٣ —

ويقول ابن خلkan^(١) : إن اسمه جعونة بن مازن ، وقطري ليس باسم له ، ولكنه نسبة إلى قطر ، وقد اشتهرت النسبة وحل محل الاسم ، وأبواه كذلك فكذلك اسمه ، لأنـه كان غائباً عن أهله باليمـن وطالـت غيـرته ، ثم عاد فجأة فأطلق عليه فـجاءـة ، ومكانـة قـطـريـنـ بنـ الفـجـاءـةـ فيـ مـيـادـينـ القـتـالـ مـكـانـةـ رـائـعةـ ، فـيـحـكـىـ أـنـهـ خـرـجـ فـيـ بـعـضـ حـرـوبـهـ وـهـ عـلـىـ فـرـسـنـ فـجـفـ وـبـيـدـهـ عـمـودـ مـنـ الـخـشـبـ ، فـدـعـاـ إـلـىـ الـمـبـارـزـةـ ، فـبـرـزـ إـلـيـهـ رـجـلـ استـهـانـ بـفـرـسـهـ وـبـعـمـودـ الـخـشـبـ الـذـيـ بـيـدـهـ وـلـكـنـ «ـ قـطـريـ »ـ فـاجـأـهـ بـأـنـ حـسـرـ الـلـثـامـ عـنـ وـجـهـهـ ، فـلـمـاـ رـأـهـ الرـجـلـ وـلـىـ مـدـبـرـاـ ، فـقـالـ لـهـ قـطـريـ : إـلـىـ أـيـنـ ؟ـ فـأـجـابـ الرـجـلـ قـائـلاـ :ـ لـاـ يـسـتـحـىـ الـإـنـسـانـ أـنـ يـفـرـ منـكـ .

وقد تحدثنا بإلغاذه عن قـطـريـنـ بنـ الفـجـاءـةـ فيـ المـجـزـءـ الثـانـيـ منـ هـذـهـ المـوسـوعـةـ .

(١) وفيات الاعيان : ٢ ص ١٨٤ - ١٨٥ .

دَوْلَةِ الْإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَحَدَّةِ

(م ٤٠ - التاریخ ج ٧)

ذكرنا عند حديثنا عن عمان أن الإمارات التي تكوّنت منها دولة الإمارات العربية المتحدة كانت جزءاً من عمان ، وأنه في أثناء المتفكك الذي انتاب عمان وأخضعها إلى عدد من الطموحين والقبائل ، ظهرت هذه الإمارات مع ما ظهر من مناطق مستقلة أو شبه مستقلة .

ويقول الدكتور سيد نوبل^(١) : إن ساحل عمان أو إمارات ساحل عمان كما يسميه أهله العرب ، أو ساحل القرصنة أو الهدنة كما دعاه البريطانيون ، هو أحد الأقسام الثلاثة التي انقسمت لها عمان وهي عمان ومسقط وساحل عمان ، وكان هذا الساحل بعد فصله عن عمان يمارس فيه أهل الشجاع دورب النشاط البحري ، فلما جاء الاستعمار البريطاني جرده من قوته البحرية ، ثم انتهى به إلى سبع وحدات إماراتنا في إضجافه ، ورغبة في تيسير التحكم فيه ، كما فعل الاستعمار في مناطق مختلفة من العالم ، وهذه الأقسام السبعة هي : أبو ظبي ، ودبي ، والشارقة ، وعجمان ، وأم القوين ، ورأس الخيمة ، والمفجيرة .

ويقول الدكتور صلاح العقاد : إنه منذ قيام حكم البوسعيد في عمان انفصل القسم الشمالي من ساحل عمان عن النطعية لسقوطه ، وأخذت نواة قشّي قبيلة جديدة تظهر هناك مثل بنى ياس والقواسم ، أما في عهد اليعاربة ، فكان من المتعارف عليه أن عمان تمتد من اقليم ظفار المتاخم لحضرموت حتى قطر في وسط الخليج العربي^(٢) .

ويمكّنا أن نعطي مزيداً من الشرح لاستقلال منطقة الإمارات عن عمان ، فإن قبيلة القواسم نزلت ساحل عمان في القرن السابع عشر ، ووطدت أقدامها به في مطلع القرن الثامن عشر ، ثم أصبحت قوة بحرية هائلة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وفي مطلع القرن التاسع

(١) الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي ج ٢ ص ٤٥ .

(٢) التيارات السياسية في الخليج العربي ص ٥٢ .

عشر ، وهذه القبيلة وقفت قوية أمام الصراع الذي كان يدور في المنطقة ، والذي كان السعوديون والإباضية والإنجليز أطرافاً فيه ، واستطاع القواسم أن تكون لهم السيطرة البحرية على هذه المنطقة ، وفي سنة ١٧٤١ أعلن رحمة بن مطر زعيم القواسم الاستقلال بهذه المنطقة ، واتخذ رئيس الخيمة قاعدة له ، واعترف له بالاستقلال أحمد بن سعيد مؤسس دولة البوسعيديين .

وإذا كان القواسم قد أصبحوا قوة بحرية هائلة في المنطقة ، فقد ظهرت بالمنطقة قوة بحرية خطيرة هي قوة بنى ياس وحلفائهم الذين يتزعمهم آل بو فلاح ، وكان مقرهم الطفرة والبريمي وجزيرة أبوظبي .

ولما كانت هذه الإمارات في الأصل جزءاً من عمان ، فإن تاريخ عمان هو تاريخ هذه الإمارات حتى تم انفصالها عن عمان ، ومن هنا فإن الباحث عن تاريخ هذه الإمارات لا يبدأ رصد تاريخ مستقل لها إلا منذ انفصالها عن عمان ، أما قبل ذلك فإن تاريخ عمان ينسحب عليها وهو تاريخها .

وقد بدأ استقلال هذه المنطقة في منتصف القرن الثامن عشر كما ذكرنا آنفاً ، وكانت رئيس الخيمة عاصمة المنطقة ، وفي عهد الشيخ سلطان ابن صقر الأول نُقلت عاصمة القواسم من رئيس الخيمة إلى الشارقة ، ثم حدثت بعد ذلك أحداث سياسية كان الاستعمار أهم أطرافها ، وقد خاضت بريطانيا حرباً طاحنة ضد هذه المنطقة ، وأذاعت على العالم أن سكانها قراصنة ، وأن التجارة العالمية في حاجة لإزالة القرصنة من المنطقة ، وراحـت تضرـب بعنـف حتى استـطاعتـ أن تـحتـلـ أـهـمـ المـوانـىـ فـيـ المـنـطـقـةـ فـيـ العـقـودـ الـأـوـلـىـ مـنـ الـقـرـنـ التـاسـعـ عـشـرـ ، وـعـقـدـتـ مـعـ الـحـكـامـ رـاضـينـ أوـ كـارـهـينـ مـعـاهـدـاتـ أـخـطـرـهاـ مـعـاهـدـةـ سـنـةـ ١٨٣٠ـ الـتـىـ أـدـخـلـتـ المـنـطـقـةـ كـلـهـاـ تـحـتـ الـسـيـطـرـةـ الـبـرـيـطـانـيـةـ ، ثـمـ تـجـدـدـتـ الـمـعـاهـدـاتـ بـعـدـ ذـلـكـ مـعـ الـشـيـوخـ فـيـ المـنـطـقـةـ مـاـ وـضـعـ الـأـسـاسـ لـقـيـامـ إـمـارـاتـ مـتـعـدـدـةـ فـيـ سـاحـلـ عـمـانـ ،

وكان كل المعاهدات تسير على نمط واحد تقريباً ، إذ كانت عبارة عن التهدى بعدم عقد اتفاقيات إلا مع الحكومة البريطانية ، وكذلك عدم إرسال مراسلات لغير هذه الحكومة ، كما شملت تعهدات بـعدم السماح لأية دولة غير بريطانيا بأن تقيم لها تمثيلاً بهذه الإمارات ، وكذلك التعهد بعدم التنازل عن أي جزء من أجزاء الإمارة لأية دولة غير الدولة البريطانية .

وهكذا انقسم ذلك المساحل إلى إمارات المسبع ، وأصبح السلطان الحقيقي في يد المستعمر البريطاني .

مشكلات الإمارات :

إن قيام هذه الإمارات أبرز كثيراً من المشكلات التي توحى بصعوبة قيام هذه الإمارات منفصلة بعضها عن بعض ، فبعضها لا يبلغ تعداد سكانه أكثر من تعداد بلدة صغيرة ، وبعضها لا يملك موارد تيسير وسائل العيش ، ولديه هناك حدود فاصلة بينها ، ومن هنا كان التنازع واسعاً بين هذه المشيخات أو إمارات بعضها والبعض ، فقد كانت هناك مناطق تتنازع عليها عمان ورأس الخيمة والفجيرة ، ومناطق تتنازع عليها عمان وعجمان وأبو ظبي والشارقة ، ولديه في استطاعة الإنسان أن يصل من بلد « الشارقة » في إمارة الشارقة إلى بلد آخر في نفس الإمارة هى « خور فكان » دون أن يمر بأرض كثير من الإمارات الأخرى ، وذلك بسبب تداخل أقسام كل إمارة في أراضي الإمارات الأخرى (١) .

ومن أجل هذا حاولت الإمارات أن تنظم الحدود بينها ، وأن تنظم وسائل التعايش ، ولكنها أخيراً وجدت أن أيّس طريقاً لحياتها جمِيعاً هو أن تتجتمع لا أن تتفرق ، فاتخذ زعمُوها القرار التاريخي بإقامة دولة الإمارات العربية المتحدة لتشملها جميعاً كما سُنِّي فيما بعد .

(١) دكتور سيد نوبل : الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي

٢١ ص ١٥٥ .

تعريف بالإمارات

يمكن تقسيم الإمارات أو المشيخات من ناحية المساحة إلى أنواع ثلاثة : مشيخات كبيرة وهي أبو ظبي ودبي ، وشيخات متوسطة وهي الشارقة ورأس الخيمة ، وشيخات صغيرة وهي أم القيوين والمعجمان والمجيرة ، وسنورد فيما يلى كل مشيخة من هذه المشيخات .

أبو ظبي :

إمارة أبو ظبي (١) أكبر إمارات ساحل عمان ، تبلغ مساحتها ٨٠ ألف كيلو متر ، وامتدادها على ساحل الخليج يصل إلى ٢٥٠ ميلا ، أما امتدادها في الداخل فيتراوح بين مائة ومائتي خمسين ميلا ، وهي مساحة هائلة بالنسبة لإمارات ودول المنطقة ، وحدود الإمارة تبدأ من قطر في الغرب إلى دبي في الشرق ، وتتبعها جزر كثيرة في الخليج وسكانها حوالي ربع مليون .

وحرارة الجو في إمارة أبو ظبي رهيبة جدا ، وتحصل أحيانا إلى خمسين درجة مئوية في الظل .

وقد تفجر البترول في المناطق التسابعة لأبو ظبي في الخمسينيات فحمل الإماراة خيرا وبركة ، وهناك واحات تابعة لأبو ظبي تنتشر فيها الخضرة والمزارع مثل واحة ليوا والبوريمى ، وفيها عدا هاتين الواحتين ، فإن النباتات الصحراوية هي التي تظهر هنا وهناك في مناطق الإماراة .

وكان المؤلؤ والتمور من أهم محاصيل أبو ظبي ، ولكن انتشار البترول جذب الأيدي العاملة ، فاتجه أكثر النشاط للذهب الأسود .

(١) آثرنا أن نذكرها هكذا (أبو ظبي) في حالات الرفع والتنبه والجر .

لحة تاريخية :

تذكر المصادر الأولى أنه بينما كانت القبيلة الكبيرة بنى ياس تتجول في ديارتها ، عشر أحد رجالها من آل بو فلاح عام ١٧٦١ على بئر ماء في جزيرة أبو ظبي . وقد دفع هذا بعض أفراد بنى ياس إلى أن يهاجروا إلى الجزيرة ، وأن يبنوا حول البئر بعض أكواخهم ، وسرعان ما انتشر نبا العثور على بئر في جزيرة أبو ظبي ، مما دفع موجة أخرى من بنى ياس إلى الهجرة إلى الجزيرة المطلة على مياه الخليج ، والقريبة من معاصالتلؤؤ ، وهكذا تم بناء عشرين كوخا من سعف النخيل . وأصبح لبني ياس مستعمرة ساحلية .

في هذا الوقت — أواخر القرن الثامن عشر الميلادي — استطاع الشیخ عیسی بن نهیان أن يجمع بنى ياس تحت لوائه ، وهو ، بذلك يعتبر أول حکام آل نهیان . وخلفه دیاب بن عیسی الذي يعتبر مؤسیین المستعمرة الساحلية ، ولكنه ظل مقیماً في الداخل ، وكان يزور بين الفينة والفينية رعاياء القلیلین المستوطّنین حدیثاً جزيرة أبو ظبی .

ومات دیاب بن عیسی ، فتولی زعامة آل بو فلاح ابنه شخبوط الأول « ١٧٩٣ – ١٨١٦ » الذي كان من طراز الزعماء الواسعی الأفق ، وفي عهده تأکدت زعامة آل بو فلاح على بنى ياس ^(١) .

وفي عام ١٨١٦ عزله ابنه الأکبر محمد وتولی بدله مدة ستين .

وفي عام ١٨١٨ استطاع طحنون بن شخبوط أن يعزل أخيه محمدًا وأن يتولى أمر أبو ظبی متعاوناً مع أبيه ، أو منفرداً بالسلطة بعد أن تنازل له الأکب ، وقد امتد حکم الشیخ طحنون من سنة ١٨١٨ إلى ١٨٣٣ ،

(١) أبو ظبی : من مطبوعات دار الهلال للتعریف بالبلاد العربية . بتصرف .

وفي خلال هذا العهد زاد التدخل البريطاني ، وأرغم الشيخ شخبوط وقت أن كان لا يزال يحكم مع ابنه طحنون « على تقبيل معايدة بيناير سنة ١٨٢٠ المقى وضعـتـ القيـودـ عـلـىـ نـشـاطـ أـبـوـ ظـبـىـ ،ـ وـاتـجـهـ الـانـجـليـزـ كـذـالـكـ إـلـىـ شـيـوخـ الـمـشـيـخـاتـ لـيـعـقـدـواـ مـعـهـاـ مـعـاهـدـاتـ مـمـاثـلـةـ •

وقد وضعـتـ هـذـهـ مـعـاهـدـاتـ ،ـ وـتـلـكـ التـجزـئـةـ أـسـاسـاـ لـلـمـصـارـعـةـ بـيـنـ الشـارـقـةـ مـرـكـزـ الـقوـاسـمـ الـتـىـ كـانـتـ تـنـطـلـعـ لـزـعـامـةـ الـمـنـطـقـةـ وـبـيـنـ أـبـوـ ظـبـىـ مـرـكـزـ بـنـىـ يـاـسـ ،ـ وـأـعـوـانـهـمـ مـنـ الـنـاصـرـ ،ـ وـمـمـاـ قـوىـ هـذـاـ الـمـصـرـاعـ أـنـ الـقـوـاسـمـ كـانـوـاـ يـنـحـدـرـوـنـ مـنـ (ـ الـعـافـرـيـةـ)ـ وـأـنـ بـنـىـ يـاـسـ يـنـحـدـرـوـنـ مـنـ (ـ الـهـنـاوـيـةـ)ـ ،ـ وـقـدـ سـبـقـ أـنـ ذـكـرـنـاـ عـنـ الـحـدـيـثـ عـنـ عـمـانـ كـثـرـةـ الـمـصـرـاعـ وـالـتـنـافـسـ بـيـنـ هـاتـيـنـ الـقـوـتـيـنـ •

وـشـهـدـ عـهـدـ الشـيـوخـ طـحـنـونـ الـمـصـرـاعـ الـذـىـ دـارـ بـيـنـ الـقـوـةـ الـسـعـودـيـةـ بـالـجـزـيـرـةـ وـبـيـنـ أـبـوـ ظـبـىـ حـولـ وـاحـةـ الـبـورـيـمـيـ ،ـ تـلـكـ الـوـاحـةـ الـتـىـ كـانـتـ مـحـلـ أـطـمـاعـ الـسـعـودـيـنـ وـعـمـانـ وـأـبـوـ ظـبـىـ وـالـانـجـليـزـ ،ـ وـالـتـقـىـ اـنـتـهـىـ لـوـضـعـهـ الـطـبـيـعـىـ جـزـءـاـ مـنـ أـبـوـ ظـبـىـ •

وـبـعـدـ الشـيـوخـ طـحـنـونـ قـامـ صـرـاعـ بـيـنـ أـخـوـيـهـ خـلـيـفـةـ وـسـلـاطـانـ ،ـ ثـمـ اـسـتـطـاعـ خـلـيـفـةـ أـنـ يـنـفـرـدـ بـالـحـكـمـ وـحـدـهـ ،ـ وـقـدـ ظـلـ حـاـكـمـ حـتـىـ تـوـفـىـ سـنـةـ ١٨٤٥ـ وـشـهـدـ عـهـدـ كـثـيـراـ مـنـ الـمـصـرـاعـ بـيـنـ مـشـيـخـاتـ الـمـنـطـقـةـ •

بـعـدـ وـفـاةـ الشـيـوخـ خـلـيـفـةـ بـنـ شـخـبـوـطـ تـولـىـ الشـيـوخـ سـعـيـدـ بـنـ طـحـنـونـ حـتـىـ سـنـةـ ١٨٥٥ـ ،ـ وـسـعـيـدـ هـذـاـ هـوـ الـذـىـ نـازـلـ الـسـعـودـيـنـ سـنـةـ ١٨٤٨ـ بـعـدـ أـسـتـهـمـالـ إـلـىـ جـانـبـهـ قـبـائـلـ الـطـوـاهـرـ وـالـنـعـيمـ وـالـقـبـائـلـ الـعـمـانـيـةـ عـلـىـ السـاحـلـ •

وـفـيـ سـنـةـ ١٨٥٥ـ تـولـىـ الشـيـوخـ زـاـيدـ بـنـ خـلـيـفـةـ أـبـوـ ظـبـىـ بـعـدـ وـفـاةـ الشـيـوخـ سـعـيـدـ ،ـ وـفـيـ عـهـدـ الشـيـوخـ زـاـيدـ أـصـبـحـتـ أـبـوـ ظـبـىـ مـنـ أـكـبـرـ إـمـارـاتـ سـاحـلـ عـمـانـ مـنـ حـيـثـ الـسـاحـةـ وـالـقـوـةـ السـيـاسـيـةـ ،ـ وـقـدـ اـمـتدـ حـكـمـ

الشيخ زايد حتى عام ١٩٠٩ ، ويعتبر عصره من أزهى عصور الإمارة ، وقد اجتمعت له الشجاعة والرأي وحسن التصرف ، وحالقه توفيق كبير في سياساته الداخلية والخارجية .

ويقول المصدر الذي أشرنا إليه آنفاً^(١) العبارة التالية التي توضح حالة البوريمي منذ ذلك التاريخ :

اتجه زايد بن خليفة ببصره نحو البوريمي الذي سيطر عليهما النفوذ السعودى فى أواخر عهد سعيد بن طحنون ، وقد استطاع زايد أن ينتصر على الحامية السعودية فى معركة كبيرة ، أجلى بعدها عن الواحة منْ بقى منهم على قيد الحياة ، ومنذ ذلك التاريخ عادت البوريمي إلى أبو ظبى .

وقد شهد عهد الشيخ زايد عقد اتفاقية بين أبو ظبى وبين بريطانيا سنة ١٨٨٧ وتسمى الاتفاقية (الاتفاقية المانعة) وتدور نصوصها فى نطاق النصوص التى تحدثنا عنها من قبل مثل هذه الاتفاقيات .

وبعد الشيخ زايد بن خليفة توالي حكم أبو ظبى فى أسرة آل نهيان على النحو التالى :

١٩١٢ - ١٩٠٩	طحنون بن زايد
١٩٢٢ - ١٩١٢	حمدان بن زايد
١٩٢٧ - ١٩٢٢	سلطان بن زايد
١٩٢٨ - ١٩٢٧	صقر بن زايد
١٩٦٦ - ١٩٢٨	شخبوط بن سلطان بن زايد
١٩٦٦ - حتى العهد الحاضر	زايد بن سلطان

(١) أبو ظبى : هـ ٥٧ ، ٥٨ .

وينبغى أن نذكر أن شخبوط بن سلطان تولى المشيخة وهي في مطلع الشباب ويمتاز عهده بالهدوء والسكينة بفضل القسم الذى أخذه أمراء أسرة آل نهيان على أنفسهم ، وكانت الشيخة المصونة ((سلامة)) والمدة شخبوط هي التى استطاعت أن تأخذ الأسرة بهذا القسم بعد فتورة الأضطراب التى سبقت الشيخ شخبوط ، وفي عهد الشيخ شخبوط اندلعت المنشروں في الإمارات ، واندلع معه الخير الوفير ، ولكن الشيخ شخبوط انتصـح بـنـصـيـحةـ الـأـجـانـبـ الـذـيـنـ باـعـدـواـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الـعـرـبـ ، وـحـذـرـوهـ منـ التـقـدـمـ وـحـبـبـواـ إـلـيـهـ اـكـتـنـازـ الـأـمـوـالـ ، وـلـمـ يـصـنـعـواـ مـنـ الـمـشـرـوـعـاتـ الـعـمـرـانـيـةـ إـلـاـ بـمـقـدـارـ مـاـ يـخـدـمـ الـعـامـلـيـنـ الـأـجـانـبـ فـيـ اـسـتـغـالـ الـبـتـرـوـلـ وـبـيـسـرـ لـهـمـ وـسـائـلـ الـإـقـامـةـ وـالـراـحـةـ (١)ـ وـكـانـ هـذـاـ التـرـمـةـ وـسـوـءـ الـعـلـاـقـةـ مـعـ بـعـضـ الـجـيـرانـ مـنـ أـسـبـابـ عـزـلـ الشـيـخـ شـخـبوـطـ سـنـةـ ١٩٦٦ـ .

زايد بن سلطان :

كان الشيخ زايد خير عون لأخيه شخبوط إبان حكمه ، فقد تولى إدارة شئون المنطقة الشرقية منذ سنة ١٩٤٦ ، وفي خلال هذه المدة تمرس الشيخ زايد بالعمل السياسي والإداري بالإضافة إلى ما يمتاز به من ذكاء ، وشخصية ، وقوة واعتزاز بالنفس ، وحسن مكانة بين قبائل المنطقة .

ويمتاز الشيخ زايد بن سلطان كذلك بالحكمة البالغة ، وكان مجلسه للقضاء ينتهي بالتفقيق بين التقاضيين والمحبة بينهم ، وفي كل المشكلات التي خاضها الشيخ زايد كان يجد نموذجاً ممتازاً بين الرجال وقدوة صالحة بين المصلحين والحكام .

وقد استطاع الشيخ زايد أن يحقق لإمارته الـأـوـانـاـ منـ التـقـدـمـ وـالـنـظـامـ لأـوـلـ هـرـةـ فـيـ تـارـيـخـ هـذـهـ الـإـمـارـاتـ ، فـقـدـ نـظـمـ الـإـدـارـةـ الـحـكـوـمـيـةـ وـعـيـنـ

(١) دكتور سيد نوبل : الأوضاع السياسية ٢ ص ٥٠ .

الوزراء أو من يقوم مقامهم ونظم ديوان الحكم ، وأنشأ مجلساً للتخطيط ، ودائرة للشئون الاجتماعية ، ونظم المشرطة والأمن والدفاع وشئون الصحة والعلم ، وفي كلمة مجملة نقل الشيخ زايد الإمارة من عصر إلى عصر ، ودفع بها شوطاً هائلاً في مجالات التقدم والرقي ، ووجه ثروتها لخدمة أبنائها ، وفتح الأبواب للعرب من مختلف البلاد ليقدموا خبرتهم وتجارتهم متعاونين مع الحكم ورجاله لخير الإمارة وللخير العربي العام ^(١) ، واتجه زايد إلى التوسيع في برامج الخدمات والإنشاءات ، لا بالنسبة لإماراته فقط بل أمند بهذه الخدمات إلى جيرانه ، وقدم المعونات لدول عربية أخرى ^(٢) .

دبي :

تقع دبي بين أبو ظبي والشارقة ، وتبلغ مساحتها ١٥٠٠ ميل مربع ، ويبلغ سكانها حوالي مائة ألف شخص ، وشيخة دبي قاحلة بوجه عام وتوجد بها بعض القرى الخضراء والمزارع حول العيون بالصحراء ، وتقع مدينة « دبي » على جانبي خور طوله عشرة أميال ، وأحد جانبي هذا الخور يعرف ببر ديره ، ويعرف الجانب الآخر ببر دبي ، وينتقل الناس بين البرين على جسر أقيم سنة ١٩٦١ أو بالمواكب الشراعية ، ومن هنا فإن هذا الموقع يسمى « فينيسيا الخليج » وقد أقيم حديثاً نفق تحت الماء يربط بين البرين .

ودبي هي المركز التجاري لساحل عمان ، وميناؤها أهم ميناء بالمنطقة ، وكذلك مطارها أعظم مطار بها ، وقد أنشئت بها مجموعة من المنازل ، والفنادق الحديثة ، ووصلت صادراتها أخيراً إلى مستوى رفيع .

(١) المرجع السابق ص ٥١ .

(٢) دكتور صلاح العقاد : التيارات في الخليج العربي ص ٢٨٩ .

- ٦٣٦ -

وفي أثناء الحرب الداخلية بلبنان جذبت دبي أوجه النشاط التجارى
والفنى الذى تعودت لبنان أن تحضنه .

وقد شهدت دبي أولى المدارس العصرية في المنطقة .

والحكم في دبي في أسرة آل مكتوم وهى فرع من فروع بنى ياس ،
وهي بذلك تمت بصلة القرابة إلى الأسرة الحاكمة في أبو ظبى ، ولو أن
الصلات لم تكن طيبة بين الأسرتين في العهود الماضية .

ويرجع الفضل في تقدم دبي إلى الشيخ سعيد آل مكتوم الذي حكم
المشيخة من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩٥٨ فقد عنى الشيخ بتنظيم مشيخته
وجعل دبي تمثل المنفذ الرئيسي لتجارة الساحل ، وبعد الشيخ سعيد
آل الحكم في الشيخة للشيخ راشد بن سعيد ، وهو معروف بجده ونشاطه
واقباله على العمل في المشروعات العامة لإمارة ، وترتبطه صلات مصاورة
وتعاون بحاكم قطر ، ولهذا تستثمر في دبي أموال قطر فضلاً عن أموال
الكويت وغيرها .

وقد تدفق البترول في دبي ابتداء من سنة ١٩٦٨ فحمل للأهلين الخير
والرخاء .

الشارقة :

تقع الشارقة شرقى دبي ، ومساحتها تقرب من مساحة دبي ،
وعاصمتها مدينة « الشارقة » وهى تبعد عن دبي بحوالى عشرة أميال ،
وتعتبر إمارة الشارقة أعرق مشيخات الساحل لأنها تعد نفسها وريثة
لدولة التواسم القديمة .

وتتقسم الشارقة قسمين : القسم الغربى وهو الأكبر وفيه العاصمه
وأماكن التقىب ، والقسم الشرقي وهو يقع شمالى سهل الباطنة الخصب
وإذك يمتاز هذا القسم بخصبه وكثرة فاكحته . ويشمل هذا القسم

— ٦٣٧ —

حسن « دبا » و « خورفكان » وهناك مناطق متنازع عليها بين الشارقة والإمارات الأخرى ومسقط .

وقد ضعف شأن الشارقة منذ وفاة سلطان بن صقر الثاني سنة ١٨٦٦ ثم استعادت الإمارة مكانتها بعد حربها المظفر مع رأس الخيمة التي تنتهي أيضاً إلى قبيلة القواسم ، ثم زادت شهرة الشارقة عندما أقامت بريطانيا بها قاعدة جوية سنة ١٩٣٧ اعتبرت من أكبر القواعد الحربية بالخليج .

ومن أمرائها المشاهير الشيخ صقر بن سلطان القاسمي (١٩٥١ - ١٩٦٥) وكان أدبياً وشاعراً وعمل على تطوير إماراته وربط نشاطه بالخط العربي مما أثار عليه بريطانيا فأدى ذلك إلى عزله سنة ١٩٦٥ ^(١) وتولى ابن عمه الشيخ خالد بن محمد القاسمي ولكن الأمير الجديد بذلك جهداً واضحاً لتطوير الإمارة فمهّد الطرق واهتم بالأمن وأنشأ الموانئ ، وعمق صلته بالجامعة العربية ، ولذلك يمكن القول أن القوى العربية بالإمارة هي التي جاءت به إلى الحكم وليس بريطانيا لأنها لم يسر في فلكها .

ويتبع الشارقة جزيرتان تقابلان شاطئ الشارقة هما جزيرة أبوهومي وجزيرة صين بو نعین ، ويوجد بالجزيرة الأولى الماء العذب ، كما يوجد بالجزيرة الثانية الأوكسيد الأحمر .

عجمان :

استمراً المسيرتنا تجاه الشمال الشرقي نواجه عجمان بعد الشارقة ومشيخة عجمان أصغر الإمارات السبع ، وسكانها حوالي عشرة آلاف نسمة ، وتكثر المناطق التي تتنازع عليها عجمان مع بعض الإمارات

(١) دكتور سيد نوفل : الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربي ج ٢ ص ٥٣ والخليج العربي للدكتور صلاح العقاد ص ٢٩١ .

الأخرى ، ويعتمد السكان على صيد السمك وعلى التجارة ، كما يعملون في بعض الإمارات الأخرى التي ابتعق فيها البترول ، ومعظم سكان الإمارة من قبيلة النعيم آل بو مهير والسودان .

وحاكم عجمان من سنة ١٩٢٨ هو الشيخ راشد بن حميد الغعيمي وعاصمة الإمارة عجمان وبها أكثر سكان الإمارة .

أم القوين :

تقع أم القوين إلى الشمال الشرقي من الشارقة أيضاً ، وهي مثل عجمان في المساحة وفي عدد السكان تقريباً ، ويقال أن اسمها تحريف من « أم القوتين » لشدة بأس أهلها وشجاعتهم التي عرفوا بها إبان الصراع ضد القوى المعادية ، وأرض الإمارة ملحة وتتبعها جزيرة (السعينية) حيث يكثر الغزلان التي تجذب الناس للصيد ، وحاكمها منذ سنة ١٩٢٩ هو الشيخ أحمد بن راشد الملا من قبيلة آل على .

رأس الخيمة :

تقع رأس الخيمة إلى الشمال الشرقي من أم القوين وتبعد مساحتها مساحة عجمان وأم القوين جميعاً ، ويقدر سكانها بحوالي أربعين ألف نسمة ، وتنقسم رأس الخيمة为 قسمين أحدهما يقع على الخليج العربي ، والثاني يقع في الجهة الشرقية ويفصله عن القسم الأول بعض الأرض التي تتبع الشارقة وعجمان وعمان .

ومشيخة رأس الخيمة كثيرة المياه خصبة التربة ، ومن هنا تكثر فيها الأشجار والحبوب والخضر ، ومن أخصب أراضيها وأدبي الحويلات ويعمل سكان رأس الخيمة في الزراعة والتجارة وصيد الأسماك ، والغوص

(١) د. سيد نوفل : الأوضاع السياسية : ج ٢ ص ٥١ وما بعدها بتصرف .

لاستخراج اللؤلؤ ، ويذكرون أن سبب تسميتها رأس الخيمة أن أميرها كان يقيم في خيمة على مرتفع ، وكان المرتفع يمثل خيمة عربية تقع خيمة الأمير في قمتها ، وكانت أصوات الخيمة تظهر للقادمين في البحر ، فأطلقوا عليها هذا الاسم ، وحاكمها منذ سنة ١٩٤٨ هو الشيخ صقر بن محمد بن سالم القاسمي *

وتميز رأس الخيمة ببعض الآثار التاريجية وأهمها « الصبرة » وهو حصن لاتزال آثاره موجودة و « جلفار » وهي مدينة شمالى رأس الخيمة ينسب إليها الملاح العربى الشهير شهاب الدين أحمد بن ماجد مرشد فاسكودى جاما فى رحلته حول إفريقيا .

الفجيرة :

تقع مشيخة الفجيرة على ساحل خليج عمان ، وبذلك فهي تطل على سهل الباطنة ، وسكانها حوالي عشرين ألفا ، ومعظمهم يعيشون عيشة البدو فيشتغلون بالرعي وصيد الأسماك ، وقد ظلت فيعزلة فلم يدخلها التعليم إلا منذ سنوات ، وحاكمها منذ سنة ١٩٤٠ هو الشيخ محمد بن حمد الشارقى (١) *

ذلك لحنة قصيرة عن هذه الإمارات ، وهذه المحة تربينا أن من المستحيل أن تعيش كل إمارة مستقلة بصغر حجمها وقلة موارد بعضها وقلة عدد سكانها ، وكانت بريطانيا تمثل الأمم لكل هذه الإمارات ، وتحمى تفكها ، فلما أعلنت في مطلع سنة ١٩٦٨ قرارها بالجلاء عن شرقى المسؤولين قبل نهاية ١٩٧١ أى في ١٩ ديسمبر سنة ١٩٧١ أصبح من المحتم أن يوجد كيان جديد قوى بالمنطقة ، فبدأت المشاورات والفاوضات لذلك كما سنرى فيما يلى :

(١) د . سيد نوبل : الأوضاع السياسية : ج ٢ ص ٥١ وما بعدها بتصرف .

قيام دولة إمارات

قلنا آنفاً إن إعلان بريطانيا عن الجلاء هو الذي ألزم قيام نوع من الارتباط بين هذه الإمارات ، ولكن من الحق أن نقرر أن الرغبة في الارتباط كانت حديث المثقفين من أبناء الخليج منذ أمد طويل ، فــ من المعروف أن هذه الإمارات كانت جزءاً من عمان ، وكانت أحوال عمان قبل السلطان قابوس لا تشجع المثقفين بهذه الإمارات أن يحاولوا العودة لربط إماراتهم بعمان ، ومن هنا اتجهوا لمحاولة الربط بين هذه الإمارات بعضها والبعض ، فــ هي في الحقيقة أجزاء من وطن واحد .

وحاولت بريطانيا سنة ١٩٥٢ أن تقيم اتحاداً بين هذه الإمارات ، ولكن المحاولة نظر إليها على أنها مشروع استعمارى يرمى لخدمة بريطانيا بوضع القوى الموالية لها في قمة الاتحاد الجديد ، كما فعلت ببريطانيا في الجنوب العربى (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) .

بيد أن إعلان بريطانيا الجلاء أزال الشبهة الاستعمارية ، ووضع هذه الإمارات أمام مسؤوليتها لتواجهه مستقبلاً ، ومن هنا قامـت مباحثات نشطة لخلق اتحاد بين هذه الإمارات ، وكانت هذه المباحثات ترمي في كثير من الأحوال إلى ضم قطر والبحرين إلى إمارات الساحل العمانى ليــ تكون من المناطق القصــر اتحاد واحد ، ولكن يــبدو أن العمق التاريخي لــعب دوره ، فــقتصر والبحرين يــنتهيــ إلى منطقة البحرين القديمة «الأحساء» وأما الإمارات السبع فــتنتهــ إلى عمان ، ومن هنا لم يــتحقق النجاح للمفاوضات التي حــاولــت ضم الأجزاء المتباينة تاريخياً لــشملــها دولة واحدة .

وسارت الخطوات حثيثة لتحقيق الاتحاد ، وقد قام الشيخ زايد بن سلطان أمير أبو ظبــى بنشاط كبير في هذا المجال يــعاونــه الشيخ راشــد المكتوم أمــير دبــى ، وــتعاقــبت اللقاءــات بين الأمــيرين ، ثم أــعلن قــيــام

— ٦٤١ —

اتحاد بين الإمارتين فيما يسمى (اتفاق سمير) وهي القرية التي أُعلن فيها اتفاق على إقامة اتحاد بين أبو ظبى ودبى ، ومن هذه البداية كان التحرك الواسع الذى شمل المنطقة كلها من أجل توسيع الاتحاد ليشمل الإمارات السبع ، وقد نجح هذا المسعى إلى حد كبير ، فأعلن قيام الاتحاد بين ست إمارات في ١٨ يوليو سنة ١٩٧١ ، وهذه الإمارات هي أبو ظبى ودبى والشارقة وال Fujairah وأم القيوين وعجمان ورفضت رأس الخيمة الالتحاق بهذا الاتحاد آنذاك ، ولكنها عادت فقررت الالتحاق به عندما أُعلن قيام دولة الإمارات العربية المتحدة في الثاني من ديسمبر سنة ١٩٧١ ، وبذلك كمل اتحاد هذه الإمارات واختير الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيساً للدولة الجديدة مدة خمس سنوات ، وعند نهاية سنة ١٩٧٦ جدد انتخابه مدة أخرى ، ثم تجدد انتخابه بعد ذلك حتى الآن (١٩٩١) .

وهكذا قامت دولة الإمارات العربية المتحدة لتضم هذه الإمارات جميعاً ، ومنذ قيامها خطت للأمام خطوات واسعة لتحقق الرخاء والتقدم للجميع ، بل لعبت دورها في الحقل العربي فسرعان ما أصبحت عضواً في جامعة الدول العربية ، وعندما جاءت حرب التحرير سنة ١٩٧٣ كانت هذه الدولة في العام الثاني من عمرها ، ولكنها بدت في أعظم مراحل الشباب والقوة فوقفت من مشكلات المعركة موقفاً رائعاً جعل العالم العربي والعالم كله يحس أن دولة الإمارات ولدت فتية ، وأنها منذ ولادتها كانت قوة هائلة للمجتمع العربي والمجتمع الإنساني بوجه همام .

جهود دولة الإمارات :

كان العمل الذى أنجزته دولة الإمارات على الصعيد الداخلى والخارجى أوسع جداً من سنى عمرها ، وكان تجسيداً للقيم والمبادئ التي تؤمن بها وللمستقبل الزاهر الذى يشرف على منطقة الخليج على (م ٤١ - التاريخ ج ٢)

الرغم من الحقيقة التي وضحتها الشيخ زايد بقوله : إننا نبدأ من لا شيء ، فنحن لا نقوم بإصلاحات معينة ، ولكننا نقوم بعملية بناء من العدم ، ولا نأخذ دورنا في بلادنا فحسب ، ولكننا نلتزم بالخير لدول الخليج ولدول الوطن العربي كلها .

وقد وضعت دولة الإمارات ملامح دقيقة لسياساتها الداخلية والخارجية ذات إعجاب الهيئات العربية والعالمية ، وأشادت بها الصحافة المصرية ، وفيما يلى تسجيل سريع لهذه الملامح :

في مجال السياسة الخارجية :

تؤمن دولة الإمارات أن الاتحاد الذي قامت على أساسه هو نقطة ابتداء وانطلاق نحو اتحاد أوسع وأشمل في المنطقة .. ويؤكد هذا الإيمان دستور الدولة الذي ترك الباب مفتوحاً لكل الأشقاء الراغبين في الانضمام إلى الاتحاد ، وتؤمن دولة الإمارات كذلك إيماناً عميقاً بالوحدة العربية وتتطلع إلى يوم تتحقق فيه الوحدة العربية الشاملة ، كما تؤمن بأنها – تاريخياً ونضالياً ومصرياً – جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير ، ومن ثم فإنها تلتزم كلية بالمواافق المبدئية والأساسية التي تتخذها الدول العربية ، وتساند القضايا المصيرية للأمة العربية بكل ما تملك من امكانيات وطاقات ، وتؤيد النضال العادل للشعب الفلسطيني الشقيق وحقوقه المشروعة في تحرير مصيره واستعادة أرضه .. وتحمّل دولة الإمارات بأن موقعها الجغرافي في منطقة الخليج يفرض عليها اهتماماً خاصاً بصيانة السلام العالمي واقراره ، وانطلاقاً من هذا الإيمان عملت دولة الإمارات على توثيق علاقتها مع جيرانها على أساس الاحترام تبادل لاستقلال كل دولة ووحدتها الإقليمية ..

وبالنسبة لقضايا السلام العالمي رحبت دولة الإمارات بسياسة الموقف بين القوتين الكبيرتين ، بشرط أن لا يأتى هذا الموقف على حساب مصالح الدول الصغيرة ..

وتقف السياسة الخارجية لدولة الإمارات موقفاً واضحاً وحازماً في محاربة الاستعمار بكل صوره القديم منه والجديد ، ومناهضة المفرقة العنصرية وحروب الإبادة ضد الشعوب الإفريقية .

السياسة البترولية والتنمية :

تدرك دولة الإمارات أن المشكلة التي تواجه الدول المنتجة والمصدرة للبترول تتركز في اعتمادها على مصدر واحد لدخلها القومي من «عوائد البترول» ٠٠ وتتفرق عن هذه المشكلة مشكلة أخرى تتمثل في أن صادرات البترول تذهب كمادة خام غير مصنعة ، وذلك يؤدى إلى خفض قيمتها ويؤدى — وبالتالي — إلى أن تذهب قيمتها الحقيقية بعد تصنيعها إلى الأقطار المتقدمة صناعياً ، وتحرم الدول المنتجة والمصدرة من فوائد التصنيع الأخرى التي كان يمكن أن تحصل عليها لو تم تصنيع البترول في بلادها . والحل لهذه الخسارة يتمثل في ضرورة أن تعمل الدول المنتجة والمصدرة للبترول على تنويع مصادر دخلها القومي تحاشياً لأخطار الاعتماد على البترول وحده كمصدر قابل للنضوب ٠٠ أو لتوقف عائده في بعض الظروف ٠٠ وكيف يتأتى لهذه الدول أن تنوع في مصادر دخلها ؟ إن ذلك يعتمد في المقام الأول على الجهد التالية :

- ١ — تنمية الزراعة .
- ٢ — الاستفادة من الثروات الطبيعية الأخرى غير البترول .
- ٣ — العمل على بناء صناعة متقدمة تتمشى مع امكانيات وطبيعة هذه البلاد .

نظرة إلى الجهد الداخلي بالدولة الجديدة :

إن الزائر لدولة الإمارات العربية المتحدة يستطيع أن يرى، بعينه منذ الوهلة الأولى كيف تتضافر جهود أجهزة الدولة كلها في عزم وطموح من أجل بناء حياة جديدة لإنسان الخليج ٠٠ كل ميدان من ميادين الحياة

فـ الـ دـوـلـةـ الـ فـتـيـةـ الصـاعـدـةـ يـشـهـدـ جـهـدـاـ مـكـثـفـاـ ٠٠ وـعـمـلاـ لـاـ يـنـهـقـ فـفـىـ مـجـالـ الـ تـعـلـيمـ مـثـلـاـ يـتـمـنـعـ الـ طـالـبـ فـ دـوـلـةـ الـ إـمـارـاتـ بـمـزـاـيـاـ وـمـنـحـ يـتـمـنـاـهاـ أـىـ طـالـبـ عـلـمـ فـ أـىـ مـكـانـ مـنـ الـ عـالـمـ ، وـهـنـاكـ أـكـثـرـ مـنـ ١٠٠ـ مـدـرـسـةـ مـخـتـلـفـ الـ مـراـحلـ وـالتـخـصـصـاتـ تـفـتـحـ أـبـوـبـاـ لـكـ الـ رـاغـبـينـ فـ الـ عـلـمـ مـنـ أـبـنـاءـ الـ دـوـلـةـ ، وـبـعـثـاتـ" تـوـفـدـ إـلـىـ الـ جـامـعـاتـ وـالـمـعـاهـدـ الـ عـلـيـاـ فـ الـ دـوـلـ الـ عـرـبـيـةـ الشـقـيقـةـ وـفـ دـوـلـ الـ عـالـمـ الـ خـارـجـيـ ٠٠ وـمـعـ نـورـ الـ عـلـمـ ٠٠ يـأـخـذـ نـورـ الـ كـهـربـاءـ أـيـضـاـ طـرـيقـهـ الـيـوـمـ إـلـىـ كـلـ بـيـتـ فـ كـافـهـ أـنـحـاءـ الـ بـلـادـ ٠٠ وـالـمـشـروـعـاتـ الـسـائـيـةـ تـتـوـالـىـ ، وـالـمـشـروـعـاتـ الـصـحـيـةـ تـأـخـذـ طـرـيقـهـ إـلـىـ حـيـزـ الـوـجـودـ تـبـاعـاـ ، فـقـدـ ضـمـنـتـ الـدـوـلـةـ الـخـدـمـاتـ الـصـحـيـةـ لـكـلـ الـمـوـاطـنـينـ ، وـعـمـلـتـ عـلـىـ رـفـعـ مـسـتـواـهـاـ وـزـيـادـةـ عـدـدـ الـعـاـمـلـيـنـ فـيـهـاـ مـنـ أـطـبـاءـ وـمـرـضـاتـ ، مـعـ مـضـاعـفـةـ طـلـقـةـ الـمـسـتـشـفـيـاتـ ، وـبـنـاءـ مـسـتـشـفـيـاتـ وـعـيـادـاتـ جـديـدةـ وـتـجـهـيزـهـاـ بـالـمـعـدـاتـ الـحـدـيـثـةـ الـلـازـمـةـ ، وـأـعـدـتـ الـدـوـلـةـ اـهـتـمـاماـ فـائقـاـ بـالـطـبـ الـمـوقـائـيـ وـمـكـافـحةـ التـدـرـنـ الرـئـويـ ، وـقـامـتـ بـحـلـمـةـ تـطـعـيمـ عـامـةـ لـوـقـاـيـةـ الـبـلـادـ مـنـ الـأـوبـيـةـ .

وـ فـ مـجـالـ الـخـدـمـةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ تـؤـمـنـ دـوـلـةـ الـإـمـارـاتـ أـنـ الـعـدـالةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ هـىـ إـحـدىـ الـدـعـامـاتـ الـرـئـيـسـيـةـ الـقـوىـ تـصـنـعـ الـجـمـعـ القـوىـ ، وـأـنـ مـنـ أـوـلـ وـاجـبـاتـ الـدـوـلـةـ رـعـاـيـةـ الـجـمـعـ وـالـطـفـولـةـ وـالـأـمـوـمـةـ وـالـعـاجـزـينـ عـنـ رـعـاـيـةـ أـنـفـسـهـمـ بـسـبـبـ الـمـرـضـ أـوـ الـعـجزـ أـوـ الشـيـخـوـخـةـ أـوـ الـبـطـالـةـ الـاجـبـارـيـةـ .

وـ فـ مـجـالـ الزـرـاعـةـ هـنـاكـ مـحاـواـلـاتـ طـموـحـةـ وـنـاجـحةـ لـاستـصـلـاـ . مـسـاحـاتـ جـديـدةـ مـنـ الـأـرـاضـىـ لـزـيـادـةـ الـرـقـعـةـ الـزـرـاعـيـةـ ، وـتـحـقـيقـ نـوعـ مـنـ الـاـكـتـفـاءـ الذـاـئـىـ مـنـ الـمـحـاصـيلـ الـزـرـاعـيـةـ ٠٠ وـتـقـوـمـ سـيـاسـةـ الـدـوـلـةـ الـزـرـاعـيـةـ عـلـىـ التـوـسـعـ فـ تـقـدـيمـ الـخـدـمـاتـ لـلـمـزـارـعـينـ ، فـ صـورـةـ بـذـورـ وـمـبـيـدـاتـ حـشـرـيـةـ ، وـقـيـامـ فـرقـ الـمـكـافـحةـ الـمـجـانـيـةـ بـرـشـ الـمـزـرـوـعـاتـ ، وـتـقـدـيمـ الـقـرـوـضـ الـزـرـاعـيـةـ ، وـحـفـرـ الـآـبـارـ وـتـطـهـيرـ الـمـوـجـودـ مـنـهـاـ ٠٠ وـهـكـذاـ .

- ٦٤٥ -

وفي كل مجالات الحياة في الدولة الجديدة ، نشهد جهداً مكثفاً وسباقاً مع الزمن لإقامة صروح الدولة العصرية ، وإعادة صياغة الحياة على ضفاف الخليج ، وبناء الإنسان الجديد في هذه المنطقة العربية الاستراتيجية المبالغة الأهمية .

تحية لدولة الإمارات العربية المتحدة مع أخلص الدعاء إلى الله أن يكلل خططها رئيسها الشيخ زايد بن سلطان وخططها جميع الزعماء بالنجاح وال توفيق ، لتحقيق كل الآمال التي يعقدها شعب الخليج ، وتعقدها الأمة العربية كلها ؟

والبادرة تسير باسم الله مجريها ومرساها .

دَوْلَةُ الْكُوَيْت

مقدمة :

فـ تقديري أنـ الحديث عنـ الكويت يـستلزم أنـ نـراجع ماـ كـتبناه عنـ الدولة العثمانية^(١) وـعنـ عـلاقتها بـالبلاد العـربية ، وـقد ذـكرنا فـيـما سـبق عـنـ الحديث عنـ الجـزيرة العـربية أنـ العـثمانيـن عـندـما اـنتصروا عـلى قـوات المـماليـك بـمـصر فـي مـوقـعتـى هـرج دـابـق وـالـريـدانـية شـملـ نـفوـذـهـم سـورـيا وـمـصر وـسـرـعـانـ ماـ آـمـتـولـوا مـنـ النـاحـيـة الرـسـميـة عـلـىـ الحـجـاز حـتـىـ يـحـقـقـواـ أـحـلامـهـم بـتـكـوـينـ اـمـبـراـطـورـيـة إـسـلـامـيـة ، وـأـمـتـدـ نـفوـذـهـم مـنـ أـجـلـ هـذـاـ الـحـلـم إـلـىـ الـمـعـراقـ وـإـلـىـ الـشـمـالـ إـلـافـرـيقـيـ ، وـقـلـناـ كـذـلـكـ إـنـ زـفـفـهـم كـانـ إـسـلـامـيـاـ أوـ أـخـذـ شـكـلـ الـوـحدـة إـسـلـامـيـة مـمـا جـعـلـ الـدـوـلـ الـعـرـبـيـة لـا تـرـىـ بـأـسـاـ مـنـ الـانـدـمـاجـ فـيـ هـذـهـ الـوـحدـة ، بلـ تـسـعـىـ لـهـاـ رـاضـيـةـ سـعـيـدةـ .

وـقـلـناـ أـيـضـاـ إـنـ العـثـمـانـيـن لـمـ يـهـتـمـواـ بـيـاقـيـ الجـزـيرـةـ العـرـبـيـةـ ، فـلـمـ تـكـنـ بـهـاـ قـوـىـ تـخـيـفـهـمـ ، أوـ ثـرـاءـ يـجـتـذـبـهـمـ ، فـتـرـكـواـ هـذـهـ الـأـرـضـ الـفـسـيـحةـ لـلـقـبـائـلـ تـرـوـحـ فـيـهـاـ وـتـغـدـوـ كـمـاـ كـانـ قـبـلـ إـسـلـامـ ، وـكـمـاـ أـصـبـحـ بـعـدـ أـنـ أـدـارـ لـهـاـ الـأـمـوـيـوـنـ وـالـعـبـاسـيـوـنـ ظـهـورـهـمـ .

لـقـدـ كـانـ مـوـضـعـ الـكـوـيـتـ الـحـالـيـةـ جـزـءـاـ مـنـ هـذـهـ الـفـلـاـةـ الـفـسـيـحةـ ، فـلـمـ يـرـدـ لـهـذـاـ الـمـوـضـعـ ذـكـرـ فـيـ التـارـيـخـ ، وـلـاـ لـفـتـ هـذـاـ الـمـكـانـ الـأـنـظـلـ ، وـلـمـ يـكـنـ بـهـ سـكـانـ يـقـيـمـونـ ، بلـ كـانـ الـعـربـ يـضـرـبـونـ الـخـيـامـ بـهـ عـدـةـ أـشـهـرـ عـنـدـمـ يـبـدـأـ مـوـسـمـ هـطـولـ الـأـمـطـلـ بـهـذـهـ الـمـنـطـقـةـ ، وـيـظـلـونـ بـهـذـاـ الـمـكـانـ يـشـرـبـونـ الـمـاءـ وـيـرـعـونـ الـعـشـبـ الـذـيـ يـنـمـوـ عـلـىـ أـثـرـ الـأـمـطـلـ ثـمـ يـرـحلـونـ ، وـظـلـ الـحـالـ كـذـلـكـ حـتـىـ مـطـلـعـ الـقـرـنـ الـلـاثـامـ عـشـرـ حـيـثـ بـدـأـتـ تـظـهـرـ الـحـيـاةـ الـمـسـتـقـرـةـ فـيـ هـذـاـ الـمـكـانـ ، ثـمـ عـلـتـ مـكـانـتـهـ روـيـداـ روـيـداـ حـتـىـ أـصـبـحـ مـنـ أـهـمـ الـأـمـكـنـةـ فـيـ الـعـالـمـ مـنـ نـاحـيـةـ الـثـرـوةـ وـمـنـ نـاحـيـةـ الـإـسـتـرـاتـيـجـيـةـ . وـلـعـدـ لـلـكـوـيـتـ لـنـأـخـذـ فـيـ الـحـدـيـثـ عـنـهـاـ مـنـ الـبـداـيـةـ .

(١) انـظـرـ الـجـزـءـ الـخـامـسـ مـنـ هـذـهـ الـمـوـسـوعـةـ .

معلومات عامة عن الكويت :

الكويت كلمة تعنى مجموعة من البيوت الصغيرة ، وإذا كانت مجموعة البيوت في هذه المنطقة بيotta بسيطة بالإضافة إلى صغرها ، فقد استحقت أن يطلق عليها اللفظ المصغر وهو الكويت ، وبقى الاسم بعد ذلك مع زوال سبب التسمية ، فقد أصبحت هذه البقعة من العالم عاصمة بأفخم التصور والعمائر الشاهقة ، ولكن التسمية بقيت وان فقدت مدلولها الملغوى *

وتقع الكويت في أقصى الخليج العربي في الزاوية الشمالية الغربية وهي على شكل مثلث تقريباً، ويكون هذا الخليج الحد الشرقي للدولة، وتقع العراق إلى الشمال، وفي الجنوب تقع المملكة العربية السعودية (إقليم الأحساء) والمنطقة المحايدة بين الكويت والمملكة العربية السعودية، ومساحة المنطقة المحايدة تساوي ثلث مساحة الكويت (١)، وقد حدّدت معاهدة العقير في ديسمبر سنة ١٩٢٢ حدود الكويت الحالية، وحدود المنطقة المحايدة بين الكويت ونجد.

وهذا ذراع من الخليج العربي يمتد داخل الكويت ويأخذ شكل هلال ويسمى (جون الكويت) وتقع به جزيرة الشويفخ بالقرب من الشاطئ .

وتوجد عدة جزر في مياه الكويت الاقليمية بالخليج العربي ، وأكثرها قليل السكان ، وبعضها يحيى به صيادو المؤلئ والأسماك حياة غير منتظمة ، وهناك قلة من هذه الجزر عامرة بالسكان ، وأكبر جزر الكويت جزيرة بوبيان ، ومساحتها ٤٨٠ كم مربع ، وهي خالية من السكان تقريباً إلا من بعض الصياديـن الذين يفدون لها في فصل المصيف ، ولكن

(١) دكتور سيد نوبل : الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة ج ١ ص ١٥٥ .

لها أهمية استراتيجية هي أنها تسيطر على مدخل (خور عبد الله) وهناك كذلك جزيرة مسكن وهي جزيرة صغيرة وأهميتها ترجع إلى وجود فنار بها لإرشاد السفن ، ومن أهم الجزر في الكويت جزيرة فيلكه وهي عاصمة بالسكان الذين يشتغل بعضهم بزراعة الحبوب والخضروات ، ويشتغل آخرون بالصيد والتجارة ، وبها بعض المدارس وأنواع من المرافق الأخرى ، وأخيراً هناك جزيرة الشويف ، سالفه الذكر .

وأعظم ميناء بالكويت هو ميناء الشويف ، وتعد من أعظم الموانئ العالمية في الوقت الحالى ، إذ يمكن أن ترسو بها السفن الكبيرة .

مدن الكويت :

أشهر المدن في دولة الكويت هي مدينة الكويت ، وهي العاصمة والمدينة الكبرى بالدولة ، وتقع على بعد ثمانين ميلاً جنوب شرق البصرة ، ومائتين وثمانين ميلاً إلى الشمال الغربى من البحرين ، وهي تمتد على ساطىء الخليج مسافة خمسة أمتار تقريباً .

وقد كانت مبانى الكويت كما يصفها الشيخ حافظ وهبة (١) من الطين أو اللبن أو من الصخور ، وكان قصر الشيخ أحسن المبانى مع أنه كان مبنياً من الآجر ، وكانت المدارس قليلة بالعاصمة ، كما كان بها بعض الكتاتيب .

ولكن الكويت الحديثة شيء آخر تماماً ، فالعمائر الشاهقة تمتد امتدادات واسعة وتناطح السحاب أحياناً في ارتفاعها ، وتنتف هذه العمائر على حافتها الشوارع الفسيحة المشجرة .

وبالكويت مجموعة كبيرة من المساجد الضخمة التي تعلو مآذنها لتنافس العمائر في ارتفاعها ، وبالكويت أسواق غنية يعرض بها كل

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٩٤ .

- ٦٥٢ -

ما يخطر بالبال من وسائل الترف والتعيم بالإضافة إلى ضروريات الحياة ، وفي العاصمة دور السينما والمسارح وتكثر المكتبات في جوانبها المختلفة كما تكثر بها الأندية والملعب والمدائق ، وتقف جامعة الكويت شامخة وحولها عشرات المدارس والمعاهد مختلفة المستويات والتخصصات .

والمدينة الثانية في الكويت هي السالمية ، وكان اسمها قبل سنة ١٩٥٣ « دمنة » ثم أطلق عليها اسم السالمية نسبة للشيخ سالم المبارك الصباح ، وقد أصبحت السالمية مدينة على أحسن طراز تخرقها شبكة من الشوارع المعبدة التي تقف على جوانبها المبنى الفخمة ، كما تكثر بها المرافق مختلفة الأنواع .

ومن مدن الكويت كذلك كاظمة ، والجهرة ، وأم الرؤس ومدينة الأحمدى التي أنشئت حديثاً لتكون عاصمة النفط في منطقة البرقان وهي على بعد ثلاثين ميلاً جنوب العاصمة .

وسكان الكويت الآن حوالي نصف مليون منهم حوالي الربع ينحدرون من القبائل العربية التي سكنت الكويت منذ وقت مبكر ، والتي سنتكلم عنها فيما بعد ، والباقيون جذبهم العمل إلى الكويت من الأقطار العربية ومن بلاد فارس ومن بعض أقطار أوروبا .

والاتجاه السنى هو المنتشر بين مسلمي الكويت على مذهب الإمام مالك ، وهناك بعض الحنابلة ، وقلة من الشيعة ، وأكثر السكان يعيشون في مدينة الكويت وحول آبار النفط ومسئولياته ، ولا يزال هناك بعض عرب العشائر يسكنون في داخل البلاد .

وت瀚ى الكويت من مشكلة رئيسية هي مشكلة المياه العذبة ، إذ لا يوجد بها إلا آبار قليلة لا تفي بحاجة السكان كما يقول عبد العزيز الرشيد ^(١) ، ولذلك كانت الكويت تحضر الماء بالسفن من شط العرب

(١) تاريخ الكويت ص ٥٢ - ٥٣ .

الذى يبعد عنها بحوالى مائة ميل ، كما تم الاتفاق بين حكومتى الكويت وال العراق على جلب ماء شط العرب بواسطة الأنابيب ، و ذلك بناء على اتفاق مقدم فى فبراير سنة ١٩٦٤ ، ولم تكتفى حكومة الكويت بذلك خوفا من الاعتماد على هذه الاتفاقية التى قد تتأثر بضباب يمتد للعلاقات السياسية بين البلدين ، فأنشأت أجهزة لتنقية مياه البحر ، وقد أصبحت آلات التقطير تتنفس ما يحتاجه السكان بوجه عام ، ولكن يبدو أن المياه العذبة لا يعدلها شيء ، وفي زيارتى لبعض منشآت استخراج الماء الماء فى مصر على البحر الأحمر رأيت المياه التى تتنفسها آلات التقطير تستعمل فى الغسيل والاستحمام وليس فى الشرب ، فيبدو أن العملية الطبيعية من آبار أو سحاب فأمطار فأنهار لا يعده لها شيء فسبحان من قسم الأرزاق .

تاريخ الكويت :

لعل أقرب الروايات دقة عن تاريخ الكويت هو ذلك الرأى الذى يرويه حاكم الكويت السابق الشيخ عبد الله السالم الصباح ، ولعل هذا الرأى رواية متسلسلة يحكىها الأحفاد عن الأجداد ، تقول الرواية إنه فى مطلع القرن الثامن عشر دفع قحط طويل مجموعة من عائلات قبيلة عنزة (١) إلى الهجرة من وسط نجد بحثا عن موطن أيسر حياة ، وأهم هذه العائلات آل الصباح وآل خليفة والجلahمة . وتحرك هؤلاء في البداية نحو الجنوب إلى وادى الدواسر ، فوجدوه أقسى حالا ، فاختلطوا إلى شبه جزيرة قطر ، فلم يجدوا بها ما يغرس بالاستقرار ، فتحرکوا بماشيتهم ومتاعهم حيث حطوا الرحال في منطقة الكويت (٢) ، ويقال ان حكام

(١) قبيلة عنزة تنتسب اليها الاسرة الحاكمة بالسعودية والكويت والبحرين .

(٢) نقل عن « الأوضاع السياسية لماراثون الخليج العربي وجنوب الجزيرة » للدكتور سيد نوبل ص ١٦٥ .

قطر من آل مسلم خسوا سطوة آل الصباح وطموحهم فألجئوهم إلى الخروج^(١) .

وبعد أن اتخذت هذه القبائل الثلاث الكويت موطنًا لهم اتفقوا سنة ١٧١٦ على أن يتولى آل الصباح شئون الحكم ، وآل خليفة شئون التجارة ، والجلاهمة العمل في البحر ، على أن يقتسم الجميع الأرباح بالتساوي^(٢) .

ولم يكن بد من تأمين مقامهم لدى الأتراك الذين كان من المسلم به أنهم أصحاب السيادة على المناطق العربية كما قلنا ، ثم ان الأتراك كانوا يحتلون العراق ولهم في البصرة جيش كبير غير بعيد عن الكويت ، ومن ثم أجمع هؤلاء الذين حطوا بالكويت أمرهم أن يبعثوا رسولاً منهم للباشا التركي يبين لهم أنهم فقراء نزحوا في طلب العيش ولا يسعون ضراً بأحد وأنهم يقدمون الولاء للدولة العلية ، واختير لذلك الشيخ صباح وكان ميمون النقيبة فنجح في سفارته^(٣) .

وهكذا بدأت الكويت الظهور . وفي سنة ١٧٥٠ قرر المقيمون في الكويت تعين شيخ لتصريف شئونهم ، ولتمثيلهم في التعامل مع الخلفاء العثمانيين ، فوقع الاختيار على صباح الثاني ليكون أميراً عليها ، وفي ظل سلالة آل الصباح أزدهرت الحياة واستقرت بهذه الجماعات^(٤) .

وفي سنة ١٧٦٦ عرض زعيم آل خليفة على حلفائه أن ينفصل عن الحلف ويترك نصيه من الربح على أن يسمح له بالاستقرار في الجزء المجاور لمخاصل المؤلّه ، فوافق الحلفاء على ذلك ، فسار آل خليفة ونزلوا

(١) دكتور أحمد الشريachi : أيام في الكويت ص ١٠ .

(٢) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ١١٥ .

Dickson : Kuwait and her Neighbours. (٣)

(٤) تقويم البلدان الإسلامية ص ٣٦٣ .

«الزيارة» التي تحدثنا عنها من قبل ، وبعد فترة استطاع آل الصباح أن يطردوا الجلاهمة من الكويت وبقيت الكويت مقرًا لهم وحدهم ^(١) .

ويتبين من هذا أنه حتى نهاية الربع الثالث من القرن الثامن عشر كانت علاقة الكويت علاقة تبعية واضحة للعثمانيين ، وقد رأينا أن أهل الكويت هم الذين بادروا بإعلان هذه التبعية ، حتى قبل أن تتطلب منهم ، لأن هذا كان آنذاك وضعًا طبيعيًا لا مفر منه ، وكان أسلوب العصر بالنسبة لهذه المناطق .

ومن مطلع الربع الأخير من القرن الثامن عشر دخلَ عنصر جديد على علاقات الكويت الخارجية ، ذلك العنصر هو بريطانيا التي كانت تحكم الهند ، وتتخذ لها طريقاً برياً تجاريًا بين البحر المتوسط والبصرة فتشط العرب فالخليج العربي إلى الهند ، وكانت التجارة البريطانية تشمل عن هذا الطريق إلى بغداد ودمشق وحلب ، وحدث سنة ١٧٧٥ أن نشبَت حرب بين الأتراك العثمانيين والفرس استولى فيها الفرس على البصرة مدة أربع سنوات فتحولت بريطانيا تجاراتها إلى الكويت بدلَّ البصرة للتخلُّق حمود الدولة العلية ، وأهملت الكويت عند بريطانيا لذلك مكاناً هرمواها وبدأت المنافسة بين القوتين الكبيرتين على الكويت .

وحوالى ذلك التاريخ أيضًا كانت دعوة التوحيد تنشر في نجد على حدود الكويت ، وكانت لم تصل بعد إلى الحجاز ، وبالتالي لم تتحرك الدولة العلية لمقاومتها ، وخلف زعماء الكويت من زحف هذه الدعوة ، وأدركوا أن حاجة الانجليز إليهم ماسة بسبب أمن الخط التجارى السابق ، فتقصدوا للإنجليز سنة ١٨٠٥ يطلبون أن تكون الكويت في حمايتهم ، ولم تكن بريطانيا تستطيع الموافقة على هذا حتى لا تنقض الدولة العلية التي

(١) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ١١٥ وانظر كذلك تاريخ الكويت السياسي لخزعل ج ١ ص ٤٦ .

— ٦٥٦ —

يسير الخط التجارى مسافات طويلة في الأرضى والبحار التابعة لها ، ولكن ذلك على كل حال قوى العلاقات بين الكويت وبريطانيا .

وشهد القرن التاسع عشر صراعاً يدور حول الكويت ، وعلاقات شد وجذب من هنا ومن هناك ، فالأتراك انتبهوا إلى أهمية الكويت وأطماع بريطانيا فيها ، وشكوا في الوقت نفسه في عمق ولاه أمراء الكويت ، فممنعوا أمير الكويت لقب باشا ، ولقب « قائمقام » تابعاً لوالى البصرة سنة ١٨٧١ ، ومنحت تركيا العائلة المالكة بالكويت أراضي واسعة بالبصرة ومنطقة الفاو ، وكان تمرد آل الصباح على العثمانيين معناه فقدان هذه الثروة ، واهتم السلطان عبد الحميد بتبني النفوذ العثماني في مناطق الخليج ^(١) .

ولم تجد بريطانيا وسيلة لإنكار تبعية الكويت للعثمانيين ، ولكنها حاولت أن تحصل على نفوذ في هذه المنطقة مقابل اعترافها بهذه الحقيقة ، وكانت صلتها بأمراء الكويت ورقة مهمة في يدها تعتمد عليها ، فعرضت حكومة الهند سنة ١٨٧٨ أن تتعارف الحكومة البريطانية بسيطرة السلطان على الأرضى الواقعة جنوب البصرة على ساحل الخليج بشرط أن تستقر السيادة البريطانية على مياه ذلك الساحل ^(٢) ، ووافق اللورد سوانديرى على هذه الفكرة .

ومعنى هذا أن اعتراف بريطانيا بحق الدولة العثمانية في الكويت لم يعد شيئاً مسلحاً به ، ولابد من ثمن غال مقابل هذا الاعتراف .

وفي سنة ١٨٩٦ أصبح الشيخ مبارك الصباح حاكماً للكويت وسرعان ما اتضاع أنه ذو ميول بريطانية ، ولذلك لم تحسن السلطات العثمانية استقباله ولم تعييه « قائمقام » إلا في العام التالي مما جعله يخشى

(١) دكتور محمود على الداود : الخليج العربي وال العلاقات الدولية ص ١١٠ ، ١١٥ .

(٢) Government of India to Indian Office 17/9/1878.

— ٦٥٧ —

جانب العثمانيين ، وقد حاول الشيخ مبارك أن يحصل من العثمانيين على اعتراف باستقلاله الذاتي ، ولكنه لم ينزل ذلك الاعتراف ، فأعلن ميلاده البريطانية ، وأرسل برقية سنة ١٨٩٧ إلى الحكومة البريطانية يطلب منها أن تكون الكويت في حماية بريطانيا ، وقد أرسلت وزارة الخارجية هذه البرقية إلى حكومة الهند ، ونصحت بعدم الاستجابة لطلب الشيخ .

ولكن حكومة الهند كتبت لوزارة الخارجية البريطانية عقب ذلك تؤيد الاستجابة لطلب الشيخ وشرحت المزايا السياسية والاقتصادية لذلك ، وقالت إن مسألة مقاومة تجارة الرقيق يمكن أن تكون سلحاً في يد بريطانيا تسترضى به الرأى العام العالمي .

ونتيجة لذلك وافقت وزارة الخارجية في ديسمبر سنة ١٨٩٨ على اقتراح حكومة الهند بشرط عدم اللجوء في الوقت الحاضر إلى ترتيبات عسكرية وبوليسية جديدة .

وهكذا وجدت بريطانيا أن الأوان قد آن لقبول ما ترددت في قبوله من قبل ، وحتى تأمن العواقب قنعت باتفاق مرن وجعلته في الوقت نفسه سوريا ، وينص هذا الاتفاق الذي عقد في يناير سنة ١٨٩٩ على تعهد الشيخ مبارك بـلا يتنازل عن أي جزء من مقاطعاته لـدولة أجنبية ولا يستقبل أي ممثل لـدولة أجنبية بدون موافقة السلطات البريطانية ، وأن يحصل الشيخ مبارك مقابل هذا على وعد السلطات البريطانية بأن تكون الدوائر البريطانية في الخليج على استعداد لخدمته وأن تدفع له خزينة دار الاعتماد البريطاني في كل شهر مبلغ ١٥٠٠٠ روبيه ^(١) ، وكان المندوب البريطاني الذي باشر هذا التعهد هو الليفتانت كولونيال مالكوم جيون ميد ^{• Malcolm John Meade}

O'Cenar to Lord Salispry, 1890. (١)

وقد فاحت رائحة هذه الاتفاقية ، واحدثت كثيرا من الاضطراب ، ثم تعقدت قضية النزاع حول السيادة على الكويت عندما ظهرت الشركة الألمانية التي عهد لها بالاشراف على خط المسكة الحديدية الممتد من الأنضول إلى بغداد ، فقد تقدمت هذه الشركة بطلب لبناء ميناء على الخليج كاظمة بالكويت ، وقد أثارت هذه الأنباء خوف بريطانيا ، وبخاصة أن الشركة تجاهلت الشيخ مبارك واتصلت بالسلطان مباشرة ، ثم إن هذا المشروع سيجلب قوى متعددة إلى الخليج العربي الذي كانت بريطانيا تعد نفسها سيدة الوضع فيه . وفي ضوء ذلك بدأت بريطانيا تفكر في إعلان الحماية على الكويت بشكل واضح ، وشاع هذا الاتجاه ، فأبرق توقيفيا باشا رئيس وزراء تركيا إلى وزارة الخارجية البريطانية يتساءل عن حقيقة الإشاعة ^(١) وفي الوقت نفسه حشدت تركيا بعض قواتها في الملايو فاحتاجت بريطانيا ضد هذا الاستعداد ، فرفضت تركيا هذا الاتجاح مؤكدة أن الكويت جزء من ولاية البصرة ، وأن جميع الأدلة التاريخية والقانونية تؤكد هذا الحق .

وندخلت ألمانيا في الأمر ، فقد تسلم السفير الألماني في استانبول معلومات من حكومته تؤكد وجوب قيامه بالاعلان عن وجهة نظر الحكومة الألمانية التي ترى أن إعلان الحماية البريطانية على الكويت أمر يتناقض مع مقررات مؤتمر برلين ، ونظرًا للمصالح الألمانية في الكويت ، ومستقبل نهاية خط حديد الأنضول فإن الحكومة الألمانية سوف تعتبر مثل هذا خطوة غير ودية ، وكان الجواب الذي حمله السفير البريطاني للحكومة الألمانية يقرر أن حكومته لا تقوى إعلان الحماية على الكويت إلا إذا أخبرتها تركيا على ذلك بأعمالها تجاه الكويت ^(٢) .

وفي سنة ١٩٠٠ هجم الشيخ مبارك والأمير عبد الرحمن الفيصل آل

Te gram no. 12 in 29 August 1901. (١)

(٢) دكتور محمود داود : المرجع السابق ص ١٣٨ .

سعود على إمارة ابن رشيد بنجد ، وقامت معركة عنيفة خسر فيها المهاجمون خسارة فادحة ، وكان هجوم الكويت على ابن الرشيد يحمل معنى التحدى للسلطات التركية التي كانت تمد حمايتها لابن الرشيد وتشمله بعاليتها .

وفي سنة ١٩٠١ بلغت العلاقات بين الكويت وتركيا غاية القوتر ، فقد وصلت البارجة التركية (زحاف) إلى الكويت منذرة بعزل الحاكم ان لم يسمح لجنود الأثراك بالنزول إلى الكويت ، كما أعدت للمجوم على الكويت حملة مشتركة من الترك ومن جنود ابن الرشيد انتهزوا لفرصة الهريمة السابقة ، وقد فشلت المحاولات بسبب وقوف القوات البريطانية منذرة بالتدخل .

وانتهزت بريطانيا هذه الفرصة فتقدمت خطوة أثر خطوة لتمكن نفسها في الكويت كما يلى :

— زار اللواء كيزوف الكويت في نوفمبر سنة ١٩٠٣ ، وكان يتولى منصب نائب الملك في الهند وبقى في خيالة الشيخ مبارك يومين ، وقد مكنت هذه الزيارة العلاقات بين البلدين .

— في سنة ١٩٠٤ تم تعيين معتمد سيعاسي بريطاني في الكويت ، وكان هذا يعني الاعتراف باستقلال الكويت عن الامبراطورية العثمانية ، وقد احتجت تركيا عقب ذلك فسحب هذا المعتمد ثم أعيد .

— في سنة ١٩٠٦ اقترحت حكومة الهند على الشيخ مبارك أن يرفع علم الكويت الخاص ، وذلك لأجل ممارسة تجارة الأسلحة ففعل ، وكان وجود علم خاص للكويت له متى التمرد على تركيا .

— وفي سنة ١٩٠٧ وافق الشيخ مبارك على تأجير قطعة من الأرض جنوب بندر شويف إلى بريطانيا نظير ٦٠٠٠ روبيه في العام ، وجعل الحق لبريطانيا في إنهاء هذا العقد وقتما شاء .

- وفي سنة ١٩١١ تعهد الشيخ مبارك كتابة لا يسمح لأحد بالبحث عن المؤلّق أو صيد الأسفنج في مياه الكويت الاقليمية إلا بعد مشورة المقيم السياسي البريطاني في الكويت .

وهكذا قويت العلاقة بالتدرج بين الكويت وبريطانيا ، ولم يعد في مقدور تركيا أن تتجاهل كل هذه العلاقات والمعاهدات ، ولذلك نراها تراجعاً عن موقفها المتشدد وتتفنن بأن تصييد بقية من الارتباط بينها وبين الكويت بشك يسفر هذه النتيجة ، ولذلك توصلت بريطانيا وتركيا إلى مسودة معاهدة نصت المادة الأولى منها على اعتراف بريطانيا بأن الكويت جزء من الامبراطورية العثمانية ، ونصت المادة الثانية منها على الترnam الامبراطورية العثمانية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للكويت بما في ذلك مسألة الوراثة ، على أن يرفع الكويت العلم العثماني ، وأن يكون الشيخ في وظيفة « قائمقام » بالكويت لتكون له السلطة لحماية الرعايا العثمانيين في المنطقة .

وفي المادة الثالثة اعترفت الحكومة العثمانية بالاتفاقات البريطانية السابقة مع الكويت.

في المادة الرابعة تعهدت بريطانيا بـألا تقوم بإعلان الحماية على الكويت (١) .

ويلاحظ على هذه المسودة أنها لم يتم التصديق عليها وإن كانت اعتبرت نافذة من يوم الاتفاق عليها ، وفيما يتعلق بالمادة الرابعة فإن بريطانيا فسرتها بأن لها أن تباشر الحماية على الكويت وإن كانت لا تعلن ذلك .

وبعد ذلك بقليل طلب من الشيخ أن يقدم تعهداً بألا يمنج حق

^{٤١}) دكتور محمود على الداود : المراجع السابق ص ٢٠٢ يتصرف .

— ٦٦١ —

استغلال البترول في أراضيه إلا من تركيه الحكومة البريطانية ، فقدم الشيخ ذلك التعميد في تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩١٣.

وقامت الحرب العالمية الأولى فأخذت الكويت جانب بريطانيا ضد تركيا ، وفي مقابل ذلك ضمنت بريطانيا لأمير الكويت حقوقه في حدائق الفاو ، وبعد الحرب وهزيمة تركيا تخلّت هذه في معاهدة سيفر عن كل ما كان لها من حقوق أو ما أدعته من حقوق أو سيادة على المناطق العربية ومن بينها الكويت ، وأصبح لا ينافس بريطانيا متنافس في مكانتها بالكويت.

وفي حديثنا عن السلطات بالكويت ينبغي أن نعود للوراء لنثبت أنه في سنة ١٨٣٨ عندما وصل الجيش المصري إلى شواطئ الخليج إبان حربه مع السعوديين ، وضفت مصر لها مندوبياً في الكويت ، وكانت وظيفته سياسية ، وكان شيخ الكويت في ذلك الوقت هو الشيخ جابر بن عبد الله ثالث أمراء الكويت^(١).

أمراء الكويت :

وأمراء الكويت هم :

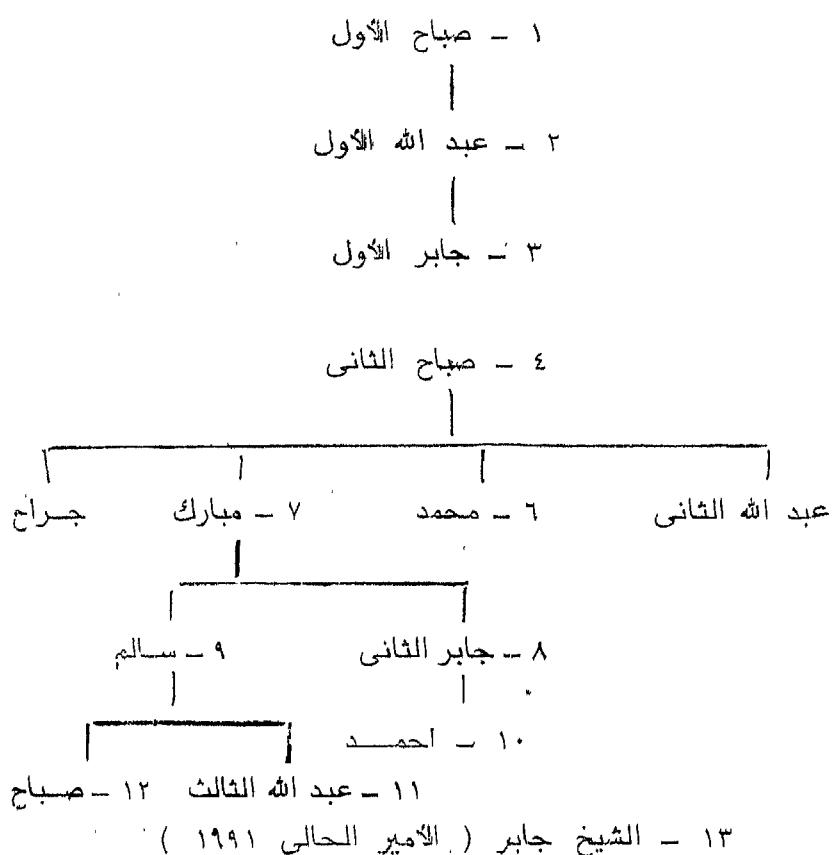
١٧٧٦ - ١٧١٨	صباح الأول
١٨١٤ - ١٧٧٦	عبد الله بن صباح
١٨٥٩ - ١٨١٤	جابر بن عبد الله
١٨٦٦ - ١٨٥٩	الصباح الثاني بن جابر
١٨٩٢ - ١٨٦٦	عبد الله الثاني

(١) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٩٧ .

- ٦٦٢ -

١٨٩٦ - ١٨٩٢	محمد الصباح
١٩١٥ - ١٨٩٦	مبارك الصباح
١٩١٧ - ١٩١٥	جابر بن مبارك
١٩٢١ - ١٩١٧	سالم بن مبارك
١٩٥٠ - ١٩٢١	أحمد بن جابر
١٩٥٥ - ١٩٥٠	عبد الله بن سالم
١٩٧٦ - ١٩٥٥	صباح بن سالم المبارك
١٩٧٦	الشيخ جابر الأمير الحالى (١٩٩١)

- ٦٦٣ -



كلمة عن أمراء الكويت :

يمكن مما سبق أن نقول إن أساس دولة الكويت وتضع في عهد الشيخ مبارك ، وكان الشيخ يمتاز بالذكاء والطموح ، ولكنه لم يكن يبالى بالدم ليتحقق ظمدوه ، فقد قتل أخوه محمد وجرحا حتى يتخلص من منافساتهما ، وأرغم وجهاء الكويت على الخضوع له واستطاع أن يتصدى لأولئك الذين حاولوا أن يثأروا منه ، وكان في قمتهم يوسف بن عبد الله الذي لجأ له أبناء أخيه مبارك القتيلين ، ولكن هؤلاء لم يستطيعوا أن ينالوا منه منالا .

ويقول عبد العزيز الرشيد إن عهد الشيخ مبارك في تاريخ الكويت عهد حافل بالأحداث والأعمال ، بل يعتبر هذا العهد نقطة تحول في تاريخ البلاد ، فقد برزت الكويت إلى الوجود بفضلها ، وأصبح لها كيان معروف ليس فقط في منطقة الخليج بل على الصعيد الدولي ^(١) .

ولابد من وقفة أطول مع الشيخ مبارك وابنه جابر ، وعنهمما نقتبس من الشيخ حافظ وهبة الكاتب الثقة بضعة سطور ، يقول الشيخ حافظ وهبة :

في سنة ١٩١٥ كتت في حديث مع الشيخ جابر ولـى عهد الكويت في فترة إماراة الشيخ مبارك ، وقلت له : إننى أنكر على الشيخ مبارك فداحة الضرائب وطريقة صرفها ، فإنـ الشيخ مبارك لخرج على كلـ مأمورـة من التقاليـد الدينـية والـعـربـية ، وأخذ يستهـتر بكلـ شـيء ، كما أنه وضع ضرائب على البيوت تتفـضـى بـدفعـ ثـلـثـ قـيـمةـ كلـ بـيـاعـ مـاـ لمـ يـعـرـفـ منـ قـبـلـ فيـ بـلـادـ العـربـ ، وكـنـتـ أـشـرـحـ لـالـشـيـخـ جـابـرـ حـدـيـثـ : كـلـكـمـ رـاعـ وـكـلـكـمـ مـسـئـولـ عنـ رـعـيـتـهـ ، وإنـىـ فـيـ نـفـسـ الـوقـتـ لمـ أـنـسـ أـنـ أـذـكـرـ بـعـضـ الصـفـاتـ الطـيـبـةـ الـتـىـ اـمـتـازـ بـهـ الشـيـخـ مـبـارـكـ مـنـ غـيـرـتـهـ عـلـىـ الـكـوـيـتـ وـأـهـلـهـ وـدـفـاعـهـ عـنـ مـصـالـحـ أـهـلـهـ وـالـعـملـ لـاسـتـقـرارـ الـأـمـنـ وـزـيـادـةـ حـرـكـةـ التـجـارـةـ فـيـهـ ، فـقـالـ

(١) تاريخ الكويت : ص ١٩٤ - ١٩٥ .

— ٦٦٥ —

الشيخ جابر : إن كلامك كلام مطابعه (أهل الدين) ما هي ميزة الأمير على
الباعة وأصحاب المذاهب؟ يا شيخ حافظ؟ خذها كلمة جامعة : الرعاية مثل
العنم كلما طال صوفها جذذبها ، فقلت له : ولكن العنم يا حضرة الشيخ
تحتاج إلى من يعني بها كي يتکاثر نسلها ، وأنتم لا تكتفون بالصوفة فإن
المقص كثيراً ما يصيب الجلد . فقال : إن الحكم يجب أن تكون يده
مطلقة في كل شيء ؟ في المال وفي الأرواح (١) .

ومن الممكن أن نقفز أميرين من أمراء آل الصباح هما جابر الثاني
بن مبارك (١٩١٥ - ١٩١٧) وسالم بن مبارك (١٩١٧ - ١٩٢١) لقصر
عهدهما ، ولعدم وجود عناصر خطيرة في تاريخ الكويت خلال هذين
العهدين ، ونصل بذلك إلى الأمير أحمد بن جابر الصباح (١٩٢١ - ١٩٥٠)
الذي يوصف بأنه كان في غاية الذكاء ، وكان يميل إلى الأنانية والتبرير
في أعماله وفي عهده (سنة ١٩٤٠) عقدت ثلاثة اتفاقات بين الكويت
والمملكة العربية السعودية ، وكان الشيخ حافظ وهبة ممثلاً للمملكة ،
وهو يتحدث عنها في كتابة «جزيرة العرب في القرن العشرين» .

وهذه الاتفاقيات هي :

- ١ - معايدة صداقة وحسن جوار .
- ٢ - معايدة تجارية .
- ٣ - اتفاقية لتسليم المجرمين .

وتبدلت الزيارات بين أمراء الكويت وملك السعودية ، وفي سنة
١٩٤٧ عقدت معايدة الدفاع المشترك بين البلدين .

وبعد الأمين أحمد بن جابر تولى الشيخ عبد الله السالم الصباح سنة
١٩٥٠ ، وظل أميراً حتى توفي سنة ١٩٦٥ ، وإذا كان البترول قد بدأ
يتدفق في الكويت قبل ذلك ، فإن نتائجه الحقيقة ظهرت في عهد الشيخ
عبد الله ، وبالتالي بدأت الكويت تأخذ طابعها الجديد في ناحية السياسة

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين : الشيخ حافظ وهبة ؟ ص ١٥٥

- ٦٦ -

والاقتصاد والناحية الاجتماعية ، وفي عهد الشيخ عبد الله قضى على الجهل والفقر والمرض بالكويت ، وببدأ شعب الكويت يسير نحو التقدم الواضح .

وفي ١٩ يونيو ١٩٦١ ألغت الكويت الحماية التي كانت مفروضة على الكويت تبعاً لاتفاقية ٢٣ يناير سنة ١٨٩١ ، وأعلنت الحكومة البريطانية الغاء هذه الاتفاقية ، واعترافها بسيادة الكويت الكاملة ، وبأن حكومة الكويت تتتحمل وحدها جميع مسؤوليات تسيير شئون الكويت الداخلية والخارجية .

وفي ١٦ يوليو سنة ١٩٦١ قرر مجلس جامعة الدول العربية الموافقة على طلب الكويت الانضمام لهذه الجامعة .

وفي ٧ أكتوبر من نفس العام صدر قانون إنشاء المجلس التأسيسي .

وفي ديسمبر من نفس العام أجريت انتخابات لاختيار عشرين عضواً للجمعية التأسيسية التي صنعت دستور البلاد .

وفي ٦ يناير سنة ١٩٦٢ صدر الدستور المؤقت لدولة الكويت .

وفي يناير سنة ١٩٦٣ أجريت انتخابات أول مجلس نوابي بالكويت ، وتم تكوين مجلس للوزراء في الشهر نفسه .

وفي مارس سنة ١٩٦٣ أصبحت الكويت عضواً في هيئة الأمم المتحدة .

وهكذا نجد أنه في عهد الشيخ عبد الله السالم الصباح أصبحت دولة الكويت دولة واضحة المعالم ، ليس فقط في عالم الاقتصاد ، بل في عالم السياسة .

وعندما نصل إلى أمير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح نقررحقيقة مهمة هي أنه كان أبرز القوى الفعالة في عهد أخيه الشيخ عبد الله ، وأن ما تحقق في عهد الشيخ عبد الله كان إلى حد كبير بيد

الشيخ صباح الذي كان يتولى أлем المناصب التنفيذية ، والذي حمل العبء لاقتراح هذه الانجازات وتحقيقها فقد كان أول وزير للخارجية في أول وزارة تشكلت بالكويت سنة ١٩٦٢ ، وعين ولیاً للمعهد ونائب رئيس الوزراء في أكتوبر سنة ١٩٦٤ وكانت رئاسة الوزراء للأمير ، وهذا تجده واضح أساس الانجازات السابقة ، وهو بهذا أجدر من استطاع أن يعمل لاستكمالها حين أصبح أميراً للكويت عقب وفاة أخيه في نوفمبر سنة ١٩٦٥

اقتصاد الكويت:

لقد غطى البترول بالكويت على كل مصادر الثروة وأصبحت كلمة الكويت توشك أن تعادل كلمة النفط ، فإذا ذكرت الكويت امتلاكاً جسماً بحسب المالكيات وبرائحة البترول ، وعلى هذا حجب البترول سواء من المصادر وأثر عليها ، بل توشك أن يختفي عليها .

والحق أن للكويت مصادر ثروة كانت قبل البترول ذات بال ، فموقع الكويت الاستراتيجي يجعل لها عديداً من الطائرات والبوارج كل يوم ، وتعود على الكويت فوائد مالية عظيمة مباشرة بسبب هذا الموقع ، وبسبب ما يجلبه من رسوم وأعمال لآلاف الأيدي العاملة .

وموقع الكويت دفع السكان منذ مدة طويلة إلى استغلال الخليج العربي الذي يكثر فيه المؤلّق الطبيعي ، ويكثر فيه الاسفنج ، وكان المؤلّق والاسفنج مصادر ثروة للكويتيين ، ولكن ظهور المؤلّق الصناعي قال إن أهمية المؤلّق الطبيعي ، ثم إن تدفق النفط جذب الأيدي العاملة للاشارة السريع بدل الغوص خلف المؤلّق والاسفنج .

ومما اشتهرت به الكويت من قبل صناعة بناء السفن ، وكانت سفن الكويت مشهورة بحسن شكلها وجودة صنعتها ، وهي على أنواع : فمنها نوع للعبور والتتزه ، ومنها سفن الغوص ، ومنها السفن التجارية الكبيرة التي كانت تشق القماب إلى مدغشقر وزنجبار والهند . وهذا دفع

أهل الكويت إلى إجاده التجارة العالمية بالإضافة إلى عملهم للنقل بين المعاواسم التجارية المختلفة ويمكن للقاريء أن يتصور مدى ما كان للكويت من نشاط بحري إذا لاحظ أن السكان عندما كان عددهم عشرة آلاف نسمة كانوا يملكون ٨٠٠ سفينة (١) تبادر مختلف الأغراض السابقة .

ومن مصادر الثروة بالكويت كذلك صيد السمك ، وفي مياه الكويت أنواع مهمة من الأسماك كالمرددين والطون والقرش والزبيدي ، وكانت صناعة صيد السمك تمثل مصدراً مهماً من مصادر الثروة .

ولدى الكويت محاولات للزراعة وبخاصة لزراعة الخضر ، ولكن قلة الأمطار لا تساعد على الاتساع في الزراعة ، وعندما تهطل الأمطار تضرر الأرض وتكون مرعى طيباً لقطعان الماشية ببادية الكويت ، ولذلك كان صوف الماعز والجلود من بين الصادرات الكويتية للخارج .

على أن الذهب الأسود عندما تدفق غير مجرى الحياة ، وجذب الأيدي العاملة من المدن ومن الخيام والبادية كما سبق القول ، فقل الاهتمام بالصناعات الأخرى واتجه كل الاهتمام إلى المعden الجديد الذي جلب الخير دون عناء كبير .

ولست أسترسل في الحديث عن كمية النفط الهائلة التي تتتجها آبار الكويت وآبار المنطقة المحاذية ، وبترول الكويت يمتاز بأنه قريب من سطح الأرض فلا يحتاج إلى عناء أو ضغوط ليتدفق .

وإذا لوحظت النسبة بين عدد السكان وبين كميات النفط التي تتدفق بها أرض الكويت أدركنا أن الكويت دولة ترفيعية وأنها تصل إلى درجة عالية جداً من الغنى والثراء .

الحياة في الكويت :

ان آثر النفط واضح تمام الوضوح على حياة الكويت شعباً وحكومة ،

(١) تقويم العالم الإسلامي ص ١٦٣ .

فالتعليم في كل مستوياته بالمجان ، ويصرف للطلاب ما يحتجونه من طعام وشراب ولباس وكتب .

وقد أزدهرت المدارس في الحضر والبادية ، ونالت المرأة نصيبها كاملاً من الثقافة بعد أن كانت محرومة من التعليم ، وفتحت جامعة الكويت في العقد السادس ، وسرعان ما علا شأنها وارتفع مستواها ، ولم تقنع بالدرجات الجامعية في حدود الليسانس بل تقدمت تجاه الدراسات العلياء .

وقد منح التقدم العلمي للمرأة مجالاً واسعاً من التطور ، فبعد أن كانت المرأة الكويتية لا تخرج من بيتها إلا لملأ ولا تتعرض لاقبال الرجال الأجانب ويقتصر خروجها من البيت على زيارة النساء من أقاربها (١) . أصبحت تقترب ميدان العمل وتباشر مختلف الأعمال والوظائف ، فأصبحت طبيعة في المستشفيات ومدرسة في المدارس ، ومذيعة بالاذاعة والتليفزيون ، وصحفية ، وقلما بقى ميدان من ميدان العمل إلا اقتضنته الوفاة بل أنها إلى حد كبير تتبع الفكر الإسلامي عندما تحل هذه الأحداث .

وتمتاز الكويت باستباب الأمان بها إلى درجة كبيرة وذلك يرجع إلى وفيرة الرخاء ، فكثيراً ما يكون المال هو السبب فيما يحدث من صراع ، على أن طبيعة الرجل الكويتي نفسه كانت من أهم أسباب استباب الأمان فهو بطبيعته هيال للهدوء وعدم الالتفات لما يكرر صفوه ، ولهذا يغلب في حوادث التي تقع في الكويت أن تكون هناك أصبع أجنبية دفعت لوقوع هذه الحوادث .

وتعم الكويت بنظام تأمين الطب ، والمستشفيات الكويتية أعدت

(١) لميس الطحاوى : المرأة في الكويت .

أعلم أعداد ، وبها أحدث الأجهزة العلمية ، وهي تقدم العلاج والوقاية المجانية للمقيمين في الكويت من المواطنين والوافدين ^(١) .

وفي الكويت حركة تعمير مزدهرة وهي تشتمل أعداداً أضخم المباني للحكومة ، وأضخم المباني للمؤسسات التي استلزمها التطور العام في جميع مجالاته ، فقصور الأمراء تعد من الفن الحديث ، وأبنية الحكومة شاهقة رفيعة العماد والأثاث .

والمستشفيات والمدارس والمساجد تتنافس في جلالها وجمالها .

الكويت والعرب :

اتجهت الكويت منذ وقت مبكر إلى التعاون مع شقيقاتها الدول العربية في مجال التنمية الاقتصادية ، فأسست « الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية » وكان تأسيس هذا الصندوق سنة ١٩٦١ وغرضه مساعدة الدول العربية في تطوير اقتصادياتها ، وفي مدها بالقروض اللازمة لتنفيذ برامج التنمية فيها .

وكان رئيس مجلس الصندوق خمسين مليون دينار ، ثم زيد بعد ذلك وهو يقدم قروضاً في حدود نصف تكاليف المشروع الذي يطلب القرض له وقدم هذا الصندوق بالفعل قروضاً لبعض الدول العربية للمساعدة في بعض المشروعات الاقتصادية زراعية كانت أو صناعية ، وفي نفس العام تقدّمت الكويت بعون ثقاف إلى إمارات ساحل الصاحل التي كان التعليم فيها يسير على النمط القديم ، فأنشأت الكويت بها مدارس حديثة ، وأمدتها بالمدرسین والأدوات والكتب فرفعت بذلك مستوى التعليم في هذه الإمارات إلى درجة كبيرة . قبل أن يتتدفق النفط في هذه الإمارات خيّض من لها استقلالاً اقتصادياً وحياة مترفة .

(١) دليل الكويت العام .

وفي سنة ١٩٦٣ أنشئ البنك العربي الأفريقي برأسمال مشترك بين مصر والكويت ، والمدفه منه ايجاد أساس للتعاون بين البلدين في مجال المال والتجارة ، والتعاون كذلك مع الدول الأفريقية الصديقة لواجهة التسلل الإسرائيلي الذي يتخذ الاقتصاد أحد وسائله .

وافتتحت الكويت مدرسة في بومباي وأخرى في كراتشي لتعليم اللغة العربية والتاريخ الإسلامي لأبناء العرب المقيمين هناك ، ولن شاء أن يتلقى هذه الثقافات من أبناء الهند والباكستان (١) .

ومع أن هذا النشاط جديد بالتقدير فإني أرى أنه ما يزال بعيداً عما يجب أن يكون ، فليس من صالح الكويت أن تضع نفسها في حياة ترف وبذخ بسبب ما تدفق بها من النفط وبحوارها دول عربية لا تزال تعيش دون الوصول إلى الكفاية ، ولدون تحقيق ضروريات الحياة .

وإذا كانت الكويت تتعم بالمال ، فلدى الدول العربية الأخرى مصادر ثراء تاريخي أو بشري ، ومن اللازم أن تتبادل هذه المصادر والمنفعة بشكل متناسب ، ونقل قيمة التعاون إذا ربطها القاموس العربي بكلمات قاسية ككلمة المنح والدعم ونحن نتطلع إلى عهد يقرب بين الشعوب العربية في مختلف المجالات ، وينخلق شعوراً حقيقياً بأن من العيب أن يعيش عربي في ترف وآخر في حرمان ، فسلامة العرب في تعاونهم ، ولا يتم التعاون مع انتشار المترف في مكان والفاقة في مكان آخر .

المعنى والفرق

فطبعات السابقة لهذا الكتاب كنا نختتم حديثنا عن الكويت بالفقرة التي رأها القاريء آنها ولا مانع من إعادتها مرة ثانية لتعلق عليها :

(١) دكتور ابراهيم عبده : دولة الكويت الحديثة ص ٥٥ - ٥٦

ليس من صالح الكويت أن تخضع نفسها في حياة ترف
ويذبح بسببها ما تدفق بها من النفط ، وبجوارها دول عربية
لاتزال تعيش دون الوصول إلى الكفاية ودون تحقيق
ضرورات الحياة .

ذلك ما قلته في الطبيعتين السابقتين ثم جاء الزحف العراقي الذي احتاج
الكويت ، وأعلن عودتها جزءاً من لواء البصرة كما كانت من قبل كما يرى
ذلك الجانب العراقي .

وهذا الزحف سنخصص له دراسات كافية فيما بعد ، ولكننا هنا
نقرر أن الغنى والفقر كانوا من الأسباب الحقيقة التي دعت لهذا الزحف
أو أيدنته ، فقد ادعى العراقيون أن العراق مدينة للكويت بعبلغ يزيد عن
١٢ بليونا (مليارا) من الدولارات دفعتها للعراق إبان حربها مع إيران ،
ورفضت الكويت التنازل عن هذا المبلغ واعتبرته قرضا ، وترى العراق
أنه إسهام في الحرب التي كان خطرها سيتدنى بدون شك للكويت ولغيرها
من دول الخلية الغربية للخليج لو قدر إيران أن تتصر ، واتجهت هول
ومؤسسات عربية لتأييد العراق ربما بداعي الغنى والفقر أيضا .

ثم كشف الغزو العراقي للكويت عن ثراء خطير تتمتع به هذه الدونة
المصغيرة التي يصل تعداد سكانها من الكويتيين حوالي نصف مليون فقط ،
وهذا العدد القليل يملك أرقاماً قياسية من الثراء وبخاصة
أمراه واثرياؤه ، فقد ذكرت الأنباء أن أمير الكويت الأمين جابر
يملك ٢٠٠ مليار من الدولارات ويمتلك أخوه وأسرته مثل ذلك أو أكثر
من ذلك ، وأن دولة الكويت لها استثمارات في دول العالم الغنية تصل
إلى أرقام خيالية .

ون هناك الأمير الكويتي طلال الصباح الذي ذكرت الصحف أنه ينفق
على المهرجين ١٥٠٠ دولار كل يوم عدا البذخ الذي يعيش فيه ، وعدا

محاولته قتل المطرب «أحمد عدوية» تلك المحاولة التي نجا منها عدوية ، ولكنها تركته أقرب لل الفقر والحطام .

ويقال إن الإنسان العادى في الكويت عندما يريد أن يتزوج يقدم لخطيبته «حزام جابر» في شكل «شبكة» وهذا الحزام يختلف ثقله ونسوع الجواهر به باختلاف مستوى العرائس والمعروض ، وهو يحيط بخصر الفتاة وتتدلى فيه الجواهر والجنيهات الذهبية ، ويذكر «حزام جابر» لو أنجبت العروس ابنًا ذكرًا لزوجها ٠٠٠٠٠ هذا بخلاف السيارات الفارهة التي يتصنّع بعضها خصيصاً لأمّراء الكويت وأثريائهم وبخلاف القصور التي تزوى أمامها قصور ألف ليلة وليلة .

وهناك ثراء كهذا أو قريب منه يوجد في الولايات المتحدة وفي اليابان وألمانيا ، ولكنه جاء نتيجة جهد وعرق ، أما ثراء الكويت فقد جاء من تدفق النفط الذي يوشك أن يفوق مياه الخليج .

ومن هذا فإن الولايات المتحدة واليابان وألمانيا تقدم للدول المحتاجة التي لا تربطها بها رابطة غير رابطة الإنسانية قدراً كبيراً من العون ، أما الكويت فإنها تحيط بها مجاعات قاتلة ، وتصحّر مهلك في البلاد العربية والإسلامية ، وتضطر الكويت لتقديم عنون يوصف بأنه «بالقطارة» أي أنه قدر زهيد ، وأنه محفوف بالمن والأذى .

ليس معنى هذا أننا نقرّ زحف العراق على الكويت ، فهذا شيء نستنكره ، ولكننا في الوقت نفسه نستنكر الحرص الشديد الذي تعيش فيه الكويت ممكّنة العين عن كل ما حولها ومن حولها .

وكلمة حق إنها ليست الكويت وحدها في مكان النقد وإنما بعض دول الخليج الأخرى تشتراك مع الكويت في هذا الوضع ، وإن كان ثراء الكويت فيما يبدو أعظم وأخطر .

وقد تعرضت الكويت عام استقلالها سنة ١٩٦١ إلى نوع مما تعرضت سنة ١٩٩٠ فقد أعلن عبد الكريم قاسم رئيس العراق آنذاك أن الكويت جزء من العراق ، وببدأ يُعد العدة للزحف على الكويت ، فأرسل عبد الناصر رئيس مصر آنذاك إنذاراً بأن مصر ستتدخل لحماية الكويت .

ماذا قدمت الكويت لمصر نظير ذلك ؟

إنها بالتأكيد لم تقدم شيئاً يتناسب مع موقف مصر منها وحمايتها لها ، ونسبيت الكويت أدتها إن كانت تملك المال فهي في حاجة إلى ما يملكه الآخرون من قوة وموهبة .

ولا يزال يعيش في مصر شيخ تقدمت به السن ، وهو يروي أنه كان ناظر المدرسة الوحيدة التي كانت بالكويت ، وكانت مدرسة مصرية ، ويذكر هذا الشيف أنه في مطلع العام الدراسي كان يرحل بالباخرة إلى الكويت على حساب مصر ، ومعه المدرسون والطباشير والسبورات ٠٠٠٠٠ ، فهو يذكر الكويتيون ذلك ؟

نحن لا نمن ولا نملك أن نمن ، فهو دورنا في الحياة ، فتحتاج أجدادنا الأزهر منذ أكثر من ألف عام وأنشئوا فيه الأروقة لكل الأقطار ، وقدموا العلم والمسكن والطعام والكساء للطلاب ، ولا تزال الأروقة تؤدي نفس الدور حتى الآن .

إإننا فقط نذكر هذه الأشياء ، لنذكر من قست قلوبهم فأصبحت كالحجارة أو أشد قسوة .

وأخيراً فإننا لو وضعنا ثراء الكويت في جانب وأطفال السودان الجياع في جانب آخر لسخطنا على من لم يؤد حق المال من حوله من المحتاجين .

وقد أجمع علماء الغرب على أن نظام الزكاة الإسلامي هو الذي حرس العالم الإسلامي من ثورات الفقراء ضد الأغنياء ، فإذا بخل أغنياء المسلمين بأموالهم فليستعدوا لثورات لا تبقى ولا تذر ، وإننا نرفع أصواتنا بذلك لينعم الأغنياء والفقراء جميعاً بمال الله .

أما قضية الحرب بين العراق والكويت ونتائجها فلنا وقفة طويلة معها بعد حديثنا عن العراق ، ويستشمل هذه الدراسة تلك القضية من الألف إلى الياء .

العراقي

مقدمة

عندما نصل في دراستنا إلى العراق نجدنا واقفين أمام طريق طوين من الحضارة والمجد ، وأمام أحداث حفلت بالزهور والأشواك ، وفي الحق إنني كباحث يطيب لي أن أطيل وقفتى مع العراق ، ودراستى مع بغداد ، وحياتى مع البلاد التى عاش فيها المنصور والرشيد والمؤمن ، والتى أبعت خيرة المفكرين والباحثين والتى ازدهر فيها بيت الحكم والنظمية والمستنصرية وغيرها من مراكز العلم والمعونة .

لقد قام عصر صدر الإسلام بمهمته في تقديم الإسلام وشرحه والدفاع عنه ، وحمل العصر الأموى مسؤولية اتساع الرقعة الإسلامية ، وجاء العصر العباسي ليقوم بدوره الحضاري العظيم بالنسبة للعالم الإسلامي الفسيح ، بل بالنسبة للجذري البشري كله .

وتخطيط هذه الموسوعة يضع العراق في مكانه الجغرافي بهذا الجزء السابع ، وربما كان من حق العراق أن يأخذ نصيباً كبيراً في هذا الجزء ، ولكن إيضاح التاريخ المبهم في الجزيرة العربية وفي منطقة الخليج التَّهَمَّمَ أكثر الصفحات .

وفي هذا الجزء (السابع) قد ادَّعَتْ قدْرَأً مناسباً من الفراغ لأعراض تاريخ العراق مسلسلاً من مطلع الإسلام حتى الآن ، وأن أوضح ما غمض من هذا التاريخ ، وأعلق ولو بسيجراز على أحداثه ، وكتابه "تاريخ العراق كله على هذا النمط عمل يحتاج لمساحة واسعة جداً ، ولكن مما ساعدنى على الإيجاز هنا أدى خصصت العراق بالجزء الثالث من هذه الموسوعة وكتبت عنه كثيراً في الأجزاء الأخرى منها .

ومراجع تاريخ العراق وفيرة ، وتوشك أن تكون كلها أو جلها بين يدي ، وقد قرأتها جميعاً واستوعبتها ، وكان من الممكن أن أكتب عن العراق كتابة مستفيضة ، ولكن نطاق الموسوعة لا يحتمل التفاصيل حتى

- ١٨٠ -

لَا تزيد الأجزاء عن العشرة ، وحٰتى لا يزيد حجم كل جزء عن القدر
المتعارف عليه .
وَفِي الْبَدْءِ وَالْخَتَامِ نَرْجُو مِنَ اللّٰهِ الْعُونَ وَالتَّوْفِيقَ .

تعريف سريع بالعراق

نبذة عن التاريخ القديم :

يعتبر العراق من أعرق دول العالم ، فقد قامت به حضارات يرجع عمرها إلى حوالي ٥٠٠٠ ق.م ، ومن أشهرها حضارة السومريين في جنوبى العراق ، ثم حضارة الأكاديين ، ولا تزال لهم آثار جنوبى بغداد الحالية وبعدهم أسس البابليون دولتهم ، وكانت عاصمتهم تسمى بابل ، ولا تزال آثارها قريبة من مدينةحلة ، ومن أشهر ملوكها حمورابى العظيم الذى عاش حوالي ١٩٤٠ ق.م وغلب الملوك الذين حوله وبسط نفوذه بابل على المنطقة الشمالية من بلاد ما بين النهرين ، فأسس بذلك امبراطورية كبيرة ، ويعتبر قانونه رائدا يدل على استنارة القائد ونضج عقله ، وهو عمل خالد له وللشرق ، وبعد البابليين قامت المملكة الآشورية ، وكانت نينوى التي تقع قريبا من مدينة الموصل عاصمتها الرئيسية ، وقد امتد سلطان الامبراطورية الآشورية امتدادا واسعا ، وأشهر ملوكها سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) وستحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م) وأشهر ملوكه نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) ، الذي سيطر على مملكتى إسرائيل ويهودا ودمقر المهيكل وسبى أكثر السكان اليهود إلى بابل وبعد ذلك غزا المفرس بلاد العراق حتى طردتهم الاسكندر ، وجاء بعد الاسكندر المفرثيون ، فالحكم السادسى الفارسى الذى قضى عليه المسلمون في موقعة القادسية كما سنرى فيما بعد .

موقع العراق :

يقع العراق بين خطى عرض ٣٧° و٣٥° درجة شمالا وخطى طول

٤٨٣٨ درجة شرقاً بوجه التقريب ، ويحد العراق من الشمال تركياً ومن الشرق إيران ، ومن الغرب سورياً والأردن والمسعودية ، ومن الجنوب الخليج العربي والكويت والمسعودية ، وتبلغ حدود العراق البرية ٣٥٥٠ كيلو متراً والحدود البحرية (على ساحل الخليج العربي) ٦٠ كيلو متراً تقريباً ، ومساحة العراق ٤٣٨٤٤٦ كيلو متراً مربعاً ، وهي تشمل مساحة العراق البرية ومساحة المياه الإقليمية .

سطح العراق :

ينقسم سطح العراق ثلاثة أقسام كبيرة : القسم الأول السهل الرسوبي الذي يتكون من سهل طولى يمتد في جنوب العراق ووسطه ويختلقه نهر دجلة والفرات وفروعهما ، وبه أكثر من ٦٠٪ من السكان ، وأرضه خصبة ، وبسبب وفرة المياه وخصوبية الأرض ازدهرت به الزراعة ، ونشأت على ضفاف الأنهار أعظم مدن العراق .

والقسم الثاني يمثل الهضبة الصحراوية التي تمتد في غرب العراق ، وتوجد بها مجموعة من الوديان تجري فيها المياه في مواسم الأمطار وهذا القسم قليل السكان ، إذ لا يوجد به أكثر من ٣٪ من سكان العراق وأكثرهم من البدو الرحل .

والقسم الثالث المنطقة الجبلية التي تقع شمالى العراق وشمال شرقى العراق ، وتهطل أمطار تكفى للمزارعة ، ومن أجل هذا تكثر بها زراعة القمح والتبنج والبنجر والمكروم والزيتون ويقطنها حوالي ثلث سكان العراق ، ومن المدن الهامة بهذا القسم الموصل وكركوك والسليمانية وأربيل وخانقين .

ومناخ العراق حار جاف في الصيف بارد رطب في الشتاء بوجه عام .

وبالنسبة لمياه الأمطار العراقية اهتمت الحكومات الوطنية ببناء السدود للتحكم في هذه المياه ولحسن الانتفاع بها ومنها سد الكوت الذي ينظم مياه دجلة ، وقد تم إنشاؤه سنة ١٩٣٩ ، وسد منصورية الجبل الذي تم إنشاؤه سنة ١٩٤٠ لتنظيم مياه نهر ديالى ، ومنها سدود تمت عقب ذلك أو مشاريع سدود لا يزال العمل جاريا فيها .

السكن في العراق :

يبلغ مجموع سكان العراق سنة ١٩٧٥ حوالي ١٢ مليونا حسب ما تقوله التسريبات الرسمية ، منهم ١٥٪ من الأكراد الذين يعيشون في الأقسام الجبلية الشمالية الشرقية ، وهم أكبر الأقليات ، وسنكلم عنهم بعد قليل ، وهناك أقليات أخرى كالتركمان وهم بقايا العشائر التركمانية التي حكمت العراق بعد الجلاوين كما سنبين فيما بعد ، ويعيشون التركمان في قرى ومدن تقع بين المناطق الكردية والعربية وهناك أقليات أخرى بالعراق من الفرس والزيدية والصابئة والأشوريين واليهود وغيرهم ، أما باقي السكان فهم عرب وفدوا على شكل هجرات متتالية منذ زمن طويل ، وقد استقر بعضهم في المدن والقرى ، ولا يزال بعضهم يدعوا يعيشون رحلا من مكان إلى آخر ، وتبذل الحكومة العراقية جهودا كبرى لتوطين هؤلاء البدو .

كلمة عن الأكراد :

والأكراد بالعراق جديرون بكلمة خاصة ، وهم جزء من الأكراد الذين يعيشون في هضبة فسيحة هي هضبة كردستان ويقع بعضها الآن في تركيا وفي أرمينيا السوفيتية وشمال شرق العراق وشمال غرب إيران ، وفي العراق يتذكر الکرد حول الموصل وكركوك والسليمانية ، وسكان السليمانية كلهم من الأكراد تقريبا ، والأكراد مسلمون سنيون ، وهم شعب قوي محارب يعمل لماستقلال بجد وقوة ، وقد منحتهم ثورة ١٧ يوليو ١٩٦٨ الحكم الذاتي ، وبعض الأكراد وصل إلى درجة عالية في الثقافة العربية ،

وفي هذا المجال لابد أن يذكر العالم اللغوى الكبير محمد كرد على مؤلف (خطط الشام) و (الإسلام والحضارة العربية) وغيرها ، وهو سوري الجنسية .

والزراعة هي الحرفة الرئيسية لمعظم العراقيين ، وأهم الزروعات بالعراق القطن والمذرة والعدس والسمسم والخضروات والفواكه ، وي يعتبر العراق من أهم الأقطار التي ينمو بها التفاح ، ولذلك يحتل المزارق مرتبة عالية في إنتاج التمور ، وبعد الزراعة تجيء الصناعة . وأهم الصناعات بالعراق صناعة النفط ثم صناعة النسيج والصناعات الغذائية وصناعة التبغ والسجائر وحلبيج الأقطان والجلود .

نقط المسرّاق :

يعتبر العراق في المرتبة السادسة بين الأقطار المنتجة للنفط في العالم ، ويوزع النفط في أرض العراق توزيعاً أقرب ما يكون للعدالة فهو يوجد في منطقة كركوك وفي منطقة الموصل وفي منطقة البصرة ، ويسرى أن الحكومات الوطنية حررت ثروات القطر النفطية من سيطرة الاحتكارات الدولية .

وبعد هذا التعريف السريع بالعراق نتجه لندراسة تاريخه وحضارته في جميع عصوره الإسلامية فيما يلى :

العراق في صدر الإسلام

تحدثنا في الجزء الأول من هذه الموسوعة^(١) حيثما مجملًا عن فتح العراق وفارس ، ونريد أن نعطي بعض التفاصيل عن فتح العراق ثم نواصل دراستنا عن تاريخه .

ويادىء ذى بدء نقرر أن العراق الحالى يشمل مملكة الحيرة التي ذكرنا في الجزء الأول^(٢) أنها كانت على حافة البادية غرب الفرات كما يشمل أرض السواد وهى التى كانت تسمى «العراق» والتى تضم الجزء الجنوبي من العراق الحالى ، ويشمل كذلك أرض الجزيرة أو ما يسميه اليونان ميسوبوتاميا Mesopotamia وهي جزء من المنطقة الشمالية الخصبة بين دجلة والفرات تجاور بادية الشام وقد فتح العراق على مراحل تتاسب مع هذه الأقسام الثلاثة :

كانت المرحلة الأولى في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ودارت رحاها في الغرب من الفرات ، وكانت في بادىء الأمر بقيادة المشنى بن حارثة الشيباني ، ولما شاهد أبو بكر نجاح المشنى مع قلة من معه أرسل جيشاً عظيماً بقيادة خالد بن الوليد ، وكتب أبو بكر للمثنى يأمره بتلقي خالد والسمع والطاعة له^(٣) وكان خالد آنذاك قد فرغ من حروبها ضد المرتدين والمتثبتين ومانعى الزكاة ، وعلى هذا فقد بدأ زحف خالد من الجنوب ، وإن كانت هناك رواية تتجه إلى أن خالد بن الوليد زحف إلى العراق من المدينة بعد عودته إليها^(٤) ، ولما وصل خالد إلى أرض الحيرة بدأت تتساقط مواقعها بالصلاح أو بعد بعض

(١) ص ٧٥٦ وما بعدها من الطبعة الرابعة عشرة

(٢) المرجع السابق ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٤٢ .

(٤) انظر حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول لأستاذ شكري فيصل

من ٦٢ .

المناوشات ، ولذلك ثار الفرس وأعدوا عدتهم حتى يقاوموا هذا الزحف الناجح ، والتقى بهم خالد عند «الأبلة» حيث خاض معهم معركة هائلة تسمى معركة «ذات السلاسل»^(١) لأن الفرس ربطوا جنودهم بالسلاسل حتى لا يفروا ، ولكن ذلك لم يغتهم شيئاً ، فقد فر منهم من استطاع أن يفرّ ، وسقط الم巴قون صرعى ، واستولى الجيش الإسلامي على ميسنة «الأبلة» على الخليج العربي^(٢) ، وبعد ذلك صدرت أوامر أبي بكر لخالد أن يغادر العراق إلى الشام فاستخلف خالد» المثنى بن حارثة وتراجعت الجيوش الإسلامية عن مواقعها المتقدمة ، وتحصنت بالصحراء مكتفية ببعض الاغارات والمناوشات .

الفرس يحتلّون أرض السواد أكثر من ألف عام :

وكانت المرحلة الثانية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد استعاد المسلمون في هذه المرحلة مملكة الحيرة ثم اندفعوا في أرض السواد ، وكانت أرض السواد قبل الفتح الإسلامي جزءاً من بلاد فارس ، إذ كان الفرس قد احتلوها عقب سقوط الكلدانين سنة ٥٣٧ ق.م ، وظللوا بها إلى الفتح الإسلامي سنة ٦٣٣ ميلادية أي أكثر من ألف سنة ، وفي تلك الفترة الطويلة استطاعت الحضارة الفارسية أن تغمر أرض السواد ، كما نزح لها عدد كبير من الفرس ، وقد أقام بها ملوك الفرس مدينة طيسفون التي تقع جنوب بغداد الحالية على ضفتي نهر دجلة ، وكانت العاصمة الشتوية للأكاسرة ، وفيها أنشأ كهربى إيوانه الشهير الذي كان يستقبل فيه زواره من العرب ومن غيرهم ، وقد سمي العرب هذه العاصمة «المدائن» لكثره خواجيها حتى بدت للعرب وكأنها مدائن متعددة .

وقد استغرق الصراع في هذه المنطقة عدة سنوات ، وتولى قيادة

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٦٣ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٨٩ .

جيوش المسلمين في هذه المرحلة عدد كبير من خيرة القادة والأبطال منهم ، المثنى بن حارثة وأبو عبيد بن عمر الثقفي : وجرير بن عبد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، ويُنسب لسعد أنه فاتح أرض السواد لأن الذين سبقوه كانت جهودهم في هذه المنطقة محدودة ، وكان مع سعد صفة من القادة المشاهير عاونوه في معاركه ، منهم : المغيرة بن شعبة ، وقيس بن هبيرة ، وطليحة بن خويلد الذي كان قد ادعى النبوة ثم تاب وأناب . وقد خاض سعد أقصى المعارك ضد الفرس ومن أهمها معركة القادسية ومعركة الماءين وجلواء ، وعقب الانتهاء من جلواء دانت للمسلمين كل أرض السواد ، وكانت القادسية تُعرف عند العرب بأنها بباب فارس ^(١) ، لأن الفرس حشدوا فيها كل قواهم ، وأثاروا المتابع ضد المسلمين في كل البلاد التي كان المسلمون قد احتلواها ، وقد أحس المسلمون بأهمية اللقاء مع الفرس في معركة فاصلة فتراجعوا غرب الفرات اتّدور المعركة في الصحراء حيث تكون الطبيعة في جانب العرب ، وكان استعداد العرب للقادسية هائلاً حتى ليروي أن العربي كان يعرض له الأمر المهم فيقول : لا أنظر فيه حتى نرى ما يكون من أمر القادسية ^(٢) وقد انتصر المسلمون في القادسية فاندفعوا يستعيدون الأرض التي كانوا قد أخلوها ويضمون لها أرضاً جديدة من يوم إلى يوم ، وفي هذه المرحلة سقطت طيسفون فكان سقوطها ضربة شديدة أصابت الفرس ، إذ وضع المسلمون أيديهم على كتوتها وإيوانها وقصورها ، وكان الانتهاء من هذه المرحلة في السنة السادسة عشرة من الهجرة .

ويدخل في هذه المرحلة كذلك جهود المسلمين في جنوب العراق ، وكانت قبائل بكر بن وائل في الجنوب توافق هجماتها على الفرس ، ولكن هذه الهجمات كانت غير منظمة ، فأرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائداً يقودها ويوجه هجماتها وهذا القائد هو شريح بن عامر وقد

(١) تاريخ الطبرى : ج ١ ص ٢٢٢٨ .

(٢) الطبرى : ج ١ ص ٢٣٦٤ .

سقط هذا القائد في إحدى المعارك ، فأرسل عمر جيشا بقيادة عتبة بن غزوان ، وقد استطاع هذا الجيش أن يحقق انتصارات باهزة في هذه المنطقة .

وكانت المرحلة الثالثة في عهد عمر بن الخطاب أيضا ، وقد ضم المسلمين في هذه المرحلة أرض الجزيرة ، وكانت أرض الجزيرة موضع صراع بين الفرس والروم ، وقبيل الزحف الإسلامي إلى هذه المناطق كانت الجيوش البيزنطية تحتفظ فيها ببعض الواقع ، فلما سقطت أرض الشام في أيدي المسلمين وسقطت كذلك أرض السواد لم يكن بد أن يتنهى المسلمين الجيوب الفارسية والبيزنطية بأرض الجزيرة ، وليس بعيداً أن تكون الجيوش الإسلامية زحفت إلى الجزيرة من الشام ومن العراق ، وكان ذلك سنة ١٨ هـ كما جاء في رواية البلاذري^(١) أو في سنة ١٩ هـ كما جاء في رواية ابن الأثير^(٢) .

وكانت جيوش المسلمين بقيادة عياض بن غنّم ، وقد استطاع أن يستولى على مدنها المهمة مثل : الرقة على الفرات ، وحران القديمة ، والرقة (تسمى أيضاً أورفا أو إدبيسا) ، وقد اتخذت هذه مراكز تجمعت فيها الجيوش الإسلامية التي اندفعت فيما بعد إلى منطقة أرمينية وما حولها .

كلمة عن البصرة والковفة والموصل :

ولنعد إلى أرض السواد لنقرر أن هذه المنطقة كانت شديدة الأهمية بالنسبة لبلاد فارس وللمنطقة الشرقية بوجه عام ولذلك ما إن حقق سعد ابن أبي وقاص انتصاراته فيها حتى كتب له عمر بن الخطاب يقول : اتخاذ المسلمين دار هجرة ، ومدينة يسكنونها بحيث لا يكون بيني وبينكم بحر ولا جسر فبني مدينة الكوفة على الجانب الغربي لنهر الفرات إلى الجنوب

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٧٢ .

(٢) الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ٣٩٤ .

من موقع بابل التي نقع على الجانب الشرقي ، وتقع الكوفة على أرض مرتفعة بحيث تصبح بمنجى من فيضان دجلة ، أما الجيوش الإسلامية التي كانت في جنوب العراق فقد بني لها قائد جيوش المسلمين بالجنوب عتبة بن غزوان مدينة أسماها البصرة ، ويقال ان اسمها مأخوذ من « البصرة » وهو نوع من الحجر الأبيض الذي استعمل في بناء المدينة ، وهي أيضا على حافة الصحراء أى غرب شط العرب بمعنى أنه لا يفصل بينها وبين العاصمة الإسلامية « المدينة » نهر ولا جسر ، وقد بنيت الكوفة والبصرة سنة ١٦ هـ وعقب إنشائهما أوفد عمر العلامة المسلمين لتقديم الإسلام للMuslimين الجدد بها ، فكان أبو موسى الأشعري مبعوثه إلى البصرة وعبد الله بن مسعود مبعوثه إلى الكوفة ، وقد حققت البصرة والكوفة الهدف الذي بنيتا من أجله ، فقد جذبنا عددا من الأبطال العرب ، واندفع هؤلاء يواصلون الفتوحات في فارس وخراسان وببلاد ما وراء النهر في عهد عمر وبعداه *

وقد بنيت البصرة والكوفة على النسق الإسلامي أي كان المسجد موكلاً المدينة ، وبجواره مقر القائد ، ويحيط بهذين معسكرات الجيش ، وكان بناؤها أول الأمر متواضعا ، وكان هدفه إيواء المجاهدين ، وكانت المنازل من القصب ، فلما وفت أسر المغاربة تحول البناء إلى اللبن وبخاصة أن حريراً شبَّ في بيوت القصب فأكل الكثير منها كما يذكر الطبرى ^(١) ، وبذلك تحول المعسكر إلى مدينة عامرة ، ثم خطا البناء خطوة مهمة ، فيرى أن سعد بن أبي وقاص ابتنى داره على شكل القصر الملكي في المدائن ، ونقل إلى الكوفة أبواب المدائن ^(٢) وكان هذا من أسباب عزل سعد لبعده عن البساطة والزهد اللذين عزف عنهما الخليفة طيب الذكر ، وبعد عزل سعد عين عمر النعمان بن مقرن ثم حذيفة بن اليمان ،

(١) تاريخ الأمم والملوك ٤٤ ص ٤٤ .

(٢) فيليب حنى : تاريخ العرب ١٢ ص ٢١٣ .

— ٦٨٩ —

وسرعان ما جذبت منطقة العراق أنظار القبائل وأنظار الشخصيات البارزة ، بل وصل الأمر بعلى بن أبي طالب رضي الله عنه أن نقل عاصمته من المدينة المنورة إلى الكوفة ليكون على مقربة من العالم الفسيح الذي امتد له الإسلام في أواسط آسيا ، وقد ظل الإمام على في الكوفة حتى استشهد سنة ٤٠ هـ في مسجدها ، وكان قائماً يصلي ، وبوفاته انتقلت الخلافة إلى دمشق .

وعندما انتقل مركز الخلافة بعد على إلى الشام اتجهت المدينتان للجانب الثقافي ، وهو اتجاه يجذبنا إلى أن نستطرد في الحديث عنهما لأن نشاط هذه المدن كان متصلاً وبعيد الأثر في الحياة الإسلامية .

الثقافة في الكوفة والبصرة :

وقد أصبحت البصرة والكوفة مهداً للدراسة الملغوية والنحوية والتقت فيهما حضارة الفرس بحضارة العرب ، ولم تفقد المدينتان أهميتها الثقافية عندما أنشئت بغداد بل حافظتا عليها حتى اجتاحتها الفتن والاضطرابات كما سُنِّى بعد قليل .

وقد وفَّى على البصرة كثيرون من أساطين العرب حتى سُميَت « خزانة العرب » وكان انتعاشها الاقتصادي الذي تسبب عن الحركة التجارية بها ، بالإضافة إلى انتعاشها الثقافي سبباً فيما ارتبط بها من حياة لاهية ورد ذكرها في قصص ألف ليلة وليلة .

وكانت البصرة مركزاً مهماً من مراكز العلم والأدب ، فكان ينحدر لها الطلاب الذين ينشدون العلوم والمعارف ^(١) .

ومن علماء البصرة المشاهير عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب ، وعيسى بن عمرو ، والخطيل بن أحمد : والأسماعي ، وسيديوية أمام

(١) الغزالى : الاحياء ج ٣ ص ٥٩ .

() م ٤٤ - التاريخ ج ٧)

— ٦٩٠ —

النحاة بالبصرة ، ومن مفكريها الحسن البصري ، وواصل بن عطاء ، ومن شعرائها الفرزدق ، وبشار بن برد ، ومسلم بن الوليد ، وأبو نواس ، ويروى المربزباني أن مسلم بن الوليد كان يجلس في مسجد البصرة يملأ من شعره ، وفي إحدى الجلسات كان يملأ قصيده الدالية التي مطلعها •

لَا تدع بى الشوق إنى غير معنود • • •

إذ أقبل أبو نواس فاستشرف له القوم ، فدنا فسلّم ، فقطع مسلم الإهلاء ورفعه في المجلس ، واقبل عليه يسأله أن ينشد من شعره ، وأبو نواس يابى ذلك ، ثم سأله أبو نواس أن يبتدىء القصيدة من أولها ففعل ٠٠٠ (١) •

ومن أدبائها المشهورين الحريري صاحب المقامات •

ويتحدث الجاحظ عن أن البصرة في عهده كان بها رجلان ليس هناك من هو أدرى منهما بصنوف العلم وحسن البيان ٠٠٠ (٢) وينظر أنه دخل البصرة مرة ثم خرج منها بشروة كبيرة بعد فقرة قصيرة : فسأله هيمون ابن هارون : ألك بالبصرة ضيعة ؟ فتبسم وقال : أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب البيان والتبيين إلى ابن أبي داود فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب الزرع والنحل إلى إبراهيم ابن العباس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار ٠٠٠ (٣) •

وكانت الكوفة تزدان بمدرستها النحوية التي اشتهر من زعمائها الرهواسي مؤسس المذهب النحوي بالكوفة ، والكسائي والفراء ، وشعلب ،

(١) الموضح ص ٢٨٩ - ٢٩٠ •

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٠

(٣) معجم الأدباء ٢٢ ص ٧٥ - ٧٦ •

ومن أدباء الكوفة ابن المقفع والكميت بن زيد وحماد الرواية وكان الكميـت
وحـمـاد يـلـتـقـيـان فـي مـسـجـدـ الـكـوـفـةـ وـيـتـنـاظـرـانـ وـيـتـافـسـيـانـ (١) .

وـكـانـتـ الـبـصـرـةـ وـالـكـوـفـةـ منـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ مـراـكـزـ لـلـفـنـ وـالـثـورـاتـ وـقـدـ
تـحـدـثـنـاـ هـنـ قـبـلـ عـنـ الزـنـجـ وـالـقـرـامـطـةـ وـعـنـ حـرـكـةـ التـشـيـعـ ،ـ وـكـانـتـ الـبـصـرـةـ
وـالـكـوـفـةـ أـهـمـ الـمـراـكـزـ لـهـذـهـ الـحـرـكـاتـ .

ولـنـصـدـ إـلـىـ الـجـزـيرـةـ الـتـىـ فـتـحـهـ عـيـاضـ بـنـ غـنـمـ لـنـقـرـرـ أـنـهـ بـنـىـ بـهـاـ
مـدـيـنـةـ عـلـىـ الضـفـةـ الـبـيـمـنـىـ لـنـهـرـ دـجـلـةـ فـيـ سـهـلـ زـرـاعـىـ وـاسـعـ ،ـ وـفـيـ مـنـطـقـةـ
عـاـمـرـةـ بـالـعـربـ وـالـأـكـرـادـ ،ـ وـهـىـ مـدـيـنـةـ الـمـوـصـلـ ،ـ وـتـقـعـ فـيـ الضـفـةـ الـيـسـرىـ
أـمـامـهـاـ أـطـلـالـ مـدـيـنـةـ نـيـنـوـىـ الـتـىـ كـانـتـ عـاصـمـةـ الـأـشـوـرـيـيـنـ ،ـ وـسـمـيـتـ
الـمـوـصـلـ لـوـقـوـعـهـاـ فـيـ طـرـيقـ الـمـواـصـلـاتـ الـتـجـارـيـةـ النـشـطـةـ بـيـنـ الـشـرـقـ وـالـغـربـ ،ـ
وـتـقـعـ الـمـوـصـلـ حـالـيـاـ عـلـىـ السـكـنـةـ الـحـدـيـدـيـةـ الـتـىـ تـرـبـطـ الـمـرـاقـ بـتـرـكـيـاـ .

وـتـشـتـهـرـ الـمـوـصـلـ بـنـسـيـجـ ثـمـينـ عـرـفـ بـاسـمـهـاـ وـحـرـثـ شـأـصـبـحـ
«ـ الـمـوـسـلـيـنـ »ـ وـفـيـهـ ضـرـيـعـ الشـاعـرـ الـشـهـورـ أـبـىـ تـمـامـ الـذـىـ قـضـىـ أـيـامـهـ
الـأـخـيـرـةـ فـيـ الـمـوـصـلـ وـمـاتـ بـهـاـ .

وـاشـتـهـرـ الـمـوـصـلـ بـدارـ الـعـلـمـ الـتـىـ أـنـشـأـهـ جـعـفـرـ بـنـ حـمـدانـ الـمـوـصـلـىـ ،ـ
وـجـعـلـ فـيـهـ خـرـانـةـ لـلـكـتبـ مـنـ جـمـيعـ الـعـلـومـ وـقـفـاـ عـلـىـ كـلـ طـلـابـ الـعـلـمـ
لـاـ يـمـنـعـ أـحـدـ مـنـ دـخـولـهـ ،ـ وـإـذـاـ جـاءـهـاـ غـرـيبـ يـظـلـبـ الـعـلـمـ ،ـ وـكـانـ مـعـسـراـ
أـنـفـقـاـ عـلـيـهـ وـكـانـتـ تـفـتـحـ فـيـ كـلـ يـوـمـ ،ـ وـيـجـلـسـ فـيـهـ ،ـ وـيـجـتـمـعـ إـلـيـهـ النـاسـ
فـيـمـلـىـ عـلـيـهـمـ مـنـ شـهـرـهـ وـشـعـرـ غـيـرـهـ (٢) .

وـكـانـتـ الـمـوـصـلـ عـاصـمـةـ الـحـمـدانـيـيـنـ ((٣١٧ـ ـ ٣٩٤ـ هـ)ـ وـالـعـقـيلـيـيـنـ
((٣٨٦ـ ـ ٤٨٩ـ هـ)ـ وـمـرـكـزـ أـنـابـيـكـيـةـ الـلـزـنـكـيـيـنـ ((٥٢١ـ ـ ٦٣١ـ هـ))ـ ،ـ وـكـانـتـ
سـاطـاتـ هـذـهـ الـعـاصـمـةـ تـمـتدـ أـحـيـاـنـاـ إـلـىـ الـغـربـ فـتـشـمـلـ حـلـبـ .

(١) الـأـغـانـىـ حـ ١٥ـ صـ ١١٣ـ ـ ١١٤ـ .

(٢) باقوـتـ :ـ مـعـجمـ الـأـدـبـاءـ حـ ٢ـ صـ ٤٢٠ـ .

وبعد هذه الكلمة عن العراق في صدر الإسلام وعن المدن التي أنشئت في هذا العصر المبكر ، ننتقل خطوة أخرى لنتحدث عن العراق في عصر آخر من عصوره *

العراق في العهد الأموي

كانت البصرة والковفة في العصر الأموي (٤١ - ١٣٣ هـ) تمثلان العراق ، ولهذا كانتا تسميان العراقيين ، وفي الوقت نفسه نشأتا في أرض كانت أرضاً فارسية مدة أكثر من ألف عام كما ذكرنا من قبل ، وكان الفرس يغزون هذه المناطق ، ويدرك Wellhausen^(١) أن الكوفة والبصرة كان يغمرهما عدد كبير من الأجانب وبخاصة جمahir الإيرانيين الذين كانوا أسري حرب ثم اعتنقا الإسلام *

أثر الفرس على الإسلام واللغة العربية :

وكان الفرس جنساً آرياً وليس ساماياً ، وهذا كان من دواعي توسيع الخلاف بين الفرس والعرب ، ثم كان الفرس حضارة واسعة وامبراطورية فسيحة قبل الإسلام ، فاما سقطوا بسيوف العرب هالهم هذا الوضع ، وعزموا على الثأر لكرامتهم ، ولم يكن في مقدورهم أن يواجهوا العرب في ميدان حرب ، فاتجهوا إلى ميدان الفكر يصارعون فيه دين الإسلام ولغة العرب » وانتهى الأمر بأن حققوا نصراً واضحاً في هذا الميدان : فأصبح الإسلام في بلاد فارس وفي كثير من مناطق العراق تشيماً وأصبحت اللغة العربية قواعد وقوانين وبعدت عن اللغة نفسها »

الصراع بين العراق والأمويين وسببه :

وبسبب تأثر العراق بفارس اتخذ العراق جانب المعداء ضد دولة الخلافة بدمشق ، وحملت البصرة والkovفة لواء التمرد ، واتجهت الدولة الأموية وبالتالي

(1) Arab Kingdom and its Fall p : 71.

٦٩٣ -

إلى ضرب العراق لتخضسه ولتذال قياده ، وقد وضخنا في الجزء الثاني من هذه الموسوعة ألوان المعصيـانـ التي شنـّـهاـ العـراـقـ ضدـ بـنـىـ أـمـيـةـ ، وأـلـوـانـ المـصـرـيـاتـ الـتـىـ كـاـلـهـاـ الـأـمـوـيـوـنـ لـلـعـراـقـ ، وـسـتـشـيـرـ فـيـماـ يـلـىـ اـشـارـاتـ خـاطـفـةـ لأـبـرـزـ الـحـرـكـاتـ فـيـ الـعـراـقـ خـلـالـ الـعـصـرـ الـأـمـوـيـ :

— دخل معاوية الكوفة سنة ٤١ هـ حيث التقى بالحسن والحسين ، وذلك بعد الصلح الذي تنازل فيه الحسن عن الخلافة لمعاوية ، وبایع الناس معاوية ، وبایع معهم الحسن والحسين .

— عين معاوية أهم رجاله ولادة على البصرة والكوفة ، فعين المغيرة بن شعبة والبياض على الكوفة ، وزياد بن أبيه والبياض على البصرة : ولما مات المغيرة ضم معاوية الكوفة إلى زياد سنة ٥١ هـ ، وكان زياد أول من تولى البصرة والكوفة معاً ، وامتد حكم زياد بذلك إلى نصف الإمبراطورية الشرقية برمه ، إذ كانت العراق قاعدة للزحف ، الذي اتجه إلى الشرق ، ومن ثم كانت العراق خلال فترة طويلة عاصمة للنصف الشرقي للعالم الإسلامي .

— تولى عبيد الله بن زياد البصرة عقب وفاة أبيه ، وتولى النعمان بن بشير ولاية الكوفة ، ثم ضمت الكوفة إلى عبيد الله في عهد يزيد بن معاوية .

— في عهد يزيد بن معاوية قتلت الإمام الحسين رضي الله عنه في كربلاء غير بعيد من الكوفة ، وكان أهل الكوفة قد طلبوا أن يحضر لهم الإمام الحسين ووعدهم بالعون ، ثم تخلوا عنه فسقط في معركة غير متكافئة .

— كانت الكوفة مثار ثورات تقاد تكون متصلة خلال العهد الأموي وقد رحبـتـ بالـمخـتـارـ بـنـ أـبـيـ عـبـيـدـ ليـقـودـ ثـورـتـهاـ دونـ أـنـ تـكـونـ لـهـ أـهـدـافـ واضـحةـ ، وـكـانـ الـمـخـتـارـ عـدـواـ لـابـنـ الزـبـيرـ وـلـعـبـدـ الـمـلـكـ بـنـ مـرـوـانـ زـعـيمـ الـعـصـرـ ، وـقـدـ وـلـىـ اـبـنـ الزـبـيرـ أـخـاهـ مـصـبـاـ عـلـىـ الـبـصـرـةـ وـأـمـرـهـ مـالـزـحـفـ عـلـىـ الـمـخـتـارـ بـالـكـوـفـةـ فـفـعـلـ ، وـسـقـطـ الـمـخـتـارـ بـسـيـوـفـ مـصـبـ ، وـلـكـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ سـارـ فـيـ جـيـشـ كـبـيرـ كـبـيرـ اـسـتـطـاعـ بـهـ القـضـاءـ عـلـىـ مـصـبـ .

- ٦٩٤ -

- تجددت الفتنة بالعراق بعد ذلك ، فعين عبد الملك لولية العراق أخطر وأشهر الولاية الأمويين وهو الحجاج بن يوسف الثقفي .

- حدثت ثورة ابن الأشعث ضد الأمويين ، وكان الحجاج قد عين ابن الأشعث قائداً لجيش كبير من البصرة والكوفة ليحارب في «ستان» باسم الأمويين ، ولكنه سرعان ما استدار ليضرب الحجاج ، وقد قضى الحجاج على أشراف العراق عندما أصبح له النصر في هذه المعركة القاسية ، وأشرف الحجاج على قتل الأسرى ، وكان ذلك مما أضيق حركات الفتنة بالعراق .

- وفي عهد يزيد بن عبد الملك حدث صراع بين يزيد بن المهلب وبين جيوش الأمويين التي كان يقودها مسلمة بن عبد الملك ، وقد انتصر مسلمة وقتل عدداً كبيراً من أهل العراق في موقعة العقير .

- ومن ولاة العراق المشاهير خالد بن عبد الله القسري وهو من ولاة هشام بن عبد الملك .

- في أنتهاء الصراع الذي دار بين حلفاء بني أمية المتأخرین بعضهم والبعض نشطت الفتنة بالعراق وخراسان وكان ذلك من أسباب سقوط دولة بني أمية .

- اتخذ الشيعة ومدعو التشيع من البصرة والكوفة مرکزين مهمين لنشاطهما ليظلان هؤلاء على مقربة من الجزيرة العربية لينفذوا فيها سموهم وأنحرافاتهم .

وكان للخوارج نشاط كبير في العراق خلال عهد الدولة الأموية .

وهكذا حفل تاريخ العراق خلال العهد الأموي بصراع يكاد يكون متصلة ، وكانت الفتنة أبرز مظاهر في العراق طيلة هذا العهد .

العراق في العهد العباسي

أصبح العراق عاصمة العالم الإسلامي خلال العصر العباسي ، فتاد اتخذ العباسيون الكوفة عاصمة لهم عقب زحفهم الناجح من خراسان ، ومن الكوفة انتقلوا إلى الحيرة فالأنبار ، ثم بنوا العاصمة الثانية « بغداد » وفي هذه العاصمة تجمعت كل أفانين المجد والعظمة حتى أصبحت بغداد رمز الزهو والجلال في كثير من البقاع ، فاشتق من اسمها كلمات تحمل معانى الجلال والترف مثل « تبعده » « البعدة » ٠٠ وحو . بغداد قادمت الكرخ والرشافة حيث مظاهر البذخ والنعيم ٠

وقد خصينا الجزء الثالث من هذه الموسوعة للحديث عن الخلافة العباسية ، فاتجهه أكثر هذا الجزء بذلك للحديث عن العراق ، وقد وضمنا به أن العراق عرف في العصر العباسي الطويل (٦٥٦ - ١٣٢) صنوف المجد وألوان الشقاء ، عرف الغنى والترفة ومسه الضر والعوز ، وذلك تبعاً للحركات السياسية التي غمرت العراق خلال هذا العصر ٠

وكان العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ) قمة بين العصور الإسلامية ، فقد استكملت الدولة فيه استقرارها السياسي ، وامتدت حدودها امتداداً بعيداً ، حتى روى أن هارون الرشيد كان يرى السحابة تمرّ ، فيقول لها : أذهبني حيث شئت فسيأثنيني خراجك ٠ وقام العصر العباسي الأول بالدور الرئيسي في تحضير العالم الإسلامي ، ففي خلاله حدثت النهضة الثقافية الكبرى ، وكانت العراق مركز هذه النهضة ، وقد شملت النهضة جوانب ثلاثة مهمة هي :

١ - حركة التصنيف ٠

٢ - تنظيم العلوم الإسلامية وتدوينها ٠

٣ - المترجمة من اللغات الأجنبية ٠

وقد تحدثنا بإفاضة عن هذه الجوانب في الجزء الثالث سالف الذكر ،
وازدان العصر العباسي الأول بكفاءة المنصور وإصلاحات المهدى ، وحزن
المهادى وأبهة الرشيد ، وثقافة المؤمنون ، وقوة المعتصم ، وفي خلال هذا
العصر ازدهرت بغداد بأُسرى كان لها نصيب وفير في حضارة العصر وكل
عصر ، فقامتها أسرة البرامكة وبنو سهل .

ودارت الأيام ، ولكل شيء في هذه الحياة نهاية ، وتجمعت ظروف
متعددة لتحمل إلى العراق السحب الداكنة والحياة المكفرة والآلام
والأشجان ، فبعد العصر العباسي الأول ظهرت قوى استطاعت أن تتحكم
في الخلافة : وعندما سقطت هيبة الخلفاء انفرط العقد الذي كان يجعل
من بغداد واسطته ومركته ، فبلغت بغداد بالائنراك (٢٣٢ - ٣٣٤ هـ)
الذين كان الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧) قد جلبهم إلى أرض الإسلام
لأسباب ذكرناها في الجزء الثالث من هذه الموسوعة ^(١) ، وقد بدأ طغيان
الأئمك يظهر في عهد المعتصم : فاعتدوا على كثيرين من الناس في بغداد ،
واعتدى الناس عليهم ، ولما كثرت الشكوى منهم ، بني المعتصم مدينة
سامرا (شرّه من رأي) وانتقل إليها ، ونقل إليها جيشه ، وظلت سامرا
عاصمة الخلافة العباسية حتى عهد الخليفة المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩) فأعاد
المعتمد الخلافة إلى بغداد .

ومنذ عهد المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) بدأ تمرد الأئمك ييرز ، واتسع
سلطانهم وطغيانهم حتى شمل الخلفاء أنفسهم ، وكان الخليفة المتوكل
ضحية من ضحاياهم ، فقد اغتالوه وعيّنوا خلفه ، وصار لهم السلطان
يولون الخلفاء ويخلعونهم طيلة هذا العهد فيما عدا الفترة التي تسمى
صحوة الخلافة في عهد المعتمد والمعتضد .

وفي عهد نفوذ الأئمك تدهورت الخلافة إلى مدى بعيد ، وصار

لنساء القصر ، وكلهن من أمهات الأولاد نفوذ واسع ، وتجتمع ثراء الدولة في يد الأتراك ، وفي يد هؤلاء النساء ، فيزوى أن ثروة أم العتر بالله بلغت مليون دينار وكان لها مع ذلك جواهر لا تقدر بثمن .

وعلى هذا الوجه كان تاريخ الخلافة المتدهور خلال هذا العصر ، فكان يعتلي العرش خلفاء بلا قوة تسندهم ، ويُعزّلون أو يقتلون غير مأسوف عليهم ، ولم يكن هناك أمن إلا في بعض المناطق البعيدة عن العاصمة التي كان يحكمها أحياناً حكام "مستقلون تقريباً" ، وفي هذا العصر اشتعلت ثورة الزنج في جنوب العراق ، وقد تحدثنا عنها من قبل ، وقد خلقت هذه الثورة أ بشع دور في تاريخ العراق كله .

وقبيل نهاية حكم الملوك عين الخليفة قائداً فارسياً هو أحمد بن بويه في منصب ظهر حدثاً آنذاك هو منصب أمير الأمراء ^(١) ، وزحفت أسرته بعد ذلك على سلطة الخليفة ، ولم يبق للخلفاء خلال عهد البوبيين ((٣٣٤ - ٤٤٧)) إلا الاسم المجرد من السلطة ، وكان البوبييون شيعة فأسرفوا في امتحان الخلفاء لأنهم سنيون . وعلى هذا لم يكن لدى البوبيين باعث ديني يحthem على طاعة الخليفة واحترامه ^(٢) وربما خطر ببال البوبيين أن يلغوا الخلافة العباسية تماماً ولكن آثروا أن يبقوا عليهما لاعتبارات سياسية فقط ، وقد بلغ من امتحان البوبيين للخلفاء أن وصل الحال إلى أن اثنين من الدليل تقدماً من الخليفة المتكتفي بالله وجذباه في حضرة معز الدولة وطراحاه على الأرض ووضعوا عمامته في عنقه ، ومساقاه مائياً إلى دار معز الدولة حيث اعتقل فيها ، ثم أحضر

(١) انظر الحديث عن هذا المنصب في الجزء الثالث من هذه الموسوعة ص ٤٠٨ - ٤١١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ح ٨ ص ١٧٧ .

معز الدولة الفضل بن المقذر : وبمبايعه بالخلافة ولقبه المطیع الله^(١) والمارجع التاريخية تشمل العديد من الأمثلة التي تدور في هذا الإطار^(٢) .

ولم يتوقف الطغيان البويعي إلا عندما اشتد التنافس بين أمراء بني بويع على السلطة وأساء بعضهم التصرف ، واشتغل بالملهو واللعب وسماع الغناء ، كما كان حال بختيار بن معز الدولة الذي وصل من سوء تصرفه ولهوه أن تعرضت خزانة الدولة للإفلاس أكثر من مرة مما اضطره إلى مصادرة أموال كبار الرجال في الدولة بل صادر أموال الخليفة نفسه^(٣) .

وقد أدى الأضطراب الاقتصادي ، والصراع الطويل بين أمراء بني بويع إلى كثرة الثورات من الجنود والأهالي ، وبالتالي غلت الأسعار ، واختفت الأقوات ، وكثير السلب والنهب^(٤) ، وكلّ هذا آذن بانهيار بني بويع وأعطى الفرصة لزحف جديد على العاصمة العراقية قام به السلاجقة سنة ٤٤٧ هـ كما سُنِّى بعد قليل .

ومع ما يؤخذ على البوعيين من مثالب فإن لهم بعض الإصلاحات في بغداد ، فقد أنشأ عضد الدولة مستشفى كبيراً عيّن فيه أكثر من عشرين طبيباً ، كما أنشأ مدرسة ضمت خزانة كتبها عشرة آلاف مجلد ، وكان لكل نوع من الكتب فهارسٌ خاصة فيها عناوين الكتب^(٥) .

(١) ابن الجوزي . المنظم ٢٦ ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٢) أقرأ في ذلك الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق للدكتور فاضل الخالدي .

(٣) ابن مسکویة : تجارب الأمم ٢٢ ، ص ٣٠٧ والسيوطى ، تاريخ الخلفاء ص ٢٧٦ .

(٤) أبو المحاسن بن تغري بردي : النجوم الزهرة ٤٤ ص ١٠٨ .

(٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٤٤٩ .

— ٦٩٩ —

وبعد البويميين طرق الملاجقة بقيادة طفرك بك أبواب بغداد ودخلوها سنة ٤٤٧ كما أشرنا من قبل ، وقد أصبح السلطان منذ ذلك التاريخ للسلاجقة ، وكان هؤلاء السلاجقة أول من عمل على تنزيك آسيا الصغرى التي نشأت بها فيما بعد دولة الأتراك العثمانيين .

وفي عهد السلاجقة أصبحت العراق تابعة لحكومة السلاجقة في أصفهان ، ومع أن بغداد فقدت قدرها السياسي فقد استعاد الخلفاء في هذه الفترة سلطتهم الروحية ، وقد نعمت العراق خلال عهد السلاجقة بكثير من الأمن والرفاهية ، وبخاصة في عهد ملك شاه وكان ملك شاه نصيرا وحاميا للشاعر عمر الخيام ، وما يرويه التاريخ أن عمر الخيام زامله في أيام الدراسة اثنان من أعلام الرجال هما : نظام الملك ، والحسن صباح ، وقد تعاهد هؤلاء الثلاثة فيما بينهم وهم طلاب على أن من يسبق منهم إلى المجد يتشرف معه صاحبيه في رزقه وفي نعمته ، ولما أصبح نظام الملك وزيراً لملك شاه ذكره رفيقاً بعده ، فلم يتأخر عن الوفاء بما وعد ، ودفع لكلّ منهما حصة كبيرة من ماله ، فاتجه عمر الخيام إلى الانتفاع بما ناله من مال في أن يحيا حياة هادئة ، وأن يشتغل بالشعر والفلك ، أما الحسن صباح فقد استغل حصته من المال في تنظيم فرقته التي عرفت بالاسماعيلية أو الحشاشين والتي سنتحدث عنها عند حديثنا عن المغول (١) .

وبعد عهد السلاجقة العظام بدأ النظام السلجوقي ينهار بسبب عوامل داخلية وعوامل خارجية أوضحتها في الجزء الثالث من هذه الموسوعة (٢) وكان من أهمها تمرد بعض الحكام الذين كانوا عبيداً لسلطين السلاجقة وولاة بعض الولايات ثم تمردوا عليهم وأعلنوا استقلالهم كشاهات خوارزم وشاهات الغور والأتابكيات المتعددة .

(١) انظر الترجمة العربية لكتاب (الرافد) تأليف سيتون لويد ص ٢٢٧ .

(٢) ص ٤٣٥ - ٤٣٦ وانظر تاريخ آل سلجوقي .

— ٧٠٠ —

ووسط هذا التقى أُعلن الخليفة الناصر استقلاله ببغداد وما حولها وحاول إنشاش الخلافة ^(١) ، ولكن أطامع الدولة الخوارزمية هزت كيان بغداد وأمالها الجديدة ، ثم جاء زحف المغول فقضى على الدولة الخوارزمية وعلى الخلافة العباسية ، كما سنشرح ذلك بعد قليل .

تلك الكلمة سريعة جداً عن العراق في العصر العباسى ساعدنا على ايجازها لأننا خصصنا الجزء الثالث لهذه الفترة من تاريخ العراق ، ففى هذا الجزء تفاصيل دقيقة لقضايا العصر ومشكلاته ، فليرجع إلىه من يشاء ليجد صورة متكاملة أغنتنا عن العودة إلى التفاصيل .

(١) انظر تفاصيل مهمة لجهود الناصر في الجزء رقم ٦٣ من «المكتبة الإسلامية لكل الأعمار» للمؤلف .

- ٤٠١ -

المفول

سقطت الخلافة العباسية على أيدي المغول كما ذكرنا من قبل ، وهكانت العراق عقب ذلك بالمغول . ومن هنا كان لابد أن نتكلم عن المغول كلمة نتناول تارييفهم من جوانب متعددة :

التتار والمغول :

يمكننا أن نقول في إيجاز دقيق إن المغول جزء من شعوب التتار ، وإن جنكيز خان ، وهو أبرز قائد في جماعة المغول ، استطاع أن يرغم أكثر جماعات التتار على الاعتراف بسلطانه . ومن هنا برع اسم المغول حتى أصبح مرادفا لكلمة تatar ، وأصبح أكثر التتار يكتسبون أنفسهم للمغول مما يجعل من الممكن أن نتحدث عن المغول أو التتار دون خلاف ذي بال .

أصل المفول :

والملوّل قوم من الرعاة عاشوا في الهضبة الآسيوية ، الفسيحة التي تعرف باسم هضبة منغوليا التي تمتد من أواسط آسيا إلى جنوب سيبيريا وشمالي التبت وغربي منشوريا وشرقى التركستان .

وكانت جماعات المغول متفرقة ، تعيش كل جماعة منها حياة تناسب المكان الذى تعيش فيه بهذه السهول الواسعة ، ففى القرن السادس المجرى (الثانى عشر الميلادى) كان منهم جماعة الرعاة التى تعيش بجوار المراعى ، ومنهم صيادو السمك الذين يعيشون بجوار البحار والأنهار ، وصيادوا الحيوانات فى الأدغال والغابات ^(١) .

وبينما كان المغول يعيشون هذه الحياة التى كان طابعها العنف والصراع ضد بعضهم البعض ضد من حولهم ، كانت تعيش بجوارهم

(١) دكتور فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ص ٣٠ و ٣٢ .

حضارات وممالك لها شأن في التاريخ ، وكان المغول يهاجمون هذه الممالك كلما استطاعوا ذلك ، ثم يعودون أدراجهم إلى الفيافي الفسيحة .

بيانات المغول :

كان المغول من الوثنين ومن عبادة قوى الشر كالجن والشياطين ، واعتنق بعضهم الديانة البوذية التي دخلت هذه الأصقاع من الهند عندما طردت من شبه القارة الهندية ^(١) ولكن هؤلاء كانوا قليلاً ، أما الغالبية العظمى فكانت ترى أن الأديرة والمعابد تورث وداعية الأخلاق وتدعوه إلى العطف والإنسانية ، وأن هذه الصفات لا تدفع السيادة لأنها لن يسود البشر غير المقاتل الشرس ، ومن هنا قل منهم من اعتنق الديانات السماوية .

أشهر زعماء المغول :

عاشت قبائل المغول حياة صراع داخلي مرير ، وكانت قبائلهم تغير على أطراف المالك المجاورة لهم كما ذكرنا آنفاً ، ولكن هذه الغارات كانت ترمي للخطف والسلب دون أن تفكر في احتلال هذه المالك أو القضاء عليها ، حتى ظهر جنكيز خان فغير من أهداف المغول ومن حياتهم تغييراً كبيراً كما سنرى فيما بعد .

وزعامت المغول التي ترتبط بالعالم الإسلامي هي :

- ١ - جنكيز خان : في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، وقد دمر الدولة الخوارزمية . وأوشك أن يدق أبواب بغداد .
- ٢ - هولاكو : في القرن الثالث عشر ، وهو فاتح بغداد ، وقاتل آخر الخلفاء العباسيين ، ولمدمراً الشام .

(١) انظر أديان الهند الكبرى للمؤلف .

٣ - تيمورلنك : في القرن الرابع عشر ، وقد اكتسح بلاد فارس والعراق والشام وتركيا وقد تحدثنا عنه في الجزء الخامس من هذه الموسوعة *

٤ - بابر : في القرن الخامس عشر والسادس عشر ، وهو مؤسس إمبراطورية المغول في الهند وقد ظلت هذه الإمبراطورية من سنة ١٥٢٦ إلى سنة ١٨٥٧ م *

وفي حديثنا عن المغول وعلاقتهم بالعراق يتجه بحثنا إلى الكلام عن جنكيز خان وهولاكو وهو ما سننشرع فيه :

جنكيز خان :

جنكيز خان هو الاسم الذي أطلق على تيموجين ابن أحد زعماء قبيلة « التمرجي » وقد مات الأب غدرا وكان الابن في سن الصبا ، فانتقلت زعامة القبيلة إلى شخص آخر ، ولكن الصبي تيموجين تقدم نحو مرحلة الشباب ، وببدأ يجمع حوله الأذصار والأتراب ، ثاتجه الزعماء له بالتحدي والنكارة مما ملا نفس تيموجين ثورة وحنقا ، وانتقل الحنق إلى صراع نجح فيه تيموجين ، وأثبتت في هذا الصراع أنه بطل الأبطال فخافوه الزعماء وخضعوا له بعد سلسلة من الحروب والفارات ، والتلف حوله شعب التتار معتقدين أنه منقذهم من المذلة والفرقة ، وقادتهم إلى العزة والنصر ، وبدأت بذلك دولة جنكيز خان سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) ، وهدد جنكيز خان بالويل والثبور من تهاكم عن الطاعة المطلقة له ، وبين الوعيد والتهديد التف أكثر المغول حوله وأعلنوا الطاعة له ، ووعدهم جنكيز خان بأنه سيفتح بهم الأرض ، ويملكون الثراء الذي يحيط بهم ، وببدأ بذلك عهد جديد للمغول *

وفي سنة ٦٠٣ (١٢٠٦) أصدر جنكيز خان دستوره الشهير المعروف

بالياسا وستتكلم عنه فيما يلى ، فاستحق تيموجين لقب جنكىز خان أى السيد الغالب وأمبراطور البشر جهيعا^(١) .

الياسا :

كانت هناك آداب وتقالييد يتبعها المغول قبل عهد جنكىز خان ، فلما جاء جنكىز خان وضع قوانين محددة ربط بها علاقة الفرد بالفرد ، وعلاقة الفرد بالمجموع ، وعلاقة المجموع بالملك ، وسميت هذه القوانين (ياسا) أو (يساق) وقد أصدر جنكىز خان الياساً في سنة ٦٠٣ هـ ، وقد أورد المقريزى^(٢) ملخصاً للإيسا نقتبس منه بعضاً .

يقول المقريزى أخذنا عن نسخة من الإيسا كانت في خزانة المدرسة المستنصرية ببغداد : إن مما شرعه جنكىز خان في الإيسا أن من سحر أو تجسس أو كذب قتل ، ومن أعطى بضاعة للتجارة فكسر فيها ثلاث مرات قتل في الثالثة ، وأن ذبح الحيوان من نوع ، ولكن يقتل الحيوان بطريقة أخرى ، وأعفت الإيسا الفقهاء والقراء والأطباء من العرائب . وشرطت الإيسا تعظيم جميع الملك من غير تعصب ، وحذرت أن يأكل أحد من يهد أحد حتى يأكل المعطى أولاً من الطعام ، ولا يتميز أحد على أصحابه بالشبع ، ولا يجوز غسل الملابس ، بل تلبس حتى تبلس ، وعلى نساء العسكرية القيام بما على الرجال من أعمال في غيبة أزواجهن .

وتقرر الإيسا أن من سرق يقتل ، وتنهى عن الإغراء في شرب الخمر .

ويعلق الباحثون على أن ما جاء في الإيسا كان بالنسبة للعلاقات الداخلية بين المغول بعضهم وبعض ، فالكذب فيما بينهم كان جريمة عقابها القتل ، ولكن الكذب كان طبيعة المغول في الحرروب : فهم لم يعرفوا الوفاء

(١) دكتور فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول في التاريخ ص ٤٩ .

(٢) الخطط : الجزء الأول ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

— ٧٠٥ —

بعهد ، وكانت طبيعتهم اللؤم والغدر ، ونقض العهود ، وإراقة الدماء ،
وسلب الأموال ، والعدوان على الأعراض ^(١) .

جنكىزخان وأرض الإسلام :

بعد أن استقر الأمر لجنكىزخان وخضعت له الغالبية العظمى من
قبائل القوار، راح يمد سلطانه ليشمل المالك المجاورة ، وقد استطاع
جنكىزخان أن يقيم إمبراطورية واسعة تشمل الصين الشمالية ، وأواسط
آسيا ، وإيران ، على أن أهم ما يعنينا من هذه الإمبراطورية هو زحفه
على الدولة الخوارزمية التي شملت بلاد ما وراء النهر ، وأكثرية بلاد
إيران ، والتي كان بها المدن الإسلامية الشهيرة بعلمائها وفقهاها مثل :
بخارى وغزنة وبلغ ونيسابور وسمرقند .

ولما كانت الدولة الخوارزمية شديدة الاتصال بالصراع المغولي
الإسلامي فإنه ينبغي أن نتكلم عنها كلمة توضح لنا أسس هذا الصراع .

تعريف بالدولة الخوارزمية :

مؤسس الدولة الخوارزمية مملوك تركى من غزنة اسمه (أتوشتكين)
وكان قد التحق بخدمة ملکشاه (من سلاجقة خراسان) ثم عينه هذا حاكما
على إقليم خوارزم سنة ٤٩٠ هـ - ١٠٩٦ م وبعد وفاته خلفه ولده قطب
الدين الذى لقب خوارزمشاه ، وجاء بعده (أتتسز) الذى حاول الاستقلال
بخوارزم عن السلاجقة وقد نجحت جهوده بعد صراع طويل ، واستطاع
أن يمد نفوذه حتى مدينة (جند) على نهر سيفون سنة ٥٥٢ ، ولما
كل الأمر إلى علاء الدين تكش (٥٦٨ - ٥٩٦) حقق نصرا عظيما حين
قضى على ملك السلاجقة في إيران وحل محلهم ، وهذا الانتصار وضع
الدولة الخوارزمية في مواجهة الخلافة ، فطلب خوارزمشاه بامتيازات

(١) دكتور فؤاد الصياد : المرجع السابق ص ٣٤٥ .
(م ٤٥ - التاريخ ج ٧)

السلاجقة في دولة الخلافة كذكر اسمه في الخطبة ، وفرض نفوذه السياسي على بغداد (١) شأن الأتراك والبوهين والسلاجقة الذين حرصوا على هذه الامتيازات .

ومما يذكر أن الحكام في البلاد التي تقع غرب العراق وهي الشام ومصر لم يطأبوا بهذه الامتيازات ؛ إذ كان التهافت العربي يتوجه إلى الحفاظ على هيبة الخلافة (٢) .

ولما آلت السلطان إلى أشهر سلاطين الدولة الخوارزمية وهو علاء الدين محمد (٥٩٦ - ٦١٧) استطاع أن يوسع رقعة مملكته بأن هزم ملوك ما وراء النهر وضم بلادهم إلى سلطنته سنة (٦٠٧) وفي سنة (٦١١) انتصر على الغوريين واحتل غزنة وضمها إلى مملكته فوصلت البلاد إلى أقصى اتساعها (٣) .

ويتجه كثير من المؤرخين إلى لوم علاء الدين لأنَّه قُضي على ملوك ما وراء النهر ، فهدم بذلك سور الذي كان يحول بين المغول وبين البلاد الإسلامية (٤) ، ولكنَّا لا نوافق على هذا الاتجاه ، فإنَّ بلاد ما وراء النهر التي لم تقو على صد خوارزمشاه ، ما كان يمكن أن تتفق سوراً أمام المغول ، والذى يمكن أن يقال هو أنَّ علاء الدين لم يُعد تحالفًا يستطيع به أن يقف في وجه المغول الذين تهياً بقيادة جنكيزخان للزحف في كل اتجاه ، وبدل إعداد تحالف كهذا راح علاء الدين يطالب بمزيد من القوة في العالم الإسلامي فطالب بما طالب به أسلافه بأن تكون له امتيازات السلاجقة في عاصمة الخلافة .

ولم يستجب الخليفة العباسى لمحاولات سلاطين الدولة الخوارزمية ،

(١) حافظ أحمد حمدى : الشرق الإسلامي ص ٤

(٢) دكتور بدوى محمد فهد : تاريخ العراق في العصر العباسى الأخير .

(٣) انظر استاذى لين بول : تاريخ الدول الإسلامية ج ٢ ص ٣٧٥ .

(٤) دكتور جعفر حسين : العراق في عهد المغول الایلخانيين ص ٥ ،

و دكتور ابراهيم العدوى : العرب والتatars ص ٤١ .

فقد كان يريد أن ينعم بالاستقلال بعد نهاية سلطان السلاجقة ، ولم يقنع سلاطين الدولة الخوارزمية بما وصلوا له من ملك فاندفعوا يصارعون الخلافة العباسية ، وفي سبيل ذلك استنصر علاء الدين فتوى بأن خلافة بنى العباسى غير صحيحة وأن أبناء الحسين أولى بها ، وأن من الخير الرجوع للصواب وإعادة الخلافة إلى هؤلاء ، وحاول عقب ذلك العثور على خليفة علوى ^(١) ، ثم اتجه علاء الدين للصراع العسكري غزحف على رأس جيش كبير تجاه بغداد سنة ٦١٤ هـ ، ولكنه لم يحقق أهدافه بسبب المعاصف التي واجهت جنده ، وبسبب القبائل الكردية التي اعترضت طريق الجيش الزاحف .

جنكيزخان يهاجم بلاد الإسلام :

في هذا الجو من الخلافات والهزائم بدأ جنكيزخان يمد نشاطه إلى بلاد الإسلام ، وقد بدأ بأن أرسك إلى علاء الدين خوارزمشاه رسالة يطلب إليه فيها أن يفتح بلاده لعلاقات تجارية بين الدولة الخوارزمية والمغول ، وكان خطاب جنكيزخان شديد اللهجة ، وصف ملك خوارزم بأنه مثل ابن من أبنائه ولم يضمه في مكان الآخر ، ولكن خوارزمشاه عاى كل حال خصم للأمر الواقع ووافق على قيام علاقات تجارية بين الدولتين .

بيد أن حاكم (أترا) أحد الشعور الواقعة على نهر سينحون أدرك أن تجار المغول يقومون بعمليات تجسس مريبة فمنعهم في إحدى جولاتهم ، وصادر أموالهم وقتل بعضهم ، وقد كان ذلك الحادث فاتحة شرّ وبيك على الدولة الخوارزمية ، فسرعان ما زحفت جحافل المغول سنة ٦١٦ هـ تدك الأرض دكاً ، وتدمير وتحرق ، وكانت (أترا) أولى المدن التي اقتحمتها المغول حاملين معهم خصائصهم التي امتازوا بها وهي سفك الدماء ، وتدمير البناء ، وحرق المزارع ، وإشاعة الذعر ، والفسدة البالغة .

Juveini : The History of world Conquerors :

^(١)

نقل عن : تاريخ العراق في العصر العباسى الأخير ص ٦٥ .

وهناك قول يقرر أن الخليفة العباسى هو الذى أغوى المغول بالزحف على الدولة الخوارزمية لتمردتهم عليه ، ولعل مصدر هذا الاتهام هو كلام منكيرتى الذى يقول عن الخليفة الناصر « إنه كان السبب فى هلاك أبى ومجىء الكفار إلى البلاد ، وقد وجدنا كتبه إلى الخطأ وتواقيعه إليهم بالبلاد والخيل والخlam ^(١) » . ومن الواضح ان هذا النص الذى اتخذ أساساً لهذا الاتهام على فرض صدقه يذكر أن الخليفة كتب للوك الخطأ وليس للمغول ، أى أنه كتب لهؤلاء الملوك قبل خضوعهم للمغول ، بدليل أن هذا الخليفة عرف « بموقفه الصريح المعادى للمغول ^(٢) » .

ويجمع المؤرخون المؤوثق بهم على أن هذه الفريبة إشاعة أطلقتها جلال الدين منكيرتى ابن علاء الدين ليتخذها وسيلة للزحف الذى قام به على بغداد سنة ٦٢٢ هـ ^(٣) .

وبعد سقوط أثار اتجهت فيالق الجيش المغولى اتجاهات متعددة فى بلاد ما وراء النهر تقتسم المدن وتقضى على الزرع والضرع ، وقد عانت بخارى المدينة الإسلامية ذائعة الصيت شر ما تعانىه مدينة مهزومة ، يروى الجوزي ^(٤) . أن جنكىزخان دخل المدينة ليتفقد ما فيها بعد أن استسلمت لها بعد صمود شامخ ، ومقاومة طويلة ، فدخل المسجد الجامع وسائل عمما إذا كان هذا هو قصر السلطان ، فتقليل له انه بيت الله ، فترجل عن حصانه وصعد المنبر وصاح قائلاً : كانت الصحراء خالية من العلف ، أما الآن فاملئوا بطون حيوانكم ، وكان ذلك يفييد الإذن في السلب والنهب فلا يمكن أن تملأ بطون الخيول دون أن تملأ بطون الخيالة ،

(١) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ج ٢ قسم ٢ ص ٦٣٤ .

(٢) دكتور جعفر حسين : العراق في عهد المغول الايلخانيين ص ١٤ .

(٣) انظر تغير هذا القول في « تاريخ العراق في العصر العباسى الأخير » ص ٤٣ - ٧٤ .

(٤) تاريخ جهانكشاي : ج ١ ص ٨٠ - ٨١ نقلًا عن المغول في التاريخ ص ١١٦ .

وعلى الفور قام الجنديون بنهب المدينة ، ثم تحولوا للعبث بال المقدسات الإسلامية فحملوا إلى فناء المسجد عدة صناديق تحوى المصاحف التي كتب فيها القرآن الكريم بخطوط ممتازة ، وألقوا بها تحت حوافر الخيول ، ثم أحضروا كؤوس النبيذ والمعنفات ، وصاروا يشربون ويرقصون + ويسمون

ويذكر ابن الأثير سقوط بخارى فيقرر أن المغول لم يتركوا بخارى إلا وهي خاوية على عروشها لأن لم تغن بالأمس ، وأسلعوا النار في البيوت وفي المدارس ، وقتلوا بعض الناس وعذبوا آخرين أشد العذاب ^(١) .

والذي حدث لبخارى حدث لسرقند ولغيرها من بلاد ما وراء النهر ولما انتهى جنكيزخان من بلاد ما وراء النهر بقى بها يرعى فتوحاته الجديدة وعبرت جيوشه نهر جيحون ، وراحت تحرق وتدمير هنا وهناك داخل الدولة الخوارزمية ، وقد استولت على هراة وطوس والرى وغيرها وبعث فيلقا يتعقب السلطان علاء الدين الذى فر أمام هذا الزحف العاتى ، وقد أخذ هذا السلطان ينتقل من مكان إلى مكان حتى انتهى به المطاف إلى جزيرة صغيرة في بحر قزوين ، وفيها وصلته الأنبياء بأن أولاده الصغار قد قتلوا ، وأن نساءه قد وقعن في الأسر ، فلم تتحمل صحته هذه الأنبياء ، وأسلم الروح سنة ٦١٧ بعد أن عين ابنه جلال الدين منكيرتى ولها لعنه رجاء أن يستعيد مملكته .

وعادت الجيوش المغولية عقب ذلك التدمير إلى سمرقند حيث التقى بجنكيزخان الذى كان قد أحال منطقة ما وراء النهر إلى خراب ينبع بها اليوم ، واحتفظ المغول بإقطاع ما وراء النهر وأخلوا ما سوى ذلك من أملاك الدولة الخوارزمية مما أتاح لجلال الدين منكيرتى أن يستعيد سلطانه في تلك البقاع ، كما سترى فيما بعد .

(١) الكامل في التاريخ : حوادث ٦١٦

وعندما التقى المغول بزعيمهم في بلاد ما وراء النهر ، لم يطأ بقاء الزعيم بهذه المناطق ، بل انه سرعان ما أعد العدة للعودة إلى منغوليا إذ علم بقيام ثورات ضدّه في التبت وشمال الصين ، وكانت رحلته إلى منغوليا بطيبة ، فلم يصل إليها إلا في سنة ٦٣٣ هـ وسرعان ما سقط مريضاً ثم مات في رمضان سنة ٦٣٤ هـ ، وانتهى بذلك عهد الطاغية الأول الذي ملأ الأرض بالدماء البريئة ، ولم يترك إلا أسوأ الذكريات كنهاية كل جبار أثيم .

جلال الدين منكيرتى :

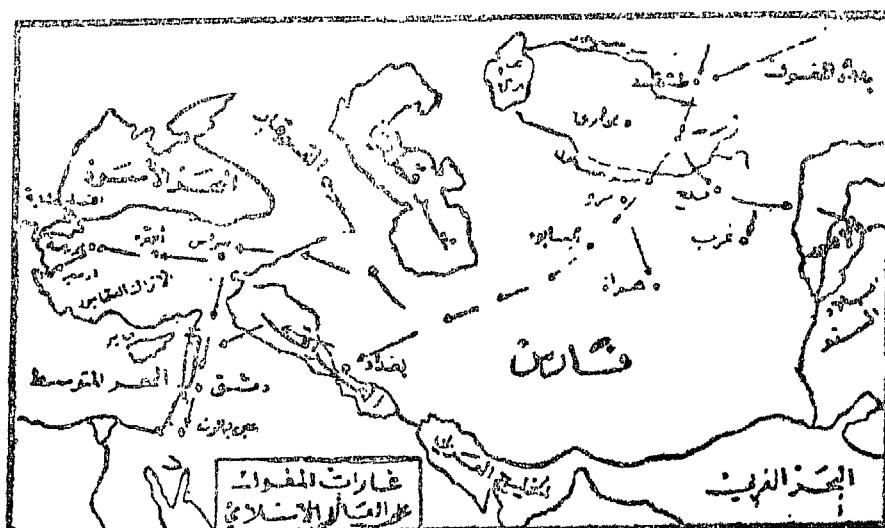
انتهز جلال الدين منكيرتى فرصة عودة المغول وسقوط الطاغية ، فعاد من الهند سنة ٦٢٢ هـ وأخذ يليم شعبه ، ويؤلف جنده ، ويستعيد قوته ، وكان عليه فيما يعتقد أن يتعلم من الدرس الذى أهمله أبوه ، فيقوى ارتباطاته بغير أنه المسلمين وبالخليفة العباسي بوجه خاص ، ليستعد هؤلاء لمواجهة زحف جديد على تلك البقاع قد يقوم به المغول ، ولكن جلال الدين — للأسف — اتجه لمصارعة غير أنه لسبب أو آخر ، فغزا أرض الخلافة ، وفتح بلدة « داقوقا » وأوقع السيف في أهلها ، وسبي حريمهم ، وأحرق بلدتهم وهدم سوره^(١) ، وضعفت بذلك قوة المسلمين ، كما أخذ يحارب قلوب المغول ، ويهاجم المناطق المغولية المتصلة بملكه ، وكان ذلك سبباً في أن المغول أعدوا عدة كبيرة للهجوم على الدولة الخوارزمية مرة أخرى ، والقضاء عليها نهائياً ، وبخاصة أنهم قد استعادوا مكانتهم بعد الهزة التي حلّت بهم بموت جنكيزخان ، فقد تم انتخاب (أوكتاي) خانًا أعظم للمغول بعد فترة من وفاة جنكيزخان ، وأندفع هذا يثار من جلال الدين الذي كان يتجه للعدوان ، وقد سارت القوات المغولية تكتسح أرض الدولة الخوارزمية ، فاستولت على الرى وهمدان حتى وصلت إلى حدود أذربيجان سنة ٦٢٨ هـ وعندما أحسن

(١) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ قسم ٢ ص ٦٣٤ .

جلال الدين بالخطر ، راح يدعو أمراء المسلمين للتعاون معه لصد التيار الزاحف الذى وصفه بأنه كالنمل من حيث المعد وكتلابين من حيث القوة ، ولكن صيحته لم تجد آذانا صاغية ، إذ كانت علاقاته سيئة مع من حوله ، وقد اضطر جلال الدين إلى التقهر مرحلة أثر مرحلة ، حتى وصل إلى جبال كردستان ، وهناك لقى مصرعه على يد أحد الأكراد سنة ٦٢٨ ، وانتهت بموته الدولة الخوارزمية .

المغول يتهدون صوب العراق :

فتح سقوط الدولة الخوارزمية الباب لزحف مغولى جديد على العراق



والشام وكان هذا الزحف متوقعاً عند قادة المسلمين آنذاك ، فلقد هزَّ جماعة من الأعيان الملك الأشرف صاحب دمشق على الهزيمة التي أنزلها المغول بعدهوه جلال الدين خوارزمشاه فأجابهم الملك الأشرف قائلاً : تهنئونى بهذا ؟ ! سوف ترون غبة ، والله لتكونن هذه الكسرة سبباً لدخول التتار بلاد الإسلام ، وما كان الخوارزمي إلا مثل السد الذى بيننا

وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ (١) . وقد أثبتت الحوادث صحة قول الأشرف « وبَعْدَ نَظَرِهِ ، فَإِنَّ الْمُغُولَ بَعْدَ أَنْ تَمْكَنُوا مِنْ إِمَارَاتِ فَارسِ اتَّجَهُوا غَرْبًا وَحَقَّقُوا بَعْضَ انتِصَاراتٍ فِي شَمَالِ الْعَرَاقِ ، فَاسْتَوْلَوْا عَلَى مَارِدِينَ وَنَصِيبِينَ وَالْمُوَصَّلَ ، ثُمَّ أَخْذَوْا إِربَلَ ، وَكَانَتْ تَدْعُ مَفْتَاحَ الْعَرَاقِ مِنَ الْجَهَةِ الشَّمَالِيَّةِ » . ومن اربيل واصلوا زحفهم تجاه سامراً سنة ٦٣٤ هـ وازاء هذا هب الخليفة المستنصر بعد نفسه لواجهة هذا الزحف المدمر ، وكان الخليفة على وشك أن يقود حجاج المسلمين إلى الأرض المقدسة ، ولكنه استتفتى العلماء فيما إذا كان من الأفضل أن ينفق أموال الحج في الجهاد وصد العدو ، ففضلوا له ذلك ، وهب العلماء والكراء يستعدون لواجهة الزحف المغولي ، وكان الفقهاء يخرجون كلّ يوم من بغداد إلى معسكرات الجندي ، لحيث الجنود على الجهاد ، وتشجيعهم ، والاشتراك معهم في التدريبات العسكرية ، وقد استطاع جند الخلافة بذلك أن ينزلوا بالغول هزيمة شديدة عند جبل « حمرین » بالقرب من نهر دجلة (٢) .

وَفِي حَوَالَى سَنَةِ ٦٣٨ وَمَا بَعْدَهَا اتَّجَهَ الْمُغُولُ لِاسْتِكْمَالِ الزَّحْفِ الَّذِي كَانَ جَنْكِيزْخَانَ قَدْ بَدَأَهُ فِي أُورُبَا ، وَقَدْ أَعْدَ أُوكْتَنَى لِهَذَا الزَّحْفِ جِيشًا كَبِيرًا جَعَلَ عَلَى رَأْسِهِ « سَبُوتَى » وَقَدْ اسْتَطَاعَ هَذَا الْجَيْشُ أَنْ يَسْتَوِلَّ عَلَى شَبَهِ جَزِيرَةِ الْقَرْمِ ، وَأَهْرَقَ مُوسَكُو وَاسْتَوَلَّ عَلَى الْبَلَادِ الرُّوسِيَّةِ عَامًا بَعْدَ عَامٍ حَتَّى أَصْبَحَتْ رُوسِيَا كُلُّهَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَظَلُّوا يَحْكُمُونَهَا حَوَالَى قَرْنَيْنِ وَنَصْفِ قَرْنٍ ((٦٣٦ - ٨٨٦ هـ)) وَبَعْدَ أَنْ تَمَّ لَهُمُ الْاسْتِيَلاءُ عَلَى رُوسِيَا زَحَفُوا عَلَى بُولَنْدَا وَالْمَجْرِ وَكَانُوا عَلَى وَشَكِ السُّيُطَرَةِ عَلَى أُورُبَا كُلُّهَا لَوْلَا تَوَقَّفَ الْحَرْبُ بِسَبِّبِ وَفَاءِ أُوكْتَنَى سَنَةِ ٦٣٩ هـ (٣) .

وَمَعَ الزَّحْفِ الْمُغُولِيِّ عَلَى أُورُبَا كَانَ هَنَاكَ فَيْلِقَ يَزْحِفُ عَلَى أَرْمِينِيَّةِ

(١) ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٢ ص ٦٧١ .

(٢) ابن القوطي : الحوادث الجامدة ص ١٣٣ .

(٣) دكتور فؤاد الهبياد : المغول في التاريخ من ١٨٦ - ١٧٨ باختصار .

— ٧١٣ —

وآسيا الصغرى ويستولى على هذه البقاع (٦٤١ - ٦٤٢ هـ) وبسقوط آسيا الصغرى أصبح العراق مطوقاً من الشرق والشمال ، ولكن المغول كانوا يحسبون للهجوم على عاصمة الخلافة حسابها ، ولذلك تجدهم يقومون بمحاولتين مهمتين رجاء تحقيق النصر ، وكانت المحاولة الأولى هي تعاونهم مع الصليبيين ، والثانية هي القضاء على دولة الإسماعيلية بشمال فارس ، و تستحق كل من هاتين المحاولتين أن نخصص لها كلمة موجزة :

التحالف مع الصليبيين :

توقع المغول أن يتجمع العالم الإسلامي ضدّهم إذا هددوا الخلافة الإسلامية ، ومن هنا اتجهوا إلى التحالف مع الصليبيين الذين كانت لا تزال لهم بعض الجيوب والإمارات في بلاد الشام ، وكان ذلك سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) وكانت زعامة المغول قد آلت إلى أوكتاي ، وكان الصليبيون آنذاك يتلقون عوناً جديداً بحسب زحف لويس التاسع المساعدة الصليبية في مصر والشام ، ويقول الأستاذ براون أن الظاهر أن المسيحيين جميعاً كانوا على استعداد لأن يتغاضوا عن الشنائع التي ارتكبها المغول ليحطموا قوة العرب والإسلام^(١) . ولكن هذا التحالف لم يكن ذا بال ولم يثمر أية نتائج ، لأن مصر سرعان ما ضربت الصليبيين ضربة قاضية وأسرت لويس التاسع مما جعل المغول يتوجهون للاعتماد على أنفسهم في هذا السبيل^٠ .

المغول والإسماعيلية :

أما المحاولة الثانية التي اتجه لها المغول لضمّان النصر في القضاء على طائفة الإسماعيلية حتى لا يكون الإسماعيلية شوكة في ظهر المغول عند زحفهم إلى العراق ، وحتى لا يقع المغول وهم بالعراق بين عدوين أحدهما الإسماعيلية بالخلاف والثاني جيش الخلافة إلى الإمام^٠

(١) تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى المسعدي من ٥٧٥ .

وكان زحف المغول على الإسماعيلية بقيادة هولاكو الذي كان كجده جنكيزخان في بطشه وطغيانه وحبه لسفك الدماء ٠

وطائفة الإسماعيلية كانت تسمى النزارية نسبة إلى نزار بن المستنصر الفاطمي ، وقد رأى هؤلاء أنه أحق بالخلافة من أخيه المستعمر ، واستطاع أتباع نزار أن يكونوا لهم مملكة في بلاد فارس عمرت ١٧٠ سنة (١) ، وأشهر زعماء هذه الطائفة الحسن الصباح الذي تحدثنا عنه من قبل ، وكان الإسماعيلية يُعْزِّزُون بالخشاشين ٢ ويتخذون مركزهم قلعة «الموت» جنوب بحر قزوين ، وكان نفوذهم قد امتد إلى الشام فلما بدأ المغول رزفthem على تلك المناطق وتوقعوا مقاومة الإسماعيلية الذين كانوا يرون أن مطامع المغول لا تنتهي عند حد ، وأن فتوحاتهم في الصين وأوروبا وخراسان وپيران ستتمتد لهم وتقضى عليهم ، ومن هنا اتجاه الإسماعيلية إلى جمع الجموع لواجهة المغول ، بل أخذوا يرسلون رسالهم إلى إنجلترا وفرنسا طالبين معونة الأوروبيين في هذا الشأن ، وكل ذلك أثار عليهم المغول فقرر هولاكو ضرورة التخلص منهم قبل أن يواصل زحفه إلى العراق ، وعلى هذا حاصر حصونهم بجيوشه الجراره ثم استعمل معهم سلاح السياسة والخدعية واستطاع بذلك أن يقضي عليهم ويدمر حصونهم ٠

وقد نجا من المغول في قلاع الإسماعيلية الخواجة نصر الدين الطوسي الذي كان زعيم الإسماعيلية قد قبض عليه وأودعه السجن ، لأنَّه لم يكن يدين بالفكر الإسماعيلي ٠

وبالتخلص من الإسماعيلية لم يعد أمام هولاكو عقبات في طريقه إلى العراق ٠

هولاكو وسقوط بغداد :

عندما قضى هولاكو على كل العقبات في طريقه إلى العراق ،

(١) موسى كاظم نورس : كاش خلفا ص ١٣٨ ٠

وعندما أوشك أن يدق أبواب العراق أخذ يعد عدته لنجاح مهمته ، فجهز آلات الحرب أعظم تجهيز ، وهيا جنده ، أقوى تهيئة ، ومساعده الحظ حينما تمكن من الاستيلاء على قافلة كانت متوجهة إلى حران وهي تحمل ٦٠٠ دينار من الذهب ، فساعدته هذا المبلغ على تقوية الجيش وتوسيعه العطاء لجنده وبعث الأطماع فيهم لدخول الأرض التي تخيلوها أرض الذهب والثراء ، وعندما تهيأ هولاكو لدخول بغداد أرسل الخليفة خطاباً سنورود موجزه فيما بعد ، وأهتم ما يعنيها منه هنا أن المغول طمعوا في السيطرة على الخلافة العباسية ، شأن حكام الشرق من بويهيين وسلاجقة خوارزمية ، ولم يستجب الخليفة لهذه الأطماع ، بل رد رداً عنيفاً ففتح الباب لزحف ساحق ، وفيما يلى موجز خطاب هولاكو والرد عليه ٠

يقول هولاكو : لابد أنه قد وصل إلى سمعك على لسان الخاص والعام ما حدث للعالم على أيدي الجيوش المغولية منذ جنكيزخان ، وعلمت أية مذلة لحقت بأسر الخوارزميين والسلاجقة وملوك الدليم والأتابكة وغيرهم من كانوا أرباب العظمة وأصحاب الشوكة ٠ ومع ذلك لم يغلق باب بغداد قط ، في وجه أية طائفة من تلك الطوائف التي تولت هنا السيادة ، فكيف يغلق هذا الباب في وجوهنا رغم مالنا من قدرة وسلطان ٠

واعلم أنتى إذا غضبت عليك وقدت الجيش إلى بغداد فسوف لا تنجو مني ، ولو صعدت إلى السماء ، واختفيت في باطن الأرض ٠٠

أما رد الخليفة فقد جاء فيه قوله :

أيها الشاب الحدث الذي لم يخبر الأيام بعد ، والذي غرّته مساعدة الظروف فتخيل نفسه مسيطرًا على العالم ، وحسب أن أمره قضاء مبرم ٠٠٠ لا تعلم أنه من الشرق إلى الغرب ، ومن الملوك إلى الشحاذين ، ومن الشيوخ إلى الشباب ممن يؤمّنون بالله ويعتقدون الأديان كلهم أتباع وجندولى ، غير أنى لا أود الحقد والخصام ، ولكنك إن كنت ت تريد الحرب

٧١٦ —

فإن لى ألوها مؤلفة من الفرسان والرجالات ، هم على أهبة الاستعداد
للقتال^(١) .

ولم تُجْدَ هذه الرسائل ، فأرسل هولاكو سنة ٦٥٥ هـ أحد جواسيسه
إلى علاء الدين بن العلقمي ، وزياد الخليفة العباسى المستعصم بالله ، وكان
هذا الوزير شيعيا ، ويقال انه كان يستجيب لكل ما ينزله الضرر بأهل السنة
ومن أجل هذا استجاب ابن العلقمي لدعوة التتار ، وقام بما يسمى في
العصر الحاضر بدور الطابور الخامس ، فأثار الفتنة في العراق ، وحث
الخليفة على التفاهن مع المغول^(٢) .

ومما ينسب لابن العلقمي ما يذكره موسى كاظم من أن الخليفة عندما
أراد أن يبعد العدة لمواجهة التتار ثبطه الوزير ابن العلقمي وقال له : إن
سلطين الدنيا وخواتيمها كلهم خدم لرकز الخليفة ، وإنهم على استعداد
للمجيء بأذني إشارة من الخليفة ، على أن نساء بغداد وحدهن قادرات
على رد الاعتداء^(٣) .

ولعمري كيف جاز للخليفة أن يصدق هذا الكلام ؟

ويستمر موسى كاظم متحدثا عن خيانات ابن العلقمي ، فيذكر أنه
أرسل إلى هولاكو رسالة يشكو فيها من سوء الأحوال ببغداد ، ويبدي
فيها إخلاصه له وطاعته ، ويرحب بمقدمه ويقول له : إنه قد دبّر الأمر
بحيث إذا ما وصل سيفجذ بغداد مفتوحة الأبواب ، وسيتولى أمورها
ويحكمها بلا حرب ولا نزاع^(٤) .

(١) رشيد الدين : جامع التواریخ : الترجمة العربية ص ٢٦٧ وما
يعدها ، وفي الأصل « عبید » بدل « أتباع » .

(٢) دكتور ابراهيم العدوی : العرب والتتار ص ٨١ .

(٣) موسى كاظم نورمن : كلشن خلفاً ص ١٢٩ .

(٤) المرجع السابق ص ١٣٩ .

وانتفاعاً بهذه الثمار تقدم هولاكو نحو بغداد في جيش عرمم لم يمتنع جيش الخليفة أن يوقفه ، ولما انتصر جيش هولاكو في الجولة الأولى حتى ابن العلقمي الخليفة على أن يخرج لمقاتلته ، والاتفاق معه على ما يُصلح شأن الرعية : وفي جو من تأثير الهزيمة استجابة الخليفة لذلك فخرج إلى معسكر المتمرد ، وهناك نزل في خيمة منزلة ، ثم عاد ابن العلقمي فاستدعى الفقهاء والأعيان للحاق بالخليفة ، وخلت بغداد بذلك من التادة والمدافعين ، فلأنه هولاكو لجنده باقتحام المدينة والتصرف فيها على ما يشتهون ، أما أولئك الذين وفدوا إليه فقد أعمل السيف في رقبتهم ، ولما فرغ من الفقهاء والأعيان جاء دور الخليفة ، ولم يقو هولاكو على القضاء عليه بسرعة بل يروي أنه تردد في ذلك ودعا إليه منجماً ليسألة هل تشور الطبيعة إذا قتل الخليفة ؟ فأجاب المنجم بعد تدبر وإمعان : « لم يحدث شيء من ذلك عند ما قتلت يوحنا الممدان (يحيى بن زكريا) أو المسيح أو الإمام الحسين ^(١) ، وحينئذ أمر هولاكو بقتل الخليفة وولده شر قتلة ، وكان ذلك سنة ٦٥٦ هـ ، وقد استمر القتل والسلب في بغداد حوالي أربعين يوماً ، وبلغ عدد القتلى في هذه الحملة مليوناً وثمانمائة ألف (أي ما يقرب من مليونين كما ذكره بعض المؤرخين ^(٢)) وأشعلت النيران في المباني ، واستباح هولاكو غنائم بغداد التي لا تحصى ، وكتوزها العظيمة ، ويقال إن حثى الذهب والفضة كندست أمام خيمة هولاكو حتى أصبحت كالقلّ المترفع ، وتحولت بغداد إلى خراب ، وتحولت الكتب إلى رماد وتلال ، وخافت صوت المدينة التي كان يملا الأسماع ويعمر كل القلوب .

ومن الحق أن عوامل خطيرة ساعدت على سقوط العراق هي التفكك

(١) ستون لويد : الرافدان ص ٢٣٠ من الترجمة العربية وانظر التاريخ الغياثي ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) انظر تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير للدكتور بدوى محمد فهد ص ٩٥ .

الذى شمل العالم الإسلامي آنذاك ، وحكم النساء ومرأى القوى ، وحرصن أصحاب السلطان على جميع الأموال التى كدسواها ثم آلت للفاتحين ، وكم نتمنى أن نتعلم من التاريخ ، فاللهم درس لا يهمله إلا الجاهلون .

دفاع عن ابن العلقمي :

بين أيدينا كتاب يدافع عن ابن العلقمي دفاعا طويلا ، يبرئه من كل شيء ، تبرئة الذئب من دم ابن يعقوب كما يقولون : ذلك هو كتاب « العراق في عهد المغول الإيلخانيين » للدكتور جعفر حسين فهو ي incid فصلا طويلا يورد فيه مناقب ابن العلقمي التي تضعه في القمة بين الرجال ^(١) ، ثم يقتبس اقتباسات متعددة من المؤلفين الذين عاصروا الأحداث ، والذين أخذوا عنهم ، وهي كلها تدين ابن العلقمي ، وتقر أن التتار استولوا على بغداد بمكيدة دبرت مع وزير الخليفة ^(٢) وهذه الخيانة التي أوجزها أبو شامة فصلها كثير من المؤرخين مثل : البعبuki في (ذيل مرآة الزمان) ، ومثل الذهبي في (دول الإسلام) ومثل الشيرازي في (تاريخ وصف الحضرة) ومثل ابن شاكر الكتبى في (فوائد الوفيات) ومثل ابن خلدون في (العبر) وغيرهم كثيرين . ولكن المؤلف لا يقنع بهذه الأقوال ويتجه للدفاع عن هذا الوزير ، ويورد في دفاعه آراء ليس فيها فيما نرى ما يرجحها على الاتهام ، فهو كما سبق وصف الوزير بأعظم الصفات وأسمى السجايا ، ولكنه في سبيل الدفاع عنه يصفه بأنه كان ضعيفا غير مسموع القول ، وليس له نفوذ على الخليفة ^(٣) .

ومن أهم الأسباب التي تشذر لإدانة ابن العلقمي أنه كان شيعيا ، وأن الشيعة نجوا من التدمير بعد دخول التتار بسبب تعاون ابن العلقمي

(١) ص ٣٦ .

(٢) أبو شامة (ت ٦٦٥) تراجم رجال القرنين السادس والسابع

ص ١٩٨ .

(٣) ص ٣٦ .

مع هؤلاء ، ويرد المؤلف هذا القول بأن المغول قتلوا العديد من العلوبيين مثل نقيب العلوبيين على بن النقيب ، وعمر بن عبد الله بن المختار وغيرهم • ولا نرى في ذلك دليلاً حاسماً ، إذ أن العلقمي لو صحت خيانته لا يمكن أن يتبعه في هذه الخيانة جمهور الشيعة ، فكم في الشيعة من رجال سمعت وطنيتهم وترفّعوا عن شبهة التعاون مع المغول ، فأوقع بهم المغول كما أوقعوا بسواهم •

على أن دفاع هذا المؤلف عن ابن العلقمي يمتد ليصبح تقريراً دفاعاً عن المغول أنفسهم ، فهو يقول : (إن المغول بدأ غزوهم للإسلام الإسلامي سنة ٦١٦ ، ولم يستولوا على العراق إلا بعد أربعين سنة ، نشأ خلالها منهم جيل جديد انهال عليه الثروة من كل جانب ، واحتل بالدنيات القديمة في الصين وأواسط آسيا ، وإيران ، ولذلك فانه (هذا الجيل) كان أخف من آبائه في معاملته للسكان المفتاحين ^(١)) •

وهذا كلام خطير ، مردود بما ذكره كل المؤرخين دون استثناء ، فكأن المؤلف كان يتوقع لبغداد تدميراً أقسى من الذي حدث ، ولا نكاد نعرف في التاريخ تدميراً أشد قسوة ووحشية من ذاك الذي أنزله المغول بعاصمة الخلافة العباسية •

وعقب الانتهاء من العراق تقدم التتار فاستولوا على حلب ودمشق ، ولم يتوقف زحفهم ، ولا كلت عزيمتهم ، إلا بعد ما حققه المصريون من نصر عليهم في عين جالوت في ١٥ رمضان سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) وقد تحدثنا عن هذا النصر عند حديثنا عن الملاليك في الجزء الخامس من هذه الموسوعة •

الإسلام يقلب المقول :

بقيت كلمة نقولها عن المغول قبل أن نتطرقكم لنتحدث عن تاريخ العراق من بدء عهدهم ، وهذه الكلمة نقتبسها من باحث مسيحي أشرنا

(١) مقدمة كتاب العراق في عهد المغول الأيلخانيين •

— ٧٣٠ —

إليه آنفا هو « سيتون لويد » الذى يقول : « وقد اعتقد المغول الإيلخانيون فيما بعد الإسلام ، فإذا بنا نشاهد حدثا عجبا لم يقتصر على جماع الذئب والحمل في مكان واحد ، بل إن الذئب أفنى نفسه في الحمل ، فإن المغول في الواقع عملوا على هضم ما تبقى من المدينة التي دمرواها ، واندمجا في جمع العالم الإسلامي ، ولم يبق لهم كيان قائم بنفسه بالمرة »^(١) .

العراق ابتداء من حكم المغول

من العراق ابتداء من حكم المغول بعصور حافلة بالآلام والظلام ، وقرن مليئة بالجراح والأشجان ، وقد امتدت هذه العصور إلى القرن العشرين ، وكان العراق في بعضها ولاية تابعة لقوة أعظم ، مغولية أو صفوية أو عثمانية ، وأحيانا كان يُحكم من الداخل كالعصر الجلايري ولكن بحكام أقرب للفوضى أو الخيانة منهم إلى النظام أو المسئولية ، ويمكن سرد هذه العصور فيما يلى :

- ١ - حكم المغول الإيلخانيين من سقوط بغداد ٦٥٦ - ٧٣٦ هـ
- ٢ - الجلايريون (ثم فترة صراع) ٨١٣ - ٧٣٦ هـ
- ٣ - حكم القراء قوييلو (التركمانية الأولى) ٨٧٢ - ٨١٣ هـ
- ٤ - حكم الآق قوييلو (التركمانية الثانية) ٨٧٣ - ٩٠٨ هـ (بدأ تأسيس الأسرة بالموصل سنة ٨٠٦ هـ)
- ٥ - الصفويون ٩٤١ - ٩٠٨
- ٦ - العثمانيون ١٣٣٧ - ٩٤١
- ٧ - العراق الحديث من سنة ١٣٣٧

وستتكلّم عن كل من هذه العصور كلمة فيما يلى :

المغول الإلخانيون

تلقب هولاكو عقب انتصاراته السابقة بلقب « إيلخان » أى الخان الكبير ، وصار هذا اللقب وراثيا ، وأصبحت العراق تحت حكم الإلخانيين ولاية ضمن الولايات الكثيرة التي كانت خاضعة لهم ، وكانت أذربيجان عاصمة الإلخانيين ، ولم تكن الامبراطورية الإلخانية التي كانت العراق جزءا منها محبوبة النسيج ، بل كانت سيئة الإداره ، كما كانت بعيدة عن الوئام ، فقد كان المغول بارعين في الفتح ، ولكنهم كانوا متخلفين في تأسيس الامبراطوريات وإدارتها ، ولذا طبعت قوتهم العظيمة بطابع عدم الثبات وعدم الاستقرار ، وظهرت نقاط ضعفهم هذه بوضوح عند حكمهم في العراق ، ففي حكومات بغداد والبصرة والجزيرة التي أصبحت وحدات مت�اثرة ، انتشرت بها الدسائس ، وبرز الجهل في تسيير الأمور ^(١) .

وولاة بغداد في هذه الفترة هم :

على بيادن	سنة ٦٥٦
علاء الدين عطا	« ٦٦١ (وتوفي سنة ٦٨١)
بيدو	٦٨٣
توجو	٦٩٤
على شاه	« ٧٣٦ ^(٢) (توفي بعد ستة شهور)

وكان الوالي يلقب بلقب « صدر » و « صاحب الديوان » ويعتبر الممثل الشخصي للسلطان الإلخاني ، وكان يتمتع بسلطة واسعة تكاد تكون مطلقة ، كما كان مسؤولا عن تقديم قدر من المال إلى خزانة السلطان

(١) لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ٢٦ .

(٢) زامباور : معجم الانساب ج ١ ص ٦١ .

(م ٤٦ - التاريخ ج ٧)

فـ أذربيجان ، وكان السلطان المغولى من حين إلـى آخر يـرسل موظفاً كبيراً إلـى صاحب الديوان ، ليـتعرـف على أحوالـ البلاد ، وسـيـرـ الحكمـ شيئاً ، وـايـنـقلـ للـوـالـىـ تـحـلـيمـاتـ السـلـطـانـ وأـوـامـرهـ ، ثـمـ يـعـودـ لـلـسـلـطـانـ بـصـورـةـ عـمـاـ وـجـدـهـ فـ الـبـلـادـ ، وـيـقـدـمـ مـعـهـ نـصـائـحـهـ وـتـعـلـيقـاتـهـ ، وـكـانـ هـذـاـ مـوـظـفـ يـسـمـىـ «ـالـشـرـفـ»ـ .

وتـجـمـعـ المصـادـرـ التـارـيـخـيـةـ عـلـىـ أـنـ الـفـسـادـ وـعـدـمـ الـاستـقـرارـ وـإـهـمـالـ مـصـالـحـ الرـعـيـةـ كـانـتـ أـبـرـزـ مـظـاهـرـ إـدـارـةـ الـعـرـاقـ الـإـيلـخـانـيـةـ ، وـقـدـ اـمـتـدـ إـلـىـ الـمـدـيـوـانـ نـفـسـهـ ، فـقـدـ دـبـتـ فـيـهـ الـدـسـائـسـ ، وـانـتـشـرـتـ الـمـؤـامـراتـ وـلـمـ يـكـنـ أـحـدـ مـنـ رـجـالـ الـدـيـوـانـ آـمـنـاـ عـلـىـ نـفـسـهـ أـوـ هـالـهـ ، بـلـ كـانـ كـلـ مـنـهـمـ يـتـوقـعـ السـجـنـ وـالـتعـذـيبـ وـالـقـتـلـ فـأـيـةـ فـتـرـةـ مـنـ الـفـتـرـاتـ ، وـإـذـاـ كـانـ هـذـاـ شـأـنـ الـدـيـوـانـ ، فـقـدـ كـانـ شـأـنـ الـبـلـادـ أـخـطـىـ وـأـشـدـ سـوـادـاـ .

وـلـمـ يـكـنـ هـمـ سـلاـطـينـ الـمـغـولـ مـتـجـهـاـ إـلـىـ جـمـعـ الـمـالـ ، فـقـدـ رـأـواـ فـ الـبـلـادـ الـقـىـ فـتـحـوـهـ الـقـصـورـ الشـامـخـةـ ، وـالـحـدـائقـ الـفـيـنـانـيـةـ ، فـطـابـ لـهـمـ أـنـ يـشـيـدـوـاـ مـثـلـهـاـ ، وـيـعـيـشـوـاـ فـ حـيـاةـ الرـفـاهـيـةـ ، بـعـدـ مـاـ عـانـوـاـ مـنـ حـيـاةـ الـخـشـونـةـ وـالـتـقـشـفـ ، وـمـنـ أـجـلـ أـنـ يـحـقـقـوـاـ هـدـفـهـمـ اـتـجـهـوـاـ لـجـمـعـ الـمـالـ مـنـ الـرـعـيـةـ بـوـسـائـلـ مـخـتـلـفـةـ ، كـانـ مـنـهـاـ فـرـضـ الـضـرـائبـ وـالـإـلـزـامـ بـسـدادـ دـيـوـنـ يـفـرضـهـاـ الـوـالـىـ ، وـكـانـ فـيـهـاـ أـيـضاـ الـمـصـادـرـاتـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـأـحـوالـ .

وـإـذـاـ كـانـتـ هـذـهـ صـفـةـ سـلاـطـينـ الـمـغـولـ بـوـجـهـ عـامـ ، فـيـاـنـهـ قـدـ وـجـدـ مـنـهـمـ أـحـيـاناـ مـنـ اـتـجـهـ إـلـىـ الـإـلـصـاـحـ وـتـحـسـينـ الـأـحـوالـ ، مـثـلـ الـسـلـطـانـ مـحـمـودـ غـازـانـ (٦٩٥ - ٧٠٤ هـ) ، وـيـقـوـلـ عـنـهـ الـغـيـاشـيـ (١) : إـنـهـ شـرـفـهـ اللـهـ بـالـإـسـلـامـ وـالـعـدـلـ ، وـعـظـمـ الـمـهـابـةـ ، فـأـحـبـهـ أـهـلـ الـإـسـلـامـ ، وـوـجـدـوـاـ فـيـهـ مـظـاهـرـ الـبـرـ وـأـعـمـالـ الـخـيـرـ ، وـمـنـ آـثـارـهـ نـهـرـ شـقـهـ مـنـ الـفـرـاتـ إـلـىـ دـجـلـةـ عـنـدـ بـغـدـادـ ، وـيـسـمـيـ بالـنـهـرـ الـغـازـانـيـ ، وـشـقـ مـنـ الـفـرـاتـ نـهـرـاـ يـصـلـ إـلـىـ مـشـهـدـ الشـيـخـ

(١) التـارـيـخـ الـغـيـاشـيـ : ٥١ وـمـاـ بـعـدـهـ .

أبى الوفاء ، كما يتحدث الغياثى أيضاً عن إصلاحات كثيرة قام بها السلطان غازان في نواحي الإمبراطورية : فقد أنشأ في تبريز مدرسة وخانقاہ ، ودارا للحديث ، ودارا للقرآن ، وأنشأ في بغداد والحلة وتبرکز وأصفهان وشيراز والموصل مكاناً أسماه « دار السيادة » خدمته لآل البيت ، وجعل وقته يصل إلى الفقراء والمساكين من العلوبيين .

ومما يذكر عن غازان أنه عندما كان والياً على خراسان في عهد خاقان التتر (بايدوخان) ابن طرغاي بن هولاكو ، أبطل غازان الاعتراف بالخاقان ، وعدل عن نقش اسمه على المسكة لأنه كان يعتبره كافراً ، فأدى ذلك إلى هجوم التتر على خراسان ، ولكن غازان تمكن من طردتهم وردهم إلى بلادهم^(١) .

ويتحدث لونكيريك^(٢) عن العراق في عهد غازان وفي عهد المغول بوجه عام بقوله : كان غازان من أهداها بغداد عن حب وإخلاص ، فإن إصلاحاته للقانون والحكومة ، وورعه الشيعي ، وتردداته الكبير إلى العراق ، كانت كلها من الأمور التي تبعث الأمل في الإحياء والتجديف ، غير أن هذا الأمل كان صعب التحقيق لأن سطوة الآیلخانيين لم تتعد حدود الدن : فلم يكن تأمين الطرق ممكناً ، مما أثر على النشاط التجارى ، وقلل الاهتمام بالزراعة لأن من زرع أرضاً كان غير مطمئن إلى حصاد زرعه ، وقد ارتكب هولاكو تخريبياً شاملاً في المسودة والأنهار التي كان تشبيهها الحكم منذ القدم هو المتبع الوحيد للثروة في البلاد ، وقد تعذر القيام بإصلاح تلك التخربات بسبب استمرار الاضطراب في البلاد ، وفقدان روح العمل عند من بقوا على قيد الحياة من السكان بعد المذابح الرهيبة ، وهذا أدى إلى أن الانهار أصبحت مطحورة بسبب تكاثر الطمى ، ولم يعد من الممكن ضبط الانهار عند الفيضان ، مما سبب ضعف النشاط

(١) رزق الله الصدفي : تاريخ دول الاسلام : ج ٢ ص ٢٧٦ - ٢٨٧ .

(٢) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ٢٦ - ٢٧ .

الزراعى ووضع العوائق دون أن تستعيد البلاد سابق مجدها الزراعى ، وقد خلقت هذه العصور للعراق التحدي ترکة مثقلة ، تبذل أقصى الجهد للتغلب عليها ٠

وقد حاولت بغداد بعد أن أفلحت من هول الدمار المغولى أن تستعيد شيئاً من مكانتها ففتحت المستنصرية أبوابها ، ونشطت بعض الجهود الثقافية ، ولكن ذلك كان ضئيلاً ، وكانت اللغة الفارسية تتافس اللغة العربية ٠

وهكذا عاشت العراق فترة حالكة كانت أشعة النور فيها ضئيلة خلال هذا العهد الراهيب ٠

الخلاثيون

في سنة ٦٣٦ هـ توفي أبو سعيد بهادرخان : وهو الخاقان الثامن من نسل هولاكو ، وأخر من حكم من أحفاده ، ولم يعقب أبو سعيد ذرية ، ففتح ذلك الوضع "الباب" لصراع بين طوائف الطامعين ، وبين هذا الصراع استطاع الشيخ حسن بن حسين ابن عمّة أبي سعيد أن يستقل بملك العراق ، وبجعل بغداد عاصمة لملكه ،

وحسن هذا أمير مغولي ليس من أحفاد هولاكو ، ويدعى حسن جلاzer ، وقد أعاد للعراق استقلاله ، ولبعض جمالها ٠

وفي عهد ابنه ووارثه الشيخ أويس استطاع هذا أن يستولى على أذربيجان وتبريز سنة ٧٥٩ وجعل تبريز عاصمة صيفية له وبقيت بغداد عاصمة شتوية ، ثم ألحق بملكه الموصل وديار بكر سنة ٧٦٦ هـ وحارب خلفه حسين بن أويس المظفرین جيرانه بشرقى إيران ، كما حارب التركمان (القرة قوييلو) الذين كانوا يحكمون أرمينية حتى قبلوا سنة ٧٧٩ هـ أن

يكونوا تابعين للجلاثرين ، وكان الجلاثريون يتبعون المذهب الشيعي ،
وحكام آل جلاثر هم :

الشيخ حسن بن حسين	٧٣٦
الشيخ أوييس بن حسن	٧٥٧
حسين بن أوييس	٧٧٦ (صراع بين الإخوة)
أحمد بن أوييس	٧٨٤ (قتله قرم يوسف من القرة قوينلو)
شاه ولد	٨١٣ (اغتالته زوجته تاندو وحكمت فترة)
محمد بن ولد	٨١٤ (تحت وصاية أمه)
أوييس بن ولد	٨١٨
محمد بن ولد	٨٢٤
حسين بن علاء الدولة	٨٣٧ (قتله اسكندر قره قوينلو سنة ٨٣٥ م ^(١))

وكان حسين ثالث حكام السلالة أضعف من سبقه في الحكم ، ولذلك
لاقى المشاكل العظمى لامبراطورية كان يهددها أعداء طامعون ، وكان
في قمة أعدائه أخيه على الذي اغتصب الملك منه ، ولكن هذا سرعان ما سقط
تحت أقدام أخيه أحمد الذي أدمج ولاية العراق مع ولاية تبريز ، وكوّن
منهما حكومة واحدة ^(٢) .

تيمور لنك وآل جلاثر :

وفي عهد آل جلاثر مرت بالعراق عاصفة مغولية جديدة ، كان
قائدها هذه المرة تيمور لنك آخر عظماء المغول : وكان هذا يمر من فتح
إلى فتح على رأس جيوش جراره من الشرق ، وفي سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م)
ظهر على أبواب بغداد ، وقد حاول السلطان أحمد رده عنها ولكنه انهزم

(١) زامباور : معجم الأنساب ج ٢ ص ٣٧٧ .

(٢) لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ٢٨ .

ففر من البلاد ، ثم انتهز أحمد الجلائري فرصة بُعدَّ تيمورلنك عن بغداد ، فعاد لها وطرد ممثلُ الحاكم التيموري واسترد سلطانه ، ولكن في سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١ م) عاد تيمورلنك من جديد ليعاقبَ أحمد الجلائري على تصرّفه ، فأوقع ببغداد كارثةً مروعةً ، ذبح الألوف من الناس ، وهدم المساجد والمدارس والمساكن ، وأعاد الدمار إلى العاصمة التي كانت قد استرتدت بعض نشاطها عقب الدمار الهولاني ، ولم يستطعَ أحمد الجلائري أن يقف في وجه تيمورلنك ففر ولجاً إلى السلطان برقوق بمصر (١) .

الدولة الملاشية بعد تدهور انتك:

لما توفي تيمورلنك سنة ٨٠٧ هـ (١٤٠٥ م) وتفككت امبراطوريته
عاد أحمد الجلايري إلى العراق ، ولكنه قطع علاقاته «بقرة يوسف بن القراء»
قوينلو » وغزا أذربيجان : ولكنه غُلِب وأسر فاعدهه القره قيونلو وأعدم
معه ولده علاء الدين ، وبعده أولاده الآخرين من سنة ٨١٣ هـ

ويمكن القول بأن الدولة الجلائرية فقدت أهميتها بعد وفاة أحمد ، ولئن كان بعض أفراد الأسرة قد حكموا منفردين في أماكن متفرقة بعد أحمد : فإن ما كان بينهم من خصومات ووقائع ، جعل إدارتهم بعيدة عن أن تكون إدارة دولة بالمعنى الحقيقي ، ويرى المؤرخون قصة الدولة الجلائرية في اضمحلالها هذه روایات مختلفة ، ويمكن أن يستدل من الروایات باختصار على أنه بعد وفاة أحمد أجلس على العرش شاه محمد بن شاه ولد ، وهو لا يزال صبيا ، وحكم شاه محمد بغداد حتى ورود القراءة قويينلو على بغداد سنة ٨١٤ ولذلك اعتبر هذا التاريخ هو تاريخ انقراض الدولة الجلائرية .

وقد حكمت (تاوندوخاتون) أرملة شاه ولد — منطقة واسعة

والبصرة إلى أن توفي سنة ٨١٩ هـ ، وجلس بعدها على العرش ولدان آخران من أولاد (شاه ولد) هما أوييس ومحمد ، وبعد ذلك حكم حفيض أحمد الجلايري حسين بن علاء الدولة جزءاً من العراق لم يشمل بغداد التي كانت تحت سلطان القراء قبونلية ، وقد قضى عليه هؤلاء سنة ٨٣٥ هـ ، وبهذا لفظت دولة بنى جلائر آخر أنفاسها ^(١) .

ومن الواضح أن عهد الجلايرين بالعراق كان عهد صراع ودمار بسبب خلافاتهم الداخلية : وبسبب هجوم تيمورلنك ، وبسبب الصراع المدمر بينهم وبين القراء قويينلو ، وقد تعرضت بغداد خلال هذا العهد لعدة أوبئة : وغرقت غرقاً شديداً بسبب إهمال السدود والأنهار ، ولا يذكر بالخير من هذا العهد إلا (نخاجة مرجان) الذي ثار على بنى جلائر ، واستولى على الحكم فترة ، فقد أنشأ « جامع مرجان » وجعله مدرسة على غرار المدرسة النظامية .

القراء قويينلو (ذوو الخراف السود)

أو الأسرة التركمانية الأولى

قراء قويينلو معناها ذوو الخراف السود ، لأن هذه القبيلة كانت منذ عهد بعيد تُعنى بتربية هذا النوع من الخراف ، فسميت بذلك ، ثم لصقت بها هذه التسمية ، وهي قبيلة تركمانية جاءت في الأصل من تركستان الغربية ، وكان جد هذه القبيلة (بيرام خواجة) يعمل في خدمة السلطان أوييس بن حسن الجلايري ^(٢) .

وبعد وفاة أوييس سنة ٧٧٦ هـ استولى بيرام على الموصل ، وبعذر المناطق المجاورة لها ، وأصبح حاكماً لها حتى وفاته سنة ٧٨٢ هـ ، وجاء بعده ابنه محمد الذي التحق بخدمة السلطان أحمد بن أوييس وتزوج

(١) ستانلي لain بول : تاريخ الدول الإسلامية ج ٢ ص ٥٢٣ .

بنته ، وأصبح رئيس العشيرة ومات سنة ٧٩٣ هـ ، وجاء بعده ابنه قره يوسف الذي عاصر الاضطراب العام إبان العهد التيموري ، ولجأ مع أحمد الجلائري إلى مصر .

وبعد تيمورلنك استعاد يوسف كل ممتلكاته سنة ٨٠٨ ثم غالب أبا بكر حفييد تيمور واستولى على أذربيجان ، وحدث خلاف بين قرة يوسف وأحمد الجلائري ، فقتل قرة يوسف رقيق محنته أحمد الجلائري واستبد بالأمر في أكثر المناطق التي كانت خاضعة للجلائريين ، وكان ابن قرة يوسف واسمه بير بوداق يحكم معه حتى توفي الابن سنة ٨١٧ ، فاستقل الأب حتى سنة ٨٢٣ هـ ثم تولى على حكم المملكة ولداه اسكندر فجيمان شاه ، ثم حسن على بن اسكندر ، وحسن على بن جيeman شاه .

أما ببغداد فكان يحكمها شعبية من شعب العشيرة بدأت بابن قرة يوسف « شاه محمد » ، ولما توفي سنة ٨٣٧ هـ خلفه أسبان ثم فولاد ابن أسبان بعد أبيه ٨٤٨ هـ .

وفي أيام حسن على استولى أوغورلى محمد بن أوزون حسن وهو من عشيرة الآق قوييلو (ذوى الخراف البيض) المعادية للقرة قوييلو على أملاك حسن على ، وانقرضت دولة القرة قوييلو .

وعلى هذا فحكم هذه العشيرة هم :

٧٨٢	قره محمد بن بيرام خواجة
٧٩٢	قره يوسف (للمرة الأولى)
٨٠٢	استيلاء تيمورلنك
٨٠٨	قره يوسف (للمرة الثانية)
٨١٠	قره يوسف وأبنته بير بوداق معا
٨٢٣	اسكندر

— ٧٢٩ —

٨٤١

جيهاش شاه

٨٧٢

حسن على بن اسكندر

(١) ٨٧٣ — ٨٧٤

حسن على بن جيهاش شاه

ولم يختلف هذا العهد عن العهد الجلايري من الناحية الحضارية إلا قليلاً ، وقد نعمت بغداد على أي حال بشيء من السلم بعد أيام عاصفة من الفزع والهيبة ، وقد اتسع ملك هذه العشيرة في عهد جيهاش شاه باختفاء أسرة تيمورلنك ، فامتد ملك جيهاش من تبريز إلى سط العرب وصار هذا الملك غير تابع للتيموريين : وأصبحت فارس وكرمان تابعة لهذه المملكة ، وبذلك أصبح لقرة قويينلو مملكة غنية متaramية الأطراف بعد أن كانت قبيلة مجهولة ، وكانت تبريز عاصمة الرئيسية ، أما بغداد فقد احتفظت بمركزها عاصمة للعراق الذي كان ولاية من الولايات التابعة لهذه العشيرة ، وللأسف ختم عهد جيهاش شاه بصور من الصراع ، وضفت الأساس لنهاية هذه الدولة إلى الأبد (٢) .

الآق قويينلو (ذوو الخراف البيض)

أو الأسرة التركمانية الثانية

دولة تركمانية أخرى حكمت بالعراق أكثر من قرن ، ولم يعرف العراق الاستقرار خلال هذا العهد الأسود ، بل كان التطاحن مستمراً والصراع قاسياً بين أمراء الدولة بعضهم والبعض الآخر ، وبينهم وبين غيرائهم ، أما الجانب الحضاري فكان مهماً تماماً فجهل الحكم انعكس على الشعب ، وتنوّى تاريخ العراق العظيم ، وأصبحت ولاية ضمن الولايات الكثيرة التي امتد لها ملك هؤلاء التركمان .

(١) لين بول ج ٢ ص ٥٣٧ .

(٢) لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ٢٩ .

ونذكر فيما يلى حكام هذه الدولة لعل قائمة الأسماء تساعدننا على
تمه وبر هذ العهد البغيض :

ببهاء الدين عثمان	٨٠٦	٥
جلال الدين على بن عثمان من سنة ٨٣٨ هـ		
نور الدين حمزة بن عثمان من سنة ٨٣٨ هـ منافس وثائر		
معز الدين جهانكير بن على من سنة ٨٤٨ هـ		
حسن أوزون (الطوويل) بن على من سنة ٨٧١ هـ		
أشهر حكام الدولة اتخذ تبريز عاصمة له		
خليل (حفيد جهانكير) في ماردين وأمد من سنة ٨٨٢ هـ		
يعقوب (حفيد جهانكير) في ماردين وأمد من سنة ٨٨٣ هـ		
بايساتقر ميرزا بن يعقوب من سنة ٨٩٦ هـ		
رسقتم (حفيد أوزون) من سنة ٨٩٧ هـ		

كودة أحمد بن أو غورلى (حفيد جهانكير) من سنة ٩٠٣ (كان أو غورلى
شهر محمد الفاتح وعلى هذا فإن كودة أحمد هذا كان حفيد محمد الفاتح
وكان حكمه في كوه)

اللوند (حفيد أوزون)	من سنة ٩٠٣	في آذربيجان
محمدی میرزا (حفيد أوزون)	امن سنة ٩٠٣	في بزد
مراد (حفيد جهانکیر)	من سنة ٩٠٣	في شيروان ^(١)

والعشيرة بوجه عام وافدة من تركستان إلى أذربيجان ، ثم إلى ديار بكر ، ثم استقرت في آمد والموصل حيث بدعوا يكونون لهم دولة في آخر القرن الثامن الهجري .

(١) لين بول : تاريخ الدول الإسلامية ج ٢ ص ٥٤٢ من الترجمة العربية .

والمؤسس الحقيقي للدولة التركمانية الثانية هو بهاء الدين عثمان الذي اشتباك في حروبها ضد قره قويينلو ، ضد القاضي برهان الدين سلطان سبيواس ، وقد انتصر عثمان في هذه الحروب فتبيأ له بذلك أن يكون دولة في منطقة الموصل ويصبح هو حاكمها *

وسرعان ما انتشر الآق قويينلو في العران وإيران ، وقاومت بغداد مدة من الزمن ، إذ كان حاكمها من القره قويينلو قد دحر القائد الذي يبعث به أوزون حسن (حسن الطويل) لاحتضان بغداد ، وأضطر حسن أن يهرب بنفسه إلى بغداد ، وبعد حصار وحروب استطاع أن يستولى على المدينة الجريحة ، فاختفت بذلكعشيرة القره قويينلو إلى الأبد ، وامتد حكم الآق قويينلو فتشمل بلاد فارس والعراق وديار بكر وأذربيجان ^(١) ، ولكن هذه العشيرة لم تعرف الوئام والتعاون بل كانت حياتها مراعا متصل الحلقات بين أمير وأمير ، فشاع التفكك في الدولة ، ووقف عدد من الأمراء حاكاماً لعدد من الإمارات ، وإذا أضفنا إلى ذلك موقف الآق قويينلو من القوى الخارجية تبين لنا أن عصر هذه الدولة كان حالك المسود وأن العراق قاسى إبان حكمها صور الحياة المرة التي عاشها قبلها وبعدها

علاقات الآق قويينلو مع القوى المجاورة

كانت هذه المنطقة عاصفة كثيرة الحروب في تلك الأونة ، وكانت القوى المتصارعة فيها قوى كبيرة جبارة كال Mongols في موجتهم التيمورية ، وكالعثمانيين والصفويين ، وقد اجتذبت المعارك الآق قويينلو طائعين أو كارهين ، فانغمسو فيها وكسروا أحياناً ، ولكتهم أخيراً خسروا كل شيء ، وقد تحدثنا آنفاً عن صراع الآق قويينلو ضد أبناء عمومتهم القره قويينلو ضد الجلائر ، وهو صراع حق فيه الآق قويينلو نجاحاً ، وأن لنا بعد ذلك أن ندرس مواقفهم مع التيموريين والعثمانيين والصفويين وهو ما سنشرع فيه :

(١) لوكنريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ٣٠

الآق قيونلو والتيموريون :

يمكن القول أن الآق قيونلو بنوا أمجادهم بالانضمام إلى التيموريين فإن تيمورلنك عندما دخل الأناضول في مطلع العام التالي المجري ، انحاز له قره عثمان وصحابه في معاركه بالشام والأناضول ، فكافأه تيمورلنك على حسن خدمته بأن أطعاه ولاده ديار بكر ، وقد اتسع ملك الآق قيونلو في كل اتجاه عقب ذلك حتى أصبحت لهم إمبراطورية فسيحة ، ولكن التيموريين على كل حال هم الذين نقلوا الآق قيونلو من حكام المقاطعات إلى أصحاب الإمبراطوريات .

الآق قويينلو والعثمانيين :

عرفت العلاقات بين الآق قويينلو وبين العثمانيين العداء القاسي ، كما عرفت الود والمحاورة ، ومن الواضح أن انضمام الآق قويينلو إلى تيمورلنك في هجومه على الأناضول قد كان مرحلة من مراحل العداء بين هؤلاء وبين العثمانيين ، وكان العداء هو في الغالب أساس العلاقات بين الجماعتين ، ولكن العلاقات الطويلة المستمرة بين أمراء الآق قويينلو بعضهم وبعضهم أغري بهضمهم بالاستعانت بالعثمانيين ، ضد البعض الآخر ، كما دفع بعضهم للجوء للعثمانيين ، ويذكر « لين بول » إن جلال الدين على بن عثمان (والد حسن الطويل) لجاً هو وعائلته في عهد مراد الثاني إلى العثمانيين ، لأنَّه كان يخشى أخيه يعقوب ، أمَّا حسن الطويل بن على بك سالف الذكر الذي كان معاصرًا لمحمد الفاتح فقد كانت علاقته عدائبة معه ، وقد خاض ضده ثلاث معارك كبيرة ، ففي الأولى كان قائده ابن عمه يوسفجه ميرزا ، وقد أرسله إلى الأناضول فاستولى أول الأمر على توقات وسيواز سنة ٨٧٧ هـ ١٤٧٢ م ولكن المعركة انتهت بانتصار مصطفى جلبي ابن محمد الفاتح ، ووقوع يوسفجه في الأسر ، وفي الثانية توجه حسن الطويل نفسه عقب هزيمة ابن عمه إلى حدود أرذنجان ، وشنَّت الجيشه العثماني وأسر قائده وأعدمه ، وفي الثالثة كان لقاء القمة بين محمد الفاتح

وحسن أوزون ، وقد هُزم حسن أوزون هزيمة منكرة سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٣م) وتنصي هذه الموقعة موقعة ترجان لوقوعها في وادي ترجان بولاية أرضروم ، ولم تقم لدولة الآق قويينلو قائمة بعد هذه الهزيمة .

والعجب أن محمد ناصر الدين الابن الأكبر لأوزون والذى كان واليا على أصفهان ، لجأ إلى محمد الفاتح عقب الهزيمة التى نزلت بأبيه في ترجان ، وقد رحب به محمد الفاتح وزوجه بنته (كوه خان سلطان) ، وعيته واليا على الأناضول ، وقد مات هذا الابن قتيلًا سنة ٨٨٢ هـ وتخالف الآراء حول قتله ، فيتجه بعضها إلى أن محمد الفاتح خاف غدره بعد أن رأه قد غدر بأبيه ، وتجه آراء أخرى إلى أن قتله كان بيد من بني جنسه عقوبة له على غدره بأبيه

وعند نهاية العقد الثامن ومطلع التاسع كان رستم (حفيد أوزون) هو سلطان الآق قويينلو : وقد ثار عليه بعض أمراء الأسرة والتمسوا من بايزيد الثاني أن يؤيد (كودة أحمد) عسكرياً ليستولى على إيران من رستم ، واستجابة بايزيد الثاني لذلك ، ووقعت بين الاثنين معركتان انتصر رستم في الأولى ، ولكن الأمراء من آل بيته سرعان ما انفضوا من حوله ، فهزهم في الثانية وقتل ، وتولى « كودة أحمد » عرش الآق قويينلو سنة ٩٠٢ هـ ولكن حكمه لم يطل لأن النساء ثاروا عليه وحاربوه في معركة بالقرب من أصفهان هزم فيها وسقط قتيلًا ^(١) .

بقيت حلقة من حلقات الصلات بين الآن قويينلو والعثمانيين ، فإن مرادا (حفيد جهانكير) فر من وجه الصفوين ، ولجأ إلى مصر سنة ٩١٤ (١٥٠٨) وهو ما سنشرحه عند الكلام عن « الآق قويينلو والصفويون » ودخل العثمانيون مصر سنة ١٥١٧ ففكروا في مناولة الصفوين ، وكان

(١) لين بول تاريخ الدول الإسلامية ج ٢ ص ٣٥٩ وما بعدها من الترجمة العربية بتصرف واسع يشمل التقديم والتأخير وإعادة تنسيق الأحداث .

من أول مراحل هذه المفاوأة أن يرسلوا مراداً هذا سنة ٩٢٠ على رأس فرقة عثمانية لاسترداد ديار بكر من الصفوين ، ولكن هذه الفرقة هزمت وقتل مراد هناك في رمضان سنة ٩٢٠ .^(١)

الآق قوييلو والصفويون :

كانت العلاقات بين الآق قوييلو والصفويين الذين سنتكلم عنهم فيما بعد علاقات عدائية ، فالصفويون قوة جديدة قاموا في بلاد فارس ، واتجهت إلى الاستيلاء على ما كان بأيدي الآق قوييلو ببلاد فارس وال العراق وقد بدأ الصراع بين القوتين منذ ظهور الصفوين ، وكانت كفة الصفوين ترجح دائمًا ، وبخاصة أن ظهورهم بدأ في فترة كان الخلاف واضحًا بين أفراد أسرة الآق قوييلو ، وستنتبه مراحل هذا الصراع في الخطوات التاريخية التالية .

— سنة ٩٠٦ هـ عقب مقتل محمدى ميرزا عقدت معاهدة بين المتصرين ألوند ومراد ، بمقتضها أصبحت أذربيجان وديار بكر إلى ألوند وأصبحت العراق وفارس لمراد .

— سنة ٩٠٧ هـ انتهز الشاه اسماعيل الصفوی فرصة الخلاف والانشقاق فهاجم ألوند في أذربيجان وأضطره للفرار إلى بغداد ثم إلى ديار بكر وتوفي سنة ٩١٠ هـ .

— سنة ٩٠٨ هـ انتهى الشاه اسماعيل إلى مراد فاللتقي به في معركة بالقرب من همدان هزمه فيها شر هزيمة ، وأرغمه على الفرار إلى العراق .

— سنة ٩١٤ هاجم الشاه اسماعيل بغداد فاضطر مراد هو وحاكم

(١) المرجع السابق ص ٥٤١ .

بغداد (باديك) إلى الفرار إلى مصر كما سبق القول ، وسقطت بغداد في يد المتصوفين وتعتبر سنة ٩١٤ (١٥٠٨) تارياً لانفراخ دولة الأق قوييلو ، وأصبحت العراق قابعة للتصوفين الذين سنتحدث عنهم بعد قليل (١) .

وإذا كان حكم التركمان للعراق قد انقضى منذ عدة قرون ، فإن العراق لا تزال به جماعات من التركمان تعيش في تلغر ومنطقة كركوك ، ولا تزال محافظة على أصلها (٢) .

وهكذا كان عصر الأق قوييلو عصراً حافلاً بالاضطراب والهروب والفساد ، فكثرت فيه الجماعات وانحلت الإداره ، وآذن ذلك بفتح جديد سيكون موضع حديثنا فيما يلى :

التصوفيون

ينسب الصوفيون إلى جدهم الأعلى الشیخ صفی الدین الذى ينتسب فيما يقال إلى الإمام موسى الكاظم ، فالأخيرة بذلك من أولاد الإمام الحسين ومن ذرية الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وقد اتجهت هذه الأسرة اتجاهها صوفياً فأصبح لها مريدون وأتباع في موطنهم الأصلي « الأردبيل » ولما كثر هؤلاء الأتباع خافهم حاكم المنطقة فطردهم ، فلجأوا إلى ديار بكر فأصبحوا في رعاية حسن أوزون ، وتزوج زعيمهم بنت حسن أوزون ، وقاد جيوشها ، وكان اسماعيل الصوفي (الشاه اسماعيل فيما بعد) ثمرة هذا الزواج ، وقد استطاع اسماعيل أن يجمع أشتاب أسرته وأن يجمع أشتاب أتباعه ، وبعد أن كان رجل دين أصبح قائداً عسكرياً ، واستطاع

(١) المرجع السابق مع تصرف واسع .

(٢) سيتون لويد : الرافدان ص ٢٣٨ من الترجمة العربية .

أن يعود إلى بلاده ، وأن يبدأ في تكوين مملكة كان لها شأن كبير في التاريخ .

وحدث الصراع بين أمراء الألق قويينلـو الذي ذكرناه من قبل ، فانتهز إسماعيل الصفوي هذه الفرصة وأخذ يكـون له دولة على حساب هؤلاء المتصارعين ، وقد تحقق لـإسماعيل الصفوي ما أراد ، فأسس الأسرة الصفوية ، ثم أخذ حكمه يتسع حتى امتد من جيحون إلى خليج البصرة ومن أفغانستان إلى الفرات ، واستولى على بغداد سنة ٩١٤ هـ كما ذكرنا من قبل ، وأصبحت العراق ولـاية تابعة لـلـمـلك الصـفـويـنـ الفـسـيـحـ .

وبـعـيـةـ العـراـقـ لـبـلـادـ فـارـسـ حدـثـ خـطـيـرـ هـنـ الـناـحـيـةـ الـحـضـارـيـةـ ،ـ فـقـدـ أـصـبـحـ الـعـراـقـ بـذـلـكـ تـابـعـاـ لـدـوـلـةـ مـسـلـمـةـ ،ـ بـعـدـ أـنـ ظـلـ عـدـةـ قـرـونـ تـحـتـ حـكـمـ جـمـاعـاتـ أـقـرـبـ إـلـىـ الـوثـنـيـةـ ،ـ وـبـهـذاـ بـدـاـ الطـالـبـ إـلـاـ إـسـلـامـ الـحـقـيقـيـ يـعـودـ إـلـىـ الـعـراـقـ .ـ وـهـذـاـ الجـانـبـ طـيـبـ حـقـقـهـ الزـهـفـ الـفـارـسـيـ ،ـ وـهـنـاكـ جـانـبـ آخرـ هـضـادـ هوـ أـنـ الـفـرـسـ اـتـجـهـواـ بـالـعـراـقـ اـتـجـاهـاـ فـارـسـيـاـ ،ـ وـكـانـ هـذـاـ الـاتـجـاهـ عـلـىـ وـشـكـ أـنـ يـعـيدـ الـعـراـقـ إـلـىـ مـاـ كـانـ عـلـيـهـ قـبـلـ إـلـاسـلـامـ ،ـ فـارـسـيـ الـلـغـةـ وـالـتـقـالـيدـ ،ـ وـلـوـلاـ الزـهـفـ الـعـثـمـانـيـ الـذـيـ أـخـذـ الـعـراـقـ مـنـ الـفـرـسـ لـتـحـقـقـتـ هـذـهـ الـغـاـيـةـ الـكـريـةـ وـلـأـصـبـحـ الـعـراـقـ فـارـسـيـاـ .ـ

وـلـماـ كـانـ الصـفـويـونـ شـيـعـةـ فـقـدـ اـتـجـهـواـ بـاـهـتـمـامـهـمـ إـلـىـ مـنـاصـرـةـ التـشـيـعـ وـنـشـرـهـ بـالـعـراـقـ ،ـ وـقـدـ بـدـأـ الشـاهـ إـسـمـاعـيلـ بـذـلـكـ ،ـ فـلـيـهـ عـقـبـ فـتـحـ بـغـدـادـ أـسـرـعـ بـزـيـارـةـ الـعـراـقـ ،ـ وـوـفـدـ لـهـ شـيـعـةـ الـعـراـقـ فـلـكـرـمـ وـفـادـتـهـمـ .ـ وـزارـ كـربـلـاءـ وـالـنجـفـ فـإـجـالـ ظـاهـرـ ،ـ وـشـيـدـ بـنـيـةـ فـخـمـةـ عـلـىـ قـبـرـ مـوسـىـ الـكـاظـمـ :ـ وـاـنـثـنـىـ إـلـىـ قـبـورـ أـئـمـةـ الـسـيـنـةـ فـهـدـمـهـاـ وـقـتـلـ جـمـاعـةـ مـنـ السـيـنـيـنـ .ـ وـبـذـلـكـ أـحـيـاـ الـصـرـاعـ الطـائـفـيـ الـذـيـ عـرـفـهـ الـعـراـقـ بـيـنـ الـسـيـنـةـ وـالـشـيـعـةـ مـنـذـ الـعـهـدـ الـأـوـلـ لـإـلـاسـلـامـ .ـ

والولاة الصفوبيين ببغداد هم :

٩١٤ لا لا حسين (أول وال فارسي)

٩٢١ تنعز سلطان

٩٣٠ ثورة ذى الفقار نخود الذى إنحاز للعثمانيين

٩٣٦ محمد خان بن شرف الدين عقب قضاء الفرس على هذه الثورة

٩٤٠ - ٩٤١ تلقو محمد خان

وكان هناك حاكم عربى للبصرة ، ولكنـه كان يدفع إقطاعية سنوية إلى الشاه : ونـدـب الشاه أحد الخانات ليحكم الموصل .

وكان عهد الصفوبيـن بالـعـراـق عـهـد استـقـرار نـسـبـيـ، وـقـدـ تقـاطـرـ التجـارـ الفـرسـ إـلـىـ بـغـدـادـ وـسـكـنـوـهـاـ، وـبـدـأـ النـشـاطـ الـاقـتصـادـيـ يـأـخـذـ طـرـيقـهـ، وـلـكـنـ فـتـرـةـ الصـفـوـبـيـنـ بـالـعـرـاقـ كـانـتـ قـصـيـرـةـ، وـكـانـ الـأـتـرـاكـ العـثـمـانـيـونـ قـدـ مـكـنـواـ لـأـنـفـسـهـمـ فـيـ أـورـباـ، وـامـتـدـتـ حـدـودـهـمـ فـيـ آـسـيـاـ حـتـىـ تـاخـمـتـ حـدـودـ الصـفـوـبـيـنـ، وـكـانـ الـخـلـافـ الطـائـفـيـ بـيـنـ أـهـلـ السـنـةـ وـالـشـيـعـةـ حـادـاـ فـاسـتـازـمـ صـرـاعـاـ بـيـنـ الـقـوـتـيـنـ الـكـبـيرـتـيـنـ، وـرـجـحـتـ فـيـهـ كـفـةـ الـأـتـرـاكـ العـثـمـانـيـونـ كـمـاـ سـنـرـىـ فـيـمـاـ يـلـىـ :

العثمانيـونـ فـيـ الـعـرـاقـ

تحـدـثـنـاـ فـيـ الـجـزـءـ الـخـامـسـ مـنـ هـذـهـ مـوـسـوعـةـ حـدـيثـاـ مـفـصـلاـ عـنـ الـأـمـبـاطـرـيـةـ الـعـثـمـانـيـةـ وـمـرـاحـلـ تـارـيـخـهـاـ، وـنـرـيدـ هـنـاـ أـنـ نـتـحدـثـ عـنـ عـلـاقـةـ الـعـثـمـانـيـونـ بـالـعـرـاقـ، وـقـدـ أـشـرـنـاـ آـنـفـاـ إـلـىـ أـنـ الـعـرـاقـ كـانـ يـقـعـ بـيـنـ هـاتـيـنـ الـقـوـتـيـنـ الـكـبـيرـتـيـنـ، وـكـانـ بـمـوـقـعـهـ وـتـارـيـخـهـ وـإـمـكـانـاتـهـ مـطـمعـ هـؤـلـاءـ وـأـوـلـئـكـ، وـمـنـ هـنـاـ اـمـتـدـ الـصـرـاعـ بـيـنـ الصـفـوـبـيـنـ وـالـعـثـمـانـيـونـ عـلـىـ الـعـرـاقـ، وـكـانـتـ الـدـوـلـةـ الـعـثـمـانـيـةـ قـدـ وـصـلـتـ بـفـتوـحـاتـهـاـ بـأـورـباـ إـلـىـ مـدـىـ بـعـيدـ، وـوـاجـهـتـ قـوـىـ كـبـيرـةـ رـأـتـ أـنـ مـنـ الـعـدـيـرـ التـغلـبـ عـلـيـهـاـ فـاتـجـهـتـ نـحـوـ آـسـيـاـ، هـذـاـ مـنـ جـانـبـ وـمـنـ جـانـبـ آـخـرـ فـقـدـ أـصـبـحـ لـلـدـوـلـةـ الـعـثـمـانـيـةـ مـنـ جـهـةـ الـشـرـقـ

جار واسع الرقعة ، قوى الشكيمة ، يمكن أن يهدد الحدود الشرقية للدولة العثمانية وهذا الجار هو الدولة الصفوية التي كانت تدين بالماذهب الشيعي وتتغصب ضد أهل السنة ، والتي دمرت قباب أئمة أهل السنة ، وقتلت الآلاف من العلماء السنّيين ، وكل هذا اتجه بالدولة العثمانية إلى أن تنزل حومة الصراع ضد الصفوبيين .

وكان الشاه اسماعيل (١٥٠٠ - ١٥٢٤) منشئاً للدولة الصفوية كما ذكرنا من قبل ، وكان واسع الأطماء مما دعا السلطان العثماني ليكون جيشاً كبيراً ، وبيرزح به لهاجمة الدولة الصفوية سنة ١٥١٤ ، وقد اتخذ السلطان سليم تبريز عاصمة الصفوبيين هدفاً له ، وحاول الشاه اسماعيل تجنب مواجهة الجيش العثماني فانسحب أمامه ، وأتلف الطريق لتعرقل حركة السلطان سليم ، ولكن الجيش العثماني تخطى هذه العقبات وأشرف على تبريز ، وحدثت بين القوتين معركة كبيرة في وادي (جالديران) انتصر فيها الجيش العثماني أعظم انتصار : وجراح الشاه وفر من المعركة ، ودخل العثمانيون تبريز ظافريين ، وعاد الجيش العثماني بعد هذا التهديد مارا بشمال العراق دون أن يطيل بقائه في بلاد فارس أو في العراق ، لأنّه كان يتوجه لفتح الشام ومصر قبل أن يتعقد في الساحة الشرقية ، ولما تم له فتح الشام سنة ١٥١٦ وفتح مصر سنة ١٥١٧ ، اتجه العثمانيون لضرب الصفوبيين مرة أخرى ، وقد استطاع سليمان القانوني أن يحتل بغداد على يد أحد أتباعه دون قتال ، ولكن الحكومة الصفوية لم تتبع النفوذ العثماني بيسنقر في بغداد ، فرّح الشاه طهماسب على بغداد وحاصرها واستعادها ، وتأزمت العلاقات من جديد بين الصفوبيين والعثمانيين ، فرّح السultan سليمان القانوني على الدولة الصفوية واستطاع أن يحتل المناطق الشمالية من بلاد فارس ، ثم اتجه إلى العراق عن طريق همدان وواصل زحفه حتى دخل بغداد سنة ١٥٣٤ .

وامتداداً للصراع بين الصفوبيين والعثمانيين على بغداد ذكر أن

الحكم الصفوي استطاع ان يعود مرة أخرى سنة ١٦٢٣ م ، وكان ذلك في عهد الشاه عباس الذى شجعه على اطماءه صور الضعف التي كانت تمر بها الدولة العثمانية في عهده ، وقد حاصر بغداد حصارا طويلا ، مما دفع أهلها الجائعين إلى أن يأكلوا لحوم البشر ، وفي وسط هذه الأزمة الطاحنة حدثت حوادث مفزعة بين أهل السنة والشيعة ، فقد صلب أهل بغداد الفرس الشيعيين وألقوا برعوسمهم إلى المحاصرين وعلقوا أجسامهم على الأسوار ، وانتقاما لذلك قضى جنود الشاه عندما استولوا على بغداد على أهل السنة قضاء تاما ، ولم يدعوا أثرا لأبنية بغداد الشاهقة ، وحتى جامع أبي حنيفة وبعد القادر الجيلاني أصبحا أنقاضا^(١) .

على أن عمر هذا النصر الصفوي كان قصيرا ، إذ استطاع السلطان العثماني مراد الرابع استعادة بغداد لآخر مرة سنة ١٦٣٨ وأوقع الجيش الزاحف بالشيعة مثل ما أوقعه الفرس بأهل السنة من دمار ، ثم تم صلح مع الصفوبيين ثبت الحدود بين الدولتين ، وأصبحت العراق جزءا من الإمبراطورية العثمانية ، وقد ظلت كذلك مدى أربعة قرون تقريبا وقد اتجه العثمانيون لإعادة تشييد ما دمره الصفوبيون من قباب لأئمة أهل السنة ، وأعادة بناء جامع أبي حنيفة ، وفي الوقت نفسه أبدى السلاطين العثمانيين إجلالاً للمعتقدات المقدسة الشيعية في مناطقها المختلفة .

الإدارة التركية بالعراق :

طبقت بالعراق نظم الإدارة التركية التي طبقت في مختلف الولايات تقريبا ، وقد شرحنا هذه النظم في الجزء الخامس من هذه الموسوعة^(٢) ، فكان الباشا رئيس الحكومة المحلية ، والقاضي رئيس السلطة القضائية ، والدفتردار رئيس الدوائر المالية ، وكان كل هؤلاء من الأتراء ، وكان

(١) سيتون لويد : الرافدان ص ٢٤٣ .

(٢) انظر ص ٢٥٤ وما بعدها .

قاد الجيش يعاونون الباشا في « مجلس شورى الباشا » الذي يعرف بالديوان ٠

ولكن الشيعة لم يبدوا ولاءهم للأتراك ، وقاوموا أحيانا حكمهم ، مما جعل المدن المقدسة الشيعية لا تخضع لنفوذ الأتراك ، وانتشر التمرد على الأتراك بين رجال القبائل في الأرياف ، وحاوت الولايات المختلفة أن تنفصل عن الحكومة المركزية ، ولم تستعد بغداد نفوذها على هذه المناطق إلا في عهد أحمد باشا الذي ربي جيلا من المماليك استعان به على استعادة سلطان بغداد على أكثر القبائل وعلى ولايات البصرة والموصل وكركوك وغيرها ٠

ولاية العراق في العهد التركي :

قلنا فيما سبق إن العراق أصبحت ولاية عثمانية ابتداء من سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م) ، وقد ظلت تابعة للعثمانيين حتى الحرب العالمية الأولى ، عندما احتلت بريطانيا البصرة سنة ١٩١٤ وبغداد سنة ١٩١٧ والموصى سنة ١٩١٨ ، وفي خلال الحكم العثماني كانت بغداد يحكمها الباشوات الذين يعينهم السلاطين فيما عدا الفترة التي استبدل بها المماليك بالحكم تقريبا ، والتي تمتد اثنتين وثمانين سنة (من سنة ١٧٤٩ إلى ١٨٣١ م) ، وسنتحدث عن فترة المماليك فيما بعد ، ولكننا هنا نريد أن نتكلم عن الولاية العثمانية الذين كان السلاطين يعيّنونهم بطريق مباشر ٠

وبashوات بغداد الذين عينهم السلاطين يصلح عددهم سبعة وستين واليا ، منهم ستة عينوا أكثر من مرة ، وقد أورد زامباور أكثر أسماء هؤلاء الولاية ، حتى ولاية مدحت باشا (من سنة ١٢٨٦ هـ إلى ١٢٩٩ هـ = ١٨٦٩ إلى ١٨٧٢ م) ^(١) وأورد لونكريك أسماء عشرة ولاة بعد مدحت باشا حتى قرب نهاية العصر العثماني بالعراق ٠

(١) الرافدين ص ٣٤١ ، ٢٤٧ ٠

وإذا استعرضنا باشوات بغداد تتضح لنا المعلومات التالية :

- يذكر زامباور أكثرهم باسم مفرد قليل الدلالة على شخصية البasha كأن يقول : دلاوة ، أو عبد الرحمن ، أو على وهكذا .
- بعض الباشوات تولى مرتين مثل كوجك حسن ومرتضى وكيلاتي مصطفى وبعضهم تولى ثلاث مرات مثل قرة مصطفى وعمر .
- ستة من الولاية شغلوا منصب الصدر الأعظم قبل أن يصبحوا باشوات بغداد أو بعد ذلك .
- هناك والـ صدر قرار بتعيينه باشا لبغداد ، ولكنه لم يصل لمقر عمله وأسمه قاسم .

- هناك ثائر أورد زامباور اسمه بين باشوات بغداد وهو أحمد طويل ويذكر عنه لونكريك أنه في سنة ١٠٦٦ هـ (١٦٠٨ م) استأثر بالسلطة العليا في بغداد ، وكان أحد الرؤساء الانكشاريين في حامية المدينة ، وقد تم استيلاؤه على السلطة في ظروف غامضة ، فأرسلت الدولة إلى نصوح باشا حاكم ديار بكر والذي كان صدراً أعظم قبل ذلك ليسيير إلى بغداد ، ويخضع هذا الثائر . ومع أن نصوح باشا قد انهزم في أول معركة ، فإن الثائر خر صريعاً بضرية خنجر من أحد أعدائه^(١) .

وأكثر باشوات بغداد لم تكن لهم أهمية ذات بال في التاريخ ولذلك نكتفي بأن نعرّف باشهر هؤلاء الباشوات .

وأول من نتحدث عنه هو سليمان باشا بن قباد ، وهو أول حاكم عثماني لبغداد ، وكان عصره حافلاً بالقلائل بسبب القبائل نصف المتوطنة التي كانت لا تحتمل الإذعان للحكومة المركزية ، كما عانى هذا البasha حدة الصراع بين السنة والشيعة .

(١) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ٥٢ - ٥٣

وبعد سليمان جاء إيساس الذي وقع على عاتقه واجب أتعاب باشوات بغداد من بعده مدة تمتد حتى القرن السابع عشر الميلادي ، ألا وهو واجب إخضاع البصرة ، وقبائلها المتمردة ٠

ومن باشوات بغداد الذين خلّدوا ذكرهم بها سنان باشا حيفا لزاده (٩٩٩ هـ) فهو الذي شيد خانة للمسافرين وبنيات أخرى عرفت باسمه مدة طويلة ، ولهذا امتد الوقت الذي كان يقترب فيه اسم حيفا لزاده الخطيم ببغداد ، وقد عيّن هذا البشا صدراً أعظم بعد ذلك ، وقد أصبح ابنه محمود واليا لبغداد بعد بعض الصراعات والثورات التي تلت عهد والده : ويرتبط باسم محمود بلدة المحمودية التي أسسها على بعد مرحلة جنوب بغداد ٠

ومن باشوات بغداد الذين يجدر ذكرهم ابراهيم باشا الذي عين في خريف سنة ١٠٥٦ هـ (١٦٤٦) وكان جذاباً بحسبه وشكله ، ولكنه كان معذوراً وعنيداً فزادت القالقل والفتنة في عهده ، ودبَ الخلاف بينه وبين أغوات الحامية ، وانتهت هذه القالقل بإعدامه ٠

ومن باشوات بغداد أحمد باشا الذي كان ورعاً ومحبوباً حتى أنه لقب بالملائكة ، والذي استمرت ولايته عاماً واحداً (١٠٥٨ هـ) ثم ترك بغداد ليصبح صدراً أعظم ، وقد حاول وهو في منصبه الجديد أن يقوم بإصلاحات في بغداد لسابق معرفته بها ، ولكن الحال كان قد تعذر على الإصلاح ٠

ومن باشوات بغداد حسن باشا وهو شخصية مهمة جديرة بشيء من التفصيل ، وقد حكم بغداد عشرين عاماً ، وجاء بعده ابنه أحمد فحكم مدة مثل هذه تقربياً ، وجاء بعدهما المماليك الذين أشرنا إليهم من قبل وقد تكون من حسن باشا وابنه ومماليكه سلسلة من الحكام المتصلين كانوا أسبابه بنظام الوراثة خلال مدة امتدت إلى مائة وثلاثين عاماً ، وكان حسن

باشا ينتمي إلى أسرة عسكرية ، ونشأ في بيت أفراده من الموظفين الرسميين في استانبول ، ولهذا كان مثلاً بما جرى عليه المسلمين من استخدام العبيد البيض في أعقد مشكلات الدولة ، وبذلك انتهى إلى هذا النظام ، فوضع أساس نظام المالك بالعراق : وبذلك انتهى عهد تبديل الباشا وتعيينه من استانبول ، وأصبحت حكومة بغداد في أيدي سلالة مستقلة من الحكام ليس لها إلا الولاء الاسمي للعاصمة العثمانية ، وقد جب هذا النظام الاستقرار النسبي إلى بغداد ، ووسع دائرتها فشملت مناطق متعددة من العراق ، وأنقذت البلاد من التهديدات الفارسية المتكررة ، ومن ثورات القبائل الخطرة ^(١) .

وقد اتجه حسن باشا في أول عهده إلى تأديب المتصوّص تأديباً صارماً ، كما أنه عنى بنشر الأمن في مختلف الربوع ، ووجه كثيراً من الحملات للقبائل المتمردة على حدود بغداد ، فقضى على المخازل ومن انضم إليهم من قبائل شمر ، كما قضى على ثورة معامس ، وبهذا مد حسن باشا نفوذه إلى البصرة ، وتسلم فرمانها من استانبول بضمّها إلى ولايته ، واهتم حسن باشا بتشييد المساجد وتعيين الأوقاف عليها ، حتى عرف بلقب « أبو الخيرات » ^(٢) .

وقد استعان حسن باشا على تحقيق هذه المأثر بالمالك الذين اشتراهم ورباهم لهذا الغرض تمثيلاً مع النظام الذي كان عمولاً به في القسطنطينية ، حتى أصبح هذا الكيان العسكري يمثل الولاء الكامل للباشا ، والقوة الهائلة التي حسب الجميع حسابها ، ويقول ظريف الأعظمي : إن حسن باشا اعتمد على الكيان العسكري الجيد في إصلاح القبائل ، وتوطيد الأمن في البلاد ، ونشر السلام والسكنينة في ربوع العراق ^(٢) .

(١) ستين لويد : الرافدين ص ٢٤٧ .

(٢) مختصر تاريخ بغداد ص ١٩٧ .

— ٧٤٤ —

وتعرضت إيران في عهد حسين باشا لفترة ضعف شجعت الأفغان على غزوها ، وقد احتل الأفغان كرمان وروعوا إيران ، وأشاعوا الرعب فيها ، فانتهزت القسطنطينية هذه الفرصة ، وعهدت إلى حسين باشا أن يهاجم إيران أيضا ، فاستجاب لذلك وهاجم الأراضي الفارسية ، واستولى على همدان ، ولكنه مرض هناك سنة ١٧٢٣ وتوفي في بلاد فارس متأثراً بمرضه وتقدّم سنه : وقد حملت جثته إلى بغداد حيث دفن في جامع أبي حنيفة ^(١) ، وعيّن أحمد أبو حسن والياً لبغداد ، ولكن الباشا الجديد واجه يقظة فارسية استطاعت أن تصد الأفغان ، وأن ترد الجيش العراقي ، بل سارت القوات الفارسية بقيادة نادر شاه ، متخطية حدود العراق حتى حاصرت بغداد ، وأصبح العراقيون بين هجوم من الخارج وذعر من الإيرانيين بداخل بغداد أن يضربوهم من الخلف ، وفي هذا الموقف ظهر على مسرح العراق شخصية يسمّيها المؤرخون (رومانтика) هي شخصية عثمان باشا الأعرج ، فقد قاد جيشاً كبيراً فاقداً إنقاد بغداد ووصل بجيشه إلى الموصل ثم انحدر إلى بغداد ، وقام بعدة حيل عسكرية في طريقه ، ثم التقى بجيش الإيرانيين ، ودارت معركة رهيبة امتدت عدة ساعات ، وانتهت باندحار الجيش الإيراني وانتصار الباشا الأعرج ، وقد خسر الإيرانيون في هذه المعركة ثلاثة ألف قتيل : وثلاثة آلاف أسير ، وفر نادر شاه منسحبًا إلى مملكته ^(٢) .

ويمكن القول إن نظام المالك قد اتّضح في عهد أحمد باشا ، إذ أنه اهتم بتربيتهم تربية علمية وعسكرية ، وكان يضعهم في المدارس حتى يصلُّغوا مبلغ الرجال ، ثم يستعملهم في المؤسسات الحكومية المدنية حسب قدراتهم ، وكان زعيم المالك في عهد أحمد باشا مملوكاً اسمه

(١) علاء نورس : حكم المالك في العراق ص ١٨ .

(٢) الشيخ رسول الكركوكلي : دوحة الوزراء ص ٣٣ - ٣٤ .

سليمان ، وقد تدرج في المناصب الحكومية حتى أصبح (كتخدا) أى نائب الوالى ، وبلغ من تقدير أحمد باشا له أن زوجه بنته « عادلة خاتون » ^(١) سنة ١١٤٥ هـ ، وفي سنة ١١٦٠ زوج ابنته عائشة هانم من مملوك آخر هو أحمد أغا ^(٢) ، وكل هذا هيأ لقيام دولة المالك فى العراق عقب وفاة أحمد باشا سنة ١٧٤٧ ، إذ أن الباشا لم يعقبه ابنه ولا حفيده . ومن عجب أن أحمد باشا توفى بعد أيام من مقتل خصمه العنيد نادر شاه ، وترك أحمد باشا في العراق أطيب الذكريات ^(٣) .

دولة المالك في العراق

حاولت القسطنطينية عقب وفاة أحمد باشا أن تستعيد سلطتها المباشرة على العراق ، وأن تتخلص من النظام الاستقلالي الذى وضع حسن باشا وابنه أحمد أساسه ، فأصدرت فرمانات بإناطة ولية بغداد لوالى ديار بكر الحاج أحمد باشا ، وولية البصرة للحاج أحمد الكسريلى ، وعينت سليمان أغا واليا لإيالة أذنه كمحاولة لإبعاده عن العراق ، ولتقليل صفوذ المالك الذين أصبحوا يشكلون قوة مرهوبة الجانب في نظر الدولة العثمانية ، وبخاصة أن العراقيين كانوا ينظرون إلى سليمان أغا كواحد مرتب ، فقد خبروه خلال حكم سيده أحمد باشا ^(٤) .

ولكن تخطيط القسطنطينية فشل بسبب صرامة المالك ، وثورات العشائر ، واضطراب الانكشارية ، وضعف كفاءة الباشوات الجدد الذين أرسلتهم القسطنطينية : فاضطر الباب العالى تحت وطأة هذه الظروف أن يصدر فرمانا بتعيين الكتخدا سليمان لياشوية بغداد سنة ١٧٤٩ ،

(١) المرجع السابق ص ٢٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٣ .

(٣) لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ١٩٦ .

(٤) علام موسى نورس : حكم المالك في العراق ص ٢٦ - ٢٧ .

وريشارد كرك : بغداد مدينة السلام ج ٢ ص ٨٦ .

وأتجه الوالي الجديد إلى قطع الطريق على القسطنطينية حتى لا تعود لمنادة المماليك ، فاقتضى عدداً كبيراً منهم أكثر مما فعل صهره ، وألف منهم جيشاً دربه على الفنون العسكرية ، وجهزه بالأسلحة الحديثة ، فأصبح هذا الجيش داعمة قوية تثبت حكم المماليك في بغداد^(١) .

ولم يقنع سليمان باشا بقوة المماليك العسكرية ، بل اتجه إلى وضعهم في المناصب الإدارية ، فاستبعد الموظفين العرب والأكراد من المناصب العالية ، وعين مكانهم بعض زعماء المماليك ، وبهذه السياسة ثبت حكم المماليك في العراق واستمر أكثر من ثمانين عاماً^(٢) .

وفيما يلى قائمة بأسماء الباشوات من المماليك كما أوردها زامباور^(٣) :

١١٦٥	سليمان باشا أبو لميلة
١١٧٥	على باشا الأول (كيبابا)
١١٧٧	عمر باشا (زوج الابنة الصغرى لأحمد بن حسن)
	عبد الله باشا الأول ؟
	حسن باشا ؟
١١٩٤	سليمان باشا الكبير
١٢١٧	على باشا الثاني
١٢٢٢	سليمان (ابن أخي على الثاني)
١٢٢٥	عبد الله باشا الثاني
١٢٢٧	سعید باشا
١٢٤٧ — ١٢٣٢	داود باشا

ونقدم في الصفحات التالية تعريضاً بأشهر هؤلاء المماليك :

(١) أحمد الصوفى : المماليك في العراق ص ١٧ .

(٢) عباس العزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ٣٣ .

(٣) معجم الأنساب والاسرات الحاكمة ج ٢ ص ٢٦٠ .

سلیمان باشا أبو لیلة :

لقب سليمان باشى ليلة لأنّه كان يخرج بنفسه في أثناء الميلك ليطوف مع الحرس الذى كان يراقب الحالة في بغداد ، وكانت حملاته الليلية كثيرة على العشائر المتمردة : وعرف كذلك بلقب (دواس الليل) و (أبو سمرة) و (سليمان الأسد)^(١) وقد واصل سليمان باشا سياسة صهره أحمد باشا في إخماد ثورات القبائل فغزا عشيرة ربيعة والشيخ سعدون شيخ المتفق وعشائر قشعن ، كما أرسل قوات عسكرية تأديبية إلى القرى والأرياف^(٢) وضرب على أيدي العابثين فشمل الأمن البلاد ونشطت التجارة ، وأصبحت البصرة ميناء مهمّة جذبت لها نشاط شركة الهند الشرقية البريطانية ، وكان ذلك من الأسباب التي جعلت السلطان العثماني يهدّيه وساماً تقديرًا لنجاحه في الداخل والخارج^(٣) .

وتوفي سليمان باشا ١٧٦١ م ، وعلى أثر وفاته حدث صراع بين المالكين الذين يرثبون في أن يخلفوه ، وانتهزت استانبول هذه الفرصة فعيّنت سعد الدين باشا والي الرقة على بغداد ، فاضطر الماليك أن يعقدوا اجتماعاً يتقدّمون فيه على ترشيح « على » وكتبوا بذلك إلى الباب العالي فاستجّاب لهم ، ولكن عهد « على » كان حافلاً بالمؤامرات والاضطرابات ، وكثُرت الثورات ضده ، وكانت « عادلة » أرملة سليمان باشا هي وأختها زوجة عمر تويدان هذه الثورات وقد استطاع الشوار اقتحام قصر الباشا ولكنه استطاع الهرب متّكّراً بزى امرأة ، بيد أن الثوار عاملوا بمقره فقبضوا عليه وقتلوا^{*}

وأصبح عمر باشا والياً على بغداد بعد ذلك ، وليس هناك شيء

(١) رحلة النيور إلى العراق في القرن الثامن عشر ص ٥٩ من الترجمة العربية عن الألمانية التي قام بها محمود حسين الأمين .

(٢) الشيخ رسول الكركوكى : دوحة الوزراء ص ٤ وما بعدها

(٣) علاء نورس حكم الماليك في العراق ص ٣١ .

ذو بال يذكر عن عمر ولا عن الواليين بعده : عبد الله باشا الأول وحسن باشا ، الا الفجائع المتصلة والاضطرابات المتكررة ، وحركة البصرة الانفصالية العنيفة ، بالإضافة إلى الطاعون الشامل الذي أصاب البلاد في عهد حمر باشا *

سليمان باشا الكبير :

ثم آلت السلطة إلى سليمان باشا الكبير (١٧٨٠ - ١٨٠٢) وقد كان هذا واليا على البصرة ، وكانت إماراة بغداد إلى الحاج محمد باشا ، الذي عينته استانبول لقطع سلسلة الوجود المملوكي ، ولكن الحاج محمد باشا لم يستطع القيام بالأمر فأصدر الباب العالي أوامره بعزل محمد باشا وتعيين سليمان باشا بدلا منه واليما على بغداد وعلى البصرة (١) وقد نال سليمان باشا لقب الكبير لما بذل من جهود مضنية لنشر الأمن في البلاد وإيقاف تمرد العشائر ، وإعادة النظام في كل الأرجاء ، وقد حقق سليمان باشا الكبير هذه المأثر بالجيش الكبير الذي أعده من المالكى ، وأجاد تدريبيه *

وكان سليمان الكبير رفيع المواهب : جم الأدب ، نعم العراق في عهده بالسلم والاطمئنان ، ولكن حادثة مومية هزت أركانه هي الزحف الوهابي على كربلاء ، وقد تحدثنا عن هذا الزحف وعن نتائجه فيما سبق عند الكلام عن الحركة الوهابية بالجزيرة العربية (٢) *

ويمكننا أن نتخطى خلفه على باشا الثاني الذي شغل عهده بمقاومة الوهابيين وبمحاولة مهاجمة إيران ، وقد قتل على باشا وهو يصلى الصبح سنة ١٨٠٧ فـآل الأمر إلى شخصية مملوكية أخرى هي سليمان باشا الصغير ، وسنتحدث عنه فيما يلى :

(١) الشيخ رسول الكركوكى : دوحة الوزراء ص ١٠٦ *

(٢) أقرأ في هذا الموضوع « لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث » للدكتور على الوردى ج ١ ص ١٩١ وما بعدها *

سليمان باشا الصغير :

كانت فترة حكم سليمان باشا الصغير قصيرة (١٨٠٧ - ١٨١٠) ولكنها اتجه خلالها إلى مقاومة كل نفوذ خارجي ليكون بغداد شخصية استقلالية ، وتنفيذاً لذلك اعترض على النفوذ البريطاني الذي كان ينموا في البلاد عن طريق المقيم البريطاني فيها ، ففرض الإقامة الجبرية على هذا المقيم في منزله ، ومنع الناس من زيارته ، حتى لا يتمكن من التدخل في الشؤون الداخلية لأولادية ، وخافت حكومة الهند عاقبة ذلك ، فأجرت مفاوضات مع سليمان باشا الصغير ، وانتهت بعقد معاهدة تعهد فيها المقيم البريطاني بعدم التدخل في الشؤون الداخلية ، وتعهد سليمان باشا بحماية أموال الرعايا البريطانيين ومصالحهم ، وامتداداً للنزعة الاستقلالية في سليمان باشا الصغير أوقف إرسال الأموال التي كانت ترسل سنوياً إلى الأستانة ، ونتيجة لذلك أرسل الباب العالي جيشاً احتل بغداد وقضى على سليمان باشا الصغير .

وبعد سليمان باشا الصغير جاء عبد الله باشا الثاني ثم سعيد باشا ، ولا يستحقان وقفة معهما ، وينبغى أن نتخاطهما إلى شخصية شهيرة فذة هي شخصية داود باشا .

داود باشا :

كان داود باشا (١٨١٧ - ١٨٣١) آخر باشوات المماليك في العراق ، وكان يتمتع بموهبة أدبية ومقدرة إدارية ، وكفاءة عسكرية رائعة ، وقد واجه في مطلع عهده اضطرابات واسعة من العشائر التي كانت متمرة هنا وهناك ، ولكنه استطاع أن يتغلب عليها وأن يقضي على كل حركات التمرد .

وهناك إصلاحات مهمة قام بها داود باشا ، فقد أنشأ المدارس لنشر العلم والثقافة ، كما نشأ له نشاط عمراني واسع النطاق : وشمل نشاطه

استصلاح الأراضي ، والمعناية بالرى ، وتأمين طرق المواصلات ، وإنشاء
الأسواق والخانات .

وحاول الفرس أن يقتحموا العراق في عهده بقيادة الشاه فتح على ، ولكن الظروف ساعدت على هزيمة ذلك الجيش إذ تفتقى فيه مرض الطاعون وهو يحاصر بغداد ، فلم شعثه وعاد إلى بلاده ، واتجه داود باشا الاتجاه الاستقلالي الذي ابتدعه سليمان باشا الصغير : وكان هذا الاتجاه ذا ثعبيتين يرمي في إحداهما إلى القضاء على النفوذ البريطاني ، ويرمى في الثانية إلى القضاء على التسلط العثماني على البلاد ، وقد انتهت داود باشا اتجاهات الاستثناء للقضاء على الجيش الانكشاري ، فوضع خطة محكمة للقضاء على الانكشارية في بغداد ، فأمر بإعداد استعراض لقواته في ساحة السراي ، ووضع الجيش الانكشاري في مركز الدائرة ، يحيط بهم جنود المملوك من أتباعه المخلصين له ، ثم قرأ مرسوم الباب العالي الذي يخير الانكشارية بين أمرين : الموت أو الانخراط في الفرق العسكرية الجديدة والتخلّى عن الامتيازات الانكشارية ، وقد اضطر هؤلاء أن يعلنوا تخليهم عن امتيازاتهم ، وأن يقبلوا الاندماج في الخدمة العامة فراراً من الموت الذي يحيط بهم ، وكان التخلص من الانكشارية وسيلة من وسائل داود باشا ليقف من الباب العالى موقف الند المند ، غير خائف من طعنـة من الخلف يقوم بها الانكشاريون ضده ، واستطاع داود باشا بذلك أن يقف حازماً في وجه بريطانيا ، وفي وجه الدولة العثمانية ، أما بريطانيا فقد رأى داود باشا المحاولات التي كان يقوم بها المقيم البريطاني للتقارب من القبائل ، وربطهم بالسياسة البريطانية ففرض عليه الإقامة الجبرية في بيته ، ومنع الناس من زيارته ثم طلب أن يستبدل به غيره ، فاستجابت حكومة الهند البريطانية لذلك وطلأت للعاصفة .

أما عن علاقته مع الدولة العثمانية : فإن داود باشا رفض طلب الباب العالى لمساعدة الدولة العثمانية في حربها ضد روسيا ، هذا من

جائب ، ومن جانب آخر فقد أدرك السلطان محمود الثاني أن مماليك العراق يتذدون طابعاً استقلالياً ، ويتطهرون في ذلك مما يهدد كيـان الامبراطورية ، فاتخذ السلطان محمود قراراً بعزل داود باشا ، وأرسل جيشاً بقيادة على رضا لينفذ هذا القرار ، وقد قاومت بغداد بصرامة ولكنها عجزت عن مواصلة المقاومة إذ تعرضت لصور مريرة من الكوارث شملت الطاعون والفيضان والمجاعات ، وسطوا اللصوص ، وكل ذلك هيـأ لانتصار على رضا بعد جهد طويل ، وانتهى بذلك عهد المماليك بالعراق .

نهاية المماليك :

يقول سيدتون لويد : لقد استسلمت بغداد لجيش على رضا بعد أن فقدت كل وسائل الدفاع عن نفسها ، وعمد داود باشا بشقة واحترام بالنسبة لا قام به من مقاومة ، إذ أُرسل إلى استانبول يحمل توصية بالرأفة به ، وعاش بعد ذلك متقدلاً كثيراً من المناصب المهمة منها حامي حرم المدينة حتى مات ، ولم تكن عاقبة أنصاره المماليك على هذا المنوال ، فإن على رضا جمعهم في ديوان عام وقرأ عليهم مرسوم السلطان القاضى بإلغاء امتيازاتهم ، وكان نهوضه ليترك المكان علاماً اتفق عليهـا للبدء بالفتك بهم جميعاً ، وهكذا فنى هؤلاء المماليك في النهاية ، وانتصرت استانبول^(١) وكانت نهاية مماليك العراق شديدة الشبه بنهاية مـمالـيك مصر على يـد محمد على قبل ذلك بعشرين عاماً ، وهـى على العموم نهاية كل المتسلقين الذين لا جذور لهم .

مصر ومصير مماليك العراق :

أصبح محمد على واليـا على مصر باختيار شعب مصر سنة ١٨٠٥ ، واتجه محمد على اتجاهـا استقلالياً منذ سنـيه الأولى ، وعمل على توسيع سلطـانـه في آسـيا وـفي إفـريـقـية ، وكان هـذا الاتـجـاه يـزعـجـ السـلـطـانـات

(١) الرافدان ص ٢٥٤ .

الحاكمة في استانبول ، ووصل الأمر مداه حينما تطلع محمد على لتصبح له ولاية الشام مكافأة له على الجهد الذي بذله في حرب اليونان ، ولكن الباب العالى كان يعمل لهم محمد على وانتقاص سلطانه ، لا لبنائه ومد ملكه ، فرفض ملتمسه ، ولم يقبل محمد على هذا الرفض فراح يعمل لينال ما يريده معتمدا على القوة ، واكتسحت الجيوش المصرية سنة ١٨٣١ غزة وبيافا وحيفا وعكا ، وبعد أن أتمت فتح الشام اتجهت إلى آسيا الصغرى ، فدحرت جيشا كبيرا يقوده الصدر الأعظم رشيد باشا^(١) .

والمهم هنا أننى أرى أن الباب العالى خاف أن توجد بالعراق قوة استقلالية تقلد الحركات التى قام بها محمد على فى مصر ، وإذا كان الباب العالى يحتمل استقلال مصر فإن الوضع مختلف بالنسبة لل العراق ، لأن حدود العراق تتاخم حدود تركيا ، ولا يحتمل الباب العالى قيام حكم استقلالى بالعراق .

وهذا يفسر لنا تحديد الوقت للقضاء على المماليك بالعراق ، وهو سنة ١٨٣١ أى نفس السنة التى بدأ فيها محمد على زحفه على الشام والأناضول ، ولم يشفع لممالك العراق أن الحكم كان في يد داود باشا الذى كان يعد من أحسن الباشوات ، وكان جهده لاستقرار الأحوال يفوق جهود كثير من الباشوات قبل المماليك وبعدهم .

وعلى كل حال فإن عهد المماليك بالعراق لم يضمن للبلاد استقرارا متصلـا ، فقد كان بعض الباشوات يبذل الجهد للحصول على الأمان والتقدير ولكن سرعان ما كان يفلت الزمام من يده . ثم إن الباب العالى كان يتدخل باستمرار لوضع حد لحكم بershawat المماليك ، حتى يستعيد حكمه المباشر على البلاد ، وكان موقع العراق بين العشائر التى تتندى حياة الاستقلال

(١) انظر الجزء الخامس من هذه الموسوعة ص ٣٦٥ وما بعدها .

وتكره السلطات المركبة ، وبين البدو ، والقبائل العربية المتاخمة ، وبين قوته الفرس والعثمانيين المتصارعين ، كل هذا جلب للبلاد صوراً من الكوارث ، فإذا أضيف لذلك الخلاف بين أهل السنة والشيعة ، والمصراع بين الطامعين من المالكين في السلطة يتبيّن لنا أسباب ما أصاب العراق من جراح غائرة مدى عدة قرون ٠

إصلاحات المماليك :

عند الحديث عن باشوات المالكين أوردنا ما يناسب لكل منهم من إصلاحات ، ولا تزال هناك أشياء ، عنى بها مماليك العراق عناية كاملة تستحق أن تختم بها دراستنا عن عهدهم ٠

قام سليمان أبو ليلة ، وسليمان الكبير داود بمجيودات عظيمة استهدفت تحسين الاقتصاد في العراق ، فقد عملوا على تشجيع التجارة بتأمين الطرق وتيسير المواصلات النهرية والبرية ، وأولى سليمان الكبير داود الزراعة اهتماماً كبيراً وذلك بإحياء بعض الأنهار المدثرة ، وتطهير القنوات والقريع المهمة ، واستعمال خامات العراق الزراعية (١) ٠

وعنى سليمان الكبير بتشييد الأسوار ، وتعمير ما خرب منها ، وإقامة الأسوار والخانات ، وشمل ذلك مدينة بغداد والبصرة والحلة ، وكانت عنايتها أكبر بتشييد المساجد ، فقد أقاموا منها عدداً كبيراً ، وكان بعضها غاية في الفخامة كمسجد الإمام الأعظم الذي طُليت منارته بالذهب في عهد سليمان الكبير وكان اهتمام داود باشا بالمساجد وأدمنتها وخطبائها اهتماماً بالغاً (٢) ٠

واهتم المالكين بالنهضة الثقافية ، فأنشأوا عدداً من المدارس

(١) علاء موسى نورس : حكم المماليك في العراق من ١٣٨

(٢) اللوسي : غرائب الاغتراب ونزهة الالباب ص ٤٠ وما بعدها

() ٤٨ م - التاريخ ج ٧

والمكتبات ، وكان بعضهم عالماً تلقى العلم على مشايخ العصر ، ومن هؤلاء داود باشا الذي تلقى العلم عن مشاهير العلماء ونال منهم إجازات علمية ، فلا عجب أن يكون عهد داود باشا عهد علم وفکر ، وأن تكثر به المدارس والأوقاف عليها ، وتنتشر في بغداد والسليمانية وكركوك والموصل والنجف والحلة وكربلاء والكاظمية وسامرا والبصرة ^(١) .

وعرف عن داود باشا سخاوه العظيم مع الشعراء والمؤلفين والنقباء وأرباب الطرق الصوفية ، وقد نال كل هؤلاء الجوائز السخية والهبات الوفيرة ، حتى اتجه شعراء هذا العصر إلى مدحه والثناء عليه ^(٢) .

باشوات بغداد بعد المماليك

كان على رضا أول باشوات بغداد بعد المماليك ، ويصف ريتشارد كوك الحياة في عهده بقوله ^(٣) :

في خلال سنين قلائل من حكم على رضا السمح — وإن شابه التسيب — أخذت الحياة تدب في المدينة عودا على بدء كما ينبعق الشجر الأجد عن ورق أحضر ، وتتدفع العصارة الحية في الشجرة اليابسة ، وذلك كلة على الرغم من استمرار الاضطراب في البلاد بوجه عام .

وبعد على رضا عينت استانبول عدداً من الولاة ، ويسردهم لونكريك ساخراً من أكثرهم ، فيقول : إن منهم رديف باشا ، وكان نظامياً صارماً ، وعبد الرحمن باشا وكان متعصباً ، وعاكف باشا وكان في غاية الفساد والتفسخ ^(٤) . ٠٠٠ ويفغينا في الحديث عن الباشوات في هذه الحقبة أن نتكلم عن رجل بلغت شهرته الآفاق ، ولعب دوراً كبيراً في حياة

(١) الغزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ٢٦٣ ، ٢٩٩ ، ٣٣٤ .

(٢) انظر حكم المماليك في العراق ص ١٤٣ ، ٢٤٤ .

(٣) بغداد مدينة السلام ج ٢ ص ١٥٨ من الترجمة العربية .

(٤) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ٣٦١ .

الامبراطورية العثمانية وهو مدحه باشا ، الذى كان يلقب « أبا الدستور » وقد تحدثنا عن مدحه باشا بشيء من التفصيل في الجزء الخامس من هذه الموسوعة .

وقد جاء مدحه باشا إلى العراق سنة ١٨٦٩ ، وكان قبل ذلك والياً في ولايات الدانوب ، فحقق فيها نوعاً من التقدم والازدهار ، وحكم فيها حكماً نظيفاً نزيهاً ، ونقل من ولايات الدانوب إلى استانبول في بغداد ، وبقى في بغداد ثلاث سنوات بذل خلالها كثيراً من الجهد لإصلاح أحوال العراق ، وتقول المصادر العراقية الرسمية إنه قام بالإصلاحات التالية :

- ١ - أكمل الأبنية التي بدأ سلفه في تشييدها ، وأضاف إليها الشيء الكثير .
- ٢ - أصدر جريدة الزوراء .
- ٣ - أسس معامل عسكرية لتزويد الجيش بما يلزم من عتاد .
- ٤ - بني المستشفيات ودوراً للعجزة والأيتام .
- ٥ - شيد عدداً من المدارس .
- ٦ - خطط وأنشأ مدینتى الرمادي والناصرية .
- ٧ - مد خط ترامواي بغداد - الكاظمية .
- ٨ - أسس البلديات لتقديم إلى الموظفين خدماتها في الإنارة والسكنية والنظافة والحراسة .
- ٩ - أسس المجالس المحلية لإدارة شئون الولاية .
- ١٠ - فرض التجنيد الإلزامي .
- ١١ - قسم العراق إلى ثلاث ولايات هي بغداد والموصل والبصرة ،

وتقسم الولاية إلى عدد من الألوية ، وكل لواء إلى عدة سنجاق ، وكل سنجق إلى عدد من النواحي .

١٢ - اهتم بتوطين القبائل وتوزيع الأرض عليها ^(١) .

ومن الواضح أن هذه إصلاحات عظيمة متنوعة ، ولكنها لم يكتب لها النجاح كل النجاح ، بسبب قصر مدة مدحت باشا ، وبسبب الفساد الذي تركته الأحداث السابقة في الإدارة ، مما عاق هذه الحركة التقدمية عن السير والازدهار .

من القرن التاسع عشر للقرن العشرين

يصور سينتون لويد العراق سياسيا ، وهو ينتقل من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين فيقول عن تاريخ العراق السياسي : إن أهم ما وقع فيه في هذه الفترة هو المحافظة على التوازن القلق بين الوالي الذي كان يمثل نوعاً من حكومات القرون الوسطى المطلقة التي كانت تكافح لتصل إلى روح العصر الحديث ، وبين دار الإقامة البريطانية التي تمثل الطموح التجاري وما يلزمها من تدخل سياسي ، وذلك كان اتجاه الغرب آنذاك ^(٢) .

ويصور لونكريك العراق اجتماعياً في هذه الفترة بقوله : « إن العراق انتقل من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين والبلاد ما تزال متفسخة وفي حالة من الجهل وعدم الكفاية للحكم الذاتي ، ولم تكن بأقل فساداً مما كانت عليه عند حلول القرن السادس عشر ، كما أن أحوالها المادية لم تكن بأحسن من أحوالها العقلية والخلقية ، فقد بقيت موارد لها غير مستثمرة بالرغم مما كان يدل عليه تاريخها طوال الأجيال الماضية ،

(١) انظر الجزء الثاني من كتاب « بغداد : مدينة السلام » تأليف ريتشارد كوك ص ١٦٨ - ١٧٠ .

(٢) الرافدان ص ٢٥٤ .

ولم تهتم الحكومة بواجبها الأساسي في توجيه القبائل والمدن إلى طريق التقدم والارتقاء ، كما أن الحكومة فشلت في أوضاع واجباتها وهو ضمان حرية الرعية وحقوقها على الرغم من أن كثيراً من هذه الأهداف تحققت في أوروبا وفي الهند ، وهي تعود على الشعب وعلى الحكومات بالفوائد المادية^(١) .

بريطانيا والعراق

في القرن التاسع عشر تمكن الحكم البريطاني في الخليج العربي وأبدى اهتماماً كبيراً بالبصرة ، وبالتالي كثرت المشروعات الأجنبية بالبلاد ، كالاهتمام بالطرق التهوية وبأنواع المواصلات الأخرى كالتلغراف والسكك الحديدية .

وفي أواخر القرن التاسع عشر اتجهت أنظار إنجلترا إلى النفط بالعراق ، فتعددت مصالح بريطانيا بالعراق وحاولت فرض سيطرتها على القسم الجنوبي المتصل بالخليج العربي ، وبينما كانت بريطانيا تقدم رجلاً وتؤخر أخرى حرصاً على الاتجاهات الدولية ، اندلعت الحرب العالمية الأولى ، (١٩١٤ - ١٩١٨) وانضمت الامبراطورية العثمانية لألمانيا ، وبهذا وضح المداء بين بريطانيا وبين الأتراك ، وأسرعت بريطانيا بالزحف على العراق فأرسلت أولى حملاتها التي استطاعت أن تدخل الفاو سنة ١٩١٤ ثم دخلت مدينة البصرة ، وبعد عدة معارك استطاعت هذه القوات أن تستولى على لواء البصرة كلها ، وواصلت زحفها شمالاً محققة تقدماً واضحاً على الرغم من الخسائر التي خسرتها ، وفي سنة ١٩١٧ احتلت مدينة بغداد ، وأصدر القائد البريطاني منشوراً يذكر فيه أن الانجليز دخلوا بغداد محدين لا فاتحين ، وكان هذا القول زيفاً استدعنه الظريف ، ولذلك هرب الشعوب يناضل المحتل الأجنبي بقوة وأصرار .

(١) أردوة ثورون ، زان ، زان ، المراقب السادس ، ٣٨٧ بالغتamar .

وتقدمت القوات البريطانية بعد بغداد فاحتلت سامراً، وتكررت
ثم أعلنت المدنية في ١١/١١/١٩١٨ فاحتلت القوات البريطانية المرصل
بدون حرب، وتم بذلك احتلال الانجليز للعراق، ثم أُمِرَّت معاً
سيفر بين تركيا وبين الحلفاء، وبمقتضاه تخلَّى الأتراك عن كل البلاد
العربية^(١).

وعدلت بريطانيا على أن تتمكن لنفسها في العراق فاستصدرت قراراً
من عصبة الأمم بانتدابها على العراق، وكان معنى الانتداب نظرياً أن تشرُّف
على العراق إشرافاً مؤقتاً يهدِّي البلاد لتحمل مسؤولية الاستقلال، ولكن
المعنى الحقيقي للانتداب كان رعاية مصالح المستعمر على حساب الوطن
والوطنيين.

وإذا كان العراق أو غيره من الدول العربية احتمل الملاقات مع
الإمبراطورية العثمانية باسم الإسلام فإن أيها من الأقطار العربية لم ينخدع
بالتغييرات المختلفة التي تربط الوطن العربي بالقوى الأوروبية، ومن هنا
قامت في العراق كما قامت في سواه حركات وثورات هائلة، وخسَّى
الشعب بأغلبي ما يملك حتى استعاد الحرية وطرد الغاصب المحتل.

وفيمَا يلى موجز للأحداث الكبرى منذ ذلك الحين :

الاستعمار والملكية بالعراق :

عملت الحكومة الاستعمارية على تأليف حكومة مؤقتة عراقية،
لتقوم هذه الحكومة بإجراء انتخاب عام، لتأليف مجلس تأسيسي ليقرر
شكل الحكم بالعراق، فتألفت هذه الحكومة برئاسة السيد عبد الرحمن
النقيب سنة ١٩٢٠ ولكن سرعان ما أدركت الحكومة البريطانية أن المجلس

(١) انظر الحديث عن هذه المعاهدة بالجزء الخامس من هذه
الموسوعة ص ٧٠٨ - ٧٠٩.

التأسيسى سيتجه اتجاهها وطنيا خالصا ، يتنافى مع أطامع المستعمرو ، فحملت على تأجيل الانتخاب ، وكبديل لذلك عملت الحكومة البريطانية على تعيين فيصل بن الحسين ملكا على البلاد ٠ (وقد تحدثنا عنه ضمن حديثنا عن الأشراف فيما سبق) ، وكان قد عين قبل ذلك ملكا على سوريا ، ولكنه سرعان ما فقد عرشه ، وأجرى استفتاء شكلي حول هذا التعيين في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢١ أعلنت بمقتضاه موافقة الشعب على تعيين الملك ! !

واستكملا للحديث عن الملكية بالعراق نذكر أن الملك فيصل بن الحسين مات سنة ١٩٣٣ ، خلفه ابنه الملك غازى الذى قتل فى حادث سيارة غامض سنة ١٩٣٩ ^(١) فخلفه ابنه فيصل الثانى (ابن غازى) وكان يبلغ من العمر أربع سنوات فعيّن خاله عبد الإله وصيا على العرش حتى وصل سن الرشد سنة ١٩٥٣ فتولى سلطاته الدستورية وعيّن خاله ولية للعهد ، وقد ظل الملك فيصل الثانى ملكا على العراق حتى قُتل هو وخاله فى ثورة ١٩٥٨ وبموته انتهت الأسرة المالكة بالعراق ، وقام النظام الجمهورى *

ومن الواضح أن النظام الملكى كان هبة الانجليز لفيصل وأولاده ، ومن أجل هذا لم يكن معبرا عن آمال البلاد ، وكان يسيطر فى ذلك الاستعمار ، وفي ظله وذل الاستعمار كان لكل وزير عراقة واكل محافظ مستشار بريطانى يدير الشئون ، فلم يكن الموظفون العراقيون إلا واجهة يعمل الاستعمار من خلفها ، وقد أثار هذا الوضيم المواطنين ، وظهرت حركات سخط وتمرد وثورات سنترض لها فيما بعد ، وقد اتجهت بريطانيا إلى عقد معاهدات مع العراق لتوهم المواطنين بأن إقامتها غير مستقرة ،

(١) انظر تفاصيل هذا الحادث واتهام الانجليز بتدميره في « العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب » ص ١٣٥ وما بعدها (مذكرات وزير المانيا المفوض) .

وأنها ستجلو عن العراق بعد مدة ، وقد توالى هذه المآهادات على هذا التباطئ فأبرمت معااهدة سنة ١٩٢٢ ، و沐اهدة أخرى سنة ١٩٣٦ ، ولكنها لم تتحقق آمال العراق ، وكانت تدوران في فلك واحد هو تشبيط الملكية ، وإشراف بريطانيا على الشئون الخارجية ، وتقديم المشورة في الشئون الداخلية ، واحتلال بعض المناطق العراقية ، ثم جاءت معااهدة ١٩٣٠ التي تلزم العراق بتقديم تسهييلات واسعة للقوات البريطانية عند اقامتها أو مرورها في أراضيه ، وكانت هناك فائدة مظورية لهذه المآهادات فسبباً عنها الانتداب البريطاني في أكتوبر سنة ١٩٣٢ ودخلت العراق في عصبة الأمم كدولة مستقلة ، ولكن العراقيين أدركوا أن الحرية الحقيقة لا تعال بالمواضيع ، وأن الاستقلال يحتاج لثورات وتضحيات حتى تتحقق للشعب حريته وللماطنين حقوقهم ، وقام الشعب العراقي بالثورات التالية حتى تتحقق له ما أراد :

ثورات العراق

حفل تاريخ العراق الحديث — كما قلنا آنفاً — بالثورات ضد المستعمر وضد أعوانه ليتخلص العراق من النفوذ الخارجي وهن الذين ينفذون هذا النفوذ أو يدورون في فلكه ، ومن أجل هذا قامت بالعراق الثورات التالية :

ثورة سنة ١٩٣٠ :

كان اشتعال هذه الثورة مبكراً إذ لم يطل انتظار العراقيين عقب الاحتلال البريطاني ، بل سرعان ما اشتعلت الثورة في آخر يونيو سنة ١٩٣٠ ، وقد استطاعت هذه الثورة أن تبرهن على بسالة أهل العراق ، واستشهادهم بالتضحيات ، ويقول المؤرخون إنها ثورة رمز للحرية الوطنية في العراق، الحديث أبدع وأروع من ثورة عام ١٩٣٠ ، وكان من أسباب قيام هذه الثورة انتشار الوعي القومي بين المواطنين ، وتنمية حركة

الخلفاء في أثناء الحرب العالمية الأولى وعند نهايتها بحق الشعوب في تقرير مصيرها ، ثم كان من أسبابها سوء الإدارة البريطانية ، وعملها على خدمة الأغراض الاستعمارية ، وإهمال مصالح الشعب العراقي ، وقد حملت الجمعيات الدينية مسؤولية كبرى في هذه الثورة ، فقد أثبتت أحاسيس الناس ودفعتهم لقاومة المستعمر المسيحي الغريب .

وكان السبب المباشر لهذه الثورة قيام السلطات البريطانية في الرميسة باعتقال الشيخ شعبان أبو الجون ، وقد هبتعشيرة الشيخ عقب ذلك في ثورة هائلة ، فقادت بمحاصرة الحامية البريطانية واستطاعت إخراج الشيخ بالقوة ، ثم اندفعت الثورة تعرقل طرق المواصلات البريطانية بالعراق ، وتتهدى السلطات الاستعمارية ، وسرعان ما امتد صدى الثورة إلى جميع الأرجاء ، فقادت ثورات مماثلة في نواحي العراق المختلفة مما أوقع بقوات الاحتلال كثيراً من الخسائر ، ومما حرك الرأي العام الانجليزي إلى ضرورة الجلاء عن العراق حتى لا تكثر ضحايا الانجليز هناك .

وقد استطاعت قوات الاحتلال البريطاني أن تقضي على هذه الثورة ، ولكن روحها كمنت في نفوس أهل العراق ، وانتظرت الفرصة لتبثثها من جديد .

ثورة ١٩٤١ :

خلقت بريطانيا في العراق تكتلات وأحزاباً وعشائر ، ودفعتها لذلال داخلى هزير ، وكانت تؤيد جماعة على حساب أخرى ، ثم تتخلى عنها لتأيد جماعة أخرى وهكذا ، وفي مظاها هذا الجو كثرة الاضطرابات والفتنة الداخلية ، وبالتالي هبت انتفاضات عسكرية قام بها الجيش ايزيل حكومة وبقىهم أخرى ، ومن الحركات التي قام بها الجيش حركة بكر صدقى وكيل رئيس أركان الجيش سنة ١٩٣٦ الذى طلب من الملك إقالة

وزارة ياسين المهاشمى رئيس حزب الإخاء الوطنى ، وتتكليف حكمت سليمان بتشكيل وزارة جديدة ، وقد أرغم الملك على ذلك ولكن وزارة حكمت سليمان لم يطل عمرها وقد قتل بكر صدقى بعد وقت قصير من ثورته .

ويقول الدكتور فريتز غروبا القائم بأعمال ألمانيا بالعراق ثم وزيرها المفوض (١٩٣٣ - ١٩٤١) عن سبب مقتله ، إنه اتخذ جانب الأكراد وعمل سرا على تكوين دولة كردية مستقلة ، وقرب الضباط الأكراد وأهلهم محل العرب مما أثار الذمة عليه من بعض القوميين العرب ، فدببت مؤامرة لاغتياله في الموصل حيث كانت الحراسة عليه قليلة (١) .

واستقالت وزارة حكمت سليمان ، وأعقبتها وزارة جديدة بيرأسها جميل المدفعى ، ثم وزارة أخرى بيرأسها نوري السعيد سنة ١٩٣٨ ، وقد اتجه نوري السعيد اتجاهها وأضحا التعاون مع بريطانيا ودول الغرب ، وقدم كل التسهيلات اللازمة لمりطنانيا في الحرب العالمية الثانية ، مما أساء إلى القاعدة الشعبية بالبلاد ، وحرك قوى المناضلين ضد نوري السعيد والاحتلال البريطاني ، وتحت ضغط هذه الأحداث استقالت حكومة نوري السعيد ، وشكل رشيد عالي الكيلاني وزارة جديدة سنة ١٩٤١ وكانت هذه الوزارة مؤيدة من الجيش والشعب ، إذ أنها عبرت عن أمانية في حيده العاقد ، وفي مطالبة الانجليز بالجلاء ، وفي وضع برنامج شامل للإصلاحات الداخلية .

وكان وأضحا أن كل هذه الاتجاهات مضادة للسياسة البريطانية فطلبت بريطانيا من عبد الإله الوصى على العرش آنذاك إقالة الحكومة ولكن الوصى أدرك أن ذلك بعيد عن استطاعته ، فغادر بغداد سرا إلى شرق الأردن واختارت الحكومة وصيا آخر على العرش ، وتأزمت

(١) نجدة فتحى صفوة : العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب ص ١٢٦ وما بعدها .

العلاقات بين العراق حكومة وشعبا وبين بريطانيا ، وأعلنت حكومة العراق رفض إزالة قوات بريطانية جديدة بالبلاد ، وتمسك ببريطانيا بمعاهدة ١٩٣٠ التي تلزم العراق بتقديم تسهيلات واسعة للقوات البريطانية عند إقامتها أو مرورها في أراضيه ، كما سبق المقول . وهذا تفاقمت الأمور حتى قامت معركة عسكرية بين العراقيين وبريطانيا خلال ثورة مايس سنة ١٩٤١ ، وقد أبدى الجيش العراقي ألوانا من البطولة ، ولكن المعركة كانت غير متكافئة فتغلب الجانب البريطاني ، وعلىثر ذلك عاد الأمير عبد الله للعراق بولاء أكثر لبريطانيا ، وراحت القوى البريطانية والموالون لها تقتل بعض المناصر الوطنية ، وتتزوج ببعضها في السجون والمحتقلات ، ومن شهداء هذه الفترة ذهبي المسحيد وصلاح الدين المياخ ويونس السبعاوي وكامل شعيب ومحمد سلمان ، وقد استطاع رشيد على الكيلاني أن يفر من البلاد .

بعد الثورة :

بعد أن فشلت ثورة ١٩٤١ ، عملت بريطانيا على تخدير كل القوى بالعراق لخدمة أغراضها ، وأبعدت خيرة الشباب عن الوظائف ، وخيرة الضباط عن الجيش ، فتأزمت الأمور بالبلاد ، وأدرك بريطانيا أن تخيراً كبيراً لابد أن يتم بالعراق ، وكانت الحرب العالمية الثانية قد وضعت أوزارها فسمحت بريطانيا بإجراء تغيير في سير الأمور بالبلاد ، وتشكلت وزارة برئاسة توفيق السويفي ، فأطلقت الحياة السياسية والاجتماعية ، مما بعث روحًا جديدة بالبلاد ، فانطلقت الصحافة والأحزاب طالب بإصلاحات في مختلف النواحي ، ولكن سرعان ما تراجعت الحكومة في موقفها ، وسحببت خيط الحرية الذي أطلقته ، وتسبّب عن ذلك قيام انتفاضتين شعبيتين هما انتفاضة ١٩٤٨ و ١٩٥٢ ، وقد قامت الأولى عقب إعلان معاهدة ١٩٤٨ التي أجرتها صالح جبر ، وأدرك الشعب أنها كالمعاهدات السابقة لا تحقق أمني الشعب فثار الشعب ضدها ، ولم تجد الحكومة بدا من إعلان تجميد هذه المعاهدة ، وقامت انتفاضة سنة ١٩٥٢

في شكل مظاهرات صاخبة تصر على الاستقلال التام وتحقيق آمال البلاد في الداخل والخارج ، وأدرك القائمون بالأمر أنه ليس في مقدورهم إسكات ثورة الشعب ، فسلموا البلد لحكم عسكري أعلن الأحكام العرفية ، وحاول تخفيف مقناع الشعب الاقتصادية ، ولكن هذا العلاج لم يكن حاسما ، وبدلًا من أن تتجه الجهد لإصلاح اتجهت لربط العراق بعجلة الاستثمار فيما كان يسمى حلف بغداد سنة ١٩٥٥ ، وتلى ذلك المدعوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ ، وكل هذا هيئاً للثورة الكبرى التي قام بها الشعب والجيش في ١٤ يولية سنة ١٩٥٨ م ، وستتكلم عنها بعد قليل ، وما يذكر عن حلف بغداد أنه كان يضم تركيا وبريطانيا وباكستان وإيران ، وأن بريطانيا عقب تكوين هذا الحلف وافقت على إنهاء معاهدة ١٩٣٠ ، وأخلت القواعد الجوية في الشهيبة والحبانية إذ أصبح الحلف الجديد يحل محل الاستعمار البريطاني الذي كانت تهتز أركانه .

وفي فبراير سنة ١٩٥٨ أعلن العراق والأردن الاتحاد العربي الذي أعطى الرئاسة للملك فيصل الثاني ، وكان ذلك رداً على الوحدة التي قامت بين مصر وسوريا .

ثورة سنة ١٩٥٨ ... (نهاية الملكية وإعلان الجمهورية) :

كانت ثورة ١٩٥٨ حركة تاريخية كبيرة وانتقالاً بالعراق من عهد إلى عهد ، من عهد التبعية إلى عهد الاستقلال ، ومن عهد الملكية إلى النظام الجمهوري ، ومن التخلف الاقتصادي إلى محاولة التطور والتقدم ومن الضيوف الفكري والثقافي إلى وتبة هائلة في العالم والمعرفة ، وكل هذه الاتجاهات عبر عنها البيان الأول لهذه الثورة ، يقول البيان :

(*) في الحديث عن هذه الثورة وما بعدها اعتمدنا على المراجع الرسمية ، مسع التصرف الكامل في الأسلوب، وسرد الاحداث .

بعد الاتكال على الله ، ومؤازرة المخلصين من أبناء الشعب والقوات المسلحة أقدمنا على تحرير الوطن العزيز من سيطرة الطغمة الفاسدة التي نصبها الاستعمار لحكم الشعب ، والتلاعب بمقدراته لمصلحتهم وفي سبيل منافعهم الشخصية . . .

ويتحدث البيان عن حيلة الاستعمار دون تسليح الجيش العراقي ، وعن الحديد والنار ، والسجون والمعتقلات التي نصبها الاستعمار وأعوانه للأحرار ، وعن سرقة خيرات الشعب وحرمانه من الازدهار الثقافي والاقتصادي .

واستطاعت الثورة أن تقضى على أعوان الاستعمار ، فسقط فيها الملك فيصل الثاني وعبد الله الذى كان وصيا على العرش فوليا للعهد ونورى السعيد رئيس الوزراء آنذاك ، وأعلنت الثورة عن قيام جمهورية شعبية تتسمى بالوحدة العراقية الكاملة ، وبالتعاون الشامل مع الدول العربية والإسلامية ، كما أعلنت تمسكها بمبادئ الأمم المتحدة ، والالتزام بها بالعهود والمواثيق التي تخدم مصلحة الوطن ، والالتزامها بذلك بمقررات باندونج .

وفي مجال السياسة الداخلية ألغت الثورة مجلس سيداده يتمتع بسيادة رئيس الجمهورية ، حتى يختار الشعب رئيسا له ، ثم أصدرت دستورا مؤقتا يعلن أن الدولة العراقية جمهورية مستقلة ذات سيادة ، وأن العراق جزء من الأمة العربية ، وأن حقوق المواطنين مكفولة ضمن الوحدة العراقية ، وأن الإسلام دين الدولة الرسمي .

وأصدر مجلس السيادة قانون الاصلاح الزراعي الذي ألغى نظام الإقطاع ، وأصدر قانون إلغاء نظام دعاوى العشائر ، وقوانين أخرى لتطهير أجهزة الدولة وحماية الفلاحين والعمال .

- ٧٦٦ -

وفي المجال الخارجي أعاد العراق صلاته الطيبة بجمهورية مصر ، كما أعاد العلاقات الدبلوماسية بالاتحاد السوفياتي وأعترف بالصين الشعبية ، ثم أعلن خروج العراق من ميثاق حلف بغداد ومن الكتلة الاسترلينية .

وانحرف عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة بهذه الثورة ، وتنكر لقادتها وأهدافها ، وأخذ يبتعد بالعراق عن الخط العربي ، ونتيجة لذلك ثار ضده الواء الخامس المرابط في مدينة الموصل في ٨ مارس سنة ١٩٥٩ وكان العقيد عبد الوهاب الشواف قائد هذه الثورة ، ولم تستطع هذه الثورة أن تتحقق انتصاراً على القوة الكبرى التي زحفت من بغداد ، وعلى آخر فشلها حدثت مذابح رهيبة في مدينة الموصل واعتقلت حكومة قاسم الآلوف من المواطنين من مختلف التواли .

وفي احتفالات ١٤ يوليو سنة ١٩٥٩ حصلت مذبحة في كركوك ، جاوزت في أهوالها مجازر القتل كما تقول المصادر العراقية ، وأنقسام عبد الكريم قاسم محكمة عسكرية كان قاضيها يحكم بما يريده الزعيم الأوحد كما سُمي قاسم آنذاك وكل هذه الانحرافات دفعت لقيام ثورة ١٩٦٣ لتضع حداً لهذه الانحرافات التي ناء بها الوطن والمواطنون .
وستتحدث عن هذه الثورة فيما يلى :

ثورة فبراير ١٩٦٣ (١٤ رمضان ١٣٨٣) :

في فبراير سنة ١٩٦٣ اندلعت في بغداد ثورة اشتراكية فيها الجيش والشعب ، وهاجمت عبد الكريم قاسم ، الذي كان يتخد وزارة الدفاع مقراً له ليعيش في حمى السلاح ، بعد أن انفض الشعب عنه ، وقد قاوم عبد الكريم قاسم وأعوانه مقاومة عنيفة ، ولكنه هزم في النهاية ، وجرت محاكمة سريعة له ، أُعدم بمقتضاهما ، وأصبح رئيس الجمهورية عبد السلام عارف ، وأعلنت الثورة أنها تهتم اهتماماً حاسماً بوحدة الشعب

الوطنية ، وبمشاركة الجماهير في توجيه الحكم ، كما أعلنت أنها تسعى لاستكمال الوحدة العربية ، وتحافظ على مكاسب الجماهير وفي مقدمتها قانون الإصلاح الزراعي ، وعلى العموم فقد اعتبرت هذه الثورة عودة ثورة ١٩٥٨ : وإزالة الانحرافات التي طرأت على هذه الثورة المجيدة .

وعنما توف عبد السلام عارفه في حادث سقوط طائرته في سنة ١٩٦٥ ، تولى أخوه عبد الرحمن عارف مقاليد الحكم فأصبح رئيساً للجمهورية ، وتقول المصادر العراقية إنه حدثت في عهده أحداث تسعي إلى الشعب بالعراق وتنمى اقتصاده ، كما أن الجيش أهمل ، وجمدت طاقاته العسكرية ، فلم يستطع أن يقوم بدوره في حرب ١٩٦٧ ، وإزاء ذلك وسواء هبت ثورة جديدة ستكون موضع حديثنا التالي :

ثورة سنة ١٩٦٨ :

كانت هذه الثورة – كما قيل في سبقتها التي حدثت سنة ١٩٥٨ – تصحيحاً للأوضاع ، وتحقيقاً للأهداف التي أعلنتها الثورة الأم سنة ١٩٥٨ ، وكانت بقيادة مجموعة من القادة في قمتهما :

أحمد حسن البكر وصدام حسين ، وقد حدثت هذه الثورة في ١٧ يوليوز سنة ١٩٦٨ ، ولكن سرعان ما ظهرت « ملامح سود » كما تقول المراجع الرسمية وكانت هذه الملامح تتذر بالخطر ، ومن أجل هذا أبعد المندسون على الثورة الذين أرادوا أن ينحرفو بها ، وكان ذلك في يوم الثلاثاء من نفس الشهر ، وتولى أحمد حسن البكر رئاسة الجمهورية وقيادات القوات المسلحة ، وكان صدام حسين نائباً له .

وهذه الثورة هي التي يعيش العراق معها حتى كتابة هذه السطور ولها منجزات تذكرها المراجع العراقية كالتالي :

في المجال السياسي : أطلقت سراح المعتقلين السياسيين : وأعادت

— ٧٦٨ —

المفصلين إلى وظائفهم ، وأعلنت بيان ١١ مارس ف حل المسألة السكردية
حال سلیما ديمقراطيا ، ومنح الحقوق القومية للأكراد وكل الأقليات .

وفي المجال الزراعي : ألغت الثورة التعويض المنوح للقطاعيين ،
وأسست المزارع التعاونية الجماعية ، وأنجزت العديد من مشروعات الري
والصرف ، وأكملت عملية توزيع الأراضي ، وأعلنت عملية الاسترداد التي
ترمى لزيادة الانتاج الزراعي .

وفي مجال الصناعة والنفط : طورت الثورة شركة النفط الوطنية ،
واستثمرت النفط وطنيا ، وأصدرت قرارها بتأميم عمليات شركة نفط
العراق في أول يونيو سنة ١٩٧٣ وبهذا أنهى السيطرة الأجنبية على موارد
العراق الاقتصادية .

وفي المجال الصحي : أنشأت الثورة المستشفيات والمراکز الصحية ،
ونشرت العيادات الشعبية التي تقدم العلاج والدواء بأقل التكاليف ، كما
اهتمت الثورة بنشر الوعي الصحي .

وفي مجال التعليم : اهتمت الدولة بإنشاء العديد من المدارس
والجامعات ، كما اهتمت بتأميم التعليم الخاص والأهلي وبمحو الأمية ،
وأولت عنايتها لتعديل البرامج والمناهج لتناسب العهد الفكري الجديد .

صدام حسين رئيساً للجمهورية :

يمكن القول إنه في عهد أحمد حسن البكر كان الزمام الحقيقى في يد صدام حسين ، وكان أحمد حسن البكر واجهة فقط ، وربما جاز القول إن أحمد حسن البكر كان صمام أمان لأن السلطة الكاملة عندها انتقلت سنة ١٩٧٩ إلى صدام حسين بذات الأعاصير تجتاح العراق والمنطقة كلها فقد سوّلت الأوهام لهذا الرجل أنه يستطيع أن يسيطر على المنطقة كلها ، وقد بدأ بالصراع ضد مصر لإبعادها عن الصدف العربي بحجية اتجاهها لعقد معاهدة مع إسرائيل ، وسخر المصريون بهذا الموقف لأن مصر ترفض بكل الشتم والإباء أن تكون تحت وصاية أحد ، فمصر لها تاريخها ومكانتها ولا تقبل أن تجلس مجلس التلميذ وتتمسك مصر باتجاهها في عهد البطل أنور السادات الذي حارب اليهود وانتصر عليهم ، وفاوضهم وانتصر عليهم أيضا ، وإذا كانت مصر رفضت الموقف العربي الآخر استجابت للأسف لاتجاه صدام بحكم العيرة أو الخوف ، وقطعت علاقتها بمصر بعد أن شملت المعاهدة مع إسرائيل وغتّلت عضويتها بجامعة الدول العربية ، ونتقل مقر الجامعة إلى تونس وتقرر وقفها القروض والمساعدات إلى مصر من كل الدول العربية .

ويقرر زعماء العرب أن الهدف الرئيسي من نتائج مؤتمر بغداد كان إبعاد مصر عن دول الخليج لتصبح لقمة سائحة لصدام حسين ، فمصر هي التي هددت العراق في عهد عبد الكريم قاسم عندما فكر في اقتحام الكويت .

الحرب مع إيران :

في سنة ١٩٨٠ اصططع صدام حسين أسباباً واهية ، وادعى أن إيران هاجمت بلاده ، والحق أنه كان يطمع فيضم بعض المناطق من إيران متوفهاً أن إيران ضفت بعد طرد الشاه وبعد الصراع الداخلي عقب ذلك ، وقد تكلمنا بإفاضة عن هذه الحرب في الجزء الثامن من هذه الموسوعة ، والمهم أنه في هذه الحرب لجأ إلى مصر فتناست موقفه ضدها وقدمت له الأسلحة والذخائر والخبرات ، كما أخذ من عرب الخليج مليارات الدولارات ، وقد صرخ الملك فهد ملك السعودية أن بلاده دفعت لصدام ٢٧ ملياراً من الدولارات ، فقد أوهمها صدام أنه الحارس لدول الخليج من زحفاً تتجه إيران لتقوم به عليها .

واستمرت هذه الحرب ثماني سنوات (١٩٨٠ - ١٩٨٨) وسقط فيها مليون شهيد وجريح ودمّرت مدن وأحرقت مزارع ونخيل ، وبينما استمرت العراق من النصر فاتجهت لاستجداء وقف إطلاق النار .

والعجب أنه بعد أن توقفت الحرب سنة ١٩٨٨ وبعد أن اتجه صدام حسين إلى حرب مدمرة أخرى هي زحفه على الكويت ذلك الزحف الذي سنتكلم عنه فيما بعد ، بعد هذا عاد صدام حسين يعلن الموافقة على معايدة الجزائر التي كان قد ألقاها وأعلن الحرب بسببها ، كما أخلى كل المناطق الإيرانية التي كان قد استولى عليها .

والإنسان يتساءل : لماذا كانت إذن حرب ثماني سنوات والليون شهيد وجريح ؟ ولماذا كان التدمير الذي حل بالبلدين المسلمين

صراع صدام بعد إيران :

ولم تطل مدة السلام بالعراق بعد توقف الحرب مع إيران ، فلأن

- ٧١ -

صدام سرعان ما خاصم مصر ، وتوقف عن دفع أجور المصريين الذين كانوا يساعدون العراق أيام محتلتها ، بل أغرى بعض العراقيين بقتل بعض العمال المصريين ، فكم من إنسان مصرى عاد لمصر في تابوت الموتى ، ثم اتجه صدام للزحف على الكويت وتهديد دول الخليج وضرب السعودية ، وذلك ما سنشرحه في الدراسة التالية :

أحداث العراق والكويت

١٩٩١ - ١٩٩٠

مقدمة :

عن أحداث العراق والكويت كتبت كتاباً مستقلاً عنوانه :

أحداث العراق والكويت

ماذا أبْرَزَتْ مِنْ آلام؟ وما السُّبْلُ لِحلِّها؟

دراسة تاريجية نفسية محايِدة

وتعاقدت مع الأستاذ أَحمد رائف مدير مؤسسة الزهراء للإعلام العربي على نشره ، وكان ذلك في ١٩٩١/٦/١ ولأنه كتاب متصل بأحداث الحرب كان الواجب أن ينشر فوراً ، ولكن هذا الناشر نشر في ذلك الموضوع حوالي مائة كتاب ، ولم يكن كتابي هذا من بينها ، ولما حادثته في ذلك تبين أنه يعمل بعلاقة خاصة مع الكويت ، وبالتالي يريد حذف عدة صفحات من الكتاب ، ورفضت طبعاً باسم الحيدة التي أدين بها دائمًا .

ولا تزال المشكلة بدون حل حتى الآن (أوائل سنة ١٩٩٢) وأنا هنا أكتب موجزاً لأحداث العراق والكويت استكمالاً لهذا الجزء السابع من «موسوعة التاريخ الإسلامي» الذي يشمل تاريخ هاتين الدولتين ضمن دول الجزيرة العربية .

وينبغى أن يتضح أن هذا الموجز لا يعني عن الدراسة الشاملة بالكتاب الذي ذكرناه آنفاً ، ففي الكتاب دراسات تفصيلية مهمة ، وإحصائيات خطيرة ، وخرائط توضح الأمور ، وصور تشتمل القاريء ، وليس ما أكتبه هنا إلا إشارة سريعة لهذا الموضوع .

والخلاف بين العراق والكويت قديم نوعاً ما ، وكان يثور ثم يهدأ ، ولكنه في هذه المرة ثار ولم يهدأ ، وكان مدمرًا للعراق والكويت جمبيعاً فما الأسباب الإجمالية لهذا الصراع؟

فـ تقدیری إن أـ هـم الدـافـع لـهـذا الـصراع هـي كـما يـالـى :

١ - المـنـفذ عـلـى الـخـلـيج : فـمـنـفذ العـرـاق لـلـخـلـيج ضـيق جـدا ، أـمـا الـكـوـيـت فـكـلـها تـقـع فـقـلـب الـخـلـيج ، وـبـسـبـب ضـيق مـنـفذ العـرـاق لـم يـحـسـبـ العـرـاق مـن دـوـل الـخـلـيج .

٢ - الـحق التـارـيـخي : تـدـعـى العـرـاق أـنـ الـكـوـيـت كـانـت جـزـءـا مـن لـوـاء الـبـصـرـة ، وـلـم أـرـ فـالـمـصـادـر التـارـيـخـية مـا يـؤـيد هـذـا الـادـعـاء ، بلـ إـنـ الـكـوـيـت قد وـجـدـت وـشـدـدـت الـأـنـظـار قـبـلـ أـنـ يـتـكـونـ العـرـاق بـالـوـيـتـه الـمـخـتـلـفـه .

٣ - الشـرـاء الـكـوـيـتـيـ : وـهـوـ شـرـاء باـهـظ يـسـيلـ لـهـ الـلـعـاب ، وـلـوـ كـانـتـ الـكـوـيـت صـحـراء جـرـاء كـمـاـ كـانـتـ قـبـلـ الـبـتـرـولـ ماـ اـهـتمـ الـعـرـاقـ بـهـاـ .
وـلـكـنـ الـحـقـ أـنـ شـرـاءـ الـكـوـيـتـ لمـ يـبـيـنـ موـاطـنـاـ صـالـحاـ بـالـكـوـيـتـ فـكـثـيرـ الـغـالـبـ ، وـكـثـيرـ مـنـ يـنـسـبـونـ لـلـكـوـيـتـ اـتـجـهـواـ لـلـعـبـثـ وـالـلـهـوـ فـالـأـقـطـارـ الـمـخـتـلـفـهـ خـلـالـ الـمـحـنـهـ .

٤ - الجـشع الـعـراـقـيـ : العـرـاقـ بـلـادـ غـنـيـهـ جـداـ بـمـصـادـرـ شـرـاءـ مـتـعـدـدـهـ ،
وـلـكـنـها رـأـتـ أـنـهـ تـحـتـاجـ لـأـرـيدـ مـنـ الغـنـيـ فـهـاجـمـتـ الـكـوـيـتـ لـتـضـيـفـ شـرـاءـ إـلـىـ
شـرـاءـ .

وـهـذـا بـدـأـتـ مـشـكـلـةـ الـعـرـاقـ وـالـكـوـيـتـ هـذـهـ الـمـرـةـ فـ١٨ـ يـوـنـيـوـ حـينـ أـثـارـ
الـعـرـاقـ هـذـهـ الـقـضـيـةـ ، وـفـجـئـ بـعـنـفـ ذـلـكـ الـمـوـضـوعـ لـدـىـ الـجـامـعـةـ الـعـرـبـيـةـ ،
وـقـدـ حـاـوـلـتـ هـذـهـ الـجـامـعـةـ كـمـاـ حـاـوـلـ الـزـعـمـاءـ الـعـرـبـ العـثـورـ عـلـىـ حلـ .
وـلـكـنـ فـالـثـانـيـ مـنـ أـغـسـطـسـ سـنـةـ ١٩٩٠ـ فـوجـيـءـ الـعـالـمـ بـزـحـفـ الـعـرـاقـ عـلـىـ
الـكـوـيـتـ ، وـظـارـتـ أـسـرـةـ الصـبـاحـ إـلـىـ الـسـعـوـدـيـةـ ، وـسـرـعـانـ مـاـ اـدـعـتـ الـعـرـاقـ
أـنـ الـكـوـيـتـ جـزـءـ مـنـ الـعـرـاقـ ، ثـمـ قـامـتـ بـسـلـبـ مـاـ غـلـاـ ثـمـنـهـ وـقـلـ حـمـلـهـ أـوـ قـلـ
مـاـ غـلـاـ وـمـاـ رـخـصـ ، وـنـقـلـتـ إـلـىـ الـعـرـاقـ وـقـدـ قـدـمـ مـنـدـوبـ الـكـوـيـتـ بـالـأـمـمـ
الـمـتـحـدـةـ قـائـمـةـ طـوـيـلـةـ عـنـ هـذـهـ الـمـسـلـوـبـاتـ سـجـلـتـهـاـ بـكـتابـيـ عنـ هـذـهـ الـحـربـ ،
كـمـاـ اـرـتـكـبـتـ الـعـرـاقـ كـثـيرـاـ مـنـ الـظـلـمـ وـالـقـسـوةـ خـدـ شـعـبـ الـكـوـيـتـ المـزـوـمـ .

وثار العالم كله تقربيا ضد العراق وضد قسوتها على الكويت ، وقرر مجلس الأمن إدانة العراق وطالب بالانسحاب الفوري ، وجرت محاولات عديدة لإقناع العراق بالانسحاب ولكن دون جدوى ، فإن العراق لم تسمع لأى نصيحة ، ولم تهتم بأى تحديد ، كأن الأمر لا يعنيها ، أو كان عندها قوة تهزم العالم .

الحرب :

ولم يبق إلا الحرب وسيلة لإخراج العراق ، وقد ترعمت الولايات المتحدة بمحاسة هذا الموضوع ودعت العالم للمشاركة فيه : فاستجابت لها سبع وعشرون دولة بعضها من الدول العربية والإسلامية ، ومنها إنجلترا وفرنسا وإيطاليا كما دفعت ألمانيا والميابان جزءا كبيرا من تكاليف المعركة .

وقد تحدد يوم ١٥ يناير ١٩٩١ موعدا لبدء المعركة إذا لم تخرج العراق من الكويت ، ولم تهتم العراق بهذا التحديد ، وجاء الموعد المحدد فاندفعت أسلحة الدمار تقارب العراق بقسوة كأنها كانت تنتظر هذه الفرصة لتفهي على العراق الذي هدد إسرائيل يوما من الأيام .

وقبل أن تبدأ المرحلة الأخيرة من مراحل الحرب وهي المرحلة البرية جرت محاولات جديدة لإقناع العراق بالخضوع لقرارات مجلس الأمن بعد ما نزل بها من دمار ولكنها رفضت ، فبدأت المعركة البرية التي استمرت مائة ساعة جهات العراق تستسلم تماما لقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، وعلى هذا الأساس توقفت الحرب .

ضحايا الحرب :

كانت ضحايا هذه الحرب عنيفة وقاسية وأخطر ما بها ما يلى :

— تدمير شبه شامل للعراق ويقال أنها عادت للوراء خمسين عاما .

- ١٠٠٠٠ قتيل من الجيش العراقي .

- عشرات الآلاف من الأهالي العراقيين قتلوا من غارات جيوش
التحالف .

- عدد هائل من الأسرى العراقيين سلموا أنفسهم .

- ومن الكويت سقط حوالي ثلث السكان بما يقدر بنحو ٤٠٠٠٠ قتيل .

- تدمير شامل لحقول البترول وإشعال النار في آبار البترول بالكويت

وتجري هنا نقطة مهمة شرحتها بإفاضة في الكتاب المستقل عن هذه
الحرب وهي : الإسلام والاستعانته بغير المسلمين في حالة العدوان .

وهي دراسة فقهية شافية لا تحتمل الإيجاز ولذلك أشير لها هنا ،
وعلى الراغب في التعرف عليها أن يعود لذلك الكتاب ، وهي
تشمل بوجه خاص الاستعانته بغير المسلمين ضد المسلمين .

صود جيش العراق !!!

ظهرت كتابات تقر أن جيش العراق صمد لكل دول التحالف حوالي
شهر ، وفي تقديرى إن هذه مغالطة ، لأن جيش العراق لم يظهر في أيام
معركة ، ولا قاوم الارهان العاتى بأية صورة من الصور ، ولذلك لا أستطيع أن
أصفه بالصمد ، وإنما بالاستسلام للأقدار من أول ضرورة إلى آخر ضرورة .

تاريخ رجل :

المحدث عن هذه الحرب والمحروب الذى سبقتها ضد إيران والمحروب
الداخلية بعدها ضد الأكراد والشيعة التى أسلحتها صدام حسين عقب إعلان
الاستسلام لشروط دول التحالف ، هذه الحرب ت証م أن نتحدث عن
الانطباع الذى تتركه هذه الحرب في ذهن الفكر والمُؤلف : وهذا الانطباع
استدعى أن يشمل الكتاب الذى أشرنا إليه دراسات عن تاريخ صدام حسين
والوسائل التي يصطمعها لحمايته وأهمها :

- يستعين صدام حسين بأهله لحمايته من الجماهير .

- ٧٧٩ -

- يحتفظ برهائن عنده حتى يضمن ولاء الأسر والقبائل .
- يحكم بالإعدام على منافسيه وينفذ الحكم .
- أعد لنفسه مخبأً أسطوريًا .

سلسلة عدوان صدام :

— ضد مصر التي استبعدها في مؤتمر بغداد سنة ١٩٧٩ من المحيط العربي .

— حرب قاسية ضد إيران استمرت ثمانية سنوات وسقط فيها
حوالى مليون شهيد وجريح من الطرفين ، وقد تحدثنا عنها آنذا .

— بعد وقف الحرب مع إيران عاد لشاغبة مصر وتهديدها بأن تُثْرَب
بواسطة السودان من الجنوب .

— هاجم الكويت ، ذلك المجهوم المدمر والبعيد عن الخلق والشهامة

— هدد السعودية ثم ضربها .

— وبعد فشل هذه الحروب اتجه لضرب العراقيين في الشمال والجنوب

عناوين مهمة في هذا الموضوع :

بعد هذا تجئ دراسات خطيرة ومهمة ، وأنا هنا أدوّن عناوينها فقط
فهي لا تحتمل الإيجاز :

- العراق وما فعله في بترويل الكويت .
- العراق والمباني الشاهقة بالكويت .
- العراق والدم : تسلسل المعارك الدموية طيلة تاريخ العراق بدءاً من
حرب الجمل في البصرة حتى قتل عبد الكريم قاسم في التاريخ الحديث .
- العراق تحكم فترة طويلة بقوى ليست عربية ولا إسلامية .
- العراق وإسرائيل ، قضية ضرب إسرائيل بالصواريخ .

- العراق وإيران .
- العراق ومنظمة التحرير .
- العراق ومصر .

كلمات ختامية :

تشمل هذه الكلمات اقتراحاتنا حول الوسائل التي يمكن أن تنتهي بها أمثل هذه الحروب والصراعات ، وفي تقديرى أن الوسائل هي :

١ - الديموقراطية الحقيقية ، فلو كان بالعراق ديموقراطية حقيقية ما استبدَّ صدام حسين بالأمور بها .

٢ - القوة : يتحتم أن توجد عند العرب والمسلمين قسوة ذاتية لحمايةهم ، فالمال بدون قوة تحميه لا قيمة له .

٣ - العدالة الاجتماعية : فلا يمكن في نظر الإسلام أن توجد دولة كالكويت تمتلك المليارات وسط محيط من الجائعين وسكان التبور .

واخيراً موضوع مهم هو :

مجرم حرب دن؟

هل هو صدام حسين لأنه فعل ما شاهدناه في الكويت والعراق جميماً؟

أو هو زعيم أمريكا الذي انتهز هذه الفرصة لتدمير دولة عربية إسلامية من أجل حماية إسرائيل كما صرح هو بذلك؟

أو أن مجرم الحرب هو أسلوب الحياة في الكويت ، ذلك الأسلوب الذي عمد لجمع مليار فوق مليار وإن جاع الناس جميعاً حوله .

وعن هذا الموضوع سينجد القارئ في هذا الكتاب دراسة واسعة .

شذرات ختامية :

تحت هذا العنوان عرضت الأضرار الاقتصادية التي نزلت بدول المنطقة.

وقلمنت كذلك عن أمريكا التي تحيل بهمكيالين

ثم تكلمت عن الفكر الإسلامي في الموقف بعد الحرب ، ودعت إلى عدم المبالغة في التعمويضات ، فالليتامى الذين أوجدتهم هذه الحروب سيعملون إلى الرشد يوما ، ونخشى إن توجد في نفوسهم روح الثأر والانتقام إن لم نخفف الضغط عليهم .

卷一 038

كانت كلمة الختام لهذا الكتاب هي :

لقد كتبتُ هذا البحث بكل الصدق والإخلاص ، وكان قلبي يخاف
مع الأحداث التي مررت ببلادى العربية ، وكان يخاف مرة أخرى وأنا
أدوّن هذه الأحداث وأعلّق عليها ، ولعله اتضاح من هذا البحث أن المشكلات
التي احتواها لم تبدأ فقط في الثاني من أغسطس سنة ١٩٩٠ بل بدأت
قبل ذلك ، ولم تنته في فبراير سنة ١٩٩١ بل استمرت بعد ذلك ، إنه عرض
لأحداث ومواضف خطيرة مرت ولا تزال تتوالى على عالمنا العربي والإسلامي *
إننى إذ أقدمه للأجيال الحاضرة وأجيال المستقبل أتمنى أن تتتفع
به هذه الأجيال ، والخير أردت وما توفيقى إلا بالله :

وأخيراً أيها القارئ الكريم أذكر لك أن الناشر أحمد رائف لم يطبع الكتاب حتى الآن ، وكأنه اشتراها لا لينشره بل ليسجنه أو يقتله ، وقد كتبت إليه أقرر أن مال الأرض ما كان يكفييني لو كنت أعرف أنه أخذ الكتاب لسجنه ، وأنا الآن أحارب أن استعيد هذا الكتاب ، وقد توسط الكثيرون لهذا ، ولعلنا ننجح ، وإلى اللقاء في الجزء الثامن والله المستعان .

ثبت المراجع

ملحوظتان :

- ١ - المصادر المذكورة هنا هي التي اعتمد عليها هذا الكتاب ووردت في ذيل صفحاته ، أما المراجع الأخرى التي أسممت فيه بطريق غير مباشر فلم تذكر في هذه القائمة .
- ٢ - الطريقة التي اتبعت في تنظيم هذه القائمة تبنت على عدم اعتبار الملحظات (ابن وال) .
- ٣ - مجموعة وثائق لدى وزارة الخارجية البريطانية والخارجية - السعودية .
- ٤ - تقويم البلدان الإسلامية من عمل المؤتمر الإسلامي ببرلين .
- ٥ - سلطنة عمان من مطبوعات وزارة الثقافة العمانية .
- ٦ - عمان الماضي «المستقبل» من مطبوعات وزارة الثقافة العمانية .
- ٧ - عمال والمراحل الجنوبي للخليج الفارسي «من طبرقات نهره الزيت العربية الأمريكية» .
- ٨ - مشكلة البوريقى من مطبوعات سفارة المملكة العربية السعودية بجاكارتا .
- ٩ - دليل الكويت الععام .
- ١٠ - Encyclopaedia of ISLAM .
- ١١ - Encyclopaedia Britannica .
- ١٢ - معاهدات ووثائق .
- ١٣ - صحف ومجلات ودوريات كثيرة .
- ١٤ - احد علماء الباشية كشف الغمة الجامع لاحدام الامه .
- ١٥ - مقابلات شخصية لزعماء اسهموا في صنع التاريخ .
- ١٦ - لقطات مما اذاعه الزعماء بالاذاعة والتليفزيون .
- ١٧ - آن بلنت رحلة الى تجد .

مرأة الحرمين

تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد
دولة الكويت الحديثة
العرب والتنار
نهج البلاغة

النهاية في غريب الحديث
الكامل في التاريخ
زعماء الاصلاح في العصر الحديث
اليمن عبر التاريخ
ايام في الكويت

موسوعة التاريخ الإسلامي (الجزء الآخر)
موسوعة الحضارة الإسلامية (١٠ أجزاء)

اليهودية من سلسلة مقارنة الأديان
المسيحية «» «» «»

الإسلام «» «» «»
اديان الهند الكبرى

القاموس الإسلامي
أخبار مكة وما جاء فيها من آثار

المسالك والممالك
نجد الحديث وملحقاته

اليمن
بدائع الزهور

تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير
Narrative of a year's journey :

through Central and Eastern Africa

History of Imam and Sayyids of Rman

The persian Gulf :
Travels in Assyria, Micca, and Persia

The Origin of ISMAILISM

الفرق بين الفرق
العواصم من القواصم

فتح البلدان
سيرة أحمد بن طولون

تاريخ ايران الأدبي

- ١٦ - ابراهيم رفعت
- ١٧ - ابراهيم بن صالح
ابن عيسى
- ١٨ - ابراهيم عبده
- ١٩ - ابراهيم العدوى
- ٢٠ - ابن أبي الحديد
- ٢١ - ابن الأثير
- ٢٢ - ابن الأثير
- ٢٣ - احمد أمين
- ٢٤ - احمد حسين شرف الدين
- ٢٥ - احمد الشريachi
- ٢٦ - احمد شلبي
- ٢٧ - «»
- ٢٨ - «»
- ٢٩ - «»
- ٣٠ - «»
- ٣١ - «»
- ٣٢ - احمد عطية الله
- ٣٣ - الازرقى
- ٣٤ - الاصطخرى
- ٣٥ - أمين الريحانى
- ٣٦ - أمين سعيد
- ٣٧ - ابن اياس
- ٣٨ - بدوى محمد فهد
Palgrane
- ٣٩ -

Bad ger - ٤٠

Bohen - ٤١

Buckingham - ٤٢

برنارد لويس

٤٣ - البغدادى

٤٤ - أبو بكر بن العربي

٤٥ - البلاذرى

٤٦ - البلوى

Browne - ٤٨

- ٧٨٤ -

- ٤٩ - تاج الدين بن عبد المجيد اليماني بهجة الزمن في تاريخ اليمن
- ٥٠ - التبريري
- ٥١ - تريتون
- ٥٢ - ابن تيمية
- ٥٣ - «
- ٥٤ - «
- ٥٥ - ثابت بن سنان
- ٥٦ - الجاحظ
- ٥٧ - جاد طه
- ٥٨ - جان جاك بيربى
- ٥٩ - الجبرتى
- ٦٠ - جعفر حسين
- ٦١ - جمال الدين الشعراوى
- ٦٢ - جمال الدين يوسف
- ابن يعقوب
- ٦٣ - جواد على
- ٦٤ - جورجى زيدان
- ٦٥ - «
- ٦٦ - ابن الجوزى
- ٦٧ - «
- ٦٨ - جون فيليبى
- Gerald de Gaury ٦٩
- Jovaini ٧٠
- ٧١ - حافظ احمد حمدى
- ٧٢ - حافظ وهبه
- ٧٣ - ابن حجر العسقلانى
- ٧٤ - ابن حزم
- ٧٥ - حسن ابراهيم حسن
- ٧٦ - «
- ٧٧ - أبو الحسن المطى
- ٧٨ - حسين بن أحمد
- ٧٩ - حسين بن غنام
- ٨٠ - «
- ٨١ - حسين مؤنس
- ٨٢ - حسين محمد نصيف
- صفة بلاد اليمن
- تاريخ العرب قبل الإسلام
- التمدن الإسلامي
- العرب قبل الإسلام
- تبليس ابليس
- المنتظم في أخبار الملوك والأمم
- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية : Rulers of Mecca
- The History of world conquerors :
- الشرق الإسلامي
- جزيرة العرب في القرن العشرين
- الاصابة في تمييز الصحابة
- الملل والنحل
- تاريخ الإسلام
- الفاطميون في مصر
- التشبيه والرد على أهل الأهواء والبدع
- بلغو المرام
- روضه الأفكار
- تاريخ نجد
- الشرق الإسلامي في العصر الحديث
- ماضي الحجاز وحاضرها

- ٧٨٥ -

تاریخ الكوفة
كشف أسرار الباطنية
المسند
كتاب صورة الأرض
تاریخ الكويت السياسي
العسیر
وغيات الاعیان
دول الإسلام
بغية المستفید
قرة العيون

Said bin Sultan, Ruler of Oman and East Africa :

تاریخ دول الإسلام
جامع التواریخ
الخلافة

التعریفات الشافیة

أشهر مشاهير الإسلام

The Golden Bubble, Arabian Gulf : Documentary.

ملوك العرب
معجم الانساب والأسرات الحاكمة في
التاریخ الإسلامي
تاریخ العروس
دولة بوسعید
المستقى من أمثال العرب
البلاد العربية والدولة العثمانية
العنوان في تاریخ عمان
تحفة الاعیان في تاریخ عمان
تاریخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة
الرافدان
Concise Encyclopaedia
of Arab civilization

الضوء اللامع
معالم تاریخ الجزيرة العربية
المهدية السنیة
tribe of the sheikhs

(ا) م ٥٠ - التاریخ ج ٧)

- ٨٣ - حسين النجفی
- ٨٤ - حماد اليماني
- ٨٥ - ابن حنبل
- ٨٦ - ابن حوقل
- ٨٧ - خرعل
- ٨٨ - ابن خلدون
- ٨٩ - ابن خلکان
- ٩٠ - الذهبی
- ٩١ - ابن الربیع
- ٩٢ - « »
- ٩٣ - Ruets
- ٩٤ - رزق الله الصدفی
- ٩٥ - رشید الدین
- ٩٦ - رشید رضا
- ٩٧ - رقاعة الطھطاوی
- ٩٨ - رفیق العظیم
- ٩٩ - Radric Owel
- ١٠٠ - الريحانی
- ١٠١ - زامیساور
- ١٠٢ - الزبیری
- ١٠٣ - زکریا قاسم
- ١٠٤ - الزمخشّری
- ١٠٥ - ساطع الحصری
- ١٠٦ - سالم بن حمود
- ١٠٧ - السالی
- ١٠٨ - ستانلى لین بول
- ١٠٩ - ستیون لوید : Stephen and Handy Ronart
- ١١١ - السخاوی
- ١١٢ - سعید باوزیر
- ١١٣ - سلیمان بن سحمان
- ١١٤ - « »

- طبقات فقهاء اليمن
الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي
وجنوب الجزيرة
حسن المحاضرة
تاريخ الخلفاء
ترجم رجال القرنين السادس والسابع
حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول
حاضر العالم الإسلامي
اليمن الإنسان والحضارة
مع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب
الملل والنحل
تاريخ حضرموت
دخول الإسلام إلى حضرموت
مقططفات من تاريخ حضرموت السياسي
جزيرة العرب في العصر الحديث
زنجبيل
تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها
وحضارها
فيصل بن عبدالعزيز من خلال أقواله وأفعاله
تاريخ حضرموت السياسي
الفخري
تاريخ الأمم والملوك
أربع رسائل اسماعيلية
الاستيعاب
الاصابة
فتوح مصر
السلوك في طبقات العلماء والملوك
الأسموال
عصر محمد على
البحرين في صدر الإسلام
قضية كينيا
المقططف من تاريخ اليمن
تاريخ اليمن
عنوان المجد في تاريخ نجد
- ١١٥- ابن سمرة
١١٦- سيد نوفل
١١٧- المبيوطى
١١٨- «
١١٩- أبو شامة
١٢٠- شكري فيصل
١٢١- شكيب أرسلان
١٢٢- الشماخى
١٢٣- الشهاب
١٢٤- الشهرستاني
١٢٥- صالح بن حامد العلوى
١٢٦- صالح بن سعيد
١٢٧- صالح البكري
١٢٨- صالح العقاد
١٢٩- « « وجمال قاسم
١٣٠- صالح الدين المختار
١٣١- صالح الدين المنجد
١٣٢- صالح الدين الياافعي
١٣٣- ابن طباطبا
١٣٤- الطبرى
١٣٥- عارف تامر
١٣٦- ابن عبد البر
١٣٧- « «
١٣٨- ابن عبد الحكم
١٣٩- أبو عبدون الجندي
١٤٠- أبو عبيد
١٤١- عبد الرحمن الرافعى
١٤٢- عبد الرحمن النجم
١٤٣- عبد العزيز كامل
١٤٤- عبد الله المجراتى
١٤٥- عبد الواسع بن يحيى
الواسعى
١٤٦- عثمان بن بشر

- اليمن وحضارة العرب
الفرمطى صاحب الحال
صله تاريخ الطبرى
رسالة العفران
الحليج الفارسى عبر الفرون والأعصار
العقود المؤلولة
نشاه الفكر الفلسفى
تاريخ اليمن
جغرافية شبه جزيرة العرب
عدد الجمان فى تاريخ أهل الزمان (مصور
بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤)
فضائح الباطنية
الاحياء
تاريخ الغياثى
الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق
كتاب البلدان
مجموعة منشآت السلاطين
اتحاف الورى
تاريخ المخلاف السليمانى
قلب جزيرة العرب
المغول في التاريخ
ثورة ظفار
الحوادث الجامدة
تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين
لبنان في التاريخ
History of the Arab Arabs
ذيل تاريخ دمشق
صبح الأعشى
زاد المعاد
المملكة العربية السعودية
Eartern Arabian Frontiers :
البداية والنهاية
كتاب الأصنام
تاريخ مصر وولاتها
المرأة في الكويت
- ١٤٧ - عدنان ترميس
١٤٨ - ابن العديم
١٤٩ - عريب بن سعد
١٥٠ - أبو العلاء المعري
١٥١ - علي ضارزا محمد
١٥٢ - على بن الحسن الخزرجي
١٥٣ - على سامي النشار
١٥٤ - عمارة اليمنى
١٥٥ - عمر رضا كحالة
١٥٦ - العينى
١٥٧ - الغزالى
١٥٨ - «
١٥٩ - الغيثى
١٦٠ - فاضل الخالدى
١٦١ - أبو الفدا
١٦٢ - فريدون باى
١٦٣ - ابن فهد
١٦٤ - فهد بن أحمد بن عيسى
١٦٥ - فؤاد حمزة
١٦٦ - فؤاد الصياد
١٦٧ - فؤاد كرم
١٦٨ - ابن الفوطى
١٦٩ - فيليب حتى
١٧٠ - فيليب حتى
ph. Hitti - ١٧١
١٧٢ - ابن القلائى
١٧٣ - القلقشندي
١٧٤ - ابن القيم
١٧٥ - كارل توتسل
Killy - ١٧٦
١٧٧ - ابن كثير
١٧٨ - ابن الكلبى
١٧٩ - الكندى
١٨٠ - ليس الطحاوى

- ٧٨٨ -

- أربعة قرون في تاريخ العراق الحديث
دليل الخليج
الأحكام السلطانية
- النجوم الزاهرة
- سياسة الفاطميين الخارجية
بهضة الشعوب الإسلامية
- ابن تيمية
- تاريخ المذاهب الإسلامية
- مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية
المملكة العربية السعودية بين الأمس واليوم
- في سبيل الحكم
- تحفة المستفید
- كتاب التوحيد
- اختصر تفسير ابن كثير
- كتاب المسائل التي خالف فيها رسول الله
أهل الجاهلية
- مختصر زاد المعاد
- معجزة فوق الرمال
- بيان نشر في مؤتمر المسجد بمكة المكرمة
- سنة ١٣٩٥ هـ
- الأمة العربية
افتتاح الدعوة الزهراء (مخطوط)
- تاريخ نجد
- الخليج العربي والعلاقات الدولية
- الإسلام والحضارة العربية
- قلادة النحر
- محمد بن عبد الوهاب
- مروج الذهب
- قطر ماضيها وحاضرها
- الحركات الباطنية في الإسلام
- أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم
- اتعاظ الحنفاء
- السلوك في معرفة الدول والملوك
- ١٨١ - لونكريك
١٨٢ - لوريميل
١٨٣ - الماوردى
١٨٤ - أبو المحاسن بن تغري
بردى
- ١٨٥ - محمد جمال الدين سرور
١٨٦ - محمد حبيب أحمد
١٨٧ - محمد أبو زهرة
١٨٨ - « « »
- ١٨٩ - محمد صبيح
١٩٠ - محمد طارق الافريقي
١٩١ - محمد بن عبد القادر
بامطرب
- ١٩٢ - محمد عبد الله الانصارى
١٩٣ - محمد بن عبد الوهاب
١٩٤ - « « »
١٩٥ - « « »
١٩٦ - « « »
١٩٧ - محمد عسـه
١٩٨ - محمد على الحضرمى
- ١٩٩ - محمد فرج
٢٠٠ - محمد بن منصور التميمي
٢٠١ - محمود شكري الألوسى
٢٠٢ - محمود على الداود
٢٠٣ - محمد كرد على
- ٢٠٤ - أبو مخرمة
٢٠٥ - مسعود الندوى
٢٠٦ - المسعودى
٢٠٧ - مصطفى الدباغ
٢٠٨ - مصطفى غالب
- ٢٠٩ - المقدسى
٢١٠ - المقرizi
٢١١ - « »

- ٧٨٩ -

- | | |
|---|--|
| الخطط
الحسن الأعصم
تاريخ المملكة العربية السعودية
مجمع الأمثال
معجم الأنساب
سفر نامه ترجمة الخشاب
كلشن خلفا ترجمة موسى كاظم
جلاء العينين
نهاية الارب في فنون الأدب
سيرة ابن هشام
الإكلييل
عقيدة الشيعة
مفرج الكروب
جريدة العجائب
اليمن الكبرى
<i>Travels in Arabia</i>
معجم البلدان
غایة الامانى
تاريخ اليعقوبى | » ٢١٢
» ٢١٣
٢١٤ - منير عجلانى
٢١٥ - الميدانى
» ٢١٦
٢١٧ - ناصر خسرو
٢١٨ - نظمي زاده مرتضى
٢١٩ - نعمان خيرالدين الألومى
٢٢٠ - النويرى
٢٢١ - ابن هشام
٢٢٢ - الهمدانى
٢٢٣ - هوایت دونالدش
٢٢٤ - ابن واصل
٢٢٥ - ابن الوردى
٢٢٦ - الويسي
٢٢٧ - Wellested
٢٢٨ - ياقوت
٢٢٩ - يحيى بن الحسين
٢٣٠ - اليعقوبى |
|---|--|

فهرس الأعلام

ملاحظات :

- ١ - تحاشياً للإطالة لم أضمن هذه الفهارس أسماء المؤلفين اكتفاءً ببورودها في ذيل صفحات الكتاب وفي قائمة المراجع.
- ٢ - ولم أضمن هذه الفهارس الأسماء التي وردت في قوائم الأئمة خلال عهد آل نبهان وبعدهم بعمان ، ولا الأئمة العلوبيين باليمين اكتفاءً ببورود هذه الأسماء في هذه القوائم الطويلة .
- ٣ - رتبت هذه الأسماء ترتيباً أبجدياً مع عدم اعتبار الملحقات (ابن-آل) .

أبو حمزة الشارى : ٣٩٢	أبو ذر الغفارى : ٤٣٤	أبو زيد الهماللى : ٥٠٧	أبو السرايا بن المنصور : ٤٢٧	أبو سعيد الجنابى : ٥٦١ ، ٣١٣	أبو طاهر سليمان : ٥٦٨	أبو العباس المبرد : ٣٦٠	أبو القاسم المنصور : ٤٢٦	أبو عبد الله المهدى (الامام) : ٤٤١	أبو عبد الله العينى : ٥٢٢	أبو عبيدة بن الجراح : ٣٨٣	أبو عبيدة السكونى : ٧٠	أبو الفتح الديلمى : ٤٣١	أبو فديك : ١٠٦ ، ٥٣١	أبو القاسم بن حوشب : ٤٤١	أبو محمد الفاتكى : ٣١٥	أبو العباس السفاح : ٣٣
٥٨٥	٧٢٤	٥٦٨	٥٦٧	٥٦٢	٥٧٢	٥٧١	٥٧٠	٥٦٩	٥٧٩	٣٠٧ ، ٣٠٦	٣٦٠	٤٢٦	٤٤١	٣٨٣	٧٠	٤٣١

حرف الألف

أبان بن سعيد : ٥٢٥	ابراهيم بن أحمد المنقور : ٦٥ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧	ابراهيم بن تاج الدين : ٤٣٢ ، ٤٥٥	ابراهيم الجزار : ٣٩٦ ، ٤٢٧
ابراهيم بن حامدى : ٤٨١	ابراهيم بن سليمان الباھلی : ٣٩٥	ابراهيم بن عباس : ٦٩٠	ابراهيم بن عبد الله : ٣٥
ابراهيم بن عبد الله بن طلحة : ٣٩٥ ، ٣٩٦	ابراهيم بن عفیصان : ٧٤	ابراهيم بن صالح : ٦٨	ابراهيم بن محمد بن زياد : ٤٠٤
ابراهيم محمد بن يعفر : ٤١٤	ابراهيم بن موسى الطالبی : ٣٩٦	ابراهيم بن يحيى حمیدالدین : ٤٧٧	ابو تمام : ٦٩٠
ابو بكر السقاف : ٥٠٤ ، ٥٠٣			

- ٧٩١ -

- | | |
|---|---|
| احمد بن محمد بن خليفة : ٦٠٢
احمد بن محمد بن يحيى : ٥٨
احمد بن محمد المنقور : ٦٥ ، ٦٦
احمد بن محمد بن مبارك : ٦٥
احمد بن محمد (آل بسام) : ٦٤
احمد بن محمد السديري : ٥٩٥
احمد ناصر بن معمر : ٦٦
احمد نعمن : ٤٧٩
احمد الوداعي : ٤٨٧
احمد بن يحيى : ٥٧ ، ٤٣٦ ، ٤٣٦
٤٧٣ ، ٤٧٥
احمد بن يحيى المرتقى : ٤٣٣
ادريس بن شايع : ٧٢
ادريس بن عبد الله : ٤٥
اروى بنت احمد الصليحي : ٤١٨ ، ٤٣٨
٤٢٠ ، ٤٢٠
٤٠٤
اسحق بن ابراهيم : ٥٣٦
اسحق بن بي خبيصة : ٤١٤
اسحق بن العباس : ٣٩٦
اسحق بن موسى بن عيسى : ٣٠٣
السرى بن منصور : ٤١٤
اسعد بن ابراهيم بن جعفر : ٤١٤
٤١٦
اسكندر : ٤٦٢ ، ٤٦٢
اسماء بنت شهاب : ٤١٨
اسماعيل الصفوى : ٧٣٦ ، ٧٣٥
اسماعيل بن طغتكين : ٤٤٧
اسماعيل بن العباس : ٤٥١
أسيد بن الأخنس : ٥٢٦
الكسود العنسي : ٣٨٤ ، ٣٨٥
الاشرف بن المنصور : ٤٣٦
الأشعث بن الجاورد : ٥٢٦
الأشعث بن قيس : ٣٨١ ، ٣٨٥
٣٨٦
أشور بانيبال : ٦٨٠ | ابو الغارات بن المسعود : ٤٣٩
ابو موسى الاشعري : ٣٨٢ ، ٢٨
ابو نمى الاول بن قتادة : ١٨٩
ابو نمى الثاني بن قتادة : ١٨٩ ، ٤٠٣
احمد بن اسماعيل الهاشمى : ٣٩٦
احمد بن الاشرف بن رسول : ٤٥١
احمد بن اوييس : ٧٢٥
احمد بن أبي سعيد الجنائى : ٥٧٢
٥٧٣ ، ٥٧٩
احمد باشا : ٥٨٦ ، ٥٩٠ ، ٥٩٢
٥٠٨
احمد بن جابر : ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤
٦٦٥
احمد الجلائرى : ٧٢٧ ، ٧٢٦
احمد حسن البكر : ٦٠٨ ، ٦٠٧
احمد بن حسن : ٥٨٩ ، ٥٨٨
احمد بن الحسين : ٤٥٦ ، ٤٥٥
احمد بن الحسين بن القاسم : ٤٥١
احمد بن دريد : ٣٦٠
احمد بن راشد المعلاء : ٦٣٨
احمد بن سعيد : ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٦
١٤٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٣ ، ٢٠٨ ، ٢٠٨
٣٣٦ ، ٣٣٥
احمد بن سليمان : ٤٠٨
احمد الطويل : ٥٨٤
احمد بن عبد الكريم : ٤٨٧
احمد بن عبد الله ابن معمر : ٦٦
احمد بن آل على ثانى : ٦١٩ ، ٦٢٠
احمد بن آل على خليفة : ٦١٩
احمد بن على بن مشرف : ٦٥
احمد بن سعيد : ٦٦٧
احمد بن صالح : ٦٠
احمد بن ماجد : ٤٥٨ ، ٤٥٩
احمد بن محمد الاشيقرى : ٦٤ |
|---|---|

- | | |
|--|---|
| <p>بکر صدقی : ٦٠٣
 بکر بن وائل : ٦٨٦ ، ٥٢٣ ،
 بلعرب بن سلطان بن صدقی : ٢٨١
 ٣٢١ ، ٣٢٧
 بلقیس : ٥٨١
 بهاء الدین عثمان : ٧٣٠
 البهلول محمد بن یوسف : ٥٨٣ ،
 ٥٨٧
 بو سفنجة میرزا : ٧٣٢
 بیرام خواجہ : ٧٢٧
 بیر بوداق : ٧٢٧</p> <p>حروف النساء</p> <p>تاوندو خاتون : ٧٢٦
 ترکی بن سعید : ٣٣٤ ، ٣٣٥ ،
 ٣٣٧
 ترکی بن عبد الله : ٧٣ ، ٧٤ ،
 ١٤٥ ، ١١٨ ، ٩٦ ،
 ٧٥ تمیم بن سعید : ٤٣٦
 توبیة بن تم الرضومی : ٥٠٨
 توران شاه : ٤١٠ ، ٤٤٠ ،
 ٤٤٤ توفیق السویدی : ٦٠٥
 توبینی بن عبد الله : ١٤٤
 تیمور لنک : ٧٠٣ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ،
 ٧٢٧ تیمور بن فیصل : ٣٣٤ ، ٣٣٥ ،
 ٣٤٠ ، ٣٣٩ توجو : ٧٢١
 توفیق باشا : ٥٢٦
 توجورت اوزال : ٤٨٢</p> <p>حروف النساء</p> <p>ثانی بن محمد : ٦١٦</p> | <p>الاصمعی : ٦٨٩
 ام فاتنک : ٤٠٨
 انوشکین : ٧٠٥
 انور السادات : ٢٢٢ ، ٢٢١ ،
 ٤٠٧ آنیش الفاتنکی :
 ٣٩٢ : اوس بن ضمح
 ٧٢٥ : اویس بن ولد :
 ٧٣١ : اوغورلی :
 ٧١٣ ، ٧١٠ : اوکتای :
 ٥٨٨ : اباس باشا :
 ٩١ : اید بن ضریحة :
 ٣٩٥ : ایوب بن جعفر :
 ٣٩٠ : ایوب بن یحیی الثقفی :</p> <p>حروف الباء</p> <p>بایدوخان : ٧٢٣
 پابر : ٧٠٣
 باذان : ٣٨٢ ، ٣٨١ ،
 ٣٨٠ باستقر میرزا بن یعقوب : ٧٣٠
 البدر بن احمد : ٤٢٩ ، ٤٣٦ ،
 ٤٧٧ بدر الدین بن رسول : ٤٥٠
 بدر الكثیری : ٤٩٠
 بدر بن سیف بن احمد : ٣٤٥ ، ٣٥٠ ،
 ٣٨٨ البراء بن عازب :
 برآک بن غریر الخالدی : ١٠٨ ،
 ٥٩٤ برسبای : ٤٦٣
 برکات (الشریف) : ١١١
 برکات بن محمد بن اسماعیل : ٢٨٣
 بسر بن ارطاء : ٣٨٨
 بشر بن المغیرة : ٣٦٠
 بطین بن عریعر : ٥٣
 بغـا الكبير : ٣٥</p> |
|--|---|

- ٧٩٣ -

جوهر الصقلی : ٤٢١ ، ٥٥٣ ،
٥٧٧ ، ٥٧٦

جوهر المعظمی : ٤٣٩

الجوهرة بنت عبد الله بن جعفر :
١٢٥ ، ٨٧

جياش بن نجاح : ٤٠٦ ، ٤٠٧

جيفر : ٢٦١ ، ٢٩٩

جيهاش شاه : ٧٢٨ ، ٧٢٩

حرف الحاء

حابس بن سعيد الطائی : ٣٨٧

حاتم بن احمد الهمداني : ٤٢١ ،
٤٢٢

حاتم الهمداني المغاس : ٤٢١

الحارث الحميری : ٣٨١

حارثة بن قدامة السعدي : ٣٨٩

حازم بن خزيمة : ٣٠٧

حامد سعيد : ٣٣٦

الحجاج بن يوسف : ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،
٦٩٤

حذيفة بن محض : ٣٠١ ، ٢٥

حذيفة بن اليمان : ٤٢٤

حريث بن مسعود : ٥٧١

حسام الدين التوريزى : ٤٥٢

حسان بن الجراح : ٥٧٧

حسن أوزون : ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٥

الحسن الاذریسی : ١٨٤

الحسن الأعصم : ٥٧٣ ، ٥٧٤ ،
٥٧٥

الحسن باشا : ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩١

الحسن بن حوشب : ٤٤٢

الحسن بن سعيد : ٣١٦

الحسن. الصباح : ٦٩٩ ، ٧١٤

حسن عبد الله بن عبد الله : ٦٦

ثنیان أبا الخيل : ٧٣
ثوبنی بن سعید : ٣٣٣ ، ٣٣٥

حرف الجيم

جابر بن زید : ٢٨٠

جابر بن عبد الله : ٤٢٤ ، ٦٦١

جابر بن المبارک : ٦٦١ ، ٦٦٢ ،
٦٦٤

الجارود بن بشر : ٥٢٧

جرير البجلي : ٢٨ ، ٦٨٦

جلبة بن الآيهم : ٤٤٩

جلال الدين منكيرتی : ٧١٠ ، ٧٠٨ ،
٧١١

جلال الدين على بن عثمان : ٧٣٢

جعفر بن ابراهیم : ٤٢٤

جعفر الحسنی : ١٨٧

جعفر الصادق : ٥٥٩

جعفر بن على الهاشمى : ٤١٣

جعفر بن عمر : ٤٩٠

جعفر الموصلى : ٦٩١

جعفر المھجری : ٥٨٠ ، ٥٧٨

جعفر بن ورقاء الشیبانی : ٥٦٧

جعلان التركی : ٥٤٥

جلال الدين بن خوارزم شاه : ٧٠٨

جلال الدين على بن عثمان : ٧٣٠

جلندی بن سعید : ٣٠٧ ، ٢٨٢

جلندی بن مسعود الجلندی : ٣٠٨

٣١٠

جلوی بن تركی : ٧٧ ، ٧٥

جمیل المدفعی : ٦٠٣

جنديب بن عمر الروسني : ٣٨٧

جنکیز خان : ٧٠١ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ،
٧٠٥

٧٠٨ ، ٧٠٧ ، ٧٠٦ ، ٧٠٥

٧٠٩

- حميدان بن تركى : ٦٦
 حمد بن ابراهيم : ٧٣
 حمد حسين بن طوق : ٨٥
 حمد بن خليفة : ٦٢١
 حمد السليمان : ٧٥
 حمد بن عبد الله آل ثانى : ٦١٩
 حمد العبد الله آل يحيى : ٧٧
 حمد بن عيسى بن خليفة : ٦٠٣
 حمد بن ناصر : ٦٦
 حمدوية بن عيسى : ٤٢٧
 الحميدي بن فيصل : ٧٥
 حماس بن القلبى الهمданى : ٤٢٢
 حمورابى : ٣٦٣ ، ٦٨٠
 حمير بن الحارث : ٤١٣

حروف الخاء

- خالد بن سعود : ١١٨ ، ١٦٣
 خالد بن سعيد : ٢٥ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥
 خالد بن العاص : ٣٠
 خالد بن عبد الله المقرى : ٦٩٤
 خالد بن عبد العزيز : ١١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥
 خالد بن الوليد : ٢٥ ، ١٢٧ ، ٦٨٤
 خردلة بن سماعة : ٣١٨
 الخريب بن راشد : ٩١
 الخليل بن أحمد الفراهيدي : ٣٦٠ ، ٦٨٩
 خليل حفيد جهانكير : ٧٣٠
 خليل بن شاذان : ٢٨٣ ، ٣١٧
 خليفة بن حمد الثاني : ٦١٩ ، ٦٢١
 خليفة بن سليمان : ٦٠٣
 خليفة بن شخبوط : ٦٣٢

رجاء بن الجذامي : ٣٩٥
 رحمة بن مطر : ٣٣٧ ، ٦٢٨
 رديف : ٥٩٩
 رستم : ٤٤٩
 رستم حفيظ أوزن : ٧٣٠
 رشيد باشا : ٥٩٦
 رشيد عالي الكيلانى : ٦٠٤
 رشيد بن محمد : ٧٢
 ريحان بن صالح : ٥٤٢ ، ٥٤٣

حرف الزاي

زائد بن معن : ٣٩٤
 زامل السليم : ٩٩ ، ٩٨
 زامل العبد الله : ٧٧
 زايد بن خليفة : ٦٣٢ ، ٦٣٣
 زايد بن سلطان : ٤٨٢ ، ٤٨٣
 ٦٣٦ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٤٢ ، ٦٤١
 زبيدة : ٣٤
 الزيير بن العوام : ٣٨٦
 ذكروية : ٥٦٤ ، ٥٦٥
 زهرى بن جراح الثورى : ٧٠
 زياد بن ابراهيم : ٤٠٤
 زياد بن الربيع : ٥٢٦
 زياد بن عبد الله الحارثى : ٣٣
 زياد بن لبيه : ٢٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥
 زياد بن أبيه : ٦٩٣
 زياد بن المهلب بن أبي صفرة : ٣٠٣
 زيد بن الخطاب : ٦٤ ، ٨٤ ، ١٢٢
 زيد على (الامام) : ٤٢٥ ، ٤٢٩
 زيد بن كهلان بن سبا : ٤٤٩
 زيد بن على الوشكى : ٤٧٦
 زيد بن محسن : ١١١
 زيد بن مرجان : ٨٧

الخليفة بن عبد الله : ٥٠١
 خميس بن سعيد : ٢٨٥
 خواجة مرجان : ٥٧٦
 خوارزمشاه : ٧٠٦
 خورشيد باشا : ١٧٨ ، ١٦٣
 الخيزران : ٣٤
 خير بن نعيم : ٥٠٨

حوف الدال

داود باشا : ٥٩١ ، ٥٩٣
 داود بن على : ٣٩٤
 داود بن يوسف بن رسول : ٤٥١ ، ٤٥٢
 دجین بن عریعر : ٥٣
 داؤس بن محمد بن عبد الله : ٨٦
 دغیم بن فایز : ٨٧
 دهام بن داؤس : ١٣٨ ، ١٣٩
 دیاب بن نبهان : ٦٣١

حرف الراء

راشد بن حميد النعيمي : ٦٣٨
 راشد الدربي : ٩٤ ، ٧٣
 راشد بن سالم الخروصي : ٣٨٥ ، ٣٣٩
 راشد بن سعيد : ٦٣٦
 راشد الكبير : ٧٣
 راشد المكتوم : ٦٤٠
 الريبع بن حبيب الفراهيدي : ٣٦٠
 الريبع بن زياد : ٥٢٩
 الريبع العامرى : ٤٦٠
 الريبع بن عبد الله الحارثى : ٣٩٥ ، ٥٢٩
 ربيعة بن مانع : ٥٢

- ٧٩٦ -

حروف المسين	
سابور بن أبي طاهر : ٥٧٣ ، ٥٧٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧	سعود بن محمد بن مقرن : ١١٧ ، ١١٨
سالم بن ثوييني : ٣٣٧	سعيد بن أبي سعيد الجنابي : ٥٦٠
سالم بن حمود : ٣٣٩	سعيد بن أحمد : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٣٣٥ ، ٣٣٣
سالم بن ربيع : ٥٠٢ ، ٤٨١	سعيد باشا : ٥٩١
سالم بن السبهان : ٩٨ ، ٩٧	سعيد بن تيمور : ٣٣٤ ، ٢٧٤ ، ٣٩٠
سالم بن سلطان : ٣٣٣	سعيد بن دادوية : ٥٤٥
سالم الصباح : ٦٥٢ ، ٢١١	سعيد الحاجب : ٣٩٦
سالم الصارمي : ٣٢٧	سعيد بن السرح الكنانى : ٢٧٥ ، ٢٧٤
سبأ بن أبي السعود : ٤٣٩	سعيد بن سلطان : ٦٣٣ ، ٦٣٢
سبأ المصيلحي : ٤١٩ ، ٤١٨	سيد بن طحنون : ٦٣٣
سبوتاى : ٧١٢	سعيد بن نجاح : ٤٠٧ ، ٤٠٦
سرجون : ٦٨٠	سعيد بن الأحوال : ٤١٨
سرور (الشريف) : ١٩٠ ، ١١٦	سفيان بن عمرو العقيلي : ٥٣٤
سرور بن مساعد : ١٤٠ ، ١١٦	سفيان بن المهلب : ٥٣٦
السرى بن عبد الله : ٥٣٦	السلال (عبد الله) : ٤٣٦ ، ٢١٥
سعد بن أبي وقاص : ٦٨٧ ، ٦٨٦	سلامة بن سويط : ١٠٨
سعد بن زيد : ٩٦	سلامة شخبوط : ٦٣٤
سعد الدين باشا : ٥٩٢	سلطان بن أحمد : ٣٣٣ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥
سعدون بن غرير : ٨٧ ، ٧٤ ، ٧٣	سلطان بن بجاد : ١٩٦
سعدون بن عريعر : ٥٩٤ ، ٥٩	سلطان بن صقر : ٦٣٧
سعدون بن محمد بن براك : ٥٩٤	سلطان بن صقر آل ثانى : ٦٣٧
سعود بن سعيد : ١١٥	سلطان بن سيف : ٢٦٦ ، ٢٦٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣٠
سعود الثالث : ١٦٤ ، ١١٨	سلطان بن سيف الثاني : ٣٢٢ ، ٢٦٦
سعود بن عبد العزيز : ١١٨ ، ٧٤	سلطان بن مرشد : ٢٥٧ ، ٢٥٧
سعود بن عبد العزيز (الملك) : ١٣٩	٣٣١
سعود بن فيصل : ٥٩٥ ، ٤٤٤ ، ٩٦	سلطان بن أحمد : ٣٣٦ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦
سعود الكبير : ١١٨ ، ٧٤ ، ٧٣	سلمان بن حمد بن خليفة : ٦٠٢
١٥٠	٦٠٣

حرف الشين

- شاه ولد : ٧٢٥
 شارخ الفوارزن : ١٥٤
 شبرويه : ٣٨٠
 شبوط بن سلطان بن زايد : ٦٣١ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤
 شرحبيل بن يعفر : ٣٧٣
 شرف الدين بن محمد : ٤٦٢ ، ٤٣٤
 شريح بن عامر : ٦٨٦
 شعلان أبو الجون : ٦٠١
 شعيب البارقى : ٣٩٣
 شكيب أرسلان : ٤٧٢
 شمس المعالى : ٤٢٠ ، ٤١٩ ، ٤١٨
 شهاب الدين أحمد بن يحيى : ٦٤
 شهاب الدين أحمد العسكري : ٦٤
 شهر بن باذان : ٣٨٥ ، ٣٨٢

حرف الصاد

- صالح جير : ٦٠٤
 صالح بن داود : ٥٣٦
 صالح بن شريف : ٣٩٢
 صالح بن عثمان : ٨٠
 صالح بن على : ١٤٥
 صالح بن قرناس : ٧٩
 صاف البصري : ٥٧٣
 الصباح بن جابر : ٦٦١ ، ٦٥٤
 صباح بن المبارك : ٦٦١ ، ٦٥٤
 صحار العبد : ٣٦٠
 صدام حسين : ٦٠٧
 صعصعة بن صوحان : ٣٦٠
 صفى الدين : ٥٨٣
 صقر بن زايد : ٦٣٣
 صقر محمد القاسمي : ٦٣٩

- سلمان الفارسي : ٤٢٤
 سليم (السلطان) : ٤٣ ، ٤٢ ، ٣٢٠ ، ٤٤
 سليمان بن أبي سعيد الجنابي : ٥٤٩
 سليمان أغا (أبو ليلة) : ٥٩١ ، ٥٩٢
 سليمان باشا الصغير : ٥٩١ ، ٥٩٣
 سليمان بن طرف : ٤٠٤
 سليمان باشا الكبير : ٥٨٨ ، ٥٩١
 سليمان بن عبد الله الجميري : ٤١٧
 سليمان بن عبد الله بن زامل : ٧٩
 سليمان بن عبد الوهاب : ١٣٤
 سليمان بن عتنر التجيبي : ٣٩٢
 سليمان بن عفیصان : ٦١٦
 سليمان بن على : ٤٩٠ ، ٩٠
 سليمان القانوني : ٦١٥ ، ٥٨٧
 سليمان بن موسى الباھلی : ٨٩
 سنان باشا : ٤٦٦
 سنجر الشعبي : ٤٥٥
 سیخاریب : ٦٨٠
 السمح بن مالک : ٣٨٩
 سمیدع بن وعلة : ٣٨٧
 سنبر بن الحسین : ٥٧٣
 سونای : ٥٦٥
 سوید بن مقرن : ٢٥
 سیبویه : ٦٨٩
 سیحان بن صوحان : ٣٠١
 سيف بن احمد : ٤٤٦
 سيف بن بکر : ٥٣٦
 سيف بن ذی یزن : ٣٨٠
 سيف بن سلطان : ٢٦٦
 سيف بن عزار : ٧٩

عائشة خاتون : ٥٩٠
 عائض : ١٩٧
 عادلة خاتون : ٥٩٣ ، ٥٩٠
 عاصم بن عمرو : ٥٣٢
 عامر بن داود : ٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٨٧
 عامر بن طاهر : ٤٥٧ ، ٤٥٦
 عامر بن عبد الوهاب : ٤٦٢ ، ٤٥٧
 عامر الهمданى : ٣٨٢
 عباد بن عباد الجلندي : ٣٠١
 عباد بن عبد الله : ٥٣٢
 العباس بن عمر الشهابي : ٤١٣
 العباس العنوي : ٣١٣
 العباس بن المجاهد : ٤٥٢ ، ٤٥١
 العباس بن المكرم : ٤٣٩ ، ٤٣٨
 عبد الله : ١٩١
 عبد الحميد (السلطان) : ٦٥٦
 عبد الرحمن الابيراني : ٤٨٠ ، ٤٧٩
 عبد الرحمن بن زهلان : ٦٦
 عبد الرحمن عارف : ٦٠٧
 عبد الرحمن بن عبد الله خميس : ٦٥
 عبد الرحمن الغافقي : ٣٨٩
 عبد الرحمن بن فيصل : ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٦
 عبد الرحمن بن محمد : ٧٨ ، ٧٥
 عبد الرحمن النقيب : ٦٠٠
 عبد الرحيم ابراهيم الحميري : ٤١٣
 عبد السلام عارف : ٦٠٧
 عبد العزيز (الامام) : ٧٤
 عبد العزيز حسن الحضرى : ٥٠٨
 عبد العزيز الحصين : ١١٥ ، ١١٦
 عبد العزيز بن حمد : ١٥٢ ، ٧٩
 عبد العزيز بن حمد بن معمر : ٧٨

صلاح الدين الصباغ : ٦٠٤
 صلاح الدين الايوبي : ٤٢٠ ، ٤١٠
 ٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥
 الصلت بن مالك الأزدي : ٣١٠ ، ٣١٢
 الصلت بن مالك الخروصي : ٢٨٠
حرف الصاد
 الصحاك بن مالك الأزدي : ٣٩٠
حرف الطاء
 طاهر بن أبي هالة : ٣٨٢
 طاهر بن الحسين : ٣٢
 طاهر بن عامر : ٤٥٠
 طاهر بن معوضه : ٤٥٦
 طحنون بن زايد : ٦٣٣
 طحنون بن شخبوط : ٦٣١ ، ٦٣٢
 طرفه بن العبد : ٥٢٤
 طريف بن حاجز : ٢٥
 طغتكين الايوبي : ٤٤٦ ، ٤٤٧
 طغرلبك : ٦٩٩
 ابن الطفيلي : ٤١٧
 طلال بن عبد الله بن رشيد : ١٧٩ ، ١٨١
 طليحة بن خويلد : ٢٦ ، ٢٤
 طنج بن جف : ٥٧٦
 طهماسب : ٥٨٥
 ابن طولون : ٥٧٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٨
 طوسون بن محمد على : ١٤٩ ، ١٥٠
 ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤
حرف العين
 عائشة (أم المؤمنين) : ٣١ ، ٣١

- | | |
|--|--|
| عبد الله بن حاتم : ٤٢٢
عبد الله بن جحيلان : ١٥٣
عبد الله بن الحسني بن أحمد : ٤٣٦
عبد الله بن حسين : ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٠٠ ، ١٩٩
عبد الله بن حسين العمرى : ٤٧٥
عبد الله بن حمزة : ٤٤٩ ، ٤٣٣
عبد الله بن خاص الأزدي : ٣١٥
عبد الله بن راشد : ٤٩٠
عبد الله بن الربيع المدان : ٣٩٤
عبد الله بن رشيد : ٩٨ ، ٩٩١ ، ١٠٠ ، ٩٩١ ، ٣٨٩ ، ٣٨٩
عبد الله بن الزبير : ٩٣ ، ٥٣١ ، ٥٣٠ ، ٣٩٠ ، ٥٣٢ ، ٥٣١ ، ٥٣٠ ، ٣٩٣ ، ٥٣٥
عبد الله بن زهلان : ٦٥
عبد الله بن سالم : ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٣
عبد الله بن سالم الصباح : ٦٥٣ ، ٦٦٢
عبد الله بن سعود بن عبد العزيز : ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٣ ، ١٥٥
عبد الله شريف : ٥٢٦
عبد الله بن عائض : ٧٩
عبد الله بن العباس : ٥٣٣
عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد : ٣٩٠
عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل : ٨١
عبد الله بن عبد الوهاب المشرمي : ٦٥٠
عبد الله بن على بن مهدي : ٤١٠
عبد الله بن على بن الرشيد : ١٧٨
عبد الله بن عمير : ٤٢١ | عبد العزيز آل سعود : ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٥ ، ١٦٩ ، ١٥٨ ، ٢٦
عبد العزيز بن عبد الله بابطين : ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧٢ ، ١٧١
عبد العزيز بن محمد بن رشيد : ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٧٦ ، ١٧٥
عبد العزيز بن محمد بن سعود : ٢٠٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٠ ، ١٩٩
عبد العزيز بن عبد الرحمن : ١٩٥
عبد العزيز بن عبد الله بابطين : ٨٤
عبد العزيز بن محمد بن رشيد : ٨٧
عبد العزيز بن محمد بن سعود : ٧٦
عبد القادر العديلى : ١٤٠ ، ١٣٩ ، ٨٨
عبد القوى مكاوى : ١٧٢ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٦٩
عبد الفتاح اسماعيل : ٥٠٣ ، ٥٠٢
عبد الكريم قاسم : ٦٧٤
عبد الله بن أبياض : ٣٠٤
عبد الله أبو بطين : ٧٩
عبد الله بن أبي ربعة : ٣٨٧ ، ٣٨٦
عبد الله بن أبي سرح : ٣٩٢
عبد الله بن أحمد : ٤٧٤
عبد الله بن أحمد بن معمر : ٨٦
عبد الله بامصفر : ٥٠٨
عبد الله آل خليفة : ٦٤٠
عبد الله بن اسحق : ٤٠٤ ، ٤٠٤
عبد الله باشا الاول : ١١٨
عبد الله باشا الثاني : ١١٨ ، ٥٩٤
عبد الله الثالث : ١١٨
عبد الله بن ثنيان : ١١٨ ، ٧٤ ، ١٦٥
عبد الله بن ثور : ٢٨
عبد الله الجلندى : ٣٠٠
عبد الله جلوى : ١٧١ ، ١٧٠ |
|--|--|

- | | |
|---|---|
| عبد الوهاب الزياني : ٦٠٦
عبد الوهاب بن سليمان بن على : ٩٠
عبد الوهاب الشواف : ٦٠٨
عبد الوهاب بن طاهر : ٤٥٨ ، ٤٥٧
عبد الوهاب طلعت : ٢٠١
عبيد الله بن رشيد : ٧٥
عبيد الله بن زياد : ٣٩٨
عبيد الله بن العباس : ٤٣٦ ، ٣٨٨
عبيد الله المهدى : ٤١٧ ، ٤١٥
عبيدة بن الزبير : ٣٩٠
عتاب بن أسيد : ٢٧
عتبة بن أبي سفيان : ٣٩٠
عتبة بن غزوان : ٦٨٧
عثمان باشا الأعرج : ٥٨٩
عثمان بن أبي العاص : ٥٢٩ ، ٣٠٠
عثمان بن حميد بن عبد الله بن عمر : ١٢٥ ، ٨٩ ، ٨٨
عثمان بن عبد الجبار : ٦٥
عثمان بن العاص : ٢٢٩ ، ٢٧
عجلان : ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٠٠
عريعر بن دجين بن سعدون : ١٠٨
عرفجة بن هرثمة : ٢٥
عزان بن تميم الخروص : ٣٠٩ ، ٣١٠
عزان بن حجيلان : ١٥٣
عزان بن خضر : ٣١٠
عزان بن قيس : ٣٣٧
العزيز بالله الفاطمى : ٥٧٨ ، ٥٧٧
عطية بن الأسود : ٥٣٢ ، ٥٣١
ابن عفالق : ٨٩
عقيل بن أبي طالب : ٤٤١
عقيل بن ابراهيم : ٧١ | عبد الله بن عون : ٤١٨
عبد الله بن العيونى : ٥٨٧ ، ٥٨٢
عبد الله الفائز أبو الخيل : ٧٨
عبد الله بن فيصل : ٧٥ ، ٩٧
عبد الله بن قاسم بن ثانى : ٦١٨ ، ٦١٩
عبد الله بن لهيمة : ٥٠٨
عبد الله بن مالك الحارشى : ٣٦٢
عبد الله بن محمد بن ابراهيم : ٣٩٤
عبد الله بن محمد الأحسائى : ١٢٤
عبد الله بن محمد بن سعود : ١٥٢
عبد الله بن محمد بن مسعود : ١٥٢
عبد الله بن محمد بن عمر : ٨٦ ، ١٠٣
عبد الله بن مصعب : ٣٩٥ ، ٣٩٦
عبد الله بن المقفع : ٦٩١
عبد الله بن المهدى : ٤٤٦
عبد الله بن المهدى بن القاسم : ٤٦٦
عبد الله بن ناعمة : ٥٠٨
عبد الله الهمданى : ٤١٧
عبد الله بن يحيى : ٤٧٦ ، ٣٢
عبد الله آل يحيى السليم : ٧٧
عبد الله ئيل يحيى الصالح : ٧٧
عبد الله يحيى الكندى : ٣٩٣ ، ٣١
عبد الله بن يوسف : ٧٨
عبد الملك بن مروان : ٣١ ، ٣٠٣
عبد المجيد (السلطان) : ٤٦٧ ، ٤٦٦
عبد الناصر (جمال) : ٤٧٧ ، ٤٧٨
عسد النبي بن على : ٤١٠ ، ٤٠٩
عقبة بن ابراهيم : ٤٢٢ |
|---|---|

٨٠١

- علاء الدين الجلايري : ٧٣٦
 عكاشة بن ثور : ٣٨٢
 عكرمة بن أبي جهل : ٣٠١ ، ٢٥ ، ٣٨٦
 علاء الدين خوارزمشاه : ٧٠٧
 علاء الدين بن تكتش : ٧٠٥
 العلاء بن الحضرمي : ٢٨ ، ٢٧
 علاء الدين عطا : ٥٢٥ ، ٧٢١ ، ٥٢٧ ، ٥٢٦
 علاء الدين بن العلقمي : ٧١٦ ، ٧١٩ ، ٧١٨ ، ٧١٧
 على بن ابراهيم بن بخيت : ٤١٧
 على بن احمد البريكي : ٥٩٤
 على بن الاسطل : ٦٣
 على بن باشا الاول : ٥٩١
 على بهادر : ٧٢١
 على بن حاتم الهمданى : ٤٢٢
 على بن حسين : ١٩١ ، ١٩٣ ، ٧٣
 على بن حوشان : ٦١٩
 على بن خليفة : ٦١٩
 على بن داود بن رسول : ٤٥١
 على الدفعى : ٤٦٧
 على بن الربيع بن المدان : ٣٩٤
 على رضا : ٢٩١
 على بن سليمان بن العباس : ٣٩٥
 على شاه : ٧٢١
 على بن عبد الله باناعمه : ٥٠٨
 على بن عبد الله آل ثانى : ٦١٩
 على بن عبد الله صالح : ٤٨٢ ، ٥٠٦
 على بن عبد الله العيونى : ٥٨٦ ، ٥٩٠
 على بن عمر بن نهيان : ٣١٦
 على بن الفضل : ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٢٦ ، ٤١٦
 على بن قطن : ٢٥٧
- على بن محمد : ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩
 ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٦ ، ٥٤٣ ، ٥٤٢ ، ٥٤٠
 على بن محمد الاذرسي : ١٨٤
 على بن محمد الصليحي : ٤٠٦ ، ٤١٩ ، ٤٣٨ ، ٤٠٧
 على بن مهدى : ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٣٥ ، ٤٠٩
 على ناصر : ٥٠٥ ، ٥٠٣
 عمار بن ياسر : ٣٨٢
 عمارة اليمنى : ٤٣٢
 عمر احمد طويل : ٥٨٧
 عمر بن أبي الفضل الهمданى : ٤١٩
 عمر بن الاسطل : ٦٣
 عمر بن حزم الانصاري : ٣٨٣
 عمر بن الخطاب اليحصبي : ٣١٨
 عمر الخياط : ٦٩٩
 عمر بن رسول : ٤٤٦ ، ٤٥٠ ، ٤٥١
 عمر بن عبد العزيز : ٣١ ، ٣٠ ، ٣٠٣
 عمر بن عبد الله الانصاري : ٣٨٣
 عمر بن عبد الله الحضرمي : ٣٠٣ ، ٣٩١
 عمر بن عبد المجيد : ٣٩٤
 عمرو بن العلاء : ٦٨٩
 عمر بن على : ٤٤٩
 عمر بن عوض القميطي : ٤٩٠
 عمر بن نيهان : ٢٨٥ ، ٣١٥ ، ٣١٩
 عمر باشا : ٩٢
 عمران بن محمد بن سبا : ٤١٩
 عمرو بن العاص : ٤٥ ، ٣٠ ، ٢٦١
 عمرو بن العلاء : ٣٠٠ ، ٣٩٩ ، ٦٨٩
 (٢) - ٥١ - التاریخ ج ٧

الفرات بن سالم العيسى : ٣٩٤
 فروة بن عمرو الجذامي : ٢٣
 فروة بن مسيك المرادي : ٣٨١
 الفضل بن عبد الله بن على : ٥٨٨
 فضل بن على العبدلي : ٤٨٤ ، ٤٩١
 الفضيل الورتلاني : ٤٧٤ ، ٤٧٥
 الفلاح بن المحسن النبهان : ٣١٦
 فهد بن سلطان : ٩٦
 فهد بن سويم : ٩٦
 فهد بن عبد العزيز : ١١٨ ، ٢٢٥
 فهد بن غشيان : ٩٦
 فؤاد (الملك) : ٢٠١ ، ١٩٨ ، ٢٢٦
 فوزان بن حميدان : ٧١
 فولاذ بن أسبان : ٧٢٨
 فيصل (الثاني) : ٦٠١
 فيصل بن تركي : ١٧٨ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٦١٦ ، ٣٤٢ ، ١٧٩
 فيصل الدريوش : ٢١٢ ، ٢١٠
 فيصل بن سعود : ١٤٦ ، ١١٨
 فيصل بن عبد العزيز : ١١٨ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢١٩
 فيصل بن مساعد : ٢٣٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣
 فيصل بن على : ٣٦٦
 فيصل بن مساعد : ٤٢٣

حرف القاف

قابوس (السلطان) : ٢٧٧ ، ٢٧٥
 ٣٥٣ ، ٣٣٨ ، ٣٣٥ ، ٣٣٤
 ٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٤
 ٦٤٠ ، ٣٧٠ ، ٣٦٧ ، ٣٥٨
 قاسم باشا : ٥٧٧
 القاسم بن عمر الثقفي : ٣٩٠

عياض بن غنم : ٦٨٧ ، ٦٩١
 عيسى بن جعفر الحسيني : ١٨٨
 عيسى بن سلمان : ٦٠٣ ، ٦٠٧
 عيسى بن عبد الله بن شاذان : ٢٧٩
 عيسى بن على خليفة : ٦٠٣ ، ٦٠٦
 عيسى بن عمرو : ٦٨٩

عيسى بن موسى : ٥٧٢
 عيسى بن نهيان : ٦٣١

حرف الغين

غازي بن يفصل : ٦٠٠
 غالب (الشريف) : ١٤١ ، ١٤٢
 ١٩٠

غالب بن على : ٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٢٨٥
 غالب القعبيطى : ٥٠١
 غالب بن محسن الكثيري : ٥٠٩
 غالب بن مساعد : ١١٢ ، ١٢١
 غانم بن كاسر : ١١١
 غرير بن على العيونى : ٥٨٨
 الغرور بن سويد : ٥٢٧
 غسان بن عبد الله : ٢٨٦
 الغطريف بن عطاء : ٣٩٤
 غوث بن سليمان : ٥٠٨

حرف الفاء

فاثك بن جياش : ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨
 فاثك بن محمد : ٤٠٦
 فاثك بن منصور : ٤٠٦
 الفاثكتى : ١٨٨
 فاسكودى جاما : ٤٥٨ ، ٥٩٢،٤٦١
 فخر الدين بن على : ٤٥٠
 الفراء : ٦٩٥

- ٨٤٣ -

- | | |
|--|---|
| <p>كيلان مصطفى : ٥٨٧
کوهر خان : ٧٣٣</p> <p>حرف السلام</p> <p>للا حسين : ٥٨٤
لقيط بن مالك الأزدي : ٣٠١.
لهيعة بن عيسى : ٥٠٨
لويس التاسع : ٧١٣</p> <p>حرف الميم</p> <p>مازن بن غضوبية : ٣٦٣ ، ٣٦٤
٣٧٩ ، ٣٦٥</p> <p>المأمون : ٤٢٩ ، ٤٤٨
ماجد بن عرعر : ٥٩٥
ماجد بن ختيلة : ٢١٢
ماجد بن سعيد : ٣٣٥ ، ٣٥٣</p> <p>مارکوبول : ٢١٧
مالك بن الاشتر : ٣٨٨
مالك بن ايفع : ٣٨١
مالك بن حنظلة : ٨٠</p> <p>مالك بن نويرة : ٢٧ ، ٢٥
مالکولم جون ميد : ٦٥٨
مانع بن عثمان : ٥٣
مانع بن عصفور : ٥٩١</p> <p>مبارك بن صالح : ٦٥٦ ، ٧٦
٦٦٠ ، ٦٥٩ ، ٦٥٨
٦٦٣ ، ٦٦٢ ، ٦٦١
متعب بن الرشيد : ١٨١
المثنى بن حارثة : ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦</p> <p>المحسن بن أحمد : ٤٦٧
محسن العيني : ٥٠٥</p> | <p>القاسم بن محمد : ٤٣٤ ، ٤٦٦
قاسم بن آل ثانى : ٦١٧ ، ٦١٨
القاسم بن يحيى : ٤٤٥
قانصورة الغوري : ٤٦١ ، ٤٦٢
قتادة (الشريف) : ١٨٨
قطنم بن العباس : ٥٣٦
قدامة بن مظعون : ٥٢٦
قرة محمد بن بيرام : ٧٢٨ ، ٧٢٦
قرة يوسف : ٧٢٨
قطب الدين بن ملكشاه : ٧٠٥
قطري بن الفجاعة : ٦٢٢ ، ٣٠٤
٦٢٣</p> <p>القعيطى اليافعى : ٥٠٩
قنعز سلطان : ٥٨٤
قيس بن أحمد : ٣٥٠
قيس بن سعيد بن عبادة : ٣٨٨
قيس بن هبيرة : ٦٨٦ ، ٣٨٧</p> <p>حرف الكاف</p> <p>كافور الاخشيدى : ٤٠
كامل شبيب : ٦٠٤
كركوك : ٦٨٣
الكسائى : ٦٩٠
كسرى : ٣٨٥
كشاجم : ٥٤٩
كعب بن سوار : ٣٦٠
كمال التركى : ٤٦٣
الكميت بن زيد : ٦٩١ ، ٣٧٤
كنفير بن مالك : ٣٩١
كهلان : ٣٩١
كوجك حسن : ٥٨٧
كودة احمد : ٧٣٣ ، ٧٣١
كيرال : ٣١٩
كيزروف : ٦٥٩</p> |
|--|---|

- | | |
|---|--|
| <p>محمد بن خليفة : ٦٠٢
 محمد الدبياج : ٣٤
 محمد بن راشد العرينى : ١٣٦
 محمد بن رجاء : ٥٤٢ ، ٥٤٤
 محمد بن زياد : ٤٨٩ ، ٣٩٧
 محمد بن زيد المخارقى : ٣٩٤
 محمد بن سبا رزيع : ٤٤١ ، ٤٤٠
 محمد بن سعود : ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠
 محمد بن عائض : ١٢٧ ، ١٢١ ، ١٢٦
 محمد بن سليمان بن على : ٧٠
 محمد بن سويم العرينى : ١٢٦
 محمد بن سلوم الفرضى : ٦٥
 محمد بن سيرين : ٥٢٦
 محمد بن شخطوط : ٦٣١
 محمد بن شرف الدين : ٤٧٣ ، ٤٧٠
 محمد بن عائض : ١٨٥
 محمد بن العيد المحسن : ٨١
 محمد بن عبد الرحمن بن سعود : ١٧١ ، ١٧٠
 محمد بن عبد العزيز : ٨٠
 محمد بن عبد العزيز بن مانع : ٧٩
 محمد بن عبد الله الانصارى : ١٠٨
 محمد بن عبد الله الخليلى : ٢٨٥ ، ٣٤٠ ، ٣٣٩
 محمد بن عبد الله الدوسى : ٩٠
 محمد بن عبد الله بن رشيد : ٩٦
 محمد بن عبد الله بن الوزير : ٤٣٥
 محمد بن عبد الله بن زياد : ٤٠٤ ، ٤٣٤
 محمد بن عبد الله بن مالك : ٣٩٤
 محمد بن عبد الله بن مانع : ٧٩
 محمد بن عبد المحسن بن على : ١٧٨
 محمد بن عبد الملك الزيات : ٧٢٢</p> | <p>محسن بن فضل : ٤٩٦
 محمد بن ابراهيم الحضرمى : ٥٠٨
 محمد بن ابراهيم بن طباطبا : ٤٢٧
 محمد بن ابراهيم بن يعفر : ٤١٤
 محمد بن ابراهيم الهاشمى : ٣٩٥
 محمد بن ابراهيم أبو الخليل : ٧٨
 محمد بن أبي الغارات : ٤٣٧
 محمد بن أبي القاسم السلمى : ٣١٦
 محمد بن أحمد بن اسماعيل : ٦٥
 محمد بن أحمد بن عبد الله : ١٠٧
 محمد بن أحمد العيونى : ٥٨٨
 محمد بن أحمد العقدى : ٥٩٠
 محمد بن أحمد بن سعيد : ٢٨٠
 محمد بن أحمد بن معمر : ٨٦
 محمد بن اسماعيل بن القاسم : ٤٣٤
 محمد الادرىسى : ١٨٤
 محمد بن براك : ٥٩٤
 محمد بن بيرام : ٧٢٩
 محمد بن ثان : ٦١٧ ، ٦١٦
 محمد الجابرى : ٦٠٢
 محمد بن جعفر الحسينى : ٤٠
 محمد بن جفير : ٢٥٧
 محمد بن جناح : ٣٠٦
 محمد بن حاتم الهمданى : ٤٢٢
 محمد بن الحارث (الشريف) : ١١١
 محمد بن الحسن : ٣٠٧
 محمد بن حسن الجمل : ٧٦
 محمد بن حسين بن عثمان : ٥٣
 محمد بن (خرافش) : ٨٩ ، ٨٧
 محمد بن حمد الشارق : ٦٣٩
 محمد بن حمد بن عبد الله : ٧٥
 محمد بن خالد بن برمك : ٥٠٥
 محمد خان شرف الدين : ٥٨٤</p> |
|---|--|

- | | |
|---|--|
| <p>محمد يحيى حميد الدين : ٤٣٥ ، ٤٦٩</p> <p>محمد بن يعفر : ٤١٣</p> <p>محمد بن يوسف : ١٠٦</p> <p>محمد بن يوسف الثقفي : ٣٩٠</p> <p>محمد بن يوسف بن وجيه : ٣١٥</p> <p>محمود الثاني : ٥٩٥</p> <p>محمود الجائفي : ٤٧٩</p> <p>محمود سليمان : ٦٠٤</p> <p>محمود غازان : ٧٢٣ ، ٧٢٢</p> <p>محمود بن ولد : ٧٢٥</p> <p>محمود بن شاه ولد : ٧٢٦</p> <p>المختار بن أبي عبيد : ٦٩٣</p> <p>المختار بن عوف الأزدي : ٣٢</p> <p>مخروم بن الفلاح : ٣١٦</p> <p>مدحت باشا : ٥٩٥</p> <p>مراد (حفيد جاهنكير) : ٧٣٠</p> <p>مرعى بن حسين بن سرحان : ٥٠٩</p> <p>مرة بن الوليد : ٣٦٠</p> <p>مروان بن الحكم : ٣١ ، ٣٨٩</p> <p>مروان بن محمد : ٣٩٣ ، ٣٢</p> <p>السعود أبو القاسم بن رسول : ٤٥١</p> <p>مسعود العبدى : ١٠٦ ، ٥٣٤</p> <p>مسعود بن عوف الكلبى : ٣٩٠</p> <p>السعود بن المكرم : ٤٣٨</p> <p>مسعود بن يمانى الكنانى : ٤٩٠</p> <p>السعود يوسف بن الكامل : ٤٤٧ ، ٤٤٨</p> <p>مسلم بن عقبة المرى : ٣٩٢ ، ٣٠</p> <p>سلمة بن عبد الملك : ٦٩٤</p> <p>مسيلمة الكذاب : ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥</p> <p>٣٠١ ، ٨٤ ، ٨٣</p> | <p>محمد بن عبد الوهاب (الشیخ) : ٦٥ ، ١١٦ ، ١١٥ ، ٦٦</p> <p>١٣١ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٠</p> <p>١٣٦ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٢</p> <p>١٣٧</p> <p>محمد عبد الوهاب بن عبد الله : ٨٩</p> <p>محمد عبده (الإمام) : ١٤٣</p> <p>محمد بن عفالق : ٧٨</p> <p>محمد بن عفان الأزدي : ٣١٠</p> <p>محمد بن عفيفيisan : ٧٦</p> <p>محمد على باشا : ٧٤ ، ٦٩ ، ٤١</p> <p>٧٩ ، ٧٥</p> <p>محمد بن على بن عبيد : ٨٩</p> <p>محمد بن على الوشلى : ٤٣٣</p> <p>٤٥٨</p> <p>محمد بن على بن عيسى : ٤٩٦</p> <p>محمد على علوية : ٤٧٣</p> <p>محمد بن على بن رشيد : ٨٧</p> <p>محمد بن على الأدرسي : ١٨٤</p> <p>محمد بن عمر نيهان : ٣١٤</p> <p>محمد بن عون : ١٩١</p> <p>محمد الفاتح : ٧٣٣ ، ٤٦٤</p> <p>محمد بن الفضل : ٥٨٨</p> <p>محمد بن فضل : ١١٠</p> <p>محمد بن القاسم : ٤٣٤</p> <p>محمد المدنى : ١٢٤</p> <p>محمد المجموعى : ١٢٤</p> <p>محمد مصطفى المراغى : ٢٠١</p> <p>محمد ميرزا : ٧٣٣ ، ٧٣٠</p> <p>محمد بن نافذ باشا : ٥٩٥</p> <p>محمد بن ناصر بن عامر : ٤٤٤</p> <p>محمد بن الناصر : ٤٣٣</p> <p>محمد بن ناصر بن معمر : ١٣٦</p> <p>محمد ناصر الدين : ٧٣٣</p> |
|---|--|

- ٨٠٦ -

منصور بن فاتك : ٤٠٧ ، ٤٠٦
المنصور بن المفضل : ٤١٩
المنصور بن الناصر : ٤٣٢
منصور بن يزيد الحميري : ٣٩٥
المنصور بن يوسف بن رسول : ٤٥١
منير الأسطل : ٥٧
المهاجر بن أبي أمية : ٢٧ ، ٢٥ ، ٣٨٥ ، ٣٨٢
المهدى بن الحسين : ٤٥٥
مهدى بن على : ٤٠٩
المهلب بن أبي صفرة : ٣٦٠
المهلل بن ربيعة : ٧٠
مهنا بن جعفر اليمدمى : ٣١٠
مهنا بن سلطان : ٣٢٢
مهنا بن ناصر : ٥٩٦
موسى بن ربيعة : ٥٢
موسى بن عامر : ٨٩
موسى بنت وطبيان : ١٢٦ ، ١٢٧
المؤيد الرسولى : ٤٥٤
ميمون المبارك : ٤٤٢
ميمون بن هارون : ٦٩٠
ميمونة بنت الحارث : ١٢٢

حرف النون

نابليون : ٥٩٧
الناخودة : ٤٦٣
نادر شاه : ٢٦٦
الناصر بن طفتكن : ٤٤٧
ناصر بن عبد الرحمن السجحى : ٦٧
ناصر بن عبد الله بن معمر : ٨٦
الناصر بن محمد : ٤٣٣
ناصر بن مرشد : ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢١ ، ٢٦٦
٣٢٥

مشارى بن سعود : ١٦٣ ، ١١٨
مشارى بن معمر : ٧٨
مصعب بن الزبير : ٥٣٢ ، ٥٣٥ ، ٦٩٣
مصطفى جلبى : ٧٣٢
مطهر بن على : ٤٩٦
المطهر بن محمد (الوزير) : ٣١٥
مظفر الدين : ٤٤٦
المظفر بن سليمان : ٣١٦
المظفر بن عمر : ٤٥٣ ، ٤٥٤
معاذ بن جبل : ٣٧٥
معازة : ٣٦١
معاوية : ٣٨١ ، ٣٠٢ ، ٣٢ ، ٣٠ ، ٤٢٤ ، ٣٨٢
معز الدين جاھنكير على : ٧٣٠
معمر بن عمر بن ثيماں : ٣١٥
معن بن حاتم الهمدانى : ٤٢٢
معن بن زائدة الشيبانى : ٣٩٤ ، ٤٨٨
المغيرة بن أبي العاص : ٥٢٧
المغيرة بن شعبة : ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٦٨٦
المفضل بن أبي البركات : ٤١٩
المكرم الصليحي : ٤١٨ ، ٤٠٧
المكعب : ٥٢٧
ملکشاه : ٧٠٥
ـ من الله الفاتكى : ٤٠٧
المنذر بن ساوي : ٥٢٤ ، ٥٢٥
منصور الباهلى : ٦٤
منصور البوهقى : ٧٩
المنصور بن جعفر الخياط : ٥٤٥
منصور (الشريف) : ١١٥
المنصور بن الحسن بن زادان : ٤١٥ ، ٤١٧
منصور أبو الخيل : ٧٣

هشام بن المقبب : ٤٢٢
 هشام بن عبد الملك : ٥٠٨ ، ٦٩٤
 هولاكو : ٤٥٤ ، ٥٨٩ ، ٧٠٢ ،
 ٧١٧ ، ٧١٦ ، ٧١٥ ، ٧١٤
 ٧٢٣ ، ٧٢١
 الهيسن بن عبد الرحمن الهمданى
 ٥٥٧ ، ٣٩٦

حرف الواو

وائل بن حجر الكندى : ٣٨١ ، ٢٣ ،
 ٥٠٧ ، ٣٨٢
 الوارث بن كعب اليحمدى : ٣١٠
 واصل بن عطاء : ٦٩٠
 وطبان بن موسى بن طوق : ٧٦
 الوليد بن عمر : ٣٩٠
 الوليد بن يزيد : ٥٠٨
 وهرز : ٣٨٠
 وهيب باشا : ١٩٢

حرف الياء

ياسر بن عمار : ٣٨٢
 ياسين المهاشمى : ٦٠٣
 ياقوت التعزى : ٤٤٦
 ابن يامن : ٥٢٥
 يحيى بن الأشرف بن رسول : ٤٥٠
 يحيى بن الحسين : ٤٢٨ ، ٤٣٠
 يحيى بن حسن سرحان : ٥٠٩
 يحيى بن خالد البرمكى : ٣٩٦
 يحيى بن زياد : ٥٢٦
 يحيى بن سلامة : ٧٦
 يحيى السليم : ٦٩
 يحيى بن عبد المحسن : ٤٣٢
 يحيى بن عياش : ٥٨٧ ، ٥٨٣

نافع بن الأزرق : ٣٠٤
 نافع بن عقبة : ٥٣٧
 نبهان بن عمر بن نبهان : ٣١٤
 نبوخذ نصر الثاني : ٦٨٠
 نجاح : ٤٠٧ ، ٤٠٦
 نجدة الخارجي : ٤٣١ ، ١٠٦ ،
 ٤٣٢
 نجدة بن عويمر : ٥٣١ ، ٤٣١
 نزار بن المستنصر : ٧١٤
 نصر آل مذكور : ٦٠٣ ، ٥٩٥
 نصر بن الأزد : ٢٩٧
 نصر الدين الطوسي : ٧١٤
 نصوح باشا : ٥٨٧
 نظام الملك : ٦٩٩
 النعمان بن بشير : ٣٩٠
 نعمان بن طلال : ٢٣
 نعمان بن عبد الله الحضرمي : ٥٠٨
 النعمان بن بشير : ٦٩٣
 النعمان بن المنذر : ٥٢٤
 نعيم بن طلال : ٢٣
 نعيم بن عيد كلال : ٣٧٧
 نعيم بن وضاح الأزدي : ٤١٢
 نفيس : ٤٠٦ ، ٤٠٥
 نور الدين زنكى : ٤٤٥
 نور الدين حمزة : ٧٣٠
 نور الدين السالمى : ٣٣٩ ، ٢٨٥
 نورى السعيد : ٦٠٧ ، ٦٠٤ ، ٦٠٣

حرف الماء

الهادى بن يحيى : ٤٢٥
 هارون الرشيد : ٦٩٥ ، ٤٣٠ ، ٣٤
 هارون بن غريب : ٥٧٢
 هذيل بن مدركة : ٥٧٢
 هرثمة : ٤٢٧

. ٨٠٨ .

- | | |
|---------------------------------------|---|
| يعلى بن منيـه : ٣٨٣ ، ٣٨٦ | يحيى بن محمد حمـيد الدين : ٤٦٩ |
| يعفر بن عبد الرحيم : ٤١٣ ، ٤١٤ | ٤٧٢ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ |
| يعقوب (حفيـد جاهـنـكـير) : ٧٣١ | يحيى بن محمد السـراجـي : ٤٥٥ |
| يوحـنا المـعـدانـ : ٧١٧ | يـحيـيـ بنـ مـيمـونـ : ٥٠٨ |
| يوسفـ بنـ أـبـيـ السـاجـ : ٥٦٩ | يزـيدـ بنـ بـوـجـيرـ : ٣٩٠ |
| يوسفـ بنـ عـبـدـ اللهـ : ٦٦٤ | يزـيدـ بنـ جـرـيرـ الـقـسـريـ : ٣٩٠ |
| يوسفـ بنـ عمرـ الثـقـفـيـ : ٢٩٠ | ٣٩٦ |
| يوسفـ بنـ عمرـ بنـ رـسـولـ : ٤٥١ | يزـيدـ بنـ عـبـدـ الـمـلـكـ : ٦٩٤ |
| ٤٥٤ | يزـيدـ بنـ مـرـخـانـ : ٧٧ |
| يوسفـ بنـ مـحـمـدـ بنـ المـتـوـكـلـ | يزـيدـ بنـ مـعـاوـيـةـ : ٣٨٨ ، ٣٩٠ |
| اسـمـاعـيلـ : ٤٣٠ | ٦٩٣ |
| يوسفـ بنـ وـجـيهـ : ٣١٤ ، ٣١٥ | يزـيدـ بنـ مـنـصـورـ الـحـمـيرـيـ : ٣٩٥ |
| يونـسـ بنـ حـبـيـبـ : ٦٨٩ | يزـيدـ بنـ الـمـهـلـبـ : ٦٩٤ |
| يونـسـ بنـ حـسـنـ بنـ سـرـحـانـ : ٥٠٩ | يـعـربـ بنـ بـلـعـربـ : ٣٢٢ |
| يونـسـ بنـ عـطـيـةـ : ٣٩٢ ، ٥٠٨ | يعـلىـ بنـ اـمـيـةـ : ٢٧ |

فهرست البلدان والأماكن

حذفنا من الكشاف البلدان التي عقدت لها فصول خاصة ، وكثير ورودها في كثير من صفحات الكتاب ، مما يجعل ايرادها هنا قليل الفائدة ، وهذه البلدان هي :

البحرين أو الأحساء - البصرة - بغداد - الحجاز - حضرموت -
صنعاء - عدن - العراق - عمان - الكويت - مصر - نجد - اليمن .

أم الروس : ٦٥٢

أم سعيد : ٦٢٢

أم العصافير : ٩٦

أم القويين : ٦٣٨ ، ٦٢٧

الأخبار : ٥٧٢

أندونيسيا : ٣٧٨ ، ٣٩٢ ، ٥٠٩

أوال : ٤١١ ، ٥٧٨ ، ٥٨٠ ، ٥٧٣

أوغندا : ٢٧١

ایران : ٢٤٥ ، ٦٠٦ ، ٦١١

ایطاليا : ١٥٧ ، ٣٧٥

حرف الباء

باب المندب : ٤٨٤ ، ٣٧٣

بابل : ٦٨٨

الباطنة : ٣١٢

باكستان : ٢٩٦

بيان : ٨٦

البحرين : ٣٠ ، ٢٨

بخارى : ٧٠٩ ، ٧٥٥

البرتغال : ٤٥٨ ، ٣٢٤ ، ٥٩٣

بريدة : ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٥٠

١٧٣ ، ١٠٨

بريم : ٤٨٤

بريطانيا : ٣٢٤ ، ٣٢٣

البصرة : ٧٠ ، ٣٠

حرف الألف

آمد : ٧٣٠

أبين : ٣٩٨ ، ٥٢٢

أبو ظبى : ٦٢٧

أبو عريش : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٩٨

الأبلة : ٦٨٥

أبرا : ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٢٥٧

أبها : ٢٣١

أترار : ٧٠٨ ، ٧٠٧

الاحمدى : ٦٥٢

الأخضر : ٢٠٠

أذربيجان : ٧٢٦ ، ٧٢١ ، ٧١٠

أذربىجان : ٧٢٨

أربيل : ٧١٢

أرديبيل : ٧٣٥

أرمينية : ٦٨٢ ، ٦٨٧

الأزبكية : ١٣٧

أزكى : ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨

استانبول : ٦٥٨

أشيقر : ٦٤ ، ٥٧ ، ٧١ ، ٧٠

أصفهان : ٥٥٢ ، ٧٩٩

أفغانستان : ٥١٩ ، ٣٣٨

الافق : ١٥٨

الأندلس : ٥٩٢ ، ٥٠٨ ، ٣٨٩

الموت : ٧١٤

تهمة: ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٢٣٣
 تهمة عسيران: ٤٠٦ ، ٣٦ ، ٤٩٠
 تبريرم: ١٧٩ ، ١٤٠ ، ٩١ ، ٥١
 تيماء: ١٩٧
 تونجي: ٣٤٧

حُرْفُ الشَّاء

شہزادا : ۱۳۸

حروف الحسين

جاكارتا : ٢٢٣
 جالديران : ٥٨٥
 جبل شمر : ٤٨ ، ٦٠ ، ٥٦ ، ٩٢ ، ٩١
 الجبيلة : ٤٩ ، ٤٧٨ ، ٢٢٩
 جدة : ٤٧٨ ، ٢٢٩
 جرش : ٢٨
 الجزائر : ٤٦٤
 الجزيرية : ٦٨٤
 جلاجل : ١٠٣
 جلفار : ٣٦٢ ، ٦٣٩
 جلولاء : ٦٨٦
 جنابة : ٥٦٢
 الجند : ٣٩٨ ، ٧٠٥ ، ٤٤٢
 جعلان : ٥٩٢
 جنيف : ٦٢٠
 الجهرة : ٦٥٢
 جواردور : ٣٥٢
 جواشا : ٤١٨
 جوداراما : ٨٠
 الجوف : ٤٨ ، ١٩٧ ، ١٥٣ ، ٥٠
 جيزان : ٤٧٧ ، ٢٣١

البكيرية ٦٢ ، ٦٥ ، ١٣١
 بكين : ٣٧٦
 بلاحف : ٤٨٤
 بلخ : ٧٠٥
 بلوختستان : ٢٩٨ ، ٣٤٩
 بليلدة : ١٠٣
 بمبای : ٣٠٦
 بمنات : ٣٧٣
 بندر عباس : ٦٢١
 بهلاء : ٢٤٥ ، ٢١٧
 بوبیان : ٦٥٠
 بهلاء : ٢٥٨
 البوریمی : ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
 بوشهر : ٤٥٧ ، ٥٣٥
 البوصیر : ١٣٠
 بولندا : ٧١٢
 بیر احمد : ٤٨٤
 بیحان : ٤٨٤
 بیروت : ٤٩٤
 بیردیره : ٦٣٥

حروف النساء

تایلاند : ٥٠٩
 تبریز : ٧٢٣ ، ٧٢٤
 تدمیر : ١٥٦
 تربیة : ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧
 ترجان : ٧٣٣
 ترکستان : ٧٠١
 ترکیا : ١٧ ، ١٤٧ ، ١٤٢ ، ١٦٢
 تعز : ٤٣٣
 تکریت : ٦٠٠
 تلعفر : ٧٣٥
 تننجانیقا : ٢٥٩

- ٨١١ -

خراسان : ٢٦٣ ، ٣٩٨ ، ٣٨٩
 ٦٨٨ ، ٦٩٤
 خربة : ١٩٧ ، ١٩٦
 الخرج : ٤٨ ، ١٧٣
 المخترق : ٤٧٨
 الخط : ٥٣٥ ، ٩٥
 خورفكان : ٦٢٩ ، ٦٣٧
 خير : ١٤٠ ، ٩٣
 الخور : ٦٢٢
 الخوير : ٦٢٢
 خولان : ٣٨٩ ، ٢٨

حرف الدال

داريا : ١١٧
 دافقا : ٧١٠
 دامون : ٣٢٧
 دبي : ٦٢٧ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦
 دخان : ٦٢١
 الدرعية : ٢٨ ، ٨١ ، ٨٨ ، ٩٠
 ١٠٣ ، ١٣٧ ، ١٥١
 دعان : ٤٧٣
 الدمام : ٢٢٨
 دمشق : ١٧ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ١٩٣ ،
 ٧١٢ ، ٧١٥ ، ٧١٠
 دهلك : ٤١٨
 الدوحة : ٦١٥
 الدواسر : ٤٨
 دوحة الجندي : ١٧٨
 ديار بكر : ٧٣٥ ، ٧٣٠
 ديار كنده : ٤٨٩ ، ٣٩٨
 ديو : ٣٢٧

حرف الحاء

حائل : ٩١ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٩٣ ، ٩٣
 ١٧٧ ، ١٧٤ ، ٩٩ ، ٩٥
 ٢١٨ ، ١٩٧
 الحديدية : ٤٧٠ ، ٤٠٢
 سديقة الموت : ٢٨
 حران : ٦٨٧ ، ٧١٥
 حرض : ٣٧٥
 حزمة : ٦٥ ، ١٢١
 حريب : ٤٨٩
 حريز : ٣٧٤
 الحريق : ٤٨ ، ٧٢
 حضرموت : ٢٨ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦
 ٣٩٨
 حريملاع : ٤٣١ ، ٨٨
 حلب : ١٩٣ ، ٥٥٢ ، ٧١٩
 السحلة : ٦٨٠
 حمادة : ٩٦
 حماة : ١٩٣ ، ٥٦٤
 حمص : ١٩٣ ، ٣٩١
 حمررين : ٧١٢
 الحنايكة : ١٥٠ ، ١٥٥
 حوططة سدير : ٤٨٤
 حوزان : ١٧٩
 حيدر أباد : ٥٠٩
 الحيرة : ٢٥٧ ، ٦٨٤
 حيفا : ٥٩٦

حرف الخاء

الخابورة : ٤٥٩
 الخبراء : ٥١ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ١٢٩
 ١٣١ ، ١٣٠

- ٨١٢ -

حرف السين

السالمية : ٦٥٢
 سامراء : ٢٥٧ ، ٦٩٦
 سببع : ٤٩
 سجستان : ٦٩٤ ، ٣٠٢
 سدير : ٤٨ ، ٥٤ ، ٨٢ ، ٩٦ ، ١٧٣ ، ١٣٩
 سرمدا : ٨٨
 السروات : ٣٦
 سعد : ٢٥٧
 سفاله : ٣٤٧
 سلانيك : ١٦٥
 سمد : ٣٢٣ ، ٣١٨ ، ٣٠٩
 سلمية : ٣٢٦
 السلمانية : ٦٨٢
 سمايل : ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٧ ، ٢٥١ ، ٢٩٤ ، ٢٥٨
 سمرقند : ٧٠٦ ، ٧٠٥
 سميح : ٦٤١
 سنغافورة : ٥٩١ ، ٥٠٩
 السودان : ٦٧٤
 سوقطرة : ٤٨٤
 سومطرة : ٣٨٨
 السويس : ٤٦٥ ، ٢٤١ ، ١٤٧
 السوق : ٣٥٠
 سيراف : ٤٤٢
 السينية : ٦٣٨

حرف الشين

الشارقة : ٦٢٧ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧
 شمام : ٤٤٢ ، ٤١٤ ، ٤١٣
 الشبيبة : ١٥١
 الشحر : ٤٨٩ ، ٣٩٨

حرف الدال

ذخار : ٤٤٢
 ذمار : ٤٣٣ ، ٤٣٠ ، ٤٥٧
 ذو المجار : ٥٥ ، ٥٣٢

حرف الراء

رأس تنوره : ١٩٥
 رأس الخيمة : ٣٢٥ ، ٣٠٧ ، ٢٦٢
 رأس الرجاء الصالح : ٥٩١ ، ٢٦١
 رابغ : ٢٠١
 رداع : ٤٣٠
 الرس : ٤٢٨ ، ٦٦ ، ٦٢ ، ٥٠
 الرستاق : ٢٥٦ ، ٢٥٤ ، ٣٢٣ ، ٢٦٣ ، ٢٥٨
 الرصافة : ٦٩٥
 الرقة : ٦٨٧
 الرملة : ٥٧٧
 الراها : ٦٨٧
 روسييا : ٢٧١
 روسييا : ٥٩١ ، ٥١٩ ، ١٦٢
 روضة سدير : ١٠٣ ، ٩٦
 الرياض : ٤٩ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٨٣ ، ٢١٧ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٨
 ريدان : ٣٧٣
 الريان : ٦٢٢
 الري : ٧١٠ ، ٧٠٩

حرف الزاي

الزيارة : ٦٢٢ ، ٦١٦
 زبيد : ٣٩٧ ، ٢٨
 زنجبار : ٣٢٦ ، ٣٠٣ ، ٢٩٨
 ٣٣٦

- ٨١٣ -

ظفير : ١١١ الظهران : ٢٤٠ ، ٢٢٨ حرف العين العارض : ٤٨ ، ٨٥ ، ٨٢ ، ٤٩ ، ١٠٨ ، ٨٩ عبادان : ٤٣٢ عبرى : ٢١٨ العترة : ٤٠٨ عنتية : ٩٦ ، ٦٩ ، ٤٩ عجمان : ٦٣٠ العرיש : ٦٢٢ عسير : ١٤١ ، ١٦٢ ، ١٧٤ ، ٤٢٣ ، ١٩٧ ، ١٧٧ العقبة : ٢٠١ عقدة : ٩٧ ، ٩١ العقارب : ٤٨٤ عقربا : ٨٧ العقير : ١٧٦ ، ١٧٧ العقيلة : ٦٦ ، ٦٤ عكا : ٥٩٤ عكاظ : ٥٥ العمارية : ٨٧ العنبرة : ٣١٥ عنيزة : ٧٠ ، ٦٩ ، ٥٠ ، ٤٩ ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧١ ١٧٩ ، ١٧٣ ، ٧٧ العواقل : ٤٨٤ عين بزاحة : ٢٤ عين التمر : ٥٧٣ ، ٥٧٢ عين جالوت : ٧١٩ ، ٥٩٠ عين زبيدة : ٤٠ ، ٣٣ عين شمس : ٥٧٦ العيون : ٤٦٤ ، ٦٤ ، ٥٠	الشعرا : ١١٢ شمر : ٩٦ ، ٩١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٤٩ ، ١٤٥ ، ١٣٩ شقرا : ١٥٥ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٦٩ شهبار : ٢٧٢ الشويخ : ٦٥١ ، ٦٥٠ شيراز : ٦٢١ ، ٧٢٣ حرف الصاد الصبرة : ٦٣٩ الصبيحة : ٤٨٤ صبيا : ٢٣١ صحار : ٢٦٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦١ ٥٩٢ صعدة : ٤٢٦ ، ٣٦ ، ٤٣٣ صنعاء : ٣٦ الذهبة : ١٤١ صور : ٢٦٢ ، ٢٥٦ الصومال : ٥٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٨ الصين : ٣٧٨	 حرف الضاء ظفار : ٣٥٦ ، ٢٩٠ ، ٢٥٠
--	---	--

القصيم : ٧١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٤٨	العيينة : ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٥٠
١٧٩ ، ١٥٣ ، ١٣٩ ، ٩٨	١٠٣ ، ٨٨ ، ٨٥
قطر : ٩٩	حرف العين
القطيف : ٢٢٨ ، ١٤٠ ، ٨٧	غزالة : ٨١
٥٦٢ ، ٥٣١	غزنة : ٧٠٥ ، ٧٠٦
قفار : ٩١	الغطغط : ٦٤ ، ٢١٢ ، ٢١٣
قلعة الحزم : ٢٦٩ ، ٢٦٨	حمدان : ٤١١
قلعة خولان : ٣٨٩	حرف الفاء
قلعة همدان : ٣٨٩	الفجيرة : ٦٣٩ ، ٦٢٩ ، ٢٤٩
قلعة يحصب : ٣٨٩	فخ : ٣٥
قلهات : ٢٥٦	فديك : ٩٣ ، ٩١
قسم : ١٠٧	فرنسا : ٢١٦ ، ٢٥٨
قنا : ٩١	الفسطاط : ٣٩٢ ، ٢٥٧
القندة : ٢٠١ ، ١٥٠	الفلبين : ٥٠٩
حرف الكاف	فلسطين : ١٨٤
كاظمة : ٦٥٢	فيلکه : ٦٥١
الكرداء : ٤٠٨ ، ٤٠٧	فييد : ٨١
كراتشى : ٦٧١	الفيوم : ٣٩٢
الكرخ : ٦٩٥	حرف القاف
كريلام : ٦٩٢ ، ١٢٠	القادسية : ٦٨٦
كردستان : ٦٨٢ ، ٣٣٨	القاهرة : ٣٩٩ ، ٣٧٨ ، ٢٥٧
كركوك : ٧٣٥ ، ٦٨٣	قبرص : ١٧٢
كرمان : ٣٠٢	قتبان : ٣٧٦ ، ٣٧٥
كلكتا : ٢٢٣	قرطبة : ٤٠١ ، ٣٨٩
كمران : ٤٦١	قربات الملح : ٢٥١ ، ٢٦٢ ، ٤٨
كندة : ٣٩١	القرم : ٧١٢
كنيسة القليس : ٤١١	القسطنطينية : ٤٦٤ ، ٣٠٩ ، ٣٩
الковفة : ٦٩٥ ، ٦٩٣ ، ٦٩٠	قسم : ٢٧٢
كوكبان : ٤٣٠	قشع : ٥٩٣
الكونغو : ٢٧١ ، ٣١	القصب : ٦٤
كوريا موريا : ٢٥٠	
كوجرات : ٣٢٧	
كيران : ٤٨٤	

حرف اللام

مضيرة : ٤٥٠
 مطرح : ٢٩٨ ، ٢٥٩
 مطير : ٢١٢
 المعافر : ٤٤٧
 معرة النعمان : ٥٦٤ ، ٩٢
 المعرف : ٤٠٥
 معين : ٣٧٧ ، ٣٧٦
 مقديشو : ٣٤٧
 المقارنة : ٤٥٧
 مكران : ٣٣٨ ، ٢٩٨
 المكلا : ٤٨٤
 الملايو : ٤٩١
 ملبار : ٣٦٠
 ملهم : ٦٤
 المليادات : ٨٧
 المليحة : ٦٤ ، ٦٣
 ممبسة : ٣٢٨ ، ٣٢٦
 المنامة : ٦١٢
 المنصورة : ٤٤٦
 منغوليا : ٧٠١
 منفلوط : ٣٩٢
 منفوحة : ١٩٤ ، ١٠٦ ، ٨٢
 مهرة : ٢٩٥ ، ٢١٩ ، ٢٤ ، ٢٣
 موسكو : ٧١٢
 الموصل : ٥٣
 الموصل : ٧١٢ ، ٦٩١
 ميدي : ١٩٨ ، ١٥٨
 ميلندي : ٤٥٨

حرف النون

نجران : ٣٨٢ ، ١٤١ ، ٢٨ ، ٢٥
 ٤٧١ ، ٣٨٤
 النجف : ٥٩٨ ، ٣٤٣
 نخل : ٢٥٧ ، ٢٥٦

حرف الميم

مأرب : ٤١١ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧
 ماردين : ٧١٢
 المجر : ٧١٢
 مجنة : ٥٥
 المجمعة : ٩٦
 المحرق : ٦٠١
 مخا : ٤٠٢
 المختارة : ٥٤٥
 المدائن : ٤٢٨
 المذنب : ١٣٠ ، ٦٨
 مرياط : ٣٩٨
 المردة : ٥٢
 مرج دابق : ٣٦٥
 مرج راهط : ٣٨٩
 المزاحمية : ٢١٣
 المزيخرة : ٤١٦ ، ٣٩٨
 المسجدة : ٨١
 مسقط : ٣٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣
 ٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٢ ، ٢٥٩
 ٢٧١ ، ٢٧٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧
 ٢٩٨ ، ٢٧٢
 مسكن : ٦٥١
 مسكة : ١٣٠
 المصمك : ١٧٢ ، ١٧٠

- ٨١٦ -

واحة خرمة : ١٦٨ ، ١٩٦	نزوى : ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨
وادي بحنية : ٤٩ ، ٦٤ ، ٨٤ ، ٨٥	النعيمة : ٢٨٥ ، ٢٨٢ ، ٢٨٠ ، ٢٧٩
وادي الدواسر : ١٥٣ ، ١٧٩ ، ٦٥٣	نصيبين : ٧١٢
وادي الدم : ٨٤	النوبية : ٤٤٤
وادي الصفراء : ١٤٩	نياسا : ٢٧١
وادي فاطمة : ١٨٩	نيس : ٢١٦
وادي القرى : ٩٣	نيسابور : ٧٠٥
وادي النعمان : ٣٤	نيتوى : ٦٩١ ، ٥٨٠
واسط : ٤٣٢	حرف الهاء
الوشم : ٤٥ ، ٦٩ ، ٩٦ ، ١٧٣ ، ١٧٣	هجر : ٢١١ ، ٢١٠ ، ١٠٧
	٥٦٩ ، ٥٤٧ ، ٢٢٧
الوصيل : ٤٨	هرة : ٧٠٩
الوطية : ٨٨	هرمز : ٥٩٣ ، ٥٩٢ ، ٢٦٢
حرف الياء	الهفوف : ٢٢٨ ، ١٧٦
اليابان : ٦٧٣	الهلالية : ١٢٠
يافا : ٥٩٦	همدان : ٧١٠ ، ٤٣٥ ، ٤٢١
يافع : ٤٤٢ ، ٤٨٤	الهند : ٤٠٧
اليماماة : ٣٤ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ٨٣	هولندا : ٣٢٣
٥٣٥ ، ٥٣٤	واحة تربة : ١٩٦
اليونان : ٢٨٩ ، ١٤٦	واحة الواو

رقم الایداع ١٩٧٦ لسنة ١٩٩٢



HISTORY and CIVILIZATION of ISLAM

A study, in Ten Volumes,
On History and Civilization of Islam
in All Muslim Ages and Lands



دكتور أحمد شلبي

7

**ISLAM AND MUSLIM COUNTRIES
THE ARAB PENINSULA AND IN IRAQ.
FROM THE RISE OF ISLAM UP TO THE
PRESENT TIME .**

FROM THE RISE OF ISLAM UP TO THE PRESENT TIME.

By

AHMED SHALABY,

B.A. (Hon.) Cairo University,
Ph. D. Cambridge University,
Professor of Islamic History and
Civilization

Faculty of Dar El Uloom, Cairo University

Published by :

THE RENAISSANCE BOOKSHOP
9 Adly Street, Cairo.

- تلقى دراساته في الأزهر وفي كلية دار العلوم (جامعة القاهرة) وفي جامعة لندن وجامعة كمبردج .

- رأى الولايات المتحدة الأمريكية كما رأى أكثر دول آوربا وأسيا وافريقيا ، ومثل مصر في عدة مؤتمرات دولية .

- درس مجموعة من اللغات الأجنبية وبحيد الأخليبة والأندوبيسيّة .

- استغل بالتدريس بجامعة القاهرة حتى وصل إلى درجة أستاذ ورئيس قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، وقد حاضر - مستدركاً ورائداً وعماراً - في جامعة الأزهر ، وعن سمس ، وإندونيسيا ، والسودان ، ومالطا ، والمملكة العربية السعودية ، ولibia ، وفي معهد الدراسات الإسلامية ، ومعهد السحوث والدراسات العربية ، ومعهد الدراسات الدبلوماسية .

- مؤلفاته تزيد عن خمسين كتاباً ظهرت الطبعات الثانية والعشرون من بعضها وأهم هذه المؤلفات :

 - ١ - موسوعة التاريخ الإسلامي في عشرة مجلدات .
 - ٢ - موسوعة الحضارة الإسلامية في عشرة أجزاء .
 - ٣ - مقارنة الأديان في أربعة أجزاء .
 - ٤ - كيف تكتب بحثاً أو رسالة .
 - ٥ - المكتبة الإسلامية لكل الأعماق : ١٠٠ جزء من السير والتاريخ وقصص القرآن للأولاد والشبان والسيدات والرجال .

- ٦ ISLAM: BELIEF, LEGISLATION, MORALS
HISTORY OF MUSLIM EDUCATION - ٧

- كتب بعض كتبه بالإنجليزية والأندوبيسيّة ، وترجمت أكثر مؤلفاته إلى الأوّردية ، والتركية ، والأندوبيسيّة ، والمالزيّة والفرنسيّة ، والفارسية .